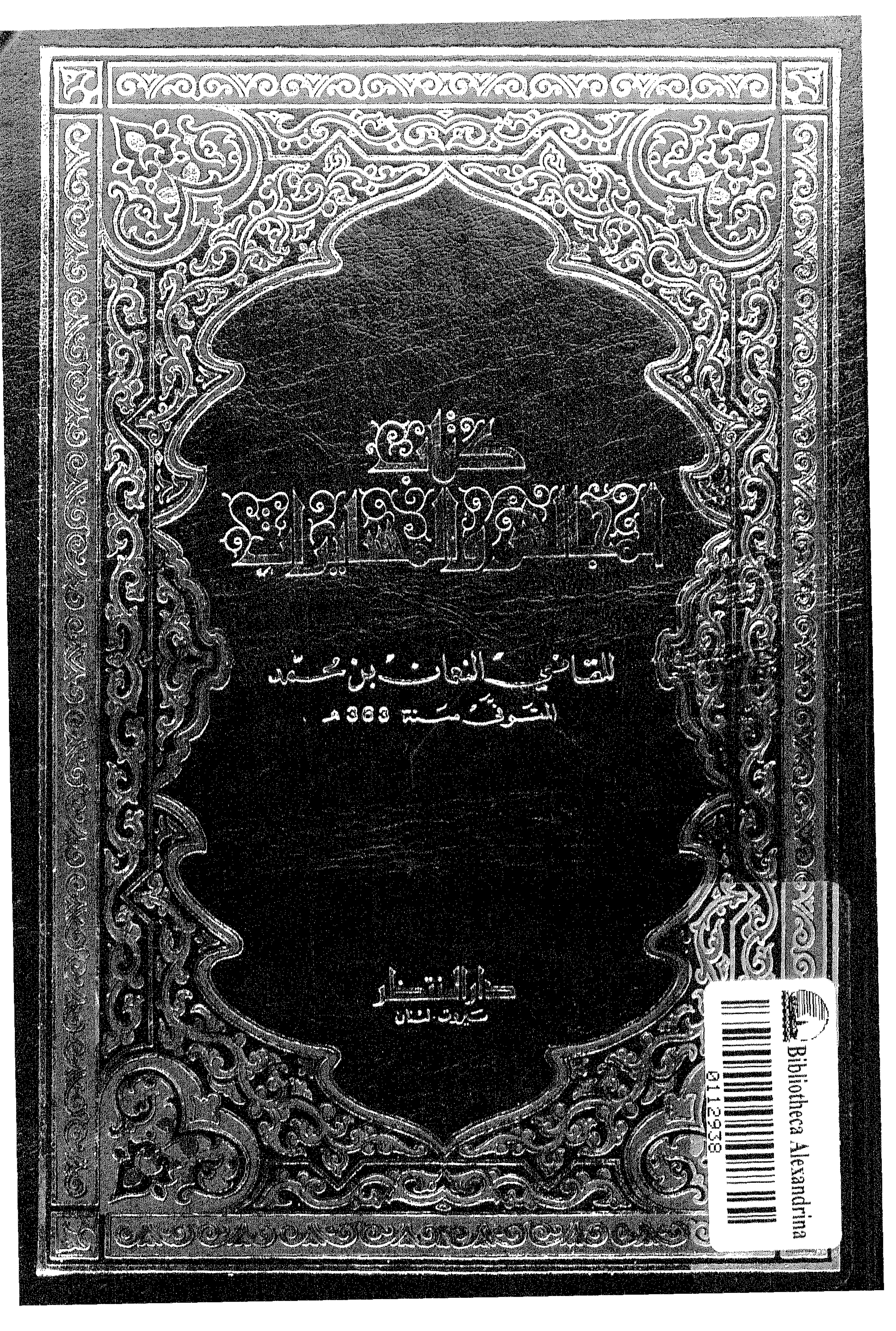

كتاب
المجالس والمسايرات
للقاضي النعمان بن محمد
المتوفى سنة 363 هـ
دار المنتظر
بيروت - لبنان
Bibliotheca Alexandrina
0112938


كتاب
المجالس والمسايرات

كتاب المجالس والمسايرات

للقاضي النعمان بن محمد

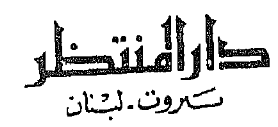
المتوفى سنة 363 هـ

تحقيق

الحبيب الفقي
أستاذ محاضر

إبراهيم شبوح
باحث بالمعهد القومي
للآثار والفنون

محمد اليعلاوي
أستاذ محاضر



بيروت - لبنان

الطبعة الأولى المزيدة والمنقحة
حقوق الطبع محفوظة
١٩٩٦

مقدمة التحقيق

– مؤلّف الكتاب :

لا نكاد نجد من بين رجال الدولة الفاطميّة مَن خدم الدعوة الإسماعيليّة وعبّر عن معتقداتها ودافع عنها وأرّخ لأئمّتها مثل القاضي النعمان (1) .

---

(1) في ترجمة القاضي النعمان ، انظر :

1 – الولاة والقضاة للكندي ، بيروت 1908 ص 494–495 .

– رفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني (ملحق بكتاب الولاة والقضاة للكندي) 586 ، 596 ، 603 .

2 – وفيات الأعيان لابن خلكان، طبعة إحسان عباس ج 5 ترجمة عدد 766 . والحديث فيها عن ولدي النعمان خاصة ، وقد وليا القضاء بمصر إلى سنة 374 وسنة 389 .

3 – مرآة الجنان لليافعي ، بيروت ، د. ت. ج 2 ص 379 (سنة 363) .

4 – لسان الميزان لابن حجر ، ج 6 ص 167 (ترجمة عدد 587 ، وفيها ذكر من تصانيف النعمان : كتاب تأويل القرآن وكتاب الخلاف وقصيدة المنتخبة) .

5 – مقدمة ديوان المؤيد في الدين لمحمد كامل حسين ، القاهرة 1949 ص 7 .

6 – Brockelmann : G.A.L. S.I., 324.

7 – الأعلام للزركلي ج 9 ص 8 .

8 – مقدمة كتاب الهمة في آداب أتباع الأئمة ،وضعها ناشره محمد كامل حسين ، القاهرة . ص 6–18.

9 – مقدمة دعائم الاسلام لناشره آصف فيضي ، القاهرة 1969 ، ص 11 وفيها إحالة إلى فصل بالانجليزية كتبه فيضي عن النعمان في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية بلندن – جانفي 1934 .

10 – مقدمة كتاب الاقتصار ، وضعها بالفرنسية محققه محمد وحيد ميرزا – دمشق 1957 ، ص 27 وما يليها .

11 – مقدمة « تأويل الدعائم » لناشره حسن الأعظمي ، القاهرة ، 1969 ص 13–14 .

12 – مقدمة افتتاح الدعوة لوداد القاضي بيروت 1970 ، (ولم تترجم المحققة لمؤلف الكتاب) .

13 – مقدمة افتتاح الدعوة ، لفرحات الدشراوي ، تونس 1975 ص 21–23 .

14 – الصليحيون والحركة الفاطمية في اليمن (من 268 إلى 626هـ) لحسين بن فيض الله الهمداني اليعبري الحرازي ، طبع بالقاهرة 1955 (ترجمة النعمان في ص 253 وما يليها) .

15 – فهرسة المجدوع نشر علي نقي منزوي ، طهران 1966 ص 52 .

16 – حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف : المعز لدين الله الفاطمي ، القاهرة 1948 ص 258 وما بعدها .

17 – محمد كامل حسين : في أدب مصر الفاطمية ، القاهرة 1972 .

18 – محمد عبد الله عنان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية ، القاهرة 1959 (انظر الفهرس) .

ونحن اذ ننشر له اليوم كتاب المجالس والمسايرات ، فقصدُنا أن نعرّف أوّلا بمكانة المؤلّف في المذهب الشيعي وعند الخلفاء الأربعة الأوّلين ، وثانيا لنكشف النقاب عن عمق تفكير هذا الرجل الذي كان قاضي الفاطميّين الأوّل وفقيههم بدون منازع ، رغم ما يظهر من تواضعه واستظلاله بظلّ الأئمّة في كامل مؤلّفاته ، ولاسيّما كتاب المجالس والمسايرات هذا ، وثالثا لنحيي هذا الكتاب الذي انتظره الدارسون طويلا ، لما فيه من تسجيل يوميّ لأقوال المعزّ وأفعاله ، حتى لكأنّه سيرة مفصّلة لهذا الخليفة الفاطميّ العظيم .

فالقاضي النعمان هو أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيّون التميمي . والنسبة تَدلّ على أنّه عربيّ الأصل . أمّا كنيته فلم نجد لها سندا في مؤلّفاته ، بل لا يدعوه الأئمّة الاّ باسمه : النعمان . فلا حاجة في نظرنا إلى التماس سبب لرواج اسمه بدلا من كنيته فنبرّره بالهروب من الالتباس بأبي حنيفة النعمان صاحب المذهب الحنفيّ .

لا يعرَف تاريخ ميلاده ، فلذلك عمد الباحثون إلى التخمين والتقريب مثل ڤوتهايل Gottheil وآصف فيضي (1) اللذين قدّراه بسنة 259هـ/873 وبسنة 906/293 . ولعلّه ولد بين سنة 283 و290 كما قدّرنا بدورنا (2) فيكون دخل في خدمة المهدي في سنّ تتراوح بين 23 و30 سنة .

ولا نعرف كذلك مكان ولادته ، وربّما كانت بالقيروان كما يقول الزركلي ووحيد ميرزا دون ذكر للمصدر . ونرجّح ذلك لأنّ أباه دفن بها بباب سَلم عن سنّ عالية (مائة وأربع سنين) سنة 351 حسب كلام ابن خلّكان .

ويقول ابن خلّكان أيضا إنّ النعمان كان مالكيّا ثم تحوّل إلى مذهب الإماميّة . وكذلك يقول مؤرّخو الشيعة ، معتمدين على رواج كتابه في الفقه « دعائم الاسلام »

---

(1) – ترجم له Gottheil في مجلة J.A.O.S. سنة 1906 .
وآصف فيضي في مجلة J.R.A.S. سنة 1934 .

(2) انظر المجالس ص 79 تنبيه 1 .

عند الشيعة الاثني عشريّة . ويرى فيضي – وهو منهم – أنّ النعمان كان إسماعيلي المذهب منذ طفولته ، وأنّ مالكيّته أو اثنيْ عشريّته إنّما كانت منه تقيّة .

ولا غرابة أن ينسب إلى المالكيّة ، لأن المالكيّة مذهب الجمهور بإفريقيّة ، مع وجود المذهب الحنفي وهو مذهب أسرة بني الأغلب الحاكمة (1) .

ونحن نستبعد أن يكون النعمان قد تمذهب منذ أوّل عمره بغير مذهب الإسماعيليّة : ذلك أنّ دخوله في خدمة الدولة الفاطميّة كان مبكّرا ، منذ سنة 924/312 واستمرّ وفاؤه لخلفائها إلى يوم وفاته في آخر جمادى الثانية 27/363 مارس 974 ، بعد أن تقلّب في وظائف سامية بالقصر بجانب الخلفاء الأربعة .

ولعلّ أباه كان داعيا من دعاة الفاطميّين ، حسب ما تشعر به عبارة ابن خلّكان نقلا عن ابن زولاق : أبو حنيفة النعمان بن محمد الدّاعي . فعبارة « الداعي » قد تعني الوالد أيضا . وإذا أضفنا إلى هذا الافتراض أنّ النعمان قد يكون وُلد سنة 896/283 ، أي قبل قيام الدولة الفاطميّة بثلاث عشرة سنة ، وبعد قدوم أبي عبد الله بثلاث سنوات ، وأنّه وجد طريقه إلى الوظائف العالية بسهولة ، من « صاحب الخبر » إلى « أمين المكتبة » إلى « قاضي القضاة » ، دفعنا رأي من قال إنّه كان مالكيّا أو حنفيّا (2) .

وينكشف بعض القناع عن هذه الشخصيّة منذ أن دخل النعمان في خدمة المهديّ كما يقول هو عن نفسه :

« وخدمت المهديّ بالله (ص) من آخر عمره تسع سنين وشهورا وأيّاما ، والإمام
« القائم بأمر الله من بعده (صلع) أيّام حياته في إنهاء أخبار الحضرة إليهما في
« كلّ يوم طول تلك المدّة إلاّ أقل الأيّام (3) » .

---

(1) المقدسي : أحسن التقاسيم ، 25–2 ، يقول عن القيروان « ليس فيها غير مالكي وحنفي مع ألفة عجيبة » بينما يقلل محمد كامل حسين من وجود هذا المذهب بإفريقية : في كتابه : في أدب مصر الفاطمية 64 .

(2) يذكر محمد بن حارث الخشني في باب من شرق ممن كان ينسب الى علم من اهل القيروان : «محمد ابن حيان » الذي كان شيخا عالي السن ، وكان ، « صاحب الصلاة» بسوسة ، وأنه «كان مدنيا ، صحب ابن سحنون ، فتشرق ، فكان لذلك مستترا » . (طبقات علماء افريقية 223 ـ الجزائر 1914) . وقد انتبه إسماعيل قربان بوناوالا الى أن محمد بن حيان هذا قد يكون محمد بن حيون والد النعمان (انظر كلمة فرحات الدشراوي في ملتقى القاضي النعمان الثاني ، أوت 1977 بالمهدية ، ص 1 من نص مرقون) .

(3) المجالس ص 79 .

وهكذا يكون قد دخل في خدمة الدولة الفاطميّة وقد مضى على تأسيسها سبعة عشر عاما . ولا نعرف شيئا عن هذه الخدمة أكثر من أنّه كان يقوم بنقل أخبار عاصمة الخلافة إلى المهديّ ثم القائم ، ولعلّ هذه الوظيفة هي ما عُرف في المشرق بديوان الخبر أو ديوان الرسائل .

وخدم المنصور منذ أيّام الخليفة المهديّ ، وسنّ الأمير آنذاك دون العشرين ، ثم استمرّت علاقته به طيلة أيّام القائم فكان يورّق له (1) ويجمع الكتب ، فيرعاه المنصور بإحسانه . فلمّا آلت الخلافة إليه بعد وفاة القائم استقضاه ، فكان « أوّل من استقضاه من قضاته » ، وذلك في الفترة التي كتم فيها موت والده حتّى لا يكثر الإرجاف ، لانشغال الأذهان بفتنة أبي يزيد مخلد بن كيداد (ما بين وفاة القائم سنة 334 وموت أبي يزيد سنة 336هـ) .

ووصف النعمان ما لقيه من المنصور في هذه المرحلة بأنّه « أعلى ذكره ، ورفع قدره ، وأنعم عليه من النّعم بما لو أخذ في وصفه لقطع بطوله ما أراد ذكره » .

وقد قضّى هذه الحقبة من حياته الرسميّة قاضيا بطرابلس ،وكانت امتدادا لافريقيّة منذ العهد الأغلبيّ .

وبعد إخماد الثورة الخارجيّة استقدمه المنصور من طرابلس (2) بعد فراغه من تأسيس عاصمته الجديدة المنصوريّة سنة 337هـ ، فنراه يخلع عليه ويحيطه بكلّ مظاهر التكريم ، ويأمره أن يقيم صلاة الجمعة ويخطب بجامع القيروان إذ لم يكن جامع المنصورية قد بُني بعد ، ويعهد له بقضاء « المنصوريّة والقيروان وسائر مدن افريقيّة وأعمالها (3) » .

وكان يجلس للقضاء بين الناس في سقيفة القصر بالمنصوريّة التي يبدو أنّها لم تستكمل عمرانها آنذاك ، « فضاقت الحال لذلك بأكثر الخصوم سيّما بالنّساء والضعفاء

---

(1) المجالس ص 80 وما بعدها . ولد المنصور برقادة سنة 301 (انظر المقريزي في ك. المقفي، ورقة 189 ب من نسخة باريس) .

(2) المجالس ، ص 51 .

(3) المجالس ، ص 348 .

ومن يتهيّب الدّخول من باب قصر أمير المؤمنين (1) » ، وقد أدرك المعزّ ما يسبّبه ذلك من الإحراج ، فتوسّط لدى والده المنصور ، فأمر بابتناء « موضع فسيح لشؤون القضاء يصل إليه الناس ويمكنهم ما يريدونه (2) » .

وكانت تجربة النعمان في عمل القضاء بحضرة الخلافة لا تخلو من مضايقات وتعقّب ، فقد تعرّض للوّم أكثر من مرّة على تركه التشدّد والصرامة (3) .

وتطوّرت خطّة القاضي النعمان فأصبح « قاضيا للقضاة » بجوار الخليفة في عاصمته الجديدة، وقد حدّثنا (4) عمّا كان يوصي به القضاة الخارجين إلى الأعمال من واجب « الوفاء بالعهد وأداء الأمانة فيما قُلّدوه » .

ويوضّح كتاب المجالس والمسايرات توثّق الصّلة بين النعمان وبين الأمير المعزّ أيّام خلافة والده . فقد كان يراجعه فيما أعدّه من تقارير للخليفة فيشير عليه بما يرفع منها وما يترك (5) . وكان يتدخّل لفائدته ويدعمه ويشدّ أزره في مناسبات عدّة ، فلمّا مات الخليفة المنصور وظهر عليه من الجزع لوفاته وقلّة الصّبر ما ظهر، وقّع له الخليفة الجديد المعزّ :

« يا نعمان ، ليحسن عزاؤك ويجمل صبرك ، فمولاك مضى ومولاك بقي ،
« وأنت واجد عندنا ما كنت واجدا عنده ، ونحن كنّا سببك عنده ولن ينقطع
« ذلك السبب لدينا لك إن شاء الله تعالى ، فطب نفسا وقرّ عينا وليحسن بنا ظنّك
« وتسكن إلى ما تحبّه لدينا نفسك (6) » .

وكان يختصّه بالمؤانسة والسؤال عن أهله وبناته وأولادهنّ (7) . وكان للنعمان ولدان ، هما أبو الحسن عليّ وأبو عبد الله محمد (8) لكلّ منهما جارية لا يقنع بها

(1) ص 69
(2) ص 70
(3) ص 75 وانظر اطراء المعز له لتوخيه العدل ، المجالس ص 307 .
(4) ص 53
(5) ص 351
(6) ص 82 وص 353 وما بعدها .
(7) ص 543 .
(8) ولادة علي بإفريقية في ربيع الأول سنة 329هـ ووفاته بمصر سنة 374هـ . أما محمد فولادته بالمنصورية يوم الأحد 3 صفر سنة 340هـ ووفاته بمصر سنة 389هـ . انظر ترجمة النعمان في الوفيات .

للولد . « وقد تاقت نفسهما إلى ما هو أحسن منهما وإلى التزويج ، فعاق أنّ أباهما لم ينظر لهما في مساكن (1) » . فنجد المعزّ يعبّر عن دهشته لهذا التأخير ، ويعاتب النعمان عتابا رقيقا بقوله :

« إلى متى يكون هذا ؟ والله لئن لم يفرحا ولم يسرّا في أيّامنا وإقبالنا عليك وعليهما ، « ويسرّ كذلك جميع أوليائنا . فأنّى كانت لهما مسرّة مثلها (2) ؟ ! » .

ويحدّثنا النعمان مرة أخرى أنّ المعزّ :

« أقطع أولياءه مواضع يبنون فيها بالمنصوريّة المباركة ، وكان البنون والبنات « وبعض المقرّبات سألوني في سؤال ذلك لهم ليجمع شملهم وتتقارب مساكنهم ، « ولما في ذلك من ستر الحرم عند حاجتهنّ إلى التزاور والتفقّد من بعض لبعض ، « وأنس بين الجميع لبعض . ولما نالهم في التفرّق من الوحشة والانقطاع . ولتضايق « بعض مساكنهم . وكون بعضهم معي في مسكن ضاق بهم لمّا اتّسع بنا فضل « وليّ الله وكثرت نعمته عندنا (3) » .

فرفع إليه رقعة وقّع عليها المعزّ بالإجابة . وأمر القائد جوهرا بإنجاز ما طلب . ويمكن أن يكون هذا قد تمّ بين سنتي 358 و360هـ نظرا إلى أن محمد بن النعمان كان متسرّيا إذ ذاك وقد نقدّر سنّه بين 18 و20 سنة ، وهو مولود سنة 340 .

وفي أيّام المعزّ كانت شخصيّة النعمان تأخذ أبعادا غير الأبعاد الرسميّة ، فلم يعد مجرّد قاضي القضاة الموظّف ، بل أصبح يُسهم في تركيز الدّعوة وفي بسط عقيدتها وتدوين فقهها . وتسجيل أمجادها وأحداثها بما جعل منه دعامة متينة للفقه الشيعيّ والفكر الإسماعيليّ . فقد أعدّ المعزّ مجلسا في قصره يلتئم إثر صلاة الجمعة . يقرأ فيه القاضي النعمان « كتبا من علم الباطن » .

« فكثر ازدحام الناس وغُصّ بهم المكان ، وخرج احتفالهم عن حدّ السمّاع ، « وملأوا المجلس الذي أمر باجتماعهم فيه وطائفة من رحبة القصر ، وصاروا

---

(1) المجالس ص ـ 544 .
(2) المصدر والصفحة نفسهما .
(3) المجالس ص 545 .

« إلى حيث لا ينتهي الصوت إلى آخرهم ... فوصف له أنّ فيهم ممّن قد
« شملته الدّعوة أهل تخلّف ومن لا يكاد أن يفهم القول ، وأنّ مثل هؤلاء لو
« ميّزوا وجعل لهم مجلس يقرأ عليهم فيه ما يحتملون ... » .

ففكّر المعزّ ثم ارتأى أن لا يميّز بين الناس وأنّ الحكمة تعرض فينال كلّ منها بحسب طاقته . وهكذا توطّدت تقاليد هذه السنّة في مدارسته الفقه الشّيعيّ والجدل المذهبيّ منذ ذلك الوقت ، فيتولىّ النعمان قراءة ما يخرجه إليه الخليفة المعزّ من مناشير تتضمّن « الحكمة والوصايا والعلم الحقيقيّ (1) » .

وحضر ذات مرّة أحد كبار أسرى المعزّ ، وهو محمد بن الفتح ، ابن واسول ، من أمراء بني مدرار بسجلماسة الذي أسر وأحضر إلى المنصوريّة سنة 348هـ ، فشهد صلاة الجمعة في قيوده ثم جلس في الحلقة بعد الصلاة يستمع إلى النعمان وهو يعرض بعض مسائل الفقه التي تخالف قوله ، ويبيّن له النعمان الوجه فيه فيسلّم . ويسأله المعزّ عن الأمر بعد ذلك ، فيقول له النعمان :

« هو رجل قد قرأ كتب العامّة إلاّ أنّه بَربريّ الطبع ، وكأنّه ظنّ أنّه ليس الحقّ إلاّ ما انتهى إليه ، فرأيته إذا سمع الحقّ أصْغى إليه ، وإذا بيّن له وشرح وفسّر مجمله رجع إليه وانقاد ولم يلجّ في الباطل ، كما يفعل كثير ممّن انتحل مذهبا ونشأ عليه ممّن نشاهده (2) » .

ولعلّ أشدّ ما يؤخذ على النعمان في تفكيره المذهبيّ هو مغالاته في إطلاق لفظ « الجهّال » و« العامّة » على مخالفيه ، كما تدلّ عليه نصوص من هذا الكتاب . وطبيعيّ أن يخلق له هذا التحامل وحظوته عند الدولة أعداء يكيدون له ويشيعون حوله الشائعات ، وكان يضيقُ صدرُه بها ويألم ، ولكنّ المعزّ يؤكّد وثوقه به ويرفع عنه الغبن (3) .

---

(1) المجالس ص 435 و ص 546 .
(2) ص 434 .
(3) ص 358 .

وقد بدأ اشتغال النّعمان بالتأليف المذهبيّ منذ عهد المنصور ، ولم يفتر عن الحديث في « مجالسه » عمّا كان يكشفه له المعزّ من مغاليق الفهم وما يوضّح له من خفيّ المعاني .

وأصبح بعد الدّربة الطويلة في خدمة الخلفاء والوفاء لهم لسان المذهب وفقيهه .

ولا يفتأ النعمان يسند أعماله إلى الخليفة ، فهو مسجّل وناطق بلسانه وصادر عن معانيه ، يقول :

« أمرني الإمام المعزّ لدين الله (صلعم) بتأليف شيء من العلم وقفني على جميع
« معانيه وأصّل لي أصوله ، وألقى إليّ جملة من القول فيه ، ولم أكن قبل
« ذلك تقدّمت في تأليف شيء منه ولا اتّسع علمي اتّساعا يوجب أن أتقدّم
« في تصنيفه ، فلمّا فتق لي المعنى فيه ولخّصه لي وأوضح لي معانيه وأمرني
« بتأليفه وبسطه تقدّمت في ذلك تقدّم واثق بعون الله به (1) » .

كان إذن يعرض عليه ما يصنعه من كتب في الفقه والفتيا ليبسّر العمل بها بين الناس ،وكان المعزّ يراجعه في مشاكلها وينبّهه إلى المحرّف عن الأئمّة الذي يجب ألاّ يروى ولا يتداوله العامّة (2) . وكان يتلقّى أمره أحيانا بوضع كتاب يحدّد له صفته ومحتواه (3) ، وربّما ناقشه الخليفة في مادّة بعض كتبه ونبّهه إلى ما سها عن ذكره (4) .

***

ولم يفتأ النعمان يشهد بما كان يصله من فضل الخلفاء ويشمله من نعمتهم الضافية فكان مسكنه مع « الأولياء » داخل المنصوريّة ، وقد أقطعه المعزّ أرضا بها لبناء دور لبناته وولديْه ، وكانت له رباع ببعض البوادي يغلّها بكراء مرتفع (5) وكان قريبا من قمّة الدولة الفاطميّة أثيرا عند المعزّ تشدّه إليه رابطة عقليّة وشيجة ، فلم يتخلّف

(1) المجالس ، ص 545 .
(2) ص 396 .
(3) ص 401 .
(4) ص 430 .
(5) ص 525 .

ولم ينفصل عنه عند انتقاله إلى مصر ، ورغم نزارة أخباره في الفترة الإفريقيّة ، فإنّا نجده فيمن حضر مع الأستاذ جوذر وفاة القائد ميسور الصقلبيّ الخادم بقصر مياسر خارج برقة (1) وهم في الطريق إلى البلاد المصريّة سنة 362هـ . ثم نراه بعد ذلك في مصلّى القاهرة الذي بناه جوهر وهو جامع الأزهر فيما بعد ، في أوّل صلاة للعيد يقيمها الخليفة المعزّ ، فكان خلفه يبلّغ التكبير . ونجده أيضا مع القائد جوهر وراء الخليفة في زيارته للأسطول بالمقس (2) .

وانصرفت جهود النعمان في القاهرة عاصمة الخلافة الجديدة إلى تركيز القضاء والعناية به بالرّغم من أنّه لم يكلّف رسميّا بخطّة القضاء ، وقد ظلّ فترة من الوقت يسكن الفسطاط (مصر) ويغدو منها إلى القاهرة (3) حتى انتقل إليها .

وكانت وفاته كما أسلفنا سلخ جمادى الثانية 363هـ مشارفا للثمانين أو موفيا عليها . وكان في أواخر أيّام المنصور قبل الهجرة إلى مصر يشكو الكبر وقرب الأجل (4) .

وقد حزن المعزّ لموته وصلّى عليه ، ودفن في داره بالقاهرة (5) .

مؤلّفات النعمان :

لم تصلنا كتب النعمان كلّها ، ولم يبق منها سوى عشرين كتابا ، مع اختلاف عند الباحثين في عددها وأسمائها وصحّة نسبتها إليه : يذكر له إيفانوف اثنين وأربعين كتابا ، وفيضي يحصي منها أربعة وأربعين ، في حين أنّ فهرسة المجدوع لم تثبت إلاّ ثمانية عشر عنوانا . ونقتصر هنا على عرض المطبوع منها ، وهي :

(1) سيرة الأستاذ جوذر 147 وكان المعز قد نزل هذا القصر في جمادى الأولى سنة 362هـ . انظر المقريزي : اتعاظ 1 : 134 .

(2) المقريزي : اتعاظ 1 : 138–139 .

(3) ابن حجر : رفع الاصر (ذيل الولاة والقضاة للكندي 587) .

(4) المجالس ص 546 وما بعدها .

(5) المقريزي : الاتعاظ 1 : 149 .

1 — دعائم الإسلام ، وهو أهمّ مصنّف في الفقه ، يقول المجدوع إنّه ألّفه بطلب من المعزّ ، ولم يذكر النعمان في مقدّمة الكتاب طلب المعزّ هذا ، بل اكتفى بذكر الدعائم السّبع التي بني عليها الإسلام في نظر الإمام جعفر الصادق ، وهي التي أوحت إليه بعنوان « هذا الكتاب الجامع المختصر الذي يسهل حفظه ويقرب مأخذه » ، ولا شكّ أنّه أصبح أهمّ كتاب في الفقه الشيعيّ ، إلى حدّ أنّ المعزّ حين أبقى القاضي السنيّ على قضاء مصر ، اشترط عليه أن يحكم بفقه آل البيت كما دوّن في الدعائم ،وكذلك اشترط الخليفة الحاكم على دعاته أن تكون فتاويهم حسب كتاب الدعائم . وقد نشر هذا الكتاب في جزأين بالقاهرة بين سنة 1952 وسنة 1962 ، بتحقيق آصف فيضي .

2 — تأويل الدعائم ، وعنوانه الأصليّ : « تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين » . نشر منه محمد حسن الأعظمي بالقاهرة ثلاثة أجزاء فقط . ويقول الناشر إنّ القاضي النعمان توفّي قبل أن يفرغ من تصنيفه ، فيكون هذا الكتاب هو آخر مؤلّفات النعمان .

3 — كتاب الاقتصار ، وهو شبيه في مادّته بكتاب الدعائم ، ممّا دعا ناشره وحيد ميرزا إلى التساؤل عن العلاقة بين الكتابين : إن كان « الاقتصار » مختصرا من الدعائم ، أم كان كتاب الدعائم بسطا لما في كتاب الاقتصار ؟ على أنّ اسم الدعائم لم يرد صراحة في الكتاب المعنون بهذا العنوان ، وقد افترض محمد ميرزا أنّ كتاب الدعائم قد يكون هو كتاب الإيضاح الذي ذكره النّعمان في مقدّمته وقال إنّه جرّد منه كتابَيْن : الاخبار ، والاقتصار ، وأرجوزة « المنتخبة » . غير أنّ القاضي النعمان في المجالس ذكر الكتاب بعنوانه المصطلح عليه فقال :

« سمعت بعضهم يحرّض بعضا في الاجتماع لقراءة كتاب دعائم الاسلام الذي
« بسطه المعزّ لدين الله لهم وجعله في مجلس من مجالس قصره (1) » .

4 — أساس التأويل ، نشره عارف تامر ، ببيروت 1960 ، في طبعة رديئة مليئة بالأخطاء .

---

(1) ص 306 . وعبارة « الذي بسطه المعز لهم » تدفع الفكرة القائلة بأن النعمان ألف الكتاب بوحي من المعز ، أو استمد منه مادته .

هـذه أربعة تصانيف في الفقـه الفاطمـيّ تختلف عـن بعضهـا بعضا في البسـط والاقتضاب ، أو في اتّباع الظاهر أو التماس الباطن ، مع أنّ مادّتها واحدة .

وللنعمان كتب أخرى ، في السلوك الواجب نحو الأئمّة ، مثل :

5 — كتاب « الهمّة في آداب أتباع الأئمّة » ، الذي نشره محمد كامل حسين سنة 1947 في سلسلة مخطوطات الفاطميّين التي أنشأها وسهر عليها حتّى وفاته . ويظهر من المقدّمة الطويلة التي صدّر بها تحقيقه أنّه ليس واثقا تمام الوثوق من صحّة نسبة الكتاب إلى النعمان ، فمعتمَده في ذلك هو كتاب ايڤانوف (رقم 80 من ثَبَته) ومجموعة وثائق مخطوطة حصل عليها من المكتبات الهنديّة .

وفي تاريخ الدعوة الفاطميّة :

6 — افتتاح الدعوة « في ذكر أمر الدعوة بأرض المغرب إلى المهديّ (ص) وابتدائها فيها ... » وهو كتاب نفيس لما يكشفه من مساعي الدعاة الواردين إلى إفريقيّة للإطاحة بالإمارة الأغلبيّة ، ونجاحهم في إقامة أوّل دولة شيعيّة إسماعيليّة في تاريخ الإسلام. وقد نُشر الكتاب نشرتين : في بيروت سنة 1970 بتحقيق الآنسة الدكتورة وداد القاضي مع تحليل ضاف لأبواب الكتاب ، وبتونس سنة 1975 بتحقيق زميلنا الدكتور فرحات الدشراوي ، مع دراسة مفصّلة للكتاب تبيّن أهميّته في معرفة تاريخ الفاطميّين .

7 — المجالس والمسايرات ، قيّد فيـه النعمان ما سمعه من الخليفـة المعـزّ في مواضيع شتّى ، من تاريخ وعقيدة واحتجاج على الخصوم ، وبحوث لغويّة ، وهو هذا الكتاب الذي ننشره اليوم . وسيرد الحديث عنه .

8 — الأرجـووة المختـارة ، نشرها إسماعيـل قـربـان بونـاوالا بمـونريـال (Montréal) بكنـدا سنة 1970 (1) . ألّفها النعمان في عهد القائم للاحتجاج للأئمّة ، وهي غير الأرجوزة المنتخبة التي ذكرها في مقدّمة كتاب الاقتصار .

هذا ، ولا شكّ أن مؤلّفات النعمان تتجاوز هـذا القـدر : فهنـاك عناوين أخـرى ذكرها مؤرّخو الشيعة والسنّة على السوّاء ، وذكرها النعمان نفسه في بعض كتبه :

---

(1) Mac Gill University, Montréal, Canada.

ففي كتاب افتتاح الدعوة يشير إلى كتاب ألّفه في سيرة المعزّ ، وقد رأى الدشراوي أنّه كتاب المجالس بالذات (1) ، ويبدو أنّ النعمان نظم هذه السيرة في أرجوزة (2) مثلما فعل في مؤلّفاته الفقهيّة .

وفي المجالس أيضا إشارات إلى كتب أخرى من تأليفه ، وإن كان ينسب مادّتها غالبا إلى الأئمّة :

- كتاب في أخبار الدولة وقد يكون هو افتتاح الدعوة (3) .
- كتاب في مناقب آل البيت ومثالب خصومهم (3) .
- كتاب في البسملة ، يثبت أنّ البسملة هي من صلب القرآن (4) .
- تفسير للقرآن أوصله إلى سورة المائدة (4) .
- كتاب الدينار ، وهو يشتمل « على علم جميع الحلال والحرام ، والقضايا والأحكام » حسب عبارة النعمان نفسه . إلاّ أن المعزّ غيّر عنوانه فسمّاه : الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمّة الأطهار » (5) .
- كتاب في الإمامة قدّمه لابن واسول المدراري « خليفة » سجلماسة ، لإطلاعه على زيغه (6) .

هذه جملةُ ما توصّلنا إلى معرفته من كتب النعمان التي كانت أساسا للدراسات الإسماعيليّة ، فكان البعض منها يقرأ في مجالس الحكمة ككتاب الدعائم وكتاب تأويل الدعائم ، بدليل ما يوجبه الكرمانيّ على قارئي كتابه « راحة العقل » من البدء بقراءة فصول من كتب النعمان كالدعائم والاقتصار والمناقب والمثالب (7) .

---

(1) افتتاح الدعوة ص 338 . وبالخصوص ص 145 فقرة 305 من المقدمة الفرنسية .
(2) المجالس 462 . ولعلها هي الموسومة بـ « ذات المنن » .
(3) المجالس ص 117 .
(4) ص 135 .
(5) ص 359 .
(6) ص 415 .
(7) راحة العقل ص 22.

هذا وقد استقرى إسماعيل قربان بوناوالا ناشر الأرجوزة المختارة المؤلّفات المنسوبة إلى النعمان ، فجرّد منها ثبتا يحتوي على واحد وستّين عنوانا بعضها مطبوع وبعضها مخطوط، والكثير منها مفقود أو مشكوك فيه، وهذه القائمة لم تطبع بعد (1) .

المجالس والمسايرات :

سجل اسم الكتاب على نسخة الآصفية - التي اعتمدنا نصفها الأول - بهذه الصورة : « المجالس والمسايرات في تاريخ الإسماعيلية وعقائدهم » . ويبدو أنّ اسمه الأصلي هو ما ذكره المجدوع (2) : «المجالس والمسايرات والمواقف والتوقيعات» وهو اسم أكثر مطابقة لمحتوى الكتاب ومادّته .

وقد نصّ في مقدّمته على ما سبق له من تآليف كتبها عن الخلفاء المهديّ والقائم والمنصور ثم عن المعزّ منذ بداية إمامته ، فقال :

« ثمّ رأيت وجوها من الحكم والعلم والآداب والمعرفة تنفجر عن منطقه وتندفع
« من ألفاظه وتشير عن رمزه وإشارته،لا تجري مجرى السّير التي صنّفتُها ولا
« تدخل في أبوابها التي ألّفتُها على ما في تلك السير من الحكمة والعلم والمعجزات
« والبراهين والدلائل والآيات ، فرأيتُ إفراد هذه في كتب تشبهها وتليق
« بها وأن أفرد السّير في كتابها مع ما شاكلها وكان من معناها . وأن أذكر
« في هذا الكتاب ما سمعتُه من المعزّ (صلعم) من حكمة وفائدة وعلم ومعرفة
« عن مذاكرة في مجلس أو مقام أو مسايرة ، وما تأدّى إليّ من ذلك عن بلاغ
« أو توقيع أو مكاتبة (3) » .

وممّا يزيد في الأهمّيّة الوثائقيّة لهذا الكتاب أنّ النعمان كان حريصا على تسجيل مادّته إثر كلّ مجلس مباشرة (4) ويتحرّى في نقل ما ينقله حتى يأتي بلفظ المعزّ كما

(1) وقد أمدتنا بهذه القائمة الدكتورة وداد القاضي ، فلها منا جزيل الشكر .
(2) المجدوع ، اسماعيل الأجيني : فهرسة الكتب والرسائل 52 (تهران 1966) .
(3) المجالس ، المقدمة ص — 47 .
(4) ص 224 .

ورد على لسانه (1) مع ما في هذا العمل من صعوبة وجهد . وكانت مراجعة الخليفة لمحتواه تزيد النعمان وثوقا من عمله . فيقول : «إنّ ما أثبته في هذا الكتاب كأنّه هو لفظه
« وإن لم يكن هو بحقيقته ، لما أجازه على المعنى وسقط عنه تهمة التحريف
« والإحالة ، وإن سقطت منه فضيلة الفصاحة والجزالة ، ومعجز الألفاظ
« في المقالة ، ولكنه صار بذلك من أصدق الحديث وأصحّ النقل (2) » .

وإذا كان النعمان قد وضّح خطّة العمل في هذا الكتاب، وحدّد مادّته ومحتواه ومرتبته من الوثوق باعتبارتوخّيه التسجيل المباشر أوّلا،ثم مراجعة المعزّ لهذه الموادّ التي تسقّطها كاتبها على توالي الأيّام ،فقد ظلّ التاريخ الذي توقّف فيه مبهما نظرا لأنّ صفة التأريخ لم تجيء في هذا الكتاب إلاّ بصورة عرضيّة .

وقد ذكر الكتاب بعض الأحداث التي يمكن التوثّق من تاريخها ، مثل :

أ – أسر ابن واسول واستقدامه إلى المنصوريّة ، وذلك سنة 348ه (3) .

ب – بداية العمل في إجراء نهر عين أيّوب إلى القيروان وكان ذلك في المحرّم سنة 348 أيضا (4) .

ج – الإعذار الجماعي سنة 351ه (5) .

د – سؤال المعزّ للنعمان في المسايرة رقم 280 (6) هل أنجب ولداه علي ومحمد، وجواب النعمان أنّ لكلّ منهما جارية لم يقنع بها للولد ، وأنّهما قد تاقت نفسُهما إلى التزويج ، وعاق ومنع ذلك أنّه لم ينظر لهما بعد في مساكن . ونحن نعلم من جهة أخرى أنّ أبا الحسن عليّ بن النعمان قد ولد في شهر ربيع الأول سنة 329ه (7) وأنّ أبا محمد عبد الله ولد يوم الأحد 3 صفر سنة 340ه . فلذلك نقدّر أنّ هذه

---

(1) ص 301 .
(2) ص 302 .
(3) ص 217 . وفي هذا أيضا دليل على أن النعمان لم يفرغ من تأليفه سنة 957/346 كما قال الدكتور الدشراوي حين ظن أن كتاب المجالس وكتاب سيرة المعز هما كتاب واحد .
(4) ص 332 .
(5) ص 553 .
(6) ص 543 .
(7) ابن خلكان : الوفيات 5 : 51–54 .

المسايرة قد حصلت على الأقلّ بعد مولدهما بثمانية عشر عاما أو عشرين ، وهي السنّ التي يكون فيها محمد بن النعمان مؤهّلا للزواج والتّسري ، وبذلك ترجع هذه الحادثة إلى ما بين سنتي 358 و 360هـ ويمكن بذلك أن نقول إنّ كتاب المجالس والمسايرات قد غطّى الفترة الإفريقيّة من حياة المعزّ كلّها تقريبا ، ولم يتجاوز إفريقيّة معه إلى مصر أو غيرها كما تجاوزت سيرة الأستاذ جوذر إلى مدينة برقة ثم توقّفت (1) .

لم يكن كتاب المجالس كتاب تاريخ ولا كتاب سيرة فقط بل هو أيضا كتاب عقيدة وكتاب أدب . ففيه إشارات تاريخيّة كالتي ذكرناها ، وفيه معلومات عن فتنة أبي يزيد التي دامت مدّة القائم والمنصور ، وعن خصومات المعزّ مع الدولة الأمويّة ، والثورات المتعدّدة التي قامت بإفريقيّة ، وفيه عرض لما أحدثه كلّ من صاحبي سجلماسة وفاس من فتن ، وكذلك للمعارك التي وقعت بين الروم والمعزّ.

ونتبيّن من هذا الكتاب مكانة القاضي النعمان في الدولة الفاطميّة ومختلف وظائفه الدينيّة المذهبيّة والسياسيّة الديوانيّة .

كما نجد فيه مسائل عقائديّة كمبحث الإمامة ، وما قيل في نسب الفاطميّين وما نسبه الغلاة إلى الأئمّة ممّا لا يتّفق مع عقيدة الإسلام ، ومسائل في الظاهر والباطن .

ونجد كذلك في الكتاب صورة من الصعوبات التي لقيها الفاطميّون في بسط نفوذهم المذهبيّ على المجتمع الإفريقيّ السنّيّ فلم تستقرّ دعائمه إلاّ بقوّة الأنصار الكتاميّين . وقد أشاد المعزّ مرارا بفضلهم وفضل أسلافهم .

ونستخلص منه أيضا معلومات عن المهديّ والقائم والمنصور والمعزّ وسياستهم الداخليّة والخارجيّة وعن طباعهم ومعاملتهم للناس مع نماذج كثيرة من حكمتهم ومواعظهم .

وفي خصوص الأئمّة يمكن جمع الأخبار والإشارات الواردة في الكتاب مبثوثة هنا وهناك في كلام المعزّ أو في ذكريات النعمان نفسه :

(1) سيرة الاستاذ جوذر 144 .

1 – المهـدي :

من أهمّ القضايا التي يثيرها كتاب المجالس ، ظروف مقتل أبي عبد الله الشيعي وأخيه أبي العبّاس بانييَ صرح الدولة الفاطميّة ، وموقف رجال كتامة مـن هـذا الحادث الغامض ، وكذلك قضيّة الإمام المستودع والإمام المستقرّ التي ما زالت محلّ بحث عند مؤرّخي الإسماعيليّة (1) : هل كان القائم ابنَ المهديّ حقيقة ؟ أم كان المهديّ إماما مستودعا ،حافظاً للإمامة التي هي من حقّ القائم؟ وقد لا نرتاح إلى ما قيل في هذه المسألة ، خصوصا وأنّ بعض دعاة الإسماعيليّة قد أتوا بمعلومات تحمل على إعادة النظر في قضيّة نسب الفاطميّين . وهذا النعمان نفسه ينقل لنـا أنّ بعض نساء المهـديّ

« ... كانت تقول لولد المهديّ ونسائه بعد وفاته : والله لقد خرج هذا الأمر
« من هذا القصر – تعني قصر المهديّ بالله (ص) – فلا يعود إليه أبدا ، وصار
« إلى ذلك القصر – تعني قصر القائم بأمر الله – فلا يزال في ذرّيّة صاحبه ما
« بقيت الدنيـا (2) » .

فهذا النصّ يشعر بأنّ القائم لم يكن من ولد المهديّ حقيقة . وقد أشيع أيضـا أنّ المهديّ من سلالة ميمون القدّاح فيكذّب المعزّ هذا الزعم قائلا :

« لن يجعل الله (عج) ذلك الاّ عند الضرورة عنـد من جعلـه في يديـه من
« أهـل هـذا البيت من غيـر الأعقـاب المتّصلـة إلاّ مستودعـا عنـدهم غيـرَ
« مستقرّ فيهم إلى أن يستحقّ ذلك مستحقّه فيأخذَه مـن أيديهم (3) » .

فلا يستبعد أن تخرج الإمامة من أيدي أصحابها إلى جماعة آخرين لمدّة معلومة عند الاضطرار ، ثم تعود إلى أصحابها الحقيقيّين .

---

(1) انظر النصين اللذين نشرهما ايفانوف بمجلة كلية آداب القاهرة 1936 ج 2 ص 89–135 . وهما استتار الامام ، وسيرة جعفر الحاجب . وكذلك ك. في نسب الخلفاء الفاطميين الذي نشره حسين بن فيض الله الهمداني ص 14–22 . وانظر كذلك :

Bernard Lewis : The origins of Ismailism, Cambridge 1940

ص 115 إلى 163 من النص العربي : أصول الاسماعيلية تعريب خليل جلو وجاسم الرجب . واعتراض ناشري سيرة الاستاذ جوذر على فكرة المستشرق الانجليزي (تعليق 62 ص 167 من السيرة) .

(2) المجالس ص 543 .

(3) ص 410 .

وقد تتّضح لنا هذه الإشارات إذا قابلناها بما ذكره الخطّاب أحد الدعاة اليمنيّين عن الدعوة الجديدة :

« ثم اتّصل أبو عبد الله صاحب دعوة المغرب عن أمر إمامه عليّ بن الحسين
« — سلام الله عليه — فأقام عنده في اليمن وشهد معه وقائع كثيرة ، وجاهد
« بين يديه ، ثم بعثه من أرض اليمن إلى أرض المغرب ، فشخص إليها وكان من
« خبَرِه في طريقه ما ضمّنه كتاب افتتاح الدعوة بالمغرب . أظهر الله به دعوة
« الحقّ ، وكان على يديه طلوع الشمس ، وذلك أنّه لما ظهر النور باليمن وبلاد
« المغرب سار وليّ الله في أرضه عليّ بن الحسين (ص) يريد بلاد المغرب حتى
« كان في بعض طريقه فأظهر الغيبة واستخلف حجّته سعيد الملقّب بالمهديّ
« — سلام الله عليه — فثبّتَ قواعد الدعوة وجرى عليهما من ضدٍّهما
« بسجلماسة من العمّال بالمغرب ما جرى ، ووقى الله وليّه — سلام الله عليه —
« كيده لما كان من زحف أبي عبد الله عليه وظفَرِه به واستخراجه وليّ الله
« — سلام الله عليه — من سجنه ، فلمّا حضرت المهديّ النقلة سلّم الوديعةَ إلى
« مستقرّها وتسلّمها محمد بن علي القائم بأمر الله تعالى ، وجرت الإمامة في
« عقبه (1) » .

وقد يكون في هذا النصّ تفسير لما قالته تلك المرأة من نساء المهديّ .

ويذهب الداعي إدريس عماد الدين هذا المذهب فيقول :

« ولما توطّدت قوانين الدعوة الهادية بالمهديّة وظهر أهل الكهف من كهف
« التقيّة ، وآن الأجل وانقضى المهل ، سلّم الإمام المهديّ بالله إلى ولده القائم رتبته
« وأدّى إليه وديعته وأمانته وأظهر الغيبة (2) » .

فكأنّ القائم لم ينسب إلى المهديّ إلاّ على أساس البنوّة الروحيّة ، مثلما اعتبروا سلمان الفارسيّ واحدا من أهل البيت لانتسابه روحيّا إليهم ، ولعلّ المهديّ لم يكن غير إمام مستودع . ويذكر نصّ المجالس أنّ ولد المهدي مرض بالجدري فعمي . وهذه دلالة أخرى على أنّ الإمامة قد خرجت من بيته إلى بيت آخر .

---

(1) غاية المواليد ، مخطوط ص 91–92 .
(2) زهر المعاني ، ص 292 .

وقد تشعرنا هذه النصوص أيضا بأنّ حقيقة العلاقة بين المهديّ والقائم لم تخف عن الداعي أبي عبد الله الشيعيّ ولا عن أخيه أبي العبّاس، فيكون اكتشافهما سرّ الإمامة سببا لانتقاضهما على المهديّ، فقتلهما .

2 ــ القائم :

لم تزوّدنا المجالس بأخبار هامّة عنه ، ونستنتج من الإشارات العابرة أنّ القائم لقي صعوبات في سياسة دولته ولم يستطع التغلّب على المعارضين ، وبالخصوص على ثورة أبي يزيد التي كادت تودي بالخلافة الشيعيّة .

ويبدو لنا خليفةً ناقص الحزم ، لا يميل إلى الغزو ولا يفكّر في التوسّع ، وذلك منذ كان وليّا للعهد ، فيروي لنا الكتاب جوابه للمهديّ حين كلّفه بالتجهّز إلى مصر ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، قد خوّلك الله وملّكك وأعطاك من الدنيا ما فيه سعة
« وكفاية ، فعلامَ تغمّ نفسك وتشغل صدرك ؟ فدع هذا حتى يأتي الله به
« عفوا (1) » .

ونستشفّ من الكتاب صورة من الخلافات العائليّة والتنافس على الحكم ، ودور أمّهات الأولاد في صرف ولاية العهد عن هذا إلى ذاك . من ذلك أنّ القائم كتم تعيينه للمنصور وليّا للعهد أكثر من عشر سنوات، وكأنّه غير مطمئنّ إليه راغب في تعويضه بغيره ، فيتألّم المنصور كثيرا لهذا التردّد :

« ... أقمت مدّة حياته ثلاث عشرة سنة أنظر إلى من قرب منه ومن بعد عنه (ص)
« يسعون بالفساد في دولة هي لي ، قد قلّدني الله أمرها ... وأهل خاصّتي يُؤذَوْنَ
« ويستطال عليهم فلا يجد عنده أحد منهم نصرة ... ويُنال منّي وتؤكل أموالي
« وأنا في ذلك كلّه بمعزل أتجرّع غصص الغموم ... (2) » .

---

(1) المجالس ، ص 252 . وانظر مثالا آخر في ص 101 .

(2) المجالس ، ص 448 .

وربّما فكّر القائم مدّة في صرف الخلافة إلى المعزّ مباشرة فيعترف له بأنّه آثره على أبيه ، حتى صار يشفق عليه من نقمة المنصور :

« إنّ أخوفَ ما أتخوّفُه عليك من أبيك ما علِمتَه من إيثاري إيّاك وما أعلمُه
« من ميله إلى أمّهات إخوتك ، فأخشى أن يَعدل بهذا الأمر عنك إلى غيرك
« منهم ... ولولا صغر سنّك اليوم ما عَدَتْك (1) » .

3 — المنصــور :

أمّا المنصور ثالث الخلفاء فقد ذكر في الكتاب أكثر من سالفَيْه . وسبب ذلك أنّه مصدر كلّ الأخبار التي تخصّ المهديّ والقائـم ، فعنه يروي المعـزّ ، وبه يستشهـدُ وبأقواله يتمثّـل .

وكانت فتنـة أبـي يزيـد عنـد تولّـي المنصـور قـد استفحلت وعمّـت أرجاء إفريقيّة ، فجمع قواه وقضى عليها بجهدٍ جهيد (2) .

ويبدو أنّ كثيرا من المؤرّخين القدامى اعتمدوا — في عرضهم لفتنة أبي يزيد — على ما سجّله القاضي النعمان في كتبه : من هؤلاء المؤرّخين ، المقريزي في ترجمته للمنصور في كتابه « المقفّـى (3) » .

وكان حادّ الذهن عالما شجاعا حازما ، تولّى المهديّ تربيته فكـان يطلعه على كتب الدعوة وعقيدة أهل البيت (4) ، فنشأ محبّا للكتب والعلم .

وكان صارما مهابا لا يسمح لأحد من الأولياء بالتواني فيما يكلّفه به ، فنراه مثلا يلوم النعمان على تقصيره في القضاء ، وينهاه عن السجود له ، وربّما تعرّض منه المعزّ نفسه إلى اللوم .

---

(1) ص 469 .
(2) ص 72 و 113 و 447 .
(3) نشكر الدكتور سهيل زكّار الذي أمدنا بنص هذه الترجمة المخطوطة .
(4) ص 502 .

4 - المعـــزّ :

أكثر ارتباط النعمان كان بالمعزّ ، فقد عاصره وعاشره وليّ عهد ثمّ خليفةً وصاحبه إلى مصر إلى أن مات قبله بسنتين .

وتعظيم النعمان للمعزّ لا مزيد عليه : فهو الإمام وهو مصدر العلوم وأساس التأويل وكاشف الأسرار . وهو وليّ نعمته لم تنقطع ثقته ولا فتر عطفه ، وهو الملجأ الذي يسكن إليه ، إذا دهمه أمر أو حيّرته قضيّة أو غمضت عليه السّبل .

فلذلك أحاط النعمان شخصيّة المعزّ بالعناية التامّة فألّف هذا الكتاب وجعله سجلاّ يوميّا لأقواله ومآثره وتوقيعاته .

ومعظم كتب النعمان أُلّفت في عهد المعزّ ، فيقول إنّه كتبها بطلب منه إذ يمدّه بمادّتها ويلخّصها له ، فيتبسّط فيها النعمان ، ثم يعرضها عليه فيستحسنها غالبا ، وينصحه أحيانا بالزيادة فيها أو بالتشذيب منها،ويشير عليه بتبسيطها أو تحوير عنوانها .

وكان الأولياء يتهيّبون المعزّ فلا يتجاسرون على استفتائه في العقيدة ولا سؤاله في الأمور المعتادة ، بالرغم من تحريضه لهم على ذلك وحسن معاملته لرعاياه من أهل الدعوة وحتّى من خصومها كما فعل مع ابن واسول ، إذ سمح له بحضور صلاة الجمعة بإمامته ، وتواضع له فناقشه في بعض مسائل الفقه كتحليل لحوم الخيل . وكذلك نراه يتألّم لمقتل حميد بن يصل ويقول إنه كان يصفح عنه لو أظهر الندم على قيامه عليه :

« ... فمن تاب إلينا قبلناه ، ومن استرحمنا رحمناه ومن استقالنا أقلناه ... (1) ».

ويعلمنا الكتاب أنّ المعزّ كان شاعرا بالتنافر الحاصل بين الدولة الفاطميّة ورعاياها ممّن يسمّيهم « العامّة » أي أهل السنّة ، فعمل على أن يظهر للناس بمظهر المنقذ الهادي جاء ليخلّص الدين من أعدائه سواء كانوا من النصارى البيزنطيّين أو ممّن يدّعون الإسلام مثل بني أميّة بالأندلس وبني العبّاس ببغداد أو البرابرة بالمغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، وقد استفحلت فيهم الدعوة الخارجيّة فصاروا يثورون بين الفينة والأخرى فيرسل عليهم خلصاءه من كتامة وعبيده الصقالبة .

---

(1) ص 253 .

وكان عطفه على كتامة عظيما لأنّهم كانوا حزب الفاطميّين منذ بداية الدعوة ، لهم فضل السبق والجهاد ، فلم ينس لهم المعزّ صنيعهم فكان يقرّبهم دوما ويثني عليهم :

« بارك الله فيهم وكثّر أعدادهم ! فما أسرّني بهم وباحتفالهم ، وما أحبّ إليّ
« أشخاصَهم وأزيَن في عيني منظرَهُم ... أرأيت مثلهم في بهائهم وجمال
« مراكبهم وحسن مناظرهم (1) ؟ » .

وربّما أثار هذا العطف حفيظة العبيد من الصقالبة – ممّا يشعر بشيء من التنافس بينهم وبين الكتاميّين – فيغضب عليهم المعزّ ويؤكّد فضل كتامة لأنّهم في نظره قد آزروا الدعوة متطوّعين ، أمّا الصقالبة فبحكم عبوديّتهم كانوا من صفّهم ، ففضلهم أقلّ .

وكذلك يعمل على تطمين رجال كتامة إذا ما ظهر منهم تحفّظ إزاء قائد صقلبيّ أمّره المعزّ عليهم ،وهو جوهر ، فيستدرجهم بلطف ولين وكأنّه يخشى انتقاضهم عليه .

ونراه يوصي الولاة دوما والعمّال بالعدل والأمانة ، والصدق والإخلاص ، ويُحذّرهم من إخفاء ما يجب تبليغه إلى الإمام ، ويحثّهم على الرفق بالرعيّة والتحرّي في التهمة قبل إنزال العقوبة (2) . ويدعو إلى المحافظة على الأخلاق القويمة ، ولا يسمح بارتكاب ما ينهى الشرع عنه . ويذكر النعمان أنّ المعزّ تشدّد كثيرا في تتبّع النائحات وإنزال العقوبة بهنّ حتّى إنّه اتّهمه بالتقصير في هذه القضية (3) .

المعزّ والعقيدة .

يصوّر لنا القاضي النعمان في كتابه المجالس والمسايرات المعزّ على أنّه الرجل الذي تحصّل على علم الأوّلين والآخرين . فالمعزّ متبحّر في كلّ علم وفنّ ، عارف بعلم الظاهر وعلم الباطن وبأحكام الدين وأصوله وفروعه وبالعلوم الرياضيّة والطبّ والهندسة

(1) ص 245 .
(2) ص 496 .
(3) ص 535 .

وعلم النجوم والفلسفة ، وله باع طويل في المباحث اللغويّة أيضا (1) . وهو صاحب اختراعات عجيبة لم يسبق إليها كالقلم الخازن للحبر (2) ، وله معرفة بتركيب الأدوية . وهو متضلّع في الفقه يجيب عن قضايا عويصة ، ولا غرابة ، فإنّ هذا العلم يرثه وراثة كما يرث الخلافة ، وهو العلم الذي يتنقل من إمام إلى آخر . فعلم المعزّ لم يكن قد حصل له بالتحصيل والتعلّم ، بل بالتأييد الإلاهيّ إذ لم يكن له مؤدّب أدّبه في طفولته ، ولا جالسَ ذوي العلم والمعرفة ولا رحل فخالط الناس (3) . فهو مثل جدّه النبيّ (ص) اتّصل بالعلم كما اتّصل محمّد بالوحي سواء بسواء . ويؤكّد المعزّ ذلك فيقول إنّ العلم انتقل إليه فجأة عند وفاة المنصور ويستشهد بحادثة وقعت له معه :

« كان المنصور ألقى عليّ مسائل قبل وفاته (ص) تعذّر عليّ الجواب فيها
« وأظلم ، فما هو إلاّ أن قبض (ص) حتى تهيّأ لي ما كان اعتاص عليّ من
« جوابه دفعة بغير تدبّر ولا رويّة .. فعلمت أنّ ذلك كما قيل : إنّ الله ينقل
« ما كان عند الماضي من الأئمّة إلى التالي منهم في آخر دقيقة تبقى من نفس
« الماضي (4) » .

ويبدو أنّ القاضي النعمان يغالي في فطريّة علم المعزّ : ففي الكتاب شواهد كثيرة على تتلمذه لأبيه المنصور في طرق المناظرة وأساليب الجدال ، مع حضور لمجالس الحكمة التي تعقد بالقصر .

وكان المعزّ يثور على الأتباع الذين يضفون على الأئمّة صفات مغالية كمعرفة الغيب ، أو ينسبون إليهم مواقف مارقة ، فيعيبُ غلوّهم ويلومهم .

وهذا المنصور يستنكر ما نسبه أحد الغلاة إلى الأئمّة فادّعى أنّهم يقولون : « عندنا من حكمة الله وعلمه ما نزيل به الجبال ونخرق به البحار (5) » .

(1) أنظر : محمد اليعلاوي : قضايا لغوية في كتاب المجالس والمسايرات . ملتقى ابن منظور الخامس ، أفريل 1978 .
(2) ص 319 .
(3) ص 148 .
(4) المجالس ص 265 ، وانظر شرح ذلك في نفس الجزء ص 267 .
(5) المجالس ص 419 .

وقد كان هذا الغلوّ يصدر حتّى عن الأولياء والدعاة المقرّبين . وربّما وجد هذا الغلوّ منطلقه وغذاءه في أقوال الأئمّة أنفسهم : فهذا المهديّ يتنبّأ للمنصور وهو جنين بكشف غمّة أبي يزيد (1) ، ويقول إنّ الأئمّة يخبرون بدنوّ أجلهم (2) . وكذلك في سكوتهم عن نوع من الدعاية يستغربه من لا يدين بمذهبهم : فالمعزّ يحلّ بمكان يشكو الجفاف والجدب فينزل معه المطر وتخصب الأرض وتزول آفة الجراد . ثمّ إنّ الأئمّة يحوون العلم كلّه ، ويعرفون جواب كلّ مسألة . وهم شفعاء عند الله ، والتوسّل بهم باب الإجابة .

وختاما ، فإنّ المعزّ ، لئن لم يؤلّف كتبا غير كتاب تأويل الشريعة المنسوب إليه ، فإنّ النعمان يؤكّد أنّه فيما كتب ، تأثّر به وتلقّى العلم منه وصدر عن وحيه .

وقد رفع الدعاة شأن المعزّ وعظّموه ، وقالوا إنّه أمر بتجديد الشريعة لأنّه سابع إمام من أئمّة دَور الستر ، أي ابتداء من أوّل إمام بعد محمد بن إسماعيل ، وعندهم أنّ الإمام السابع يمتاز بقوّة كبيرة لأنّه خاتم دور.

وهكذا أتاح لنا كتاب المجالس أن نتعرّف على شخصيّة المعزّ من خلال كلامه وأفعاله .

***

صفة النسخة المعتمدة :

اعتمدنا نسخة تتركّب من نصفين غير موحّدين :

النصف الأول (3) :

صوّرته لجنة معهد إحياء المخطوطات العربية برئاسة المرحوم رشاد عبد المطلب من المكتبة الآصفية بحيدرآباد يوم 16 ماي 1952 (الفيلم رقم 3175) والأصل محفوظ هناك ومسجل برقم 2590 تاريخ . وقد كتب على ورقته الأولى بخطّ مغاير لنسخة الكتاب :

---

(1) ص 542 .

(2) ص 239 .

(3) نسجل شكرنا للصديق الباحث أيمن فؤاد السيد الذي ساعدنا على اقتناء هذا المخطوط .

بسم الله الرحمان الرحيم

كتاب

المجالس والمسايرات في تاريخ الاسماعيلية وعقائدهم

تأليف القاضي أبي حنيفة النعمان بن محمد اليماني

من

أكبر قضاة دولة المعز لدين الله صاحب مصر وباني القاهرة

وترجمة المؤلّف

مبسوطة في وفيات الأعيان لابن خلكان

وهو أشهر من أن يعرّف .

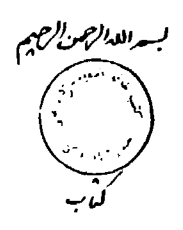
ويقع هذا الجزء في 220 ورقة أي 440 صفحة مقاسها 120 × 230 مليمتر مسطرته 13 سطرا يبدأ بخطبة الكتاب وينتهي بآخر الجزء العاشر . خطّه نسخي معتاد وهو غير مؤرّخ ، إلاّ أنّه حديث الخطّ من أعمال هذا القرن الهجري. ولم يثبت الناسخ اسمه . وقد كتب بآخره «تمّ الكتاب» . فهل كان يعني تمام النصف — والنصف أربعة عشر جزءا في الواقع — ، أم كان ذلك كلّ ما وقع إليه من الكتاب ؟ والنصّ والعناوين مسترسلة غير متمايزة بحجم الخطّ ولا بأوائل السطور ، عدا مدّ قد رسم فوق الطوالع عند لفظة « كلام » أو « حديث » وفوق كلمة « قال » غالبا التي تعني القاضي النعمان .

النصف الثاني :

من نسخة أخرى تبدأ بالجزء الحادي عشر ، أولها : « النصف الثاني من كتاب المجالس والمسايرات (1)» ثمّ البسملة . ثمّ :قال القاضي النعمان بن محمد : سمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوما وقد قرب عيد الأضحى وسأل عن مجيء كتامة من الأعمال لشهود العيد ... » وتنتهي ب«ــآخر الجزء الثامن والعشرين وبه تمام الكتاب » .

(1) لا يمكن أن يكون الجزء الحادي عشر بداية النصف الثاني ، لأن الكتاب يحوي ثمانية وعشرين جزءا . ثم اننا نجد في آخر الجزء الرابع عشر عبارة : تم الجزء الرابع عشر ، وهو نصف الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم



كتاب

المجالس والمسايرات

في

تاريخ الاسماعيلية وعقائدهم

تأليف

القاضي ابي حنيفة النعمان بن محمد اليماني

من

اكبر قضاة دولة المعز لدين الله صاحب مصر وباني القاهرة

وترجمة المؤلف

مبسوطة في وفيات الاعيان لابن خلكان

وهو اشهر من ان يعرف

٢٥٩٠

الورقة الاولى من مصورة معهد احياء المخطوطات العربية (عن مخطوطة المكتبة الآصفية)

واقعة نمبر
فن نمبر
كتاب نمبر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى اكرمنا بولاية اوليائه و
فضلنا بامامة الائمة من اهل
بيت نبيه و هدانا بنورهم و
بصرنا سبلهم و انعم علينا بهم فيما
له علينا من النعم بالاختصاص حمدا
يحبه و يرتضيه و يوجب المزيد من
نعمه علينا و صلى الله على محمد

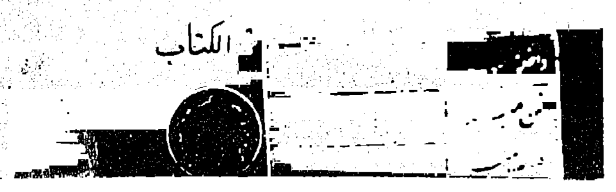
نبيه و على الائمة الطاهرين من اهل
بيته اما بعد فانا لما آثرنا ما اثرنا ه
من الفضائل و الحكمة و العلم
و المعرفة عن اسلاف ائمتنا
بنقل من ادى ذلك عنهم الينا من
صالحى اخواننا و اخائر اسلافنا
و كان لهم بما يحملونه من ذلك الينا
فضل المبلغ الحامل و ثواب
الصادق الناقل دعتنا الرغبة
فى ثواب ذلك الى نقل ما سمعناه
و نادى الينا و رويناه و اثرناه عن
شاهدناه و ادركناه منهم صلوات
الله عليهم الى غيرنا ممن غاب عن ذلك

الورقة الثانية (ص 2 و 3) من مصورة معهد احياء المخطوطات العربية ، عن المكتبة الآصفية

فهذا وفينا فانهم يكفيكم من وصايا آبائكم
انا نامركم ان تقتدوا بنا في جميع الامور
كلها ما رأيتمونا نحبه ونفعله ونأمر به
فعلتموه وأمرتموه به وما رأيتمونا نكره
ونجتنبه فكرهتموه وجنبتموه وفينا والله
الى منير أسوة حسنة والوصايا لها لو صية
اسمعوا سليما سلام لي وقد اختصر قال
لي ابي اجمع لك الوصايا كلها في كلمة واحدة
فانظر فما كنت رأيتني افعله فافعله وما
كنت رأيتني تركته فاتركه واصنع بعد
وفاتي ما كنت رأيتني اصنع في حياتي

فتم السلف الثالث

... الكتاب



الصفحة الاخيرة (ص 440) من مخطوط الاصفية

يقع هذا المجلّد في 673 صفحة لا نعلم مقاس أصلها ، مسطرة 13 ، كتبت بخطّ نسخيّ معتاد أكثر يبوسة من خطّ النصف الأوّل ، كلّه مسترسل اتّصلت نصوصه وعناوينه وأقسامه ، ويبدو أنّه فرّق بينها في الأصل بتلوين الأحبار .

والنسخة حديثة جدّا فرغ من كتابتها صباح يوم الثلاثاء 14 ربيع الأوّل سنة 1361هـ/1932 . كتبها «الشيخ آدم بن محمد علي الكجراتي وطنا السورتي مسكنا» ، وقد سجّل بعقبه في ص 674 أنّه نقلها من نسخة سجّلت بآخرها عبارة : « تمّ كتاب المجالس والمسايرات ، والحمد لله وصلّى الله على محمد وآله وسلّم تسليما ، في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر المظفّر من اثنين وثلاثين وثلاثمائة وألف سنة 1332 من هجرة رسول الله (صلعم) كتبه أحقر الأحقرين محمد علي ابن ملاّ سلطان علي في بلد برهانيور المسمّى بدار السرور غفر الله ذنوبهما » .

وهذا النصف مصوّر في مجلّدين بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم 26060 ، ولا نعلم شيئا عن أصل هذه النسخة . وقد استفدنا من السجلاّت أنّ هذه النسخة من المجالس كانت تامّة في نصفين ، وقد أضاع النصف الأوّل منها وسدّد ثمنه سنة 1962 الدكتور محمد كامل حسين كما هو مثبت بسجلّ مخطوطات الجامعة .

وقد اصطلحنا على هذه النسخة المركّبة من نصفين مختلفين برمز « أ » .

أمّا نسخة « ب » فهي صورة فوتوغرافيّة من نسخة مدرسة الدراسات الشرقيّة والإفريقيّة .S. O. A. S بلندن ، رقم 25737 كما هو مذكور في آخرها .

وتشتمل هي أيضا على الأجزاء 11 إلى 28 ، وقد جلّدها « عبد الحسين ابن الملاّ هبة الله المتوطن بلد رامبورة » ، وهو من أتباع سلطان البهرة الراحل ، «مولانا طاهر سيف الدين» ، بتاريخ 15 ربيع الثاني 1922/1342 .

وتقع هذه النسخة في 145 ورقة ، وكل صفحة تتضمّن 20 سطرا ، وخطّها متداخل مهمل .

وقد كتب في آخرها بخطّ مائل مغاير : كاتبه المرحوم ...... ملاّ داود بن أيّوب مأمور ... ساكن جيت المدفون في ... مندرة في 1315 .

النصف الثاني

من كتاب المجالس والمسايرات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال القاضي النعمن بن محمد سمعت الامام
المعز لدين الله صلوات الله عليه يوما وقد
قرب عيد الاضحى يسأل عن مجيء كتامة
من الاعمال لشهود العيد فقيل له يا امير
المؤمنين [illegible] قد [illegible] القوم
فقال يا [illegible] الله [illegible] فاستـ

بهم وباستقبالهم وما العجب الى انتظامهم والنظر
في عيني مناظرهم ثم نظر الي فقال ارأيت
مثلهم في عمائمهم وجمال مراكبهم وحسن منظرهم
اما اني ربما اقول في نفسي اذا اعجبني ذلك
منهم ان ذلك لفرط محبتي لهم فقلت هم والله
على ما وصفهم امير المؤمنين عند الولي والعدو
ولقد اتصل بنا من غير وجه ان مخلد اللعين واصحابه
كانوا يقولون ايام الفتنة وهم يقاتلونا
اما حروب كتامة وجمالهم فيه فما ندعيه
الا انا [illegible] فيه فقال هم والله الذين اذاقوهم
[illegible] الموت واحلوهم محل الذلة واخرجوهم
قسرا بظباء السيوف وحد الرماح حتى الجئوهم
[illegible] الجبال في اطراف البلاد ثم استنزلوهم.

الورقة الاولى (ص 2 و 3) من نسخة « أ » وهى مصورة جامعة القاهرة عدد 26060

لانهم سلاح جميعهم فلكل زمان رجال و
ليس لكن يسير في اليوم غدا الخلق كثير
ممن يظن ان الامر لا يعدو ما انا اليوم
عليه فاعرفوا قدر ما من الله عليكم به و
اشكروه يزدكم من فضله فقال بعض من
حضر وكيف لنا بشكر ما اولاه امير المؤمنين
فقال ان الذي اولى الله عباده اجل و
اعظم وقد اخبر ان من قد شكره اذ قد
شكروا بما قدروا عليه فاخلصوا نياتكم
وما يريد منكم الا الاخلاص فقبلوا الارض
مما بين يديه وشكروا بما قدروا عليه
وانعم فوا الخلع يومئذ على جميع من حضر
المجلس خلعا رفيعة وكان يوم سرور وختم

بلغ

ايام الظهور التي قدمنا ذكر السرور فيها
وما علم الناس من فضل ولي الله صلوات
الله عليه وعلى الائمة الطاهرين من سلفه
والصفوة المهديين من خلفه وسلم تسليما .
وقع الفراغ من زبر هذا المجلد الثاني من
كتاب المجالس والمسايرات صباح الثلثاء
الرابع عشر من شهر ربيع الاول من سنة ١٣٥١هـ
المطابق للتاريخ السادس عشر من اكت
من سنة ١٩٣٢ع كتبه الاقل الراجي رحمة ربه
العلي شيخ آدم ابن الشيخ الملاجد محمد علي
الگراقي وطنا السورتي مسكنا ثبته الله تعالى على
طاعته وطاعة جميع حدود دعاته العلويين والسفليين
الروحانيين والجسمانيين بحق سيدنا محمد وآله الطاهرين
آمين يا رب العالمين

الورقة الاخيرة (ص 672 _ 673) من مصورة جامعة القاهرة

نقلته من النسخة التي عبارة آخرها هذه
تم كتاب المجالس والمسائرات والحمد لله
وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما في اليوم
التاسع والعشرين من شهر صفر المظفر من
اثنين وثلثين وثلثمائة والف سنة ١٣٣٢
من هجرة رسول الله صلعم كتبه احقر الاحقرين
محمد علي ابن ملا اسلطانعلي حي بلد برهانپور
المسمى بدار السرور غفر الله ذنوبهما

تصوير لمرا الراهب سعيد أحمد بمكتبة
جامعة فؤاد الأول

الصفحة الاخيرة (ص 674) من نسخة أ (جامعة القاهرة)

وتشترك هذه القطع الثلاث في التنبيه على بداية كلّ جزء حسب تسلسله ، والتنصيص على نهايته بعبارة : تمّ الجزء كذا ... مع عبارات الحمدلة والتصلية . وقد حافظنا على أرقام الأجزاء في صفحات منفردة قبل كلّ جزء ، وحذفناها من الخواتم .

وبالمناسبة يمكن أن نتساءل عن الأساس الذي بني عليه هذا التقسيم : فهو لا يناسب تفريعا واضحا في أبواب الكتاب ، ثمّ إنّ النعمان لم يشر إليه في مقدّمته ، وإن أشار في غضون الكتاب (1) إلى نوع من الترتيب على الفصول والأبواب ، وكأنّه يعني بالباب الجزء ، وبالفصل الفقرات المعنونة .

ولعلّه أخذ بنصيحة المعزّ إذ أشار عليه بتجزئة كتبه « لتكون أقرب وأسهل على السّامع ، لأنّه لا يبتدىء البادىء في جزء منه إلاّ وقد اشتهى النظر فيه ، وإن طال عليه ملّه (2)» .

***

على أنّنا — زيادة في التوضيح — فصّلنا الفقرات ورقّمناها بحسب موضوعاتها وأضفنا عناوينَ في الهامش موفيةً بفحوى الفقرة ، إذ أنّ عناوين المؤلّف مبهمة غالبا .

وقد جمعنا هذه العناوين الإضافيّة في فهرس تفصيليّ يساعد القارىء الباحث على الرجوع إلى ما يبتغيه من مادّة الكتاب .

أمّا منهجنا في التحقيق ، فيعتمد على تعريف الأعلام وتوضيح الإشارات التاريخيّة والعقائديّة بالرجوع إلى كتب التاريخ والدراسات الخاصّة بالفاطميّين ولاسيّما كتب العقائد الإسماعيليّة ممّا ألّفه الدعاة كالداعي إدريس والكرمانيّ وغيرهما .

وقد حاولنا أن نصوّب القراءات ، بالمقابلة بين النسختين « أ » و « ب » في الأجزاء 11 — 28 ، وبمراقبة محتوى النصّ . واضطررنا إلى الافتراض في الأجزاء 1 — 10 ،

(1) ص 359 .
(2) ص 396 .

فكلّ كلمة يقتضي السياق زيادتها ، وضعناها بين قوسين ( ) أو حاصرتين [ ] أو مائلين // ، وكلّ زيادة وثقنا أنّها من سهو النسّاخ أو من الغلط الظاهر ، حذفناها مع التنبيه إليها غالبا . هذا ، ولم يقعد بنا المجهود إلاّ في مواضع قليلة من النصّ ، فلفتنا إليها انتباه القارىء ، وعرضنا عليه غالبا قراءة أو تأويلا للعبارة التي عسر علينا فهمها .

والله وليّ التوفيق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

المحقّقون

بسم الله الرحمن الرحيم

مقامه

الورقة الاولى من نسخة مدرسة الدراسات الشرقية الافريقية بلندن
رقم 25737 (نسخة ب)

الورقة الاخيرة من نسخة مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية (نسخة ب)

هذا كتاب المجالس والمسائرات

Nu'mān ibn Muḥammad ibn Manṣūr, called
Ibn Ḥaiyūn.

[Al-majālis wa 'l-musā'irāt. Parts
11-28. Arabic manuscript.]

الصفحة الاخيرة من نسخة (ب)

كتاب
المجالس والمسايرات

للقاضي النعمان

مقدّمة المؤلّف

بسم الله الرحمان الرحيم

الحمد لله الذي أكرمنا بوَلاية أوليائه ، وفضّلنا بإمامة الأئمّة من أهل بيت نبيّه وهدانا بنورهم ، وبصّرنا سبلهم ، وأنعم علينا بهم فيما له علينا من النّعم ، بما لا نُحصيه ، حمدا يُحبّه ويرتضيه ، ويوجب المزيد من نِعَمِهِ عليه . وصلّى الله على محمد / نبيّه وعلى الأئمّة الطاهرين من أهل بيته .

أمّا بعد ، فإنّا لمّا أثرنا ما أثرناه من الفضائل والحكمة والعلم والمعرفة عن أسلافِ أئمّتنا بنقل مَن أدّى ذلك عنهم إلينا من صالحي إخواننا ، وأخاير أسلافنا ، وكان لهم بما يحملونه من ذلك إلينا فضلُ المبلّغِ الحامل ، وثوابُ الصادق الناقل ، دعَتْنا الرغبة في ثواب ذلك إلى نقل ما سمِعناه ، وتأدّى إلينا ورَوَيْنَاه ، وأثرناه عمّن شاهدناه وأدركناه منهم ، صلوات الله عليهم ، إلى غيرنا ممّن غاب عن ذلك / من أهل عصرنا ، لينقلوا ذلك عنّا إلى من يأتي من بعدنا ، كما نَقَلَ إلينا ما أثرناه ، مَن أدركناه عمّن مضى من قبلنا .

فقد رَوَيْنَا (1) عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فيما نقل الرواة إلينا من أئمّتنا أنّه قال (صلع) : رحم الله امرءا سمع مقالتي فوعاها وبلّغها من لم يسمعها ،

(1) تساءل آصف فيضي طويلا في مقدمة «دعائم الاسلام» (ص 19 من طبعة 1969) عن قراءة «روينا» أ بالمعلوم هي أم بالمجهول ، وآثر أن يقرأها : روينا بضم الفاء وتشديد العين .

فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه ، وربّ حامل فقه وليس بفقيه . وأنّه قال (صلع) : يحمل هذا العلمَ من كلّ خَلَف عُدُولُه ينفُون عنه تحريفَ الجاهلين وتأويلَ الغالين وانتحال المبطلين (1) .

وعن جعفر بن محمّد (2) صلوات الله عليه أنّه قال : رحم الله من أحيا أمرَنا . فقيل : يا ابنَ رسول / الله (صلع) ، وما إحياءُ أمرِكم ؟ قال : ذكرُه ، ونشرُه ، وتبليغُه من لم يكن بلغَه .

وعنه عليه السلام أنّه قال لبعض شيعته : تحدّثوا عنّا واجتمعوا في مجالسكم على ذكرنا ، فما من قوم من أهل وَلايتنا يجتمعون على ذكر فضلنا ويتفاوضون فيما علموا من عِلْمِنا ، إلاّ وهم يسرحون في رياض الجنّة . وإنّ الملائكةَ لتُظلّهم وتستغفرُ لهم ، وإنّ الله عزّ وجلّ ليُقبل بوجه رحمته عليهم .

فلهذا وغيره من كثير من الرغائب فيما ذكرناه واختصرناه رغبنا فيما وضعناه ، وآثرنا ما قصدناه .

ولقد كنت جمعت عن المهديّ بالله ، والقائم بأمر الله ، والمنصور / بالله (3) صلوات الله عليهم ورحمته وبركاته ، وفيهم وفي (4) فضائلهم ، من الكتب ما يطول ذكرها (5) . وألّفت سيرة المعزّ لدين الله صلوات الله عليه ، من الوقت الذي أفضى

---

(1) الحديث : انظر الدعائم ج 1 ص 80 عدد 151 ومشكاة المصابيح ج 1 ص 82 رقم 248 . أما حديث : رحم الله امرءا ... فقد خرجه ابن ماجة ج 1 ص 84 رقم 230 ، والترمذي ج 10 ص 124 .

(2) جعفر الصادق الامام السادس . وهو آخر إمام مشترك بين الشيعة الاثني عشرية أو الامامية، والشيعة الاسماعيلية أو السبعية . ذلك أنه عين ابنه إسماعيل إماما بعده ، فتوفي قبله ، فعين أخاه عبد الله فتوفي أيضا . فعين ابنا ثالثا ، وهو موسى الكاظم . ولكن قسما من الشيعة صححوا إمامة إسماعيل ونقلوها إلى ابنه محمد فكان منطلق الشيعة الاسماعيلية . واعترف جمهور الشيعة بإمامة موسى ومن يليه إلى الامام الثاني عشر قبل الغيبة ، فكانوا هم الشيعة الاثنا عشرية .

كان جعفر الصادق محدثا، روى عنه جماعة ، منهم مالك وأبو حنيفة . وإليه ينسب فقه الشيعة أو الفقه «الجعفري» . انظر وفيات الاعيان وتاريخ اليعقوبي ج 2 ص 418، و443 و458 وابن الجوزي : صفة الصفوة ج 2 ص 94 . وفصل «جعفر الصادق» بدائرة المعارف الاسلامية .

(3) هؤلاء هم الأئمة الفاطميون الأولون منذ انتصاب الدولة برقادة سنة 909/296 .

(4) في الأصل : ومن .

(5) ذكر ايفانوف في قائمة مؤلفات النعمان عناوين قد توافق ما يشير إليه القاضي هنا : المناقب والمثالب (رقم 77) ، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار (رقم 78) ، معالم المهدي (رقم 101) .

الله عزّ وجلّ بأمر الإمامة إليه إلى اليوم (1) . وأنا دائب في ذلك إلى أن ينقضي عمري إن شاء الله تعالى ، ويصلها مَنْ بعدي مِن عقبي وأعقابهم بتوفيق الله إيّاهم بطول بقاء وليّه ، ودوام عزّه وسلطانه ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله .

ثمّ رأيت وجوها من الحِكَم والعلم والآداب والمعرفة تنفجر عن منطقه وتندفع من ألفاظه وتشير عن رمزه وإشارته ، ولا تجري مجرى السِّيَر / التي صنّفتها ، ولا تدخل في أبوابها التي ألّفتُها ، على ما في تلك السيَر من الحكمة والعلم والمعجزات ، والبراهين والدلائل والآيات . فرأيتُ إفرادَ هذه في كتبٍ تُشبهُها وتليق بها ، وأن أُفردَ السِّيَر في كتابها مع ما شاكلها وكان من معناها ، وأن أذكرَ في هذا الكتاب ما سمعتُه من المعزّ صلوات الله عليه من حكمة وفائدة وعلم ومعرفة ، عن مذاكرة في مجلس أو مقام أو مسايرة ، وما تأدّى إليّ من ذلك عن بلاغ أو توقيع أو مكاتبة ، على تأدية المعنى دون اللفظ (2) حقيقة بلا زيادة ولا نقص ، بعد بسط العُذر في / التخلّف عن تأدية حقيقة لفظه بحسَبه ، إذ هو الجوهر الذي لا يتعاطى البشرُ صَنعتَه ، بلِ الله الذي أبدع خلقَه . بل هو خيرٌ من الجوهر ، كما ذكر سفيان الثوري (3) أنّه دخل على جعفر بن محمّد صلوات الله عليه ، فحدّثه بحديث بألفاظ لم يقف سمعُ سفيانَ /على/ مثلها ، فما تمالك إذ سمعها أن قال : هذا والله الجوهرُ . فقال له جعفر ابن محمّد : يا سفيان ، بلْ هو والله خيرٌ من الجوهر ، هل الجوهر إلاّ الحجرُ ؟ (قال) : فقلت : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

---

(1) أشار النعمان إلى هذه السيرة في آخر كتابه « افتتاح الدعوة » (ص 338 من طبعة الدشراوي وص 282 من طبعة وداد القاضي) فقال : وقد أثبت سيرة المعز وما خصه الله به من فضله ... منذ أفضى إليه بخلافته إلى وقت بسطي هذا الكتاب ، وقتا فوقتا ويوما فيوما ... » ويعتقد الدكتور الدشراوي ان هذه السيرة إنما هي كتاب المجالس والمسايرات . فيكون النعمان قد فرغ منه سنة 346 ، وهو مخالف لما يأتي في المجالس (ص 332) من إشارة إلى أعمال عمرانية أمر بها المعز سنة 348 وكذلك خبر الاعذار الجماعي سنة 351 . وهذا وغيره يؤكد أن هذه السيرة كتاب آخر ، غير المجالس ، وغير المنظومة « ذات المنن » في سيرة المعز (عدد 99 من قائمة إيفانوف) . هذا ويعود النعمان في ص 297 من المجالس والمسايرات إلى ذكر كتاب دون فيه كلام المعز وفعله ، وعرضه عليه . ولا ندري صلته بالسيرة المذكورة هنا ولا بكتاب المجالس نفسه .

(2) في الأصل : على تأدية المعنى عن اللفظ دون حقيقة . وقد تكون القراءة أيضا : على تأدية حقيقة المعنى دون اللفظ .

(3) سفيان الثوري : أحد كبار المحدثين ، توفي سنة 778/161 .

فأمير المؤمنين صلوات الله عليه نَجْل جعفر وسليلُه ، ونسل رسول الله (ص) وولَدُه ، وهم كما قال الله عزّ وجلّ / : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ (1) » لا تُتَعَاطى حكايتهم ، ويَعجِز الخلقُ دونهم عن أن يأتوا بمثل ما يكون منهم .

وقد روينا أنّ بعض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ، سئل ، فقيل له : حدّثْنا حديثا كما سمعتَه من رسول الله (ص) بلفظه لا يزيد ولا ينقص . قال : لقد كلّفتموني شططا ، حسْبي(2) أن أؤدّيَ إليكمُ المعنى على أن لا آلُوَ تحريًا لإصابة لفظه ، ولا أتعمّدَ تبديل شيء منه إن شاء الله تعالى .

(1) آل عمران ، 34 .

(2) في الأصل : حبيره ، ولا معنى لها هنا .

الجزء الأول

[بسم الله الرحمان الرحيم]

ذكر كلام جرى في موقف :

1 — قال القاضي النعمان بن محمد : أوّل لفظة سمعتها من أمير المؤمنين المعزّ لدين اللّه صلوات اللّه عليه يوم قدمتُ من / مدينة طرابلس وكان المنصور بالله استقضاني عليها ، ثم نفذ إليّ أمره بالقدوم فقدمت، فلمّا أشرفتُ على المنصوريّة واجهتُ المعزّ لدين الله صلوات الله عليه خارجا لبعض ما كان يخرج إليه في موكب ضخم، فنزلتُ وبادرتُ إليه للسّلام عليه وهيّأتُ كلاما . فما هو إلاّ (أن) قربت منه وملأتُ عيني منه، وملأتْ صدري هَيْبَتُهُ ورأيتُ جلال الإمامة في وجهه ، فوالله ما دريت ما أقول ولا عوّلتُ إلاّ على تقبيل الأرض . ثم أومأ إليّ بيده فقبّلتُها ، وأفحِمْتُ هيبةً له وإجْلالاً، فابتدأ إليّ بالكلام / فقال : قدِمتَ خيرَ مَقْدَمٍ وبارك الله فيك وجزاك خيرا عن نفسك ، فقد انْتهى إلينا خبرُك ، سِر راشداً إلى باب أميرِ المؤمنين (1) . وحرّكَ دابّتَه .

ولمّا مثلت بين يدي المنصور بالله صلوات الله عليه، قال لي فيما قال: يا نعمان ، إذا جزى الله المحسنين خيرا فجزاك الله عنّا أفضلَ الجزاء !

(1) قدوم النعمان من طرابلس كان في أول عهد المنصور ، سنة 337 (انظر ص 57 تنبيه 2) .

فما كنتُ بشيء أسِرَّ منّي بما سمعتُ يومئذ من المنصور والمعزّ لدين الله صلوات الله عليهما . ونزّلتُ ذلك القولَ وتدبَّرته بحسب ما ينبغي أن يُنَزَّلَ ويُتَدَبَّرَ قولُ أولياءِ الله ، فرأيت قولَ المعزّ لدين الله صلوات الله عليه : (وجزاك خيرا عن نفسك /، قولا ظاهرا مكشوفا بيّنًا معروفا غيرَ محتاج إلى التأويل ومستغنيًا عن الدليل ، يُصدّقُه قولُ الله عزّ وجلّ : « إنْ أحْسَنْتُم أحْسَنْتُمْ لأنْفُسِكُمْ وَإنْ أسَأْتُمْ فَلَهَا (1)» .

وقول المنصور بالله صلوات الله عليه : إذا جزى الله المحسنينَ خيرا فجزاك الله عنّا أفضلَ الجزاء، مثله في معناه، إذ كان المحسنون لم يحسنوا إذا عملوا الصالحات، إلى الله، تعالى عن ذلك، وإنّما أحسنوا إلى أنفسهم كما قال الله عزّ وجلّ .

وقوله : فجزاك الله عنّا، محتاج إلى التأويل وغيرُ مستغنٍ عن الدليل ويَحْتَمِل وجوها :

أحدها أن يكون قوله : جزاك الله عنّا أي منّا ، وبنا ، ونحو هذا ، لأنّ حروفَ / الخفض عند أهل العربيّة يخلف بعضها بعضا . قال الله عزّ وجلّ ، حكاية عن فرعون : « وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ (2) » ، أي على جذوع النخل . وكان الدعاء معناه في ذلك أن يجزيَ الله الجزاء على أيديهم أو بهم أو منهم في عاجل الدنيا أو في آجل الآخرة أو فيهما معا . وذلك الذي أرجُوه ، واثقا بقبول الدعوة ، ولا قوّة إلاّ بالله .

وقد يكون مجاز قوله : عنّا ، أي : عن ولايتنا ومحبّتنا والنصيحة لنا .

أو يكون معناه : جزاك ثواب ما قمت به ممّا وَلَّيْنَاك أمرَه فأحسنت فيه إلى نفسك . أو ما يجري هذا المجرى .

والكلام فيه يتّسعُ والشواهد / عليه كثيرة، تركنا ذكرها اختصارا لا على أن يظُنَّ ظانٌّ أو يتوهَّم متوهّمٌ أنّ له على أولياء الله مِنّةً أو فضلاً أو نعمةً يجب أن يجازى عليها .

---

(1) الاسراء ، 7 .

(2) طـه ، 71 . ونيابة حروف الجر عن بعضها بعضا – وهو ما يسميه بعضهم «تضمينا» – لا يتفق عليها الجمهور .

2 — وقد روينا عن رسول الله (صلع) فيما رواه لنا الرواة عن أئمّتنا، أنّه قال لرجل من الأنصار : قد كانت لأبيك عندي يدٌ ، فهل لك من حاجة ؟ ، فقال لرسول الله (صلع) : تسألُ اللّهَ ليَ الجنَّة ، قال : نعم ، فَأعِنِّي على ذلك بكثرة السجود (1) . وذكر لأبيه جهادا تقدّم . وقال لغير واحد : جزاك اللّهُ خيرا عن نبيِّه ، اختصرنا ذكرهم تخفيفا ، لقوم جاهدوا ونصَحُوا وذلك بلا / شكّ ولا مدافعة ولا اختلاف ولا منازعة ، إحْسَانٌ منهم إلى أنفسهم لا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله . فقد منّ ببعض ذلك من جهل منهم فأنزل الله عزّ وجلّ : « يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أن أسْلَمُوا ، قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلاَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (2) » . فليس لأحدٍ من الناس على الله جلّ ذكره ولا على أحد من أوليائه مِنّةٌ في عملٍ ولا قول ولا في غير ذلك ولو تقطّع فيه إربا إربا ، لأنّ ذلك ، إن فَعَلَه ، فلنفسه يُمَهِّدُ ولحظِّه يقصد ، ولا سيّما من استُخْدِمَ بأجر يَصِيرُ إليه وعَمِلَ على ثواب أُعْطِيَهُ ، فسبيلُه سبيلُ الأجير إنْ نصح في عمله / فقد أدّى ما عليه ، وإن خان أو غشّ فيه فقد استحقّ العقوبةَ وباءَ بالإثم . وكلٌّ من عمِل اليومَ لأئمّتنا صلوات الله عليهم فعلى ذلك يعمل .

3 — ولقد قلت لبعض من أوصيتُه من القضاة الخارجين إلى بعض الأعمال : إنّ أحقّ ما نظرتم فيه وعمِلتم له ، الوفاءُ بالعهد وأداءُ الأمانة فيما قُلِّدْتُمُوه وامتثال ما عهد أمير المؤمنين عليه السلام إليكم فيه لما يجب لله وله عليكم في ذلك ، ولا أقلّ من أن تنظروا فيما تدومُ لكم به النعمةُ وأن تقتدوا في ذلك بمن تشاهدونه من عوامّ الناس من ضرّاب وصائغ وخيّاط فصاروا أمثالهم من الصُّنَّاع : فقد ترَوْنَ أنّ أحدَهُمْ يُسَلَّمُ إليه العملُ / يساوي المالَ العظيمَ يعملُه بالأجر التافه اليسير ولا يُشهدُ به عليه ولا يُتَوَثَّقُ فيه منْه ، وقد يكون فقيرا أو غيره ، ولا أمينَ ولا ناظرَ في علم ولا دين ، فيفي بأمانته ويصرِف ما رُفِع إليه إلى مَن استعملَه فيه ويقبِضُ تافها من الأجر

---

(1) الحديث : ورد في صحيح مسلم (كتاب الصلاة ، فصل السجود) مع اختلاف في أول متنه .
(2) الحجرات ، 17 .

عليه، ولا يدعوه إلى ذلك إلاّ أنّه يعلم أنّه إن احتَبَسَ ما دُفع إليه وأنكَرَه ، تَنَاذره الناسُ فلم يستعمِلُوه فيرى أنّ مَا يأخذُه من الأجر شيئا بعد شيء أجرى عليه وأنفعُ له .

وأنتم تصيبون من فضل وليّ الله ما إن استدمتُمُوه بحفظ ما استحفظكُم، دام لكم مع حسن / الأحدوثة فيكم ورجاء الزيادة لكم وما ترجون من ثواب ربّكم . فمن سمِع من أولياء الله مثلَ ما قدّمتُ ذكرَه فَلْيُنَزّلْه على ما نَزّلتُه ولا يذهَبْ به إلى حيثُ ذَهب مَن نطقَ الكتابُ بذَمّه وبيّن اللّهُ عليه (1) فسادَ ما توهّمَهُ وذهب إليه ، والله يهدي من تمسّك بحبل أوليائه إلى طاعته وطاعتهم ، والعمل بما يرضيه ويرضيهم قولا وعملا ونيّة وموافقة للصّواب إن شاء الله تعالى .

4 — ولمّا استقضاني المنصور بالله (ص) [صحبته] يوما وقد خرج إلى بستان لكنيسة (2) ووقف به . فمثلت بين يديه فتحدّث بحديث طويل في فنون كثيرة ثم نظر إلى بعض / رجاله فقال : كيف الحديث الذي كنتَ حدّثتني عن فلان ؟ فذكر حديثا فيه كذب شنيع ثم نظر إليّ ، فقال : وهذا الرجل معروف بالكذب الشنيع ولقد بلغ القائمَ بأمر الله عليه السلام أمرُه ؛ فعجب ممّا يتَهَيّأ له من ذلك وينطاع .

ثم قال لي : شهِدَ هذا المعروفُ بالكذب عند فلان — يعني بعضَ القضاة — بشهادة في اعتراف بغل ، فأرسل ذلك القاضي إلى هذا — يعني الرجلَ الذي حُدّثَ عنه بالكذب — يكشفه عن حاله ويخبره فيما يشهد فيه فأرسل إليه : هُوَ عندنا عَدْلٌ في بغل . وتبسّمَ المعزّ لدين الله عليه السلام / . ثم قال : فأجاز القاضي شهادتَهُ تلك . أفرأيت أعجَبَ من هذا ؟

فلمّا سمعت ذلك منه عليه السلام، ذكرتُ قول من قال في قصص الله عزّ وجلّ في كتابه : أمر الأمم التي بعث إليها رسلَه فعَصَتِ الرسلَ فأهلكها اللهُ بالعذاب ، وأنّ ذلك،وإن كان إخبارا عن أمرهم وهُلكهم وكيف جرتِ الحال لهم،فإنّه وعيد

(1) هكذا في الأصل ، وفي التعبير ثقل ، ولعل « عليه » زائدة أو محرفة .
(2) بستان لكنيسة : لم نعثر على موضع بهذا الاسم .

من الله عزّ وجلّ لمن فعل مثلَ فعلهم وتحذيرٌ من ذلك العذاب أن يَنْزِلَ بهم . فعلمت أنّه رَمَزَ صلوات الله عليه بما أجراه من ذلك إلى أن لاَ يُقْصَدَ في السؤال عن البيّنات مثلُ ذلك الرجل، وإن كان له / موضعٌ من القرب والخدمة . فإنّ للكشف عن البيّنات من هو أولى بذلك منه . ولم أُنْزِل حديثَه بذلك منزلةَ الخبر والمذاكرة بغير معنى ولا فائدة إذ كان التنزّه له عن ذلك أولى .

فكذلك ينبغي لمن سمع قولا من أولياء الله عليهم السلام أن يتدبّره حق تدبيره (1) ولا يعرض عنه فيمرّ صفحا ، فإنّ في كلّ لفظة لهم حكمةً ، وتحت كلّ كلمة فائدة لمن هداه الله لعلم ذلك وأبان الله وجهه ووفّقه لعلمه ويسّر له نفعَه . والله يهدي من يشاء بفضله .

5 — (قال) وسايرت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوما فذكر رجلا فقلت / : إنّه كان معنا في أيّام الفتنة (2) بالمهديّة .

قال : وكيف كان ذلك ؟

قلت : لمّا قَرُبَ الدجّالُ اللعينُ مَخْلَدٌ منّا ، نزع إلينا من البادية بنفسه وأهله وبولده وبما قدر عليه من ماله ، وخلّف شيئا كثيرا ، فانتُهِبَ فعوّضه الله من ذلك بأن كان قد نَقَلَ إلينا طعاما (3) ، فلمّا عفِنَ الطعامُ باع منه بمال عظيم بعدما احتبس قوته وقوت عياله ، فأخلفَ اللهُ عليه ما ذهب له أضعافا مضاعَفةً .

فقال لي عليه السلام : يا نعمان ، واللّهِ للّذي أعدّه الله له من ثوابه في كريم مآبه لأعظَمُ من ذلك ، واللّه ما صبَر معنا يومئذ مؤمنٌ عرَفَ حقّنا وآثر الكونَ معنا / على البأساء والضرّاء ، على الكون مع عدُوّنا على الخفض والرخاء ، إلاّ وهو معنا غدا في الجنّة يدخل مدخلنا ويستظلّ بظلّنا ، واللّهِ لو كان عليه من الذنوب بعدد الرملِ لغفر الله له وأدخله الجنّة بشفاعتنا وكونه معنا .

---

(1) ننتظر « تدبره » .

(2) يعني ثورة أبي يزيد ، أي بين سنة 333 و336 . وقد تدل عبارة «معنا» على أن النعمان لم يكن بطرابلس أيام الفتنة .

(3) الطعام هو القمح أو ما شابهه .

فما رضيَ أن أخبرني بذلك عليه السلام حتى حلف عليه بالله مرارا ، يؤكّده عندي . فنظرت فيما قاله من ذلك عليه السلام وأكّده ، فوجدت كتاب الله يؤيّده ، وخبرَ الرسول (ص) يشدّه ، وقول جعفر بن محمد الصادق (ص) يعضُده: فأمّا كتاب الله ، فقوله جلّ وعزّ: «وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ (1)»، وقولُه حكايةً عن خليله إبراهيم / عليه السلام: «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي (2)». وقول رسول الله (صلع) : سلمانُ منّا أهلَ البيت (3) . وسلمان فارسيّ النسب إلاّ أنه كان يتولّى أهلَ بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فنسبه إليهم وأدخله في جملتهم ، وقال (ص) لبعض مَن خاطبَه : أنت مع من أحببتَ (4) . وقال جعفر بن محمد صلوات الله عليه لبعض شيعته : أنتم منّا أهلَ البيت .

فمن تولّى أولياء الله ونزع إليهم وكان في الدنيا معهم سيّما في حال الضيق والشدّة والبأساء والضرّاء والمحنة ، فهو معهم في الجنّة برحمة الله ، وفي عدله . وقد قال الله تعالى جلّ ذكره : «وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ (5)» . فإذا / كان من ركن إلى أعدائه أدخله النارَ ، فمن عدله أن يُدخلَ الجنّة مَن عدلَ عنهم وركَن إلى أوليائه . كما روينا عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه أنّه قال : من حفظ مال يتيم عليه وثمّرَهُ له ، أدخله الله الجنّة .

فقال له بعض من سمع ذلك منه : يا ابن رسول الله (صلع) من أينَ قلت هذا ؟ أشيءٌ بلغَك عن رسول الله (ص) ؟

قال : أوَلَيْسَ من عدل الله أنّه لمّا تواعد مَنْ أكلَ أموالَ اليتامى بالنّار ، أن يُدخل من حَفِظَها وثمّرها الجنّة ؟

(1) المائـدة ، 51 .

(2) إبراهيم ، 36 .

(3) سلمان الفارسي : صحابي جليل ، أسلم بالمدينة بعد أن كان مزدكيا ، ولازم الرسول (ص) حتى قال فيه هذه الشهادة : سلمان منا أهل البيت . وقال فيه علي : علم العلم الأول والعلم الآخر ، وهو بحر لا ينزف . (أسد الغابة ، ترجمة عدد 2149) ، وقد حظي بإجلال خاص عند الشيعة ، ونسجت حوله الأساطير . توفي بالمدائن سنة 36هـ .

(4) البخاري : فضائل الصحابة ، 6 أدب 95-96 .

(5) هـود ، 113 .

فهذا كلُّه يؤيّد ما قاله المعزّ لدين الله (ص) ويُؤكِّدُه (1) . وكُلُّ قولِ أولياء الله ، إذا تدبّره من وُفّقَ لفهمه ، أصابه مؤكِّدا بقول الله جلّ ذكره / وقولِ رسول الله (ص) .

جواب عن سؤال في مسايرة .

6 — قال القاضي : ولما استقضاني المنصور بالله (صلع) بالمنصوريّة (2) وأقمت بها كنت إذا وقفت للسلام عليه، قبّلتُ الأرضَ بين يديه تعظيما له وإجلالا لمكانه . فقال لي مرارا كثيرة : لا تفعَلْ مثلَ هذا يا نعمان ! وأنا كلّ ذلك أفعله وأرى أنّ نهيَه ذلك ليس بنهي كراهية إذ كان المعزّ صلوات الله عليه يومئذ يفعلُه ومَن دُونَه من الخاصّة وسائرِ الناس خلا من يجهل حقَّه من الرعاع الذين لا يعقِلون . فكرهت الدخول في جملتهم والكونَ في ذلك معهم إلى أن خرج صلوات اللّه عليه يوما لبعض / ما كان يخرج إليه ، وخرج المعزّ (ص) معه بحسب ما كان يخرج إليه . فقبّلتُ الأرض بين يدي المنصور بالله (ص) فقال لي بقول مغلظ منكر : قد نهيتُك عن هذا مرارا ثم لا أراك تنتهي عنه ! فجاءني من ذلك ما تحيّرت به واغتمَمْتُ له ولم أدرِ كيف الوجه فيه . فقصدت حينئذ إلى المعزّ عليه السلام وهو بين يدي الموكب وراء (3) ظهره فذكرت له ما كان منه إليَّ، ورأى أثرَ الغمّ من ذلك عليّ، فتبسّم (ص) في وجهي وقال : لا يغمَّك ما سمعتَ من أمير المؤمنين عليه السلام ولا يصرفنْك ذلك عمّا كنتَ تفعله، ودُمْ عليه ولو نهاك / عن ذلك ألفَ مرّة . فوالله للّذي يجب له من الحقّ وينبغي له من التعظيم أكثر من ذلك .

فأزال قولُه (ص) عنّي ما كنت أجده، وتدبّرت ما ذكره وأمر به من ترك امتثال أمر الإمام صلوات الله عليه وما أمر به من ارتكاب نهيه، فوجدت كثيرا من أمر الله عزّ وجلّ ونهيه في كتابه يُخرّج على غير الإلزام ويُجْرَى على وجوه من التأديب

(1) في الأصل : ويوكل .

(2) يسمي النعمان قاضيا على المنصورية سنة 337 عند فراغ المنصور من بنائها مباشرة ولم يكن مسجدها الجامع قد بني بعد .

(3) في الأصل : ورأى .

والإرشاد والاختبار والامتحان ، لو ذكرتُها لخرجتُ من ذلك عن حدّ هذا الكتاب . ومن نظر في شيء من علم القرآن فقد علِم ذلك .

وذكرت اعتذار عبد اللّه بن عمرو بن العاص للحسين بن علي صلوات الله عليه / لمّا أنكر عليه خروجه على عليّ (صلع) بصفّين وأنّه قال له: يا ابنَ رسول الله (ص) ، والله ما دعاني إلى ذلك إلاّ أنّ عَمْرًا أبي كان نقَم عليّ شيئا فشكاني فيه إلى رسول الله (ص) فقال لي رسول الله (ص): يا عبدَ الله أطع أباك(1)! فلمّا خرج مع معاوية دعاني فذكرت قول رسول الله (صلع) فأجبته وأطعته كما أمرني.

فقال له الحسين (صلع) : يا عبد الله ، أفما سمعتَ قول الله عزّ وجلّ يقول بعد أن أمر ببِرّ الوالدَيْنِ : «وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا (2)»، وقول رسول الله (ص): لا طاعةَ لمخلوق في معصيةِ الخالق . وقوله صلّى الله عليه وآله : إنّما الطاعة في المعروف (3) .

فتغيّر وجه عبد الله / وقال : كأنّي والله يا ابنَ رسول الله ما سمعت هذا ، ولقد سمعته .

فرأيت أنا كذلك وعلمت وجه ما قال المعزّ لدين الله (صلوات الله عليه) أنّ الطاعة لمّا أن كانت لا تكون إلاّ في المعروف فإنّ النهي عن المعروف لا يكون نهيا لازما ، ورأيت أنّ أمر المنصور (ص) لي مع بيان المعزّ بترك تقبيل الأرض أمر اختبار وامتحان كأمر الله عزّ وجلّ إبراهيم صلّى الله عليه وآله بذبح إسماعيل ابنه ليمتحن صبره ويختبر أمره (4) . ولا جرم أنّي عدت إلى ذلك كما أمرني المعزّ (صلع) فما أنكره بعد ذلك عليّ أيّام حياته صلوات اللّه عليه ورحمته وبركاته . وقوله كلّ ذلك

---

(1) ورد هذا الحديث في ترجمة عبد الله بن عمرو في أسد الغابة ، 3090 .

(2) العنكبوت ، 8 .

(3) باب السمع والطاعة من ك. الاحكام في صحيح البخاري ج 9 ، ص 78 . أما حديث : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، فلم يورده البخاري بلفظه بل بمعناه ، وكذلك السيوطي في الجامع الصغير ج 2 ص 211، وبلفظ قريب في ج 3 ص 346 . وينسب بهذا اللفظ إلى الإمام علي في نهج البلاغة ص 389 رقم 163 .

(4) الصافات ، 102–107 .

لي بالرضى / عنّي يتزايد كلَّ وقت ويتأكّد بحمد الله عليَّ ثناؤه بما هو أهله ، نسأل اللّهَ إيزاع الشكر وتمامَ الأمر .

ولمّا جرى ذكر ما ذكرناه من تقبيل الأرض بين يدَيْ أولياء الله (1) كان ينبغي أن نذكر أَنَفَةَ الجهّال من ذلك وتكفيرَهم مَن فعَله وفُعِلَ له ، وذهابَهم إلى أنّ ذلك كفرٌ بالله وسجودٌ لمن هو دونه ، تعالى الله ونزّه أولياءَه عمّا يقول الظالمون الجاهلون . ومن البلاء والمحنة بالجهّال أن تتكلّف إقامةَ الحجّة على قوم لا يعقلون. فهَبْهُم رأوْا ذلك سجودا ،أفما سمعوا قولَ الله عزّ وجلّ يحكي في كتابه عن يعقوب وولده ــ وهم أنبياء ــ أنّهم سجدوا ليوسف عليه السلام/إذ (2) دخلوا عليه وهو نبيٌّ (3) وأنّ ذلك كان بتأويل رُؤْيَاهُ إذ رأى الشمس والقمر والنُّجومَ له ساجدِينَ ؟ فهل كفرَ هؤلاءِ الأنبياءُ عندَهُمْ بهذا السُّجود ؟ على أن لا نقول نحن إنّا نسجُدُ لأحد من دون الله ، تعالى الله عن ذلك . ولكنّا نقبِّلُ الأرضَ تعظيما لأولياء الله . والسجودُ حقيقةً غير ذلك . ولو سُئل هؤلاء الجهّالُ عن رجل قبّل الأرضَ في صلاته في حال السجود ولم يضَع جبينَهُ عليها كما يفعَلُ الساجدون : هل يكون ذلك سجودا ، لم يكُن مِن قولهم :إنّه سجود ، فكيف من يفعل ذلك لا ينوي به السجود يزعمُون أنّه سَجَدَ ؟ ولو سجد عندهم على الحقيقة رجلٌ وهو لا ينوي السجود / لم يكن ساجدا ، كما أنّه لو أمسك عن الطعام يوما إلى الليل وهو لا ينوي الصّوم لم يكن صائما .

ومع هذا إنّهم يقبّلون أيدي الأئمّة صلوات الله عليهم، وهم يروُون عن بعض أسلافهم أنّ قُبلةَ اليد سجدة ، ولا أقلّ من أن تكونَ على قياس ما ذهبوا إليه ركعةً ، لأنّ الفاعل لها يخفِض رأسه كما يخفِض في الركوع ، فهم على قياس قولهم يركَعون لهم من دون الله ، تعالى عن ذلك ونزّه أولياءه عن أن يرضَوْا بذلك أو يُجيزُوه لأحد من أصحابهم . والذي رَوَوهُ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله /مع/ بعض من جاءه

(1) قد طرق النعمان هذه الأفكار وأورد هذا الاحتجاج في ك. الهمة ص 105 .

(2) في الاصل : اذا .

(3) « ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدا وقال : يا أبت ، هذا تأويل رؤياي من قبل » (يوسف ، 100) . وعبارة «وهو نبي» تقابل قوله «وهم أنبياء» .

من أصحابه من أرض الحبشة وقد رآهم / يسجدون لملوكهم ، فسجد له ، فنهاه عن ذلك وقال : لو أمرت لأحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأةَ أن تسجد لزوجها (1) . فذلك — إن ثبت حديثهم — هو السجودِ من دون الله لأنّ فاعله إنّما اقتدى فيه بالحبشة وهم مجوس(2) لم تبلغهم الدعوةُ يومئذ، فنهى رسول الله صلّى الله عليه وآله عن التأسّي بهم . وليس في حديثهم تقبيلُ الأرض ، وإنّما فيه النهيُ عن السجود . وقد ذكرنا أنّ تقبيل الأرض ليس بسجود. وذلك إجماعٌ لا نعلم فيه اختلافًا أنّه لا يُجزي عن السجود سيّما إذا كان بغير نيّةٍ في السجــود . ولسْنَا نقـولُ إنّ سجـودَ يعقوب وولدِه وأهلِ / بيته ليوسفَ سجودٌ من دون الله ، تعالى الله عن ذلك ونزّه أولياءه عنه، ولكنّه سجودُ طاعةٍ وتعظيمٍ له وتسليمٍ لأمره، لما آثره الله وخصّهُ به من الفضل . وهذا من أعظم ما تزري به علينا الجهّال وهم بالزراية أحقٌّ، وبالجهل أجدرُ، وقد بيّنّا جهلهم لو كانوا يهتدون .

كلام تأدّى عن مشاهــدة :

7 — (قال) خرج أمير المؤمنين المنصور بالله صلوات الله عليه لبعض مـا كان يخرج إليه من اطّلاع الحال فانتهى إلى طنباس (3) وخرج المعزّ عليـه السلام معـه ، وكنت فيمن خرج معهما . فانتهى إلى واد يجري فيـه مـاءُ المطر فيسقي أراضيَ كثيرة / لمنازل شتّى فإذا فيـه سـدّ عظيم . فلمّا انتهى إليـه ووقف عليـه ، وقف إليه رجلان من وكلاء الضياع ، فذكر أحدهما /أنّ/ الآخر سدّ بذلك السدّ عن الضياع التي يتولاّها ، ما كانت تشرب به من سيل المطر . وذكر الآخر أنّ ذلك من حقّه ، وممّا يجب له أن يفعله.واحتجّ كلّ واحد منهما بحجج كثيرة وعلت أصواتُهما واعتكر الكلامُ بينهما . وكـان تنازُعُهـمـا والمنصورُ صلوات الله عليه يسمعُ كلّ ذلك ولم يفصل بينهما، والمعزّ صلوات الله عليه قائم على فرسه ناحيةً والناس بالبعد ركوب على دوابّهم ، وقيامٌ ينظرون إلى ذلك ويسمع / أكثرهم كلامَ الرجلين . وكنت فيمن

(1) سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب حق الزوج على المرأة . وبقية الحديث : « ... لما جعل الله لهم عليهن من الحق » .

(2) المعروف عن الحبشة أنهم كانوا نصارى زمن الهجرة الأولى .

(3) طنبـــاس : كذا بالاصل ، ولم نهتد إليها .

يسمع ذلك ولا أرى وجها لفصل ما بينهما ، وكلّما قلت في نفسي : قامت الحجّة لأحدهما ، أدخل الآخر عليه حجّة .

فقال لي بعض من كان في الموكب ممّن قرب منّي : أما تسمع ما دار بين هذين ؟

قلت : نعم .

قال : ما ترى فيه ؟

فقلت : واللّه ما وقفت من ذلك على حقيقة أمر أقطع القول به ولقد اشتبه عليّ أمرهما وحسبك ما ترى من توقّف أمير المؤمنين (ص) عن (1) الفصل بينهما ، ولكنّي أقول : إنّهما لو وقفا بين يدي الأمير — أعني المعزّ لدين الله صلوات الله عليه — لفصل بينهما .

قال : ومن أين قلتَ / ذلك ؟

قلتُ : لعلمي به . والله ما ضاق عليّ أمر رأيته واشتبَهَ (2) عندي وجهُ الحقّ فيه فرفعته إليه إلاّ أجابني عنه قبل استيفائه آخرَه ، أو عندما يستوفيه ، بجواب ما خطرَ ببالي بعد الرويّة له والفكر فيه الأيّام الكثيرة والليالي العديدة ، [و]بما لا أشكّ فيه أنّه الحقّ الذي لا وجه له غيره . وذكرتُ له وجوها من ذلك ، سنذكرها وغيرها مما يجري مجراها في كتابي هذا إن شاء الله

فإنّي لعلى ذلك أحدّثه وهو يتعجّب ممّا يهيّئه الله له ويهديه إليه من الصواب في ذلك ، إذ نظرنا إلى الرجلين قد انصرفا من بين يدي المنصور بالله عليه السلام / إليه فوقفا بين يديه ، وكان أقرب إلينا من المنصور (صلع) . فما هو إلاّ أن وقفا بين يديه حتّى انصرفا إلينا وما سمعنا لهما كلمةً . وجاء أحدهُما حتّى وقف بيني وبين الرجل الذي كنت أخاطبه ورأيت وجهه يتهلّل ، فقلت له : ما كان من أمركما ؟

قال : انقطع كلامنا وفصل الأمير بيننا في كلمة واحدة بعد ما سمعت ممّا كان بين يدي مولانا عليه السلام .

(1) في الاصل : من .
(2) في الأصل : ولا أشتبه .

فقلت : وكيف ذلك ؟ ونظرت إلى الرجل الذي كنت قلت له من ذلك ما قلت ، وقلت له : ألم أقل لك ؟

قال له الرجل : وكيف كان ذلك ؟

قال : إنّه لمّا طال مقامنا وكثر كلامنا / بين يدَي مولانا قال لنا : اذهبا إلى مولا كما ينظرْ فيما بينكما !

فانصرفنا إليه فلمّا مثلنا بين يديه وأردنا أن نتكلّم قال : اسكتا ! أكفيكُما ونفهمي . ثم نظر إلى صاحبي فقال : أليس هذا الوادي وما يجري فيه من الماء وما يسقي من الأراضي لنا ؟

قال : نعم .

قال : وإنّما تنازعتُما في هذا السقي ليطلبَ كلّ واحد منكما به توفيرَ ما يجري لنا على يديه ؟

قال : نعم .

قال : فأخبرني : لو كنتَ وكيلا على الموضعين، أكنتَ تسقي موضعًا وتدعُ موضعا بلا شرب ؟ فسكت .

فقال : قُلْ إن كنت تؤثرُ قولَ الحقّ !

قال : يا مولاي ما كنت أفعل ذلك .

قال : صدقتَ ! فما لم تكن تفعلُه لنفسك فلا تُلزِمْه لغيرك / . اذهب فأزلِ السدَّ واسقِ ما عندك ، وهذا ما عندَهُ ، بحسب ما يُعطيك الماء ويُعطيه . فحكم لي بما كنت طلبتُ ، فانصرفت .

فنظر إليَّ الرجل الذي كنت خاطبتُه وقال لي : كأنّما والله كُشف لك عن غيب هذا الأمرِ .

قلت : ما ذاك إلاّ بما جرّبتُه وعرفتُه بما قدّمت عندك ذكرَ بعضه .

ثمّ نظرتُ في هذه القضية العجيبة التي ألهمَهُ اللهُ عزّ وجلّ إيّاها وسترها عن الإمام فذكرت قول الله عزّ وجلّ : « وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ القَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ، فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا» / الآية (1) ، وما روى لنا الرواة عن أئمّتنا صلواتُ الله عليهم من أنّ رجلَيْنِ اختَصَمَا إلى داود النبيّ عليه السلام في غَنَم لأحدهما وقعت في زرع الآخر فأفسدَتْه، فقال داود عليه السلام في ذلك قولاً ثم صرفهما إلى سليمانَ عليه السلام لينظرَ بينهما، فقال لسليمان : إن كان صاحب الغنم تعمّد إرسالَهَا في الزرع فهو ضامن لما أفسدَتْ. فإن لم يتعمّدْ ذلك وأفلتَتْ من غَيْر إرادة منهُ ولا قصد لذلك، فلا شيء عليه، والعجماءُ جُبَارٌ. فالعجماء: البهائمُ ، والجُبارُ : الهَدَرُ ، يعني أنّ ما أصابت البهائمُ من ذات أنفسها فهو هدَر.

(قال) : وهذا فإنّما يكون في النهار / ، وعلى أصحاب الحوائط حياطةُ حوائطهم بالنهار. فأمّا إن أفلتَتْ في الليل فصاحبُها ضامنٌ لما أصابَتْ، تعمّد ذلك أو لم يتعمّدْ ، لأنّ على أهل المواشي أن يحفظوا مواشيَهم ليلا ويمنعُوها من الخروج عن منازلهم، وليس على أهل الحَوائِطِ أن يحفظوا حوائطهم ليلا . ففهّمَ [الله] سليمانَ هذه القضيّة في حياة أبيه وحجبها عنه ليريَه فضلَه في حياته ويَسُرَّه بما أودعه من حكمته . وكذلك فهّم المعزّ لدينِ الله صلوات الله عليه هذه القضيّةَ في حياة المنصور (صلع) ليَسرَّهُ به وليبيّن أيضا فضلَه وما ألهمه من الحكمة ولِيُقِرَّ بِهِ عينَه / .

وكما روى لنا الرواة أيضا عن أئمّتنا صلوات الله عليهم أنّ أعرابيًّا أتى إلى مسجد رسول الله (صلع) في أيّام عمر فقال له : إنّي رجل مُحْرِم مررتُ على بَيْض نَعام فجنيتُ وشَوَيْتُ وأكلتُ . فقال : ما عِنْدِي في هذا علمٌ ، ولكن اجلسِ السّاعةَ يجيءْ مَنْ عِنْدَه علمُ ذلك . فجلس حتّى أقبل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه . فقال عمر للأعرابي : سل هذا ! وكان الحسن (ص) يومئذ غلاما مع عليّ، فأتى الأعرابيّ إلى عليّ (ص) فقال : إنّي رجل مُحرِم مررتُ على بَيض نعام فجنيت وشويت وأكلت .

(1) الأنبياء ، 77–78 .

فقـال لـه عـليّ : سل هذا ! وأومأ إلى الحسن (ص) .

/ فقال الأعرابيّ : يا وَيْلَتَاهُ ! مالي ولكم يا أصحابَ محمّـد ؟ أعجزتم عن الجواب ؟ كلّما سألت واحدا منكم أحالني على آخر !

فقال له عبد الله بن مسعود : سله يا أعرابيّ فإنّه من أهل بيت النّبوّة !

فسأله الأعرابيّ ، فقال له الحسن (ص) : يا أعرابيّ ، ألك إبل ؟

قال : نعم .

قال : فخذ بعدّة البيْض نوقا فاضربهم بالفحل ، فما حمل منهُنّ وفصّل من أولادهنّ ، فاجعله هَدْيًا .

فقـال الأعرابيّ : فرّجتَ عنّـي فـرّج الله عنك ! وقـام . فاستَقْبَلَه عمـر ، فقال : ما الذي قال لك ؟ فأخبره ، فقال : ارجع إليـه ، فقل له : أما علِمْتَ أن النُّوقَ يُزْلِقْنَ (1) ؟

فقـال الحسـن (ص) : قـل للّذي قـال لك هـذا / : أوَ مـا علمت أن البَيْض يمزِقْنَ (2) ؟

فقـام إليه أبـوه (ص) فقبّل بين عينَيْه وقال : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (3) » .

قال عبد الله بن مسعود : إنّ الذي فهّم هذا الغلامَ هذه القضيّةَ ، هو الذي فهّمَ سليمان بن داود عليهما السلام تلك القضيّة ، والذي أنطق العلام بالحكمة هو الذي أنطق يحيى بن زكريا بالحكمة . واللّهِ لو رُدَّ هـذا الأمرُ في نصابـه لأكلوها خضراء خضِرةً عن أيْمَانهم وعن شمائلهم ! فقال عمر : يا ابن مسعود، تؤلّب علينـا النـاس ؟ فقـال لـه الحسـن عليـه السـلام : كنتَ تفتيـه ولا تـرشـده إلينـا (4) :

---

(1) يزلقن : يجهضن .
(2) يمزقن : يفسدن .
(3) آل عمـران ، 34 .
(4) نستغرب أن يصدر عن غلام حدث جواب كهذا إلى عمر بن الخطاب .

فهذه القضيّة / أيضا كانت من الحسن (ص) بحضرة عليّ (ص) إلهاما من الله له ليُقرّ به في حياته عينَه كما ذكرنا في قضيّة المعزّ (صلع) .

ودلّ قول الأعرابيّ أنّه شوى البيض وأكلهنّ على أنّه لم يكن فيهنّ فراخ فأمره الحسن (صلع) لذلك بأنْ يرسل الفحلَ في عدّة نوق كعدّة ما أصاب من البَيْض فما حمل من ذلك الضرب ونتج، أهداه . وإن لم يحمل أو حمل بعضُها لم يكن عليه غيرُ هدي ما نَتَجَ لأنّ البَيْضَ كذلك ، وقد يفسد كما ذكر (صلع) ، ولو كان فيهنّ فراخ لم تنشأ فيها الأرواحُ كان عليه أن يضربَ النّوقَ بالفحل حتى يتبيّن حملَها / فما نتج منها كان هدْيًا . ولو كانت قد تنشّأتْ فيها الأرواحُ كان عليه أن يضربَ النّوقَ بالفحل حتى تحمل وتتحرّك أجنّتُها في بطونها فما نتج بعد ذلك منها أهداه، وما مات في بطونها لم يكن عليه بدَلُه لأنّ الفراخ كذلك قد تموتُ في البَيْض (1) .

وقول المعزّ عليه السلام للرجل : ما لم تكن تفعله لنفسك فلا تُلزمه لغيرك، من قول آبائه (صلع) : أحبِبْ للناس ما تحبُّ لنفسك وحسبُك أدبًا لنفسك ما كرهتَه من غيرك . ومن قول بعضهم لبعض من سأله عن نكاح المُتعة فقال : هل ترضى لنفسك أن تُنْكَحَ ذاتُ مَحْرَمٍ منك نكاحَ متعة ؟ /

قال : لا والله !

قال : فكفاك ! لهذا لا ترض لغيرك إلاّ ما ترضاه لنفسك (2) .

وكلام أولياء الله كالبنيان يشدّ بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض،لأنّهم بنور الله يستبصرون،ومنهُ يقتبسون،وبحكمته ينطقون،وعن أسلافهم يأخذون، فهم حجج الله عزّ وجلّ في الأرض كما قال الله تعالى : «ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ (3)» .

---

(1) لم يذكر القاضي النعمان هذا الحكم في باب الديات من كتابه « دعائم الاسلام » ، وانما ذكر قضية حكم فيها علي حكما مماثلا أقره الرسول (ص) بعد أن عجز عنه الشيخان (دعائم ج 2 ص 424 عدد 1477) .

(2) الاسماعيلية ينكرون نكاح المتعة . انظر قول القاضي النعمان في ك . الاقتصار (دمشق 1957 ص 109) : « ولا يحل نكاح المتعة » . فهو إنكار صريح . وانظر كذلك دعائم الاسلام ج 2 ص 229 حيث ينقل القاضي إنكار علي الشديد لهذا النوع من النكاح .

(3) آل عمران ، 34 .

الجزء الثاني

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وسلّم

حديث في مسايرة :

8 — قال القاضي النعمان بن محمد : ولمّا استقضاني المنصور بالله صلوات الله عليه على / المنصوريّة أمرني بالجلوس للنّظر بين الناس في سقيفة قصره وقال لي : لو اتّسع لي أن أجلسك بين يديّ في مجلس داخل قصري لكان ذلك أعجب إليّ . فإذا كان ذلك لا يمكن فاجلس في سقيفة قصري فإنّه أحقّ موضع أقيمت فيه الحقوق ونَفَذَتْ فيه الأحكام .

فجلست حيث أمرني فيه بالجلوس، فضاقت الحال لذلك بأكثر الخصوم سيّما بالنساء والضعفاء ومن يتهيّب الدخولَ من باب قصر أمير المؤمنين (ص) . فتبيّنتُ ذلك ورُفع إليّ أيضا ، فتهيّبْتُ معارضةَ أمير المؤمنين (صلع) فيما رآه وأمر به ، إلى أن خرج المعزّ لدين الله (صلع) يوما فيما يخرج له / فسايرته فقال لي : يا نعمان ، كيف الحال في جلوسك في السقيفة ؟ فتهيّبت أن أقول في ذلك بخلاف ما قاله أمير المؤمنين ، فذكرت قوله وأمسكْتُ .

فقال : كيف بالمرأة والضعيف ومن تقتحمه العيونُ ومزاحمةَ رجالنا وعبيدنا ؟ وكيف بك إن وجب عندك حدّ أو أدب على أحدٍ ؟ فأين يتهيّأ لك أن تقيمه

هنالك ؟ لا والله ما هو بموضع يصلح لذلك ! ولأنْ تكون بارزا للناس ظاهرا يصل إليك الضعيفُ ويبلغ حاجتَه لديك، وتقف المرأةُ وتبلغ إليك في استتارٍ ويمكنك إقامةُ ما يجب من الحدود والآداب ، أهيأ وأجمل / وأفضل .

فقلت : الرأي ما رآه الأمير وفقه الله وسدّده .

وكان ذلك ممّا رأيت أنّ الله عزّ وجلّ فهّمه إيّاه من وجه الصّواب ، وهداه إليه من فصْل الخطاب ، وممّا قدّمت ذكره في الباب الذي قبل هذا الباب(1) .

ثمّ لمّا انصرف خرج إليّ توقيع من المنصور بالله صلوات الله عليه مع مال أمر به لابتناء موضع فسيح أجلِسُ فيه حيث يصل فيه إليّ الناس ويمكنُهم ما يريدونه من أمورهم على ما ينبغي عِنْدي . فعلمتُ أنّ ذلك لأمرٍ أجراه المعزّ لدين الله صلوات الله عليه عنده، على أنّه قال ما قال له قبل ذلك وفعل ما فعله عن علم وحكمة / .

وكذلك كان ما أراه الله المعزّ لدين الله صلوات الله عليه من ذلك الرأي، فيه للناس رأفةٌ ورحمَة، وليس في هذا تغاير ولا اختلافٌ ، بل هو كلُّه علمٌ وحكمةٌ وائتلافٌ، لأنّ الذي رآه المنصور صلوات الله عليه في ذلك هو إعزازُ الحقّ وتأييدُه وإظهارُ هيبتِه في القلوب وفي رأي العيْن . والذي رآه المعزّ صلوات الله عليه هو أرفق بالناسِ وأجمع للوجهيْن ، فهما في ذلك كما قال الله عزّ وجلّ في داود وسليمان : «وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا (2)» . وكان هذا ممّا ذكرْنا من إدخال السرور على / أولياء الله بأن يريَهُم في أوصيائهم وولاةِ عُهُودهم في حياتهم ما تقَرُّ به أعينُهم من إيداعهم من العلم فوقَ ما أوْدَعوهم وتعليمهم من الحكمة أكثرَ ممّا علّموهم ، وليس ذلك بنقصٍ لهم بل هو رفعة وفضلٌ وشرفٌ ونعمةٌ منه عليهم ، إذ كان شرف المولود هو شرفُ الوالد، وإذ سرور الوالد أن يكون ولده أشرف منه .

وسمعت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يذكر مثل هذا في مجلس ذُكر فيه الأئمّةُ صلوات الله عليهم، فقال في ذلك : وفضّل الله محمّدا نبيّه صلّى الله عليه وآله بإمامتهم . ثم بيّن ذلك لئلاّ يتأوّله من سمعه على غير / معناه، فقال في الوقت : ولا

(1) انظر فيما تقدم حكم المعز في قضية اقتسام ماء السد ، ص 62 .
(2) الانبياء ، 78 .

أقول هذا إلاّ تفضيلا لمحمد صلّى الله عليه وعلى آله إذ جعل اللهُ عزّ وجلّ هذه الكرامة والفضيلة له بأن جعلها في ذرّيته وخلّدها في عَقِبِهِ ،فنالوا ذلك بكرامة الله عزّ وجل له ، لاَ أنّ فضلَه هو إنّما كان من قِبَلِهم بل هو سيّدهم وسيّدُ العالمينَ وبه شرُفوا وبفضله استحقّوا ما استحقّوا ، وذلك من نعمة الله وجميل صنعه إليه . فهذا يدلّ على ما ذكرته ويؤيد ما قدّمته من إكرام الله الأئمّةَ بما يريهم من الفضل في الصفوة من ذرّيّاتهم في أيّام حياتهم لتشفّ (1) أنفسهم بصنعه لهم بعد وفاتهم .

ومن هذا / الوجه ، وممّا يدخل في هذا المعنى ، ما حدّثني به بعض إخواننا عن المنصور بالله صلوات الله عليه أنه قال : أردت أن أستعمل على بعض الثغور عاملا فجوّلت فكري في اختيار من أراه يصلح لذلك فلم يقع اختياري كُلَّمَا أجلتُه، وفكري كُلَّمَا صرَفْتُه [إلاّ على رجل من أصحابنا،فلمّا كان اختياري] (2) لا يقع إلاّ عليه علمت أنّ ذلك من توفيق الله . فأردتُ امتحانَ ما عند الله عزّ وجلّ لمن رجوتُه لمقامي وآثرتُه بأمري. فكتبت اسمَ الرجل الذي خطر ببالي في ورقة وختمتُ عليها ووضعتُها بين يديّ ودعوت به — يعني المعزّ لدين الله صلوات الله عليه — فسلّم ثم وقف ، فقلت : يا بنيّ أردتُ إخراجَ عاملٍ إلى بلد / كذا وكذا — وذكرتُ البلد — فمن تراه يصلح لذلك ؟

فقبّل الأرضَ وقال: يا مولاي، وأيُّ رأيٍ لي مع رأيك، والله يُمِدُّك بالتوفيق؟

فقلت : قل عليّ ذلك . فامتنع من القول وجعل يعتذر ويستعفي .

فقلت له : لا بدّ من أن تقولَ في ذلك ، فإنّي ذكرتُ رجلا، واسمُه في هذه الرُّقعة فخُذْ أنتَ فاكتُبْ من تراه .

(قال) فلمّا لم يجد من ذلك بدّا تناول قلما ورقعةً وكتب ، ودفع إليّ الرقعةً فإذا فيها (3) اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه ، فحمدت الله على ما أنعمَ به عليّ فيه ،ورميتُ إليه بالرقعة التي ختمتُ عليها ،وفيها ذلكَ الاسمُ وقلت له : فُكَّهَا

(1) في الأصل : لنشق .
(2) في الكلام نقص ، والزيادة منا .
(3) في الاصل : فيه .

وانظُرْ ما فيها ! ففعل . فلمّا / رأى ما وافق من ذلك من رأيي حمِد الله تعالى واستبشر وتهلّل وجهُه لذلك .

وهذا ممّا قدّمتُ ذكرَه وكرّرتُه في هذا الباب وفي الباب الذي قبله من إدخال اللهِ السرورَ على أوليائِه بما يُريهم فيمن أقامُوه مقامَهم وفوّضوا إليه أمرَهم . ثمّ أخبرني المعزّ عليه السلام بهذا الخبر بعد ذلك .

حديث في مسايـرة :

9 — (قال) وسايرتُ المعزّ لدين الله (صلع) يوما في حياة المنصور صلوات الله عليه ، فذكرَ أيّامَ الفتنة وبعضَ من كان اتّبع مخلد اللعين فيها وتولاّه ونَزع إليه، فقال : أولئك والله حزبُ الشيطان ، وَحَشْوُ الجحيم وحطَبُ النّيران ، من كان منهم قد / فارقنا، وتولّى عدوّنا، وأعان علينا، ومات على ذلك غيرَ تائب منه، ولا راجع عنه .

قلت : يا مولاي ، فمن كان قد ندِم على ذلك وتاب منه وأناب إليكم وتلافى ما فات منه لديكم ؟

قال : يا نعمان ، نحن أبوابُ الله والوسائلُ إليه ، فمن تقرّب بنا قُبِل ، ومن توسّل بنا وصل ، ومن تشفّعَنَا له شفَعْنا فيه ، ومن استَغفرْنَا له غُفِرَ ذنبُه . ولكن والله لا يستوي من أذنب ومن لا ذَنْبَ له ، ولذلك كانت الدرجاتُ في الآخرة ، وإنّ الله ليعاقب من يشاء من خلقه في الدنيا بذنبه ، فذلك أخفُّ عِقابه .

قلت : يا مولاي ، والله لقد رأيتُ أكثر من فُتِنَ / في تلك الأيّام المفتنة ممّن كانت له معكم سابقة في جهاد أو صحبة أو ولاية قلّما يسلَم من مصيبة في الدنيا أو عقوبة : إمّا أن قُتل على أيدي أوليائكم أو على يد من تولاّه ، أو أصابَتْه مصيبةٌ في نفسه أو في أهله أو في ماله .

قال : يا نعمان ، الشقيُّ والله من مات على الإصرار على ما صار من ذلك إليه ، فأمّا من مات وقد تلافى نفسَه منهم بأمرنا ، فهم على درجات : إنْ أقبلَ المقبلُ إلينا منهم بمثل ما أدبر عنّا فقد غسل ذنوبه ونظّف نفسَهُ ، وإن زاد في إقباله علينا على إدباره عنّا زاد ثوابا وأجرا ، وان نقَص من ذلك نقَص من حظّه . فأمّا ما أصيبوا /

فيه في عاجل الدنيا فهو من أخفّ العقوبة ، ولا بدّ والله من التمحيص : أرأيتَ الذهبَ إذا خالطه الغشُّ ، هل له إلاّ أن يصفّى بالنّار حتى يُحرَقَ ما خالطه ويَصْفُوَ ؟ وكذلك مثَل المؤمنين .

فما فتَق سمعي كلام قبله مثله أجلّ قدرا وأكثر فائدة . وتدبّرتُه ، فرأيتُه كلَّه مشتَقّا من كتاب الله جلّ ذكره ومن قول الرسول (صلع) : فأمّا إيجابُه النـار لمن مات على ولاية اللعين الدجّال مخلد بن كيداد ، عادلا عن ولاية أولياء الله إلى ولاية أعدائه ، نازعا عن حزب الله ، راكنا إلى حزب الشيطان ، فهو من قول الله عزّ وجلّ : « وَلاَ تَرْكَنُوا إلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا / فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ (1) » ، ولا أعلمُ فئةً أظلم وأهلَ نحلةٍ أفسقَ من فئةِ مخلد وحزبه .

ومن ذلك أيضا قول الله تعالى : « لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ (2) » ، وقوله : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (3) » وقوله : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ (4) » .

وأمّا قوله فيمن تاب وأناب ، فإنّ الله عزّ وجلّ يقول : « وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ (5) » ويقول : « قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ، وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ ، الآية (6) » وقال : « غَافِرِ الذَّنْبِ / وَقَابِلِ التَّوْبِ (7) » .

وأمّا قولُه : في درجات الآخرة ، فمن قول الله جلّ من قائل : « انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ

(1) هود ، 113 .
(2) المجادلة ، 22 .
(3) الممتحنة ، 13 .
(4) المائدة ، 51 .
(5) الشوري ، 25 .
(6) الزمر ، 50–51 .
(7) غافر ، 3 .

تَفْضِيلاً (1) » وقوله عزّ وجلّ : « لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الفَتْحِ وَقَاتَلَ ، أولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الحُسْنَى (2) » ، فأخبر عزّ وجلّ أنّهم إن كانوا في الجنّة فإنّهم فيها على درجات وقال : « هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ (3) » .

وقد روى لنا الرواة عن أئمّتنا صلوات الله عليهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال : يمرّ قومٌ من أهل علّيّين على من هم أسفل منهم فيقولون : ربّنا بمَ بلّغتَ / عبادك هذه الكرامة ؟ فيقال لهم : كانوا يقومون الليلَ وكنتم تنامون ، وكانوا يصومون النهارَ وكنتم تأكلون وتشربُون ، وكانوا يُنفقون في سبيل الله وكنتم تبخَلُون ، وكانوا يجاهدون وكنتم تجبُنون . وقال : إنّ أهلَ الجنّة ينظرون إلى أهل علّيّين كما ينظر أهلُ الأرض إلى الكواكب في السماء (4) .

وأمّا قوله في العقوبة في الدنيا بالمصائب فيها ، فمن قول الله جلّ ذكره : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (5) » . ومن قول رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي رواه الرواة لنا عن أئمّتنا عنه (صلع) أنّه سئل عن قول الله عزّ وجلّ : « مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ (6) » وقيل له : يا / رسولَ الله ، إن جُوزينا في الآخرة بكلّ سوء عملناه في الدنيا فقد هلكنا؟ فقال : إنّكم لتجازَوْن في الدنيا : أما تُصابُون ؟ أما تَألَمُونَ ؟ أما تحزَنون ؟ أما يُصيبكم البأساءُ والضرّاءُ واللأْوَاءُ؟ قالوا : بلى يا رسول الله! قال : فهو من ذلك (7) .

وقول الله عزّ وجلّ : « مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ » يشهد أيضا لقول المعز صلوات الله عليه : لابد والله من التمحيص ، وتمثيله المؤمنَ الذي يكسب الخطايا بالذهب الذي يدخُلُه الغِشُّ .

---

(1) الاسراء ، 21 .
(2) الحديد ، 10 .
(3) آل عمران ، 163 .
(4) حديث عليين : سنن أبي داود ، ك. الحروف والقراءات ، ج 2 ص 358 . أما حديث « يمر قوم من أهل عليين ... » فإنه لم يذكر في الصحاح والمسانيد التي بين أيدينا .
(5) الشورى ، 30 .
(6) النساء ، 123 .
(7) مسند أحمد ، ج 1 ص 182 رقم 68 و69 و 71 . والحديث فيه موجه إلى أبي بكر .

وكلام أولياء الله على مثل هذا : كلّه مشتقّ من كتاب الله جلّ ذكره ومن قول رسول الله صلّى الله عليه وآله . فمن سمع شيئا من كلامهم فلم يجد له / من ذلك مخرجا ، فَلْيَعْلَمْ أنّه إنّما أتي في ذلك مِن تخلّفِه عن الفهم ، وعَدْمِه التوفيقَ . ونسأل الله الهدايةَ ونشهد لأوليائه بالعلم والحكمة والوَلاية .

جواب عن مسألة في مسايرة :

10 ـ(قال) ولمّا استقضاني المنصور بالله صلوات الله عليه وآله على المنصوريّة عارضني بعض الناس في بعض ما أنظر فيه ، فرفعت ذلك إليه صلوات الله عليه في رُقْعة ، فوقّع إليّ في أسفلِها : يا نعمانُ ، ما أقمتَ نفسك بحيثُ أقمناك ولا كنتَ في الضبط عند ما رجوناك ، بل نرى معلّمَ كِتَابِ الله أهيبَ منك !

فلمّا قرأتُ توقيعَه ذلك أسْقطْتُ فِي يدي وأظلمت الدنيا عليَّ / ،ولم أكن أرى إلاّ أنّي قد تجاوزتُ في الشدّة وتعدّيتُ في التهيّب والغِلظة . ووافق ذلك خروجُ المعزّ صلوات الله عليه إلى بعض ما كان يخرج فيه ، فسلّمت عليه وسايرتُه وشكوتُ إليه ما لقِيتُ من المنصور صلوات الله عليه ، على أنّي ، فيما رأيتُ ، قد تجاوزتُ وتعدّيتُ . ونظر إلى ما أدركني في ذلك من الغمّ فقال : يا نعمانُ ، لا يضيقُ صدرُك ولا يحزن قلبك ، ولا تتجاوزْ ولا تتعدَّ في أمرك ، فوالله إنّي لأسمعُ منه كثيرا في نحو ما قلتَ،فما أفعل إلاّ ما كنت قد فعلت ومَا لنا أن نتأسّى بغير فعله ، وما ينبغي أن نقتديَ في كلّ الأمور إلاّ به . والله / لقد لزم طريقةً مِـنَ (1) الرفق ما يجب في سياسة أمر الدنيا لزومها ، بل في تدبير أهل الدنيا أنّ الأمور تفسد بها . ولكنّ الله أصلحها له بما اطّلع عليه من نِيّتِه وعلمَه من جميل طوِيّتِه ، وإنّمَا يقولُ ما يقولُ من هذا تأديبًا وتنبيهًا ، ولئلاَّ تقعَ الغفلة ويتأسّى به في اللين جميعُ أهل الخدمة . والله يرعى له ما استرعاه إيّاه ويحفظه فيما استحفظه وآتاه .

فحمدت الله وشكرت له وذهب عنّي ما كنت من الغمّ أجدُه (2) .

---

(1) في الاصل : أمـر .
(2) في الأصل : ما كنت أدركت ...

ثم ركب المنصور بالله صلوات الله عليه بعد ذلك فسلّمت عليه وأنا خائفٌ شديد الخوف ممّا كان إليّ منه، فقرّبني وأدناني وأثنى عليّ / بما هو أهله ، وقال : يا نعمان، استعمل الشدّةَ في موضعها والرفقَ في موضعه ، فوالله إنّي لأرى العصفورَ يُذبَح فيرِقّ قلبي له ، وأنت تراني أخوضُ الدمَ في موضع الحقّ وفيما لابدّ منه .

فاعتبرت قولَ المنصور بالله وقول المعزّ لدين الله صلوات الله عليه، فوجدته واحدا لا اختلاف فيه : لم يأمُر المنصور صلوات الله عليه لمّا أمر بالغلظة والشدّة، بالدخول في الباطل ولا بالتعدّي إليه . ولم يأمر المعز لدين الله صلوات الله عليه لما أمر بالرفق ، بترك الحقّ ولا بالإدهان فيه ، فوجدت قولهما صلوات الله عليهما مأخوذا من كتاب الله جلّ ذكرُه ، وقول / رسول الله صلّى الله عليه وآله : فقد قال الله تعالى لنبيّه : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (1) » . وقال : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (2) » . فوصفه باللين في موضعه وأمَره بالغلظة في مكانها ووصَف المؤمنين من أصحابه فقال : « أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ (3) » .

وروى لنا الرواة عن أئمّتنا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : من لقِيَ الكافرَ فَلْيَلْقَهُ بوجهٍ مكفهرّ (4) ! وأنّه قال صلوات الله عليه : لقِيَ عيسى بنُ مريمَ يحيى بن زكريّا عليهما السلام / ، فتبسّم عيسى وجهُه، وقطّب يحيى وقال : تضحك يا روحَ الله كأنّك أصبحت آمنا من عذاب الله ؟

قال عيسى : وأنت يا نبيَّ الله تُقطِّبُ كأنّك أصبحتَ آيِسًا من رحمة الله !

فأوحى الله إليهما : أحبُّكما إليّ أبشُّكما بصاحبه (5) .

(1) التوبة ، 73 . والتحريم ، 9 .
(2) التوبة ، 129 .
(3) الفتح ، 29 .
(4) حديث : من لقي الكافر ... لم تذكره الصحاح والمسانيد .
(5) حديث عيسى ويحيى : لم نجده في أمهات كتب الحديث .

وقال صلّى الله عليه وآله : إذا لقيَ المؤمنُ أخاه فَلْيُسَلِّمْ عليه وليصافِحْه وليلقَهُ بوجهٍ طلق ! وإذا لقيَ الكافرَ والفاسقَ فليلقَه بوجهٍ مكفهرّ (1) !

وقال عليّ عليه السلام : المؤمن شديدٌ في غير صلف، ليّنٌ في غير ضُعفٍ .

وقال أبو جعفر محمد بن علي (2) صلوات الله عليهم : ان للّه في الأرض آنية فأحبُّها إليه ما رقّ منها وصفا وصلُبَ .

قيل له : وما تلك الآنية يا ابنَ رسول الله / صلّى الله عليه ؟

قال : قلوبُ المؤمنين ، فرقّتها ، على المؤمنين . وصلابتُها ، في الدين . وصفاؤُها ، من الذّنوب .

فكلّ هذا يؤكِّدُ ما ذكرتُه عن المنصور والمعزّ لدين الله صلوات الله عليهما أنّ للشدّة موضعًا تصلح فيه ، واللين له موضع يصلُح فيه ، فمن سمِع أو بلغه عن أولياء الله أحدُ الوجهين فلا يحمِلْه على الكُلّ وليجعَلْ كلّ وجه من ذلك فيما ينبغي أن يجعَلَه فيه ويتأوّلَه عليه ، وما التوفيقُ إلاّ بالله وهو حسبُنا ونعمَ الوكيل .

كلام فيه تأديب :

11 — (قال) ورُفعَ إلى المنصور بالله صلوات الله عليه قوم يتظلّمون من بعض العمّال ، فأشخص العاملَ وأمرني بإحضاره معهُم والنظرِ في ظُلامتهم / ، فادّعَوا عليه أشياء تناولها منهم ، فأقرّ ببعضِها وذكر أنّ ذلك ممّا أباحه له أميرُ المؤمنين المنصورُ بالله عليه السلام . فكتبتُ دعواهُم وما أقرّ به وادّعى إباحتَه له ، ورفعتُ ذلك إلى أمير المؤمنين المنصور بالله (صلع) .

فأرسل إليّ المعزّ لدين الله (صلع) وأحضرني إليه . فلمّا مثَلتُ بين يديه قال لي: إنّ أميرَ المؤمنين عليه السلام إنّما يصرِفُ إليك من يصرفُه ممّن يشتكي من

(1) الجزء الاول من هذا الحديث في مشكاة المصابيح، رقم 4650 ، برواية أبي هريرة مع زيادة ونقص ، والسيوطي: الجامع الصغير ج 1 ص 153 ، وأخرجه أبو داود في ك. الأدب باب المصافحة مع اختلاف.

(2) محمد بن علي هو محمد الباقر خامس الأئمة ، سمي الباقر لأنه « بقر » العلم ، أي فتحه ووسعه . توفي الباقر حوالي 117هـ. (انظر : تاريخ اليعقوبي ج 2 ص 384 . وصفة الصفوة لابن الجوزي ج 2 ص 60 وتهذيب التهذيب لابن حجر ج 9 ص 350 ووفيات الأعيان) . وضمير الجمع في التصلية يشمل جعفر الصادق .

العُمّال لتسمعَ قولَ الناس فيهم وشكواهُم وتُنصِفَهم فيما يجب من دعواهم وتغلظ فيما ينبغي فيه الإغلاظ عليهم . وقد وقف أمير المؤمنين على ما حكيت من إقرار فلان بما أقرّ به من تناول ما لا ينبغي له تناوله / وأنّه ادّعى أنّ ذلك ممّا أبيحَ له ، فرأى أنّه كان ممّا ينبغي لك أن لا تقبل ذلك منه وأن تُغْلِظَ له فيه .

قلت : يا مولاي ، لمّا قال ما قال وادّعى بدعواه،رأيت أن لا أعْجَل عليه حتّى أعرف ما يكونُ من مولانا (ص) في أمره وما ادّعى به .

قال : لقد كان في هذا كلامٌ جمُلنا عنك فيه واعتذَرْنا لك منه ، فتحفّظْ من مثله فيما تستقبلُه . انصرفْ راشدا وطِبْ نفسا ، فليس لك عند أمير المؤمنين عليه السلام إلاّ ما تحبّه .

فشكرت له وانصرفت .

فتدبّرتُ الأمر في ذلك فرأيت أنّي قد سقطتُ فيه للإغفال، وتبيّنَ لي فسادُ ما قدّمتُه من المقال ، بأنْ ذكرتُ ما رواه / لنا الرواة عن أئمّتنا عن رسول الله (صلع) أنّه قال : إنّكم ستحدّثونَ ومن يأتي بعدي بما لم أقُلْه . فمن بلَغه عني حديثٌ فليعرِضه على كتابِ الله،فإن وافقَه فليقْبَلْه وليْعلَمْ أنّي قُلته ، وإن خالفَه،فليدفعْه وليعلم أنّي لم أقله ! وكيف أخالف كتابَ الله وإنّما هدانيَ اللهُ به (1) ؟ وقول جعفر ابن محمد صلوات الله عليه:ما جاءكم عنّا من صواب وحقّ، فنحن قلناه فارووُهُ عنّا، وما جاءكم من باطل يُنسَب إلينا فادفَعُوه واعلَمُوا أنّه كذب وَافتراءٌ علينا ! فعلمتُ أنّه كان من الواجب عليَّ تكذيبُ الرجل فيما قاله ونسبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ممّا لا يُشبِه أن يأمرَ / به ، وإن كنتُ لم أصدّقْه فيه إلاّ أنّه كان ممّا ينبغي أن يرى من تظلّم منه تكذيبي له فلا يكونون في شبهة منه .

وليس هذا بأوّل ما أثرناه من أولياء الله ولا هو وحده اهتدَيْنا بهم إليه . وكل علم علمناه أو فقهٍ أفَدْناه أو هُدًى اقتبَسْناه ، فعنهم أخذناه، ومنهم أثَرْنَاه ، ومن زواخرِ بحورهم اغترفناه ، وَهم هداتُنا إلى الحقّ ، وهم أئمّةُ الخلقِ صلوات الله

(1) الحديث : لم نجده بهذا اللفظ في الكتب المشهورة وإنما ذكرت أحاديث كثيرة « في تعظيم الكذب على رسول الله » (ابن ماجة مقدمة 30–40 ، والترمذي ، 126/10) .

عليهم من أئمة رضيهم واصطفاهم وارتضاهم، أتم صلاة صلاها وأطهرها وأزكاها وأعلاها .

رمز في مسايرة :

12 — (قال) وخدمت المهديَّ بالله صلوات الله عليه من آخر عمره تسع سنين وشهورا وأياما (1) ، والإمام القائم بأمر / الله من بعده (صلع) أيّام حياته في إنهاء أخبار الحضرة إليهما في كلّ يوم طولَ تلك المدّة إلاّ أقلّ الأيّام . وكانَ لهما صلوات الله عليهما من النِّعمِ والفضل عليّ في ذلك ما لا أحصيه عددا ولا أقوم ببعض شكره أبدا : أقلّ ذلك تغمُّدُ الزَّلل منّي والصفحُ عمّا يأتيهما عنّي ، وأنا أعلمُ، وإن اجتهدت وتحفَّظْتُ واحترستُ، أنّي لا أسلَم من ذلك . فما أتاني عن أحد منهما طولَ هذه المدّة إنكارٌ علِمته ولا انتقادُ شيء جهِلتُه . وأرجو أن يكون ذلك مَوْصُولا بعفو الله ورحمته . وما ذكرت ذلك إلاّ ذكرتُ حديث أنس بن مالك (2) الذي / يُعتَدّ به وقوله فيه : خدمت النبيَّ صلّى الله عليه وآله تسعَ سنين فما قال لي قطّ لشيء صنعتُه : أخطأتَ، ولا: بئسَ ما صنعت . وأفكر في ذلك وما صحبَني (3) من رضى المنصور بالله والمعزّ لدين الله صلوات الله عليهما وتغمُّدِهِما وصَفْحِهِما فأذكر قول أنس هذا ، فأقول : هم صلوات الله عليهم كما قال الله تعالى فيهم : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (4) » .

فإن كان ذكرُ أنس ذلك يريد به تجاوزَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وصفحَه وعفوَه ورحمتَه . كما ذكرتُ أنا ذلك عن أميرِ المؤمنين (صلع) في نفسي ، فقد أصاب وأحسن .

---

(1) توفي المهدي يوم 14 ربيع الأول سنة 322، فيكون النعمان دخل في خدمته قبل ذلك التاريخ بتسع سنين ونيف ، أي حوالي سنة 924/312 . فإذا قدرنا سنه آنذاك بثلاثين عاما، يكون مولده سنة 283، فتكون مدة حياته ثمانين عاما، إذ توفي سنة 363. وبذلك ندفع تقدير ڤوتهايل (Gottheil, J.A.O.S. 1907) وماسينيون (Massignon : Esquisse d'une bibliographie qarmate, 332). بأنه ولد سنة 259هـ . وعمر بالتالي مائة وأربع سنين ، ولا شك أن الأمر التبس عندهما بوالد النعمان الذي توفي عن هذه السن كما جاء في وفيات الأعيان .

هذا وقد يصح تقدير فيضي الذي قال انه قد يكون ولد سنة 293 (انظر مقدمة ك. الاقتصار لمحمد وحيد ميرزا ، ص 27 ومقدمة ك. الهمة لمحمد كامل حسين ص 5) .

(2) أنس بن مالك : صحابي خدم الرسول (ص) وروى عنه كثيرا . توفي سنة 719/91 .

(3) في الأصل : ما صحب لي .

(4) آل عمران، 34 .

وإن ذهب بذلك/إلى أن سَلِم طولَ هذه المدّةِ من الزلل فبئس ما ظَنّ ! ولو لم يكن له إلا ما يؤثَرُ عَنْهُ من ردّه عليّاً صلوات الله عليه عن باب رسول الله صلّى الله عليه وآله ثلاثَ مرّاتٍ لِمَا سمِعَه من رسول الله (صلع) وقد قُرِّبَ إليه طائرٌ مشويٌّ ، وهو يدعو ، ويقول في دعائه : اللّهُمّ سقْ إليّ أحبّ خَلْقِكَ إليْكَ لِيأكُلَ معي من هذا الطائر (1) ! فجاء عليّ (ص) فيما ذكر أنس ، فقرع الباب فخرج إليه فقال له : رسول الله (صلع) نائم . ثم جاء الثانيةَ فقال له : رسول الله (صلع) على حاجة . ثم جاء الثالثة فأراد ردّه بمثل ذلك ، فدفع في صدره ودخل وهو يقول : يا ابن مالك، ابتلاك الله / ببيضاءَ لا تُواريها العِمامة (2) ! فقال أنس : فلدعوة علي أصابني ما أصابني من البرَص . (قال) فلمّا دخل ، قال له رسول الله (ص) : ما أبطأ بك عنّي يا عليّ ؟ فأخبرَه . قال أنس : فتغيّر وجهُ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله وقال لي : (يا) أنسُ ، ما حمَلك على ذلك ؟ قلت : يا رسول الله، الحبّ بقومي ، وسمعتُ دعوتَك فأحببت أن يكون الرجل الذي يأتيك يأكلُ معك رجلاً من الأنصار . (قال) وسكت عنّي . وفي هذا كلام يطول ولم أقصد إليه فأستقصيَه .

13 — وكنت أخدم المنصور بالله صلوات الله عليه بعض أيّام المهديّ بالله صلوات الله عليه وأيّامَ القائم (صلع) كلّها، وكانت/ له عليّ من النعم والآلاء ما لا أحصي عددها . وكانت خِدمتي إيّاه في جمع الكتب له وانتساخها (3) . فلمّا قُبِضَ

---

(1) الترمذي : مناقب علي ، 170/13 . وفي الاصل : سبق إلي .

(2) هذا الدعاء من علي على أنس بن مالك روي في نهج البلاغة ، ج 2 ص 379 . ولفظه : « أن كنت كاذبا ، فضربك الله بها بيضاء لامعة لا تواريها العمامة » والظرف الذي دعا فيه علي يختلف عن رواية القاضي النعمان هنا . وقد قيل ان أنس بن مالك أصيب بالبرص في وجهه .

(3) نستنتج من هذه الاشارة ومن سابقاتها (انظر ص 51 تنبيه 1 ، وص 57 تنبيه 2 ، وكذلك ص 79 تنبيه 1) ثلاثة أمور في حياة النعمان :

أ) أنه لم يتول القضاء الا للمنصور ، وذلك منذ وفاة القائم في شوال 334، و« قبل أن يعلن أمره » أي قبل أن يرتقي إلى الخلافة علانية في سنة 336. واستقضاه على طرابلس أولا ثم على المنصورية بمجرد انتقال الخلافة من المهدية إليها في سنة 337 . ومعلوم أن المنصورية أسست سنة 336 . فالنعمان كان قاضي لقليم ثم صار قاضي القضاة على كامل إفريقية .

ب) غير أنه خدم المهدي في التسع الأواخر من خلافته ، ثم القائم ، بخطة « صاحب الخبر » ، المعروفة في الدولة العباسية مثلا : ذاك ما نفهمه من عبارة النعمان « انهاء أخبار الحضرة إليهما » .

ج) كما كان في نفس الوقت يخدم المنصور بالسهر على مكتبته .

القائم صلوات الله عليه (1) ، استقضاني قبلَ أن يُظهر أمره (2) وكنت أوّل من استقضاه من قُضاته وأعلى ذكري ورفع قدري ، وأنعم عليّ من النعم بما لو أخذتُ في وصفه لقُطِعَ بطوله ما أردتُ ذكره . فلم تكن قبله عليّ نعمةٌ أعظمُ من نِعمته مع الذي افترض اللهُ عزّ وجلّ عليّ من معرفة حقّه ومودّته . فلم يكن في أيّامه أحدٌ أعزَّ عليّ منه ولا أعظمَ قدرا ولا أجلَ في قلبي خطَرًا . وكنتُ إذا تَمنَّيْتُ كان أفضلُ ما أتمنّاه أن أموتَ في أيّامه وعلى رضاه .

14 — فلمّا اعتلّ صلوات الله عليه / العلّةَ التي قُبِض فيها (3) تداخلني لذلك ذُعرٌ شديد وخوف عظيم . وكان المعزّ لدين الله صلوات الله عليه في أيّامه سببي إليه ، ومعوّلي في جميع أموري عنده عليه ، وكنت ألقاه ، والمنصور على عِلّتِه (4) ، فأسأله عنه فيذكر من صلاح حاله ما أسكُنُ إليه . ثمّ استأذنَ لي يوما في جماعة من الأولياء فأدخلَني عليه ، فرأيتُه شديدَ العِلّة ضعيفا ، فما خرجت من بين يديه حتّى كاد قلبي يذوبُ وجعلت ألقى المعزَّ (صلع) فأسأله عن حاله فيذكر أنّه صالح الحال ، وأنا أرى في وجهه صلوات الله عليه من أثر الغمّ ما غيّره وأحاله عمّا كان عليه من الإشراق والنّضارة ، وأرى كلّ / يوم ذلك يزيد به ، والغمّ بذلك يتضاعف عليّ حتى رأيت من حال المعز لدين الله صلوات الله عليه ما أربى غمّي به على غمّي بما كنت أتوقّعُه في المنصور صلّى اللهَ عليه وآله .

ثمّ خرج في اليوم الذي قبض فيه ، ولا علمَ لي بذلك فلقِيتُه بحسَب ما كنت ألقاه ، ورأيتُ ظاهرَ حالِه أصلحَ ممّا كنت أراه ، فسُررت بذلك ثمّ سألته سؤالَ مستبشرٍ عن المنصور قدّس الله روحه ، فقال لي : يا نعمان ، إذا كانت هذه الشمس والقمرُ والنجوم والسماء والأرض والجبال زائلة ذاهبة فانيةً ، فما ظنُّك بما دونَها من هذا البشر ؟ كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ (5) كما قال الله جلّ ذكره : «كُلُّ

(1) مات القائم في 13 شوال 334/ماي 946 .

(2) أي قبل أن يعلن رسميا عن وفاة القائم وارتقاء المنصور الخلافة . وقد كتم الخبر « إلى سنة 336 ، فأظهر /المنصور/ موت أبيه بعد أن ظفر بأبي يزيد ». (المقريزي . اتعاظ الحنفاء ، ص 131) .

(3) اعتل المنصور في شهر رمضان 341 ، وتوفي في أواخر شوال ولم يعلن عن وفاته الا في 7 ذي الحجة (اتعاظ ، ص 129) .

(4) في الأصل : على علة .

(5) آل عمران ، 185 .

شَيْءٍ هَالِكٌ / إِلاَّ وَجْهَهُ (1)» . فعلمتُ أنّ المنصورَ قد قُبض (صلع) . وهجم عليّ من ذلك ما كدتُ أن أسقُطَ له إلى الأرض . ثم تداركتُ نفسي ، ورأيت الناسَ حولي ، فاستثبّتُّ وقلتُ كلاما نحوَ ما قاله المعزّ صلوات الله عليه لا أفهَمُه ، وأنسانيه ما كنتُ فيه وانصرفتُ عنه والعَبرة تخنُقُني والدموعُ تَبتدِرُ من عَيْنِي حتّى صرتُ إلى خَلاء من الفَحْصِ ، فأرسلتُ عَبْرَتِي ورفعتُ عَقِيرتي وبكَيْتُ لذلك مليّا حتّى خفَّ ذلك عنّي وأقمتُ أيّاما على ذلك . إذا امتلأ صدري وعِيل صبري خرجتُ إلى ذلك المكان فاستفرغت ما عِنْدي .

واستفاض أمرُ المنصور (صلع) ، وأرَى / المعزَّ لدين الله أدام الله تعميرَه وضاعف عليه صلاتَه (2) كلّ يوم يتسلّى ويزيد صبره ويحسن ظاهرُه ، وأنا أعلم من مكانه عندَه ومحلّه لديْه وموقعِه من قلبه ما قد كنتُ أخاف عليه إنْ حدث به حدَثٌ من أجله . فرأيتُ من العزاء والصّبر والتجلّد وجميل الأمر ما قد أيقنتُ /معه/ أنّ ذلك لانتقال الإمامة إليه ، ورأيت تأثيرها ومخايلَها فيه . وأنا على ذلك ما أتمالك جزَعًا وهلَعًا . غير أنّه سهّل عليَّ بعضَ ذلك ، ما رأيتُه من صبر المعزّ لدين الله صلوات الله عليه وحسنِ عَزائه وما منحَه الله جلّ ذكرُه من الضبط والكفاية وأولاه من لطيف / الصنع والرعاية .

15 — وأظنّه (ص) رأى في ظاهر حالتي ما بيّن له من شدّة جزعي وقلّة صبري ، فوقّع إليّ يوما بخطّ يده، أعلاها الله : يا نعمانُ ، ليحسُنْ عزاؤك ويجمُلْ صبرُك ! فمولاك مضى ، ومولاك بقي . وأنت واجد عندنا ما كنت واجدا عِنْدَه . ونحن كنّا سببَك، عندَه ولن ينقطع ذلك السبب لدينا لك إن شاء الله تعالى ، فطِب نفسا وقرَّ عينا ولْيَحْسُنْ بنا ظنّك وتسكُنْ إلى ما تحبّه لدينا نفسُك !

فبينا أنا كنت أخشى من الوجد عليه إذ صار يعزّيني عنهُ صلوات الله عليه ، لتأييد الله له وتوفيقه إيّاه وما وهب له من جميل المادّة وأجراه عليه من حسن العادة / .

(قال) وسمعته يقول صلوات الله عليه لجماعة من أوليائه حضروا مجلسَه وهو يحضُّهم على طلب الفضل عنْده والتماس الخير منه : إنّ الله جلّ وعزّ إذا حبَسَ

---

(1) القصص ، 88 .

(2) هذا الدعاء غير معهود عند النعمان .

الغيثَ عن عباده الذي جعل به صلاح معايشهم وقِوَامَ أبدانهم ، اجتمعوا وبرزوا عن ديارهم واستسقَوْه ودعَوْه ورغِبوا إليه . فإذا كان هذا ممّا ينبغي لهم أن يفعلوه لما يرجُونه من حياة هذه الأجسام الفانية وما يؤمّلونه من بقايا مدّة يسيرة وأيّام قليلة، فكيف ينبغي لهم أن لا يفعلوا فيما يرجون به خلاصَ أرواحهمُ الباقيةِ من عذاب الآخرة الدائم ، وخلودها في النعيم المقيم ؟ / أليس ينبغي أن تكون رَغبتهم في هذا أشدّ وابتغاؤهم أكدّ ؟ أوَ ما علمتم أنّ غيثَ السماء له أوَانٌ يرتَجَى فيه وينفعُ الله به ؟ وإذا ذهب أوانُه ذهب نفعُه ولم ينبغِ سؤاله ؟ فكذلك والله هذه النِّعمةُ العظيمة والرحمةُ الواسعة ، لها أوَانٌ تكونُ فيه . ووقتٌ تحلّ به . فإن مضى أوانُها وتقضّى وقتُها لم تجدُوها ولم ينفَعْكم حينئذ أن تطلُبوها . ألا . وهذا وقت أوانها وحينُ إبّانِها، فاحذَرُوا الغفلةَ واستعملوا الطلبَ والرَّغبة ، وبادِروا قبل الفَوْتِ واعملوا قبل الموتِ . فإنّما هي أيّام قلائل ، ووقتٌ ما يُرتجى فيه النجاة والرحمة زائلٌ .

ثم قال : / من ذا وجد من إمّام قبلنّا ما وجدتُمُوه عندنا ؟ إنّا لنجيب من سأل ونبتدىءُ من لم يسألْ ممّن نرى أنّه يقبل،وما يخيب لدينا إلاّ المعرضُون عن الله وعنّا.

أدب في مسايرة (1) :

16 — (قال) وسمعته يقول وأنا أسايره وقد ذكر السرّ ، وما ينبغي من كتمانه وطيّه فقال : لقد كان المنصور بالله (صلع) ربّما أسرّ إليّ السرَّ ، فلما أعتقدُه من طيّه وكتمانِه ربّما أُنسيتُه ويسألُني بعدَ ذلك عنْه فلا أعرفُه .

موعظة جرت في مجلس :

17 — (قال) وسمعته يقول وقد ذكر رجلا مشوّه الخَلق أعمى مُقعدا ، وأنّه رآه في بعض الطرقات . وهذا الرجلُ معروف . فقال المعزّ لدين / الله صلوات الله عليه : ينبغي لمن نظر إلى ذلك وأشباهه من ذوي العاهات والبلوى أن يحمَد الله على ما عافاه ويتفكّرَ في عظيم نعمته عنده .

(1) في الأصل : في المسايرة .

وهذا يشبه قول جدّه رسول الله صلّى الله عليه وعلى آله: من نظر إلى صاحب بلاء فقال: الحمد لله الذي عافاني ممّا ابتلاك به وفضّلني على كثير من خلقه تفضيلا ، كان حقيقا على الله أن لا يصيبه بذلك البلاء (1) .

[كلام في الغلوّ] ذكر في مجلس :

18 — (قال) وسمعته يقول : سمعت القائم بأمر الله (صلع) يقول في قوم من الدّعاة بلغه أنّهم غلوا فيه وفي آبائه الأئمّة الصادقين صلوات الله عليهم أجمعين / وقالوا إنّهم يعلمون الغيب ، فلعنهم وقال : هؤلاء الصادّون عنّا الكاذبون علينا ، والله ما أرادوا بما وصفونا به إلاّ تكذيبًا لنا وأبعدوا الناس عنّا لأنّهم إذا وصفونا لهم بما ليس فينا، فلم ير الناس ذلك ولا وجدوه عندنا لم يروْا أنّا أئمّة .

ثم قال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه : الغيبُ الذي تعلمُه الأئمّةُ هو ما غاب عن الناس من العلم الذي أودعهُم الله إيّاه واستحفظهم سرّه . فأمّا الغيب الذي قال جلّ ذكره : « قُل لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الغَيْبَ إلاَّ اللّهُ (2) » فلا يعلمُه إلاّ هو كما قال عزّ وجلّ .

وقولُ القائمِ بأمر الله هذا يشبه قولَ جدّه جعفر بن محمد صلوات / الله عليه لمّا بلغه أنّ أبا الخطّاب (3) قال فيه ما قال من الغلوّ . قال المفضّل (4) : فدخلت عليه يوما فأصبته منقبضا مستعبرا ؛ فقلت له : ما لك ، جعلت فداك ؟

قال : أيْ مفضّل ، زعم هذا الكافر الكذّاب أنّي أعلم الغيبَ ، سبحان الله ! ولا إلاه إلاّ هو ربّي وربّ آبائي الذي خلقنا وهو الذي أعطانا وخوّلنا ، فنحن أعلامُ الهدى والحجّة العظمى ! اخرج إلى هؤلاء — يعني أصحاب أبي الخطّاب — فقل

---

(1) الترمذي : دعوات ج 12 ص 313 . وابن ماجه ، دعاء 3892 .

(2) النمل ، 65 .

(3) أبو الخطاب : هو محمد بن أبي زينب الذي « عزا نفسه إلى جعفر الصادق » ثم قال بألوهية الأئمة ، وإليه تنسب فرقة الخطابية . قتل أبو الخطاب سنة 755/138 . انظر : اتعاظ الحنفاء ، ص 48 . ودائرة المعارف الاسلامية ، فصل : أبو الخطاب . وكذلك محمد الطالبي : الإمارة الأغلبية ص 562–563 .

(4) المفضل : هو المفضل بن عمرو صاحب جعفر الصادق ، انظر دعائم الاسلام ج 1 ص 50 ، رقم 81 حيث نقل القاضي النعمان هذا الخبر مفصلا . ويسميه ابن شهراشوب (معالم العلماء طبعة النجف 1961 ترجمة 836) المفضل بن عمر ، وكذلك الطوسي يسميه المفضل بن عمر الجعفي (ص 314 من رجال الطوسي) .

لهم : إنّا خلائقُ مخلوقون وعِبَاد مربوبُون، ولكن ، لنا من الله عزّ وجلّ منزلة لم يَتنزِلها أحـدٌ غيرَنا ولا تصلُح إلاّ لنا ، ونحنُ نورٌ مـن نور الله وشيعتُنـا منّا ، وسائرُ الخلقِ في النـار .

فائـدة في مسايـرة / :

(قال) وَسَايَرْتُه يومًا فقال لنا،ونحن جماعة في الموكب حوله : قولوا شيئا ! تكلّموا عمّا لا تعلَمُون تجدُوا عندنا جوابَ مـا تريدون ، إذ انصرافكم عنّا بـلا فائدة منّا خسارةٌ عليكم ، ونقصٌ بكم !

فقلت : أعاذنا الله من الانصراف عـن وليّه بلا فـائدة ! والله مـا أعلمُ أنّـي رأيتُه قطُّ فانصرفْتُ إلاّ بفائدة : إمّا مِمّا أسمعُه منه أو ممّا أراه فيه. وقد قال بعضُ الحكماء : كلُّ صامتٍ ناطقٌ . فإذا كان هذا في الجماد إذا اعتُبِر،فكيف بأولياءِ الله عزّ وجلّ ؟

فقال : هو كما قلتَ ، وإنمـا تُبصرُ ذلك العقُولُ الصافية .

كلام ذكر في مسايـرة :

19 ـ (قال) وسايرتُه يوما فجرى / الحديث بقول الناس : القمَران :الشّمسُ والقمرُ،وأنهم نسبُوهُما إلى الأشهر منهُما (1) وهو القمر، وقالوا : لأنّه يُرى ليلاً ونهارًا ، ولأنّ الأبصار أكثرُ وقوعا عليه منها على الشمس ، ولأنّ العربَ كـانت تسمَرُ في الليل في أنديِتَها وتراه أكثرَ ممّا يكُون ذلك منها في النهار ، وكان عندها أشهرَ من الشمس .

قلت : وقد ذهب بعض الرواة ببيت الفرزدق (طويل) :

أخـذنا بـآفـاق السّماء عليكـمُ   لنا قمرَاها والنّجومُ الطوالعُ (2)

إلى غير هذا المذهب ونحا به نحو الباطن ، فزعم أنّه إنّما أراد بالقَمرَيْن إبراهيم

---

(1) في الاصل : إلى أشهر منهما ...

(2) ديـوان الفـرزدق ، نشر عبـد الله الصـاوي ، ص 519 . والقصيـدة في النقائض (ص 700 من طبعة أوربا ، البيت 22) .

ومحمّدا (1) صلوات الله عليهما وعلى آلـيهـما ، وأراد بالنجوم الطوالعِ الخلفاءَ لأنـه أمسُ بقريشٍ ممّن فخَرَ عليـه .

/ فقال (صلع) : ما أصاب هذا القائلُ ، وإن كان عند الناس قد أغرب في المقال وجاء عندهم بمعنى لطيف .

ثمّ جاش له من المعزّ لدين الله (صلع) في ذلك بحر زاخر من الباطن، ففتح القولَ فيه ما نحا إليه هذا القائـل . ثم قـال : فـإن أراد البـاطن فهذا هو، وقد أخطأ . وإن أراد الظاهرَ ، فهو خلاف ما قال بشاهـد العيـان .

ثمّ قال عليه السلام : وبمثل هذا زاغ من زاغ عن الهدى ممّن انتحل عِلْمَنا وقال بزعمه بقولنا، ممّن جرّد الباطن وقال به ، ودفع الظاهر وأنْكَره . وما يستحقّ من فَعَل ذلك إلاّ أن يُخرِجَ روحَه من جسمه / فيَرى هل يقوم ذلك الروح بلا جسم أو هل يقوم الجسم بغير روح؟ ومن ههنا هلك من هلك وضلّ من ضلّ لمّا أفردوا الباطن ودانوا به ورفضوا الظاهرَ وتركوا العمل به وأباحوا المحارمَ إذا لم يرَوْا ظاهرا يقوم . وكيف يثبُت ذلك عنـدَ الأشقياءِ ؟ وهل يقالُ باطنٌ إلاّ وله ظاهرٌ ؟ وإذا لم يَثبت ظاهر ، فلماذا يكون الباطن؟ وكذلك إذا لم يكن باطن فلا ظاهر إذن ، وإنّما يصحّ كل واحد منهما ويقوم بإثبات الآخر . ولو لم يثبت أحدهما لم /يدل/ (2) اسم الثاني عليه . ولا يقال باطن إلاّ لما له ظاهر ولا يقال ظاهر، إلاّ لما له باطن، وإلاّ كان ذلك القول محالا . ومن جهل / مثل هذا لم يكن في عدد من يعقل، إذ ليس ذلك بالغامض ولا بالمشكـل .

كلام في مسايـرة :

20 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول وقد ذَكرَ الولايةَ والمحبّة فقال : والله ما يضيع ذلك لمن اعتقدَه . ولقد رأيتُ فلانا في المنَام — وذكر رجلا ظاهريّا(3) غاليا في مذهبه إلاّ أنّه كـان مُتَّصِلاً بالقـائم صلواتُ اللّهِ عليـه وكانت لـه عليه

---

(1) محمد : هو الملقب بـ«النفس الزكية» . وأخوه إبراهيم هو «قتيل باخمرى» . وهما حفيدان الحسن ابن علي بن أبي طالب ، ثارا على العباسيين بالبصرة والمدينة ، فقتلا سنة 762/145 .

(2) الجملة غير مفهومة ، فلذلك زدنا الكلمـة تخمينا .

(3) هذه إشارة وحيدة في الكتاب الى وجود المذهب الظاهري بإفريقيه .

نِعمة – قال : فرأيتُه في المنامِ بعدَ أن ماتَ فقلتُ: ماذا صرتَ إليه ؟ فقال: انتفعت والله بمحبّتي للقائم عليه السلام . قال له بعض من حضر : أفتَرَى ذلك يُنجيهِ وهو على ما كان عليه ؟ / فقال : لا واللهِ ، ولكنّهُ كما قال ينفَعُه بعضَ النفع .

(قال) : ورأيتُ فلانا – يعني بعضَ الأولياء – كان له تخليط، ثم حسُنَت حاله وَغَنَاؤُه وجِهادُه ، واختصّه المنصور بالله صلوات الله عليه ، ثم مات بعده . قال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه : فرأيته بعد أن مات بليلة وقد مرّ بي فدعوته فنظر إليّ، وكأنّه في غمرة وشدّة، فقال لمّا دعوتُ به : دعني، أما ترى ما أنا فيه ؟ (قال) فأصبحت وقد غمّني له ما رأيت من ذلك، فلمّا كانت الليلة الثانية رأيتُه في أحسنِ حال وأقبل إليّ ضاحكا . فقلت: ما حالك، وماذا صرتَ إليه ؟ فقال : إلى خير / والحمد لله ! ما خلق الله في الخلق مثل أبيك . والله ما زال بي حتّى خلّصني قسرا من شدّة شديدة وأمر عظيم .

فقلت : إنّ في رؤيا أمير المؤمنين لبرهانًا عظيما ، وقلّ من يرى في مَنَامه إلاّ التخليطَ والأضغاثَ .

فتبسّم عليه السلام ، وقال : أرأيت صبيانَ المكتب إذا انصرفُوا من عند المؤدّب ، واختلافَ أحوالِهم: أحدهم يمشي متوقّرا يقصد قصدَ حاجتِه ويُصلِحُ من أمره ما يعود إليه في مكتبه مثلَ لوحِه ودواتِه ومُصْحَفِه ، وآخر يسارع إلى اللّعب والبِطالة والولَع ؟

قلت : أجل .

قال : ذلك على / مقاديرِ ما هم عليه قبل ذلك واهتمامِهم بما هم فيه .

قلت : نعم .

قال : فكذلك النفوس ، إذا توفّيت عندَ المنام إنّما تجول وتسرَحُ على مقاديرِ طباعها وما كانت عليه في يقَظَتِها .

الجزء الثالث

بسم الله الرحمان الرحيم

كلام في الأمانة ذكر في مجلس :

21 — قال القاضي النعمان بن محمد : سمعتُ المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يصف بعض الدعاة — وقد مات — بما كان عليه من الصحّة والأمانة والوّلاية ، فقال : إنّه كان يشتري لنا فيما يبعث به إلينا ممّا نأمره ببعثه ، المسْكَ فيُفرغُه على ثوبه ليتزيّنه ويُودِعه الوِعاءَ / فتعلق رائحتُه بثوبه فيُخرِجُ من ماله لتلك الرائحةِ ثمنًا يضعُه في ما لنا في يديه من أموالنا ، تحرّزا من الخيانة .

ثمّ ترحّم عليه وأثنى عليه بالجميل ، ثمّ قال: ولقد أخبرني بعضُ من كان من أهل دعوته أنّه ربّما صبَّ الماء على يديه، فإذا فرغ من ذلك أخذ الإناءَ وصبّ على يدَيْ ذلك الرجلِ ، فيمتنعُ من ذلك ويتعاظمُه، فيقول له : والله لأفعلَنّ ! إن كنتَ إنّما أردتَ بصبّكَ الماءَ على يديَّ برّا تنالُه وثوابًا، فأنا إلى ذلك أحوجُ، وإن كان ذلك لحقّ رأيتَه لي عليك،فالحقّ لوليّ الله . فما أردتَ أن تقضيَه، فقضاؤُه إليه .

وصيّة في مجلس :

22 — (قال) / وسمعته يوما في مجلس حضره فيه جماعة من رجال كتامة ، وهو يعظُهم ويُوصيهم ، فقال في بعض ما قال لهم : أريدُ منكم ثلاثًا ،

وأكرَهُ لكم ثلاثًا : أريد منكم الصّدقَ وأكره لكمُ الكذبَ ، وأريدُ منكمُ العَفاف وأكرهُ لكمُ الخيانةَ ، وأريد منكم التواضُعَ وأكره لكم الكِبْرَ ، وهذا أخوف ما أتخوّفه عليكم .

كلام في العدل جرى في مجلس :

23 — (قال) وسمعتُه يوما صلّى اللّه عليه وآله يقول في مجلس : أمَا إنّي لو شئتُ رضَى الناس لبلغتُ رضاهم بأيسَر الأمور عندَهُم . ولكنّ ذلك ، لو يدرُونَ ، فيه اقتحامُ النار .

فقيل له : وما هو يا أميرَ المؤمنين ؟

قال : التّخْلِيَةُ بينهم وبين شهواتهم / : نُبيحُ لهم — وأعوذ بالله — المُظاهرة بشُرب الخمور والزّنَى واللّواطِ وإظهارِ الملاهي والمعازِفِ ، كما يفعلُه اليوم المتغلّبُون من ملوك الأرض لأنفُسِهم ، ويُبيحُونَه لمن تغلَّبُوا عليه . فما كنّا نسمعُ منهم إلاّ الثناءَ والشكرَ . ولكنّ الله عزّ وجلّ قلّدَنا أمورَهم وافترض علينا تقويمَهم واستنقاذ مَن أناب إلينا منهم ، والأمرَ بالمعروف والنّهيَ عن المنكر فيهم . فنحن نريد نجاتَهم من النار ، وهم يسخَطون علينا ، ونُحبُّ إدخالَهمُ الجنّةَ ، وهم يكرهون ذلك منا .

فذكر له بعض من حضر المجلس أمرَ المتغلّبين من بني أميّة بالأندلس ، وأنّهم / ورَعايَاهم يشربون الخمر ويبتاعونَها في أسواقهم جهارا ، ويتفكّهُونَ بالغِلمان صراحا ويزنُون علانيَةً ، وأنّ سِجنَ النساء عندهم ليأتِي إليه من يؤثِر الزّنَى فيدخُلُ إلى السّجّان فيختارُ مِنَ النساء على عَيْنِه من أراد ، ولكلّ واحدةٍ منهنّ رسمٌ معروفٌ، فأيّتُهنّ اختارَ رُفِعَ رسمُها وفُجِرَ بها، في وجوهٍ كثيرة من المُنكَر ظاهرةٍ بيّنةٍ ، ذكرَهَا .

فقال عليه السلام : هذا الذي قدّمْنا ذكرَه . ونحن نَعْلَمُ أنّ استصلاحَ ظاهرِ العامّة واستمالةَ قلوبِها أيسرُ وأقربُ من استصلاحها واستمالتها بالدين والحملِ على الحقّ : إنّ الحقَّ مرٌّ إلاّ عِندَ القليل ، فما كرِه الناس / منّا في القَديمِ والحديثِ غيرَهَ ، ولَوْلاَ حَمْلُ عليّ ، عليه السلام ، الناسَ عليه جميعا وتركه

الإغضاءَ عَن شيءٍ منه ، والرخصةَ فيه والمداراةَ عنه ، لما عدل إلى معاويةَ من عدَل ، ومال إليه عنه . فالرخصةُ في الباطل،والمداهنةُ في الحقّ، والحيفُ،والأثَرَةُ بالدنيا،وتركُ الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر وإقامةِ حقوقِ الله وحدودِه التي أمرَ بإقامتها ، كان سببَ تغلُّبِ بني أميّةَ أوّلا ، وبه تمسّكوا إلى اليوم (1) . وتمسُّكُنا بالحقّ هو الذي قصّر بنا عند عامّة الناس . لا والله،لا ندَعُه حتى يُظهرَ اللهُ أمرَه، فقد قال جلّ ثناؤُهُ:« بَلْ / نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ (2) » ،وأرجو أن قد قرُب أوانُه وحان حينُه إن شاء الله .

وصيّة في مجلس :

24 — (قال) وسمعته (صلع) يقول يوما : لمّا احتضر المنصور بالله صلوات الله عليه جعل يوصيني بما أعمل عليه بعده ، وهذا قائم — وأومأ إلى رجلٍ من عبيده ، وكان قائما بين يديه — (قال) ثمّ نظر إليه وقد دمع فقال : واللّهِ لتُعَايِنُ من مولاكَ هذا ومن جميل أفعاله وسيرَته وما يُجريه الله من الخير على يديه ، ويضعه من الجميل له ، ويؤيّدُه به ويمكّنه له ويفتحه عليه ، ما لم ترَ ولا سمعتَ قطّ / مثلَه .

فقال له الرجل : يا مولاي ، وأيّ شيء بقي له من ذلك لم تفعَلْهُ أنتَ ؟

قال : كثير ، والله ، جدّا ، هو في القوّة لم يظهر بعد إلى الفعل (3) ، يُظْهِرُهُ الله له ويجريه على يديه .

ومن رمز له بالحكمة ذكر في المجلس :

25 — (قال) وسمعته (صلع) يوما وهو يقول : واللّه ما تلذّذتُ بشيء تلذّذي بالعلم والحكمة ! لو وجدت من أفضي إليه بها لكنتُ قد بلغتُ غايةَ المنى والشهوة .

---

(1) في الأصل : إلى اليوم بالحق ، واسقطناها لعدم المطابقة

(2) الأنبياء ، 18 .

(3) بالقوة وبالفعل : اصطلاحان فلسفيان .

وقوله هذا عندي فيه كناية ، والذي يفضي إليه بحكم(ة)ه هو حجتّه (1) . والله يقرّب ما أمّلَه من ذلك له ولنا إن شاء الله تعالى ، فهو الذي يُفضي إليه بجميع ما لديه من الحكمة كسنّة الله فيمن مضى / وبقيَ من أوليائه . فأمّا الإفضاءُ منها بما يُمكنُ وبمقدار احتمال من يسمعُ ، فهو صلّى الله عليه وآله يُفضي بذلك في كلّ حين .

وقد يكون أراد أن يجد أكثر منّا احتمالا لما يحمّله منها ونسأل (الله) أن يجعلَنا ممّن يحتمِلُ ما حُمِّل منها ويرعاه حقّ رعايته وممّن أمدّ أولياءَه فيه بقدرته .

كلام من الحكمة ذكر في مجلس :

26 — وسمعته صلوات الله عليه يقول فيما يجده في نفسه من مثل هذا : والله إنّي لأجدُ من اللذّة والراحة والشهوة في النظر في الحكمة ما لو وجده أهلُ الدنيا لاطّرَحُوها لها ، ولولا ما أوجب الله سبحانه عليّ من أمور الدنيا لأهلها وإقامة ظاهرها ومصالحهم فيها ، لرفضتُها / للتلذّذ بالحكمة ، والنظر فيها وإن كان الذي قُلِّدتُه من أمور الدنيا والنظر فيها حكمةً بالغةً لمن أبصرَ وحجّةً لمن تدبَّرَ ونظرَ .

حديث في فضل المعزّ لدين الله صلوات الله عليه :

27 — (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوما يحدّثُ عن محبّة القائم بأمر الله (صلع) له واختصاصه إيّاه وما كان يؤثره به ويتوخّاهُ له ، ممّا كنّا نعرِفُه ويبلغُنَا عنه ، فقال : لقد قال لي يوما : لولا صغر سنِّك لجعلتُ

---

(1) الحجة : كلمة حجة يراد بها عموما الشخص الذي يلي الناطق (الرسول) أو الإمام . فلا بد لكل نبي من حجة ، وحجته هو وصيه أو أساسه . فهارون مثلا حجة موسى ووصيه ، وصاحب السر أو الباطن أي التأويل. وكذلك لابد لكل إمام من حجة .

أما رتبة الحجة في نظام الدعوة ، فتختلف اختلافا بسيطا من مفكر إلى آخر . فجعفر بن منصور اليمن أحد كبار الدعاة الاسماعيليين يجعل من الحجة مرتبة تلي مرتبة الإمام (انظر : الشواهد والبيان ص 170 ، الرضاع في الباطن ص 37 ، 80) ونجد نفس هذا الترتيب عند القاضي النعمان (انظر : أساس التأويل ص 70 ، 85 ، 87) ، بينما تحتل الحجة المرتبة الثالثة بعد الامام عند الكرماني : الامام ، الباب ، الحجة (انظر راحة العقل ص 134–139) .

اما وظيفة الحجة فتتمثل في نقل أوامر الإمام إلى الدعاة ، وهو المكلف بنشر المعرفة التأويلية لمن له الحق .

والحجة يقيم الباب ، اي انه يعين الشخص الذي يحتل هذه المرتبة (انظر اختلاف الترتيب الذي ذكرناه عن الكرماني وغيره) ، ويقيم كذلك ثلاثين داعيا يساعدونه على تحمل أعباء الدعوة . ويقول الكرماني : ان للحجة الحكم في ترتيب المراتب وارتضاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق واظهار تأويل الكتاب (راحة العقل ص 134) . وانظر كذلك فصل « حجة » في دائرة المعارف الإسلامية .

هذا الأمرَ إليك (1) ،ولكنْ أنت أبو تميم حقًّا كما كُنِّيتَ . (قال) فكان كثيرا ما يقول لي ذلك ويكرّره : أنتَ أبو تميم حقًّا ، وما أعرف يومئذ ما يريدُ بذلك .

(قال) وكنت يومَ قُبِض / صلوات الله عليه (2) عليلا متخلِّفًا لأمر عرض لي . وسأل عنّي فكرِهُوا أن يُخبِروه بعلّتي . وأغمِيَ عليه . ثم أفاق فسأل عنّي فقال : ائتوني به ! ثم أغميَ عليه كذلك مرارا . فلمّا أفاقَ سألَ عنّي فأتَوْا بي إليه . وقد مُنِعَ الكلامَ . فلمّا رآني ضمّني إليه ، ثمّ أغمِيَ عليه ، فنُحِّيتُ عنه ، وأفاق فردّنِي كذلك ، ثم قُبض صلّى الله عليه وآله .

ثم قال المعزّ عليه السلام : شهِدتُ مشهدَيْن لو حُمِّلَتِ الجبالُ ما حُمِّلْتُه فيهما لما أطاقَتْه : هذا . ووفاة المنصور عليه السلام (3) .

وهذا . من فعل القائم عند الموت بالمعزّ (4) لدين الله عليه السلام ، كفعل رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله بالحسن والحُسَيْن عليهما السلام / عندما قُبِضَ : فقد رُوِي عنه عليه السلام أنّه دعا بهما كذلك وضمّهُما إلى نفسه ثم أغمِيَ عليه فنحّاهُما عليّ عليه السلام . ثم أفاق فقال : أين ابنايَ ؟ فقال له عليّ عليه السلام : أزلتُهما عنك يا رسولَ الله لِـمَا رأيتُه بك ، وهذان هما . فقال : فقرِّبْهُما ! وقال : دَعْهُما يستمتِعَانِ مِنّي وأستمتِعُ منهُما ! فما زالا كذلك حتّى قُبِضَ صلّى الله عليه وآله .

حديث في فضل الأئمّة عليهم السلام :

28 — (قال) وسمعته صلوات اللّه عليه يقول : قال لي المنصور عليه السلام فيما أوصاني به : إذا عرض بقلبك أمر فاستحكِمْ فيه ، فإنْ لم تجِدْ لنفسك

---

(1) يظهر من كلام القائم أن تعيين ولي العهد موكول إلى الامام وحده ، وأنه في ذلك قد يتجاوز ابنه إلى حفيده . وهذا مخالف للمبادىء الاسماعيلية التي تنص على أن الامامة تكون في الولد الأكبر بعد والده ، ولا تنتقل من الامام إلى أخيه ، باستثناء السابقة الفريدة في الحسن والحسين .
وقد خالف المعز هذا المبدأ حين عين لولاية العهد ابنه الثاني عبد الله فتجاوز ابنه الأكبر تميما، كما في سيرة الأستاذ جوذر ، 139 ، أو عزله ، كما في أخبار ملوك بني عبيد لابن حماد ص 47 .
وخولف المبدأ أيضا فيما بعد حين تنازع الأخوان نزار والمستعلي ابنا المستنصر الفاطمي ، فتولى الامامة المستعلي — وهو الابن الاصغر — فانشقت الاسماعيلية إلى نزارية ومستعلية .

(2) في 13 شوال 334/ماي 946 .

(3) انظر وصف مرض المنصور فيما سبق ص 81 .

(4) التركيب الواضح هو : من فعل القائم بالمعز عند الموت .

حيلةً في دفعه عنك / فخذ به واعمَل عليه، وإن كان الرأي والتدبير فيما يظهر إليك بخلافه . واعلم أنّ ذلك إذا كان ، فإنّما هو شيء من قِبَلِ اللهِ عزّ وجلّ ألقاه في قلبك .

(قال) فما أحصي ما عرض لي مثل ذلك ورأيتُ أنّ النظرَ والرأيَ في خلافه فتركتهما وعملتُ على ما وقع في قلبي ، فكان في ذلك التوفيقُ وحسُنَتْ فيه العاقبةُ .

29 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يوما وقد حضر مجلسَه جماعة من مشايخ كتامة ووُجوهِهم ، وهو يُوصيهم ، فقال فيما قال لهم : إنّي قد أنزلْتُ كبارَكم منّي منازلَ الإخوةِ وصغارَكم منازل الأولاد ، وأنتم في خير زمان ، فاعرِفُوا قدرَ النِّعَمِ عليكُم وقيسُوا أنفسَكمُ اليومَ بمن مضى منكم / بالأمس من قوم أنتم بعض حسناتهم لسَبْقِهِم وجهادِهم وقِدَمِهم ، وما أقام الله عزّ وجلّ من هذا الأمر بأسيافِهِم وأيديهم ، وكانوا على الطريقة المُثلى حتّى اعترض عليهم الشيطانُ بفساد وَهْمٍ توهَّمُوه ، وباطلِ ظنّ ظنّوه ، فلم يُقَالُوا العثرةَ ولا غُفِرَتِ لهُمُ الزّلّةُ ، وحلّ بهِمُ الهلاكُ على أسوإ حال . وكان ذلك هو الذي أوجبه الزمانُ والحقُّ والعدلُ والإمكانُ ، وأرجو طُهرًا لِمَا دَنّسُوه ، وإنّ الله عزّ وجلّ لا يضيع لهم ما سبق منهم . وأنتمُ اليومَ معنا في خير زمانٍ مع خير إمام : بَرٍّ بكم ، عَطوفٍ عليكم ، محسنٍ إليكم يُقيلكمُ العثرةَ ،ويغفرُ لكم الزّلّةَ ويُحسِنُ إلى مُحْسِنِكم ويتَغَمَّدُ عن مُسيئِكُم .

فشكروا له وقبّلوا الأرضَ بين يديه وقالوا / : يا أمير المؤمنين، نحنُ عبيدُك وما فعلتَه فينا من جميل ، فالله يَجزيك به ، ولو شكرناك باقِيَ أعمارنا لم نبلُغ قدرِ أقلّ إحسانِك إلينا وفضلِك علينا .

فقال عليه السلام : إذا عرفتم ذلك فقد شكرتم النعمة ، وامتريتم مَزيدها إن شاء الله تعالى .

30 — (قال) وسمعته يقول عليه السلام : قال لي المنصور بالله صلوات الله عليه لمّا احتُضِر : الوصيّة عند الموت مُبْكِيَة ومحزِنةٌ ولكنّي أوصيك بوصيّة جامعة : اعمل من الأعمال ما يسرّك أن يُقْتَدَى بِكَ فيه .

حديث في إقامة الحقّ عن المهديّ (1) صلوات الله عليه :

31 — (قال) وذكرتُ له عليه السلام يوما شيئا / بلغنا عن المهديّ بالله صلوات الله عليه : أنّ رافعًا رفعَ إليه نصيحة — فيما زعم — فيها أنّ العامّةَ (2) لو طُولبُوا بمذاهبهم وأجريَ الحكمُ بها عليهم في تركهم توريثَ ذوي الأرحام (3)، وردّهم كثيرا من ذلك، في قول كثير منهم، إلى بيت المال، لكان في ذلك توفيرٌ للمال من حيثُ لا يُنكرُونه ولا يدفعُونَه، وأنّ المهديّ صلوات الله عليه أنكرَ ذلك من قوله واستشاط غَضَبًا عليه، وأمر بطَلَبه، وقال : ما أراه أرادَ هذا بما قال إلاّ الطعنَ علينا وأن نَحكُم بخلافِ ما أنزل الله تعالى، وإنّما أقامَنَا اللهُ جلّ ذكره لنقيمَ دينه لعباده لا أن نتكثّرَ من دنياهم بما يأتي من غير حِلّه !

فقال المعزّ لدين الله : صدق / المهديّ (صلع) ونضّر الله وجهه ورفع درجتَه ! لا والله، ما نحكُم في عبادِ الله إلاّ بما أنزلَهُ الله أحبّوا ذلك أم كرهوا، رضوا أو سخِطوا. ولا ندَعُهم أن يخالفوا حكمَ الله لأنّ الله تعبّدَنَا بذلك، وما نَقَمُوا علينا إلاّ ذلك. ولو تركناهم وانتحالَهم واختيارَهم كما تركهم المتغلّبُون الذين لم يكن قصدُهم إلاّ نيل دنياهم فلم يلتفتُوا إلى شيء من إقامة الدينِ، وتركوا الأئمّةَ مختلفينَ فيه، لأحبّونا (4) وسلّموا لنا كما سلّموا لأولئك. ولكن أبى الله عزّ وجلّ لنا ذلك بما افترضه علينا من إقامة دينه وتقويمِ عباده على نهجه ومنعهم من الحكم وإظهار العمل بخلافه / .

---

(1) تأخير فاسد هنا أيضا : حديث عن المهدي في إقامة الحق .

(2) العامة هم أهل السنة عند الشيعة .

(3) هم الاقارب الذين لم ينص القرآن على توريثهم، ولا يرثون بالتعصيب. « وهم بالجملة بنو البنات، وبنات الاخوة، وبنو الأخوات وبنات الاعمام، والعم، وأخو الاب الأم فقط، وبنو الاخوة للأم، والعمات والخالات والاخوال » (بداية المجتهد لابن رشد باب الفرائض ص 333 من الجزء الثاني). وقد اختلفت المذاهب السنية في توريث ذوي الارحام : منعهم مالك والشافعي، وجوز أبو حنيفة وأصحابه توريثهم.

ويفهم من « نصيحة » هذا الرجل إلى المهدي أن الفاطميين طبقوا بإفريقية مذهبهم في توريث ذوي الارحام، فالفقه الشيعي يعتمد على سابقة من علي اذ ورث العمة والخالة، وعلى فهم جعفر الصادق لعبارة « الاقربين » القرآنية بأنها تعني ذوي الارحام فقطع بتوريثهم بحكم النص القرآني. وكانوا يزعمون أن الرسول (صلع) منع أن يضم إلى بيت المال « تركة من له عمة أو خالة » (انظر دعائم الاسلام للقاضي النعمان ج 2، فصل 5 ص 379). من ذلك غضب المهدي — ان صدق — إذ أن الناصح يدعوه إلى توفير مال الدولة بتطبيق أحكام الفقه المالكي على جمهور إفريقية وهم مالكيون، مخالفا في ذلك أحكام الفقه الجعفري. وقد فرض جوهر على القاضي السني أبي الطاهر الذهلي حين أقره على قضاء مصر « أن يحكم في المواريث بقول أهل البيت ... » (ذيل ك. الولاة والقضاة ص 584 س 16).

(4) في كلام المعز هنا، اعتراف ضمني بأن جمهور السنة لا يحب الحكم الشيعي.

توقيع في الستر على المؤمن (1) :

32 — (قال) وسألني صلوات الله عليه عن أمر رُفِعَ إليه في بعض الحُكّام قَرَفَ به في نفسه ، فكتبتُ إليه فيه أنّ ذلك يقال عَنْهُ ، ويُستفاضُ فيه ويتكلّمُ الناس به عن غير حقيقة يُثْبَتُ بها ، والله أعلم بذلك . فوقّع إليَّ تحتَ ذلك : قد ستَرْنا ، وكذلك قال مولاك عليّ بن الحسين (2) عليه السلام : لم يعِشْ مع الناس إلاّ من جَهِلَهُمْ .

حديث في مجلس في الانتفاع بالنيّة :

33 — (قال) وسمعته عليه السلام يقول يوما في مجلس ، وقد ذكر بعض من كان في خدمة المنصور صلوات الله عليه ، والمهديّ والقائم من قبْله عليهما السلام ، وكانت له / ولاية، فقيل فيه عند المنصور (صلع) ، فأعرض عنه بعض الإعراض ، فوقع من ذلك في غمّ عظيم وخاف له خوفا شديداً ، فقال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه : فلقيني يوما فشَكا إليّ ما حلّ به ، فقلت له : إن صدقْتَني عن نفسك وجدتُ لك فرَجا ومَخْرجا .

فقال : يا مولاي ، وكيف لا أصدقك ؟

قلت : هل غيّر هذا الإعراضُ شيئا من نيّتك أو أحال وجها من وجوه ما كنتَ عليه تنطوي وتضمرُ لمولانا عليه السلام من المحبّة والإخلاص وغير ذلك من الواجب له ، وما كنتَ تعتقدُه في حالة الرّضى عنك والإحسان إليك ؟

/ قال : لا والله ، ما حال عندي شيء من ذلك !

---

(1) التوقيعات هي الأجوبة التي يكتبها الملوك والخلفاء عن رسالة أو طلب أو استشارة ترفع إليهم ، وقد يكون التوقيع بمبادرة منهم . ونجد في سيرة جوذر نماذج من توقيعات القائم (ص 42) والمعز (ص 87 وما يليها) . وانظر تعليق ماريوس كانار (رقم 48 ص 6) وكذلك فصل فرحات الدشراوي في مجلة «أرابيكا» Arabica ، ج8 ص 190 : بعنوان

Contribution à l'histoire des Fatimides en Ifriqiya

ففيه يظهر الفرق بين التوقيع والعهد .

ويظهر ان الخلفاء الفاطميين كانوا يستعملون عبارات مخصوصة في توقيعاتهم (عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها ، ص 13) .

(2) لعله علي زين العابدين الامام الرابع (ت. 713/94) .

قلت : اللّـهَ ؟

قال : اللّـه !

قلت : فطب نفسا واقرَرْ عينا ، فوالله ما نالك شيء تكرهه من قِبَلِه !

فكان كما قلت له : لم ير ضررا إلى أن مات في حياة المنصور عليه السلام وهو من الخدمة على سبيل ما كان فيه ثم حفظ ولدَه له وأقامه مقامَه، وما ذاك إلاّ أنّه كان ، كما ذكر ، مُخلِصا .

ثم ذكر المعزّ لدين الله عليه السلام بعض هفوات ولده هذا وأنّه تناول بعض الأولياء بما ليس فيه ، فأغضى عنه صلوات الله عليه حفظا لأبيه ، وأكثرُ ما كان منه في ذلك أن جعل يتعجّب ويقول : قال فلان لفلان : أنت كذا وكذا — لشيء قاله له من السبّ / — ونحن نعلم من حالِهما ما نعلَمُه ، وما يرمي البريءَ بالعيب إلاّ مَن كان من أهل العيوب . فأنشدته البيت السائر في ذلك (وافر) :

وَأجْسَرُ مَنْ رَأيْتَ بِظَهْرِ غَيْبٍ ... على عَيْبِ الرّجالِ ،ذَوُو العيوبِ (1)

فقال عليه السلام : صدق قائله .

حديث في مسايرة في سوء تمييز الجهّال :

34 — (قال) وسمعته يقول في مسايرة : إنّا نَأثُرُ (2) عن جدّنا عليّ عليه السلام أنّه قال : ما قرّب الله الخير قطّ من قوم إلاّ زَهِدُوا فيه . وقال: ومن عرّفه للناس ورأوه تهاونُوا بعِلمه ، وأكثرُ ما يكبر في صدورهم ما أتاهم عمّن لا يعرِفونه . (قال) ولذلك قيل / إنّ بعض الحكماء خرج في ابتداء أمره من بلده لطلب الحكمة . فجوّل في البلاد وأمعن في الطلب حتى لم يجد عند أحدٍ أكثرَ ممّا عنده . فانصرف إلى بلده وكان أهلُ ذلك البلد قد عرفوا طلبَه ، وانتهى إليهم ما أفادَهُ من الحكمة وبلغَهُ من العلم ، فأتَوْا إليه يسألونه الفائدةَ ويلتمسون منه الحِكمةَ ، فأغلق دونَهم

(1) البيت في البيان والتبيين للجاحظ غير منسوب إلى قائل (ج 1 ص 59 من طبعة السندوبي) . وفي طبعة هارون (ج 1 ص 58) نسب البيت إلى مكي بن سوادة دون إحالة إلى مرجع . وكان الناشر استنتج هذه النسبة من اتفاق البيت مع بيتين آخرين لهذا الشاعر في الوزن نفسه والروي . وورد البيت كذلك في عيون الأخبار لابن قتيبة (طبعة دار الكتب ج 2 ص 14) غير منسوب إلى قائل .

(2) أثر يأثر (بضم عين المضارع وكسرها) الحديث : رواه ونقله .

بابَه وأبى أن يُفيدهم شيئا . فقيل له في ذلك ، فقال : ما لقيتُ حكيما في بلد من البلدان أو عالِما ألتمسُ منه علما أو حكمةً إلاّ وجدتُ أهلَ ذلك البلدِ يستقِلّونَه ويضعون منه ويفضّلونَني عليه ، وأنا أعلم فضلَه / عليَّ . فلستُ بناشرٍ في بَلَدِي علمًا ولا حكمة أعرّضُها لزرايةِ الجُهّال واستقلال من لا تميُّزَ له من الرجال .

وخرج إلى حيث لا يُعرَفُ فأظهرَ ذلك فأخِذَ عنه وانتُفِعَ به في حياته ومن بعد وفاته .

وفي هذا حديث مرفوع : إنّ أزهدَ الناس في العالِم أهل بيته ثمّ جيرانُه ثمّ الأقربُ والأقرب إليه . وإنّما مثَل العالِم في القبيلة كمثَل العينِ من الماء في القرْيَة لا يدّخِرُ أهلُها شيئا من ذلك الماءِ لأنّهم يرَوْن أنّهم متى شاؤوا أخذُوا منه ، فبينما هم كذلك إذ غارَتِ العَيْنُ فحينئذ يندَمون . كذلك العالِم إذا مات / ندِم من عرفه على أن لم يأخُذْ عنْه (1) .

ثم قال : والعلماء في طلبهم العلم وازديادهم منه كالأغنياء يطلبون التزيّد في قليل المال وإن كان عندهم الكثير منه .

35 — (قال) وسمعته عليه السلام يقول في مسايرة : جرى عند المنصور عليه السلام ذكرُ الموت وخوفُ أولياء الله وأنبيائه منه ، على علمهم بما لهم عند الله من الكرامة وأنّهم ينتقلون إلى أفضلَ ممّا كانوا عليه .

فقلت : أوَ يَكُونُ ذلك منهم ؟

فقال لي : نعم ! هم أشدّ خوفا من الموت من كافّة الناس،استعظاما لأمره وتهوّلا له .

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : لعظمة جلال الله في / قلوبِهم وموقعِه من صدورهم ، فهم يخافونَ منه ويتهيّبُون من لقائه ، وهذا ممّا يؤثَر مثله عن عليّ بن الحسين صلوات الله عليه(2)

(1) الحديث المرفوع هو الذي يرفع سنده إلى الرسول (صلعم) . وهذا الحديث ذكره النعمان في الدعائم ج 1 ص 82 عدد 167 مع اختلاف طفيف ، ولعله من الأمثال السائرة إذ أورده الميداني ، 457/1 . وقد نقل الناشر فيضي عن إحدى النسخ التي اعتمدها ، جزءا من كلام القاضي النعمان هنا .

(2) علي زين العابدين .

أنّه كان إذا أخذ في الوضوء للصلاة تغيّر لونه وارتعَدَتْ فرائصُه،فيقال له في ذلك فيقول : إنّي أريد الوقوف بين يدَيْ ملكٍ عظيمٍ .

حديث في مجلس في ذمّ البغي :

36 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يوما ذكر بعض من كان يتّصل بالقائم صلوات الله عليه ، فلعنه ، وقال : سعى برجل إلى القائم (صلع) وشهد عليه بما يُوجب القتل ، وكان يظنّ به الخيرَ ، فأمر بقتل الرّجل فقُتل / . وكان المنصور (صلع) يعلَمُ براءته ممّا قد نسبَه ذلك الرجلُ إليه ، فبادر إلى القائم عليه السلام فذَكَرَ ذلك له . فأرسل رسولا مُسرِعًا ليتداركَه فأصابَه قد قُتِل ، فاغتمّ لذلك وأمرَني أن أخرجَ إلى ذلك الرجلِ الذي شهد عليه برسَالَته وقال : قل له : إنّي قد أخبرَني الثّقةُ عندي بأنّ الرَّجُلَ الذي قلتَ فيه ما قلتَ بريءٌ منه .

(قال) فقلت له ذلك، فقال لي : قل له : فلا يكُنْ هذا الثقةُ عندك ثقةً بعد هذا، فقد قال غيرَ الحقّ .

فأعلمتُ القائم صلوات الله عليه بقوله ، فتغيّر لونُه لذلك واستعظَمَه وامتعضَ منه ، وقال : هذا / أعظمُ ممّا جاء به أوّلاً . اخرجْ إليه فقل له : كيفَ قطعتَ عليه بالقول الذي قلتَه ؟

فجاء بحكاية تكذّبُه فيما يشهَد به وتُثبتُ قولَ المنصور عليه السلام ، فبلّغتها عنه ، فاشتدّ غضبُ القائم عليه السلام وقال فيه قولا غليظا (1) .

وكان لذلك المقتول سببٌ أوجبَ قتلَه غيرَ الذي شَهِد به ذلك الرجلُ عليه. وأراد القائمُ عليه السلام أن يَقِفَهُ عليه ، وأكثرَ التعجّبَ من قطع هذا بما قطعَه عليه من غير علم ، ثمّ ما جاء به من الجرأة على وليّ الله وردّه عليه في قوله لمن أخبرَه بأنّه ثقةٌ عنده : لا يكن ثقةً عندك بعد هذا ، وتجرّئه على القطع / بالقول بذلك في من لا يعرفُه . فمات هذا الرجل بعد ذلك أسوأ حال ميتة بعد أن ظهرَ نِفاقُه ، وساءت حالَتُه وأظهر ولدُه من بعده ماكان عليه وقُتِل أسوأ قِتْلَة وعجّلَ اللّهُ من انتقامه ، ولم يكنِ اللّهُ عزّ وجلّ ليبقيَ من تجرّأ على أوليائه بمثلِ ما

(1) نلاحظ أن القاضي النعمان قلما يذكر الأسماء والأماكن ، فتأتي إشاراته غامضة مبهمة لا يمكن استعمالها لتدقيق تاريخ الدولة الفاطمية وأحوالها .

تجرّأ به حتّى ينتقمَ منه في الدنيا ، « وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى (1) » كما قال الله عزّ وجلّ .

توقيع في جرأة الجهّال :

37 — ووقّع إليّ صلوات اللّه عليه ابتداءً منه (2) . يا نعمان ، ما أحلمَ اللّهَ عزّ وجلّ عن خلقه وأعظمَ إمهالَه جلّ ذكره ! ذكر لي فلان بالأمس كذا وكذا وسألني كيت وكيت / . وهذا الرجلُ الذي سمّاه مشهورٌ بعيبٍ قبيحٍ ، والذي سأله أمرٌ أرادَ أن يتوسّل به إلى ذلك من القبح ، فحمله الجهلُ وفرطُ الشّهوةِ إلى أن تجرّأ على وليّ الله صلواتُ الله عليه بذلك ، وحلُم عنهُ . ولا أراه وقّعَ ذلك إليّ إلاّ طلبا للتفرّج فيه لمّا ضاق به صدرُهُ ولم يُمكنه في الواجب غيرُ التّغافلِ . فكثُرَ تعجّبي من حِلمه صلوات الله عليه عمّنْ قابلَه بمثلِ ذلك ممّن لا قدرَ له ولا خَطَرَ . ثم لم يمضِ بذلك إلا مدّةٌ يسيرةٌ حتى عمِيَ ذلك الرجلُ ، فعلِمتُ أنّ الله عزّ وجلّ لا يدَعُ له مثلَ تلك الجرأةِ حتّى يبتليَهُ بمثل ما ابتلاه به . فنظرتُ إليه وقد خرج المعزّ صلوات / الله عليه وقد أُتيَ به إليه يُقاد ، فقال لي عليه السلام : لو كان من أعمَى اللّهُ قلبَه أعمى هكذا بَصَرَه لكان ذلك من تعجيلِ العقوبة ، وعقوبة الآخرةِ أخزى وأشدُّ .

حديث في الصبر عند المصائب :

38 — (قال) وسمعتُه صلوات الله عليه يقول في مسايرة : لمّا احتُضِرَ المنصور عليه السلام وقرُب منه من أمر الله ما قرُب ، أغمِي عليه ، فرأيتُ منه منظرا لم أتمالَكْ له أن بَكَيْتُ . فأفاقَ وأنا أبكي فقال : آها ، ما لَكَ ؟ ألَمْ أنهكَ عن البُكاء ؟

قلت : وكيف يحسُنُ الصبرُ بمن يراك على هذه الحال يا مولاي ؟

فقال لي : ما جازيتني جزائي : أنا أسَرُّ لك / وأفرَحُ بما يصيرُ لك بعدي من عاجلِ الدنيا ، ويسوءُك أنتَ وتحزَن بما أصير إليه من نعيم الآخرة ؟ لا تعُدْ

---

(1) طه ، 127 .

(2) ابتداء منه : يكون التوقيع أيضا بمبادرة من الامام إلى أوليائه (انظر ص 98 تنبيه 1) .

إلى هذا ، ولا تستقبِلْ ما خَوّلَكَ اللّهُ من دولتِك بالحزن والبكاءِ ! بل فافرَح بما آتاك الله من دُنياك وما أصارني إليه وأعطانيه في آخرتي !

ففعل (صلع) ما أوصى به. فلم يُلْطَمْ عليه خدّ ولم يُشَقّ عليه جَيْبٌ . وبذلك أوصى المنصورُ عليه السلام . كما جاء أنّ جدّه جعفر بن محمد (صلع) أوصى به كذلك : لا يُناحُ عليه ، ولا يُبكى عليه ولا يُلطم عليه خدّ ولا يُشقّ عليه جَيْب ولا يُسَوّدُ عليه ثوبٌ (1) . وذلك تواضع لله منهما وإن كانت الرخصة / قد جاءت في النَّوْحِ والبُكَاء على الأئمّةِ ومن يكرُمُ عليهم لعِظم رُزْءِهِم وجليلِ مُصَابهم .

فقد جاء عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه سمع نساء الأنصار يبكين قتلى أحُد ، فقال: لكنّ حمزةَ بينهُم لا بواكيَ له (2) ، فبلغ ذلك نساءَ الأنصارِ فأتَيْن بأجمعِهِنّ إلى دار حمزة فجعلْنَ يندُبنَه ويبكين عليه ، فقال : ما هذا ؟ فأخبِر بما بلغَهُنّ عنه ، وأنّهُنّ لذلك فعَلْنَ ما فعَلْنَ ، فأثنَى عليهِنّ خيرا . فصارتْ إلى اليوم سنّةً بالمدينة : لا تندُبُ نادبةٌ ميّتَها حتّى تَندُبَ حمزَة عليه السلام قبلَه .

ونيح على الحسين صلوات الله عليه / سنة كلّ يوم (3) ، وثلاثَ سنينَ في اليوم الذي أصيب فيه ، فعَلَ ذلك نساءُ بني عبد المطّلب بحضرة عليّ بن الحسين صلوات الله عليه . وكان من بَقِيَ من الصحابة والتابعين يأتُون إلى مأتم النّساء فيستمعُون إليهنّ ويبكُونَ .

ونيح وبُكِيَ على المهديّ بالله عليه السلام مدّةً من أيّام القائم عليه السلام . وكثيرٌ منَ الأئمّة لم يُبْكَ ولا نيحَ عليهم .

وجاء النهي عن النَّوْح عن رسول الله صلّى الله عليه وآله . وعن الأئمّة من ذرّيتِه عليهم السلام ، بِقولٍ مجمَل يدلّ على أنّ النَّهْيَ إنّما جاء في ذلك اسائر

---

(1) هذا النص المهم في النهي عن البكاء والنوح عند وفاة الأئمة نقله ناشرا سيرة الاستاذ جوذر في التعليقات (ص 182 تعليق 108) . وقد أفاض في هذا الموضوع ماريوس كانار في ترجمته للسيرة (ص 151 تعليق 340) ، ذاكرا مراجع كثيرة سنية وشيعية منها القاضي النعمان نفسه في دعائم الاسلام (كتاب الجنائز باب التعازي والصبر وما رخص فيه من البكاء ، ص 230 ج 2) . وقد عاد النعمان إلى الموضوع في تأويل الدعائم ج 2 ، ص 44–45 ، وانظر : المجالس ص 534 وما بعدها .

(2) ابن ماجه 507/1 (رقم 1591) مع نهي عن البكاء في آخره . وابن حنبل 98/7 (رقم 4984) .

(3) أي كل يوم طيلة سنة ، ثم في يوم ذكرى مقتله (10 محرم) ثلاث سنوات . ومعلوم أن الحداد عند العرب لا يتجاوز العام ، قال لبيد : « ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر » .

النّاس ورُخّص فيه عليهم وعلى نُقبائهم ومن حلّ بمثل / محلّهم ومحلّ حمزة رضوان الله عليه منهم ، وأنّ ذلك ليس بفرضٍ واجبٍ ، لتركِ من تركه منهم ، ووصيّةِ من أوصى بتركه .

رمز بالحكمة وما يجب من ذلك :

39 — (قال) وسمعتُه صلوات الله عليه يوما رمَز بالحكمة رمزًا خفيًا في مجلس جلس فيه جماعة من أوليائه . ففهمتُ عنه (صلع) ما أشار إليه،ولم أرَ على من حضَر دليلاً من الفهم،وأحببْتُ أن لو قد فهموا ذلك . فذكرتُ ذلك له سرًّا في مجلس آخرَ، فقال : إنّا لو كشفْنا كلَّ شيءٍ لكم وأوضحْناه لسائركم لبَطَلَ التفضيل بينكم ، ولنَالَ الفضلَ مستحقّه وغيرُ مستحقّه . ولكنّا نريدُ أن يتصل الفضلُ / إلى مستحقّه ويمرَّ القولُ صفحا على سَمْعِ غيرِ المستحِقّ .

ثُمَّ ذَكَرَ بعضَ الدُّعاةِ فقال:أهلَكُوا بمثلِ هذا أممًا ممّن حمّلوه فوق حمله وأعطَوْه فوق استحقاقه ولم يتحفّظُوا مثل هذا التّحفُّظِ،ولو أنزلوا الناس على مراتبِهم وطبقاتهم واستحقاقهم،لسلِمُوا وسلِمَ النّاسُ من سوء فعلهم (1) .

حديث في فضل المنصور صلوات الله عليه :

40 — (قال) وقلّبت يوما وأنا بين يديه صلوات الله عليه كتبا ، وتصفّح كتابا منها فأدام النظر فيه، ثمّ استعبر وقد نظر إلى شيء في عرض الكتاب،ثمّ قال عليه السلام : نظرت في هذا الكتاب،وهو بخطّ المنصور عليه السلام / فرأيته قصّر فيه وحال عن جودة خطّه المعروف، فلم أدرِ لِمَ كان ذلك ، حتّى رأيتُ هذا البيت في عرضه ، وهو بيت تمثّل به صلوات الله عليه . وهو قول لبيد (طويل):

بَلِينَا وَمَا تَبْلَى النُّجُومُ الطَّوَالِعُ وَتبقى الجبالُ بعدنَا وَالمَصَانِعُ (2)

ثمّ قال المعزّ عليه السلام : هذا النعي الذي نعى به نفسه عليه السلام أحالَ خطّهُ ، وأظُنُّ ذلك كان في علّته . ثم قال : وإلى هذا والله المصيرُ .

(1) في وجوب كتمان العلم على غير المستعدين لحمله يقول ابن هانيء شاعر المعز (القصيدة 47 من طبعة زاهد علي ، البيت 177) :

« إذا كانت الألباب يقصر شأوها فظلم لسر الله إن لم يكتم »

(2) مطلع مرثية لبيد لأخيه أربد . انظره في الديوان ص 88 طبعة صادر 1966 .

حديث فيما ينكره الجهّال :

41 — (قال) وسمعته عليه السلام يقول: والله مانقَم الناس منّا إلاّ أنّا وحّدنا الله عزّ وجلّ حقّ توحيده (1) ونفيْنا عنه سبحانه ما لا يليقُ به / .

حديث في سوء التوجيه والكذب على أولياء الله :

42 — (قال) وسمعته (صلع) ذكر بعض الدعاة فلعنه ، وقال : أباح المحارمَ وقال لبعض من قبِل (2) عنه : إنّ تركَ المعاصي سوءُ ظنّ بالله عزّ وجلّ أنّه لا يغفِر الذنوبَ . ثم قال المعزّ عليه السلام: أفَأبْقِي هؤلاءِ الفسقَةَ في الشناعة علينا والصدّ عنّا وهم يقولون مثلَ هذا القول القبيح ، وينسبون أنفسَهم إلينا ؟ ونحن نبرأ إلى الله عزّ وجلّ من هؤلاء ونتقرّب إليه بلَعنهم والبراءة منهم .

قول فيه تقريع وحضّ على الخير :

43 — (قال) وسمعته عليه السلام يقول لقوم طلبوا إليه نَيْلَ رحمة الله على يديه وألحّوا في ذلك عليه ، فقال عليه السلام لهم قولا أبان فيه / تخلّفَهم عن درجة ما طلبوه فقالوا : يتفضّلُ علينا مولانا بالعفو ويتلافانا بالرّحمة .

فقال : أرأيتُمْ لو أنّ سارقًا سرق مالا من أموالكم فاطّلعتُم بذلك عليه فصفَحْتُم وغفَرْتُم عَنْه ، أكان ينبغي لكم أن تأتوني به فتُرَشّحُوه عندي لأمانةٍ فآمَنُه عليها ؟

---

(1) مسألة التوحيد من أهم المبادىء الاسماعيلية ، وقد يشبه قولهم فيها ما ذهب إليه المعتزلة ولا يكاد يخلو كتاب من ذكر التوحيد بل إن التوحيد أول مسألة يفتتح بها كل كتاب .
ورأي الاسماعيلية في هذه المسألة معقد . فعندهم أن الله لا ينال بصفة من الصفات ، وانه ليس بجسم ولا في جسم ، ولا يعقل ذاته عاقل ولا يحس به محس وليس بصورة ولا مادة ولا معه فيما هو هو ما يجري منه مجرى مادة يفعل فيها ، وليس له ضد ولا مثل ولا يوجد في اللغات ما يمكن الاعراب عنه بما يليق به . وان اصدق قول في التوحيد والتنزيه والتجريد ما يكون من قبيل نفي الصفات الموجودة في الموجودات وسلبها عنه ، وهذا تصديق لقوله تعالى : « ليس كمثله شيء » . أما الاسماء التي وردت في القرآن فهم يطلقونها على أول موجود وهو المسمى عندهم بالمبدع الأول والسابق والقلم ، وهو العقل الكلي ، وفي ذلك يقول المؤيد : « إن ألفاظ القرآن وردت في توحيد الله وتكبيره وتمجيده على صفات تحتمل المشاركة فيها والمضادة، من قول القائل: إنه حي وعالم وقادر وسميع وبصير . وهذه النعوت كلها نعوت خلق الله الذي خلقه ، ولا يستحق أن تكون نعتا له سبحانه لأنا إذا قلنا إنه حي أوجبنا مشاركة الأحياء له في الحياة ، وهذه شركة له ، ثم ان ضد الحياة هو الموت وذلك مضادة ، وعلى هذه السبيل مجرى النعوت التي أوردناها،من العالم والقادر . فالدائن بذلك مشرك الشرك الخفي » . (المجالس المؤيدية ، المجلس 79 من المائة الرابعة) .
انظر هذه المسألة مفصلة في كتاب راحة العقل للكرماني : السور الثاني ص 37–56 . والينابيع للسجستاني ص 15 وما بعدها . والمجالس المؤيدية الرابعة م 79 و ما بعده .

(2) كذا بالأصل ، وهي قراءة صالحة . وقد تكون : نقل عنه .

قالوا : لا .

قال : فكذلك مَن علمتُ أنا منه ما أكرَه ـ لم ينبغِ لي إنْ عفوتُ عنه أن نُورِدَه على الله عزّ وجلّ حتّى نرى أنّه يستحقّ ذلك . فحسِّنوا أحوالكم ، وزكّوا أنفسَكُم بأعمالكم ، وطهّروها من الدّنَس ، وأطْلِقوها عن اللّبس ، تستحقّوا ما تَسألُون إن شاء الله تعالى .

حديث في الشفاعة :

44 — (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوما يوصي جماعة/ من أوليائه في بعض مجالسه لهم ويُعَاتبُهم على التقصير بأنفسهم عمّا يَستَحق به شرفُ الدين . ثمّ إنّه عليه السلام قال لهم بعقب ذلك : إنّما نحبُّ لكم أن تنزلوا منازلَ الكرامة بأعمالكُمُ الزكيّةِ وأفعالِكُمُ الرضيّةِ . فأمّا استنقاذُكم من الهَلَكَة ما اعتقدتم ولايتَنَا . فنحن لكم لذلك إن شاء الله تعالى . سمعت المنصور بالله (صلع) يقول : إذا لَمْ أدخِلْ يدي ها هنا — وأومأ إلى إبطه — في خلاص من ظَلَم نفسَه ممّن تولاّني ، فبماذا أستحقُّ الفضلَ ؟

وهـذا يشبه قول جعفـر الصـادق صلوات الله عليه لبعض أوليـائـه : أعينُونَا على ما نُريده من الخير لكم بالأعمال الصّالحة ! واللّهِ إنّكُم / كلّكم لفي الجنّة ولكن ما أقبحَ بالرّجل منكم أن يكونَ فيها مع قومٍ نزلُوها بصالح أعمالِهم ، وهو فيها بينهم مكشوفُ السّترِ بادي العَوْرَةِ بما سلف من زَلاّته ، معروفٌ بذلك ، وإن غُفِرَتْ لَهُ .

حديث في قلّة الثقات :

45 — (قال) وسمعته عليه السلام يوما يقول : لو وجدتُ عشَرة على ما أحبّ ، لبلغتُ بهم ما أريد .

فقلت : أفلَمْ يعلَمْ أمير المؤمنين عليه السلام أنّ ذلك لم يكمل لرسول الله (صلع) ولا لوصيّهِ عليّ (صلع) ، ولا وَجَدَاهُ ؟

فقال : هو كذلك ، ولكنّـي رجوت أن أبلغ من ذلك ما لم يبلغاه وأجدَ ما لم يجداه ، لأنّ الله عزّ وجلّ بحمده قد مكّنني وجمع عندي / من الدنيا والآخرة ما لم يجمعه لمن تقدّم من سَلَفِـي .

قلت : يبلّغُ الله مولانا أمَلَه وسُؤْلَه إن شاء الله تعالى .

قال : ما شاء الله تعالى .

رمز في مثلـه :

46 — (قال) وسمعته صلوات الله عليـه يقول : اليتيم من لا وصيّ له ، فأمّا إذا كان له وصيٌّ فهو يقوم مقامَ الأب وليس يقال له حينئذ يتيم .

وهذا فيه رمـز يفهمـه من مُنِحَ الفهـم . فأمّا ظاهـر قـول الله عـزّ وجلّ « وَابْتَلُوا اليَتَامَى حَتَّى إذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ الآية (1) » فإنّهُ يقعُ على مـن عليه وصيّ وعلى من ليس له وصيّ ، ممّنْ مات أبـوه وخلّفه طفْلاً .

رمز أيضا في مجلس :

47 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول : سمعت المنصور صلـوات / الله عليه يقول : حضرت مائدة المهديّ عليه السلام ، ومعي من وَلَده وولدِ ولَدِه من ولَدِه (2) القائمِ أبي ـ صبيانٌ جماعة ،وجاريةٌ واقفة بالماء على المائدة . فقالت لأحدِهِم : أتريدُ الماء ؟

قال : لا .

فغضب المهديّ (صلع) لذلك غضبا شديدا ، وقال : لولا حرمةُ الطعام لعاقبتُكُم جميعًا عقوبـةً شديـدة ! وقال للجاريـة : ما حملك عـلى أن تَعرِضِي الماء عليه ولم يَسْتَسْقِك ؟ وقال للصبيّ : وما عليك أن تشربَ شيئا وإن لم يكن لك حاجةٌ ؟ الماء أكرَمُ وأشرَفُ من أن يُعرض على من لم يسألْه وأن يعرَضَ على أحدٍ فيَرُدَّه .

---

(1) النســاء ، 6 .

(2) في تكرار عبارة « ولده » غموض . ونفهم أن الصبيان فيهم أولاد المهدي وأحفاده من ابنه القائم دون أن يكونوا أشقاء للمنصور .

قال المنصور بالله / عليه السلام : فلم أعلَمْ معنى ذلك يومئذ لمَا كنت عليه من الحداثة وصِغَرِ السّنّ .

وهذا أيضا فيه رمز أولياء اللّهِ ، فظاهره قائم بنفسه قويّ الدّلالة .

كلام في فضل المؤمن :

48 — (قال) وسمعت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يذكر فضل المسجدِ وما ينبغي من توقيره ، وذلك بعقِب كلامٍ عن رجلٍ ذكر له أنّه كان فيما مضى من الزمان دَخَلَ المسجدَ راكبًا على دابّته ، فقبّح فعلَه واستعظَمَ ما جاء منه وذكر ما ينبغي من تعظيم المسجد وفضله . ثمّ قال : والمؤمنُ أفضلُ منه وأشرفُ حالا .

وهذا يشبه قول جدّه محمد رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا نظر إلى الكعبة/ البيت الحرام فقال : واللّهِ إنّكِ لعظيمة عندَ الله وإنّي لأعْلَمُ من هو أعظم منك عندَه . فقيل : ومن ذلك يا رسول الله ؟ قال : المؤمنُ ، لأنّ اللهَ عزّ وجلّ حرّم مالَه وعِرضَه وأن يُظَنّ به سُوءٌ (1) .

وصيّة موجزة :

49 — (قال) وسألَه صلّى الله عليه وآله بعْض الأولياء فقال : يا مولانا ، علِّمْنا عمَلا يكون لنا به الفَوْزُ عندَ الله وعندك .

فقال عليه السلام : والله ما بذلك من خفاء لنظر أحدكم : ما أحبّه واستحسنه لنفسه ولوَلَده ، فلْيفعَله لنا ، فبذلك يفوز عند الله عزّ وجلّ وعندَنا .

حديث في فضل الأئمّة صلوات الله عليهم جرى في مجلس :

50 — (قال) وسمعتُه صلوات اللّه عليه / وآله يقول : من سعِد منكم فإنّما سَعِدَ بنا .

---

(1) ابن ماجه ، 1297/2 (رقم 3932) .

وهذا قول موجز يقتضي كلاما كثيرا :

منه أنّ السعادةَ من الله عزّ وجلّ لعباده إنّما أجراها على أيدي أوليائه ، فبهم سعِد من سعِد .

ومنه أنّ السعادة لا تكون إلاّ لمَن عرفَهُم ودان بإمامَتِهم فلولاهم لم يسعَد السعيدُ .

ومنها أنّ من سعِد فإنّما سعد بما أنالوه . ويتصرّفُ ذلك كذلك على وجوه كثيرة .

حديث في مجلس ، فيه أدب ووصيّة :

51 — (قال) وحضرتُ يوما مجلسَه صلوات الله عليه،وعنده جماعة من وجوه الأولياء ، فذُكِر لأحدِهم سعايةٌ سَعَى به فيها إلى المنصور صلوات الله عليه بعض رجاله ممّن كان يختلف / إلى محلّه ويغشَى مجلسَه كاد أن يَحِلّ به فيها المكروهَ ، وذكر قولَ الذي سعى به ومَا نُسِب منه إليه . فحلَف الرجلُ بالله وبما أكّد اليمينَ به ما كان كما قال القائل ، ووصف القصّةَ والكلامَ كيف كان ، وكيف حرّفَ الساعي به القولَ عليه . فقال بعضُ من حضر من الأولياء : يستحقّ هذا وأكثرَ منه . وهذا جزاء من ترك قصر مولاه وعمّر مجالسَ الناس وسعى إليهم واختلفَ إلى أبوابهم .

فقال المعزّ عليه السلام : نعَم ، هذا جزاؤه وأشرّ (1) منه ، واللّهِ ما أحوجنَاكم إلى غيرِنا ولا جعَلْنا عليكم يداً غير أيدِينا ولا اضْطَرَرْنَاكُم إلى اتّخاذِ وليجة (2) دونَنا وما / أرَدْنا بذلك إلاّ إعزازَكم وإكرَامَكم ، ولِئَلاّ ينالَ مثلُ هذا منكم ، فأبَيْتُم إلاّ وضعَ أنفسكم وانتقاصها . فمَن رغِب عمّا ارتضَيْنَاه له واختار خلافَه لنفسه فلم يُسلَمْ في مكروه ، إن نزل به من أجل ذلك غيّره . قد كفاكمُ الله عندنا ما كان يتوقّعُه من مضى قبلَكُم عند غيرِنا من أذَى قريب أو بعيدٍ . واللّهِ مَا يضرُّ أحَداً عندنا إلاّ نفسُه ولا يضعُه إلاّ ذنبُه ولا يرفعُه إلاّ عملُه. تحرّوْا رضانا

(1) كذا في الأصل .

(2) الوليجة : البطانة وخاصة الخلطاء .

ولا تبالُوا من يسخَط : فواللّه ما يرضينا إلاّ ما يرضي اللهَ عنكم ولا ترَوْنَ أحدا ينفعُكُم ولا يضرُّكم غيرنا ، لا يرجو أحدٌ منكم غيرَ فضلنا عندَنا بحُسنِ نيّتِه وعمَلِه ولا يخافُ إلاّ ما جناه / على نفسه .

وهذا القول يشبه قولَ جدّه عليّ عليه السلام : أربعةٌ لو شُدَّتِ المطايا إليْهِنّ حتّى يُنْضَيْنَ كان قليلا : لاَ يخاف أحدٌ إلاّ ذنبَه ، ولا يرجو إلاّ ربَّه ، ولا يستحيِي الجاهل أن يتعلّم ولا العالِم إذا سئل عمّا لا يعلَم أن يقول: لا أعلمُ (1) .

(1) نهج البلاغة ج 2 ص 324 عدد 79 ، مع اختلاف في المتن .

الجزء الرّابـــع

[بسم الله الرحمان الرحيم]

حديث جرى في مجلس في ذكر رؤيا رآها المنصور صلوات الله عليه :

52 — قال القاضي النعمان : كنت جالسا بين يدي المعزّ صلوات الله عليه ، فذكر أمر الفتنة وما كان من عظيم المحنة فيها ، وما حلّ بالناس في ذلك وما كشفه الله عنهم جل وعزّ بالمنصور (صلع) من ذلك واستنقذَهم / على يديه منه . فقال عليه السلام : لقد أخبرَنا المنصور عليه السلام قبل ذلك برؤيا رآها ما غادرَتْ شيئا كان في ذلك . قال : رأيتُ آتيًا أتاني وفي يده ورَق كبير فنشَرَهُ بين يديَّ وقال لي : انظر إلى هذا ، فنظرتُ ، فإذا فيه دوائرُ كثيرةٌ ، فقلت : قد رأيتُ هذه الدوائرَ فما هي ؟ قال: هذه مملكَتُكُمْ . فجعلتُ أنظرُ إليها ، فإنّي لأنظرُ كذلك إذ نظرتُ إلى سوادٍ غشِيَ بعضَها وجعل يمتدُّ فيها ذلك السوادُ ويَغْشَى منها شيئا بعد شيء حتّى ستَرَهَا كلَّها غيرَ واحدة كانت أقرَبَهُنَّ إليَّ ، فارتعَبْتُ لذلك وقلت : إذا كانت هذه مملكتنا وقد غشيها هذا / السواد فما ذلك لخير . فقال لي ذلك الرجل : ضع أصْبَعَكَ على ما غشَّاهُ هذا السوادُ منها أوّلا فأوّلاً ، ففعلتُ ، فما وضعتُ أصْبَعِي على شيء منها إلاّ انجلى عنه ذلك السوادُ وعادت على حسَب ما كانت ، حتّى أتيتُ عليها كلّها ، وذهب ذلك السواد عن جميعها . ثمّ انتَبَهْتُ .

(قال) فكذلك كان الأمر : لم يطأ المنصور عليه السلام أرضًا في طلب اللعين مخلد (1) وأصحابه إلاّ أخرجَهُم منها فلم يعودُوا بعد ذلك إليها ، ثمّ أمكن الله من الفاسق وطهّر الأرضَ من رجسه .

حديث في مجلس في ذكر ذي الفقار سيفِ رسول الله صلّى الله عليه وآله :

53 — (قال) وجلست / يوما بين يديه مع جماعة من أوليائه فتذاكر ذا الفقار سيفَ رسول الله (صلع) ثم أمر بإخراجه إلينا، فنظرتُ إليه فإذا هو حديدٌ كلُّه قطعةٌ واحدة، قائمُه وبدَنُه ، يكون طوله قدْرَ ثلاثة أشبارٍ فيما قدّرتُه، وعُرضُه أقلّ من عُرض ثلاثة أصابعَ، وعُرضُه ممّا يلي قائمتَه أقلُّ قليلا من عُرض مضربه ، وذُبابُه حديدٌ كحديد الرُّمح ، يصلُح للضرب والطّعن ، وله شفرتان ، وفي وسطه عَمُودٌ ، وخَفِيَ (2) .

قال المعزّ عليه السلام : كان بنو العباس قد غلبونا عليه فردّه اللهُ إلينا ، وذلك أنّه لمّا قُتل جعفر المُتَسَمِّي بالمقتدر (3) وانتُهب قصره ، كان فيمن شهد ذلك بعضُ أوليائنا ، / فنظرَ إلى امرأةٍ من حرَم جعفر وقد كُشِفَت وهي تقول : ألا رجلٌ حرٌّ يستُرُني حتّى يوصِلَنِي إلى مكان كذا وكذا ؟ فرقَّ لها ذلك الرجل وستَرها، وقال لها : سيري بين يديَّ أبلّغْكِ ، فقالت : واللهِ ما عندي ما أجْزيكَ به ، ولكن ادخلْ هذا البيتَ ، ففيه صندوق — وأرَتْهُ مكانَه — فيه ذو الفقار سيف رسول الله صلّى الله عليه وآله . فأخذَه ومضى بها إلى حيث سألَتْه . وأصاره الله إلينا بحمده ونعمته .

ثمّ قال المعزّ عليه السلام : سمعت المنصور عليه السلام وقدّسَ روحَه يقول ، وكان قد تقلّده عند خروجه لقتال مخلد اللعين ، ولم يكُن يفارقُه : ماضاق / عليّ أمرٌ في موقفٍ من مواقفِ القتال فانتضيْتُه إلاّ انهزَم العدوُّ من بين يديّ حين انتضيتُه. فقال جماعة ممّن حضرَ المجلس ممّن كان شهد مع المنصور عليه السلام : والله

(1) أبو يزيد صاحب الحمار مخلد بن كيداد .

(2) أي : وقد خفي . ولعله يعني : انطمس هذا العمود بطول الاستعمال .

(3) المقتدر هو الثاني عشر من خلفاء بني العباس ، قتل سنة 908/295 .

لقد رأيناه يوم الخصوص (1) وكان يوما شديدا، وقد أخذ العدوُّ علينا مضايِقَ الجبال / التي / أحاطت بنا وأحدَقُوا بنا من كلّ جانب، وهو بيننا صلّى الله عليه وآله يقدُمنا وهذا السيفُ في يده قد انتضاه، فإذا رفع يدَه به وحمل على ناحيةٍ من نواحي العدوّ انهزموا بين يديه كأنّما غشيتْهم صاعقةٌ من السماء، ولم يصل إليهم حتّى فرّجها (2) .

حديث في مجلس في لعن بني أميّة :

54 — (قال) وسمعته / صلوات الله عليه يقول : ذكر لي هذا الرسول القادمُ من بني أميّة يسأل السلم في بعض ما ذكر عن عبد الرحمان اللّعين (3) أنّه قال يَعنينا : كيف جاز له أن يلعَنَنَا ونحنُ مسلمون ؟ فإنْ كان آباؤنا قد لعنَهُم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله كما قال ، فما ذنبُنَا نحنُ ؟ وما الذي أوجبَ لَعْنَنَا ؟

---

(1) يوم الخصوص : اسم وقعة من وقائع الفتنة في آخر أيامها ، ولم يذكر عند المؤرخين بهذا الاسم . وقد دارت في جبال كيانة شمالي الزاب حيث اعتصم أبو يزيد في آخر أيامه ، يقول ابن حماد :

«ورحل وراءه المنصور إسماعيل يوم الجمعة غرة رمضان سنة 335هـ فنزل بموضع يعرف بالناظور – وهو موضع معروف باروسن من جنات القلعة – محاصرا لأبي يزيد ، ثم صعد يوم السبت الثاني من رمضان إلى جبل كيانه وصعد في وعر بين صخور ومشى فيها راجلا في أماكن كثيرة ، فكانت بينه وبين أبي يزيد وقعة عظيمة تعرف بوقعة الحريق ، وأحرق فيها إسماعيل أخصاصا كثيرة لأصحاب أبي يزيد» (أخبار ملوك بني عبيد ، 31 – والترجمة الفرنسية 51 الحاشية 1 ففيها محاولة لتعريف الموقع) .

ويقول المقريزي في ك. المقفى ورقة 192ظ :

«... ورحل المنصور من المسيلة في يوم الجمعة غرة شهر رمضان (سنة 335) حتى نزل على ستة أميال من أبي يزيد ، وركب في يوم السبت بعساكره فسلك طريقا صعبة في جبال شامخة وأودية ضيقة وترجل عن دابته في بعض تلك الأوعار ومشى راجلا نحو ثلاثمائة خطوة ، ثم ركب وسار حتى أشرف على أخبية أبي يزيد وخصوصه، وهو يرتب الناس للقتال في ذلك الوعر ، ويأمرهم بتقوى الله والامضاء على أعداء الله وينهاهم عن النهب .

وانتشب القتال فكانت بينهم حرب شديدة ، وقصد المنصور أبا يزيد بنفسه فلما رآه ولى منهزما على عادته ، وأسلم أخبيته وخصوصه ، فأمر المنصور بالقاء النار فيها ...»

ويذكر الحميري في الروض المعطار ، ص 504، أن جبل كيانة بمقربة من المسيلة في البلاد الافريقية ، وهي جبال شاهقة ضيقة المسالك لا يستطاع الوصول إلى من فيها .

والخص بالضم جمع أخصاص وخصوص : البيت من القصب أو الشجر .

(2) للسيف ذي الفقار شأن كبير عند الشيعة ، حتى انهم كانوا ينشدون في القتال :

«لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»

وربما نقشوا هذا البيت على حديد السيوف تيمنا بسيف الرسول (صلع) . هذا وقد أشاد ابن هانىء كثيرا بهذا السيف (القصيدة 41 بيت 74) :

«سماه جدك ذا الفقار وإنما سماه من عاديت ، عزرائيلا»

ونستشف شيئا من «كرامة» ذي الفقار في هذا العرض لاحدى الوقائع التي دارت بين المنصور وأبي يزيد حول القيروان سنة 335 :

«... فاقبل أبو يزيد في جماعة يريد المنصور ، فحمل عليهم المنصور مشهرا سيفه ذا الفقار، وأراد الصقلبي أن يلقي المظلة عن رأسه ليخفي موضعه ، فزجره ونهره وقال : لا تجزع ، فإن لله وعدا لا يخلفه . وأقبل نحو أبي يزيد حتى كاد أن يضع سيفه في رأسه . وألقى الله الرعب في قلب أبي يزيد فولى هاربا مع أصحابه ...» (المقريزي : ك. المقفى و190 ب) .

(3) يعني عبد الرحمان الناصر .

ثمّ قال المعزّ صلوات الله عليه : أفسمعتُم أجهلَ من هذا الشقيّ ؟ كأنّه لم يسمع قول الله عزّ وجلّ : « أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (1) » وهو أحدُهم ؟ وقوله : « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ (2) » . وهو يتولّى — لا يدفَعُ ذلك — جدَّيْه طريدَيْ رسول الله (صلع) ولَعِينَيْه (3) ، وقول الله عزّ وجلّ : «وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ (4)»، و[قول] أئمّته في الدين الذين يَروي عنهُم ويأخُذُ / بقَوْلِهِم أنّ الشجرة ههنا بنو أميّة ، والشجرة لا يقع عليها اسم شجرة إلاّ مع أغصانها وفروعها ولا يسمّى الأصل وحدَه شجرةً . وقول عليّ بن أبي طالب (صلع) يشدّ هذا القول، ولم يقله إلاّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، أنّه قال : مَا مِنْ قوم إلاّ وفيهم نجيب أو ناج خلا بني أميّة فإنّه لا يكون منهم نجيب ولا ناج (5) .

55 — (قال) وجلس يوما عليه السلام وجلسنا جماعة من الأولياء بين يديه ، فحدّثَنا وأفادَنا فوائدَ من العلم والحكمة شكَرْنا له عليها وقبّلْنا الأرضَ بينَ يديه لمّا سَمِعْنَاها منه .

فقال : إنّي لأحبُّ أن تراجعُوني فيما تسمعُون ، وتذكرون من ذلك ما تشكّون فيه / ويشكل عليكم فأوضّحُه لكم، ولا تأخذ/وا/ ذلكَ على التسليم وتتلقّوْه بالقَبُول، وأنتم ترَوْنَ أنّه يدخل فيه لقائلٍ مقالٌ ، أو يختلِجُ في قلوبكم منه شيءٌ ، فإنّ ذلك إذا راجعتمُونَا فيه أبنّاهُ وزِدْنَاكُم من القول قَدْرَ مَا/ فيه . فمن عرَض له ذلك فليذكُر ما عرض له، ولا يُقِمْ على الشُّبهة فإنّما نسمَحُ لأوليائنا بالمزيد من فضل الله عندنا ونرغبُ في ذهاب الشكوك عنهم وإزالةِ الشبُهات عن قلوبهم . ومن ثبَتَ ذلك في قلبه وقَبِلتْه نفسُه فليحمَدِ اللهَ عليه ، ثمّ إن أحبَّ أن يسألَ عن الحُجّة في ذلك على من خالفَه ليقْهَرَ بها خصمَه ويقطعَ بها مخالِفَه ويدفعَ بها عدُوَّه / ، فَلْيَفْعَلْ يَجِدْ عندنا من ذلك ما يريدُهُ . قال الله عزّ وجلّ : « بَلْ نَقْذِفُ

(1) هود ، 18 .

(2) المائدة ، 51 .

(3) اللعينان — واللعن هو الطرد — هما الطريدان اللذان نفاهما الرسول (صلع) عن المدينة : الحكم بن أبي العاص وابنه مروان بن الحكم ، جد بني مروان . وسيعود القاضي النعمان إلى اللعينين في ص 285 .

(4) الاسراء ، 60 .

(5) حديث بني أمية : لم تذكره المصادر الستة ، ولعله حكم من علي كما تشعر به عبارة النعمان.

بِالحَقِّ عَلَى البَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ (1) » . واللهِ ما لِمَنْ خالَفَنَا غيرُ الويل في خلافه إيَّانا !

ثمَّ قال : لقد كان المنصور عليه السلام إذا أفادني شيئا من العلم والحكمة قال لي : قل في هذا ما يعرض لك أنّه يدخُل فيه . فربّما قلتُ : ما عرضَ لي فيه شيء ، فيقول : فاسألْ عمّا أشكَلَ عليك منه ، فلا يكونُ عندي فيه إشكال ، فأقول : ما أشكَلَ عليَّ منه شيء . فيقول : قل فيه بما عسى أن ترى أنَّ عدُوَّنا ومخالفَنا يقول ، فإنّ العلمَ والحكمةَ لا يثبُتان في القلوب إلاّ بعدَ الحُجّة والمعارضَة / . فربّما قلتُ في ذلك فيتفجّرُ عليَّ منه من بحورِ العلم والحكمةِ ما لم أكُن أؤمِّلُه ويزيدُني من الفوائد ما لم أكن أرجُوه ويظهرُ لي في ذلك ما لم أكن أظُنُّه . فهكذا فافعَلوا تأخذُوا الحكَم وتكثُرِ الفوائدُ عندكم !

56 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يعدّد نِعَم الله عزّ وجلّ عليه ويستقلُّ شكرَه عليها ، فقال في بعضِ ما قاله من ذلك : والله لو عبَدَ اللهَ امرؤٌ عُمُرَ الدنيا رَاكعًا وساجدا لا يفترُ ،وذاكرا صائما لا يُفطِر ، ليقضيَ بذلك حقَّ شكرِ شربةِ ماءٍ سقاه الله عزّ وجلّ إيّاهُ ،ما قضَى ذلك ولا أقلَّ منه ممّا أنعَمَ به عليه . وكيف يقضي ذلك ببذل النفس / المشكور بذلُها ، خلقَها فسوّاها ، أو ببذل نعمةٍ هو أفادها وأعطاها ، أو بطاعةٍ وعبادةٍ هو هدى إليها وأولاها وأيّدها وقوّى عليْهَا وسدَّدَ وفتحَ فيها ؟ وكيفَ يشكر من خلق فسوّى ،وبصّرَ فهدى ،وأنعَمَ وأعطى ،وعُصِيَ فعفا ، ومنَّ من المِنَن بما لا يحصى ، ولا تبلغ نهايتُه فتُستَقصَى ؟ اللهمّ إنّي بالعجز أبوءُ إليك ، وبالتقصير أعترف عِنْدك عن بلوغ شيء من شكرك .

57 — (قال) وأمرني صلوات الله عليه وأدام عُلُوَّ أمرِه بجمع أخبار الدولة في كتاب (2) ، ومناقب بني هاشم ومثالب بني عبد شمس في كتاب (3) ، ففعلتُ وجمعتُ من كلّ فنّ من هذين الفنَّيْن كتابا / ضخما جامعا يجتمِعُ على أجزاء كثيرة على ما رتّبه لي وأفادَنيه (4) عليه السلام، ورفعتُهُمَا إليه فاستحسنهما وارتضاهما

---

(1) الانبياء ، 18 .

(2) لعله كتاب « افتتاح الدعوة وابتداء الدولة » أو ك. « شرح الأخبار عن الأئمة الأطهار» (رقم 78 من ثبت إيڤانوف) .

(3) ثبت إيڤانوف تحت عدد 77 بعنوان : ك. المناقب والمثالب ، أو مناقب بني هاشم ومثالب بني أمية .

(4) يدل هذا النص وغيره في هذا الكتاب أن المعز هو الذي يشير على النعمان بمادة كتبه وطريقة تبويبها

واستجاد معناهما وقال عليه السلام : أمّا أخبار الدولة ومن قام فيها وسعى في إقامتها من الدعاة والمؤمنين ، فإنّي أحبُّ أن تُخلّد أخبارهم هكذا في الباقين ، ويبقى ذكرُهم بالخبر في الغابرين ، ويلحقهم فيه دعاءُ السامعين ، ويُعرَف ذلك لأعقابهم من بعدهم ممّا أعدّه الله عزّ وجلّ لهم من الكرامة في دار المُقام ؛ وهذا ممّا يجب علينا لهم من الحفظ والحقّ إذ لم يلحقونا فَنُؤَدّي ذلك إليهم .

وأمّا فضل الآباء ومناقبهم ،وضَعَةُ الأعداء / ومثالبُهم ،فإنّ ذلك ممّا ينبغي أن يَعْرِفَهُ الأبناءُ والذُّرِّيَّةُ والأوْلياءُ ،ويُبْكَتَ به المخالِفون والأعداءُ ، ويُنْشَرَ في الأنام ويبقى على الأيّام ، وإن كانَ فضلُ أهل الفضل وضَعَةُ أهلِ الضَّعة معروفيْن غيرَ مجهولَيْن وظاهرَيْن غيرَ مستُورَيْن ، فقد ألقَوْا كثيرا من الشُّبُهات واحتالُوا بصنوف من الاحتيالات ،وهم في ذلك كما قال الله عزّ وجلّ : « يُرِيدُونَ ليُطفِئُوا نُورَ اللّهِ بِأفْوَاهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ (1) » .

58 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول : والله إنّا لَنُحِبّ من الخير للناس كافّةً ما عسى أنّهم لا يحبّونه لأنفسهم ، إنّا والله ما نُريدُ لهم إلاّ سعادتَهم ورضاءَ رَبِّهم عنهم فإنّ الهوى / ليَميلُ بهم إلى خلاف ذلك ،وإنّا لندعوهم إلى الله وإن صدُّوا عن السبيل ، ونقوّمُهم وإن آثرُوا المَيْلَ ، ولو أطاعونا لأكَلُوا من فَوْقِهم ومن تحتِ أرجلهم ولبَلَغُوا رضاءَ ربّهم . والله ما رغب عنّا من رغب بنفسه إلاّ استنكافًا عن أن نهديَه ، كأن لم يسمَعُوا قول الله عزّ وجلّ لمحمد صلّى الله عليه وآله : « إنّمَا أنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (2) » . فنحن والله هُدَاتُهُم ، في كلّ عصرٍ منّا هادٍ لمن كان في عصره منهم ، والله /نحن/ أعلامُ الحقّ ونحن هداةُ الخَلْق « فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ (3) » . إنّما أراد القوم أن يكونوا أئمّةَ أنفسهم وألاّ تكون لهم واسطةٌ فيما بينَهم / وبين ربِّهم . قال الله أصدقُ القائلين : « فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ؟ كَأنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ، بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ أنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (4) » .

---

(1) الصف ، 8 .
(2) الرعد ، 7 .
(3) الكهف ، 29 .
(4) المدثر ، 49—52 .

(قال) وسمعته صلوات الله عليه يثْني على بعض عبيده ويرتضي خدمتَه وأمانتَه ونصيحتَه وطريقتَه بما هو أهلُـه ، ثمّ قـال : /و/الله ما يفـوقُـه الولـدُ عنـدي حتى يبلغَ مبلغ التفضيل ، وما لمن أحسَنَ عندنا إلاّ هذا وما هو أكثرُ منه . .

59 — (قال) وسمعتُه عليه السلام وقد ذكر أيّامَ الفتنة وما نَقَمَهُ أهلُها فقال : أكثرُ ما نقَموا علينا والله فعلُ من / آثَرْناه بسُلطانِنا ورجَوْناه للقَبول عنّا ولزومِ أمرِنا ، فتعدّى ولم يتقبّل كما لم يقبّلْ خالدُ بن الوليد عن رسول الله صلّى الله عليه وآلـه فبرىء إلى الله منه (1) ، ولم يلحَقْهُ (صلع) ذمٌّ ما فعَلَه .

ولقد سمعت القائـم بأمـر الله (صلع) يقـول لرجالـه من كتامـة أيّام الفتنة : والله ما أعلم لي ذنبا يوجب قيام هؤلاء عليّ ولا ما نصّبوه لي من الحَرب ، والله ما نقَموا عليّ إلاّ ما نقَموه على بعضكم ممّن تعدّى أمري وارتكبَ نَهْيي بما أنا أولى بالنظر فيه منهُم وأرادوا منّي إسلام مُحْسنكـم ومُسيئكم إليهم وتحكيمَهم فيكم . ولو وجدوا / ذلك عندي — ومعاذَ الله أن يجدوه ! — لكانوا أطوعَ الناس لي . وإنّ أكثَر ما نقَموا عليكم لفيه رضاءُ الله عنكم . وإن كان في ذلك بعضُ الشرّ فلن يُذْهِبَ اللهُ خيركم بشرِّكُمْ ، بل أنتم أقرَبُ إلى عفوه عنكم وإظهارِكُم على عدوّكم ، وما هذه الفتنة إلا محنةٌ وتمحيصٌ لكم .

60 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول : إنّا لنحسن إلى الوليّ جهدَنا ونصفـحُ عن العـدوّ ما لم ينْصَبْ لحَرْبنا ، ونقتني الشريف والمشـروفَ ، ونعتـدُّ بالقـويّ وبالضعيـف ، فـربّمَـا عـاد العـدُوُّ لنا وليّا ، والضَّعيـفُ في نُصرتنـا قويّـا ، والوضيـع شريفـا ، والخائـن عفيفا ، ولـو عاجلنَاهُم بالعقوبة لما أدركنَاهُمْ عنـدَ الحاجة / ولكلّ في كلّ حـال موضعٌ يحتـاجُ إليـه فيـه بشدّه . إنّ السفينَةَ في البحر ربّما احتَاجَتْ إلى أدنى حاجةٍ صغيرةٍ فلا يوجد لها فتُعْطَبُ من أجل عجزِها عُدّتُها ، وإنّ الفرَسَ الجوادَ ليعدمُ أقلّ أداةٍ من أدواتِ ركوبه ، فلا يمكن ركوبُه ، وإنّ الجدار لا يقومُ بناؤُه إلاّ بالكبار من الحجارة والصغار ،ولكلّ امرىءِ من الناس، صغُر أو كبُر، شرُف أو اتّضَعَ، عندنا — إذا أخلص نيّتَه — موضعٌ نُصيّره إليه، ونرفعُه، إذا ارتَضَيْناه ، منه إلى غيره، حتّى

(1) إشارة إلى حادثة بني جذيمة ، فقد قتل منهم خالد « من لم يجز له قتله » فقال النبي (ص) : اللهم إنـي أبرأ لك مما صنع خالد . (أسد الغابة ج 2 ، عدد 2399) .

نُلحقه ، ما لم يضَعْ نفسَه ، بأعلى درجاتِ أمثالِه، ونوصلَه من الفضل ما لم يخطر قطّ بباله ، / وما يضع النّاسَ عندنا إلاّ أنفسُهم ، ولو أحسنوا إليها لرفعناهم كلَّهم .

كلام جرى في مجلس في ذمّ الاحتيال بالباطل :

61 – (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول : إنّي لربّما نظرتُ إلى بعضِ من يريد أن يستدير عليَّ بالحيلة فيما يرفَعُه إليّ ويقولُه لي ، فلا يَستَعْنِيني جوابُه فأسكُتُ عنه تعجُّبًا من سوء رأيه . إنَّه يرى أنّ الذي جاء به واستدار بسببه يجوز عليّ له فأعجب من مُصيبتِه في نفسه وسوءِ اختياره لها فيما يرضاها له و/د/قصدُ إليه . ولو آثر الناس عندنا الصدقَ وقصدوا قصدَ الحقّ لبلَغُوا ما يريدونه ولم يَضعُوا أنفسَهم عندنا بالحيَل / والاستدارات ويقيموها مقام الخسارات .

62 – (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول : إنّي لربّما أقول القولَ يرى بعضُ من يسمعه منّي أنّي أردتُ به الهزْل أو خلافَ ما أردت بذلك القوَل . وإنّما أخاطِبُ كثيرا ممّن أخاطِبُه استخبارا له ، واستخراجًا لما عِنْدَه ، وامتحانًا لأحواله ؛ وليس من قولنا ، بحمد الله ، هزل ولا لَغْوٌ ولا باطلٌ ولا عبثٌ ، بل كلّه حكمة وصوابٌ لمن تدبَّره ووفّقه الله لفهمه وقبوله .

كلام جرى في مجلس في اشتغال الأئمّة عليهم السلام في صلاح الأمّة :

63 – (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول : للناس شغل بدنياهم وما يتلذّذون به منها ، وشغلنا / إقامةُ أودِهم وصلاحُ أحوالهم والنظرُ فيما يعودُ عليهم ويحمي حِماهم ويدفع عن بَيْضَتِهم ، ويحقن دماءَهم ويحصّنُ حريمَهم وأموالَهم ويكُفُّ أيدِي المتطاولين إليهم : بذلك نقطع ليلَنا ونهارَنا ، وهم عن ذلك بمعزِل ، ومنه في غفلةٍ بما هم فيه متشاغلون . فمتى أردنا منهم أمرا لا بدّ لنا منه رفعُوا رؤوسَهم كما ترفَعُ الغنمُ رؤوسَها عند زجرة الراعي من مرعاها ، وتكلّمَ المتكلّمُ منهم بما لا يَعنيه ، وأنكرَ الجاهلُ منهم بما لا يدريه . فالله المستعانُ على ما قلّدَناه من أمورهم وافترضَه علينا من القيام بأسبابهم ، ونرغَبُ إليه في إصلاحهم وهدايتِهم إلى ما فيه حظُّهم ونجاتُهم في دنياهم / وأخرَاهم .

كلام جرى في مجلس في الانتفاع بالوعظ :

64 — (وقال) وجلست يوما بين يدي الإمام المعزّ لدين آلله صلوات الله عليه،وكان يومَ الجمعة وقد تهيّأ للخروج ليصلّيَ بالناس،وقرُب الوقت فقيل له : إنّ المسجد قد غَصّ بالناس وما حولَه واحتفلُوا احتفالا عظيما،فقال : ما كان أحسنَ ذلك لو كان عن نيّة صادقة وضمائرَ خالصة وقَبول للمواعظ وعملٍ بما يُؤمرون ! ولكنّ أكثرَهم إنّما يحضر ليرَانا ويسمعَ ما نقول، ثمّ لا يعبَأ بذلك ولا ينتفعُ به ، واللهِ لولا إقامةُ الفرض وإحياءُ ما دَثَر من السُّنَنِ ما خرجتُ إليهم ولا خطبتُ عليهم .

قلت / : وفي نظرهم إلى أمير المؤمنين صلوات الله عليه واستماعِهم فضل، وثوابٌ لهم يكون أمير المؤمنين سببَه ، فيجتمعُ له ثوابُ ذلك إلى ثواب إقامة فرضِ الله وإحياء سُنة جدّه رسول الله (صلع) .

فقال عليه السلام : ذلك لو اعتقدوا ذلك النظرَ والسماعَ للّه . ولكنّهم لا يعتقدون ذلك وإنّما ينظُرون لَهْوا ويسمعون سَهْوًا ويرجعون أصفارا كما جاؤوا .

كلام جرى في مجلس في أحوال الأئمّة صلوات الله عليهم :

65 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول في هذا المجلس وقد ذكر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وما عامل به الناسَ من القصد للحقّ وترك المُداهنة فيه / وطرحِ التستّر فيما بينه وبَيْنَهُمْ أو مدَارَاة أحد منهم،فقال : كان ذلك ممّا قوّى أسبابَ اللعين معاوية ونزع بأكثرِ مَن طلب شيئا من الدنيا أو خاف، عاقبة من عواقبها إليه ، لأنّ عليّا (صلع) لم يكن لأحد عنده في الحقّ هَوادة ولا في إقامته عليه رُخصة قولاً وفعلاً ونيّةً ومباينَةً،لا يرجع عن أحد في ذلك ولاَ يداريه ولاَ يساتِرُه فيه ، إن عَثَر لم يُقلْه عثرتَه ، وإن زلّ لم يحتمِل له زَلّتَه ، يقرع من عتب عَلَيْه ، ويصدَعُ قَوْلاً بالْحَقّ مَن خَالَف شَيْئًا مِنْهُ ، ولاَ يدَاهِنُه ولاَ يسَايره فِيه ولاَ يدع لهُ مثقَالَ حبّة فما فوقه (1) إن وجبَ / عليه . تَتَبّعَ ما أباحه في غير وجهه عثمانُ وتغافل

(1) قد مر الحديث عن صرامة علي بن أبي طالب . انظر ص 93 .

عنه قبله الشيخان ، وأخذ ذلك من يَدَيْ من كان في يديه . فلحِقَ بمعاوية كثيرٌ ممّن خافه لذلك ، ممّن لم يصل إليه ، وكثير ممّن عنّفه وأسمَعَه ما كرهه فيما آتاه واقترفه ، وتخلّف عنه رؤساء القبائل ووجوهُ العشائر ، فكَم من شريف عند نفسه منهم وَضَعَه بما أسمَعَه ، حتّى لقد كان الحسن والحسين عليهما السلام ربّما استَعْطَفا مَن يُسمِعه ويَحرمه ويُغرّبه ، بالقول الجميل والعطاء ، وربّما ذكرا له موقِعَ ذلك من الناس وسألاه الرِّفقَ بهم ، فيَتَجَهّمُ لهما ويقول: لولا أنّكُما من رسول الله صلّى / الله عليه وآله بالمنزلةِ التي أنتما منه ، لقلت لكما في هذا قولا عظيمًا . فكان (صلع) من الشدّة والصرامة في ذات الله مُرّا لمن ابتغى سوى ذلك منه ، مجبولاً على ذلك مفطورا عليه ، ليس له فيه حيلة ولا له عنه معدل ولا يَجد لما سواه احتمالا .

66 — (قال) وكانت فاطمة عليها السلام كذلك ، ولذلك ما كان يجري بينهما من الاختلاف في بعض الأحوال ، ولما كان كلّ واحد منهما يرى نفسه عليه من الفضل ، فلا يرجع إلى الآخر .

وذلك حملَها على أن خرجت على أبي بكر لمّا منعَها فَدَكا وأسمعَتْه ما أسمعَتْه ولم تحتمِلْه صبرا حتّى شفَت غيظَها وفرّجتْ / بثّ صدرِها وصدَعَتْ بالحقّ من اضطهدها واستأثَر بحقّها (1) .

(قال) وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله من الصبر على ما يؤتى إليه والاحتمال لما يُنال منه ، وتألّفِ القلوب والإغضاءِ عن الذنوب وتحمّلِ المكروه بحسَب ما صفه الله عزّ وجلّ إذ يقول : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ (2) » وكقوله : فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ (3) » .

---

(1) فدك : واحة قرب المدينة امتلكها الرسول (صلع) صلحا سنة 6 للهجرة ، فجعل غلتها لأبناء السبيل (عند السنة) ولذوي القربى (عند الشيعة) . فلذلك طالبت بها فاطمة في ميراث أبيها ، فمنعها أبو بكر اعتمادا على الحديث : « نحن معشر الانبياء لا نورث ، ما تركناه ، صدقة » . فغضبت فاطمة ولم تكلمه إلى أن ماتت ، وساندها علي ، فلم يبايع أبا بكر إلا بعد وفاة فاطمة (انظر : دعائم الاسلام ج 1/ ص 393 ، رقم 1543 . وكذلك فصل « فدك » بدائرة المعارف الاسلامية) .

(2) القلم ، 4 .

(3) آل عمران ، 159 .

ومثل هذا من الغلظة في ذات الله واللين فيه قد كان في أنبيائه المُرسَلين ورسُله المصطفَيْن . وقد كان موسى عليه السلام قويّا شديدا / غليظا في ذات الله . وكان عيسى عليه السلام رؤوفا رحيما في ذات الله ، وكلاهما كان على سبيل الهدى من الله ، ولكل ذلك وقتٌ وزمانٌ يُجرِي الحكمةَ فيه بهِ . وكذلك كان رسول الله صلّى الله عليه وآله في وقتِه وعليّ عليه السلام في عصره .

(قال) وقد كانت خديجة عليها السلام في الصبر واللين والحِلم والأناة على مثل ما كان عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وكان الله تعالى قد جعل فيها لنبيّه فرَجا وسكَنا يرجع إليها إذا أضجره تكذيبُ المشركين له أوْ أذَاهُمْ إيّاه ، وأتاها ، فيجد عندها / من العزاء وتسهيل ذلك عليه ما يُسلّيه عنه .

67 — ثمّ ذكر عليه السلام في هذا المجلس على نحو هذا الكلام أبا جعفر محمد ابن علي بن الحسين الباقر ، قال : لقد بذل في عصره من نعم الله عنده وأسبغ منها على العباد ما لم يكن مثله فيما تقدّمه إذا وافقه ذلك الوقتُ وساعده العصر ، ثمّ كان من أبي عبد الله جعفر بن محمد صلوات الله عليه بعده من التضييق والإمساك أمر عظيم بقدر ما تهيّأ في زمانه واتّجه في عصره وأوانه .

فقلت : لا جرم أنّ ذلك أوقع الشيعة من بعده في الاختلاف العظيم واختلفوا / في وليّ الأمر من بعده افتراقا كثيرا (1) .

فقال عليه السلام : في ذلك سعادة المحقّين وشقوة المُبطلين .

قلت : يا مولاي،فلو كان أوضح الأمر كما أوضحه أبوه فيه ، وأزال الشُّبهة عن أوليائه ، وأقام فيهم صاحبَ الأمر بعده ونصّ عليه صُراحا، ألم يكن ذلك أذهب للشُّبهة وأقطعَ للاختلاف ؟

(1) يفهم من كلام النعمان أن تكتم جعفر الصادق في التصريح بولي عهده هو الذي أوقع البلبلة ثم الانقسام بين الشيعة . فلذلك نرى المعز يدافع عنه ويبرر التكتم ويفسره بعداوة العباسيين للشيعة ، وقد تبنى القاضي النعمان هذا التفسير في أرجوزته « المختارة » التي نظمها في الاحتجاج للأئمة والدفاع عنهم ، فقال في خصوص تعيين الامام بعد جعفر الصادق (البيت 1856 وما يليه من طبعة إسماعيل قربان بوناوالا ، مونتريال ، ص 191) :

« واشتدت المحنة بعد جعفر ... فانصرف الأمر إلى التستر
« وكان قد أقام بعض ولده ... مقامه لما رأى من جلده
« فجعل الأمر له في ستر ... فلم يكن — قالوا — بذاك يدري
« لخوفه عليه من أعدائه ... إلا ثقات محض أوليائه .. »

وانظر فصل « جعفر الصادق » في دائرة المعارف الاسلامية .

قال : هيهات ! لم يكن ذلك زمان ذلك ، وقد فعل ذلك لمن وثق به : فأمّا التصريح به وإشهارُه ، فلم يكن ذلك يمكنه في وقته ولا يتهيأ له في عصره ، للخوف عليه ، في الإظهار ، والتقيّة من عدوّه . وكان ذلك ابتداء أمر بني العباس / وهم يعلمون كيف ابتزّوا ذلك واستلبُوه منه ، وسأله من سأله إظهار ذلك في وقت لا يمكنه إظهاره فيه ، فقال : أرأيتم لو سألتموني في اليوم عن صاحب الأمر من ولدي ، وقد علمتم — لا تشكّونَ فيه — أنّه أحدهم وأنّها لا تكون إلاّ في العقب ولا تكون في أخوَين بعد الحسن والحسين عليهما السلام (1) ، ولم يكن الله عزّ وجلّ بعدُ أطلعني على مكان اختياره منهم فأنصبهَ لما يريني فيه من مخايلِ الخير ، ما كنت صانعا ؟ وأنا إن سألتموني عن أحدهم فأشرتُ إليه ، لم أدر [لعلّ] اختيارَ الله يكون في غيره . وإن نفيتُ ذلك عنه لم أدر لعلّ اختيار الله عز وجل يقع / عليه . فالذي عليكم ، الإمساكُ والتسليم حتّى يختار الله عزّ وجلّ لكم ويجعل لكم البركة والخيرَ فيمن يختاره .

وكذلك لو سكت القوم يومئذ عن جعفر بن محمد صلوات الله عليه ، لما وقعُوا في الشبهة . سمعت المنصور عليه السلام يقول لي : والله ما أنا آثرْتُكَ بما آثرْتُكَ به ، بل الله آثرَكَ واختصَّك وأعطاك واجتباكَ . والله لو ملكتُ من الدنيا درهما فما فوقَه غيرَ هذا الوجه لما استجزْتُ أن أخُصَّ به أحدا من ولدي دون أحد . فأمّا ما خوّلني الله من الكرامة واصطفاني به من الإمامة ، فإنّما هو متاع عندي وعاريةٌ في يدي لانقضاء المدّة وتمام العدّة . ثم هو لك / بحكم الله وأمره وإعطائه ، لا عن أمري وحكمي واختصاصي إيّاك به ، بل «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ (2)» .

فقلت : لقد فتح أمير المؤمنين لنا من هذا ما كان مقفلا وأوضح منه ما كان مشكلا ، مدّ الله لنا في عمره ووفّر حظّنا من فضله !

فقال : والله ما نضنّ بما عندنا عنكُم ولا نبخل بفضل الله عليكم ، ولكنّا قلّما نجد لقِنًا يقبل منّا أو سائلا يسألنا .

(1) يفهم من كلام جعفر الصادق هنا أن انتقال الامامة من الاخ إلى أخيه ممنوع ، وفي هذا لبس ، إذ أن سبب الخلاف هو تعيينه موسى الكاظم بعد إسماعيل مع وجود ابن إسماعيل ، الامام السابع عند الاسماعيلية (وانظر تفصيل هذه المسائل في ص 95 تنبيه 1) .

(2) الحديد ، 21 .

فقلت : السؤال علمٌ يا أميرَ المؤمنين ، وكيف بمعرفة ما ينبغي السؤال عنه ؟

فقال : ليتهم يسألونَ (1) عمّا لا يجب فكنّا نُجيبهم بما يجب ! والله ما أنا بضنين فيما عندي على من يستحقّه ولا بجبّار يَتَهيَّبُ / السائلُ أن يسألَه ! والله إنّي لأرى لعبيدي من القدْر عندي بما يجب عليهم أن يرَوْه لي ، وأتواضع لهم حتّى أقول إنّي قد سبّبتُ لهم سببَ الجرأة عليَّ . فقد قيل : أشدّ الناس جرأةً على الأسود من أدْمَنَ عَلَى قربهَا وبقَدْرِ بُعدهَا من الناس تكُون في صدورهم هيبتُها .

قلت : يقول ذلك من لا تمييزَ له ولا رأيَ ، وكم من سائس لها قد صرعتْه ومزّقت أشلاءَهُ ! بل يجب في الحقيقة أن يكون أهيبُ الناس لها وأخوفُهم لجانبها من قرب منها .

فقال : والله لقد خدمت القائم بأمر الله صلوات عليه ، وكان يؤثرني من القرب والاختصاص / بما لم يكن يُؤثِر به أحدا من الناس ، ولقد كان على ذلك في صدري من هيبته وجلالته ما لا يكاد أن يكونَ في صدر أحدٍ مثلُه (2) . والله إنّي لأذكر شيئا ما أعلم (3) أنّي ذكرتُه قبل وقتي هذا : إنّي كنت يوما أمشي خلفَه وأنا حديثُ السنّ ، فنظرتُ إليه وملأتُ منه عيني فملأتْ صدري هيبتُه فإنّي لعلى ذلك ، وجعلتُ أنظر إليه مرّةً وإلى السماء مرّة وأقول في نفسي : هذه — في هذه الأرض (4) — لا حاكمَ عليه فيها ولا سلطانَ إلاّ الله في سمائه ، وكلّما نزّلتُ ذلك في نفسي تزيّدَتْ جلالتُه في عيني وهيبتُه في صدري ، فإنّي لعلى ذلك ، إلى أن انفتل إليَّ فأخذني وضمّني إلى صدره وقال : يا بُنيّ ، لا جعلَ الله في صدرك ما في صدرِ مولاك ! يعني ممّا كان يحاوله (5) من الغموم — فعجبت لذلك وكيف جاء منه بعقب ماجال بقلبي من أمره .

وأمّا المنصور عليه السلام فقد علمتُم كيف كان تعظيمي إيّاه وإجلالي له وهيبتُه في صدري .

---

(1) في الاصل : يسألوا .

(2) في الاصل : مثله آله وملأت . والكلمتان نقلهما الناسخ سهوا من السطرين المواليين .

(3) في الاصل : ما نعلم .

(4) هذه الاعتراضية تفسر اسم الاشارة : وأعني هذه الأرض .

(5) كذا في الاصل ، وليس لـ« حاول » هذا المعنى في المعاجم . ولعلها : يحار له ، أو محرفة عن : يحمله .

فقلت : لذلك ما آثر الله به أميرَ المؤمنينَ واختصّه ، زاده الله وبلّغه نهاية أمله !

ثم حضر وقت الصلاة فقام وصار إلى المسجد ، ورقيَ المنبر فخطب بخطبة بليغة جاء فيها بفصول ما سمعنا قبلها مثلها واحتجاج في الإمامة / وإبانة لظلم الظالمين المتغلّبين .

كلام في مجلس آخر في نحو ذلك :

68 — (قال) وحضرت مجلسه بعد ذلك فجرى ذكر هذه الخطبة واستحسان من سمعها وإعجابِهم بها . فقال صلّى الله عليه وآله : لإعجابُ الأرواح الشريفة ومسرّتُها بما يُجريه الله على ألسنتنا وأيدينا ، واستحسانُها لذلك ممّن صار إلى كرامة الله من آبائنا أكثرُ ، ونحن بذلك أغبط منّا باستحسان (1) الناس /لها/ وإعجابهم . ولقد سمعتُ المنصور بالله صلوات الله عليه يقول لي وقد احتُضِر : والله ليَعُودِ عَنَّكَ الله من الخير ويجعَلُ لك من النعمة والغبطة / والمسرّة والصنع وعلوّ المنزلة والتوفيق والسعادة بعدي،ما لم يكن لأحد مثلُه تقدّمَك ، وما أخشى عليك إلاّ الجزعَ عند الصّدمة بالمصيبة بي وقلّةَ الصبر عند ما يفجؤك من ذلك ، فذلك الذي أخافه أن يدخل عليك من الغمّ والشدّة من بعدي .

فقلت (2) : فقد كان ويكون من ذلك ما أمّله ووعد به ، والذي تخوّفه من الجزع قد كنّا نتوقّعه ونتخوّفُه على أمير المؤمنين لما نعلَمه من عظيم قدر المنصور عليه السلام عنده وجليل محلّه من قلبه ، فكان من تأييد الله عزّ وجلّ له وعصمته إيّاه ما وفّقه / إلى حُسن العزاء وجميل الصبر الذي عزّى به أولياءَهُ (3) .

فقال عليه السلام : أمّا جلالته،فقد كانت في صدري،وهيبتُه في عيني . فوالله لقد كنت أعظِمُ ذلك حتّى كأنّه ليس عندي من البشر ، وكأنّه ملَك من ملائكة السماء . ولقد كنت أعلَم أنّه كذلك كان يرى القائمَ عليه السلام في عينه ويجدُه في قلبه ، وما رأيته قطّ ملأ عينه منه ، ولا رأيت القائم عليه السلام فعلَ ذلك ، وما كنتُ أرى كلّ واحد منهما يكلّم الآخر إلاّ وهو مُطْرِقٌ .

---

(1) في الاصل : باستحسانها الناس ...

(2) رجع الكلام إلى القاضي النعمان .

(3) في الأصل : عزم به لأوليائه .

الجزء الخامس

[بسم الله الرحمان الرحيم]

كلام جرى في مجلس في فضل المنصور بالله عليه السلام : /

69 – قال القاضي النعمان بن محمد : سمعت الإمام المعزّ لدين الله (ص) يقول : دخلت على المنصور بالله عليه السلام في مرضه الذي توفّي فيه وقد اشتدّ به ، وبين يديه الدواة وقد أخذ صحيفة ليكتب فيها. وتناول القلمَ فلمْ تُثبتْه يدُه فسقَط على ثوبه فغيَّره مِدادُه . فلمّا رآني قال : أتدري ما هذا ؟

قلتُ : ما هو يا مولاي ؟

قال : ظهر والله في قلبي واطّلَعَتْ نفسي الآن من علم الله وحقيقة توحيده وغيبِ ملكوته ما لمْ أكُن أظنُّ أنّي أطّلعُ على مثله ولا أستطيعُ ، لما أنا فيه ، اللفظَ به . فدعوتُ بالدواةِ لأكتُبَ ذلك وأفيدَك فيه إيّاه . فلم أملكِ القلمَ . وأخذَ مكانَ المداد في ثوبه بأطرافِ أصابعه وقال : هذه معْذِرتي إليك !

ثمّ قال : وهذه بشري من الله في مثل هذا المقام وما يُطلِعُ أولياءَه عليه في حين قبْضِهم إليه .

قال المعزّ عليه السلام : فما أدري كيف فُجعت به من ذلك وما داخلني له ، ولكنّي تجلّدْتُ وقلتُ : يُبقي اللهُ أميرَ المؤمنين ويمدُّ في عُمُره ويُنْسيء في أجَله .

فقال : هيهات ! قد والله قرُب الأجلُ وأزِفَ الوقتُ !
فما كان بأوشَكَ من أن قُبِضَ صلواتُ الله عليه (1) .

كلام في مجلس في فضل المعزّ لدين الله عليه السلام :

70 — (قال) وسمعته في هذا المجلس يقول : دفع إليّ المنصورُ بالله عليه السلام / كتابا بخطّ المهديّ فيه حروف المعجم بخطّ كان الإمامُ قبلَه يكاتب به الدعاةَ . فقال المنصور بالله (ع) : انقله بخطّك . وقد كان عرّفني معناه . ثمّ قال لي : لمّا أزمع القائم بأمر الله (صلع) على الخروج إلى المغرب جمع ولده وأنا فيهم فقال : أنتم ترَوْنَني وما أخرجُ عليه من هذه العلّة التي تعرِض لي وما أخلُف مولانا — يعني المهديّ (ع) — فيه من العِلّة ، ولا أدري ما يكون من أمر الله . وهذا قلمٌ يتوارثُه الأئمّة يكتبُونَ به أسرارَهم ، وبيانُه وشرحُه تحتَه يكون عندكم . فما كتبتُ به إليكم عرَفتموهُ وما أردتم سترَه كاتبتمُونِي به .

قال المنصور : فقال لي أحد الإخوة سرّا : هذه / أ ب ت ث عرفناها ، فكيف نكتُب بذلك ؟ فغمزتُه وقلتُ له : اسكت ويحك ! وإذا عرفتَ هذه الحروف فماذا بقيَ عليك ؟ (قال) فنَظَرَ القائمُ إليّ فقال : ما قالَ لك ؟

قلت : شيئا ذكره يا مولاي ، وطارحتُه الحديثَ (2) . وبادر المتكلّم فذكر له ما ذكرَ لي ، فتغيّر وجه القائم صلّى الله عليه وقال : إنّا للّه على المصيبة بكم ! وانتهرَنا وأخرجَنا من بين يدَيْه ولم يُمْكِنّي أن أعتذرَ عندَه ولا أضيفَ ذلك الجهلَ إلى قائله .

فخرجتُ ، فوقفتُ من وراء الباب فسمعتُه يقول لبعض الأهل : خذي هذا الكتابَ فمَن سألك من هؤلاء إيّاه فادفعيه إليه . فسُررت بذلك، فلمّا خرج / سألتُها الكتابَ فدفعَتْه إليّ ، وهو عندي إلى اليوم .

قال المعزّ عليه السلام : فأخذتُهُ فنسختُه كما أمر . ثمّ دفع إليّ بعد ذلك خطّا بقلم يُشبه حروفَ ذلك الخطّ فإذا اعتبرْتَ لم يُبِنْ عن كلام صحيح ، وقال لي :

(1) انظر وصفا لمرض المنصور في ص 81 ، وكذلك ص 104 .
(2) وطارحته الحديث : لعله يقصد أنه صرف الحديث وجهة أخرى ، فالسياق يدل أنه لم يكشف سر صاحبه .

انظر في هذا واستخرِجْ ! (قال) فأخذتُهُ منه فمكثتُ أيّاما أتدبّرُه لا ينفتح لي فيه شيءٌ وأنا من الغمّ بذلك فيما حال بيني وبين النّوم والطعامِ والشّرابِ . فإنّي لأنظرُ فيه ليلةً إذ هَجَعْتُ هجعةً،وهو على صدري،فرأيت أبي المنصورَ بالله (صلع) في النوم وقد وقف عليّ ، فقال لي : تَعَاظَمَكَ أمرُ هذا القلمِ ؟

فقلتَ : أي والله يا مولاي .

فأخذ الكتابَ من / يدي وقرأ منه سطرا وقال : هذه ترجمتُه . وحفظت ما قرّأه . وانتبهت في الوقت فكتبتُ ذلك ثم نزّلتُه فخرج ما (1) نالني من الحَصْر عند استخراجه إلى أن رأيتُ ما رأيتُ،فأمسكتُ عن ذكر ذلك له أيّاما حتّى سألني عنه : إنْ لم يكن انفتَح لك فيه شيء فجِيءْ به حتىّ أفتَحَه لك !

قلت : قد فتحتَه لي .

قال : متى ؟ فعرّفته الخبرَ على وجهه ، وجئتُه بالكتابِ وقرأتُه عليه،فضمّني إليه وحلّ أزراري وقبّلَ صفحة عنُقي وبكى ، وقال : قد كنت أحببتُ أن أعيشَ لك أكثرَ ممّا عِشتُ لأفيدَك وأزيدَك، ولكنْ لا رادَّ لأمر الله وما سبق في علمه . فكأنّما ضربني بسهم في قلبي،ولم أدر معنى / ذلك حتّى كانت المصيبةُ به عن قريب.

وصيّة بالصبـر والتجلّـد :

71 — (قال) وسمعته يقول في هذا المجلس : كان فيما أوصاني فيه المنصور بالله عليه السلام عند وفاته أن قال لي : دع عنك ملازمة قبري والاختلافَ إليه ! فإنّ ذلك يبعث الحُزنَ ولا يؤدّي إلى غاية من الحزم ، وإنّما يفعَلُه الجهّالُ من الرجال ، فإن لم يكن لك من ذلك بدٌّ فالوقْفَةُ بعد المدّة للترحُّمِ ، ثم تَنْصَرِف بسُرعةٍ . ومن عرف مصير الأرواح لم يلتفِتْ إلى محلّ الأبدان .

كلام في النجامة ذكر في مجلس :

72 — (قال) وسمعته يقول في هذا المجلس : ذكر المنصور بالله (صلع) النجامة وكان بعلْمها / ماهرا . فقال لي : والله ما طلبتُها وتعلّمتُها لشيء ممّا يراهُ

(1) في الاصل : لما .

الناس من القضايا . ولقد واقفتُ في مواقفِ الحروب التي وَليتُها أيامَ الفتنة إلى حين انقضائها فما وقفتُ قطُّ موقفا منها باختيار العلم من علم(1)النجوم . ولكثيرا ما كان الأمرُ يقع بقلبي ويتحبّبُ لي ، وقضايا النجوم تخالفُه وتمنَعُ منه،فلا ألقي لتلك القضايا بالا ولا ألتفتُ إليها ، وأعمَلُ ما يقع بقلبي ويتحبّب إليَّ ، فيكونُ في ذلك التوفيقُ والنصر ، وضدُّ ما يوجبه القول بالنجوم . والله ما طلبْنَا هذا العلم إلاّ لما يدلُّنا عليه من توحيد الله جلّ ذكره وتأثير حكمته في منفعلاته (2) ، فإيّاك أن تشغل نفسك بغير هذا ، ولا تلتفِتْ / إليه !

كلام في فضل المنصور بالله صلوات الله عليه :

73 — (قال) وسمعته (صلع) يقول في هذا المجلس : كنت مع المنصور عليه السلام في بعض أسفاره ، وقد نزل منزِلاً أقام فيه في قصر له بذلك المنزل وبستان قد أحاط به فيه ماءٌ جارٍ . فخرجتُ يوما أمشي في نواحي ذلك المنزل، فلمّا انصرفتُ أتيْتُه بحسَب العادة فوجدتُه تحتَ بعض تلك الأشجارِ في يوم صائف وحارّ،حاسرَ الرأس وقد حلَّقَه،وإنّ العرَقَ ليرشَحُ منه،وهو يؤلّفُ كتابا يكتُب نُسْخَتَهُ ، فقلت : يا مولاي ، في مثل هذا الحرّ لا تقومُ إلى مجلسك ؟

فقال : دعني ، فقد قطَعَ عليّ كلامُك شيئا كان / اتّصل عندي ، ولمثل هذا جلستُ وتحمّلتُ هذا الحرَّ، لأنّه قد تهيّأ لي من القول ما خشيتُ إنْ قمْتُ عن مكاني أن ينقطِعَ عنّي .

فجلستُ حتّى قضى حاجته ، ودخل فأقام مليّا لم يخرُج ، فخشيت عليه أنّه عَرَضَ له عارِضٌ من ذلك الحرّ ، فأرسلتُ إليه أسألُه عن ذلك ، فقال : ما عليّ من بأسٍ بحمد الله . ثمّ تمادى قعوده ،وأذِن لي فدخلتُ إليه،فأصبتُه على حال ما أحِبّه من السلامة والعافية . فقلت : يا مولايَ ، إلى كم تُقيمُ في هذا البيتِ وأنت بموضع نُزهة وتَفَرُّج ونظرٍ إلى هذه المياه والأشجارِ ؟

---

(1) هكذا في الأصل ، ولعل «العلم» زائدة .

(2) أي ، مخلوقاته .

فقال : أخبرك والله : إنّي رأيت أنّ بعضَ هذا الحيوان العظيمِ / الخلقِ يعلو ظهري فخشيتُ أن يكونَ ذلك بعضَ أسودِ هذه الغياضِ وأعُوذُ بالله !

فقلت : كلاّ لا يفعل الله ذلك !

قال : نعم ، كلاّ لا يفعله إن شاء الله تعالى ، ولكنّي عرّفتُك ما عرض لي .

ثمّ ركب من ذلك المنزل في غلَس الصّبح يريد غيره ،ودعاني ،وسايرتُه وتحتي فرس . فقال:حرّكْهُ لأنظرَ إليه ! فحرّكتُه ،وحرّكَ هو فرسَه ،فدارَ به دورةً خاف لها أن يسقُط به فترامى عنه وشبَّ الفرس ،فعلا ظهرَه ولم يَضُرَّه ، فبادرتُ إليه ونزلت عن فرسي فأصبتُه قد ركِب ولم ينلْه مكروه . وقال : هذا ما ذكرتُه لك . وحمد الله وأثنى عليه .

كلام في مجلس في الأمر بالسؤال والبحث في / طلب العلم :

74 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول في هذا المجلس : كان المنصور قدّس الله روحه إذا أفادني شيئا من العلم والحكمة ربّما قال لي : عاوِدْني فيه ، وسلْني عنه ، وعن معانيه ، وناظرنِي ، واحتجَّ عليَّ ، وأرِني أنّك قصَرت عن فهمه . وإن كنتَ قد فهمتَه وما أجلَلْتَنِي فيه وأعظمْتَنِي ، فلا يكون في مثل هذا من تهيُّبِك مراجعتي فيه (1) . فبذلك تعظم عندك الفوائد وتزيد !

فكنت أفعل ذلك فيتدفّقُ عليّ من بحور العلم والحكمة منه ما لم أكن أظنُّه .

باب في جلالة المنصور قدّس الله روحه :

75 — (قال) وسمعته يقول في هذا المجلس : كان المنصور بالله عليه السلام كثيرا ما يأمُرني / أنْ أؤلّفَ كتابا أو أصْنَع بيتا ويقول لي : إنْ لا يكُنْ ذلك فأجِز شيئا أقولُه وأضمِّنُه !

فوالله ما تهيّأ لي شيءٌ من ذلك إجلالاً له في صدري أن أقابله به وأجترىء عليه بالقول فيه .

(1) التعبير ملتو . وفهمنا له هو : ان تكن فهمته دون احتياج إلي فلا يكن عدم سؤالك إياي ناتجا عن تهيبك لي .

كلام جرى في مجلس في توفيق الله لأوليائه :

76 — (قال) وسمعته عليه السلام يقول في هذا المجلس لرجل من أئمّة النحويّين — وقد جلسَ بين يديه — يُبَشِّرُ له بالمعرفة بعلم النحو أهلُ زمانه : اصنَعْ كتابًا في كذا وكذا — لفنّ من صَنْعَتِه ذكره له — لم يدرِ ذلك النحويُّ معناه إلاّ بعدَ مدّة طويلة ، وبعد أن ردّدَ القولَ والبيانَ فيه مرارا كثيرة ، فحينئذ فهِمَ عنْه مرادَه وتعاظمه تأليفُ (1) ذلك الذي أراد منه / أن يؤلّفَه ، وقال : هذا وجهٌ ما سبق إليه أحدٌ من النحويّين ولا مِن أصحاب اللغة المتقدّمينَ ، ولا أعرِف كيف أبتدِئُه ولا كيف آخذُ فيه . وكأنّه استعان بي في العذر ، فقلت :

أخبرَني فلان أنّه كتب عن ثعلب النحويّ (2) كتابا في المقصور والممدود كان ألّفَه فرأيناه لم يأتِ فيه إلاّ بمثلِ ما أتى به مَنْ تقدّمه من الكلام ، وإن كانَ قد أجاد التأليفَ وزاد شيئا يسيرًا . (قال) فقلتُ لهُ في ذلك فقال : نعَمْ ، وكذلك ألّفَ الناسُ ، وما نزل إلينا شيء من السماء ، وإنّما نأخذُ من كلام الناس فنُحْسِنُ النظمَ ونؤلّفُ ونزيدُ الشيءَ بعد الشيء .

قال ذلك النحويّ : نعم ، كذلك / عهدنا الناسَ ، وعليه نحنُ .

فقال المعزّ عليه السلام : وهذا مقالُ أهلِ العجز . نعم ، فاعمل على ما أمَرْنا به ، فإنّ فيه من توحيد الله عزّ وجلّ (3) وإظهار حكمته وما أيّدَنا بمعرفته ، وهو يؤيّدُك من سمائه فيما أمرْناك به إن شاء الله حتّى تبلغَ منه مرادَنا ، على خلاف ما قال ثعلب .

فقال الرجل : أرجو أن /يتمّ/ ذلك إن شاء الله تعالى . وانصرف وقد تعاظمَه أمر ما أمرَه به ورأى أنّه لا يقومُ به . وذكر ذلك لي فقلت له : إن حسنت نيّتك وصدقت طويّتك وُفّقتَ وهُديتَ .

---

(1) في الاصل : وتأليف ... ، وتعاظمَه الأمر : صعب عليه .

(2) ثعلب : أحد كبار النحاة الكوفيين (ت 904/291) ولم نعلم له كتابا في المقصور والممدود (انظر الثبت الذي صدر به عبد السلام هارون نشرته لمجالس ثعلب) . ويبدو من هذا الخبر — بعد التمعن في التباس الضمائر — أن القاضي النعمان عرف شخصا كان جالس ثعلب ونقل عنه هذا الكتاب المجهول ، ولعل هذا الناقل لأقوال ثعلب في المقصور والممدود هو محمد بن عبد الواحد المعروف بـ«غلام ثعلب» فقد نسب اليه كتاب في المقصور والممدود ، توجد منه نسخة خطية بمكتبة القرويين بفاس (ضمن مجموع 181 ق100) .
ويريد النعمان بروايته أن يشجع هذا النحوي على تأليف ما أمره المعز بتأليفه .

(3) لا نفهم صلة هذا الكتاب بتوحيد الله ، ما دمنا نجهل الأبواب التي اقترحها المعز على هذا النحوي .

77 — ولا أدري ولا أحصي ما أمرّني صلوات الله عليه ، والمنصور عليه السلام قبلّه وقس (1) —/ بمثل هذا ، فلا أدري معنى هذا الأمر فضلا عن الاتّساع في القول فيه ، ثم أستعينُ بالله فيفتح لي من ذلك ما كان مقفلا ويبين لي منه ما كان مشكلا .

78 — وإنّي لأعلم أنّ توقيعًا خرج إليّ من المنصور عليه السلام يقول فيه : يا نعمان، استخرجْ من كتاب الله ما رفضَتْهُ العامّة وأنكَرَتْه . فقلت في نفسي : وأيّ شيء في كتاب الله يتهيّأ لأحد يدينُ بدينِ الإسلام أن يُنكره ويرفُضَه ؟ وتعاظمت ذلك ورأيت في الوقت أنّي لا أجد منه حرفا، ولم أستحسن مراجعته . ثمّ استعنتُ بالله عزّ وجلّ وعلمت أنّ ذلك لم يقله وليُّ الله إلاّ وهو موجود ، ففتحت المصحف لأقرأه، فأوّل ما وقفت / عليه: بِسمِ اللهِ الرّحْمَانِ الرَّحِيمِ . [ف]ـذكرت قول من قال إنّها ليست من القرآن فأثبتّ (2) ذلك ، فانفَتَحَ لي القول حتّى جمعتُ من ذلك جزءا فيه عشرون ورقةً . فرفعته إلى المنصور صلوات الله عليه فاستحسنه وأعجِب به ثمّ قال : تمادَ ! فانتهيت إلى سورة المائدة من أوّل فاتحة الكتاب والبقرة، وقد جمعت من ذلك أزيَدَ من ستّمائة ورقة . وكان المنصور عليه السلام إذا لقيتُه ذهب بما رفعته إليه منه ، فقال : ما تقدّم لأحد مثلُه . ثمّ قُبِض صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ولم أتممه (3) .

كلام جرى في مجلس في صفة المتخلّفين :

79 — (قال) وسمعته عليه السلام يقول : أكثر / ما يعظم في قلوب الجهّال قول مَن لم يعرفوه أو لم يدركوا وقته . وإذا سمعوا قول من عرَفُوهُ ، وإنْ كان حكمةً كلُّه رفضوه . وذكر رجلا كان يدّعي العلم ويقرُب من الأئمّة صلوات الله عليهم ، فقال : رآه المنصور بالله صلوات الله عليه إذا حدّثه عن نفسه لم ير أثر القبول عليه ، وإذا روى له عن آبائه ، قبِل ذلك ورأى منه أثرَ الرّغبة فيه ، فحدّثه يوما وأنا بين يديه بحديث فيه من الحكمة والعلم ما يستغرِقُ الوصفَ، فلم يظهرْ لذلك

(1) قس : قدس الله سره ، وهو دعاء مستعمل بكثرة عند الإسماعيلية .

(2) فيه الأصل : فاشبت . ولعلها : أثبت ، من أثبت الأمر إذا تدبره ليعرفه . فيكون المعنى : راجعت الكتب في هذه المسألة ، أي طلبت آراء الفقهاء في البسملة هل هي من صلب القرآن (كما يقول الشافعي) أم هي خارجة عنه (وهو رأي مالك، وقد كان ينهى عن قراءتها في القرآن، لا سرا ولا جهرا، ورأي أبي حنيفة) . انظر تعليق الزمخشري في الكشاف : ج 1 ص 24 ، وكذلك فصل « بسملة » في دائرة المعارف الاسلامية .

(3) لم يذكر كتاب البسملة هذا في كتب القاضي النعمان التي ذكرها إيڤانوف وفيضي وبوناوالا .

عليه أثَرُ قَبُول . فقال لي: ناولْني ذلك الكتابَ أرَ أثَر ما فيه عن آبائنا — /يعني/ كتابا كان فيه شيء من ذلك — فلمّا ناولته / إيّاه أدناني منه ، وقال لي : قد سمعتَ ما ألقَيْنا إلى هذا الرجل الساعة ، فلم يؤثّرْ فيه . وأنا أفتح هذا الكتابَ ، فقِفْ أنتَ مكانَك (1) وانظُرْ إلى ما في الكتاب واسمَعْ ما ألفُظ أنا به — يقول لي ذلك سرّا — ثمّ فتح الكتابَ وجعل كأنّه يقرأ عليه منه ، وهو إنّما يحدّثه من حفظه وعنْ نفسه . وكاد أن يَطيرَ إعجابا منه بما سمعَه ، ثمّ طوى المنصورُ عليه السلام الكتاب وقال : قد رأيتَ وسمعتَ؟

قلت : نعم .

قال : فما بينك وبينه في ذلك (2) .

ثمّ قام واجتمع معي الرجل بعد ذلك، فقلت له : كيف ما سمعت ممّا في ذلك الكتاب (3) ؟

فقال : سمعت والله يا مولاي شيئا ما سمعتُ بمثله / قطّ . فإن رأيتَ أن تسألَه أن يمُنّ على عبده بشيء منه ينسَخُه؟ فجعلت أزهّدُه فيه وهو يزيد في ذكر مقدار (4) ما سمعه ، وقال: والله إنّه كلام لا يُحتاج معه إلى غيره . وجعل (5) يعظّمه ويذكر فضل ما سمعه .

فقلت : يا هذا ، إذا كان هذا يقوله مثلك ، وأنت تعلم أنّه لا يأتي إمامٌ إلاّ أعطاه اللهُ فضلَ الإمام الذي مضى قبلَه وعِلْمَه وحكمتَه ، وزاده مثل ستّةِ أسْبَاع ذلك (6) ، وإنّك (7) ترى أنّ هذا الذي جاءك ، من إمام سبق وسلف بعدَه جماعةٌ من الأئمّةِ عليهم السلام، وأنت مع إمام جاءك من بعدهم في أعقابهم تُغبَطُ مثلَ هذا الاغتباط / بما جاءك عمّن مضى، وتُعرِضُ عمّن أنت في عصره ، فما عسى أن يكونَ من غيرك ممّنْ تريدُ أن تُرشدَه وتدعُوَه وتعرّفَه ؟

---

(1) أي بجانبي . فالمعز يراقب الكتاب الذي يتظاهر المنصور بقراءته على الرجل .

(2) تعبير دارج ومعناه : دونك الرجل ، أي : الأمر بينك وبينه .

(3) هنا أيضا تعبير متساهل : كيف رأيت ما سمعت ... أي ما قولك فيه ؟

(4) مقدار بمعنى قدر .

(5) في الأصل . وانه جعل ...

(6) تبدو فكرة تفوق الامام اللاحق على السابق في العلم غريبة ، ولم نعثر عليها في غير هذا النص ولا في غير هذا الكتاب . فهذه الستة أسباع من العلم التي تضاف إلى الامام اللاحق ليست من العلم الذي نزل على آدم والأنبياء من بعده وتوارثه الأئمة إماما بعد إمام (انظر كلام المعز عن جعفر الصادق في ص 272) .

(7) في الاصل : وانه ...

وذكرت ذلك للمنصور بالله عليه السلام فكان ذلك سببَ اطّراحه عندَه ، ووقف على جهلِه بما كان يدّعيه ويُنسَبُ إليه .

(قال) ومن هذا المعنى أنّه أمرني المعزّ عليه السلام بجمع شيء قد أفادَنيه وجسَّمه لي وأنهجَ لي معالمَه ومعانيَه . فبعد أن بسطْتُ شيئا منه رفعتُ/ه/ إليه وارتضاه واستحسَنَه ، وقال : من كماله أن يُكتَمَ ذكرُ صاحبِ تأليفه فإنّه، لا يعظُم في قلوب العامّة إلا ما أعلَمَهُم عمّن لم يلحَقُوه أو من جهلُوه / فلم يعرِفُوه ، وذلك لسوءِ تمييزِهم ولِجهلِهم ، وإنّما قصَدْنَا إلى هُداهُم وتقويمِهم . فمِنْ حيث أمكننا ذلك استعمَلْنَاه فيهم (1) .

حديث ذكر في مجلس في أحوال الأئمة عليهم السلام :

80 — (قال) وسمعته عليه السلام يوما يقول: والله ما ننالُ من الدنيا إلاّ دون ما ينالُه كثير من سائر الناس فيها، وإنّ أكثرهم ليأكل ويشرَب منهـا فوق ما نأكلُ ونشربُ ، وإنّا لَنَلْبَسُ ويلبَسون ونركَب ويركَبون وننكَح وينكَحون ، وإنّا مع ذلك نتعَب لصلاحِ أحوالهم ودفع الضرّاء عنهم وهم وادعون ، وقليل من يعرف لنا ذلك منهم فيشكره ، بل أكثرهم يجهل ذلك / ويكفره ، ولو كان ذلك منّا لهم لتركناه، ولكنّه شيء افترضه الله عزّ وجلّ علينا وألزَمَنَاهُ .

فذكرت لقوله هذا قولا كنت سمعته من المنصور عليه السلام ورفَعَ مقامَه(2)، وقد دخلتُ إليه بعد أن عهِد إليه القائمُ عليه السلام، أهنّئه بما أفضى الله عزّ وجلّ إليه من الكرامة (3) . فقال : يا نعمان ، وما عسى أن يكون الدرك في هذه الدنيا القليلة الوزن ؟ والله ، لتاجرٌ تكون بضاعته ألفَ دينار ينال من الدنيا ما عسى أن لا ننَالَهُ منها . والله لولا إقامةُ حقّ للّه (4) عزّ وجلّ نُقيمُه ، وأمرٌ بمعروف ونهيٌ عن

---

(1) ينصح المعز القاضي النعمان بكتمان اسمه من كتب المذهب التي يؤلفها مستمدا منه مادتها ، وذلك حتى تنفق عند «العامة» ، ولا ينفر منها جمهور السنيين حين يعلمون أنها من كتب الشيعة .
وفي هذه النصيحة ما يبعث على التساؤل عن عدد الكتب التي ألفها النعمان دون أن ينسبها إلى نفسه .

(2) ورفع مقامه : دعاء ثان لا يعطف على : عليه السلام .

(3) عهد القائم إلى المنصور سرا يوم دفن المهدي (14 ربيع 1 سنة 4/322 مارس 934) ولم يعلن عن ولاية العهد للمنصور إلا بعد سبع سنوات ، كما ورد في سيرة جوذر ص 40 . أو بعد اثني عشر عاما على قول ابن حماد وابن عذاري وابن خلدون : رمضان 334/ماي 946. انظر التعليق 48 لناشري سيرة الأستاذ جوذر وتعليق مترجمها ماريوس كانار ص 55 و 56 . وانظر ص 220 و ص 448 .

(4) في الاصل : إقامة حق الله .

منكر نرجو غِبَّ ذلك ثوابَه — وإنّ ذلك ممّا افترضَه / الله عزّ وجلّ علينا وألزمَناه ونصّبَنا له وكلّفَناه — لكنتُ إلى إيثار الخمول والإعراض عن الدنيا أسرعَ، وبذلك ألذَّ عيشا وأمتعَ .

حديث ذكر في مجلس فيه احتجاج على أهل الخلاف :

81 — (قال) وسمعت المعزّ لدين الله صلوات الله عليه في مجلس اجتمع فيه عنده جماعةٌ من الأولياء ، وقد ذكر أمر المشرق وما اجتمع من أوليائه وما يرجوه من قرب وعد الله له وإظهاره عليه .

فقال : ما يقول من كان من أوليائنا من البربر يومئذ (1) إن احتجّ عليهم محتجّ فقال : أليس داود النبيّ عليه السلام نفاكم من أرض المشرق وأخرجكم منها بأمر الله عزّ وجلّ / ووَحْيِه بذلك إليه (2) ؟ فلا بدّ للمسؤول منهم عن ذلك من : نعم . فإن قيل له : فمن أذن لكم في الرجوع إلى موضع قد أخرجكم منه نبيٌّ مرسَلٌ بأمر من السماء منزّلٍ ؟

فقال بعضهم : دخولُنا معك صلوات الله عليك أعظمُ حجّتِنا ، وأنت وارثُ أرض الله عزّ وجلّ (3) ، ونحن أتباعك وأولياؤك .

فقال : هو كما ذكرت ، ولكنّ مخالفَك فينا لا يَقْنَعُ بهذا القول ولا يرى أنّه حجّةٌ عليه .

فقال : من لم يقنع منّا بهذا القول كانت سيوفُنا على رأسه .

---

(1) أي عند فتح بلاد المشرق .

(2) يظهر من هذا القول أن المعز يتبنى الفكرة القائلة بأن البربر كانوا في الأصل يعيشون بأرض الشام وأنهم كانوا من أنصار جالوت . فلما قتله داود في الحادثة المعروفة ، فرق أنصاره وأطردهم فصاروا إلى بلاد المغرب . وقد استعرض ابن خلدون هذه الأقوال في بحثه عن أصل البربر (انظر تاريخه في طبعة بولاق ج 6 ص 93 وما يليها) وحكم على هذه الآراء فقال : «واعلم أن هذه المذاهب كلها مرجوحة وبعيدة عن الصواب» (ص 96) ، وعلى هذا الرأي بالذات فقال : «... وأما القول بأنهم من ولد جالوت أو العماليق وأنهم نقلوا من ديار الشام وانتقلوا ، فقول ساقط يكاد يكون من أحاديث خرافة» .

هذا وقد أبدى المؤرخون الغربيون شكهم في هذه التأويلات ومنهم ستيفان قسال (ص 355 من كتابه تاريخ شمال إفريقيا القديم ، طبعة باريس 1921) .

Stéphane Gsell : Histoire ancienne de l'Afrique du Nord, p. 355.

(3) في تمجيد المعز أيضا يقول ابن هانيء (القصيدة 55) :

«وكفى بمن ميراثه الدنيا ومن   خلقت له ، وعبيده الثقلان»

فقال صلّى الله عليه وآله : إنّ غلبَةَ السيوف ينالُها الْمُحقّ والمُبطِلُ ولكنّ غلَبَة حجّة الحقّ لا تكون إلاّ لأهله . ونحنُ نريدُ منكم / أن تكونُوا قاهرين بالأيْدِي والألسنة وكذلك تكونو/ن/ إن شاء الله . إنّا لو هدينا بعضَ البهائم لاهتَدَتْ ، فكيف بمن تولاّنا وحلّ محلّكم منّا ؟

فقالوا : يفيدُنا أمير المؤمنين ويُبصّرُنا ما نقول .

فتبسّم ، ثمّ أطرق ساعة وقال : أليس قد أسكن الله آدمَ جنّته وأوسع عليه نعمته ، فلمّا استنفرَه الشيطانُ فعصى أهْبَطَهُ (1) منها وإيّاهُ ، ثم تلقّى آدم كلماتِ ربّه فأعاده إليها ، ومن أصلح من وَلَده ، ولعَن إبليسَ وحرّمها عليه وعلى من اتّبعَه من ولَد آدم وركنَ إليه ؟ (قال) فالمعصية هي التي أوجبَتْ إخراجَ البَربر لا الأنسابُ ، فمن صلح من ذُرّيتهم وأناب وتلَقّتْه الكلماتُ دخل في حُكمِ / أهلِ الطاعة واستحقّ الرجوعَ إلى مكانه ومقرّه . ومن تمادى على غيّه وعِصيانه بقيَ طريدا منفيًّا ، وثوى شقيًّا مَخْزيًّا . هذا حكمُ الله عزّ وجلّ في الأوّلينَ والآخِرينَ وسُنّتُه في عباده إلى يَوْمِ الدين (2) .

ثمّ نظر إليّ فقال : ما الذي أوجب لآدم أن تَلَقّتْهُ كلماتُ ربّه ووُفّق لتَوْبَته وأوْبَتِه وسبّب له أسبابَ سعادته ، وحرم ذلك إبليسَ فلم ينَلْه ، ولا شيئا منه ، وباء باللّعْنة في الدنيا وفي الآخرة بالنار ، والمصير إلى سوء القرار ، لإصراره على معصيته ، وندَم آدم منها بتوبته . (قال) أفليْسَ ذلك بتوفيقِ الله لآدمَ وهدايتِه إليه ؟

قلت : أجل !

قال / فلمَ لَمْ يكُن مثل ذلك لإبليس من موادّ فضلِ الله عزّ وجلّ ورحمته وإحسانِه؟ وإن كانت الحُجّةُ بالمعصيةِ قد وَجَبَتْ عليهما ، فلمَ خصّ اللهُ عزّ وجلّ آدمَ بالفضل والهدايةِ منهما ؟

قلت : الله ووليّه أعلمُ .

قال : لأنّهما ليسا سواءً في الجُرم والمعصية : كان آدم فيها مخدوعًا ، زيّنَتها له واختدعَه الشيطانُ ، والشيطانُ مختارٌ لها داخلٌ فيها على بيان ، فلم يَسْتَوِيَا .

---

(1) في الأصل : فاهبطـه .

(2) يستخدم المعز أسطورة الأصل المشرقي للبربر حتى يحملهم على مرافقته إلى مصر يوم يعزم على فتحها ، ويعتبروا أن خروجهم إلى المشرق إنّما هو عودة إلى أوطانهم الأصلية وليس هجرة .

وكذلك أئمةُ الضلال هم أعظمُ جُرما ووزرا من أتباعهم من الجُهّال . ومن هذا ما حكى الله عزّ وجلّ عنهم لمّا تبيَّنَتْ لهمُ الأمور من قولهم : « رَبَّنَا إنّا أطَعْنَا سَادَتَنا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ، رَبَّنَا آتِهِمْ / ضِعْفَيْنِ مِن العذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (1) » .

(قال) ومنه لعنُ رسولِ الله صلّى الله عليه وآله يوم أحُد (2) القادةَ والرؤساءَ من مُشركي قريش وكان أكثرَهم يومئذ بنو أمية . ومنه الحديث : أعظم الناس عذابا يومَ القيامة من نصب ضلالا فاتَّبَعَهُ الناسُ عليه .

ومنه الحديث أيضا : مَن استَنَّ سنَّةً حسنةً فعمِل بها وعُمِل بها بعدَه فله أجرُه وأجرُ من عَمِل بها من غير أن ينقصَ من أجورهم شيء . ومنْ استنّ سنَّة سيّئةً فعمل بها وعُمل بها بعدَه كان عليه وِزره ووزر من عَمِل بها بَعْده / من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيء (3) . ومنه قول الله عزّ وجلّ : «وَلَيَحْمِلُنَّ أثقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَعَ أثْقَالِهِم (4)» .

وكلّ هذا يؤيّد قول المعزّ عليه السلام : إنّ الآمر بالمعصية المتبوع فيها أعظم جُرما ممّن اتّبعَهُ ، لا سيّما إن كان مخدوعًا /مز/يّنا له (5) كما ذكر ذلك عليه السلام في آدم عليه السلام . وقد أخبر الله عزّ وجلّ بإنعامه عليه بقوله : «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ (6)» ، وقال لإبليس : «اخرُجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا لِمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أجْمَعِينَ (7) » . وقال : «فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإنَّكَ رَجِيمٌ وَإنَّ عَلَيْكَ اللَعْنَةَ إلَى يَوْمِ الدّينِ (8) » . فحرمه فضله وأيأسه من رحمته بجرُأته وعظيمِ جُرمِه / .

(1) الاحـزاب ، 68 .
(2) في الأصل : يوم الأحد . والحديث : أعظم الناس عذابا ... ذكر بمعناه لا بلفظه في صحيح الترمذي 142/10 وسنن ابن ماجة 75/1 .
(3) ابن ماجه 74/1 (رقم 203–207) .
(4) العنكبوت ، 13 .
(5) في الاصل : يناله ، والاصلاح منا ، قياسا على ما مر من كلام في توبة آدم .
(6) طه ، 121–122 .
(7) الاعـراف ، 18 .
(8) الحجـر ، 34–35 .

كلام في مجلس في السّتر على المؤمن :

82 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يأمر فيما أوجبه بأن لا يُستَترَ عنه شيء سَترَ خيانة . ثمّ قال : فأمّا ما كان بين أحدكم وبين أخيه، فَستَرُ عيبه .(1) أَوْلى به . إنّ من حقّ المؤمن على المؤمن من إخوانه سَتْرَ عيبه والنصيحةَ له فيه .

وهذا كقول جدّه عليّ صلوات الله عليه : لو وجدتُ المؤمنَ على فاحشة لستَرْتُهُ بثوبي (2) . ومنه الحديث : أقيلوا ذوي المروءات عثراتهم (3) .

ومنه الحديث المأثور عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام يرفعه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: ما من عبد مؤمن إلاّ لله عليه سبعون / ستراً، فإذا أذنَبَ ذنبا انهتك عنه سِترٌ من تلك الأستار، فإن تاب منه واستغفر اللهَ أعاد عليه ذلك السّتر ومعه سبعون ستراً، فإن أبى إلاّ قُدُما في المعاصي لا يتوب ولا يستغفرُ اللهَ منها، انهتَكَ مع كلّ ذَنْبٍ منها سِتر حتّى لِيَبْقَى ولا سِترَ عليه ، فيأمر اللهُ تبارك وتعالى الملائكةَ بأن تستُرَه بأجنحتِها ، فإن تاب واستغفر اللهَ أعاد عليه تلك الأستارَ ومع كلّ سِتر منها سبعون ستراً، فإن أبى إلاّ قُدُما في المعاصي شكت الملائكةُ أمرَه إلى الله ، وقالت : ربّنا إنّ عبدك هذا لَمُقْذِرُنا ممّا يأتي [من] المعاصي، فيأمرهم الله عزّ وجلّ برفع أجنحتِهم عنه . / فلو أتى ذنبا في قعر البحر أو تحت تُخوم الأرض لأبداه الله عزّ وجلّ عليه . ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: فاسألُوا اللهَ أنْ لا يَهْتِك أسْتَارَكُم (4) .

فإذا كان هذا فعل الله عزّ وجلّ بالمؤمنين من عباده في السّتر عليهم وإقالتِهم عثراتِهم وإمهالِهم ما لم ينهَمِكُوا في المعاصي ، فأولياؤُه أحقّ من امتثَلَ (5) ذلك من أمره وما أمروا به في المؤمنين من عباده .

---

(1) في المخطوط : عليه .

(2) يشيد الشيعة بموقف علي من خصمه عمرو بن العاص في وقعة صفين حين سقط من فرسه وانكشفت عورته ، فقد تأخر عنه حياء . وقال ابن هانيء (القصيدة 53) :

ألقت بأيدي الذل ملقى عمرها بالشوب إذ فغرت له صفين

وقد قال الشيعة إنها حيلة من عمرو لينجو من موت محقق .

(3) سنن أبي داود ، 2 / 446. و مشكاة المصابيح ،عدد 3569 . والقول ينسب أيضا إلى الإمام علي نهج البلاغة ج 2 / 311 عدد 20 .

(4) حديث الأستار : لم تذكره الكتب السنية ، وذكره ابن بابويه في علل الشرائع ص 532 .

(5) في الاصل : من امتثال .

كلام جرى في مجلس في ذكر البرهان :

83 – (قال) وذكر عنده صلوات الله عليه في بعض ما يجري من الكلام البرهانُ . فقال لي : ما البرهان عندك ؟

قلت : هو معنًى : البيـانُ .

فقال : فقد قال رسول الله صلّى الله عليه / وآله : إنّ من البيان لسِحرًا (1) ولم يقل ذلك في البرهـان .

فقلت : فما البرهانُ يا مولاي ؟

فقال : استقصِ فيه ما عندك وما قيل ممّا انتهى إليك ، ثمّ تسمعُ القولَ فيه إن شاء الله تعـالى .

فرغبْ/تُ/ إليه في الإخبار عمّا عنده (صلع) في ذلك ، فقلت : هو يُصحِّ ويُثْبِتُ . وهذا قول قد جاء في كتاب الله عزّ وجلّ في غير موضع ، ومثله لا يؤخذ القول فيه إلاّ بتثبيت القول ممّن يجب القطع بقوله (2) .

فقال : لابدّ من أن تنظر في ذلك فيما عندك على كلّ حال .

فانصرفتُ لمّا لم أجد ممّا أمره بُدّا صلوات الله عليه . فنظرت فيما قال أهل اللغة فيه فأصبت ظاهر قولهم يختلفُ في ذلك ، غير أنّه يرجع إلى معنى واحد / . فرأيت بعضهم قال : البرهان بيان الحجّة وإيضاحها .

وقال الآخر : البرهـان الحجّـة .

وقال الآخـر : البرهـان البيّنة .

وقال الآخـر : البيـان .

وقال الآخـر : الآيـة .

ثم تتبّعته من كتاب الله عزّ وجلّ فأصبته في البقـرة : « وَقَالُـوا لَـنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إلاّ مَنْ كَانَ هُودًا أوْ نَصَارَى ، تِلْكَ أمَانِـيُّهم قُلْ هَاتُوا

---

(1) البخاري ، ك. النكـاح ، باب الخطبـة 25/7 .
(2) أي من الإمـام .

بُرْهَانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (1) » . وفي النساء : « يَا أيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأنْزَلْنَا إلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا (2) » .

وفي سورة يوسف : ولقد همَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلاَ أنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ (3)».

وفي « اقترب » : « أمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وذِكْرُ مَنْ قَبْلِيِ (4) » .

وفي« قد أفلح»: «وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ / إلاَهًا آخرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ به (5) ».

وفي سورة النمل « أإلاهٌ مَعَ اللهِ ؟ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (6) » .

وفي القصص : « اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهَبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ » الآية (7) . وفيها : « وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أنَّ الحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (7) » .

ثمَّ نظرت في قول المفسِّرين في كلِّ آية من هذه الآيات فلم أجدْهم قالوا في ذلك إلاَّ بمثل ما قال أهل العربيّة فيه من أنّه: حُجّةٌ، وإيضاح المَحَجَّة وبيانُها، وبيانٌ ، وبيِّنَةٌ . وآيةُ ذلك كما ذكرتُ معناه واحد . ثمَّ صرّفتُه فيما تحتمِلُه اللغةُ / من المجاز، وذكرتُ ما يجوز من ذلك وكيف قيل فيه، في كلام . ثمَّ ذكرت ما تبيّنَ لي فيه من الباطن، وجمعتُ ذلك، وجئتُ به إليه صلّى الله عليه وآله بعد أن بسطْتُ فيه عُذْرًا .

فتهيّبْتُ إخراجَه إليه وأمْسَكتُه إلى أن ذكر أنّه جار/ى/ في ذلك بعضَ من يُعنَى بقول الفلاسفة ، وأنّه ذكر ما قالوه فيه باللسان الفلسفيّ ، وذكر ذلك

(1) البقرة ، 111 .
(2) النساء ، 174 .
(3) يوسف ، 24 .
(4) الأنبياء ، 24 . وتبدأ السورة بـ : اقترب للناس حسابهم .
(5) المؤمنون ، 117 . وتبدأ السورة بـ : قد أفلح المؤمنون .
(6) النمل ، 64 .
(7) القصص ، 32 و75 .

وفسّرَه إلى أن اعترفَ عليهم وأقرّ بالتخلّف وذكر جمل قوله في ذلك ، وكان مرجعه إلى مثل ما قدّمتُ ذكرَه من أنّه حجّةٌ ،ولكنّهم (1) تكلّموا فيه على مثل ما يتكلّمون فيه من تنزيل الأشياء واتّصالها / وكيف يكون ذلك ويتّصل (2) بزعمهم .

ثمّ أخرَجَ إليه بعضٌ من حضر المجلسَ كرّاسةً في مثل ذلك قد كان سأل عنها رجلا من بعضِ الدعاةِ جاء في ذلك ببعض قولِ الفلاسفة لم يَعْدُه على مثل ما قالوه .

وجاء آخر برسالة البرهان (3) . فنظر المعزّ عليه السلام فيهما ثمّ قذف بها وقال : والله ما المصيبة إلاّ أن يضافَ إلينا مثلُ قائلِ هذا الكلام ويُ . بَ إلى أنّه من دعاتنا ، وليسَ في هذه الرسالة للبرهان ذكرٌ ولا معنى ، غير أنّه لقّبها به . ووقف المعزّ عليه السلام فيها على خطإ كثير أتى به .

ثمّ نظر إلى الكرّاسة التي / بعث بها الآخرُ وكان الذي ذكر أنّه جاراه في تلك وأجاب عنه بكلام الفلسفيّ حاضرا وهو أحذق مَن بالحضرة به ، فقال له: وهذا الكلام الذي جئتَنا أنتَ به جاء هذا به أيضا . فقرأ عليه شيئا منه وأوضح فسادَه ، وقال لي : هات أنت أيضا ما عندَك في ذلك ! فاعتذرت وذكرت أنّ الذي دعاني إلى جَمْعه أمرُ أمير المؤمنين صلوات الله عليه (4) بذلك ، وإلاّ ، فالذي كنت أحبّه سماعُ ما عند أمير المؤمنين منه وإيثاره عنه . وناولتُه كرّاسةً كنتُ جمعت فيها ذلك ، فقرأها وتبسّم وقال : قد أجبتَ فيما استدلَلْتَ به ومثّلتَه / شيئا يقاربُ المعنى وليس به ، ولكنّك حصلت على قِشْرٍ منه .

فقلت : وهذا ما في أوعية القوم وقف عليه أمير المؤمنين عليه السلام ولم يبق إلاّ ما ننتظر من فضله ويُوجَد عن/د/هُ ، وقمت قائما وقلت : يتطوّلُ أميرُ المؤمنين (ص) ، فقد تعلّقتِ القُلوبُ إلى ما عِنْدَهُ . وكان في المجلس جماعة فقام كلّ من كان منهم جالسا (5) .

---

(1) في الاصل : ولكنه .
(2) في الاصل : واتصل .
(3) رسالة البرهان : يبدو أن مؤلفها من دعاة الشيعة ، ولم نقف لها على ذكر عند من سبق عصر النعمان .
(4) في العبارة هنا : منه ، وآثرنا حذفها .
(5) هل يعني قيامهم أن الوقوف واجب عندما ينطق الامام ؟

فقال : اجلسوا ! وابتسم . ثمّ قال : إنّ هذا يحتاج إلى أن يبسط له بساطٌ يكون بين يديه ويؤسّس له أساسٌ يبنى الكلام فيه عليه ، وذلك يطول ذكره . ولكن، أليسَ قد ثبتَ أنّ البُرهانَ أمرٌ جليل وخطب / جسيم ؟

قلت : نعم .

قال : فلِمَ لم نجد/ه/ من أسماء الله جلّ ذكره ولا من صفاته ؟ أليس قد علمنا أنّه أعظم شيء دونه ؟

قلت : أجل .

قال : أوليس قد رُوِيَ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال: لمّا خلق الله العقل قال له : أقبل ! فأقبل ، ثمّ قال له : أدبر ! فأدبر . فقال : وعزّتي وجلالي ما خلقتُ خلقًا هو أكرمُ عليّ منك ، بك آخُذ ، وبك أعطي وبك أثيبُ ، وبك أجازي ، وبك أعاقب ؟

قلت : هذا حديث معروف مأثور (1) .

قال : فهل يكون مِن دون الله ما هو أفضل ممّن شهد الله له عزّ وجلّ بهذه الشهادة وأنزله من الفضل بهذه المنزلة من جميع / ما خلق كما قال عزّ وجلّ ؟

قلت : لا .

قال : فما أثبتَهُ العقل الصحيحُ الكامل، الذي شهد الله له بهذه الشهادة وشهد له وصدّقه وأوجبه (2) ، فذلك هو البرهانُ المنير بصحّته ووجوبه ، كما أنّ آياتِ النبيّينَ إنّما كانت براهينَ بتصديقِ العقولِ الصحيحة إيّاها وثَبَتِها(3) فيها،وشهادةِ

---

(1) ذكر الغزالي هذا الحديث في الاحياء، ج 1 ص 83 (من طبعة دار المعرفة بيروت) وكذلك في « ميزان العمل » ص 331 (تحقيق سليمان دنيا، القاهرة 1964) ويعتبر من الأحاديث الموضوعة ذات الصبغة الاشراقية .

انظر : العناصر الافلاطونية المحدثة والغنوصية في الحديث لقولدزيهر ضمن كتاب عبد الرحمان بدوي : التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية (القاهرة 1965) ص 218–241 . وذكره التبريزي في مشكاة المصابيح 2 / عدد 5064 قائلا : وقد تكلم فيه بعض العلماء .

(2) هذه الأفعال الثلاثة معطوفة على «أثبته العقل» .

(3) الثبت بفتحتين : الحجة والبرهان . وهذا المصدر معطوف على «تصديق» .

قالها ودفعَتْها العقولُ الناقصة بعد أن أثْبتَتها(1) وقامَتْ حجةُ الله فيها عليها. وذلك قوله سبحانه : « وَجَحَدُوا بها وَاسْتَيْقَنَتْهَا أنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا(2) » .

وأمّا قولهم لمّا رأوْا العذابَ: «وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أصْحَابِ السَّعِيرِ (3) » ، فإنّما ذلك بما قصر من عقولهم ، وليس مثلَ هذه العقول ذكَرْنا ، ولا إليها أشرنا . ولمّا كان / العقل خلقـ[ا] من خلق الله لم يكن له بدّ(4) من زَوْجٍ يُشبِهُه لقوله عزّ وجلّ : «وَمِنْ كُلّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (5)»، فباطن العقل في الفضل كمِثله ، وما شهد له وثبت عنده وصدَّقهُ فذلك برهان منه له كما قال جلّ ذكره: « فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ (6) » .

فقبّل الأرض من كان في المجلس بين يديه . وقال ذلك الذي كان يقول [بقول] الفلاسفة : على مثل هذا . والله ، دار القوم وأخطأوه ، وحوله حاموا فجهلـوه .

فقال (صلع) : أرأيتم لو حدّثكم رجل صادق عندكم أنّه سمع رجلا مخبولا تكلّم بكلام الخبل ، هل كنتم تمترون في قوله ؟

قلنا : لا .

قال : فلو حدّثكم / بذلك عن رجل عاقل فاضل عالم ، أليس كنتم تشكّون في صدقه حتّى تختبروا الرجل الذي حكى ذلك عنه ، فإن أصبتموه على ما كنتم عهدتموه من العقل والفهم والعلم كنتم على ما كنتم،عليه من الشكّ فيما نُقِلَ إليكم عنه لصدق المخبِرِ وحاله التي تدفَعُ عنه وتنفِي مثلَ ذلك الخبر ، لأنّ العقل لا يقطع على صادق بالكذب ، ولا عاقل بالخبل والتخليط ؟

قلنا : نعم .

(1) قالها العقل . واثبتها العقل .
(2) النمل ، 14 .
(3) الملك ، 10 .
(4) في الأصل : لم يكن بد له .
(5) الذاريات ، 49 .
(6) القصص ، 32 .

قال : فإن أصبتموه مخبولا مختلطا [فـ]ـهل تشكّون في خبر الرجـل المخبر عنه بالتخليط ؟

قلنـا : لا .

قال :أليس إنّما كان ذلك بما شهـد به العقلُ صار برهانا على صدق المخبر؟(1)

قلنـا : نعـــم .

قال : ومن هذا / قول رسول الله صلّى الله عليه وآله : ما جاءكم عنّي فاعرضوه على كتاب الله فما وافق كتاب الله فأنا قلته ، وما لم يوافقه فلم أقله . ثمّ أكّد ذلك فقال : وكيف أخالف كتاب الله وبه اه/ى/ديتُ ؟ والمأثور عن رسول الله صلّى الله عليـه وآلـه مـن الأخبـار لا يوجـد نصّـه (2) في ظاهـر القـرآن وإنّما يوافق ما فيه بالاستدلال ، وشهـادة العقـــول .

ثمّ قال صلّى الله عليه وآله : وهذا ما لم أعلم أحداً من الآبـاء ولا من غيرهم تكلّم فيه ، وسوفَ أبسُطُه وأشرَحُ معانيَه حتّى أجسّمه جسماً للناظرين وأمثّلَه روحاً للمتأمّلين .

وكان في قوله هذا كفاية لمن تدبّره وهـدى لمن أبصره / ورمزٌ لما فيه من علم الباطن . وأشار إلى علم أشياء لم أر أكثر من حضر فهِـمَها ، بل رأيت كثيراً منهم قصر عن فهم ظاهر ما تكلّم به ولم يقِـفْ على حقيقةِ معرفته .

وهذا الذي جاء به (صلع) هو الذي أوجب عند ذوي التمييز والعقول فضلَه وأبان لديهم خطبه ، وشهد بالأمانة له وبرهن عن اتّصال مادّة (3) الله عزّ وجلّ إيّاه وتأييده /له/ بالحكمة (4) عند من اعتبر ذلك فيه وميّزه من أمره وتدبّر حاله . لأنّا قد علمنا أنّه حديث السنّ قريبُ العهد معروفُ المكان مشهورُ الخلطاء والإخوان

(1) هنا أيضا التباس في التركيب،والمعنى المقصود هو : أليس انما ... صار ذلك برهانا على صدق المخبر ، بما شهد به العقل ، أي بفضل ما شهد به العقل .

(2) في الأصل : نصها . والحديث : ما جاءكم عني ... ذكره أبو بكر بن عربي في حاشيته على صحيح الترمذي ، ج 10 ص 133 .

(3) المادة مصطلح اسماعيلي ، وتعني عندهم الفلم الالاهي الذي ينتقل إلى الأئمة ، ويترجمه H. Corbin بعبارة La sève divine . هذا وان تركيب الكلام لا يستسيغ ضمير «إياه» اللاحق، ولعله محرف عن «به».

(4) في المخطوط : وتأييده بالحكمة له ، فآثرنا تقديم « له » .

ممّن يلوذ به ويجلس إليه / وينصرفُ بين يديه ، ويصحبه مذ كان طفلاً إلى أن شاهدْنا فيه ما قد شاهدْنا ، لم نعلمْ له في الطفولية مؤدّباً عالما فنقولَ : أفاد منه ،ولا بعْدَ ذلك من جليس ولا مصاحب كذلك يحسن شيئا فنقول :أفاد عنه ،ولا كانت له رحلة ولا طلب ؛ ولا أراه يفيد شيئا من دراسة الكتب يوازي جزءا لا يتجزّأ ممّا نراه فيه ونجده من فنون العلم والحكمة لديه .

وقد نرى من اكتهل وخرف في الطلب ورحل وكتب ولقيَ العلماءَ وأخذ عن الحكماء وأكبّ الدهرَ الطويل على الدراسة وحركةِ الحِجاج والمناظرة لا يجاريه في شيء من / العلم ولا يدانيه ولا يقاربه في شيء ، ولا يقاس إليه وإن كان صاحب فنّ قد انفرد به ، وعلمٍ قد قطع طولَ عمره في طلبه .

وجدناه صلوات الله عليه قد نظر في كلّ فنّ وبرع في كلّ علم ، وإن تكلّم في فنّ منها أربى على المتكلّمين وكان فيه نسيجَ وحدِه في العالمين . أمّا علمِ الباطن ووجهه فهو /اا/بحر الذي لا تُخاض لُجّته ولا يُدرك آخره .

وأمّا القول في التوحيد وتثب/ي/ت الدين والردّ على أهل اقتراف البدَع والملحدين فهو واحد/ه/ وهو علَمُه ومناره وعمدته .

وأمّا الفقه والحلال والحرام ومسائل الفتيا والأحكام فذلك مجاله وميدانه وصنعتُه وديدانه (1) .

وأمّا الطبّ والهندسة وعلم النجوم والفلسفة فأهل النّفاذِ في كلّ فنّ من ذلك في يديه ، وكلّهم في ذلك عيال عليه (2) . يخترع في كلّ يوم لهم من الصنائع ويُبدع لهم فيه البدائع من دقائق معانيه ، وما تحار أذهانهم فيه فيما لو أخذتُ في تقصّي معانيه ووصفِ ما آثره الله عزّ وجلّ به وجعله من العلم والحكمة فيه ، لقُطِع هذا الكتاب عمّا بَنَيْتُه عليه .

وهذا من نحو براهين جدّه محمد صلّى الله عليه وآله إذ (3) أكمل الله عز وجلّ ما أكملَه من العلم والحكمة والفضل فيه وهو أميّ / لا يقرأ ولا يكتُب ،

(1) في الأصل : وديوانه . والديدن والديدان الدأب والعادة .
(2) في الأصل : فأهل النقاذ في كل فن من ذلك عيال في يديه و كل كلم في ذلك عليه .
(3) في الأصل : واذ .

ومقيم بمكّة َ لا ينصرف عنها فيطلب ، ولم يكن بها عالم بما جاء فيقال : أخذ ذلك عنه ، ولا طرأ إليها طارىءٌ (1) صحبه يُعرَف بعلم فيقال : إنَّه اقتبَسَهُ منه : وفي هذا قول الله عزّ وجلّ وهو أصدق القائلين : « وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إذًا لاَرْتَابَ المُبْطِلُونَ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ (2)» . فكفى بهذا من شهيد ودليل وبرهان يرى بالعيون ، ويسمع بالآذان، وتنقادُ له العقول بإذعان، لمن كان له قلب ، كما قال الله عزّ وجلّ : «أوْ ألْقَى السَّمْعَ وَهوَ شَهِيدٌ (3)» .

(1) في الأصل : صار .
(2) العنكبوت ، 48 – 49 .
(3) ق ، 37 .

الجزء السادس

[بسم الله الرحمان الرحيم]

كلام فيـ[ـه] تقريع وتوبيخ في التخلّف عن طلب العلم :

84 — قال القاضي النعمان : جلست بين يدي الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوما فذكر زهادة النّاس في الخير وإعراضهم عنه ، وتخلُّفَهم عن طلب العلم والحكمة ، ورضاهم لأنفسهم بالجهل ، واشتغالَهم بأمور الدّنيا وإكبابَهم عليها ، فقال : والله لقد كفينا كثيرا ممّن اختصصْنَاه منهم من أوليائنا وعبيدنا أمرَ دنياهم ، وأطعَمْنَاهم ممّا نأكُلُ ، وكسوْنَاهم ممّا نلبَس ، وشاركناهم فيما نملِكُ ، وإنّهُم ليأكُلُونَ من ذلك ويلبسون ويملِكُون / ما لا تَعَبَ ولا نصَبَ ولا كُلْفَةَ عليهم فيه ، وإنّا لنتعب وننصَب ونتكلّفُ ذلك لهم ، فهم على ذلك أخفضُ عيشًا منّا فيه ، وأقلُّ تعَبًا واهتمامًا به ، وما سلِمنا مع ذلك من عادِيَة ألسنتهم فيما ينسبونه إلينا من سوء أفعالهم فيما أكبّوا عليه من أمر دُنياهُم . إنْ تعدَّوا فيما بسطْنا فيه أيديَهم لما يقتَطعُونَه لأنفسِهم ويأخذُه الناس عليهم في ذلك من سوء أفعالهم الذي لا شُبهَةَ فيه ولا سترَ عليه ، قالوا : هذا لمولانا واجبُه وحقُّه وله نأخذُه وبذلك أمَرَنَا ! ومعاذَ الله أن نأمرَهم بغيرِ الحقّ ، وعهُودُنَا منشورة في أيديهم / تشهَد

بذلك عليهم ، فما كفاهم ما يقترفونه لأنفسهم في الحرام حتى ينسبوه (1) إلينا ويَنْحَلُونَا الأمرَ به. وقد أعاذنا الله عزّ وجلّ منه ،حتى إذا أردْناهم أن نعظهم ، ونُبيِّنَ الحقّ في ذلك لهم ، ونوقفهم على حدود دينهم ، ونوضّحَ لهم سُنَنَ نبيّهم صلّى الله عليه وآله ،وما افترَضَهُ اللّهُ عزّ وجلّ عليهم ،ونريد أن نَقْضِيَ بشيءٍ ممّا أُودِعْنَاهُ من حكمةٍ لِمَا نرجُوه بذلك من صلاح أحوالهم وتزيينِ أمورِهم ورفعِ درجاتِهم وإلحاقِهم بأهلِ العلم والحِكْمَة والفضلِ ، لم نرَ فيهم لذلك موضعًا ،ولاعليه إقبالا ،ولا فيه رَغبةً ،ولامنهم لنا فيه سؤالا ولاطِلبَةً . ولربّما أردت شحذَهم / بالتوبيخ في ذلك وسؤالَهم عمّا لا يسعُهم جهلُه ولا يحِلُّ لهمُ التّخلُّف عن عمله ممّا افترضَه عزّ وجلّ عليهم وأوجبَه وكلّفَهُم سؤالَه وطلبَه ، فلا أرى إلاّ عيونا ناظرةً ،وأفواها فاغرةً ، وأجساما من العلم والحكمة خاليةً . حتّى إنّي ربّما رجعت في ذلك من مخاطبَتي إيّاهُم به ألُومُ (2) نفسي فيه ، فمتى ينشرح لمثل هؤلاء صدرٌ فيَسْمَحَ لهم بفائدة ، أو تجيبُ نفسٌ إلى أن تعودَ عليهم بعائدة ؟

فلمّا سمعتُ ذلك منه صلوات الله عليه مُلِئتُ غمًّا به لخوف الحرمان وانقطاع موادّ الفضل والإحسان — نعوذ بالله من ذلك ونرغب إليه في اتّصالِ نعمته ودوامِ فضلِهِ ورحمته / ونَيْلِ درجةِ الفضل المرجوّ دركُها من عندِه — فأردتُ تسهيلَ ذلك وبسطَ بعض العذرِ فيه ، فقلت : وإنْ رأى أميرُ المؤمنينَ عليه السّلام مَن رآه من أوليائه وعبيدِهِ على ما وصفَهم به ،فأقلُّ شيءٍ عندهم — بحمد الله — من فضله وفوائدِه وحكمتِه وما أخذُوه عنه وتمسّكُوا به ، أفضلُ من كلّ شيءٍ هو عند غيرِهم ممّن خالف مذهبُهم الولايةَ والمحبّةَ .

قال : لقد علمنا أنّ قليل الحقّ أفضلُ من كثير الباطل ، وأنّ الباطلَ كُلَّما كثُر منه كان أضرَّ لمن كثُر عِنْدَه ، ولكن أردنا من أوْلِيَائنا أن يكُونُوا عُلَمَاء في الدّنيا يعرِفُ فضلَهم جميعُ أهلِها ، وإلاّ فإنْ — وأعوذ / بالله — ظهرَ على أحدِهم عدُوٌّ لنا فسأله عن مثل ما نسألُهُم عنه ، عن أمرِ دينه واعتقاده وبماذا أوجبَ ولايتَنَا وإمامتَنَا عندَه ، ولعلّه أن يكونَ ممّن عُرِف بنا وذُكِرَ من أوليائنا ، فلا يجد عِنْدَه شيئا ، أفلَيْسَ يكونُ ذلك — لو كان ، وأعوذ بالله — من النّقص

(1) في الاصل : نسبوه .

(2) في الاصل : « اليوم » ويبدو أنه تصحيف .

علينا ، ويوجَدُ به السّبيل إلى الطّعن في مذهبنا ونسبة الجهل إلينا والزّراية على ما عندنا ؟ !

قلت : الذي قال أمير المؤمنين (صلع) حقٌّ وصيّةٌ (1) ، والذي أراده لأوليائه شرفٌ وفضلٌ ، ولكن قد علِمَ أميرُ المؤمنين عليه السلام أنَّ (2) أهلَ العلمِ قليلٌ في النّاس وأنّ الناسَ لما عدّدُوا من كان يُوصَف بالعلم / من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ذكروا بذلك عليّا عليه السلام الذي لا يقاس أحد به فيه ولا يُعدُّ في درجته . ثمّ ممّن قالوا كان يُذكَر بعدَه بالعلم منهم على ما وصفوه واستقصوه : سلمان الفارسيّ (3) ، وجابر بن عبد الله (4) ومعاذ بن جبل (5) وعمر ابن الخطّاب . هؤلاء الذين وصفوهم بالفقه لا غير ، وشهدوا أنّ رسول الله صلّى عليه وآله قال : أقضاكم عليّ (6) . وذكروا منهم من كان بعده يذكر بعلم القضايا ، فذكروا : عبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري وأبا بكر وعمر . وذكروا العلم بالقرآن فقالوا : عليّ عليه السلام / أعلمهم به ، وذكروا بعده عبد الله ابن مسعود وزيدا (7) وأبيّ بن كعب (8) وجابر بن عبد الله وعثمان بن عفّان . فهؤلاء أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يذكر بالعلم منهم غير عشرة لم يكملوا كلّهم فنونه وإنّما أكمل ذلك — على ما ذكروه — عليّ عليه السلام وحده

---

(1) في الاصل : وصيه .

(2) في الأصل : أنــه .

(3) سلمان الفارسي : انظر ص 56 .

(4) جابر : صحابي ،أحد ثلاثة ذكرهم ابن الأثير في أسد الغابة (ترجمات عدد 645–646–647) . وقد ذكر الطوسي منهم اثنين فقط : جابر بن عبد الله بن حرام وجابر بن عبد الله بن رئاب (رجال الطوسي ص 11 و 12) . والمعني هنا هو جابر بن عبد الله بن حرام الانصاري، فان ابن الأثير يقول فيه : وكان من المكثرين في الحديث . توفى بالمدينة سنة 74هـ . وانظر : الاستيعاب ج 1 ص 222 . وفي الدعائم (ج 1 ص 3) أن محمد الباقر كان يسأل جابر بن عبد الله في مسائل فقهية ، وقد أخذ عنه صغيرا ، إذ تكون سن الباقر حين وفاة جابر سبع عشرة سنة . وعده ابن حجر فيمن روى عن جابر. (انظر تهذيب التهذيب ج 2 ص 42 : ج 9 ص 350) .

(5) معاذ بن جبل : صحابي جليل شهد العقبة وبدرا وأحدا وغيرها . قال فيه الرسول (ص) : أعلم الناس بالحلال والحرام معاذ بن جبل (انظر أسد الغابة ، ترجمة 4953 والاستيعاب ج 3 ص 365 والاصابة ج 3 ص 406) . توفي سنة 18هـ .

(6) جاءت هذه العبارة في الحديث الذي رواه أنس بن مالك بعد : وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبي بن كعب (انظر : أسد الغابة في ترجمة أبي عدد 34) .

(7) زيد بن ثابت : كان يكتب لرسول الله (ص) الوحي وغير الوحي ، وشهد له بالتفوق في معرفة القرآن (أسد الغابة ، عدد 1824 والاستيعاب ج 1 ص 532 والاصابة ج 1 ص 543) . توفي سنة 45هـ .

(8) أبي بن كعب : كان من أول من كتب للرسول (أسد الغابة عدد 34 والاستيعاب ج 1 ص 27 الاصابة ج 1 ص 31) .

مع ما له من المناقب والفضائل ، فلم يكن ما أراده أميرُ المؤمنين عليه السلام من أوليائه وعبيدِه يكمُل في أحدٍ من أصحاب رسول الله (صلع) . ثمّ قد كان منهم في ولاية وليّ الأمر بعده (1) ما علمه أمير المؤمنين عليه السلام ، فلم يصحّ معه (2) منهم إلاّ القليل . فالوَلاية أصلُ / الدّين وعُمْدتُه ، وسَنامُ الأمر وقُطْبُه . وأكثرُ أولياء أميرِ المؤمنين وعبيدِه – بحمد الله – لهم في ذلك الحظ الأوفر والنَّصيب الأجزل ، وهم – بحمد الله – في أيّامه الطاهرة ودَولتِه الزّاهرة ، على أفضلِ ما كانوا وكان مَنْ قَبْلِيَهُمْ قبلَ ذلك (3) . والله يبلّغُ وليَّه فيهم أمَلَه ويوفّقُهم لِما يُرضيه إن شاء الله تعالى .

فسكت (صلع) ولم أدرِ كيف وقع هذا القول منه ، وإنّما حامَيْتُ به عنّي وعنهم خوفا ممّا قدّمتُ ذكره من أن يكون ما ذَكَره (صلع) يُوجب قطعَ فضله ومادّةِ نعمته وما يُرجَى لديه .

أعاذنا الله من ذلك ومنّ علينا بما نرجوه منه / ووصل لنا بالمزيد ما منّ علينا به منه .

كلام في مجلس في تخلّف أكثر الناس عن علم الفوائد :

85 – (قال) وسمعته عليه السلام يقول وقد ذكر المهديّ والقائم والمنصور عليهم السلام ، فذكر بعضُهم فضلَهم وعلمَهم وما خصَّهمُ الله عزّ وجلّ به من الحِكمة ، ثمّ قال : وقد رأينا أكثرَ مَن صحِبهم ولقِيَهم وتصرّف في خِدمتهم وشافهَهُم وسمِع كلامهم من (4) المؤمنين أيَّامَهم لا يحكي شيئا من ذلك عنهم ولا يأثر شيئًا مِن (5) ذلك منهم : وأكثرُ ما يحكونَ عنهم ما تَميلُ إليه طِباعُهم وتَألَفُه أنفسُهم من ظاهر أمرهم ونَهْيِهم وأفعالِهم في أمور الدّنيا وما كَلّفُوه / من إقامة أهلِها على ظاهرِ مِنهاجها ممّن أمروا بِضَرْبِهِ وأدْبِه (6) وحبْسِه أو

(1) أي أبو بكر بعد الرسول (ص) .
(2) أي : مع علي . لم يثبت معه في المطالبة بحقه الا القليل ، رغم ما شهد للصحابة بالعلم والأمانة .
(3) نقترح قراءتين لعبارة « من قبلهم » نظرا لغموض القصد .
(4) في الأصل : أميـر .
(5) في الاصل : منـه .
(6) هذا المصدر غير معروف في اللغة في معنى التأديب .

قتله، ومن ولّوه أو عزلوه ، وأثابوه أو عاقبوه . فهذا أكثر ما حفظوه عنهم ووعوه ،كأنّهم لم يسمعوا منهم فائدة ولا لفظوا قطّ بحكمة ولا رأوها جرت في فعل من أفعالهم ولا ظهرت في أمر من أمورهم ف[يـ]ـتحدّثوا بها عنهم أو يأثروها (1) منهم .

كلام في مجلس في معرفة حقوق الأئمّة صلوات الله عليهم :

86 — (قال) وسمعته عليه السلام يقول : سمعت المنصور عليه السلام ورحمته وبركاته يقول : رأيت المهديّ (ص) وقد وقف مع شيخ من كبار الدّعاة — ذكره — بعد أن قام من مجلسه وكلّمه بكلام ، ثمّ ولّى عنه،فأهوى / ذلك الشّيخ إلى الموضع الذي كان عليه المهديّ عليه السلام قائما من الأرض فأخذ من ترابه بيده شيئا فقبّله ثمّ صرّه في منديل كان في كمّه ، فلا أدري كيف التفت إليه المهديّ عليه السلام بعد أن صار بعيدا عنه ، فرآه وما فعل ، فقال : يجزيك اللّه بذلك خيرا يا أبا فلان!

وما ظننت ولا ظنّ ذلك الشيخ أنّه رأى ما فعله لأنّه لم يفعله إلاّ بعد أن ولّى ظهره ومضى عنه .

كلام في مجلس في ذمّ الكبر :

87 — (قال) وسمعته عليه السلام يقول وذكر بعض الدّعاة وأنّ بعض الأئمّة عليهم السّلام نصبه ، قال : فأعجبته نفسه وأبطره الإحسان / إليه وشمخ بأنفه ولم يكد يثني بعطفه ، وجعل كأنّ فضل وليّ الله عليه فضل له استحقّه بنفسه . وعلم ذلك وليّ الله عنه فوضعه وخلعه عمّا كان أهّله له .

قال : فممّا (2) كان يسمعه منه /و/ ما دلّه على سخف رأيه وذهابه بنفسه ، أنّه إذا بلغ في مدح رجل ووصفه بالدين والإيمان قال : هو ممّن يغشاني ويختلف إلى داري . وإذا بلغ في ذمّ الرّجل ووصفه بالجهل والتخلّف عن الدّين

(1) في الاصل : فتحدثوا ... أو يأثرونها .
(2) في الأصل : فما .

والإيمان ، قال : هو ممّن /لا/ يختلف إليّ ولا أراه ، كأنّه رأى أنّ الدينَ والإيمانَ /في/ الاختلاف (1) إليه ، والانسلاخَ منهما /في/ التخلّف عنه .

قال : وقد كان إذا خرج مع وليّ الله / اعتزل ناحيةً وأخذ النّاسَ بالكون معه ومشى بهم في موكب، يرى ذلك ممّن اتّبعَهُ تألّفًا على الدين والإيمان (2) . (قال) ونصح له بعض من نصح له فتجهّم في وجهه وانتهره ، وكان ذلك وغيره من سوء اختياره سببَ اتّضاعه من حيث أراد رفعة نفسه ، وإنّما يرفعُ اللّهُ عزّ وجلّ مَن تَوَاضع له ولأوليائه .

ثمّ قال صلوات الله عليه : إنّ الله عزّ وجلّ لمّا أنزل التّوراة تطاولَتِ الجبال لها ، كلّ جبل منها يريد بذلك أن يكونَ نزولها عليه . وتواضع وهبط طورُ سيناء فأنزل الله عزّ وجلّ عليه .

وهذا يؤيّد قول رسول الله صلّىٰ الله عليه / وآله: من تواضع للّه رَفَعَهُ الله (3) . وقوله: ما من آدميّ إلاّ وفي رأسه حَكَمَةٌ بيد ملَك ، فإذا تواضع للّه رفعَه بها ، وقال : ارتفِعْ رفعَكَ الله ، وإذا تكبّر ضربَه بها وقال : ا(ن)خَفِضْ خفَضك الله (4) . وقول جعفر بن محمد (صلع) : من طلب العلم ليماريَ به السّفهاءَ أو يكابرَ به العلماء ليترأّسَ به في النّاس فليتبوّأ مقعَده من النّار ، لأنّ الرّئاسة لا تصلح إلاّ لأهلِها ، فالرّئاسةُ لا تصلُح إلاّ لأولياءِ الله ، فمَن نازعهم إيّاها ونافسَهم فيها وضعَه وأذلّه الله . ومن ذلك قول رسول الله صلّى الله عليه وآله : الكِبرُ رداء الله فمن نازعَه فيه قَصَمَهُ (5) .

حديث في مجلس / في سوء السياسة :

88 — (قال) وذكرت له يوما صلّى الله عليه وآله حال رجل كان من خاصّة بعض أمراء العامّة وقد استولى على جميع أسبابه ، وكان ناصحًا له قائما بأسبابِ

(1) في الاصل : والاختلاف .
(2) في الاصل : ... يرى أن ذلك وممن اتبعه تألفا .. ولا يستقيم المعنى به .
(3) من تواضع لله : خاتمة حديث ورد عند الدارمي ، ج 1 ص 396 والترمذي ج 8 ص 184 .
(4) الحديث في الجامع الصغير للسيوطي ، ج 3 ص 102 مع اختلاف في اللفظ . والحكمة بفتحتين : حديدة اللجام . وقد ذكره اللسان (حكم) بثلاث روايات ، منها حديث عمر : إن العبد إذا تواضع رفع الله حكمته أي قدره ومنزلته .
(5) حديث رداء الكبرياء : انظر صحيح مسلم، ج 8/35—35 وسنن ابن ماجة ص 1397 رقم 4174 ومسند أحمد بن حنبل 109/13 رقم 7376 . وكذلك الكافي للكليني 309/2 رقم 2—5 .

خدمته ، فكان ذلك الأميرُ فيه ضُعفٌ وسُخف ، فكان ذلك الرّجل يقوم له بأكثر الأشياء ، وأنّ عامّة رجال ذلك الأمير عادَوْه للنّصيحة له وحسَدُوه على مكانِه عندَه فلم يزالوا يعمَلُون عليه حتّى قتلوه .

فقال (صلع) : من مثل هذا يؤتى مثلُ هؤلاء . إذا ترأّس أحدُهم وقدّمَه سلطانُه ورفعَه أعجبَتْه نفسُه ورأى أنّ له فضلاً بفضل نصيحتِه / وخدمته على ذلك السّلطانِ الذي قدّمَهُ وأحسَنَ إليه ورفعَه . فإن رأى ذلك السلطانُ رأيا يرى هو خلافَه اعترضَه فيه ، وإن فعل فعلا ينكرُه أنكرَه عليه ، وإن بذل بذْلا وأعطى عطاءً أنكره وعاتَبَهُ فيه ، فلا يزالُ كذلك حتّى يسقطَ من عَيْنَيْه ويثقُلَ عليه أمرُه فيهلكُ عندَهُ . ولو عرف كلُّ امرِئ مقدارَ نفسه لما هلك بمثلِ هذا من فعله ، فقد قيل : ما هلك امرؤٌ عرفَ قَدْرَهُ .

حديث في مجلس في معنى القضاء في اللّغة :

89 — (قال) وذُكِر عنْده عليه السّلام القضاءُ واختلافُ معانيهِ وما يقول النّاسُ فيه ، فقال : ليس / كما يقولون ! ولكنّ أصلَ القضاءِ البيانُ ، وكلُّ ما جاء ذكرُه فيه مردودٌ إلينا .

فنظرت بعد ذلك فيما قاله أصحاب اللّغة فيه ، فوجدتُ الخليل بن أحمد ذكر تفسيرهُ في كتاب العين ، فقال : قضى ، يقضي ، قضاءً ، يعني : حكَم ، يحكُم ، حُكما . ويقول : قضى إليْه عهدا ، معناه : الوصيّة ، وبه يُفَسَّر : «وَقَضَيْنَا إلى بَنِي إسْرَائِيلَ (1) ... » ويقول : قضَى عليه الموتُ أي أتى عليه . وقال في موضع آخر : الحاتم : القاضي ، والحتمُ : الزّامُ القضاء . فهذا قول الخليل (2) فيه .

وقال عبد الله بن مسلم بن قتيبة (3) : أصل /قضى/ (4) حتم كقوله : «فيُمْسِكُ الّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ» أيّ حتَمَهُ عليها / . وهذا محالٌ من قوله ، لأنّ الله

---

(1) الاسراء ، 4 .

(2) هو الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدى الأزدى (100-170هـ/718-786م) واضع علم العروض. ولادته ووفاته في البصرة ، وعنه أخذ سيبويه النحوي ، انظر عنه القفطي : إنباه الرواة 1 : 341 . وهذا النقل — فيما يبدو — من كتاب «العين» .

(3) أبو محمد ، الدينوري ، ولادته ووفاته ببغداد (213-276هـ/828-889م) سكن الكوفة ، وتولى قضاء الدينور مدة فنسب إليها . انظر عنه : ابن خلكان وفيات الاعيان . ابن حجر : لسان الميزان ج 3 ص 357 . والنص من كتابه : تأويل مشكل القرآن ، 441 .

(4) في الاصل : «القضاء» : والتصويب عن تأويل مشكل القرآن .

عزّ وجلّ قد حتَمَ الموت على كلّ نفس ، وإنّما قال في هذا : «اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ، وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ، فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى » . فلو كان القضاء هاهنا الحتمَ لكان عليها جميعا (1) .

قال هذا القائل : ثمّ يصير الحتم بمعان ، كقوله : «وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ (2)» أي : أمر ، لأنّه لمّا أمر حتم بالأمر .

وكقوله « وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ (3) » أي : أعلمناهم ، لأنّه لمّا أخبرهم أنّهم يفسدون في الأرض حتم بوقوع الخبر .

وقوله : « فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ (4) » أي صنعهنّ .

وقوله : « / فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ (5) » : اصنع ما أنت صانع .

ومثله : « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ [ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً] ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ » أي اعملوا ما أنتم عاملون [وَلاَ تُنْظِرُونِ] (6) .

وأنشد لأبي ذؤيب (7) (كامل) :

وعليهِمَا مسرودتان قضاهُمَا   داودُ /أو/ (8) صَنَعُ السّوابغِ تُبَّعُ

أي صنعهما داود عليه السلام [وتبّع] (9) .

---

(1) الزمر ، الآية 42 . وان اعتراض القاضي مردود . فمعنى الآية : يحتفظ الله بالتي حكم عليها بالموت ويترك الأنفس التي أجلها ...

(2) الاســـراء ، 23 .

(3) الاســـراء ، 4 .

(4) فصلت ، 12 .

(5) طــه ، 72 .

(6) يونس ، 71 . والمكمل نص التأويل لابن قتيبة .

(7) هو خويلد بن خالد الهذلي الشاعر . كان مسلما على عهد الرسول ولم يره . فهو جاهلي أسلم ، غــزا إفريقية مع ابن أبي سرح . ومات فيها فدفنه ابن الزبير . وفي موته روايات أخرى (انظر عنه ابن قتيبة : الشعر والشعراء ج 2 ص 635 ، أبو الفرج الاصفهاني : الاغاني ج 6 ص 264 وابن عبد البر : الاستيعاب ج 4 ص 65 وابن ناجي : معالم الإيمان (تحقيق إبراهيم شبوح) ج 1 ص 173 .

(8) في الأصل « من » . انظر السكري : شرح أشعار الهذليين 1 : 39 . والصنع : الحاذق بالعمل ، وهو هاهنا تبع . وانظر أيضا : ابن قتيبة : المعاني الكبير 2 : 1039 واللسان ، مادة « قضى » .

(9) المكمل من ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن 442 .

(قال) وقال آخر في عمر (طويل) :

قضيتَ أمـورا ثمّ غادرتَ بعدها بوائجَ (1) في أكمامها لم تُفتَّقِ

أي عملت أعمالا . لأنّ /كلّ/ (2) من عمل عملا وفرغ منه فقد حتمه وقطعه . ومنه قيل للحاكم : قاضٍ ، لأنّه يقطع على النّاسِ الأمورَ/ ويحتِمُ . وقيـل : قُضيَ قضاؤُك أي فُرِغ من أمرِك . وقيل : قضى الموت أي فرغ (3) . وهذه الفـروع ترجع إلى أصل واحـد (4) .

ففساد الأصل الذي ذكره هذا القائل قد بيّناه . وقوله : إنّ هذه الفروع ترجع إليه ، محال ، لأنّه زعم أنّ أصل القضاء الحتم . ثمّ جعله بعد ذلك أمرا وخلقا وعملا وحُكما وفراغا من الشّيء وموتا ، وليس من هذا شيء يُشبه الحتم ولا يرجع إليه . وكذلك قول الخليل بن أحمد في قضى أنّه : حكم .

وأتى بما لا يخرج على التّنزيل إذ أنزل على جميع ما جاء به في القرآن .

فالذي قال عليه السلام / أنّه البيان، يخرج على جميع ذلك ، بما ذكروه وما لم يذكـروه ، فيكـون علـى ذلك قـولـه : « وَقَضَى رَبُّكَ ألاّ تَعْبُدُوا إلاّ إيّـاهُ (5) » أي بيّـن ذلك فـي أمـره لعبـاده . في كتابه وعلى لسان رسولـه .

وقولـه : « وَقَضَيْنَا إلَى بَنِي إسْرَائِيلَ فِي الكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرْضِ مَرَّتَيْنِ (6) » أي بيّنا لهم في الكتاب .

---

(1) في الأصل : « قوائح » أو « فوائح »، ولا معنى له . وفي الاستيعاب 2 : 465 «بوائق» جمع بائقة وهي الداهية والبلية (انظر اللسان ب. و. ق) واعتمدنا رواية اللسان (ب. و. ج) والبوائج جمع بائجة وهي الداهية أيضا . يقـال : انباجت عليهم بوائج منكـرة ، إذا انفتحت عليهم دواه . واستشهد لـه بقول الشمـاخ .هذا وقد سقط في نسخة المجالس الترضية عن عمر . والبيت في اللسان (ب. و. ج) منسوب إلى الشماخ بن ضرار ، (انظر :أبو تمـام :الحمـاسة 3 : 107) ويذكـر ابن عبد البر : الاستيعـاب 2 : 465 (ترجمة عمر) أن الأبيات « سمعت قبل وفاة عمر فلما مات نحلها الناس للشماخ بن ضرار أو لأخيه مزرد » . (انظر الاغاني 8 : 102) .

(2) من التأويل لابن قتيبـة .

(3) كذا . ونص ما في التأويل : « وقالوا للميت : قد قضى ، أي فرغ » ويأتي عند النعمان أن المعز يريدُ . قضى ما كان عليه من لازم الموت .

(4) إلى هنـا يتوقف النقـل .

(5) الاسـراء ، 23 .

(6) الاسـراء ، 4 .

وقولـه : « فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ (1) » أي : أبانهنّ بخلقه إيّاهنّ للنّاظرينَ . بعد أن لم تكن شيئا بيّنا .

وقوله : « فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ (2) » إنّما هو حكاية عن قول السَّحَرة لفرعَون بعد أن آمنوا بموسى وبعد أن قال فرعون لهم : «آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ (2) » وقوله : « فَلأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلاَفٍ / وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى . قَالُوا : لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا » أي : بيّن ما ادّعَيْتَه من أنّك أشدُّ عذابا وأبقى . إنّما تبيّن ما كان من عذابك في الحياة الدنيا بما تفعله من العذاب فيها .

وقوله: « فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ (3) » أي: بيّنوا إليّ حينئذ ما أنتم عليه وما تريدون .

وأمّا بيت أبي ذؤيب ، قولـه :

وعليهما مسرودتان قضاهُما داود /أو/ صَنَعُ السّوابغِ تُبَّعُ

فجرى مجرى قول الله عزّ وجلّ : « فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ / سَمَاوَاتٍ (4) » أي: أبانَهُما بالصّنعة فصارَتَا دِرْعَيْن .

وأمّا قول الآخر : قضيتَ أمورا الـخ ... ، فيكون : أبنتَ أمورا ، ويكون من غير هذا الوجه ، مثل : قضى الدَّيْن ، وقضى الواجب ، وقضى الصلاةَ ، وقضى الصّومَ ، وقضى الحقَّ ، وأشباهَ ذلك ممّا ليس من هذا الوجه .

وأمّا قوله : قضى القاضي ، فمعناه بيّنَ الْحَقَّ من الباطل .

وقولهم :قضى قضاؤُك أي بيّنَ بيانُك، فليس فيك مقال بعد ذلك من أيّ وجهٍ كان ذلك البيانُ ، فهو بيان ذلك الشيء ، إن استعملوه في الموت ، وأنّ من قيل فيه

(1) فصلت ، 12 .
(2) طـه ، 71—72 .
(3) يونس ، 71 .
(4) فصلت ، 12 .

ذلك قد مات ، فقيل : قضى قضاؤه ، فهو أبين بالموت / أنّه مات . وإن استعملوا ذلك فيمن حكم عليه أو أحكم أمره فهو على ذلك يجري أنّه بيّن الحقّ فيه من الباطل .

وأمّا قولهم : إنّه قضى الموت . فإنّما يراد به قضى ما كان عليه من لازم الموت ، ومنه قول الله عزّ وجل : « فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ (1) » والنّحب : النّذر . وإن حمل على البيان خرج منه ، كأنّه لمّا مات تبيّن أمره . فهذا الذي ذكره هذا القائل ،وما لم يذكره من قول الله عزّ وجلّ : «وَقُضِيَ الأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ (2) » أي : بيّن لهم الأمر الذي كان يعدهم به نوح عليه السّلام .

وقوله (3) : «فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ / مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ (4) » يعني أنّه بيّنه عليه ، ولو كان حتمه لكان الموتُ محتومًا على الحيّ والميْت . ومثله : « يَقْضِي الحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (5) » أيّ [يـ]ـبيّنه .

وأمّا قولُه : « يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا ، وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ (6) » أي : بُيِّنَ لكما الأمرُ الذي سألتما عنه .

وقوله : «إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا (7)» أي : بيّنها لولده بقوله ذلك لهم .

وقوله : « لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ (8) » أي : لبُيِّنَ لهم .

وقوله : « قُلْ / لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ (9) » أي : بُيّنَ .

---

(1) الأحـزاب ، 23 .
(2) هـود ، 44 .
(3) في الاصل : وقولهم .
(4) سبأ ، 14 .
(5) الأنعام ، 57 . وفي قراءة ابن كثير وعاصم ونافع : يقص الحق ، انظر الكشاف ج 2 ص 25 والبيضاوي ج 2 ص 191 .
(6) يوسف ، 41 .
(7) يوسف 68 .
(8) يونس 11 .
(9) الانعام ، 58 .

ومثلـه كثيـر إذا وجّهتـه توجّه كلّه على البيـان كما قـال المعـزّ عليـه السلام . فخلص من فاسد التّأويل ولم يكن للجبرة (1) فيه دليل .

فأمّا قضاء الحاجة ، وقضى الدّيْن ، وقضى الصّلاة ، وقضى الصّوم ، وقضى الحقّ ، وقضى الواجب ، وقضى الوطر ، كقول الله تعالى : « فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الأَجَلَ (2) » وقوله : « فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا (3) » فذلك غير ما تقدّم ذكره وهو أداء الشيء والخروجُ منه ، كما يقال قضى فلان الحجَّ ، وقضى العُمْرَةَ ، وقضى الزّيارةَ ، وقضى المناسكَ ، ومثل ذلك كثير . وهو أيضا يجري مجرى البيان لأنّه الخروجُ من شيء ، ومن خرج من شيء أو فارقه فقد بان / عنه (4) .

وهذا اللّفظ كلّه لفظ المعزّ عليه السلام (5) . وما علمت أحدا سبق المعزّ عليـه السلام إليه ولا إلى ما أصّله في القضاء أنّه البيان ، ولا رأيتُ فروعا تَطّرِد على أصل مثله فلا تخرج منه إلى غيره . والله يُديم تأييدَه وتوفيقَه وإمدادَه بنور هدايته ، ويواتر الصلاة عليه وعلى آبائه وأبنائه .

كلام في مجلس لرسول الأمويّ الخاسر (6) القادم عليه من الأندلس :

90 — (قال) وانتهى إلى أمير المؤمنين المعزّ (صلع) أنّ (7) مركبا لبني أميّة قدم من المشرق ، فلمّا صار بين صقليّة وإفريقيّة مرّ بجزيرة / فصادف فيها قاربا فيه نَفَرٌ قدِموا من صقليّة يريدون إفريقيّة ،وفيه كتاب من عامل صقليّة إلى أمير المؤمنين . فخاف الأندلسيّون أن ينذروا بهم فأخذوا رِجْلَ (8) قاربهم واختطفوا

---

(1) كذا في الاصل ، ولعلها « النجبرية » : ولا يخفى أن السياق يتفق مع مادة « الجبر » و «الاجبار» في معني الحتم و القضاء و القدر . الا أن المعاجم لم تذكر «جبرة» في المصادر المسموعة لفعل «جبر » .

(2) القصص ، 29 .

(3) الاحــزاب ، 37 .

(4) ولكن المصدر هنا هو البين لا البيان .

(5) فهذا المبحث الطويل هو إذن من المعز ، وإنما النعمـــان ناقل .

(6) الخاسر تجنيس للقب « الناصر » .

(7) في الأصل : وأن ...

(8) في الأصل : رجلا ، ورجل القارب هنا سكانه أي دفته . انظر دوزي في المادة، وقد اعتمد فيما اعتمد ، على نص لابن جبير : «... سنح المركب بسكانيه وهما رجلاه اللتيان يصرف بهما » (الرحلة نشر د. حسين نصار، القاهرة، 1955 ص 311 سطر 6» . ولا يبدو من الشاهد أن «الرجل» كلمة مصطلح عليها في معني السكان او الدفة ، وهذا مما يؤكده سكوت المعاجم عن مدلولها هذا . ثم ان دفة المركب واحدة في العادة .

بعضَ أمتِعتِهم وأخذوا فيما أخذوا الخريطةَ (1) التي فيها كتاب عامل صقليّة، وتركوا القاربَ بمن فيه بالجزيرة لا يجدون من يحملهم (2) إلى أن مرّ بهم مركب، فركبوا فيه وأتَوْا بالخبر.

فغضِب أميرُ المؤمنين صلوات الله عليه لذلك وأمر بإخراج مراكبَ حربيّة وأدخل فيها رجالا من رجال البَرّ والبحرِ وأمّرَ عليهم حسن بن عليّ (3) عامل صقليّة وأمره بطلب / المركَب حيث أخذَ، وإن وصل إلى الأندلس فلا ينصرف عنه حتّى يُحرقَه. فلم يلحَقِ المركب إلاّ وقد أرسى بألمريّة (4) مرسى الأندلس ومجتمع (5) مراكبِها وأساطيلِ الأمويّ المتغلّبِ عليها ودارِ صناعة مراكبِه وبها عُدّته، واتّصل الخبرُ به أنّ الأسطول قد نفَذ إليه، وس/ب/قت مراكبَهُ راءَةٌ (6) في البحر بخبره. فأعدّ عساكره وعمّر مراكبه بالعُدّةِ والسلاح والرّجال، وجاء حسن بن عليّ في مراكبه، وكانت قليلةَ العدد [و]إنّما أُخرِجَتْ في طلب مركب واحد، فوهب الله لوليّه الظفرَ (7) فاستولى أسطوله على أساطيل الأمويّ / فأضرمَها نارًا وغادَرَها بأسرها رَمَادا. ونزل مَنْ بالأسطول من رجال البَحر (8) واستولَوْا على المريّة وانهزم عنها جمع الأمويّ، فأحرقوا ما بها من المراكبِ والخزائن والعود (9) والعدد، وانتهبوا جميع ذخائرها، وهرب من استطاع الهربَ من أهلها. ولم يعرضوا لمن بَقِي ممّن استسلم بها بمكروه، وقتلوا من ناصبهم أوّلا (10) وأحرقوا المركب الذي صَنَعَ أهلُه ما صنعوه فيما أحرقوا، ولم يكن أميرُ المؤمنين أمرهم بغير ذلك، فانصرفوا سالمين غانمين لم يُزَرّ (11) منهم أحد بسوء.

---

(1) الخريطة : وعاء من الجلد.

(2) روى ابن الأثير هذه الحادثة بشيء من الاختلاف : الكامل ج 6 ص 185. (وانظر أيضا افتتاح الدعوة، نشر الدشراوي ص 336 والقسم الفرنسي منه ص 143، وابن خلدون ج 4 ص 46 وك. العيون والحدائق نشر السعيدي ج 2 ص 575 و488).

(3) الحسن بن علي الكلبي والي الفاطميين على صقلية. (انظر أعمال الاعلام لابن الخطيب، نشر ح.ح. عبد الوهاب، وترجمة كانار لسيرة الأستاذ جوذر ص 190 تنبيه 422).

(4) ثغر أندلسي في الجنوب الشرقي من السواحل الاسبانية.

(5) في الأصل : ويجتمع ...

(6) راءة ج راء، المراقبون والطلائع الذين حملوا خبر الاسطول الفاطمي إلى الناصر.

(7) في الاصل : السفـر ...

(8) في الاصل : الحبر، وقد تكون : البر.

(9) العود : يريد به أخشاب المراكب والصواري. جاء في سيرة الاستاذ جوذر ص 121 فقرة 56 : «... وكانت دار صناعة مولانا (ص) محتاجة إلى العـود ...»

(10) أي بدأهم بالعـداء.

(11) زر الرجل بالرمح : طعنه.

وحلّ بالأمويّ الدّاهية واضطربت عليه البلاد (1) وخاف / خوفا شديدا ، فألّف المراكب وجمع جميعَ رجاله ومَن يوصف بالنّكاية ببلده وأخرج أسطولا في العام المقبل بعد أن كتب إلى طاغية الرّوم (2) يسأله النّصرة ، وأهدى إليه هدايا وأرسل إليه رسلا من قِبَلِه ، فأجابه إلى ذلك . وجاءت أساطيل الرّوم من القسطنطينيّة ومراكب بني أميّة بالأندلس .

فجمع أمير المؤمنين المعزّ لدين الله عليه السلام /أولياءه/ وعرّفهم ذلك وأنّ الرّوم سألوه عقد هدنة إلى مدّة طويلة على أن ينصرفوا عنه ، وقال لهم : ما ترون في ذلك ؟

فقالوا : أمير المؤمنين أعلى عينا . والذي نراه نحن مهادنةُ الرّوم ، فما علينا / من ذلك ، وأن نصرف وجوهنا إلى هؤلاء بجُملتنا .

فقال : معاذ الله ! ما كنت بادئًا إلاّ بمن بدأ الله عزّ وجلّ به ، قال تبارك اسمه : « يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ (3) » وقال : « يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الكُفَّارِ (4)» فهم أقربُ إلينا ، وحسبُنا استنصارا بالله على هؤلاء الفسقة بني أميّة استنصارهم بالمشركين إخوانهم في الدّين علينا ودخولُهم في جُملتهم وكونُهم في حزبهم ، وكفاهم بذلك خَزيةً (5) وعارا في دنياهم وأخراهم .

وخرج عليه السلام إلى المهديّة وأنفذَ أساطيله وفيها عساكرُ البرّ إلى جهة الرّوم ، وأقام بالمهديّة وأمر أن يكون العساكر في كلّ / مرسى بطريق الأندلس .

وأقبل أسطول الرّوم فلقي أسطول أمير المؤمنين دون صقلّيّة ، وأقبل أسطول بني أميّة لميعادِ المشركين ، ففتح الله لوليّه على الرّوم فهزمهم في البحر وقتل رجالُه منهم خلقًا عظيما ، وولّوْا هاربين بين يدي أسطوله إلى مجاز ريّة (6) ليحمُوا

---

(1) في الاصل : البلد .

(2) أي الامبراطور البيزنطي .

(3) التوبة ، 73 والتحريم ، 9 .

(4) التوبة ، 123 .

(5) بالفتح والكسر . وفي حديث الشعبي : وقعنا في خزية لم نكن فيها الا بررة أتقياء .

(6) مجازرية أو ريو : أي مجاز مسينا الفاصل بين صقلية ومقاطعة قلورية Calabria بجنوب إيطاليا ورية هي اليوم Reggio di Calabria.

بلدَهم . واتَّبَعَهُم إلى ما هنالك فلقُوه في البحر أيضا فهزمهم . فنزل عسكرُ البرّ بأرضهم فأنكى بالقتل فيهم . فأحرَقَ مدائنَهم وأخرب كنائسَهم وبلغ غايةَ الأمل فيهم من النِّكاية (1) .

وانتهى أسطول بني أميّة إلى بعض مراسي المغرب الخالية القليلة العدد فنزلوا بها يريدون أن يُؤثروا أثرًا يرجعون [بعده] إلى بلدهم ليسكِّنوا / به مَن خلفَهُم ، فخرج إليهم أهلُ تلك النَّاحية فقتلوا منهم بشرًا كثيرا فهزموهم فمات في البحر أكثرُ ممّا قتلوه ، وغنِموا ما كان معهم من السّلاح ، ووجّهوا برؤوس مَن قتلوه وبما غنِموا . واتّصل بهم خبر الرّوم فانصرفوا منكوبينَ خاسرينَ .

وأرسل ملك الروم إلى أمير المؤمنين بأموال عظيمة وهدايا جليلة ورغِب في التوقّف عمّن بقي من الروم بأرض قلورية على مال قَطَعَهُ على نفسه يُؤدّيه عنهم وأسرى من أسارى أهل المشرق (2) ايُطلِقهم في كلّ عام لمدّة يسيرة سأل الهدنةَ فيها . ورأى ذلك أميرُ المؤمنين عليه السلام صلاحا للدّين وللمسلمين / بعد أن أقدرَهُ اللّهُ عزّ وجلّ وأمكنَه وشفَى صدره وصدُورَ المؤمنين به (3) .

91 — فلمّا انتهى ذلك إلى الأمويّ الخاسر خاف الوقعة به فدسّ رسولا من قِبَلِه كتب كتُبًا على لسان بعض رجاله إلى بعض رجال أمير المؤمنين في الموادعة والصُّلح وكفّ الحرب ويذكر ما يتوقّع في ذلك من سفك دماء المسلمين واشتغال بعضهم ببعض عن غزو المشركين . وجاء الرسول بالكتاب وأدّى بلسانه عن الخائن ما لم يؤدّه الكتابُ (4) ، من طلب الصلح والألفة وكفّ الحرب والفتنة ، وذكر ذلك لأميرِ المؤمنين (صلع) شفاها ...

---

(1) دارت هذه الوقعة بحرا ثم برا سنة 956/345 ، وهي غير وقعة المجاز التي دارت برا برمطة وطبرمين Rametta - Taormina ثم بحرا بمضيق مسينا Messina وانتصر فيها الاسطول الفاطمي ، وكان ذلك سنة 964/353 . انظر رسالة G. Schlumberger عن نقفور فقاس Un Empereur.... Nicéphore Phocas ص 442 .

(2) نفهم من هذه العبارة أنهم أسرى من الشرق ولعلهم شاميون من الامارة الحمدانية ، ونلاحظ أن المعز يطيب له أن يكون وصيا على المسلمين في المشرق أيضا .

(3) وقعت هذه الهدنة سنة 957/346 (انظر : الدشراوي : الخلافة الفاطمية بالمغرب، النص الفرنسي المرقون ص 313 ، وكذلك شلومبارجي ، ص 468) .

(4) في الأصل : ما لم يود الكتاب به .

... وأمّا (1) ما تخوّفه من الحرب والفتنة وسفك / الدماء . فما ظهر له منّا ما يتخوّفُ منه ذلك . وما نحن بمن يُؤمِّنُه منه ، لكنّه بغى علينا من بغى من أهل عمله فانتَصَرْنَا باللّه فنصرَنا اللّهُ وبلّغنا فوق آمالنا ، فقام وقعد وأبرق وأرعد /و/ والى (2) علينا المشركينَ الذين رأى الآن أنّ اشتغالَنا به واشتغالَه بنا داعٍ إلى ترك جهادِهم وأنّ ذلك نقصٌ وَوَكَفٌ على الإسلام . فهلاّ رأى ذلك إذ بعثَ بأمواله وهداياهُ ورسولِه إليهم واستَنْصَرَ عَلَيْنَا بهم ؟ ! فكيف رأى الله عزّ وجلّ فعل بهم وبجمعَيْهم (3) ؟ ألَم يَصْرِف الجمعَيْن مغلوبَيْن خائبَيْن خاسرَيْن ؟ ونحن بُعُدٌ فما رأى منّا إليه حركَةً . فما هذا القلقُ وهذه العَجَلَةُ . / ؟

وأمّا ما دعا إليه من السّلم والكفّ والموادعة والصُّلح وهو يزعم أنّهُ أميرُ المؤمنين — كما يتسمّى دون من سلَف من آبائه (4) — وإمام الأمّة بدعواهُ وانتحاله ، ونحن نقول إنّا أهل ذلك دونَه ودونَ من سواه ، ونرى أن فَرَضَ اللّهُ علينا محاربةَ من انتحل ذلك دونَنَا وادّعاه ، مع ما بينَ أسلافِنا وأسلافِه ومن مضى من القديم والحديث من آبائنا وآبائه من العَداوةِ القديمة الأصليّةِ والبِغْضَةِ في الإسلام والجاهليّةِ ، وما اعتقدوه لنا في ذلك في الإسلام وطالبونا به من قديم الأيّام من لَعْن رسول الله صلّى الله عليه وآله / آبَاءهم وقتلِ من قتلَهُ على الشرك والكفر باللّه منهم ، وطلبِهم بثأرِهم ودمائهم ، وطلبنا نحن إيّاهم بمَن قتلُوه منّا كذلك في سلطانِهِمْ وأيّامِ تغلُّبِهم ، فكيفَ بالصُّلحِ الذي ذكرَهُ بعدَ هذا النَّبَإِ الجليلِ خطرُه ؟ يأبى لنا ذلك (5) قَوْل الله عزّ وجلّ : « لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ (6)» . ما أنا بالمداهِنِ في دين الله ولا بالراكن بالمودّةِ إلى أعداء الله ولا بالمخادِعِ في أمر من أمور اللهَ !

(1) نقص واضح في السياق، وكأن بداية جواب المعز قد سقطت عند النسخ .

(2) في الاصل : وأرعد والى علينا ...

(3) في الاصل : بجميعهم . والجمعان أسطولا الاندلسيين والروم .

(4) من آبائه : أي أمراء الأسرة الاموية بالاندلس من سلالة عبد الرحمان الداخل . ومعلوم أن عبد الرحمان الناصر هو أول من تلقب بلقب الخلافة بالاندلس .

(5) في الاصل : من ذلك .

(6) المجادلة ، 22 .

أرجع بجوابي هذا إليه فما له عندي سواه، وما لي من الأمر شيء / إنّ الأمر كلّه لله «عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنيبُ (1)» . فإن حرّكني الله إليه وقذفَ في قلبي حربه وغزوَه فلا أشكُّ أنّ الله عزّ وجلّ أراد قطعَ دابِرِه واستئصالَ شأفته وتطهيرَ الأرض من رجسه وحَسْم أيّامه ومُدّته ، وإلاّ يقذفْ ذلك في قلبي ويصرفْ إلى من سواه وَجْهِي فَلأمْرٍ هو بالغُه فيه وإمْلاءٍ هو محتجٌّ به عليه ومُدّة سبقت في علمه له . قال الله عزّ وجلّ : «وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذِينَ كَفَرُوا أنَّ مَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأنْفُسِهِمْ إنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْمًا (2)». فلينتظرْ أحدَ الأمرَيْنِ وليَتَوَقَّعْ وجهًا من الوجهين : إمّا هلاكا يُعَجِّلُ اصْطِلاَمَهُ وإمّا إملاءً (3) من الله يوفّرُ آثامَه . ونحن ننتظر من الله عزّ وجلّ إحدى / الحُسْنَيَيْنِ ونرجو منه لنا خير الأمْرَيْن : إمّا نصر من الله يعجّلُه لنا عليه فيشفي قلوبنا وقلوبَ المؤمنين به ، وإمّا (4) أن يُمْلِيَ له على ما هو عليه من معاصيه ومَسَاوئه ومخازيه ، ففي ذلك سرورُ من رأى عدوّه عليه . فقد كان يقال : حسبك درك أمل من عدوّك أن تراه عاملا بمعاصي الله ، وذلك أنّ المعاصي تعجّل الدّمارَ أو تُولج عمّا قليل عذاب النّار .

وصرف الرّسول وأمر الذي وردَ عليه الكتاب (5) أن يُجيبَ عن كتابه إليه جوابا غليظا ويتواعَدَه فيه ، ففعل . وانصرف الرّسولُ بالجواب والكتاب .

فوقع البائس (6) في المكروه واستولى عليه الخَوْفُ . فردّ الرسولَ بكلام / لطيف وكتب الجوابَ إلى الذي كتب إليه أوّلاً على لسان بعضِ رجاله بما ألان فيه القولَ ، وسدّدَ واستعطف وتواعَدَ بعد أن جمع – فيما يُقال – وزراءه (7) وكتّابه لتأليفه ، واحتجّ بزعمه فيه وأنفذَه مع الرّسول . وأتبعه برسول آخر

---

(1) الشورى ، 10 .
(2) آل عمران ، 178 .
(3) الاملاء : التأجيل والامهال .
(4) في الاصل : فاما . وقد قابلنا بـ« واما » عبارة : اما نصر ...
(5) لا نشك أن رسالة الاموي كتبها رجل من خاصته إلى رجل من خاصة المعز ، ونعتقد لا تذكر الاسماء ...
(6) أي الناصر .
(7) في الاصل : وزاده

بكتاب إلى ذلك المكتوب إليه [يُخْبِرُهُ] (1) أنّ ذلك الكتاب مفْتعَلٌ وأنّه لا علم عند صاحبهم به ولا هو عن رأيه ليُهَدّئُوا (2) الأمرَ.

فخاطب الرّسول أميرَ المؤمنين عليه السلام بالخطاب السّهل الذي أرسِلَ به ودفَع الكتابَ إلى الذي أرسِل إليه . وجاء الرّسول الثّاني بالكتاب الآخر فدُفِع إلى أمير المؤمنين عليه السّلام وقُرِىء علينا / بينَ يديه ، وفيه من التّغاير والفساد وسوءِ التوجيه ما سنذكُره . وجعل المعزّ عليه السلام يحتجُّ لنا على كلّ فصل منه ويبيّنُ لنا عُواره (3) وفسادَه . فصرف الرّسولَ بلا جواب منه سوى أن قال له : قد قيل إنّ الصّدق يُنْبِىءُ عَنْكَ لا الوعيدُ ، وكتب المنصور عليه السّلام إلى ملك الرّوم : إذَا نطقَ السّيفُ سكت القلَمُ .

وأمر الذي ورد عليه الكتابُ أن لا يجيبَ عنه بحرف . وانصرف الرّسول خائبا . وأمر بتجهيز الجيوش إلى أرض المغرب لتتبّع كلّ من مال إلى بني أميّة بالقتل واجتياحهم عن جديد الأرض . فإذا طهّرَها اللّهُ منهم فيما والاه من البرّ جهّزَهم إليهم إن شاء / الله في البحر لقطع دابرِهم واصطِلاَمِهم عن آخرِهِم بحول الله وقوّته .

وكان [في]ذلك من تأييد الله ونصره ما هو المرجوّ من تمامه وبلوغِ الأمل فيه بفَضْله وإنعَامه إذْ (4) فتح في ذلك لوليّه وسبّبَه له وحرّكه إليه كعادته الجميلة لديه عليه السلام .

---

(1) في الاصل : وغيره ولا نرى لها معنى فعوضناها بما يقتضيه السياق .
(2) في الاصل : ايسدوا ...
(3) العوار : الخرق والعيب .
(4) في الاصل : إذا .

الجزء السابع

[بسم الله الرحمان الرحيم]

كلام في ترك جواب الأمويّ الخاسر الخائن :

92 — قال القاضي النعمان بن محمد : لمّا سمعَ من حضر من الأولياء ما في كتاب الخائن من العُوار أحبّوا أن لو نُقِضَ عليه . وألْوَيْتُ (1) له بالجواب عن مساويه ، فقال المعزّ عليه السلام : / وما في الردّ عليه من فائدة ؟ أتراه إنْ بصّرناهُ الحقّ يرجِعُ عن باطله أو هو على شكّ من سوء حاله . فنبيّن له ذلك لنرجُوَ به صلاحَه ؟ والله ما كان ينبغي أن يكون جواب هذا الكتاب لمن فَهِم الصواب إلاّ أن يُدرَجَ ويردّ إلى كاتبه . ففيه جوابُه والحجّة عليه من قوله . [و]إنّما أراد هذا الفاسق أن يقطعَ الزمانَ بهذه المراسلة والمكاتبة بيننا وبينه . وانصرافُ رسوله إليه بغير جواب أنكَى لقلبه وأخزَى وأتعَسُ . ولو قد أتاه منّا جوابٌ لاستراح إليه ، وردّ مثل هذا الغثّ والمحالِ من قوله .

كلام في مجلس خوطب به رسول الأمويّ / :

93 — (قال) وكان فيما ذكره الرسول أنّه استرحم أميرَ المؤمنين للمسلمين وقال : قد علم أمير المؤمنين أنّ الحرب متى كانت . هلك فيها من الفريقَيْن . وهم

(1) أي : أشرت للمعز بالجواب عن رسالة الناصر .

مسلمون . فإنْ رأى أميرِ المؤمنين حقنَ دمائهم والكفَّ عمّا يُخافُ فيه الهلاك عليهم ، فعَل .

فقال أمير المؤمنين : المسلمونَ (1) هم أمّة جدّي لا أمّة جدّ مرسلك ، وأنا أرأفُ وأعطف عليهم وألطفُ وأرحمُ بهم ، فإنْ دخلَ أحد منهم في جُملة صاحبك فقد دخل في جملة طائفةِ أهلِ البغي ، ووجب عليّ وعلى سائر المسلمين قتالُهم كما أمر الله عزّ وجلّ في كتابه ، وقرأ : « حَتَّى تَفِيءَ إلى أمْرِ اللّهِ (2) » . فمن قُتل منهم على البغي . فبحكم الكتاب قُتل . ومن / قتَلُوه من أهل العدل معي ، ففي سبيل الله استَشْهَد . وبأمره عمِل . وقد زَعَمَ صاحبُك أنّه يطلب ثأره من موضعه إلى آخر الدّنيا وإنّما هو في جزيرة بطرَف منها .

فإن كان المسلمون عندك وعنده إنّما هُمْ أهلُ جزيرة الأندلس فقط ، فقد أصاب صاحبك في قوله . وإن كان المسلمون قد عمّوا أكثر الأرض — وهو كذلك — فكان ينبغي لك أن تقول هذا القول الذي قلته لنا ، له،إذ (3) تواعدهم بالقتل . وكان ينبغي لك أن تسترحمه لهم . وقد جمع جموعَه كما علمتَ وأخرج مراكبَه وواطأ علينا المشركين ، وأنزل رجالَه في غير موضع من المراسي ليُقتّلَ / قوما من المسلمين ما هم منه بسبيل . ولاَ آذَوْهُ ولا بغَوْا عليه ، إلاَّ لأنّهم ممّن حوتْه مملكتُنا . ودان بطاعتنا . فأظهرهم الله عليه وردّه منهم بغيظه ، فهلاّ كنتَ أخذتَ ذلك عليه . وقبّحت فعلَه إليْه ؟ وقد علمتَ أنّا غضبنا عن جواز مراكبه في بحرنا ومملكتنا بما يجتازون به إليه من السّوْءاتِ والقبائح ،حتّى عاثُوا ومدُّوا أيدِيَهُمْ إلى رعيّتِنَا وأخذوا كُتُبَنَا من أيدي رُسلِنَا ، فقمنا في ذلك قيامَ مثلِنا وطَلَبْنَا من أفسَدَ وعاث في بلدنا ، وقاتَلْنا من قام دونه إذا وَصَلْنَا إليه حتّى إذا أظهرَنَا الله بفضله كما عوّدنا ، رفعنا أيديَنا عمّن لم يقاتِلْنا ، فلم نهتك حرُمةً ولا / خفرْنا ذمّة (4) ، سيرةَ جدّنا رسول الله صلّى الله عليه وآله وأبينا عليّ عليه السلام وعلى الأئمّة من أبنائه . ثمّ قد رأيتَ لمّا دلَف إلينا مرّة

(1) في الأصل : المسلمين .
(2) الحجرات ، 9 .
(3) في الأصل : اذا .
(4) خفر من الاضداد .

مُواليًا علينا المشركينَ كيف قد صرفْنَا الحدّ (1). إلى المشركين عن أصحابه ، وإن كانوا للشرّ مُستحقّينَ ، لبَغْيِهم علينا ، وتزحّفهم إلينا . إلاّ أنّا آثرنا ما يجب إيثارُه وأعرَضْنَا عنهُم ، فعجّلَ الله انتقامَه على أيدي أوليائنا .

فمن تراه أرأفَ بالمسلمين وأرحمَ لأهل الدين، نحن أم صاحبُك؟ أم كيفَ رأيتَ الله أقدرَنَا بفضله على الفريقَيْن وأمكنَنَا من الطائفتَيْن ؟ ولقد سألَنا المشركون مُوَادَعَتَهُمْ حينئذ ومال إلى ذلك جماعةٌ من / أوليائنا ليصرفُوا وجوهَهُم إلى أصحابك، فأبَيْنَا ذلك لِئَلاَّ يرى المشركون أنّا وادَعْنَاهُمْ على خوفٍ منكُم ومنهُم، حتّى إذا هزَمْنَا أساطِيلَهُم وقتَلْنَا حُمَاتَهُمْ وحَلَلْنَا بعَقْوةِ (2) ديارهم، وأثْخَنَّا بالقتل فيهم، وامتلأَتْ أيدي أوليائنا من سَبْيِهم وغَنَائِمِهم، ورأينا أنّ الذي هو أفضل للمسلمين أن نُوَادِعَهُم مدّةً نستَجِمُّ (3) بها ووادَعْنَاهُم على أموالٍ ألزَمَهَا نفسَه لنا مَلِكُهم وهو لا يُلزِمُ نفسَه ذلك لأحد غيرَنا بمَشْرِق الأرضِ ولا مغرِبِها ، جِزْيَةً يُؤَدّيهَا إلينا ، وإطلاقِ أسَارى أهلِ المشرِقِ الذينَ في يَدَيْه لَنَا ، وعلى شرائطَ يطول ذكرُها ، شرَطْنَاهَا عليه شرطَ العزيزِ علَى الذّليلِ .

فَمَنْ / أرحَمُ بالمسلمين ، نحنُ أم مَنْ والَى عليهم المشركينَ مخالِفًا لما أنزَلَ الله في الكتاب المبين ، إذ يقول وهو أصدق القائلين : « يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ » الآية (4) . أفما رأيتَ أساطيلَ صاحبِك وقد خرجَتْ أساطيلُنا لِقتَالِ أوليائه من المشركين ، وهي تنزلُ في مراسي المغربِ لا تمُرُّ بمرْسًى إلاّ نزَلَتْ فيه ووضع مَن فيهَا الحربَ على أهْلِيه ، فجعل الله الدائرةَ فيهم والهزيمَةَ عليهم والقتل في رَجْلِهِمْ (5) ؟ أفهؤلاء الذين أوقَعُوا هذا الإيقاعَ بهم عندك وعند صاحبِك مسلمونَ أم مشركون ؟ فإن كانوا من المسلمين ، وهم لم يخرجوا إليه ولا تعرّضُوه ،

---

(1) في الأصل : الجسد .

(2) العقوة : ما حول الدار .

(3) قراءة ظنية ، وفي الأصل : نشجهم ، ولعلها : نثلجهم .

(4) الممتحنة ، 1 .

(5) الرجل بالكسر ج أرجال : الطائفة من الشيء ، والقطعة العظيمة من الجراد خاصة ، وقد تكون بالفتح اسم جمع على قول سيبويه .

فكيف جاز له قتالُهم / ومعاونةُ المشركين عليهم ؟ ثمّ يزعم مفتخرا لمّا انصرفوا منكوبين أنّه لم يُرسِلْهم إلاّ ليبلغُوا إلى المهديّة وكذلك كان عقدهم مع طاغية القسطنطينيّة (1) . وكذلك دلّف إلينا كلُّ واحدٍ منهم بأسطوله ، ودخل المشركون في بحرنا وجاوزوا صقليّة إلينا ، ولم يكونوا يتجرّأون على ذلك قطُّ في أيّامنا إلاّ بما أطمَعَهم فيه صاحبُك ، فهزم الله الجمعَيْنِ وأمكنَنَا من الفريقَيْنِ . وإنّما كان يفتخر صاحبك بمثل ما هيّأهُ الله لنا ، لو قد هيّأه الله له . كلاّ لن يفعل الله ذلك بفضله علينا ! إنّا أمّلْنَا إدراكَ مركبٍ من مَرَاكِبِهِ لنُحرقَهُ فأقدرَنا الله عليه وعلى جميع أساطيله / فحرقناها ، وعلى أرضه ومملكته فوطِئْنَاها .

فأمّا أمله أن يبلُغَ المهديّة فردّه الله من دونها مغلوبا منكوبا ، له خزيٌ من الله أكمله ، وخذلان انقطع به أمله . فلو كان من أهلِ التمييز والعقول ، أو كان يدري ما يقول ، لم يقل مثلَ ذلك وَلا يفخر به ، وهو عليه خزيةٌ وعارٌ وسُبّةٌ ، وما فعل الله عزّ وجلّ ذلك به إلاّ كفعله بالدّعناء آبائه إذ رَجَعوا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة على بكرة أبيهم وقد استجاشُوا بمن يَلِيهِم فردّهمُ اللّهُ عزّ وجلّ كما قال « بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللّهُ المُؤْمِنِينَ القِتَالَ وَكَانَ اللّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، وَأَنْزَلَ الذِينَ ظَاهَرُوهُمْ / مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ ، وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (2) » . فكانت هذه تلكَ حذْوَ النّعل بالنعل والقُذّة بالقُذّة ، بل هذا بحمد الله إنكَاءٌ لأصحابك بما قتلَهُ (3) الله عزّ وجلّ منهم ، والمشركين بمن قُتِلَ أيضا وأُسِرَ وهُزِمَ من أساطيلهم وجموعهم . وتلك عادةُ الله قديما لأوليائه ، وهو وليّ ما عوّدُوه حتّى يُنجِزَ وعدَه إن شاء الله تعالى لهم .

ثمّ يبلغنا أنّه يلعَنُنَا على منابره كلَعْن سلفه الفسقة لأمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وينكر علينا لعنه ، فنحنُ إن لعنّاه لعنّاه بكتاب الله لأنّه ممّن قال الله فيه وهو أصدق القائلين / : «ألاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظّالِمِينَ (4) » ، ومَنْ أسلافُه

---

(1) الامبراطور قسطنطين السابع ، وقد ملك إلى سنة 959/348 .

(2) الاحزاب 25–26 ، ويشير المعز إلى وقعة الخندق التي قصدت فيها قريش المدينة لحصارها . وكان يقودها أبو سفيان بن حرب جد الأمويين .

(3) في الأصل : قتلهم .

(4) هود ، 18 .

لعناءُ رسول الله صلّى الله عليه وآله لأنّه يتَوَلاّهُم (1)، والله عزّ وجلّ يقول: « وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ (2) » وهوَ إنْ لَعَنَنَا أو شتَمنا فبالاقتداءِ بسلَفِه الذين كانوا يشتُمون رسول الله صلّى الله عليه وآله ويلعَنون وصيَّهُ (صلع) ، وما زادهم إلاّ شقاءً ويزيدهم إلاّ ضَعَةً عند الله وعند عباده ومَقْتًا .

ثمّ قال عليه السلام : وإنّما معنى اللعن الطردُ والإبعادُ . فمَن أولى بالإبعاد عن الله وعن رسول الله (صلع) وأهلِ بيته : الذين هم أولى به وأقعد (3) وأقرب إليه ، أمْ مَن عاداهم وناصبَهُم وكذّبَهُم ؟ فلو / تدبّر الشقيُّ هذا لَعَلِم أنّ لعنةَ الله راجعةٌ عليه لا تعدُوه ولا تعدو سلَفَه .

قال الرسول : إنّما قلتُ يا أميرَ المؤمنين ما قيل لي أن أقولَه ، والقولُ ما قاله أمير المؤمنين ، والحجّةُ له .

قال لَهُ أميرُ المؤمنين عليه السلام : إذا قلتَ ما قيل لك فقد سمعتَ جوابك غيرَ محمّل أداءَه ولا مرسَلٍ إلى من أرسَلَك به ، فانصرف إذا شئت وسر حيثُ أردْتَ . ولو علِمْنا أنّ هذا ممّا قِيلَ لك لتقولَهُ لنا لما سمِعْنَا منك ولا أجبْنَاك عنه ، وإنّما أجبناك عن قولِك جوابا منّا لك لا لمن أرسلك .

كلام في مجلس على فصول كتاب الأمويّ :

94 — (قال) وكان في الكتاب الذي قدِمَ به الرسول / من الأندَلس الذي قدّمتُ خبره أنّه رفع إلى أمير المؤمنين — يعني لَعِينَهم — الكتابَ الواردَ فرأى فيه من إطراء فلان — يعني أميرَ المؤمنين — لنفسه وذهابه بها وافتخاره ما لا يليق بأهل العقول مثله ، وليس من شِيَم أهل العقول إطراءُ أنفُسهم .

فقال المعزّ عليه السلام : فاسمعوا إلى جهل هذا الجاهل ! إنّ هذا كتابٌ ورد من رجل منّا على رجل من قِبَلِه جَوابا عن كتاب كتبه إليه ،فنسَب إلينا ما فيه أنّا قلناه ، بلا علم له بذلك ، ونحن إنْ أطرَيْنَا أنفُسَنا أو أطرانا غيرُنا وافتخَرْنا أو افتخَرَ

(1) في الأصل : يقول لاهم .
(2) المائدة ، 51 .
(3) الأقعد في النسب : القريب الآباء من الجد الأعلى .

لنا مَنْ سِوانا أو افتَخرَ بنا ، فنحنُ بحمد الله أهلُ الفخر والإطراء / والفضل والسناءِ لقرابَتِنا من رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ومحلّنا الذي أحلّنا الله به من الإمامة وما أولاناه من الفضل والفخر والكرامة . فإن ذكرنا ذلك وقلنا ، فبأمر الله عزّ وجلّ ذكرنا ، إذ قال تبارك وتعالى لنبيّه عليه الصلاة والسلام : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (1) » . فهذه نِعم الله علينا وفضلُه وإحسانُه إلينا ، لا على أنّا نفتخِرُ زَهْوا وتكبُّرًا ، ولا نذكر من فضلنا ما نذكره أشَرا ولا بطَرا ، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : أنا سيّد ولد آدم ولا فخر ، وأنا أتقاكم لله ولا فخرَ (2) . فهذا القول الذي قاله (صلع) هو غايةُ الفخر ، ولكنّه / إنّما نفى عن نفسه الكِبْرَ والتجبّر والدعوى بغير الحقّ ، كما فخر هذا المنتقِد علينا الفخرَ .

ثمّ قرأ علينا فصلا بعدَ هذا من الكتاب فإذا فيه من افتخاره ما يطول ذكرُه ، فتعجّب المعزّ عليه السلام وتعجّبْنا من غفلته عن نفسه وقال : هذا ممّا قُلناه ، إنّ هذا كتابٌ جوابُه فيه ، وإنّا لو رأينا الجوابَ عنْه لدرجناه ورددناه إلى كاتبِه ، وقلنا له : جواب فصل كذا من كتابك فصل كذا (3) ، حتّى نأتيَ عليه . ثمّ قال : هذا ممّا قيل لنا إنّه جمع كُتّابَه ووزراءَه فيه ، ثمّ اختار من كلامِهم ما جمعَه ، ولم يدرِ أنّ بعضه لبعض نقيض بسوءِ تميّزه وبُعد / فهمه وشُغلِه بما هو فيه من معاصيه عن انتقاد الكلام والنظر في معانيه .

وفي الفصل الثاني :

(قال) وكان في فصل من الكتاب افتخار اللعين الأمويّ بما حواه من الأموال وورِثه عن آبائه من الخزائنِ والذخائرِ . فقال المعزّ عليه السلام : وهذا ممّا ذكرنا له : يأخذ علينا الفخرَ بفضلنا على البريّة بولادة رسول الله صلّى الله عليه وآله وبما خصّنا الله به من إمامة عباده وبما نطق به كتاب الله عزّ وجلّ من فضلنا وحقّنا وافترَضه فيه على الأمّة من مودّتنا وطاعتنا وجعله مع رسول الله صلّى الله عليه وآله من / الفيْءِ

---

(1) الضحى ، 11 .

(2) حديث : أنا سيد ولد آدم : سنن ابن ماجة ص 1440 رقم 4308 وصحيح الترمذي ج 11 ص 305 ، والجامع الصغير ج 1 ص 274 .

(3) في الأصل : جواب فصل كذا من كتابك فصل كذب .

لنا ، فوصَفْنَا إحسانَ الله عزّ وجلّ في ذلك إلينا وفضله وإنعامَه علينا . وهذا هو يفتخِرُ علينا بمِلك مال تغلّب عليه ، ومِنَ الحرام اكتسبَه ، وبسلطان تعدّى عليه واغتصبَه ، يكاثرنا لاهيًا كما قال الله تعالى : «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ» إلى آخر السّورة (1) . وهذا وعيدُ الله لهذا الفاسق ولأمثاله الذين ألهاهُمُ التّكاثرُ بما تغلّبوا عليه من أموالٍ (2) .

فهذا الذي [به] فخر ، عائدٌ عليه وِزرُه وإثمُه ووبَالُه ، والقليل من ذلك كان أخفَّ عليه وأولى له . وما استكثر منه فإنّما استكثَر به من سُخطِ الله وغَضَبِه . وإنّما هو في ذلك بمنزلة / السارق يفخَرُ بما سرق ، والخائنِ يكاثِر بما به خانَ ، فليفاخِرْ وليكاثِرْ بذلك على أمثاله ويباهي به نُظَرَاءَهُ وأشكاله الذين تعبّدوا الدنيا فآثروها واطّرحوا الآخِرَة ورفضُوها واستعدّوا منها ما استعدُّوه لمعاصي الله وما يُبعِدُهم منه كالذي استعدّ له هذا الشقيُّ مِنَ الملاهي والخُمورِ واعتكافِه على المخازي والفجور . فقد رويَ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : مَنْ أرَادَ أنْ يَعْرِفَ مال إمرىءٍ من حيثُ اكتسبَه فلينظر فيمَ يُنفِقُه ، فإنّ الحرامَ في مثله يُنْفَقُ . وقال : يسأل كلّ امرىءٍ منكم عن ماله ممّ اكتسبَه وفيم أنفقَه . وهذا ممّا لا يشكّ فيه / أحدٌ منكم . إنَّ الحرام إذا أنفق كان حراما ، لأنّه ليس لمن اكتسبه أخذُه ولا إنفاقُه (3) .

وفي الفصل الثالث :

(قال) وكان في فصلٍ من فصول هذا الكتاب أنّ الروم ، بزعم مَن كتبه ، قد غلبوا علينا وأسَرُوا خلْقًا من المسلمين من أساطيلنا ، وأنّا وادَعْنَاهم على تركهم ، إيثارًا لحرب المسلمين .

فقال المعزّ أمير المؤمنين عليه السلام : أفَلا تعجبُون لهذا الخائن الكاذب ؟ لو أنّ هذا القولَ ممّا تَزَيَّنَ به عند أهل موضعه لكان قبيحا شنعا من الكذب ، فكيف بأن يكتب به إلى من يعلَمُ باطلَه ، ويقفُ على كذبه ؟ فهل علمتُمْ أنّ الروم

(1) التكاثر ، 1 .

(2) في الأصل : أموالـه .

(3) حديث : من أراد أن يعرف مال امرىء ... وحديث : يسأل كل امرىء عن ماله ... لم تذكرهما أمهات الحديث . وإنما ذكر الترمذي ج 9 ص 253 عبارة : ... يسأل عن ... ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه .

أسروا من المسلمين / من قِبَلِنا إلاّ أهل المركَبِ الحَمَّالِ (1) الذي مرّ بهم ، فاسترجَعْنَاه ، وعقَدْنا عليهم فيما عقدناه من الموادَعة بيننا وبينهم أن يأتُونا بمن أسَرُوه من أهل المشرقِ وما أخذُوهُ لهم ؟ وأنّهم قد سألُونَا ورغِبُوا إلَيْنَا أن نُطْلِقَ لهم مِمَّنْ سبَيْنَاهُ وأسَرْنَاهُ من رِجَالِهم ونسائِهم وذراريهم ، فما أَجبناهم إلى إطلاق نسَمة واحدة منهم ، إعزازا للإسلام وأهلِه ووضعا للكُفر وحزبِه ؟ أفما يستَحْيي هذا الخائنُ من الكذب والتمويهِ ؟

ولكنّه ما استحيى مِمَّا هُوَ أخزى له من ذلك ، من العيوب الفاضحة (2) والآثام القبيحة / التي اشتهر بها واستفاض عنه الخبر فيها ، من أنّه يؤتى في نفسه — يقول ذلك المعزّ عليه السلام مُطرقا مُعرِضا بوجهه استحياءً من ذكره — (قال) ولقد قلت لهذا الرسول قولا في ابن هذا الفاسق المنسوب إلى عهده أردت به هذا المعنى (3) ، فقال لي محتجّا عنه : إنّما يقال هذا يا مولايَ في أبيه ! فكفى بمن لم ينف ذلك عنه وليُّه ورسولُه لاشتهاره به . ولعمري إنّ هذه أقدام من كانت (4) هذه حاله وذلك داؤه وداء سلفه ، قبّحهم الله وأخزاهم ولعنهم وأقصاهم !

وفي الفصل الرابع :

(قال) وكان في فصل / من هذا الكتاب افتخار الأمويّ اللعين بما يحاك له في بلد الأندلس من الخزّ والوشي وأصناف الثياب ممّا زعم أنّه لا يُحاكُ بالمشرق مثلُهُ ، وأنّه قد استغنى بذلك عمّا يُجلَبُ إليه من المشرق .

---

(1) في الأصل : الحال .وهذا المركب «الحمال» الذي أخذه الروم ، لعله أحد المراكب التجارية التي كانت تحمل « العود » أي خشب الغابات من صقلية إلى دار الصناعة بالمهدية ، كما تشير إليه « سيرة الاستاذ جوذر» (ص 121 ، الفقرة 56) ، أو تحمل الحبوب من إفريقية إلى صقلية (ص 87 ، فقرة عدد 1). وقد تعرض كانار Canard إلى تجارة الخشب بالخصوص ، في مقاله
Quelques notes relatives à la Sicile sous les premiers califes fatimides
الذي أعيد نشره في مجموعة :
L'expansion arabo-islamique et ses répercussions. Variorum Reprints, London, 1974 n° 4.

(2) في الأصل : ولكنه مما هو آستحيى من ذلك أخزى له من العيوب ...

(3) في الأصل : إني أردت . والمقصود هنا هو الحكم المستنصر ، ولي الخلافة في رمضان 350/أكتوبر 961 إلى سنة 976/366. وهو الحكم الثاني الذي ازدهرت الحضارة الاندلسية في عهده . وقد عرف بالاستقامة، خلافا لأبيه عبد الرحمان الناصر .انظر فصل Huici Miranda بدائرة المعارف الاسلامية .

(4) في الأصل : ان هذا اقدام من كان ... والأقدام هنا الآثار والأفعال .

قال أمير المؤمنين المعزّ لدين الله عليه السلام : وما سمعنا أحدًا يدّعي عقلا ، يفخرُ بالحاكة ! ولو كان ذلك ممّا يُفخَر بمثله ، لكان عندنا من الطراز أنواعُ الأعمال البديعةِ والصّنعة العجيبة لا يشُكُّ من رآه أنّه ما رأى مثله، ممّا يعملُه عبيدنا الذين أفاءَ الله عزّ وجلّ بهم علينا من سَبْيِ الروم بأسْيَافنا ، دونَ من فَخَر هو بمثله من سائر الرّعايا . ولكنّ / مثلَ هذا لا يفخَرُ به ذوو العقول . بَل الحاكةُ وأهلُ الصنائع إذ[ا] كانوا أغلب على أهل بلد نقضوا بهم . كما قال المصريّ لليمانيّ : إنّما أهل اليمن بين حائك بُرْدٍ ودابغ جلد ، وسائس قِردٍ ؛ فَذَمّهُم بذلك . فجعل هذا الجاهلُ هذا فخرا . وإنّه إذا قيس إلى معائبه يُفْخَرُ بمثله .

وفي الفصل الخامس :

(قال) وذكر في فصل من فصول هذا الكتاب عليّا عليه السلام ، فترحّم عليه . وقال :وإن كان الذي صار إليه إنّما تهيّأ له بالحيلة .

قال المعزّ عليه السلام : والذي دعاه إلى أن ترحّم على عليّ عليه السلام / الضّرورة التي دعتْه إلى الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وآله . ولأنّ الجماعةَ اليوم قد أجمعوا على فضله. ولو أمكنه ما كانَ أمكَنَ اللعناءَ سلفَه ، لَلَعَنَهُ (1) كما لعنوه على المنابر ، حتّى كان ممّا مَدَحَ به عمرَ بنَ عبد العزيز منهم بعضُ مَن مَدحه لمّا أمسك عن لَعْنه ، أن قال (2) (طويل) :

وَليتَ ، فلَمْ تَشْتُمْ عَليًّا وَلَم تَخَفْ   بَرِيًّا وَلَمْ تَقْبَلْ مَقَالَةَ مُجرِمِ (3)

ثمّ قال عليه السلام : وفي ترحّم هذا الفاسق على عليّ عليه السلام ما يُلزِمُه لعنَ آبائه الذين لعَنوه والبراءةَ منهم لو كان ذلك منه اعتقادا .

فأمّا قوله : إنّ عليّا / صلوات الله عليه صار ما صار إليه بالحيلة ، فهذا ممّا تقدّم ذكرُنا له من قحة ومتاهة (4) ،وقد علم الخاصّ والعامّ أنّ الذي صار إليه بالحيلة

---

(1) في الأصل : اللعنة كما ...

(2) في الأصل : أن قال شعرا ...

(3) البيت لكثير عزة . وفي إبطال عمر الثاني لعن علي ، انظر الكامل لابن الأثير ، ج 4 ص 154 .

(4) في الأصل : مباهة ، والاصلاح منا تخمينا .

من اللّعناء سلفِه أقربُهم إليه : مروان الطريد (1)،في احتياله على معاوية بن يزيد ودسّه من دسّ من أهل الجابية (2) في توليتِه وأنّه لم يوجَدْ له يومئذ منقبة ولا فضيلة يقولها أو يذكره بها مَنْ ذكَره إلاّ أنّه قال : إنّه شابّ حتّى شابَتْ ذِراعُه ، وقد كان فيهم يومئذ من شيوخ السوء مَن هو أكثرُ شَيْبًا منه ، وأنّ من حضر يومئذ بالجابية أكثروا التّعجّب ممّن قام بذكره / ورضيَ بولايته على ضعف أهل الجابية وقلّة تمييزهم ، حتّى تمثّل المتمثِّلُ منهم بأن قال : هذا أمر مُشِيَ فيه بليل .

فأمّا عليّ عليه السلام ،فقد علم الخاصّ والعامّ والمخالف والمؤالف أنّه لم يجتمعِ الناسُ على أحد قبله بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله اجتماعَهم على بَيْعتِه .
أمّا أبو بكر فقد نازعه الأنصار وغيرهم ، ومات كثير من الصحابة وما بايعوه .

وأمّا عمر فقد اجتمعوا فيه إلى أبي بكر فقالوا له : نناشدك الله أن [لا] تولّي علينا رجلا فظًّا غليظا . فقال أبو بكر : تخوّفونَني ؟إذا لَقِيتُ الله قلتُ له : إنّي ولّيتُ عليهم / خيرَ أهلك (3) .

وأمّا عثمان فما اجتمعوا على توليته ولكنّهم اجتمعوا على قتله .

وأمّا عليّ عليه السلام فأجمعوا بإجماعهم عليه وامتنع منهم ،وأطبقوا عليه وما زالوا به حتّى أجابَهم إذ لم يجدْ لدفع ذلك وجها تقوم له به الحجّة . ولو توقّفوا عنه كما توقّف من توقّف منهم قبل ذلك ، لتركَهُم . وكان أوّلُ من بايعه الذين نكثوا عليه لمّا لم يجدوا عندَه من الأثَرة ما عُوِّدوه . وقد سأله معاوية تركه على الشام ، فلو فعل ذلك لما كان الذي كان منهُ ، ولكنّه (صلع) تلا عندَ ذلك قول الله عزّ وجلّ : « وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (4) » ، فعمد هذا الفاسق إلى ما عسى أنّه / كان يقال في أسلافه فرمانا به كما قيل في المثل لعاهرة رمت عفيفة بالزنى : رَمَتْهَا بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ (5) .

(1) مروان بن الحكم بن أبي العاص : هو أول خلفاء السلالة « المروانية » . تولى سنة 684/64 بمبايعة من أمراء الشام ، بالجابية في الأردن . ويسميه المعز هنا الطريد قياسا على أبيه الحكم بن أبي العاص الذي نفاه الرسول (ص) من المدينة إلى الطائف (انظر أسد الغابة ترجمة 4841 وترجمة 1217) .

(2) يوجد خبر بيعة الجابية مفصلا عند ابن الأثير : الكامل ، ج 3 ص 326 .

(3) التحفظ في تولية عمر منسوب إلى طلحة . انظر : تاريخ الطبري تحت سنة 13 .

(4) الكهف ، 51 .

(5) مجمع الأمثال ، ج2 ص 401 .

وفي الفصل السادس :

(قال) وذكر في فصل من هذا الكتاب معاوية فترحّم عليه ، وقال : أمير المؤمنين معاوية .

فقال مولانا المعزّ عليه السلام : فإذا كان معاوية عنده أميرَ المؤمنين فقد شهد على أسلافه بالغصْب وعلى نفسه بذلك،لأنّ معاويةَ قد أقرّ الأمر في ولَدِه . فما أدخل مَرْوَانَ وآلَ مروانَ فيهَا ، ومعاويةُ وولدُه لم يجعلوا ذلك لهم ولا عهِدَ أحدٌ منهم إليهم ولا أجمع المسلمون عليهم /؟! فهم بقوله مغتصِبُون وبمثل هذا رضيَ هو وأسلافُه لمن ادّعى التفقُّهَ من العامّة أن جَعَلُوهُمْ أئمّةً يأخذون دينَهم عنهم، وأفتاهُم أولئك أنّ مَن رضِيَه المسلمون فهو أميرٌ عليهم . ولو أفادوا هذا الأصلَ لم يَعْدُ ذلك الذينَ رَضُوه لو كان ذلك كما أصّلُوه ، إذ ليس عندَهم لأحدٍ أن يستَخْلِفَ ولا يُوكِلَ أحدا على ما ليس له .

وكيف ، وليس ذلك لهم في أنفسهم ولا في غيرِهم لأنّ اللهَ جلّ ذكرُه قرَنَ طاعةَ الأئمّة عليهم السلام بطاعتِه وطاعة رسوله ، فقال جلّ ذكره : « أطِيعُوا اللّه وَأطِيعُوا الرَّسُول وَأولِي الأمْرِ مِنْكُمْ / (1) » . فلو كان للناس أن يُقِيمُوا لأنفسهم إمامًا فتَجبُ طاعتُه بإقَامَتِهِمْ إيّاهُ لَوَجَبَ كذلك أن يُقِيمُوا نَبِيًّا وَإلاَهًا كما فعلَت الجاهليّةُ في نَصْبِهَا آلهةً مِنْ دُونِ اللَّه ، تعالى الله عن قولِ المضلّين الظالمين . والكلام في هذا يتّسِعُ (2) .

وفي الفصل السابع :

(قال) وكان في فصل من هذا الكتاب ذكرُ أبي عبد الله صاحب الدعوة وقيامه بها ، وقتلُ المهديّ (ص) له ، وأنّه لم يفِ له ، وانتقَمَ الله منه على إيَدَيْه .

فقال المعزّ عليه السلاَم : ما عسى أن يجهلَه هذا الجاهلُ من أمر أبي عبد الله ، فقد عرَفتُموه . وأنّ أخاه أبا العبّاس كان سبب قتْلِه، وأنّ المهديّ (صلع) ما أراد

(1) النسـاء ، 59 .
(2) في الأصل : يشنـع .

قتلَه / وإن استحقّ القتلَ عنده حفظا لما تقدّم له ، وإن كان قد سعى مع أخيه ومال إليه وغلب الهوَى عليه لمّا رأى الأمورَ خرجت من يديه .

وهذا الفاسقُ لا يدري ما أوجبَ قتلَه ولا كيفَ كان سببُه ، ولا يعلَمُ حالَ القتل الذي هو سُخطٌ وانتقامٌ وقَهْرٌ ، من حال القتلِ الذي هو قِصَاصٌ وواجبٌ وطُهْرٌ . فما الذي أدخلَهُ فيما لا علمَ له به ؟ فإن أنكرَ مُنكِرٌ مثلَ هذا فليُنْكِرْ فعلَ الله عزّ وجلّ فيمَنْ عاقبَهُ من أنبيائه الذينَ اصطفاهم على عباده ثمّ عاقبَهم بما اجْتَرَمُوه وطهّرَهم بالعُقُوبة ممّا كانوا اقترفُوه . فقد أخبر اللهتعالى/ وهو أصدق القائلين عمّن عاقبَه من أنبيائه مثل آدم ويونس وأيّوب وسليمان وداود ويعقوب ممّا كانوا اقترفوه ، فإنْ أنكرَ عقابَ المُحسنين إذا اقترفُوا السيّئاتِ بعد الحسنَات فليُنكِرْ ما جعله الله عزّ وجلّ من ذلك قرآنا مسطُوراً، وذلك قوله: « وَقَدِمْنَا إلى مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً (1) » .

والأمّةُ لا تختلف في أنّ عابدا لو عبَدَ اللهَ طول دَهْرِه وسائرَ عمره قائمًا لا يفتُر وصائما لا يُفطِرُ ، ثمّ كفَرَ بعدَ ذلك طُرفَةَ عينٍ به ، ومات على كُفْرِه ، لأحبَطَ اللّهُ عَمَلَهُ . فإن أنكر ذلك فَلْيَقْرَأ قولَ الله تعالى / وهُوَ أصدق القائلين : « وَلَقَدْ أُوحِيَ إليْكَ وإلَى الذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ (2) » . وقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله كما وصفَه اللّهُ في كتابه المبينِ إذْ يقولُ وهو أصدقُ القائلين : « لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ (3) » ، فكان (صلع) مع ما وصفَه اللّهُ من الرّحمة فيه يقتل القَاتِلَ (4) ويرجم الزّانيَ المُحْصِنَ ويحدّ البِكرَ ويقطعُ السّارقَ ، لأنّ هذه حدودُ الله التي ذكر في كتابه أنّ من تعدّاها فقد ظَلَمَ نفسَه . وأنّ الرحمة فيها وفي ترك تَنْفِيذِها لا تعدّ

---

(1) الفرقان ، 21 .

(2) الزمر ، 65 .

(3) التوبة ، 128 .

(4) في الأصل : القاتل .

رحمةً (1) لأن اللّهَ عزّ وجلّ / ذكرَ حدودَه التي افترضَها وأمر عبادَه بإقامتِها /و/ هو أرحَمُ بخَلْقِه وأعلَمُ بصلاح عبادِه أجمعينَ .

فإن زعم الذي أنكر قتلَه أن لم يَقْتُلْ فيجِبَ القتلُ عليه ، واحتجَّ بالحديث الذي رواه أئِمّتُه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال فيما زعمُوه : لا يحِلُّ قتلُ امريءٍ يؤْمِنُ بالله واليوم الآخِرِ إلاّ في ثلاث : زنًا بعد إحصان أوْ كُفر بعدَ إيمان أو قتلِ نفسٍ بغير نَفْس (2) ، فهو لا يدري إنْ كانَ هذا الذي أنكر قتْلَه قد اقترَفَ شيئًا من ذلك أو لم يَقْتَرِفْه . وقد نطق الكتاب بقتل غير من ذكَرُوه في هذا الحديث . فقد قال الله عزّ وجلّ : « إنَّمَا جَزَاءُ / الذِينَ يُحَارِبُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأرْضِ فَسَادًا أنْ يُقَتَّلُوا أوْ يُصَلَّبُوا أوْ تُقَطَّعَ أيْدِيهِمْ وَأرْجُلُهُمْ مِنْ خِلاَفٍ أوْ يُنْفَوْا مِنَ الأرْضِ (3) » . فالمُفْسِدُ في الأرضِ وقاطعُ الطريقَ يقتل في قولِ أئمّته وكذلك اللصُّ ، ومن نازعَ رجلا على شيء من ماله أو مالِ غيره من المسلمين أو أرادَ قتلَه ، فجائز له أن يَقْتُلَه . قال الله عزّ وجلّ : « فَإنْ بَغَتْ إحْدَاهُمَا عَلَى الأخْرَى فَقَاتِلُوا التِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إلَى أمْرِ اللّهِ (4) » ، فأوجبَ قِتالَ أهل البغي وأباحَ قتلَهم . فهل كان هذا الفاسقُ الجاهلُ المُغرِض يعلَمُ حالَ هذا الذي أنكرَ قتلَه ، وأنّه كان بريئا من هذه الوجوه كلِّها والتبعات / بأسرِها أو كان علِمَ كيفيّةَ قتلِه وعلى أيّ الوجوه جرَت أمورُه ؟ بل هو لا يدري على الحقيقة من ذلك شيئا .

ولكنّه يدري أنّ العبدَ الذي هرَبَ بجدّه الدّاخلِ (5) إلى الأندلس من المشرق وخاطرَ بنفسه فيه حتّى أصاره /إلى/ المصر الذي صار إليه قد قطع يدَه وقتلَه من أجلِ أنّه لطمَه يومًا في حين مَجيئِه به — وقد رأى بعضَ رجال السلطان — ليُوهِمَهم أنّه عَبْده ، وأرادَ بذلك نجاتَه . فكان لهذا المنتقد ما يجهلُه ، أن ينتقِدَ على سلَفِه ما يَدْرِيه ويعرِفُه . وقد يكون الْمُؤَدّبُ والقيِّمُ

(1) في الأصل : لاتعد رحمة الله .

(2) حديث : لا يحل ... ذكره البخاري ، ج 9 ص 6 ، والترمذي ج 9 ص 2، وأبو داود ج 2 ص 440 وابن حنبل ج 1 ص 437 رقم 437 والسيوطي في الجامع الصغير ج 3 ص 356 .

(3) المائدة ، 33 .

(4) الحجرات ، 9 .

(5) عبد الرحمان بن معاوية ، الداخل إلى الأندلس سنة 757/139 انظر : ابن الأثير ج 3 ص 360 . ولعل العبد المذكور هو مولاه بدر ، على أن المصادر التاريخية لم تعرض لهذه الحادثة .

على أولاد الملوك / يُؤَدِّبُهم ويضربُهم في الأمرِ اليسير ثمّ يصير من يصير منهم بعد ذلك إلى المُلك فيوفّي حقّ مؤدّبه والقيّمِ عليه الذي كان يضربُه ويؤدّبُه لما يقيمه عليه من الواجب . فكيف بمن كان إنّما أراد بما فعلَه حياةَ من فعَل ذلك به واستنقاذه من القتلِ ، فاستنقذَهُ من ذلك وأصارَه إلى المُلك وبذَل نفسَه فيه، فيكون جزاؤُه أن تُقْطَعَ يدُه ويُقتَل ؟ فمثلُ هذا لَوْ تعقّبَه الجاهلُ الأحمقُ على سلَفِه لشغلَه عن تعقّبه ما لا يدريه على غيره (1) .

ثمّ قال مولانا الإمام المعزّ عليه السلام : وفي مثله قال بعضُ الحكماء : مَن عمِيَ عن معايبِ نفسه لم يعلَم محاسنَ / غيره ، فهو لا يُقلِع عن المعايب إذ جهِلَها ولا يدري المحاسنَ في غيره فيستَحْسِنَها .

ثمّ قالَ عليه السلام : لقد مرَّ بي هذا الكلامُ منذ أيّام في كتاب ، فأعجبَني غايةَ الإعجاب ، وأحسبُه بهذا اللفظ . ثمّ دعا عليه السلام بالكتاب فاستخرجَهُ منه فوجده وردّه ، ثمّ قال : إنّهُ لمِنْ كلامِ الحكمة .

(1) عقد القاضي النعمان في كتابه « افتتاح الدعوة » فصلا مطولا استعرض فيه أطوار المؤامرة التي دبرها أبو العباس ضد المهدي فتبعه فيها جمع من كبار مشايخ كتامة وكذلك أخوه أبو عبد الله الداعي . ويظهر من تحليل النعمان أن المحرك الرئيسي كان أبا العباس ، وأن محور الدعاية كان التشكيك في إمامة المهدي ، واعتباره إماما مستودعا اغتصب الامامة من القائم الامام الحقيقي (انظر افتتاح الدعوة ، نشر فرحات الدشراوي ص 306 إلى 326 وكذلك التعليقات بالقسم الفرنسي ص 131 إلى 136 . وانظر أيضا : افتتاح الدعوة نشر وداد القاضي ص 259 إلى 269 وانظر مقدمتنا ص 22ـ24) .

الجزء الثامن

[بسم الله الرحمان الرحيم]

وفي الفصل الثامن :

قال القاضي النعمان بن محمد : وكان في فصل من فصول هذا الكتاب ممّا افتخر به الأمويُّ اللعينُ أن ذكر عِدّة رجاله .

فقال المعزّ عليه السلام : لو علمنا أنّا نُدْرِك عِلْمَ / هذا بمشقّةٍ لرأينا أنّا نتحمّلها (1) . فإن كانَ هذا الأحمقُ الجاهلُ لم يعلم أنّ في أقلّ بلدٍ من بلداننا وأدنى عسكر من عساكرنا أضعافَ ما ذكرَهُ من العدد الذي تهيّبَ به، فقد جهِل ما لا ينبغي لمثله أن يجهلَه . وإن كان قد علِم ذلك فعرّفَنا بما عندَه من العدد ، فما زاد على أن أوقَفَنَا على ضُعفه ووَهَنِه وعرَّفَنَا قدرَ ما نحتاج اليه إذا أردنا محاربتَه . وما أدري ما معنى ذكرِه هذا ، ولكنْ لا تحصيلَ إلاّ لذوي العقول .

وفي الفصل التاسع :

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب ذكر إفريقيّة ، فقال : وإنّما بها بربر أغْتَامٌ (2) لا يميِّزون شيئا / .

---

(1) لسنا واثقين من هذه القراءة ، لغموض القصد .
(2) الأغتم : من لا يفصح في كلامه .

فتبسّم المعزّ عليه السلام عند ذكر ذلك وقال : هذا ممّا قيل في الأخبار عن بعض الملوك أنّ اختلاطًا أصابَ النّاسَ في زمانه ، وسلِمَ هو منه لأمْرٍ تحفّظَ له . فلمّا رأوْه قد خالَفَ معنَاهم قالوا: قد اختبَل الملكُ ، وهَمُّوا أن يخلَعوه ، فاتّصل به ذلك ، فتناولَ ما كان تحفّظ منه حتّى دخل عليه ما دخَلَ عليهم فقالوا : قد صحّ . وصبر على ذلك حتى زال عنه بزوالِه عَنْهُم .

فكذلك هذا الجاهل الركيك ، لمّا قصر عقله عن عقول ذوي العقول رماهُم بالجَهْل فلم يرَ الجاهلُ أئمّتَه الذين هم فيما يزعمون فقهاءُ أهل بلده ، وإنّما أخذوا علمَهم أكثرَه عمّن كان بإفريقيّة / ، وكتبُهم إلى اليوم في أيديهم . وكلّ من طرأ منهم يَأخُذُ عَنْهم حتّى إنّهم ليأخذُون عمّن لا يُؤْبَهُ إليه منهم (1) .

والجهل إذا نُعِتَ ، والحُمْقُ إذا وُصِف ، والرَّقاعَةُ إذا نَزَلَتْ ، فإنّما يضاف ذلك إلى أهل الأندلس أشبهِ الناس طباعا وأخلاقا وزيّا ومنظرا وهمّاً بأهل بَوَادي الرّوم ، وهم منهم . وقد رأيتُ كثيرا ممّن ألّفَ الكتبَ في البلدان وذكر أحوال أهلها : فكلٌّ قد أجمَعُوا على أنّ الذّكاءَ والفطنةَ والعلمَ والرّقّةَ في أهل العراق ، ثمّ بعدَهم في أهل إفريقيّة ، وذكروا سائرَ البلدان وما ذكَروا الأندلس في الذاكرين . ولولا سخفُ عقولهم وغلظ / طباعهم وأذْهَانهم لما أقرّوا لمن طرأ إليهم ممّن فرّ من بني أميّة . ولو وُجد في الأرض أجهلُ منهم لقصد إليهم دونَهم .

فأمّا ما ذكره من البربر فلولا من يَنْزَعُ (2) إلى ناحيت[ـه] منهم رَغبةَ في جهاد المشركين وذبّهم عنه (3) لما قرّ (4) به قرارُه ولا اطمأنّتْ به داره (5) .

وفي الفصل العاشـــر :

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب أنّه ترك أهلَ المذاهبِ وما اختارُوه لأنفُسهم ولمْ يعرِض لأحدٍ منهم ، فنزع أكثرُ الناس إليه وسكنوا بلدَه لذلك .

(1) النعمان — أو المعز — لا يسعه إلا أن يطري علماء إفريقية ، وهم سنيون ، فيطريهم بمقدار .
(2) في الاصل : فلوما ينتزع ...
(3) أي عن الناصر الاموي .
(4) في الاصل : أقر به قراره ...
(5) فالفضل في وجود الدولة الأموية يرجع إذن إلى البربر .

فقال المعزّ عليه السلام: وهذا مما قدّمنا ذكرَه أنّه والمتغلّبين أمثالَه إنّما أرادوا عاجلَ الدنيا ، فلمّا سلّمَها الناسُ / إليْهم لم ينظرُوا في شيء من أمرِ دينهم وسلّموه إليهم فأخذُوه عنهم (1) . ولو كانوا ممّن تعبّدَهم اللّه تعالى لتقويمِ عبادِه على ما شرَعَه لهم من دينِهم والدّعاءِ إليه ، لقوّموهُمْ عليه ودعَوْهم إلى ما فيه صلاحهم ، وكان ذلك أهمّ عليهم من أمرِ الدنيا ، لأنّ الله عزّ وجلّ لم يُرسِلِ الرُّسُلَ وأقام الأئمّةَ إلاّ لإظهار دينه وتقويمِ عبادِه عليه ، والدعاءِ إليه .

وأمّا ما ذكره ممّن نزع إلى بلده فما علمنا أحدا نزع إليه لعلم يأثرُه ولا لدين يطلبُه . وما نزع من نزع إليه إلاّ لِمَا أباح لهم من شُرْبِ الخمور والمجاهرة بالمعاصي وجَعَلَ ذلك سببا / لمجاهرَتِه هو بذلك . ولو أنكرَ ذلك على غيرِه لوجب أن يُنكِرَه على نفسه . على أنّه إن عدّ من نزع إليه فَخْرًا ، فإنّا لا نعرِف قريةً من القرى فضلا عن المنابر (2) والمدن من أقصى المغرب إلى ما يقرب من المشرق إلاّ وفيها طائفة من أهل الأندلس قد نزعوا إليها ووطَنُوا بها . وإنّ كثيرا منهم ليذكر أنّ الذي نزع به خوفُ سخط الله لمَا رآه من إظهار المعاصي ببلدِه ، فخرج هاربا بذلك بنفسه . فإن كان يعدُّ من نَزَع إليْهِ مَفْخَرًا فلينظر من نزع عَنْه ! مع أنّ هذا من مفاخرِ الجُهّال . وما زال الناسُ ينتقلون من بعض / البلدان إلى بعض اختيارًا وشهوةً ، ولعلّةٍ ولغير علّةٍ على قديم الزمان في كلّ مكان .

وإن كان عندَه أنّ كلّ بلد يُنتقَل إليه لهُ الفضلُ على البلد المنقولِ منه ، فليفضّلْ ، إن شاء ذلك وقال به ، البلدَ الذي نفى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله جدّه الحكم بن أبي العاص إليه ، على حرمه (3) الذي نفاه منه ليُفيد قولُه ويكمل له افتخارُه .

---

(1) في الاصل : وأخذوه عنهم .

(2) في الاصل : المبابر ، ولا معنى له ، فاخترنا قراءة «منابر» لان المنبر قد يعني المدينة التي بها مسجد جامع (انظر دوزي في المادة ، وقد نقل عن ابن خلدون هذه العبارة «وولى بعض اخوانه على منابر عمله ») .

ولعلها أيضا : البنادرج بندر وهي المدينة البحرية .

(3) معلوم أن الرسول (ص) نفى الحكم عن المدينة إلى الطائف ، فلم يعد إليها إلا في خلافة عثمان (انظر ص 285 . من المجالس) .

وفي الفصل الحادي عشر :

(قال) وقد كان في فصل من فصول هذا الكتاب أنّه – يعني أمير المؤمنين مولانا – لم يرض ، في الدعاء له ، بطول البقاء ، حتّى تعدّى إلى ما يُدْعَى به للأنبياء من الصلاة .

فقال المعزّ عليه السلام : فلو علم هذا الجاهلُ / معنى الصلاة على الحقيقة أو معناها في مجاز اللغة لما أنكرَ ما أنكرَه . ولكن لجهله مثلَ هذا عدَ[لْـ]ـنا عن جوابه وسكتنا عنه ، لأنّه كان يقال : السكوت عن الأحمقِ جوابُه . فرجّعنا إليه رسوله من غير جواب احتقارا له .

وكأنّ هذا الجاهلَ لم يسمع قولَ الله أصدق القائلين : « وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالوا : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (1)» . وقوله : « إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (2) » ، وما رواه أئمّته أنّ النّاس سألوا رسولَ الله صلّى الله عليه / وآله لمّا نزلَتْ هذه الآية قالوا : يا رسولَ الله كيف نُصلّي عليك ؟ فقال : قولوا : اللّهمّ صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلّم كما صلّيتَ على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنّك حميد مجيد(3).

ثمّ قال المعزّ عليه السلام : فنحن آلُ محمد المصلّى علينا في كتاب الله وعلى لسان رسول الله ، على رغم أنف الفاسق المنكر ذلك والجاهلِ له .

ثمّ قال (صلعم) : فإنْ كان هذا عِنْدَهُ لم يتعارف إلاّ للأنبياء كما قال ، فَمَا بالُه يسمّى أمير المؤمنين ، وذلك لا يُعلَمُ لمن كان بالأندلس ولا كان مَن تقدَّمه من آبائه يُسَمَّوْن به ، ولا هو ، صدرًا طويلا من أيّامه (4) . فما الذي أوجب ذلك له ؟ هل كان هو / فيما تقدّم له وآباؤُه من قبله على جهل في ذلك ، فاهتدى إلى الصواب بعد ذلك ؟ فليشهد على نفسه وعليهم بذلك !

---

(1) البقرة ، 155–157 .

(2) الاحزاب ، 56 .

(3) كيفية الصلاة على النبي : البخاري ، ج 6 ص 151 .

(4) تولى عبد الرحمان إمارة قرطبة سنة 902/300 . وتلقب بأمير المؤمنين سنة 929/317 . وهذا محل تساؤل المعز : لماذا نصب نفسه خليفة بعد سبع عشرة سنة ؟

وإن كانوا على صواب فقد أتى الجهلَ بخلافه إيّاهم ودعواه بما ليس له دونَهم .

وفي الفصل الثاني عشر :

[قال] وقد كان في فصول هذا الكتاب أنّه آثر السلم والصلح والموادعة لمّا أراده من حقْن دماء المسلمين وكرهه ما (1) يدعو إلى غير ذلك .

فقال المعزّ عليه السلام : فهلاّ كره ذلك إذ أرسل رُسُلَه وهداياه وأمواله إلى طاغية الروم يستنصره عليهم ، وواطأه على حربهم ، وأقبل كلّ واحد منهم من ناحية برجاله / ونَجدَته ؟ أفلم يكونوا عنده يومئذ مسلمين ؟ وإنّما أسلموا اليوم لمّا صرفْنا وجوهَنا إليه ، وبرقَتْ بوارقُنا نحوه ؟ يخلِطُ لنا اللينَ بالشدّة ويُظهرَ لنا التجلّدَ والنجدةَ ثمّ يسترحمُنا للمسلمينَ ؟

ثمّ ذكر (صلع) في ذلك نحوا ممّا ذكره للرسول وقد تقدّم ذكره في مثل هذا القول لَمَّا ذكره له .

وفي الفصل الثالث عشر :

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب أنّه – يعني أمير المؤمنين صلوات الله عليه – منع أهل بلده – يعني أهل الأندلس – من حجّ بيت الله الحرام . وحال بينهم وبينه (2) .

فقال المعزّ عليه السلام : أفرأيتُم أشنعَ من هذا الفاسق كذبا أو أقبحَ منه قوْلاً ؟ / ومتى منَعْنا نحن أهلَ الأندلس أهلَ بلده من الحجّ أو من السّفَر حيث أحبّـ/وا/ ؟ بل هو الذي منَعَهم وغيّرَهم ممّن كان من أهل البلدان ببلده من الخروج لِئلاّ يُؤَدُّوا بزَعْمه أخبارَه إلينا ، فردّ ذلك علينا . وهؤلاء هم يذهبُونَ ويرجعون فما نعرِض لأحَدٍ منهم ولا نمنَعُهم. وكيفَ نصدُّ عن بيت الله، ونحنُ أهلُه، أم نمنعُ من زيارة قبرِ جدّنا محمد صلّى الله عليه وآله، ونحنُ ولَدُه؟ قبّحَ الله هذا الفاسقَ وترَحَه ! فما أشنعَ شناعتَه وأقبحَ كذبَه، والعيانُ يدفعه والمُشاهَدة تُبطِله .

(1) في الاصل : مما .

(2) يفهم من هذه التهمة أن الأندلسيين القاصدين مكة يمرون بإفريقية .

وفي الفصل الرابع عشر :

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب أنّ جميعَ من ضمّته جزيرة الأندلس / أولياؤه ورجالُه وأشياعُه ومواليه وعبيدُه وجُندُه وأنصارُه .

فقال المعزّ عليه السلام : فلو صدّقْنا في ذلك قولَه وأخذناهم بشهادته وادّعائه لَقَتَلْنَا من ظفرنا به منهُم ، وأخَذْنا أموالَهُمْ فضلا عن أن نحولَ بينهم وبين حجّهم ، لأنّهم إذا كانوا على ما وَصَفَهُم ، فهم لنا حَرْبٌ وأعداءٌ ، وجائز لنا أن نفعَلَ فيهم ما قلناه إذْ هُم ؛ على ما زَعَمَ ، منه ، وهو منهم ؛ بتوليتيهم له وكونِهم في حزبه .

ولكنّا نعلَمُ أنّ الأمرَ فيهم على خلافِ ما ادّعاهُ ، وأنّه كذَبَ ، لعنه الله وأخزاه ! وإنّا لنعلم أنّ كثيرا ممّن حوَتْه دارُه وأحاط به جِدَارُهُ يشنَؤُه ويمقُتُه / ويستَبْعِدُ أجلَه ويستبطِيءُ موتَه ، وأنّه لو قدَر على ذلك لاستعجلَه له ، فضلا عن سائر أهل بلده الذين قد سامَهم سَوْمَ العذاب، وتجاوز في أموالِهم حدَّ الواجب إلى أن صاروا إلى الانتهاب . وما (1) كفَّ عنهم بعضَ شرّه (2) إلاّ مذ أوقَعْنا به، وإنّهم ليدعُون الله لنا لذلك بالنصر عليه ، لمّا كففنا عنهم منه . فنحن لا نقبل قوله عليهم ولا نُصدّقُه فيهم ، نُحسِنُ لمُحسِنِيهم كما قد أحسَنَّا إلى من قَدَرْنَا عليه منهم .

وفي الفصل الخامس عشر :

(قال) وكان في فصل من فصول هذا الكتاب المتقدّم ذكره : (قال) وكتب إلينا – يعني من كتب إليهم من الحَضْرة – / أنّا أرسلنا مددَ البربر عليهم في مراكب وأنّها عطبت ونُكب أهلُها فأسِروا فبيعُوا بالكلاب (3) . فقال : وهذا موضِع غمّ لمن عقل ، أن يكونَ أحرارُ المسلمين يباعُون .

(1) في الاصل : ولما ...

(2) في الاصل : شعره .

(3) تلتبس الضمائر فلا نفهم من هم الباعثون لهذا المدد ، إلا أن يكون الناصر هو الذي أرسل البربر في أسطول لمحاربة الفاطميين ، فأسروا وبيعوا في الأسواق ، فعاب عليه الناصر ذلك كأنه يقول له : دفعت بالمسلمين إلى النخاسين . هذا ، و لم نر وجها لكلمة «الكلاب» هنا .

قال المعزّ لدين الله صلوات الله عليه : والكاتِب بذلك إليهم لم يقل عنّا إننا أبَحْنا ذلك ولا أجزْنَاه ، وإنّما أخبرَ عن عقوبة الله لهم بما فعلوه . وأمّا نحن ، فلو ظفِرنا بهم ، لما حكمنا فيهم إلاّ بالقتل أو المنّ أو ما يجب في أمثالهم في الحُكم .

ثمّ قال (صلع) : وما حجَزَهم عن الملك والسَّبْيِ إلاّ ظاهرُ الشهادةِ ، فأمّا أعمالُهم فأعمالُ أهلِ الشّركِ . وإذا كان الله عزّ وجلّ قد أحلّ بهم من البؤس والعقوبةِ ما عسى أنّا لو كُنّا / ظفِرنا بهم لم نفعَلْه فيهم ، فذلك أشفى لقلوبنا وأبلغُ في نِعمة الله وفضلِه علينا . فجعَلَ معرفتَنا بنِعمة الله علينا في هلاك عدوّنا ومن قصَد بالمكروهِ إلينا ، وذكرَنا ما أحلّه الله به ، عيباً علينا .

(قال) ثمّ ذكر هو في كتابه هذا أنّا لمّا أخرجنا أسطولنا إلى المريّة وأحرقنا مراكبَه ووطئْنَا بلدَه أنّ الله لم يُتِمّ ذلك لنا لأنّا أخرجنا مع ذلك أسطولا إلى غزوة الروم بقرشقة (1) فلم نظفر بشيء وانصرفَ أهل أسطولنا خائبين وأوقع ببعضِهِم المشركون .

قال المعزّ عليه السلام : وهذا ممّا ذكرناه من تناقض كتابه وأنّه لو صرف إليه لكان جوابا له ، وهو هاهنا يُبَكّتنا بأن ذكّرنَا نعمةَ الله علينا / في دفاعه عنّا من أرسله مادّة (2) علينا وأنّه أحلّ بهم النّقمة والبؤس دوننا ، فهو هاهنا يعتدّ ويُسَرّ بأنّ المشركين حمَوْا أنفسهم منّا وأصابوا من المسلمين ما هو فيه مع الكاذبين . بل وطئْنا بلدَهم وقتلْنا منهم وأجليْنَاهُم وانصرف رجالُنا سالمين بحمد الله ربّ العالمين . فجمع إلى الكذب المسرّةَ بخلاصِ المشركين ونَكبةِ المسلمين ، وهذا هو اعتقادُه قد أبدَاهُ اللهُ على لسانه وأظهر ترجمتَه مع التغايُر في كتابه الذي لا يجوز على كثير من المجانينِ مثلَه أن ينتقدَ علينا ما لا يُنْتَقَدُ ويأتيَ بمثل المعنى الذي نحلَنا إيّاه وبأعظَمَ منه .

(1) لعلها جزيرة كرسيكا Corse المعروفة في خليج جنوة شمالي جزيرة سردانيا .
هذا وقد ذهب فرحات الدشراوي (افتتاح الدعوة ص 331 من المتن وص 139 من التحليل بالفرنسية) إلى أن « قرقيسا » أو « قرقيسيا » الواردة عند ابن الأثير وابن خلدون في الحديث عن غزوات القائم ، قد تعني خليج Gascogne على المحيط الأطلسي ، وهو أمر بعيد مستبعد، فالمقريزي في الاتعاظ (ص 108) حصر هذه الغزوات في البحر الأبيض المتوسط . ومهما يكن من أمر ، فان ملاحظة الناصر هنا تدل على أن المعز واصل غزوات جده القائم على جزر الـــروم .

(2) هكذا في الأصل . وفي اللسان : المادة كل شيء يكون مددا لغيره .

وفي الفصل السادس عشر :

(قال) وكان في فصل من فصول / هذا الكتاب : ثمّ زعم أنّ الله عزّ وجلّ سيقطَعُ مُدّتَنَا وينتقِمُ منّا . (قال) : وهذا قول جاهل وكفى بجهله بأن يقطع بالغيب على الله ما لا يعلَمُه .

قال المعزّ عليه السلام : ونحن ، فلو قلنا ذلك لقلناه من كتاب الله جلّ ذكره /و/ من قول جدّنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه وآله . لأنّا إذا رأيْنَا هذا الفاسقَ مرتكبا لمحارمِ الله عزّ وجلّ ، متهاونًا بأمره مناصِبًا لأوليائه وحزبه ، حكمناه بحكم الله ، واستَنْ/جزْنا فيه وعدَه لأنّه يقول لا شريكَ له : « إنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (1) » .

« فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ (2) » .

« وَأُمْلِي لَهُمْ إنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (3) » .

وَ« إنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأنْفُسِهِمْ (4) » .

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ / مِنْ بَعْدِ الذّكْرِ أنَّ الأرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (5) » .

فعلمنا أنّ الله (عج) لا يدع مثله حتّى ينتقم منه ولا يهمل منكره بل يغيّره ولا يدع أن يطهّر منه أرضه ويورثها — كما قال — صالحي عباده .

قال المعزّ عليه السلام : ثمّ هذا فصل في كتابه بعد هذا يذكر فيه بزعمه سُوء رأينا . وقال فيه : ومن كانت هذه أحواله لم تدُم أيّامُه . فجاء بمثل ما أخذَه بزعمه علينا ، لم يعدُه قوله وسوءُ توجيهه وجهلُه . والله للظالمين بالمرصاد (6) .

---

(1) الصافات ، 173 .
(2) الزخرف ، 55 .
(3) القلم ، 45 .
(4) الرعد ، 11 .
(5) الأنبياء ، 105 .
(6) هنا ينتهي الرد على رسالة الاموي فصلا فصلا .

كلام في مجلس في حمد الله وشكره :

95 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يوما يذكر ما هيّأه الله عزّ وجلّ له من إقبال الدنيا عليه / وما كثّره تبارك اسمُه من متاعها عندَه من صنوف الأموال والخيلِ والسّلاحِ والعُدّة والطراز، وما ظهر في أيّامه من بديع الأعمال وغرائب الصنائع التي لا يُحكم حذّاقُ أهل المشرق مثلَها، وأنّ ذلك من صَنعة عبيده الذين أفاء الله عزّ وجلّ بهم عليه من سَبْيِ الرّوم وأنّ مثل ذلك لم يتهيّأ لأحدٍ من ملوك الدنيا مثلَه، ثمّ ما هيّأهُ الله تعالى له من قطع الحجارةِ من الجبالِ بالمكان الذي لم يَكُنْ ملكٌ من ملوك الدنيا قبلَه قَدْ تهيّأ فيه ذلك له (1)، والذي ابتناهُ من البنيان واغترسَه من الأشجار مع إقبال الخَلْق بالطاعة له واستقامة الأحوالِ في أيّامه في جميع مملكته (2).

وذكر مع ذلك ضعف / بني العبّاس وما أصارهم الله عزّ وجلّ إليه من الذّلة والضّعة، وما غلبوا عليه من ملكهم وأنّهم كسبيل الأيتام في حجور مَن تغلّب على مملكتهم يُجرُونَ عليهم النفقاتِ وقد حازُوا جميع أموالِهم وغلبوا على سلطانهم. فحمِد الله حمدا كثيرا وشكر ما أولاه الله ومكّنه وأعطاه وَسَلَبَه وانتقَصه أعداءه.

ثمّ قال (صلع) : نبذنا الدنيا واطّرحناها وطلبنا الآخرة وآثرناها، فأتى الله عزّ وجلّ إلينا بالدنيا وهي راغمة، وأعدّ لنا كريم ما لديه في الدار الآخرة. والله ما نال عدُوُّنا ما ناله من دنياه إلا بتكدير وعلى حال خوفٍ وتغرير (3)، وما يتلذّذون إلاّ بمعاصي الله ومحارمه عارفين بها لا يشكّون فيها، أكثر ما يقوله أحدهم / في ذلك ويقال له : إنّما هي دُنْيَا فاستعجل منها، فما استعجلتَهُ فهو الذي تربَحُهُ وما تركتَه منها فقد خسرتَه. ولا يذكرون معادا ولا يرجون ثوابا. وإنّا بطاعة الله وبجلاله لأشدُّ منهم تلذّذا في غير معصيته وحرامه، وما لهم في الدنيا إلاّ الخزيُ والتّعَبُ والنّصَب، ولا في الآخرة إلاّ العذابُ واللعنةُ وسوءُ المنقلَب، فقد خسروا الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسرانُ المبينُ.

---

(1) في الاصل : لم يمكن ملكا من ملوك الدنيا قبله به تهيأ فيه ذلك له.

(2) هذا عين الفخار الذي كان المعز منذ حين (انظر ص 180–181) يعيبه على عبد الرحمان الناصر، والإشارات إلى العمران والصناعات هي بعد غامضة مبهمة لا غناء للمؤرخ فيها.

(3) في الاصل : تعزير.

حديث في صنع الله لوليّـه :

96 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يذكر رجلا كـان طـرأ إليه من المشرق ورأيناه وعرفنـاه . قال : كان ممّن أذن لـه في موضعـه في الدعـوة إلينا قديمـا . أطلق له ذلك بعضُ من فوّضنا ذلك / إليه من دُعاتنا فكان يتّصِلُ بنا عنه من سوء الحال وقبيح الانتحال وتغيير دين الله وتحريفه والتقوُّلِ بالباطل فيه . ما قد شقّ علينا واغْتَمَمْنَا به . ثمّ هيّأ اللهُ مصيرَه إلينا وقدومَه علينا فأنزلناه وأجرينا عليه ، وأمرنا من نثق به من أوليائنا بمفاوضته واستخراج ما عنده . فإذا هو بحسب ما وُصف عنه ، ورُفعَ إلينا فيه . وأسْوَأ حـالا من ذلك . فلمّا استنفَدْنا مـا عنـده ، ووقفنـا على ما يعتقِدُه ، أنكرنا ذلك عليه ، وَوَعَظْنَاه فيه واستَتَبْنَاه منه. فأظهر توبةً وقبُولا ورجوعا إلى الحقّ وإنَابَةً . وأخذنا عليه . ثمّ سألَنا تسريحَه إلى مكانهِ فأمرناه بالتأهّب لذلك وأجزناه فأحسنّا / جائزته .

فرفع إلينا جماعةٌ ممّن كان من أضيافنا معه يخاليه ويفاوضه أنّه إنّما أراد التخلّص منّا،وأنّه عزم على الرجوع إلى ما كان إليه وأن ينشره عنّا بموضعه وغيره،ويجول في الآفاق . إذ به قد صدر عنّا تسريحه . وانصرف عن بابنا لما يريده من التأكّل بذلك من أموال الناس . مع ما يُوَرِّطُهم فيه من المهالك ، ويزرع فيهم من سوء الانتحال . ورفع ذلك إلينا من رَفَعَهُ من أوليائنا رفعَ نصيحة .[و]ذكر أنّه إنْ صار إلى أيّ مكان أفسدَه وأتلف أهلَه . وأنّ حَبْسَه بالحَضْرَة واعتقاله دونَ ذلك صلاح . وتبيّن لنا ذلك . وكان الذي يوجبه التدبيرُ استهلاكَهُ واجتياحَه ، وأن يكون أقلّ ذلك حبسُه واعتقالهُ . ثمّ نظَرْنا في / واجب قصده إلينا من قبل أن نقدِرَ عليه . وفي الذي أظهَرَه من توبته . وأنّ الذي يُخشى منه لم يكن بعد فَعلَه فيوجب ذلك عقوبتَه . وإن كان قد تهيّأ واستعدّ له . فرأينا إيثارَ الحقّ فيه ، وقُلْنَا : إن كان قد اعتقد سوءًا فالله يكفيـه . ولا نكون نأتي أمرا فيه شبهةٌ . فأذِنَّا له في الانصراف . فلقد انصرف وما وَدَّعَنَا خوفًا من أن يَعُوقَ في المُقَامِ عَائِقٌ . وأنفذناه مع عاملنا على /ب/رقة في حين انصرافه وأمرنَاهُ بحسن صحابته وبرّه وإكْرَامِه وقضاء حوائجه .

فلمّا وصل معه إلى مدينة اطرابلس قدّم العاملُ رجلَيْن على نجيبين إلى برقة لما أراد أن يتقدّم فيه قبل قدومه (1) ، فسأله أن يقدّمه / معهما، ورغب في ذلك فأخبره بما يكون عليه في ذلك من المشقّة لركض النجيب به وسرعة السير . فقال : هذا أحبّ إليّ . فأجابَه إلى ذلك لما تقدّمنا (2) إليه فيه من قضاء حوائجه . وقدّرنا أنّه إنّما دَعَاهُ إلى ذلك ، الخوفُ من أن نردّه . فمضى مع الرجلين . فبعد أن قَطَعوا أيّامًا صاروا من الليل ، فخرج عليهم لصوص فاشتدّ الرَّجُلان بنجيبهما واشتدّ معهما، فرمى به النجيبُ فسقَط إلى الأرض فاندقّ عنقه فمات ، ولم يعلم به صاحباه واستتر عن اللصوص لظلام الليل . وأصابه أهل الناحية من غدٍ بما معه فرَفَعُوا أمره إلى عامل المكان فحاط ما كان معه ودفَنَه ، وكتب إلينا بخَبَرِه كفانا الله / مؤنته وخلّصَنا من الدخولِ في شُبْهَةٍ من أمره .

وهذه عادة الله عندنا فيمن غَمَطَ إحسانَنَا وكفر نِعمَتَنَا وأسلَمْنَا أمرَه إليه وتوكّلنا فيه عليه ، والحمد لله ربّ العالمين على ما لا نُحصيه من فضله ونَعْمَائه ولا نتعاطى بلوغَ شُكره من آلائه حمدًا كثيرا كما هو أهله ومُسْتَحِقُّه .

حجّة في الأخذِ عن أولياء الله :

97 — (قال) وحضر مجلسَهُ يَوْمًا بعضُ النحويّين فقال له : خبّرني عنكم معشرَ المنتَحِلين علم النحو واللغة : أليس إنّما أخذَ أئمّتُكم عِلْمَ ذلك عن أهل بوادي العرب ، وهم قومٌ لا يعرِفُون منه ما تعتلُّونَ أنتُمْ به له ، وتصرّفونه عليه في أبوابه وشواهدِه وأنحائه ودقائقِ مخارجه / واختلاف وجوهِ إعرابه وعَروضِ شعره وفواصله ودوائره بأفاعيله ووجوهِ عِلَلِه ؟ فلمَ كانوا أخذوا ذلك ممّن لا يعرفُ ما عَرفوه عنه ، ولا يدري ما دَرَوْه من أسبابه ، وسلّموا إليهم في علمه ، وإنْ أتَوْا منه بغيرِ ما يعرِفُونَه وخلافِ ما يصرّفونه ؟

---

(1) في هذه الجملة الطويلة غموض ناتج عن التباس الضمائر الكثيرة ، والمعنى هو : أرسل عامل طرابلس رجلين على ناقتين في حاجة له إلى برقة كان ينوبها قبل قدوم الرحل المشبوه في أمره .

وبرقة في القديم كانت احدى المستعمرات الاغريقية الخمس (بنتابوليس) على السواحل الشرقية من ليبيا . وفي العصور الاسلامية أصبحت عاصمة للاقليم الذي يعرف اليوم بولاية برقة ، حسب عادة العرب في تسمية كامل المقاطعة باسم قصبتها ، وقد اندثرت برقة القديمة وقامت مقامها اليوم قرية المرج على أميال من بنغازي الحالية (انظر فصل Barka بدائرة المعارف الاسلامية لـ J. Despois).

(2) أي نحن ، المعز .

قال : لأنّهم علِمُوا أنّهم مطبوعُـونَ عليـه وأنّهـم أهلُه ومعدِنُه ، وإنّما وضعوا (1) مـا وضعوه مـن هـذه الشواهد والأبنيـة والأنحـاء عـلى أصولهم لكـي لا يخرُجُوا عنها ، فإذا جاءهم عنهم ما لم يكونوا عرَفوه سلّموا القولَ إليهم فيه .

فقال المعزّ عليـه السـلام : أفـلَسْنَـا نحــن أهــلَ بيت رسـول اللـه صلىّ / الله عليـه وآلـه ، ولُحْمَتَـهُ وخُلَصَاءَهُ ودخلتَه وأهـلَ ما حضـر وغاب منه ، وعَيبةَ سرّه وأخصَّ الناسِ كلِّهم به ؟ فلِمَ لَمْ يكونوا سلّموا كذلك إلينـا ما جهلوه من أمرِ دينِـهم وسألونا عمّا اشتبه منه عليهِـم ، ولم يقْطعوا فيمـا جهِلوه منه بـآرائهم وأهـوائهم ؟

فسكت ذلك الرجل ولم يُحِرْ جوابـا ، وكان ممّن ينتحل قول العامّة .

ولعلّ من حجتّه في ذلك عند نفسه أن يقول : نحن ما نأخذ ما أتانا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله إلاّ عن ثقات أدَّوْا ذلك إلينا عنه ، وإن لم يكـونوا من أهل بيته . فقد ثبت لصِحتَّـهم عندنا ما أدَّوْه (2) إلينا . فيقـال له : أرأيتَ لـو أدّى / إليك عن هؤلاء العرب قومٌ منهم وقـومٌ من غَيْرِهـم ، [فَـ]ـمن كان أولى بصحّةِ النقل عندك وأثبتَ فيه لديك : من هو منهم يعرِف لُغتَهم ويدري ما يؤدّيه عنهم ، أم (3) من هو من غيرهم لا يعرِفُ ما يعرِفونـه ولا هوفي ذلك كمن هو كأحدِهم ؟

فإن كابَرَ وقال : إذا كـان ثقـةً في نقلـه أخذتُ عنـه ولم أبالِ ، قيـل لـه : أفرأيتَ إن خـالَفَ مـا جاءك بـه العربـيُّ الـذي لا تشُكّ في مَعْرِفَتـه : [فَـ]ـمن أولى عندك أن تَأخُذَ بقوله ؟ فإنَّـهُ لا يجِدُ بُدًّا منَ القَوْلِ إنَّ العربـيَّ أحقُّ من أخـذ عنه ، وإلاّ خـالَف أصلَه الذي بنى عليه وأوجَبَ أنّه يدَع قولَ العـرب / الثابتَ عنهم ويأخُذ بِقولِ المولَّدين الداخلين على العـربيّة . وهـذا ما لا يقولُه أحـدٌ من أصحابـه ، ولـو قالـوه لأبطلـوا كلامَ العـرب الـذي (4) يستشهدون بـه في كتبهم ويرجعون إليه وإن لم يعرفوا معناه ، كما ذكر ذلك المعزّ عليه السلام فيما أصّله عنده فأقرّ واعترف به .

---

(1) في الاصل : وضعوهم .
(2) في الاصل : وما أدوه .
(3) في الأصل : أو .
(4) في الاصل : الذيـن .

رؤيا رآها المنصور بالله صلوات الله عليه :

98 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يقول: لمّا خرج المنصور بالله صلوات الله عليه إلى ناحية تونس في حين إخراجه الأساطيل (1) إلى غزو الروم نزل خربة قرطاجنّة وهي لِمَن أحدِ عجائب الأوّلين في البناء ، فأقام بها / أيّاما .

(قال) فدخلت عليه في صب/ي/حة يوم من تلك الأيّام ، فقال لي: أخبرُك عن (2) عجائب هذا البناء ، لقد اشتغل (3) قلبي به ، فقلت في نفسي : ليت شعري من بناه ؟ وهل واحد أم (4) تعاقبه جماعة ؟ وكيف كان اقتدر من بناه عليه مع عِظَمه واتّساعه ؟ وقلت : إن كان الذي بنى هذا ملكا واحدا ، فكيف اتّسع بذلك والعمرُ لا يبلغه ؟ وإن تداولَه ملك بعد ملكٍ ، فكيف اتّفقَتْ آراؤهم على هذا المكان وقلّما تتّفق الأهواءُ على سكنى البلدان ، سيّما الملوك ؟

فنمْتُ وأنا أفكّر في ذلك . فرأيتُ في المنام كأنّ رجلاً دخل عليّ، آدمَ شديدَ الأدمة،تعلُوه صُفرة / ،خفيفَ العارضين مَحْدُورا (5) معتدلَ القامة ،عليه ثوب أبيض قد توشّح به فسلّم عليّ ، فرددت عليه السلام وقلت : من أنت ؟

قال : عبد من عباد الله بُعِثتُ إليك .

قلت : مرحبا بك ! ودفعت يدي إليه ، فأكبّ عليّ وقبّل عَضُدي . وقلتُ له : اجلس!فجلس . وسكتّ أنظُر ما يقول ، فسكَتَ وتبسّم في وجهي تبسّما خفيفا .

فقلت : يا هذا من أنت ، وما له جئتَ ؟

فقال : أنا صاحب هذه المدينة .

قلت : وكيف أنت صاحبها ؟

قال : أنا الملك الذي ابتَنَيْتُها وملَكتُ أهلها .

فقلت : وحدك أم شاركك فيها غيرك ؟

(1) يبدو أن الميناء الذي خرج منه الأسطول هو ميناء دار الصناعة ببحيرة تونس الذي اتخذه حسان بن النعمان سنة 80 ه .

(2) في الأصل : في .

(3) في الأصل : فاشتغل .

(4) في الأصل : أو .

(5) محدور : سمين في غلظة .

قال : بل وحدي ابتنيتها حتّى أكمَلْتُها وسكَنْتُها / وأقمت عمري بها إلى أن متّ فيها .

فقلت له : لقد أعطيتَ مُلكًا عظيما وبَسْطَةً ، أفما كان لك عدوّ فحاربْتَه فشَغَلَك عن هذا البناء (1) ؟

فحرّك يده وجمع أصابع يديه جميعا وقرّبهما وقال : كان لي عدوّ كثير . ومن ذا يخلُو من الأعداء ؟

قلت : فما كان دينُك ومذهبك ؟

قال : التوحيد .

قلت : فما صرتَ إليه ؟

قال : إلى خيرٍ والحمد لله !

قلت : قد جمع الله لك أمرَ الدنيا والاخرة .

قال : وما تنكر من ذلك إذ كانت هذه البقاع من هذه الأرض قد منحت ما تراه من المنحة (2) فكيف بالأرواح الشريفة وما يخصها الباري إذا ارتضاها ؟

قلت : أجل ، فما اسمك ؟ . فتسمّى لي باسم لم أسمع بمثله في لغة من اللغات ولا عرفتُ معناه ، إلاّ أنّه كثير عدد الحروف .

وقال المعزّ عليه السلام : أظنّه قال : فيه مثل عشَرة أحرف وذكر بعضَها . وقال : كتبها المنصور عليه السلام . (قال) ثمّ تحرّك للقيام ، فقلت : ألا تجلس ؟ أنست بك . فقال : ما بُعِثت إليك إلاّ وأنا على شغل (3) ، فإن أحْبَبْتَ أن تسأل عن شيء فاسأل عمّا بدا لك !

(قال) فسكتّ مفكّرا فيما أريد أن أسأله عنه ، فقام ومضى ، فانتبهتُ .

---

(1) هذا السؤال يعبر عن مشاغل المنصور كأنه يقول : لولا الحروب لبنيت مثل بناءات قرطاج .

(2) في الأصل : المحنــة .

(3) وأنا على شغل : هذه إشارة إلى ما يعتقده الإسماعيلية من أن الأنفس المحمودة تؤثر بعد الموت في أنفس الأولياء ، وتستغفر لهم من الذنوب . فهي في شغل دائم إلى يوم القيامة .

انظر : ستروطمان : أربعة كتب إسماعيلية ص 89 . ويرى الكرماني (راحة العقل : 391) أن مكوث الأنفس بالبرزخ يدوم حتى يتم الخلق الجديد .

كلام في فضل الأئمّــة عليهم السلام :

99 — (قال) وذكر المعزّ عليه السلام أمر مدينة من مدائن الغرب (1) وقيل له إنّه وقع بين / أهلها وبين من يَليهم مـن القبائـل اختـلاف وحـرب ، وكـان قـد خربت مرارا قبل ذلك بمثل هـذا وأخرج عنها أهلُها .

فقال المعزّ عليه السلام: ما ألَوْنا في طلب عمارتها ولكنّها وغيرَها من المدن التي دافعَتْ أولياءَنا في ابتداء أمرِنا لن تُفلح أبدا ،ولا تزال الفتن بها حتّى تأتيَ عليها .

وذكر غيرها ممّن كان أهلُها دافعوا وهم على مثل هذه الحال . وقال : هـذه عقوبة من الله عزّ وجلّ . ثمّ ذكر المدن التي سلمت ودخلت في الطاعـة ومـا أعقبها الله به من الأمن والخير والعمارة .

كلام في فضل الوَلايـة :

100 — (قال) وسمعته صلوات الله عليه يذكر / كتامة وموالاتهم وانطباعهم على الوَلاية . فقال عليه السلام : والله إنّي لأظنّ أنّه لو مُثِّلَتْ لهم النار والجنّـة وقيل لهم: هذه الجنّة وفيها أعداؤنا ، وكلاّ /لا/ يكون ذلك ، فـإمّا أن تكونوا معهم فيها ، وإلاّ فهذه النار فادخلوها ، لاختاروا دُخُولَها !

---

(1) في الاصل : العرب .

الجزء التاسع

[بسم الله الرحمان الرحيم]

كـلام في ذمّ الحسَد ذُكِر في مجلس :

101 — قال القاضي النعمان بن محمد : سمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يقول : الحسَدُ أعظمُ الداء وجهد البلاء وأشقى الشقاء . إنّ الحاسد / إنّما يسخط على الله عزّ وجلّ إذا رآه آتى عبدا من عباده خيرا ، يسخط ذلك منه وَيَرَى نفسَه أهلا لذلك ، وليس هو كما رأى . فينسب إلى الله عزّ وجلّ الجَوْر في فعله والخطأ في حكمه ، تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا . ثمّ يتبع ذلك ما يعتريه فيه من الكمد والغمّ والحسرات والهمّ .

قلت : فالحسدُ في الفضل ، كالعلم والعبادة والحجّ والجهاد وأفعال الخير ؟ فإنّهم قد زعموا أنّ الحسَد في ذلك يستحبّ .

قال : لهذا وجهٌ ومخرج : إن كان التحاسدُ في مثل هذه الوجوه العملَ بها والمنافسةَ فيها ، والقلوبُ سالمةٌ من الغِشّ والدّغَل ، لا يُحبّ الحاسدُ / أن يُحَطَّ المحسودُ في ذلك عن درجة الفضل التي هو بها ، وإنّما يُحِبُّ أن يَلْحَقَ به فيها ، فليس هذا حسد/ا/ وإنّما هو تنافس في الخير ومبادرة إليه .

وإن كان إنّما يريد إسقاطَ من حسَده ، وكونَه هو في منزلته ، وهو في منزلته (1) ، فهذا هو الحسد ، وهو مذموم .

قلت : قد قالوا في مثل هذا في قول الله تعالى : « وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ (2) » أنّه الرجل يتَمَنّى أن يكون له مال رجل بعينه وامرأتُه بعينها وأن ينتقلَ ذلك إليه عمّن هو في ملكه ويديه . وقالوا في قوله : « وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ (2) » وقول رسول الله صلّى الله عليه وآله : إذا تمنّى / أحدكم فليُكثرْ فإنّما يسأل ربَّه عزّ وجلّ (3) : إنّه يتمنّى أن يكون له مثل ذلك المال أو يكون له مثل تلك المرأة .

فقال المعزّ عليه السلام : تمنّيه مثل المال الذي لأخيه ومثلَ امرأتِه ضرب من الحسَد . ولكنّه يسأل الله عزّ وجلّ كما أمر ، من فضله ، ولا يقترِحُ عليه ولا يشغل قلبَه بمال أخيه ، ولا بزوجته ، ولا يلتفِت إلى ذلك ولا يفكّر فيه ، فإنّ فكرته في ذلك واشتغاله به وتمنّيه مثله نوع من أنواع الحسد .

كلام في مسايرة فيه رمز :

102 — (قال) وسمعته عليه السلام يقول لرجل،وأنا أسايره في طريق ،ولا أدري ما كلّمه / به الرجل : إنّه كان من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ذَوُو نجدة وأولو قرابة منه كعمِّه حمزة (4) وابن عمّه جعفر (5) وابنِ عمّتِه الزبير (6) وغيرهم . وأعطى غير واحد منهم في غيرِ مشهَد كثيرا من سِلاحه يقاتِل به ، ما

---

(1) في الاصل : فهو . والفكرة غامضة . ولعلها : يريد أن يكون هو في منزلة المحسود ، وأن يكون المحسود في منزلته هو .

(2) النســاء ، 32 .

(3) السيوطي : الجامع الصغير ، ج 1 ص 95 . أخرجه الطبراني .

(4) هو عم الرسول (ص) وسيد الشهداء . مات في وقعة أحد .

(5) أخو علي لأبويه . ويلقب بجعفر الطيار ، للحديث : رأيت جعفرا يطير في الجنة مع الملائكة . واستشهد بغزوة مؤتة سنة 8هـ .

(6) صحابي جليل ، أمه صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول (ص) . شارك في وقعة الجمل مع طلحة وعائشة وبها قتل بعد اعتزاله الحرب . (أسد الغابة 1732) .

خلا ذا الفقار (1) فإنّه لم يضرِبْ به غيرُ رسولِ الله (صلع) وعليّ وصيّه بإعطائه إيّاه له . فلم يُعطِه قط أحدا غيرَه .

ونظر إليّ وقال : ذو الفقار على ما قد رأيتُموه على عِظَم قدره واختصاص الله عزّ وجلّ به رسولَ الله صلّى الله عليه وآله أقصرُ السيوف قدّا وأقلُّها في العين قَدْرًا (1).

فلم أر إلاّ أنّ ذلك مثَلٌ ضربه ودليل دلّ على اختصاص / عليّ عليه السلام بالكرامة التي أكرمه بها ، والحجّة (2) التي اختصّه بفضلها والعلم الذي أودعه إيّاه ، لأنّ السيف في الظاهر آلة الغلَبة باليد ، والعلمَ في الباطن آلة الغلَبة باللسان والحجّة ، وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله اختصّ عليّا صلوات الله عليه من ذلك ، بما لم يختَصّ به غيرَه .

ومنه قَوْلُهُ عليه السلام : علّمني رسول الله ألفَ باب من العلم والحكمة ، كلّ باب منها يفتح ألفَ باب .

وقوله عليه السلام : كنت إذا سألتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله أجابني ، وإذا سكتُّ عنه ابتدَأني .

وقوله : سَلُوني قبل أن تفقِدوني فإنّكم لا تسألو/ن/ني عن علم / ما كان وما يكون إلاّ أخبرتُكم به ، أخبرَنِي بذلك النبيُّ الصادق عن الروح الأمينِ عن ربِّ العالمين . مع اختصاصه إيّاه صلوات الله عليه وعلى الأئمّة من ولده بالوصيّة والإمامة .

كلام في مجلس في فضل أولياء الله عليهم السلام :

103 — (قال) وسمعته يقول : نحن النجباءُ الأبرارُ، المصطفَوْنَ الأخيارُ، نجل محمد سيّدِ النبيّين وخاتَم المرسَلين ، لا ينكر حقّنا إلاّ معاند، ولا يدفعهُ إلاّ مكابر ، ولا يجهله إلاّ جاهل ، ولا يدّعيه إلاّ ظالم . خُصِصْنا بولادة النبيّ والوصيّ، وأورِثنا الإمامةَ، وأعطِينا الكرامة، وفُضّلنا على العالَمين . ولو شئنا أن نقول إنّا كنّا مع آدم

(1) قد مر وصف هذا السيف . انظر ص 114 .
(2) في الاصل : فالحجة ...

لقلنا (1)، لأنّ الله تعالى لمّا خلق آدم (ع) نظر فرأى في ساق العرش / مكتوبا : لا إلاه إلاّ اللهُ ، محمّد رسول الله، أيّدتُه بعليّ وأورثته به . فقد ذكرنا الله عزّ وجلّ قبل أن يُخلَق آدم، فمن يدّعي هذا معنا أو من يدّعي (2) فيه فضلنا ؟

باب في حِلم المعزّ صلوات الله عليه :

104 — (قال) وحضرت يوما مجلِسَه فتحدّث مليّا ثمّ قال لبعض الخدم بين يديه : أصلِح الحمّام !

قال : نعم .

فجلس بعد ذلك طويلا ولا أشكّ إلاّ أنّه قد كان أمَر قبل ذلك بإصلاحه . ثمّ دعا بالفرس فركبَه ومشّينا بين يديه إلى الحُجرة التي فيها الحمّام من قصره (3) . فدخل فنزل ليدخلَ الحمّامَ فأصاب بابه مقفلا لم يُصْلَحْ بعدُ ، فسأل عن المفتاح ، فلم يوجَدْ / . فوقف طويلا ما تنكّر حالُه ولا بدا منه غضَب ولا قال في ذلك قولا . ثمّ دعا بالكرسيّ فجلَس ، وجعل يتحدّث حتّى أُتِيَ بالمفتاح . وأُصلِحَ الحمّامُ . وقام فدخل، وما حرّك ذلك منه ساكنا ولا أهاج كامنا . وإنّ الذي زعم له أنّه أصلح من العبيد لقائم بين يدَيْه ، ولقد تداخلني من ذلك غيظ شديدٌ عليه وعلى من يلي إصلاح الحمّام .

فذكرت لذلك حديثا كان حدّثَناه عن بعض آبائه وأظنّه محمّد بن عليّ (صلع) (4) أنّه كان جالسا مع أصحابه حتّى سمع صَيْحَةً في داره، ثمّ أتاه

---

(1) هذا القول معروف مشهور عند شعراء الاسماعيلية ، حتى ان بعضهم يجعل خلق آدم والبشرية ذريعة لخلق الأئمة ، كأن آدم لم يخلق الا لينجب الامام يوما . فيقول ابن هانىء (القصيدة 53 ، الابيات 24–26) متحدثا عن المعز :

« هذا ضمير النشأة الاولى التي بدأ الإلاه ، وغيبها المكنون
« من أجل هذا قدر المقدور في أم الكتاب ، وكون التكوين
« وبـذا تلقـى آدم من ربه عفوا ، وفاء ليونس اليقطين »

ويقول العزيز الخليفة الخامس (صبح الاعشى ج 2 ص 417) :

« أنا ابن رسول الله غير مدافع تنقلت في الأنوار من قبل آدم »

(2) في الأصل : أمن ويدعي .

(3) هذا النص يدل على سعة أبعاد القصر .

(4) محمد الباقر : انظر ص 77 ، تنبيه 2 .

بعض الخدم فأكبّ عليه وأسرّ إليه / سرّا ، فقال : الحمد لله ! لَهُ ما أعطاه وله ما أخذه . انهَهُم عن البكاء وخذوا في جهازه واطلبوا المسكينة وقولوا لها : لا ضيرَ عليك ، وأنتِ حُرّةٌ لوجه الله لمـَا تداخلَكِ من الرَّوْعِ .

ورجع إلى حديثه فتهيّبَ القوم سؤالَه حتّى أتِيَ إليه فقيل له : قد جهّزناه . فقال لهم : قوموا بنا نُصلّ على هذا الصبيّ !

قالوا : ومن هو يا ابنَ رسول الله ؟

قال : ولَدِي فلان سقط من يد جاريةٍ كانت تحمِلُه فمات.

وحدّثنا أيضا عن بعض آبائه أنّ جارية قامت عليه توضّئه ، فسقط الإناءُ من يدها فجرحَه وانكسر ، فخافته فقالت : يا مولاي ، إنّ الله يقول : «وَالكَاظِمِينَ / الغَيْظَ » .

قال : قد كظمناه عنك .

قالت : ويقول : « وَالعَافِينَ عَنِ النَّاسِ » .

قال : قد عفونا عنك يا جارية .

قالت : ويقول : « وَاللَّهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ (1) » .

قال : فأنت حرّة لوجه الله .

وما أحصي ما رأيت المعزّ عليه السلام في مجلسه وتصرّفه في خروجه يُعترَض بما يوجب العقوبة والغضب ، وربّما اعترض عليه بعضُ عبيده في رأيه ، وقطع عليه كلامه واحتجّ عليه من يأمُرُه ويخاطبه ، وراجعه فيما لا ينبغي المراجعة فيه ، ممّا يضيق لذلك صدرُ مَن حضرَهُ وسمعه ، فما رأيته قطّ غضب لشيء من ذلك ولا عاقبَ فيه .

105 — وأكثر ما رأيت منه أنّه قد خرج يوما إلى خارج المنصورية / في بعض ما يخرج له ، فازدحَم الناس على ركابه وأحاطوا به من كلّ جهة يسألونه حوائجهم ويرفعون إليه قصصهم ، وقد أقام لذلك من يتولاّه فأبَوْا إلاّ مواجهتَه به ، وهو في ذلك يُقبِل عليهم ويسمَع منهم ويأمر بقضاء حوائجهم ، إلى أن جاء من ذلك ما لم يُمكنْه

---

(1) آل عمران ، 134 .

معه المشيُ ، ونفر به الفرس تحته ، وداربه . فأمرهم بالانصراف ، وأمر مَن بين يديه من المَشاة بصَرفهم ،فألحوّا عليه ولم ينصرفوا عنه وقصّر المشاة عنهم في دفعهم ، فتناول رمحا من يد بعضهم وقال : ما جزاء أحدِكم إلاّ ضربُه بهذا ! ثمّ نظر (صلع) إلينا وتبسّم في الوقت بعقب / ذلك وقال : أما ترون ما نحن فيه؟ وتحدَّثَ، كأنّه لم يعارَض بشيء .

ولقد نالني ومن رأيته حولي ممّن كان سايره لما رأيناه من ذلك غمّ وغضَبٌ شديد ، فلا والله ما كان منه في ذلك إلاّ ما ذكرتُه ممّا استعملَه طبعُه الكريم يظهر استعماله إيّاه كما نستعمل الغضبَ على الطّفل إذا جهل ليُروّعَ ويُفْزَعَ من أجله .

ولقد تأسّيت به في الحلم عمّن يجهل ويخالف الواجب من دخلتي وعبيدي والإعراض عن زلاّتهم والصفح عن هفواتهم : فلقد بَطِروا لذلك وخال (1) عليّ كثير من أمرهم . ثمّ قرنت / ما كنت أجده من ألم الغيظ والعقوبة بما صرت إليه من راحة الحِلم ولذّة العفو والإغضاء ، فرأيتُ أنّ الذي صرت إليه من ذلك أفضل . وقد كنت كثيرا ما أعاقِبُ فأندَم على العقوبة إذا سكن غضبي ، وأعاتب في ذلك نفسي . ثمّ صلح لي بحمد الله مع الدوام على ذلك كثير من الأمور ممّا لم يكن يصلح بالعنف .

وكذلك رأيت أمورَ المعزّ عليه السلام على ما منحه الله من الحِلم والأناة والصبر يأتي مع ذلك بحسن العواقب وجميل الأمور(2). وكثيرا ما فكّرت في ذلك فذكرتُ له قول بعض أهل الأدبِ وقد رأى بعضُ الناس عبيدا له يفعلون في أمورٍ غيرَ / الواجب فقال له : ألا تُؤَدّبُ عبيدَك هؤلاء وتُصلحُهم ؟ فقال : قد رمت ذاك فرأيتُ أنّي لا أصلحِ شيئا من أحوالهم إلاّ بفساد شيءٍ من حالي ، فرأيتُ أنّ إصلاح حالي أعوَدُ عليّ من صلاح أحوالِهم فتركتُهم لذلك ، يصفو منهم ما صفا ويتكدّر منهم ما تكدّر .

(1) بمعنى : اشتبه واستعصى .

(2) التعبير مختل ، وكأن «أمور» الاولى زائدة .

رَمْزٌ ذكر في مسايرة :

106 — (قال) وسايرت الإمام المعزّ عليه السلام يوما وقد خرج من المنصوريّة إلى ما يليها من المنى (1) فلقيه بعض التجّار المختلفين إلى جهة المشرق، فذكر له كلاما طويلا أجر/ا/ه في ضروب من الأمتعة إلى أن ذكر الجوهر وتمييزه ومعرفته وقيمته / . فقال له المعزّ عليه السلام : وكيف تعرف قيمةَ الجوهر على الحقيقة، وإنّما هو شيء قد استحسنه الملوك، فمتى استُحسِنَ شيء منه بالغَتْ في العطاء بقدر ما استحسن/ت/ه منه وبقدر عُلُوّها وسخاء أنفسها ومقدار بسطها واتّساعها وطباعها ؟ وقد تملّكَ كثيرا من الدنيا مَن لا فرق عنده بين الجوهرة النفيسة والزُّجاجةِ المعمولة وما قاربها من الأشياء المصنوعة، والخَرَزِ المفتعلة . والتجّار إنّما يشترونه وينقلونه من بلد إلى بلد ويبلغون في النفيس منه لما يرجونه من اشتراء / الملوك إيّاه، وهم لا يعلمون كيف يقعُ ذلك منهم، وإن أتَوْا به من يستجيده ويستحسنُه منهم وتُساعدُه القدرةُ ويجتمع فيه الطَّبْعُ والهمّة، أجزلوا لهم في العطاء . وإن أخلّ به شيء من ذلك كان النقصُ بمقدار الإخلال إلى ما دون ذلك ممّن لا قدرَ له عنده، ممّن وصفناه وقدّمنا ذكرَه .

فقال التاجر : هو كما ذكر أميرُ المؤمنين . فلم يُقبِلْ عليه ولا رجَع إليه جوابا ونظر عليه السلام إليَّ وتبسَّم . فقدّرت في نفسي أنّه إنّما ضرَب ذلك مثلا ورَمَزَ به رمزا بالحكمة التي لا تزكو إلاّ عند أهلِها ولا يعرف قيمتَها ومِقْدارَها / إلاّ مَن خصّه الله عزّ وجلّ بها، وبقدر الاختصاص بذلك والعطاء منه والهمّة والإمكان فيه تكون المَعْرِفَةُ بقدرها . وإنّ مَن كان عُطْلاً منها محروما من فضلها تمرّ صفحا عليه، فإنْ سمِعها لم يعلق بشيء منها قلبُه ولا ينتفع بها .

وكان الذي فتق لي هذا المعنى أنّي جلست بين يديه (صلع) قبل ذلك اليوم بيومين، فذكر نحوا من هذا عن بعض الأئمّة من آبائه الطاهرين صلوات الله عليهم، وأنّه خاطب يوما بعض أوليائه بمكنون من الحكمة ممّا أخذ العهدَ في كتمانه، وبحضرته بعضُ العبيد / ممّن لم يؤخَذْ عليه (2) ولا بلغ مبلغا يستحقّ به سماع ذلك

---

(1) ج المنية، وهي المنتزه والبستان الواسع، انظر قاموس دوزي . وقد شاع استعمال الكلمة كمنية المغيرة ومنية الخيل بالقيروان ومنية الخصيب بمصر .

(2) أخذ عليه العهد بالولاية وكتمان علم الباطن .

الكلام . فقال له : يا مولاي ، أترى من بحضرتك ؟ قال : أراه وليت أنّكم أنتم تفهمون ، مع ما تقدّم عندكم من الفضل ، ما قلتُ !

ومثل هذا يشهد له قول الله جلّ ذكره : «وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ؟ أُولَائِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (1)» . فأخبر عزّ وجلّ أنّهم سمعوا كما سمع أولُو العلم فلم يعرفوا ما سمعوه / ولا وعَوْا شيئا منه ، وجعلوا يسألونهم عمّا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله، فهم بمنزلة من لم يسمع شيئا منه، وبحسب ذلك يكون من لم يدرِ قدرَ الجوهر ، لا يعرفه ولا يرغَب فيه ولا يُفرّق بين كثير من الحجارة وبينه .

حديث في مجلس في سوء أحوال بعض الدعاة :

107 — (قال) وجلست بين يديه عليه السلام يوما بعقِب ما وصل إليه الكتابُ بافتتاح سجلماسة (2) وأسر المتغلّب الذي كان عليها محمد بن / الفتح (3) المتسمّي الشاكر لله أمير المؤمنين . فأذن لشيوخ الأولياء من كتامة فدخلوا عليه وسلّموا ، وأمرهم بالجلوس فجلسوا بين يديه ، فحدّثهم مليّا وتحدّثوا لديْه إلى أن جرى ذكر الفتنة وتغلّب مخلد اللعين على إفريقيّة وأخذه مدينة القيروان وما دون المهديّة . فذكروا تخلّف القائم بالله (صلع) عن النهوض في تلك بنفسه وما كان في ذلك العصر من التباغي بين الناس والتدابر ،وما امتُحِنوا به ممّن نصَب للدعوة نفسَه بعد تصريح

---

(1) محمد ، 16–17 .

(2) مدينة تقع آثارها اليوم في جنوب المغرب الأقصى . أسسها مدرار بن عبد الله صاحب الدولة المدرارية سنة 140 هـ . ونزل بها المهدي عند وصوله مختفيا إلى المغرب . ومن سجنها خلصه أبو عبد الله الداعي فسار به إلى رقادة بعد اطاحته بالامارة الأغلبية سنة 296هـ . (انظر : الروض المعطار للحميري ص 305) .

(3) هو محمد بن الفتح بن ميمون من أمراء دولة بني مدرار ، انتزع إمارة سجلماسة من ابن عمه المنتصر وكان طفلا ، وانشغل عنه الفاطميون بثورة أبي العافية وتاهرت ثم بفتنة أبي يزيد بعدهما . فدعا للعباسيين وأخذ بمذاهب أهل السنة ورفض الخارجية وتلقّب بالشاكر لله وضرب السكّة . وكان عادلا .

وكانت هذه الحملة عليه بقيادة جوهر الكاتب في جموع من كتامة وصنهاجة وأوليائهم سنة 347هـ ففر أمامه محمد بن الفتح إلى حصن تاسكرات على أميال من سجلماسة ثم رجع متنكرا فعرف فقبض عليه . وبعث به جوهر وبأمير فاس أحمد بن بكر أسيرين إلى المنصورية . وفي كتاب المجالس والمسايرات حديث كثير عنهما وعن القفصين اللذين ابتكرهما المعز لهما ليعرضهما على الناس (انظر ابن خلدون : العبر 270/6 (ط لبنان) والبيان المغرب 222/1 والمجالس والمسايرات : ص 411 والكامل لابن الأثير ج 6 ص 354 والدشراوي : أسر ابن واسول ، مجلة كراسات تونس 1956 ص 295 .

من القائم بالله صلوات الله عليه بذمّه ومنعه ، وأنّه تأوّل ذلك / الذمّ مدحا والمنع إطلاقا ، فخلاّه وما اقترفه وامتحن العباد به .

فقال المعزّ عليه السلام : ولقد أرسلني من سأل إقامةَ ذلك الداعي ليقيم به رئاسته إلى القائم بالله صلوات الله عليه ، وأنا يومئذ أؤدّي عنه وإليه، بعد أن أمر أن لا يؤخذ الأمر عنه إلا عنّي ولا يؤديَ إليه مثلَه غيري ، وأنا يومئذ حدث السنّ يافع (1) . فسألني ذلك الطالب — وذكره ، وهو من جلّة خدمه — أن أسأله أن يدعَه ومَن عندَه ممّن يخصّه ذلك الداعي ، فبلّغتُ ذلك عنه .

فقال لي : قل له : دع هذا عنك ، فتركُه خيرٌ لك، وأقبِلْ / على ما يَعنيك ، ففي إقبالك عليه سعادتُك .

فأبلغتُه ذلك، فقبّل الأرضَ ومرّغ خدّيْه وقال لي : يا مولاي ، افعل مثل هذا عنّي بين يدَيْ مولانا واسألْه لي . فلم أجدْ بدّا من تأدية ذلك عنه، ففعلتُ .

فقال : قل له : ويحَك ! دع هذا إلى أن يكون ما هو خيرٌ لك وأفضل . فأخبرتُه ، فعاد إلى مثل سؤاله ، وألحّ وردّني بسؤاله .

فقال لي : قل له : هذا الرجل قد انصرف إلى منزله ، وإذا عاد من غد نظرتُ في أمرك . وكان قد أمر بانصراف الناس فانصرفوا عن الباب . فأخبرته فقال : / يامولاي ، هذا هو ، وقد حبستُه . وأراني إيّاه .

فعدت إليه فأخبرتُه ، فقال : ورأيتَه ؟

قلت : نعم .

قال : امض إليهما (2) وقُل لهما عنّي (كامل):

يا أمّةَ السّوء التي قد غيَّرَتْ   واستبدلتْ بضيائها ظَلْماءَها ! (3)

فإذا قلتَ ذلك لهما ووقفا عليه ، فقل لهما : اصنعا ما شئتُما لا بورك لكُما فيه !

فلمّا ولّيت قال : أحفِظتَ البيت ؟

(1) ولد المعز سنة 319 ، واندلعت فتنة أبي يزيد سنة 332 ، فسنه إذن بين 13 و15 سنة .

(2) في الأصل : عليهما .

(3) لم نعرف قائل هذا البيت .

قلت : نعم .

قال : فأعده عليّ ، فأعدته ، فقال : امض فقل لهما ذلك .

ففعلت وأنا أظنّ أنّي إذا قلت لهما ذلك خرّا صعقيْن له ، فلمّا قلته قبّلا يديّ ، وعانق ذلك الداعي السوء صاحبه وقال له : قد وجبتْ ! يوهمه أنّ في ذلك رمزا وتحته باطنا ومضى معه / فدعاه وأصحابه ، وكان من أمره ما يطول ذكره .

(قال) : ثمّ دخل إليه البغداديّ (1) وقد استفاض ذلك ، فذكره ، ودعاني وقال : هذا كان رسولي إليهما . ثمّ قال لي : أعد عليّ ما أرسلتك به ، فأعدته فبقي البغدادي باهتا لذلك متعجّبا له .

ثمّ قال المعزّ عليه السلام لمن حضر بين يديه : فأين أنتم اليوم ممّا كنتم فيه بالأمس ، وبأيّ شيء تبلغون شكر نعمة الله عليكم فيما عوّضكم إيّاه وأيّدكم به ؟ إنّا عاملناكم شفاها بلا وسائط بيننا وبينكم فشربتم عذبا زلالا بعد ملح آجن .

فقبّلوا الأرض بين يديه فتشكّروا له وذكروا ما كانوا امتحنوا به من أمر ذلك الداعي وما كان في ذلك / العصر فيما بين الناس من التباغي ، وأنّه من كان قد أتاه فدعاه أسقط من نفسه واطلّع على أعوار ما عنده ، ومن تخلّف عنه خاف البغي عليه والهلاك من أجله ، وذكروا من ذلك كثيرا .

فقال المعزّ عليه السلام : أعجبْ بذلك لمّا لم يكشفه وليّ الأمر وأعجبْ به إذ لم يفعلْ ، كيف انتهى الأمر إلى ما انتهى إليه . واللّه لو كان ما قد صرنا إليه من فضل الله ونعمته وما كشفه الله من طخياء تلك الظلمة ، وأزاله من شرّ تلك الفتنة وأذهبه من شدّة تلك المحنة ، كان في عمر بعد عمر وقرن بعد قرن وعصر بعد عصر ، لكان عجيبا / ، فكيف بزوال ذلك كلّه بالتعقيب بخلافه وضدّه من وجوه الخيرات كلّها وعموم النّعمة وسبوغها في هذه المدّة القريبة والأيّام القليلة ؟ ثمّ شكر الله على ذلك وحمده بما هو أهله .

ثمّ قال : وبعد أن كشف الله تلك المحنة وأخمد نار تلك الفتنة ، وأمكن من اللّعين مخلد وقطع دابر أنصاره ، وقرّ المنصور بالله صلوات الله عليه في قراره ، ألم تكن أطرافنا تتخطّفُ مرّة بفلان ومرّةً بفلان حتّى لقد خيف من أن يعود

(1) لم يسبق ذكر لهذا البغدادي . والقصة كلها لا تخلو من غموض واضطراب .

أمر الفتنة بِكْرًا والحربُ جَذَعَة، إلى أن دعا الأمرُ المنصورَ بالله صلوات الله عليه إلى الخروج بنفسه على حال عِلّةٍ / مؤلمة وأوجاعٍ شديدة إلى أن نجم ابن ذلك الداعي المُتَسَوِّر (1) على الدعوة ، وكادت أن تعود به الفتنة . ثمّ أمكن الله منه وعجّل به إلى سعيره وكان قد دنا من الحضرة (2) هو وغيره ممّن انتجبته الفتنة فبدّد الله شملَه وفرّق جمعَه . ونحن اليوم بحمد الله ونعمته نطوي الأرض من أطرافها ونهدِم أصنامها ،والرّعبُ الذي نصر الله به جدّنا محمدا صلّى الله عليه وآله يسير بين أيدينا وأيدي أوليائنا .

لقد أخبرني مخبر قدِمَ من أرض الأندلس أنّ اللعين الأمويّ لمّا أحسّ بالعساكر التي أولجناها الغرب ، اشتدّ خوفه واستولى / عليه ذعره ، فأرسل أوثق قوّاده (3) عنده بعسكر أوعب فيه إلى ناحية المريّة ، فضرب على ساحل البحر مضاربه وأناخ به عسكره ،إلى أن وافى مركب به بعض أهل يعلى (4) اللعين يخبرون بقتله وقتل أهل بيته واستيلاء العساكر في ساعة واحدة على مدينته وقياطينه (5) . وجاء في مركب مخبر آخر يخبر عَنْ هرب صاحب سجلماسة (6)،ولم يكن علِم بأسره ، فما هو إلاّ أن بعث ذلك في العسكر الفَزَعَ فنفروا نفرة واحدة ، فما اجتمع منهم اثنان وما بقيَ بالمُناخ إلاّ مضربُ القائد ، وهم من وراء البحر . فالحمد لله الذي ألقى لنا في قلوب / أعدائنا ذُعرَهُ .

ثمّ ما وهب الله سبحانه في هذا اللعين صاحبِ سجلماسة المتسمّي بغير اسمه الجالس غيرَ مجلسِه من أنّه ، حين خرجت إليه ودنَتْ منه عساكرنا خرج منها هاربا على وجهه بعد أن كان يَعِدُ من معه الثباتَ والمحاربةَ، ويُمنّيهم

(1) لا نزال نجهل اسم هذا الداعي المنشق المتطاول على الأئمة . ويبدو أن ابنه سلك مسلكه . والنعمان هنا لا يفيدنا بتدقيق .

(2) وصلت هذه الفتنة إلى أبواب المنصورية ؟

(3) هذا القائد لعله أحمد بن يعلى صاحب شرطة الناصر . وخبر خروجه في البيان لابن عذاري (ج 2 ص 221) تحت سنة 347 في المحرم منها . أما قتل يعلى بن محمد اليفرني فيقول ابن عذاري انه كان في جمادى (ص 222) .

(4) يعلى بن محمد اليفرني ، كان واليا من قبل المعز على ايفكان وتاهرت ثم تحالف مع الأمويين ، فقتله جوهر في حملته المغربية الكبرى سنة 958/347 (انظر : ابن خلدون ، طبعة بيروت ، ج 4 ص 96 وابن عذاري : البيان ج 2 ص 223) .

(5) مدينته : ايفكان وتقع « خلف تاهرت بثلاث مراحل » (ابن خلدون). والقياطين ج قيطون : الخيام التي يخيم بها العسكر (دوزي) .

(6) ابن واسول : انظر ص 214 .

الغلبة . فلو قد فتحها الله عزّ وجلّ علينا عَنوَةً وهربَ ، لكان فتحًا جليلا ومَنًّا عظيما . لكن أبى الله بفضله لنا إلاّ بلوغَ الأمل الذي أمّلْناهُ وتمام الرجاء الذي رجوناه . ولقد قال لي بعض مَنْ قال ، قبل ذلك : إنّا لنخافُ عليه أن يهرُب . فقلت : كلاّ ! إنّ الله سيمكّنُني منه لأنّي لم أتّكل فيه على حَول ولا قُوّة / ولم أرجُ في الظفَر به والتمكينِ منه إلاّ هو وحدَه لا شريكَ له . فحقّق الله ذلك الأملَ وتمّم ذلك الرجاءَ وردّ الخائبَ من المكان الذي هرب إليه وحدَه حتّى أمكنَ منه بلا عَهد ولا ذِمّةٍ . أفهذا عطاءٌ يقادر قدره أو يبلغ شكره ؟

ثمّ أكثر حمدَ الله وشكرَه، ثمّ قال : وممّا وضع الله فيه لأوليائنا الذين حوتْهم عساكرُنا القاصدةُ نحوه لمّا عليم عزّ وجلّ حُسْنَ نيّاتهم واطّلعَ على صفاء طويّاتهم . وما هم لنا عليه من السّمع والطاعة، وبذل المجهود فيما يقع منّا بالموافقة أن حمل عنهم المحاربةَ ومنحهم الظفر بلا مُعاندةٍ / وجعل أيديَهم في الظفر بالخائب يدا واحدة ولم يخصُصْ بالظفر به بعضَهم دون بعض فتشمَخَ بذلك نفس الظافر ويقتصرَ له الخائبُ . لكنّ الله عزّ وجلّ ساوى فيه بينهم، وجعل الأجرَ والفخر والذّكر بذلك لهم كلّهم إسباغًا للنّعمة عليهم وعموما بالموهبة لهم فهنّأهم الله وزادهم وبارك لهم (1) .

قلت : نعم يا مولاي . فهنّأهم الله ، وليتَهم سمِعوا ما أعطاهم الله من رضاك ووهبَ لهم من قَبولك سعيَهم وما أوجبتَه بفضلك لهم ! على أنّك لو شئتَ أن تقول إنّ ذلك ممّا أفاء اللهُ عزّ وجلّ عليك وصيّره هنيئا لك بلا إيجافٍ منهم بخيلٍ ولا ركاب / عليه . ولا صُنْعٍ لأحدٍ منهم فيه ، لقلت ذلك فصدقت وبرَرْتَ .

قال : الفضل والصّنعُ والموهبة والظفَر من الله الكريم ، ومن فضله وصنعته وموهبة ما خصّنا به من طاعة أوليائنا، وبذلهم مجهودَهم فيما أرضانا وعاد بهلاك عدوّنا واستفراغِهم في ذلك طاقتَهم واستهلاكِهم فيه أنفسَهم . فهم بعض صنع الله لنا الذي أنالنا به آمالنا وبلّغنا فيه سؤالنا .

قلت : هنيئا لهم ونُعْمَى عينٍ !

(1) شارك في حمله جوهر جعفر بن علي ابن الاندلسية والي المسيلة ، وزيري بن مناد الصنهاجي صاحب أشير (ابن خلدون ج 4 ص 97) .

قال : ولمَ لا يكون كذلك ، وهم خاصّتُنا دون الخاصّة وأحبُّ إلينا من الأهل والقرابة ؟ – يعني كتامة – والله لو لم يكن منهم إلاّ ما كان في هذا البعث / من أنّا تقدّمنا إليهم في أمر ، فما خالفوه ، فحسبك من عسكر قطع ما بيننا وبين سجلماسة لم يَعفُ أثرا لذي طاعة ولا تناول مثقالَ حبّةٍ ، وقد كان أكثرُهم يُظَنّ به خلافُ ذلك بما هم عليه من الحداثة ، وبما كانت فيهم من الحدّة . فهذا فلان وفلان – وعدّد رجالا وذكر ما كانوا عليه – قد صاروا اليوم حكماءَ قومِهم وشيوخَ عشائرهم وموضعَ رِفْدِهم ومفزَعهم ، والله ليَسْبُقُنّ مَن تقدّمَهم وليسبقُنّ مَن تأخّرَ منهم ! فبارك الله فيهم وأحسن جزاءهم ! وأنتم والله عُدّتنا وذخيرتُنا لما نحتاج إليه ، وكنزُنا الذي نعوّل عليه ، إنْ استغنينا / عنكم كفيتُمُونا مؤنةَ أنفسكم ، وإنْ احتَجْنا إليكم أصبناكم وقمنا بما نرى أنّه يُصلِحُكم وغيرَكم من عبيدنا وحشمِنا ، لا يكفيهم شيء عنّا وعن طلبِ ما عندنا ظعنوا أ/وْ/ أقامُوا وعلى أيّ الحالات كانوا .

فقبّل الأرضَ من حضر من الجماعة بين يديه وقالوا : متى نبلغُ شكرَ هذه النعمة من مولانا عليه السلام ؟ والله ما سمِعْنَا مثلَ هذا من أحدٍ من موالينا قبلَه ولا بلغَنا أنّهم قالُوه ولا ندري بما استَحْقَقْنَا هذا عندَه إلاّ بفضله .

فقال لهم : واللّه لو وجدْنا منكم من القَبول ما نُحِبّه لرأيتُم منّا فوقَ ما تُحبّونه وتأمُلونه .

فقال بعضهم : لنا سؤال / نسألُه مولانا .

قال : سَلُـوا !

قا[لوا] : لا يَكِلُنا مولانا إلى أنفُسِنا ولا يدعُنَا واختيارَنا ، ولكن يتطوّل علينا بموادّ فضله وتَنْبِيهِه ويُعطينا ما هو أهلُه ، لا ما يرانا نستحقُّه عندَه ، فوالله لا نستحقُّ عند أنفسِنَا النظر إليه فضلاً عن نَيل معروفٍ منه .

فقال عليه السلام : وكيف لي بِلَقِنٍ لمَا أقول فيَعِيهِ وذي (1) معرفةٍ بالفائدة يحفَظ ما أعطِيه ؟

(1) في الأصل : ذوي .

فقال الرجل : نحن لذلك يا أمير المؤمنين حافظون لقِنُون إن شاء الله تعالى .

قـال : فهل لقِنْتَ وحفِظت شيئا عن الآبـاء ؟

قـال : نعـــم .

قـال : فهـات ما حفظت .

قـال : سمعت المهديّ بالله عليه السلام نصّ على جدّك القائم بأمر الله (ص) ، وسمعتُ جدّك القائمَ بأمر الله / عليه السلام نصّ على أبيك المنصور بالله صلوات الله عليه (1) ، وسمعت المنصورَ بالله عليه السلام نصّ عليك : فهذا الأصل الذي لا يثبُتُ الفرعُ إلاّ عليه .

فقال : يا سبحان الله ، إنّ هذا أمرٌ ادّعاه الطُّلَقَاءُ واللُّعَنَاءُ (2) بالنّصّ من آبائهم عليهم السلام (3). فهل لك من حجّة على من والاهُم تدحَضُ بها حجّته (4) في تولّيه إذا أنت احتجَجْتَ بها عليه ؟ فسكت الرجل .

فقال له : اعمـل على أنّـك قـد صرتَ إلى من قدر منهم عليك فسألك عن انتحالك إمامتَنا : بأيّ وجه عرفتَ أنّا أئمّةٌ ، وما حجّتُك على من أنكرَها وادّعى غيرَها . أكنت تَنْقَطِعُ / هكذا، وأنتَ منّا بالمحلّ الذي أنتَ به ؟ أفليس ذلك ممّا يزيدُ عدوّنا عُنودا، ومن تولاّه به تمسُّكًا، بأن يقولَ : هذا من وجوه هؤلاء، ولو كانت لهم حجّة لكانت عنده ، كما قال اللّعين المتسمّي المكتفي (5) لمّا أتي باللعين القرمطيّ وقد قام عليه يدّعي ولاية آل الرسول استمالةً للناس بها، وهو من الفسوق واللعنة بالموضع الذي نزّه الله أهلَ بيتِ نبيّه عنه ، وعجّلَ النّقمة منه (6) فأسِر وأتِيَ به المتسمّي بالمكتفي ، وهو في سوء الحال مثله، أسيرا ، فأدخل إليه وأمر من

(1) انظر تعليقنا ص 137 في شأن كتمان القائم تعيين المنصور مدة طويلة . وسيروي النعمان عن المنصور أن التعيين لم يعلم به أحد سوى القائم والمنصور ص 448 .

(2) أي : العباسيون والأمويون .

(3) هذه العبارة غريبة في شأن الخصوم اذ لا نعلم من الفاطميين تقديرا للعباس ولا لابي سفيان ولعله سهو من الناسخ .

(4) في الأصل : تدحض لها حجة ...

(5) المكتفي هو الخليفة العباسي السابع عشر ، وقد تغلب على الثورة القرمطية بالشام ، وتوفي سنة 908/295 . (انظر خبره مع القرامطة في الكامل لابن الاثير 6 ص 116 تحت سنة 294) .

(6) في الأصل : بالموضع منه .

ناظرَه بين يديه . فقال له : ما سبب خروجك على أمير المؤمنين والدُّعاء إلى غيره ؟

قال : لأنّي رأيتُ أن عليّا / أحقّ من العباس .

قال : بماذا ؟

قال : لأنّه وارث رسول الله (صلع) .

قال له : كذبت ! العمُّ أولى من ابن العم ! فلم يُحِرْ جوابا ، فأشهد عليه بانقطاعه وأشهد بأنّه أقرَّ بأنّه كان مُبطِلا في دعواه .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : والمحتجُّ عليه (1) كان أقربَ إلى الانقطاع منه لو كان يدري وجهَ الحجّة ويقوم بها . فلمثل هذا من احتجاج المُبطلين ودعوى الظّالمين أحبُّ أن تكونَ سيوفُ الحقّ في ألسنتِكُم وأيديكم ، وسيفُ اللّسان أقطعُ ، لأنَّ سيفَ اليد يملِكه البَرّ والفاجرُ بالغلبة ، وسيف اللسان لا يملكه إلاّ أهلُ الحقّ ، فذلك مشترَك فيه ، وهذا متوحّدٌ به / لا يكون إلاّ لأهله ولا يملكُه غيرُ أصحابه إن ناصبُوا به ظفِروا وإن جالَدُوا به قتلوا . أريد منكم أن يكونَ بيد كلّ واحد منكم قبَس يستضيءُ به ويُستضاء منه كنار موسى ولا تجتَمِعُوا على قبس واحد .

فقال بعض القوم : لذلك ما قال بعض العامّة — وقد نظر إلى بعض أصحابه ، وقد قطعه بعض من ناظره بحجّة — لا تناظر (2) هذا فإنّه ذو حجّة .

فقال : وما أراد بهذا ؟

فقال : لا أدري .

فقلت : لعلّه أراد ما يقولون : كلّ مفتونٍ ملقَّنٌ حجّةً .

قال : ويقولون ذلك ؟

قلت : نعم ، كذلك يقولون ، كأن لم يسمعوا قول الله عزّ وجلّ : « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إبرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ (3) » ، فإن كان / كلُّ من لقِن حجة مفتونا فقد فُتن إبراهيم على قولهم .

---

(1) أي : العباسي .

(2) في الأصل : لا تناظره .

(3) الأنعام ، 83 .

فقال صلوات الله عليه : ما أعجبَ هذا من قولهم ! لئن كان ذلك فالحقُّ فيما لا حجّةَ فيه .

ثمّ عطف على القوم فقال : واللّهِ إنّي لأشهى في تعليمكم وتقويمكم منّي في كلّ شيء أشتهيه لأنّي أحبّ أن تكونوا أعلمَ الناس وأورعَ الناس وأحلمَ الناس، فلا تدابروا ولا تحاسَدوا ولا تقاطَعوا ، وأن تكونوا كما سمّاكم الله عزّ وجلّ، إخوانا،وعلى البِرّ والتّقوى أعوَانًا،وأن تكونُوا أبرارا أطهارا ، ما على أحدِكم إن قارفَ ذَنبًا أو أحدث إحداثًا / أن يُطلعنا عليه ويسألنَا الاستغفارَ له ، كما قال جلّ ذكره : « وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رحيمًا (1) » . اجعلُونَا بينَكم وبين الله (2) واحتَجّوا بما نأمرُكم به وننهاكُم عنه لديْه ، فنحنُ والله أفضلُ من جعله العبادُ بينهم وبين ربّهم . خذوا عنّا ما نأمرُكم به وامتثِلُوه ، وعلينا تباعَة ما نأمرُكم به . احفَظوا سرّنا /و/اتّبعوا أمرَنا وانصَحُوا لنا وأخلِصُوا نِيّاتِكُم وأحْسِنوا طويّاتِكم وقولوا الحقّ ولو على أنفسكم ! وعليكم بالورع والاجتهاد والاقتصاد والعفّة والتسليم لأمرنا والردّ كما أمركم الله إلينا،فإنّه يقول جلّ / ثناؤه : « وَلَوْ رَدُّوه إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ (3) » .

---

(1) النســـاء ، 64 .

(2) مسألة استغفار الأئمة من المسائل التي اتخذها الاسماعيليون برهانا على أن الامامة واجبة، وذلك قياسا على ما كان يقوم به الرسول من استغفاره لمن يستغفر الله . واعتمدوا على ان عدل الله يقتضي أن يكون بعد النبـــي من يقوم بهذه المهمة ، وان الناس بعد انتقال الرسول يجدون من يأوون إليه عند وقوعهم في الخطيئة كما التجأ الناس إلى الرسول في حياته .

وفي هذه المسألة يقول الكرماني : « البرهان الخامس : لما كان الله – تع – عادلا لا يجور ولا يظلم ، وكان تعالى قد خص الامة التي كانت في أيام النبي – ص – بالفضيلة العظيمة بإيجاده كون الرسول فيما بين ظهرانيهم أمانا لهم من العذاب كما أخبر تعالى بقوله : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم » (الأنفال، 33)ووسيلة لهم يستغفر ذنوبهم عند زلاتهم، كما أخبر تعالى بقوله في تنزيله : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما»(النساء، 64). وبقوله حكاية عن المنافقين حين كانوا يدعون ليستغفر لهم الرسول –ص– : « وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكـــم رسول الله لـووا رؤوسهـم ورأيتهـم يصدون وهـم مستكبـرون » (المنافقـون ، 5) ، ولم يكن اولئك الامة بهذه الفضيلة من كون الرسول بين ظهـرانيهم فاصلا احكامهـم معلمـا لهم معالم دينهم وفرائضهم ، باعثا لهم على طلب الآخرة والجهاد في سبيل الله ، مستغفرا لهم عن ذنوبهم ، ولا يوجد مثل فيما بينهم أولى من غيرهم مع كون الرسول رسولا إلى الكافة ، ووسيلة للجماعة ، وجب من حيث أن الله ليس بظلام للعبيد ان يوجد في الأمة بعد نبيها من يقوم مقامه ويسد مسده في كونه أمانا لها ووسيلة يستغفر الله لها ، ويحفظ نظامها ... » الكرماني ، المصابيح في اثبات الامامة ص 85–87 .

(3) النســـاه ، 83 .

فقبّلوا الأرض بين يديه وقالوا : يتفضّل مولانا برحمته ويمنّ علينا بفضله .

فقال : دمتم على ما رغبتم من طلب (1) واجتهاد ، فأنتم على خير يفيد الواحد منكم الشيءَ بعد الشيء فيلقنُه ويحفظه ويعملُ به فينفعهُ الله بعلمه ، إنّ الله عزّ وجل أقدرُ القادرين وأحكمُ الحاكمين،لم يُعطِ خلقَه ما أعطاهم من نِعَمِه دَفعةً واحدة ولا أكمل خَلْقَهُم بمرّة ، لكنّه خلق الإنسانَ من تُراب ، ثمّ من نطفة ثمّ صيّره علقةً ثمّ مُضغَةً ثمّ عَظمًا / ثمّ كسا العظْمَ ثمّ نفخ فيه الروحَ ثم أخرجه طفلاً فغُذّيَ باللّبن وقتًا ثمّ بلطيف الغِذاء ، ثم كذلك بشيء بعد شيء إلى أن أكمَلَ خلقَه ، وقد كان قادرا على أن يُعطيَه دفعة واحدة ، ولكن فعل ذلك بحكمة وقدرة .

فارغبوا في حياة أنفسكم إذا رغب الناس في حياة أجسادِهِم ،فإنّ حياةَ الأنفُس هي الحياة الدائمة، والصفْقةُ في خلاصِها هي الصفقةُ الرابحة ، وقد فتح الله لكم ما أغلَقَهُ عن غيرِكُم ، وتهيّأ لكم من الزمان والإمْكَان ما لم يكن تَهَيَّأ لمَنْ قَبْلَكُم ، فبادِرُوا إلى ما فيه سَعَادَتُكُم ولا تتخلّفُوا فتكونوا وَبالاً على أنفسكم وعلى من يأتي بعدَكُم ،واطلُبُوا النّجاةَ طلبَ من عرف / قدر الحياة واحذروا الفَوْتَ حذَرَ من علِم مصيبةَ الموت . اجتهدوا وجِدّوا . واعتزِمُوا واستعِدّوا ، فكونوا كقوم صيح بهم فهبّوا وأوقِظُوا فاستَيْقَظُوا !

ومرّ مستحضرا في مثل هذا من الموعظة بكلام بليغ لم أحك منه كما قدّمتُ ولا كلّ الذي ذكرتُ إلاّ معناه بعد بذل المجهود في إصابة اللفظ بعَيْنِه ، وأرجو أنّني أصبت منه كثيرا إن شاء الله تعالى . وبعد أن (2) لم أتعمّد نقصا ولا زيادة بحمد الله .

فلمّا سمعت ما غمرني من الفضل وبهظني من الحكمة رجوتُ من أصحابنا رَغبة يكون بها درك الأمنية . فحرّكتُ مَن عن يميني وعن شمالي منهم / كذلك ، فكلاهما قالوا(3) : نقول ذلك في وقتِ القيام،وأمير المؤمنين صلوات الله عليه مجدّ في الموعظة، إلى أن وقف خادم فقال : قد قرُب وقت الصلاة يا أميرَ المؤمنين .

(1) في الأصل : وطلب .
(2) هكذا في الأصل : و التعبير محتل .
(3) هكذا في الأصل : ولعله يعني الجماعة في الفريقين .

فقال : وما ذاك ؟ إن حضر وقتُها صلّيتُ بإخواننا ، وما عسى أن نقوم عنهم إليه إلاّ [و](1) ما نحن فيه أفضل منه . والله ما لذّتي إلاّ فيما أنا فيه ، ومن لي أن أكونَ على ذلك أيّامَ حياتي لو قد وجدتُ من يأخذ عنّي ويفهمُ منّي وينتفع بما سمع ، ويعي ما أقول ! اللهمّ أعطِفْ قلوبَ أهل دينك على ما يُرضيك ويزدلفُ لديك ! أو نحو هذا من الدعاء .

ثمّ دعا / عليه السلام بمال أتاه ممّا ضُرِبَ بمدينة سجلماسة باسمه ففرّقه على من حضر وقال : تبرّكوا به ! فهذا من أوّلِ ما ضُرب لنا بالموضع الذي أفتحهُ اللّهُ علينا . فكثر الجذلُ والسرورُ بالمال ، وسأل بعضُهم منه لمن غاب فأعطى من سأل ، ثمّ نهض عليه السلام . ولم يذكر أحدٌ ممّن حرّكته شيئا علمَه ولعلّهم نسُوه ، وقمت كذي الثقل الثقيلِ من كثير ما سمعتُ من الحكمة من وليّ الله والفضل ، وتَخَوّفْتُ إن أنا انصرفتُ إلى مجلس الحكم أن أنساه أو أخلّ (ب)بأكثره لشغب الخصوم وكثرةِ الكلام وطول المجلس . فاستأذنتُ / أميرَ المؤمنين عليه السلام في التخلّف عن مجلس القضاء يوميَ ذلك إلى أن أثبتَه .

فقال : ومن يخلفُك فيه ؟

فقلت : لا أحد . إلاّ أنّي أتحمّلُ من غد ما فات منه اليوم .

فقال : افعَلْ إذا شئت .

وانصرفت وأنا أستَبْعِدُ المنزل وأتذكّرُ ما جرى في المجلس . فما هو إلاّ أن وصلتُ إلى منزلي وعلِمَ من كان ينتظر في المجلس أنّي لا أجلسُ حتّى انكفَؤوا (2) عليّ ، فما فرغت منهم وممّا عرض لي من الشغل إلى أن أذّنَ المؤذّنُ لصلاة المغرب (3) فصلّيت المغرب والعشاء الآخرةَ . وجلست أتذكّر المجلسَ وأوقّع ما حفِظتُ منه شيئا بعد شيء حتّى أتيتُ / على ما حفظته من ذلك ، فأثبتّه في هذا المجلس وأرجو أن قد بلّغتُ منه جماع ما كان فيه وأتيتُ على جُملةٍ من لفظه وجمعتُ معانيَه إن شاء الله تعالى .

---

(1) الجملة ملتوية في الاصل : الا إلى ما نحن ...

(2) انكفؤوا : مالوا واجتمعوا .

(3) هذه المجالس تدور إذن بين الظهر والعصر . وانظر في خصوصها مقدمتنا ص 12 و ص 435 من الكتاب.

وقد ذكرت في ابتداء هذا الكتاب (1) قول بعض الصحابة لبعض من سأله أن يحدّثه بحديثٍ سمعه من لفظ رسول الله (صلع) لا يغادر منه شيئا ولا يُحيلُه عن معناه ولا يزيد فيه ولا ينقص منه . فقال : لقد سألتني شططا ! حسبي وغيري من الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا نحن جئنا بالمعنى !

وكذلك إن شاء الله أقول فيما أحكيه / عن أمير المؤمنين عليه السلام وهو الذي لا نجد غيره ولا يستطاع سواه . و/لو/ أنّ محدّثا حدّث بحديث فقيل له : أعدْه علينا بلا زيادة ولا نقصان . لقلّ من كان يقدر على ذلك .

والله يغفرلنا من الزلل ما لم نَتَعَمَّدْهُ . ومن الخطإ ما لم نقصده إن شاء الله ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم (2).

---

(1) انظر ص 48 .

(2) لم ينقل الينا النعمان جواب المعز للكندمي الذي عجز عن الاحتجاج ، ولا نصحيحه لحساب القرمطي الذي أفحمه مناظره العباسي ، ولا ندري هل السهو من المعز أم من النعمان .

الجزء العاشر

بسم الله الرحمان الرحيم

108 ـــ قال القاضي النّعمان بن محمد : قد ذكرتُ قبل هذا ما سمعتُه / من المعزّ عليه السلام في ذكر الجوهر ومن يعرف مقداره ويرغب فيه.ومن يجهله ولا يدريه . وتنزيلي ذلك منه رمزًا عن الحكمة . وتمثيلا لها بالجوهر (1) . ثمّ إنّي بعد ذلك ذكرتُ له في مجلس جلست فيه بين يديه عليه السلام تنزيلي ذلك وتمثيلي إيّاه فاستصوبَه عليه السلام وارتضاه وقال لي : أزيدك يا نعمان في ذلك وأفتح لك فيه . فقلت : يا مولاي ، إنّي إلى ذلك لمحتاجٌ وفيه راغبٌ .

فقال عليه السلام لي : إنّ مثَل الجوهرة النفسية كمثَل النفس الشريفة وبقدر تفاوت ما بين الجوهر / في النفاسة والخطر كذلك قدر تفاوت ما بين الأنفس في الجلالة والقدر : فمن ذلك الرفيع وما هو دونَه ، والمتوسّطُ وما يقاربُه ، والدون وما يشاكلُه فيما لا يُحْصَى تفاوتُه بين الجوهر . وكذلك النفس .

ومن الجواهر الصَّلبُ الذي لا يؤثِّر فيه شيء من الأشياء . ولا يقبل الفسادَ ولا تُحيلُه الأعْرَاض . ومثل ذلك الأنفُسُ العالية التي لا يؤثّر فيها شيء من الأشياء، ولا يدخلُها فسادٌ ولا يغيّرها عرَضٌ من الأعراض ؛ وهي من الإخلاص والصفاءِ بمنزلة إخلاص الجوهرة الشريفة وصفائها .

---

(1) انظر فيما سبق ص 213 .

ومن الجوهر ما هو دونَ ذلك يؤثِّرُ فيه / بعضَ التأثير اليسيرُ ويقبَل بعضَ الفساد ويُحيله بعضُ الأعراض . وكذلك مثله في الأنفسِ على هذا التمثيل .

والجواهـر . منهـا (1) الرَّخـوُ الـرطيب ممّـا لا يـدرك أيـضا مقاديره (2) [لـ]تفاوته في الصّلابة والرّطوبة وقَبولِ الفساد والامتناعِ منه . /و/بحسب ذلك الأنفس على ما مثّلتُه لك من التفاوت في حالاتها وطبائعها .

(قال) ومن الجوهر ما يكون ملبسا بحجارة من غير جِنسه فتَتَنْكَسِرُ (3) عنه ويُحَكُّ عنها فيخرج من داخلها فتكون عليه كالغِلاف . ومنه ما يكون مكنُونًا في أصداف قد أطبِقت عليه . ومنه ما يكون في / معادنه يُستخرَج من داخلها وذلك كلّه مثل اكتناب (4) النفس في الجسم . وبقدر تفاوت ما بين الجوهر وما يكنُّه في الفضل . كذلك تفاوتُ ما بين الجسم والنفس في الشرَف والقدْر .

ومن حجارة الجوهر ما يكون صفاؤُها ظاهرًا بيّنًا فيها، إلاّ أنّها تكونُ على الجلاء والصّقل أصفى وأظهرَ رونقًا. كما تكون النفسُ الشريفةُ متهيّئَةً لقَبـول الحكمة . فإذا علـّمتَها (5) لقِنَتْ وقا/بـ/لت . ومنها مَا لا يكاد يُرى بصفاء . فـإذا حُكَّ وجُلِّـي ظهر صفاؤه ورونقُه . وذلك مثل النفس القابلة للتعليم والتلقين .

ومنه ما إذا صُقِل وحُكّ ظهر فيه بعضُ الرونق / ولم يكن له صفاء يُشْتَفّ له ويظهَرُ منه ما تداخلَه . وذلك مثل النفس القليلة الضبطِ للتعليم والقَبول للحكمة من بين الأنفس . ففي هذا أيضا من التفاوت والدرجات ما لا يُدرك حظُّه (6) .

ومن الحجـارة مـا لا يظهـر لـه رونـق ولا جـوهـر ولا صفـاء فـإذا حُكّ وصُنع بـه مـا شـاء أن يَصنَعَ بـه الصانـعُ لا يتبيّـن فيـه صفـاء ، وذلك كالإنسان الذي لا يفهَم ولا يعلّم ولا يلقّن ، فهو كمن لا نفسَ له ولا روح فيه، كذلك (7)

(1) في الأصل : ومن الجوهر منها الرخو الخ ...
(2) في الأصل : مقاديـرها .
(3) في الأصل : ستكسـر .
(4) كنّ الشيء في جرابه : أودعه وأغمـده .
(5) في الأصل : عملتهـا .
(6) في الأصل : حفظه .
(7) في الأصل : كما ذلك .

الحجر لا جوهريَّةَ له . يبيّن ذلك قول الله : « إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ (1) » . فمن لا يَذَّكَّرُ كمن لاقلبَ له / . وقوله : « وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ (2) » . فمن لا ينظُرُ في الحكمة كمن لا بَصرَ له ، لأنَّ ما جُعلَ لإقامة شيءٍ مـّا فلم يقُمْ به كان كالعدم وَكلاَ (3) شيء .

(قال) ومثل الجوهرة تكون عند من لا رغبة له في كسبها كالتاجر والغوّاص الذي همّتُه من ذلك ثمنُ ما يحملُه ويستخرجُه من الجوهر ، كالحكمةِ تكون عند غيرِ أهلها ، كما قال جدّنا عليّ بن أبي طالب (صلع) : إنّ الكلمة من الحكمة لتكون ربّما وقعتْ إلى المنافقِ فلا يزال يتحدّثُ بها ولا ينتفع بذلك حتّى تقعَ في سمع المؤمنِ فيأخذُها عنه ، فإذا صارت إليه أنسيَها المنافقُ واستُلبَتْ / منه .

(قال) فكذلك الجوهر/ةُ/ تكون عند مَن ذكرناه ، فلا يزال يعرِضها حتّى يراها من يرغبُ فيها ويعرف قدرَها فيشتريها منه فتصير إليه فتزول عمّن كانت في يديه .

فذكر/تُ/ في قوله هذا قولا قاله المنصور عليه السلام يوما ، وقد وقفتُ بين يديه ، فذكر قديمَ خدمتي له وانقطاعي إليه ، وعدّدَ من ذلك ما هو أهلُ حفظه ، ثمّ قال : يا نعمان ، مثَل الرجل مثل الحجارة ما حُكّ منها فظهرَ له جوهر لم يُعدَلْ بغيره ممّا لا جوهرَ فيه . فأمثال أولياء الله عليهم السلام يشهَد بعضُها لبعض .

وبعد فتقَ لي ما مثّلَه المعزّ عليه السلام ممّا ذكرتُه / وذكرَه المنصور عليه السلام وقدّس روحه ، ما نشاهده من رفع أولياء الله منازلَ من ارتضَوْه من الناس وإحلال كلّ امرىء محلَّه الذي هو أهلُه ، فمنهم من أدنَوْه وخصُّوه ورفعُوه وأعلَوْه كما يُجعلُ نفيسُ الجوهر في التّيجان ، وعلى الرؤوس ، ويُعلّقُ في الأقراط والشُّنُفِ ، وينظَمُ في القلائد وينصب في الخواتيم .

وطبقة أخرى دون ذلك في الحال والتقريب والاختصاص كما /أنّ ما/ دون ذلك من الجوهر ينصب في الأواني وتكلّلُ به الأسرّةُ والكراسيُّ وأشباهُ ذلك .

(1) ق ، 37 .
(2) الأعراف ، 198 .
(3) في الأصل : وكل شيء .

وطبقة دون الطبقتَيْن كالذي يكون من الحجارة له رونقٌ بلا جوهريّة، نحو الرّخام / وأشباهِه،تُفترَش به المجالس وتُنحَتُ منه العمُدُ وأشباهُ ذلك . وفي مثل هذا من الجواهر وطبقات الناس من التفاوت ما لا يُحصى .

والطبقةُ السفلى من الناس كالعوامّ والسِّفلة ، أشباهُ الحجَرةِ التي لا رونق ولا جوهرَ لها ، كمثل ما تُبنَى [به] الجدُرانُ ، ويحمل عليه الجذوع ويعمل منه (1) القناطرُ تمرّ عليها البهائمُ والكِلاب والسّباعُ ويطؤُها الناس ، وبين ذلك تفاوت،وَهم درجات . وما صين من الجوهر ولم يستعْمَل لُفَّ في القطن وأودع أسفَاطَ(2) الذّهبِ والفِضَّةِ ورُفع في المرافع والصّناديق،وما لم يستعمل من الحجارة كان منبوذا بالأفْنِيَة والطرُقات تناله الأوساخُ / ويوطَأ بالأقدام ، وكذلك قدرُ ما شاكل النّوعَيْن من الناس في الرفعة والاطّراح .

حديث في مجلس في التثبّت والأناة :

109 — (قال) وجلست بين يديه عليه السلام يوما فذكر أهل الأذى والبغي والفسادِ في الأرض ، فقال : قلتُ لبعض الناس : ما ينبغي أن يكونَ العملُ في مثل هؤلاء ؟

فقال : ما عمله المنصور عليه السلام — يعني من قتلهم وحرقهم بالنار — .

(قال المعزّ عليه السلام :) فقلت : إنّ الوقت الذي فعل فيه ذلك المنصورُ وقتٌ كان يَحسُن ذلك فيه لما طبّق الأرضَ من البلاء وعظُمَ على الناس فيه من المحن ، فلم يكن ينبغي أن يُدفع / ذلك المكروهُ إلاّ بمثل ما دفعه عليه السلام /به/ . فأمّا إذا أزال الله عزّ وجلّ تلك المحنة وأطفأ نار تلك الفتنة ، فإنّ الذي ينبغي لنا أن نقابل به النّعمة أن نصفحَ عمّا كان لنا أن نصفحَ عنه ممّا الجناية فيه علينا دون غيرنا مما لا نخشى له سوءَ عاقبة من الأمر ، ونكل الإنصافَ في ذلك إلى الله عزّ وجلّ الذي أقدرَنا وسلّطَنا وملّكنا الانتصار لو شئنا أن ننتصرَ لأنفسنا ، فيكون انتصاره عزّ وجلّ لنا أبلغ ، كما وَعَدَ بالنّصر مَن بُغِيَ عليه (3) . وما كان من ذلك من

(1) في الأصل : عليها ... ومنها .

(2) السفط بفتحتين : وعاء الطيب وشبهه .

(3) تضمين للآية 60 من سورة الحج : ومن « بغي عليه لينصرنه الله » .

حقوق العباد أنصفْنا منه بحسب الواجب فيه . وما علِمنا أو خشينا دخولَ الفساد/ من أجله وأن يترقّى الأمرُ فيه ، إذا تركناه ، إلى ما هو أعظمُ منه ، لم يَسَعْنَا تركُه ، واستعملْنا العقوبة فيه بقدر ما يوجبه الجُرم ويلزمه الذّنبُ . وما كان من حقوق الله عزّ وجلّ أمضيناهُ على ما افترَضَه علينا واسترعانا إيّاه . ولو أنّا أمضَيْنَا العقوبةَ على كلّ ذنب ممّا العفو فيه إلَيْنا ، لأورَثْنَا الإحنَ وسبّبْنا أسباب الفتَن على غابر الزمان وزرَعْنا بين النّاس العداوةَ وأقمنا لهم سُوقَ الطّلب بالثارات في الأنفس والأعقاب ، على مرّ الدهور والأحقاب ، لأنّ الذي عسى أن يُنتصَفَ اليوم منه بِسعيِ ساعٍ سعَى عنه (1) بذنبه إلينا ، قد تدور له / دائرةُ السوء على الساعي به يوما ، فيطالبه بثأره أو عقِبُه من بعده .

وهذا القول مأخوذ من قول الله أصدق القائلين : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (2)» . فأمر الله عزّ وجلّ نبيَّه محمّدا صلّى الله عليه وآله بالتعوّذ به من نَزَغَاتِ الشيطان الحاملةِ عليه والعُرْفِ (3) عند الغضب والقدرة .

(قال المعزّ عليه السلام :) ولقد سمعت المنصور بالله عليه السلام وقدّس الله روحه كثيرا ما يتعوّذ بالله من ذلك ، ويقولُ : إنّه ربّما جاءني من الغضب/ ما لا أملك معه الصّبرَ . وهذا نبيّ الله موسى عليه السلام قد وصف الله ما (4) صنعه عند الغضب من أنّه ألقىَ الألواحَ التي أنزلَها الله عزّ وجلّ عليه وأخذ برأس أخيه يجرُّه إليه . ووصف نبيَّه محمدا عليه السلام باللين والرحمة ، فقال : « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ » الآية (5) . وقال : « وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (6) » .

---

(1) ننتظر : به .
(2) الأعراف ، 199-200 .
(3) أي للصبر والتأني والحلم .
(4) في الأصل : عما .
(5) آل عمران ، 159 .
(6) المائدة ، 13 .

فعلى مكارم أخلاق جدّه محمّد صلّى اللّه عليه وآله طبع الله المعزّ لدينه . وقلّ يوم أراه وما يكون منه من الحلم فيما يوجب الغضبَ والعقوبة / فأتذكّر بذلك ما رُوِيَ عن رسول الله (صلع) في مثل ذلك حذوَ النّعل بالنّعل فيما كان يتحمّله ويصبر عليه ويحلُم عنه .

كلام في الشكر ذكر في مجلس :

110 — (قال) وسمعته عليه السلام يوما ذكر بعض نِعم الله عليه فأكثر من حمد الله وشُكره والثناء عليه لذلك بما هو أهلُه .

فقلت : الحمد للّه الذي وفّق أميرَ المؤمنين لما يوجبُ المزيدَ من فضله من الشّكر على نعمه . فقد قال جلّ ثناؤهُ : « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ (1) » .

فقال : يا نعمان ، وكيف يبلغ أحدٌ شكرَ شيء من نعم الله الذي أوجب المزيد به ؟ / وأينَ يقعُ الشكر من مقدار فضلِه ونِعَمِه ؟ لا والله، ما نرجع إلاّ إلى الإقرار والاعتراف بالتقصير ، وإنّ نِعَمَ الله علينا وإحسانَه إلينا فضلٌ منه يتجدّدُ وحُجّةٌ علينا تتأكّدُ ، نسألُهُ دوامَ نِعمتِه والمزيدَ منها بفضلِه ورحمته .

حديث في مجلس ذكر في بني أميّة :

111 — (قال) وذكر يَوما بين يديه عليه السلام ما تجاهَرَ به ويُبديه عبدُ الرحمان الأمويّ المتغلّب بالأندلس من الفسق والمُنكَر والفساد ، ويُبيحه للناس ببلده . فقال بعض من حضر المجلس : حسبُه بأن يُعلَم ما هو عليه من ارتكاب محارم الله ومعاصيه .

فقال / المعزّ عليه السلام : إنّه لو علم أنّ ذلك من المعاصي لكان أقلّ جرما ، ولكنّه بالسلف السّوء — ومَن سلَفُه على ما كانوا عليه من أمر الجاهليّة واعتقاد الكُفر ، ودفع ما جاء به محمد عليه الصلاة والسلام — اقتدى (2) . والله لو أمكنَهم

---

(1) إبراهيم ، 7 .

(2) في الأصل : واقتدى ، وفي الجملة تقديم وتأخير .

إظهار ذلك بألسنتهم (1) كما أظهروه بأعمالهم لفعلوه ، ولكن لم يروا ذلك ينساغ لهم ولا يمكنهم فأبدوا أفعالهم القبيحةَ التي غلبتهم شهواتُهم عليها . وجَهِلَ جُهّال الناس أنّ ذلك منهم اقترافٌ للآثام ومعصيةٌ يرجى غفرانُها بالإقلاع عنها والتوبة منها ، لِمَا يَرُونَهُمْ ويُظهرونَه من / التمسُّك بالإسلام ، وهم على ما هم عليه — وأوّلُهُم — من اعتقاد الكفر . أليس بذلك وصفَهُم عليّ عليه السلام لمّا نظر إلى معاوية اللعين في جمعه بصفّين فقال : هذه والله رايات أبي سفيان التي قاتلْنا بها ونحن مع رسول الله، والله ما أسلَموا ولكن استَسْلَموا وأسرُّوا الكفرَ حتّى وجدوا عليه أعوانا فقاموا به .

ثمّ قال المعزّ عليه السلام: سمعت المنصور عليه السلام يقول : ما أُحصِي ما كنت أسمع المهديّ عليه السلام يقول ويُجَمْجِمُ (2) إذا خلا ،غيرَ مخاطب لأحد ، لاّ كالذي يجول الشيء بصدره وهو يجمجِم (3) به ، حكايةً عمّا يُروى عنهم : أطعَمَ / بنو هاشم وأطعَمْنَا ، وسقَوْا وسقَيْنا ، وفعلوا وفعَلْنا ، حتّى إذا كنّا كفرسَيْ رهان قالوا : منّا نبيّ . والله ما نقرّ بهذا أبدا (4) !

ثمّ قال عليه السلام : والله لو تعلّقوا من الإسلام بشيء لظهر عليهم ، ولو أقرّوا بمحمّد صلّى الله عليه وآله لما تناولوا ما تناولوه من عِترتِه وأهل بيته .

فقلت : القول ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام ، ولكن قد نالوا من الدنيا بسبب رسول الله صلّى الله عليه وآله والإسلامِ الذي تسبّبوا إلى ذلك به ، ما قد نالوه ، فأقلُّ ما كان يوجبُه ذلك أن يرعَوْا له ولأهل بيته حقوقَهم .

فقال عليه السلام : / فأين العداوة الأصليّةُ والضغائن الجاهليّةُ والطبعُ الذي مضى عليه السلَف وتبِعه عليه الخَلَفُ من اعتقاد البغضاء وتوارث الشحناء ؟ هل يستقيم مع ذلك ميل لوجه من وجوه الخير في قول أو فعل ؟ ما ظنّك أنت بنفسك فيهم مع ما تعتقدُه من وَلايتنا ؟ أتراك كنتَ مائلا إليهم بودّ أو بظاهر محبّةٍ أبدا ، صنعوا بك ما صنعوا ؟

---

(1) في الأصل : باسنتهم .
(2) في الأصل : ويقول ويحجم .
(3) في الأصل : يحجم .
(4) انظر هذه القولة معادة في ص 416 .

قلت : لا واللّـه .

قال : وكذلك والله هم لنا ولجميع شيعتنا ، والله لا يجمعنا اللّهُ وإيّاهم أبدا في دنياه ولا في أخراه .

قلت : الحمد لله الذي جعلنا من حزبه وحزب أوليائه وجعلَهُم أحزاب الشيطان / وأتباعه .

قال : نعم ، الحمد لله على جميع نعمائه .

كلام في مسايرة في الوصيّة والموعظة :

112 ــ (قال) وسايرتُه عليه السلام يوما وقد أذّنَ الحجيج بالخروج وكان قد اجتمع عنده عليه السلام جماعة من رسل الدعاة بالمشرق من نواح كثيرة ، فأدّوْا ما أرسلوا به إليه من الأموال من قُرُبات المؤمنين وقضَوْا حوائجهم فيما قدموا له ، وكتب معهم أجوبةَ من قدموا عنه ، وأمرهم بالانصراف مع الحجيج . ووافق خروجهم ركوبَه ، فمشَوا إليه حتّى صُفُّوا بين يديه وقبّلوا الأرض ، وقالوا : يا وليّ الله ، لا جعلَه الله آخرَ العهد بك ، فما أشدَّ علينا فراقَك لولا ما نرجوه / في امتثال أمرك ، وإنّا لذلك شخَصنا عنك وفارقْناك .

فقال لهم عليه السلام : إذا كان اعتقادكم وَلاَيتَنَا وامتثالَ أمرنا وطاعتنا /و/التسليمَ لنا ، ووصلتم ذلك قولا وفعلا ، فأنتم معنا حيثُ كنتم متّصلةً أرواحُكم بأرواحنا ، ومودّتُكم بمودّتنا . ومن كان على خلاف ذلك ، لم ينفعْه قُربُهُ منّا لأنّ الاتّصالَ لا يكون بتقارب الأجسام وإنّما يكون عن تقارب الأنفُس ، فأنفسُكم ، ما كنتم على ما وصفْنا ، قريبةٌ من أنفسنا ، وإن بعُدَتِ الأجسام ونأتِ المنازلُ . ومطابقة الوَلاية أخصُّ وأقرب وألصق من مطابقة الأهل والقرابة ، وأنتم واجدون منّا / ما لا تجدونه من الآباء والأمّهات ، إن أنتم أحسنتُم إلى أنفسكم شكرنا ذلك من أمركم وعرفنا فضلَه لكم وجزيناكُم به ، وإن أسأتم صفحنا عمّا يجب صفحه عنكُمْ (1) ، وكلّ إنسان منكم ينظر لنفسه ويكدَحُ لها ، ونحن ننظر ونُعنى (2) بصلاح جميعكم . فأعينونا على ذلك بتقوى الله وامتثال أمره والانتهاء عن

(1) هكذا في الأصل ، ولعل السياق يقتضي : عما يجب الصفح فيه عنكم .
(2) في الأصل : ونعين . وآخترنا «نعنى» لمقابلتها بـ«يكدح» .

نهيه ، فإنّكم إذا فعلتم ذلك أصلح الله حالكم وأجزل أجوركم وأقرّ أعينكم وأعيننا بكم . وعن قريب ترون من صنع الله وفضله ما تُحبّونَه إن شاء اللّه .

فقالوا : قرّب الله ذلك ويسّره ومدّ في أعمارنا إلى أن نبلُغَهُ ؛ ونراك في المواطن التي يَسُرُّنَا أن نراك بها /، قد أهلك الله عدوّك وأنجز لك الله ما قد وعدك .

فقال : قد والله عرّفنا اللهُ عزّ وجلّ من فضله ونعمته ما لا نقادِرُ قدرَه ولا نقوم بشُكره وأسْدَانَا بصنعه وإحسانه ما نحن واثقُونَ بدوامه وتمامه . وربّما كان الشرّ يأتي دَفعةً والخير يأتي على ترتيبٍ ونظام ويتبَعُ بعضه بعضا ، وعوارفُ الله عزّ وجلّ لدينا متتابعةٌ متّصلةٌ ، وإنّا لنرجُو بفضله أن نطويَ الكتاب من آخره مقامَ جدّنا محمد صلّى الله عليه وآله و/لا/ ندعَ وراءَنَا عدّوا إلاّ أمْكَنَنَا الله عزّ وجلّ منه ، كما وعد ، وهو لا يُخلف الميعادَ ، أن يُمَكّننا في الأرض ويستخلِفَنَا / فيها ويُظهر دينَه منّا على الدين كلّه . سيروا في كِلاءَةِ (1) الله وحفظه .

فقالوا : عن رضى منك يا أمير المؤمنين .

فقال : نعم ، رضي الله عنكم وشكر سعيكم وأجزل أجوركم .

فقبّلوا الأرض وقالوا : إن رأى مولانا ألاّ ينسانا من فضله ورحمته وبركة دعائه ، فعل .

فقال : ما أنسى ذلك لكم إن شاء الله .

ثمّ قرّبهم إليه عليه السلام وأسرّ إليهم كلاما وانصرفوا .

113 — وسمعته قبل ذلك يقول وقد دخلوا إليه في مجلسه فخلا بهم طويلا ثمّ خرجوا ، فقال : قلت لهم فيما قلت : إنّه لم يؤخّرِ الناسَ إلاّ دعاةُ السوء إلينا ، فلا والله ما هم لنا بدُعاة ولا أولياء بل هم أعداءُ الله وأعداؤنا / والصادّون عن الله . ولو رأى الناسُ فيهم خيرا وسمعوا منهم قولا حسنا، وأدّوْا إليهم عنّا ما أوْدَعْنَاهُم ،وبلّغوا عنّا ما حمّلناهم ،لكان الناسُ أسرعَ إلينا من الطّير إلى وكره والماء إلى مقرّه . ولكنّهم حرّفوا وبدّلوا وفتنتهمُ الدنيا بعاجل حُطامها وزيّن لهم الشيطانُ اقترافَ آثامها ،فضلّوا وأضلّوا كثيرا وضلّوا عن سواءِ السبيل، وبعُدَ

(1) في الأصل : في كل آيـة . والكلاءة : الحراسة والحفظ .

عنّا محلُّهم وصعُب علينا أمرُهم . فإنْ رُمنا صلاحَ ناحيةٍ أفسدُوها ، خِفنا فسادَ أخرى ، فأعرَضْنا عنهم وتركْنَاهم في غيّهم يعْمَهون ، وقد رضُوا بعاجل رئاسةٍ في الدنيا أصابوها ، وحُطام دنيا تَعَجَّلُوها من غسَلاتِ قومٍ تطهّروا بها / فخانوها وجعلوا الباطلَ وا/أ/كذبَ على الله وعلينا سبَبًا ، لما نالوه منها . فهلكوا وهلك بهلاكهم خَلْقٌ كثير .

(قال) فقال لي بعضهم : وإنّهُم لعَلَى هذه الحال يا وليَّ الله ؟

فقلت : أي والله وأسوأ حالاً منها . أليس فلان قائلَ كذا وفلانٌ فاعلَ كذا وكذا — وعدّد رجالا وأقوالا وأفعالا لهم قبيحةً — ثمّ قال : فمَن كان هذا قوله وفعله ، هل الناس من أمره إلاّ على ضربين : ضربٍ أخذَ عنه وقبِل منه فضلّ وهلَك بهلاكه وضلالته ، وضربٍ تبيّنُوا عُوارَه ، وتكشّفَت لهم عن سَوْأته أستارُه : فرفضوه وباعَدُوه ، وباعدونا ورفضونا من أجله ونسَبوا إلينا ما تبيّن لهم / من سُوء فعله ممّا قد برّأنا الله منه ونزّهنا عنه ، فكان من أجل ذلك هلاكُ الجميع . ألم يقل فلان — رجل (1) سمّاه من خيار المؤمنين — لفلان — رجل من بعض من وصفه من هؤلاء المبدّلين — وقد خلا به : ويحك ! أليسَ عنك أخذْنا كذا وروَيْنا كذا ، وقلتَ لنا كذا وأمرتَنا بكذا ؟ وعدّد عليه كلاما كثيرا من الحقّ قد رآه خالفَه ورفضه وقال بغيره .

قال : نعم .

قال : فما عدا ممّا بدا (2) ، وما أحالك عمّا كنتَ عليه ؟

قال : الدنيا وعاجلُها .

قال له : وكيف لك بعذاب الله وناره ؟

قال : نِعْمَ النارُ على بصيرة مع عاجل الدنيا !

نعُوذ بالله من الحَوْر بعد الكَوْر (3) ، والضلالة بعد الهُدى / .

---

(1) في الأصل : رجل فلان .

(2) هذا مثل يضرب للمتنقل من حال إلى نقيضها . قائله علي للزبير — أو لطلحة — حين حارباه يوم الجمل بعد أن بايعاه بالمدينة (انظر مجمع الأمثال ج 2 ص 328 واللسان في : عدا) .

(3) هذا من حديث الرسول (ص) وقد صار مثلا يضرب للنقصان بعد الزيادة أو لفساد الأمور بعد صلاحها (انظر اللسان حور وكور) وسنن النسائي ج 8 ص 272 وصحيح الترمذي ص 1279 رقم 3888 .

(قال) وسمعته في هذه المسايرة وقد وقف إليه جماعة من الأولياء من كتامة بلغه عنهم فساد في ناحية ، فأمر (1) بإشخاصهم إليه لذلك ، فجعلوا يتعذّرون منه ويحلفون عليه . فقال لهم : قد صدقتم فيما قلتموه عن أنفسكم ، ولكن قد فعل ذلك أحداثكم وعبيدكم ومن لا خير فيه ممّن ينسب إليكم . وأنتم تعلمون ذلك فلم تغيّروه ، فأنتم بمنزلة من فعل ذلك . وإن تتلافوا أمركم وتأخذوا على أيدي سفهائكم ، وإلاّ كنتم وهم في العقوبة سواء .

وهذا مشتقّ من قول الله عزّ وجلّ : « لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ / الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ /لَ/بِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (2) » . قال جعفر بن محمد عليه السلام : لمّا لم ينه الرّبانيّون والأحبار من بني إسرائيل شرارهم عمّا كانوا يأتونه من المعاصي عمّهم الله عزّ وجلّ بالعقوبة .

وقول رسول الله (صلع) : ما أقرّ قوم على المنكر بينهم لا يغيّرونه إلاّ عمّهم الله ومن يفعله بعقابه تعالى (3) .

كلام في نعي المنصور بالله صلوات الله عليه :

114 — (قال) وجلست يوما بين يدي الإمام المعزّ لدين الله عليه السلام ، فجرى كلام قيل إنّه في بعض الكتب ، فدعا بالكتاب الذي قيل إنّ ذلك فيه ينظر إليه . فأتي برزمة من الكتب (4) فوضعت بين يديه فجعل / يتصفّحها كتابا كتابا إلى أن مرّ منه على كتاب فيه تعليقات بخطّ المنصور عليه السلام يؤلّفه ، فلمّا رآه استعبر وجعل يديم (5) النظر فيه ، ثمّ تنفّس الصعداء وقال: والله لو لم يكن له غير هذا لكفى به معجزة من أمره ، وما رأيته قبل وقتي هذا .

(1) في الأصل : فأمرهم .
(2) المائدة ، 63 .
(3) الحديث : ابن ماجة ص 1327 رقم 4005 وافتتح به ابن حنبل مسنده .
(4) في الأصل : من الكتاب .
(5) في الأصل : أدام .

ثمّ أرانا ذلك وقال : هذه الخطبة التي ألّفها وخطب بها في عيد الفطر الذي قُبِضَ بعقِبه (1) ، /فيها كلام/ كأنّه أراد أن يقولَه ، ثمّ بدا له من ذلك فتركه .

فنظرنا إلى ذلك بخطّه نعرفه وقد ضرّب عليه بعدَ أن كتبه ، وفيه : وقد مضت ليالي الشهر وأيّامُه / وحان انقضاء العُمر وانصرامُه .

ثمّ قال المعزّ عليه السلام : أراد والله أن ينْعَى إلينا نفسَه .

فأبكاني (2) ذلك وقلت : وأيّ نَعي يكون أكثرَ من قوله يومئذ وقد انصرف من المصلّى ووقف بصحن القصر ، ويده على كتف أمير المؤمنين يوصيه بأوليائه وأهل مملكته وقد أحاط الناسُ به وهو يستعبِر ، وصيّةَ من قد أيقَنَ بقُرب الأجل ؟ والله لقد كادَ يومئذ كلامُه أن يصدع الأكباد . فكان من أعجب ما ظهر منه يومئذ للناس فرأوْه عيانا وسمِعوه ،وإن كان قليلا من فهِم ذلك،إلاّ بعد أن قُبِض عليه السلام/.

حديث في موعظة ذكر في مجلس :

115 — (قال) وسمعت المعزّ لدين الله عليه السلام يقول : السعيد كلّ السعيد مَن امتثل أمرنا ، وما على أحدهم أن يكون قد امتثل ما نأمرُه به ، فإن كان منه خيرٌ ، والخير والله في كلّ ما نأمرُه به ، حُسِبَ ذلك (3) لعامله وشُكر له وانتَفَع في الدنيا والآخرة به . وإن وقع ، من أجل ذلك ، فيما يراه الناس نقصا (4)، لم يكن على من امتثل أمرَنا فيه تَباعةٌ ولا سوءُ عاقبةٍ في دنياه ولا آخرته. لكنّ أكثر ما أهلك الناسَ العُجبُ بأنفسهم وآرائهم ، فإذا أمرْنا بأمر ورَأى خلافَه / من تداخلَه ذلك العُجبُ ، ترَكَه لرأيه وعدل به عنه هوَاه وخلَفتْهُ عنه شهوته .

وفي مثل هذا كتَبَ المنصور بالله عليه السلام إلى حسن بن عليّ (5) وفرج الخادم (6) لمّا انصرفا من أرض قلوريّة إلى جزيرة صقلّية بالعساكر لتُشتّي

(1) توفي المنصور في أواخر شوال 341هـ .
(2) في الأصل : ثم بدى له من ذلك فأبكاني ، والجملة الأولى منقولة سهوا عما تقدم ، فيما يبدو .
(3) في الأصل : حسبت لذلك .
(4) في الأصل : نقص .
(5) الحسن بن علي الكلبي : تقدمت ترجمته في ص 165 .
(6) فرج الخادم : قائد صقلبي للمنصور ، كان أخرجه في أسطول من المهدية إلى صقلية ثم قلورية في محرم سنة 340 (انظر المقفى للمقريزي ، 199 ب مخطوط) .

بها ، وقد كان أمَرَهُما بالمقام فيها (1) فكتب إليهما في ذلك كتاباً غليظا ، وشدّد عليهما فيه وأمرَهُما بالرّجوع إلى حيث أمَرهما بالمقام به ساعةَ وصول كتابه ، ففعلا، فكان، لذلك، الفتحُ العظيم ، وسبقا عساكرَ طاغيةِ الروم إلى موضع لو سبقهم إليه لما تهيّأ ذلك الفتحُ، فهزماها ، واحتوت[هم] عساكر المسلمين ، وأثخنوا بالقتل فيها ، وكان ذلك بسبب / رأيه المقرون بالتوفيق .

(قال) وكان في كتابه إليهما : كأنّي بكما قد قلتما لمّا رأيتُما الانصراف إنّ الحاضرَ يرى ما لا يرى الغائبُ وقدّرتما في أنفسكما أنّكما الحاضران لما قِبَلَكُمَا وأنّي أنا الغائبُ عنه . وليس كما ظننتما ، بل أنا الحاضر لذلك وأنتما الغائبان عنه .

ثمّ قال المعزّ لدين الله عليه السلام : وهو كما قال المنصور (ص) : الحاضر للأمر وإن غاب عنه ، من أحضَرَهُ الله (عج) توفيقَه ، وجعله سببا بينه وبين خلقه ، فهو الحاضر لأمورهم وإن غاب شخصه عنها وحضروا هم فيها .

(قال) وسمعته عليه السلام يوما وعنده جماعة من شيوخ كتامة وهو يحدّثهم ويعظهم، / فكان فيما قال لهم: يكفيكم من وصايانا إليكم أنّا نأمركم أن تقتدوا بنا في جميع الأمور كلّها : ما رأيتمُونا نُحِبُّه ونفعلُه ونأمر به فعلتموه وأمرتم به . وما رأيتمونا نكرَهه ونجتَنِبُه كرهتموه وتجنّبتموه . ففينا والله لكم خير أسوة حسنة . والله إنّها وصيّة المنصور عليه السلام لي وقد احْتُضِر، قال لي : إنّي أجمع لك الوصايا كلّها في كلمة واحدة ، فانظر : فما كنتَ رأيتني أفعلُه فافعَلْه . وما كنتَ رأيتَني تركتُه فاترُكه ، واصنع بعدَ وفاتي ما كنت رأيتَنِي أصنع في حياتي . فنعم السلَفُ أنا لك ! (2) / .

---

(1) أي في قلورية من جنوب إيطاليا .

(2) ورد في آخر الصفحة عبارة : تم الكتاب . وانما هو تمام نسخة المكتبة الآصفية بحيدرآباد رقم 4590 تاريخ .

الجزء الحادي عشر

بسم الله الرحمان الرحيم (1)

116 — قال القاضي النّعمان بن محمد: سمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يوما وقد قرب عيد الأضحى وسأل عن مجيء كتامة من الأعمال لشهود العيد ، فقيل له : يا أمير المؤمنين ، يتساربون وقد غصّ القصر بهم .

فقال : بارك الله فيهم وكثّر أعدادهم ، فما أسرّني / بهم وباحتفالهم ، وما أحبَّ إليّ أشخاصَهم وأزينَ في عيني مناظرَهُمْ !

ثمّ نظرَ إليّ فقال : أرأيتَ مثلَهم في بهائهم وجمال مراكِبِهم وحسنِ مناظرهم ! أما إني ربّما أقول في نفسي إذا أعجبني ذلك منهم : إنّ ذلك لِفَرطِ محبّتي لهم !

فقلت : هم والله على ما وصفهم أمير المؤمنين عند الوليّ والعدوّ. ولقد اتّصل بنا من غير وجه أن مخلدا وأصحابَه اللّعناء كانوا يقولون أيّام الفتنة وهم يقاتلونهم: أمّا ركوب كتامة وجمالهم فيه فما ندّعيه ولا ننازعهم فيه .

(1) جاء في نسخة « أ » : النصف الثاني من كتاب المجالس والمسايرات. وهي قسمة خاطئة كما بينا في المقدمة ص 30 . وجاء في ب بعد البسملة : وبه نستعين في جميع الأمور . رب يسر ولا تعسر . رب تمم بالخير . وابتداء من هنا نرقم النسختين « أ » و« ب » في الهامش .

فقال: هم والله الذين أذاقوهم طعم الموت وأحلّوهم محلّ الذلّة وأخرجوهم قسرا بظُبَى السّيوف وحدّ الرّماح حتّى ألحقوهم بقُنن الجبال في أطراف البلاد، ثمّ استنزلوهم / منها قسرا وأبادوهم قتلا بنصر الله لوليّه وبركة * مقامه وسعادة جَدّه وأيّامه، وطاعتهم له وصبرهم معه.

فقال بعض العبيد الصّقالبة: فنحن يا أمير المؤمنين، فما ترى أنّا قصّرنا وقد كان لنا من العناء والجهاد كمثل ما كان لغيرنا، فمن نازعنا ذلك فَلْيَعُدَّ مشاهدَنا ووقائعَنا ومقاماتِنا ومَن استُشْهِدَ منّا!

فقال (عم): لا سواء، إنّا بهم ملكناكم، ولم نملِكْهُم بكم. أرأيتَ لو تُرِكْتَ أنت وأمثالَك في بلدانِكم، أكنتم تأتُونَنا؟!

قال: لا.

قال: فهؤلاء أتَوْنَا طائعين وبذلوا لنا أنفسَهم راغبين، ومضى على ذلك أسلافُهم وثبت عليه أخلافُهم للسّلَف منّا وللخَلَف، قَرْنًا فقَرْنًا وجيلا فجيلا. والله / ما وَفَتْ أمّة من الأمم لنبيّ من الأنبياء ولا لإمام من الأئمّة ولا لملِك من ملوك الدّنيا، ولا وفى لها وفاءَهم لنا ووفاءنَا لهم، إلاّ وقد تداخل أولئك الفشلُ واعتراهم الخللُ، وحال عليهم ملوك الدنيا واستأثروا غيرَهم دونَهم واطّرحوهم وأوقعوا بهم. وهؤلاء، أجدادُهم مع أجدادِنا وآباؤُهم مع آبائنا، وهم معَنا وكذلك يكون أعقابُهم مع أعقابِنا إلى يوم الدّين إن شاء الله.

ثمّ نظر إليّ فقال: أليس كذلك؟

قلت: هو كما قال أمير المؤمنين (عم)، وهم من السّابقين الذين أوجب الله فضلَهم والاستغفارَ لهم على اللاحقين التّابعين.

ثمّ قال (صلع): وليس سبقُهم وفضلُهم مِمّا ينقص / فضلَ من جاء بعدَهم من عبيدنا وأنصارنا * فجاهَدَ ونصر ونَصَحَ لنا، بل يؤتي اللّهُ (عج) — كما قال — «كُلَّ ذي فَضْلٍ فَضْلَه» (1)، والله جلّ ثناؤه واسع عليم، ولا يَضيع عنده أجر مَن أحسن عملا وقد قال جلّ ثناؤه: «ولاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ، أولَئِكَ أعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الذينَ أنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ

---

(1) اقتباس من سورة هود، 3.

وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللّهُ الحُسْنَى (1)» . (قال) وقد وعدكم الله (عج) الحسنى كلّكم وفضّل السّابقين بسبقهم منكم ما كانوا مقيمين على ما سبقوا به من الخير ولم يحوّلوا عنه ولم يتبدّلوا به .

حديث في النّهي عن البغي ذكر في مجلس :

117 — (قال) وسمعتُهُ (صلع) يقول وقد ذُكر البغي على النّاس / والوقيعة فيهم وسوءُ حال أهل ذلك ، فقال : يكفيهم خِزْيَةً في الدّنيا علمُنا بهم أنّ أحدَهم لا يرى أنّه يتقرّب إلينا إلاّ بإبعادِ غيره ولا يتوسّلُ إلى فضلنا إلاّ بنقص مَن سواه عندَنا . وما كان على أحدهم إذا رغب في رُتبةِ غيرِه أن يَصفَهُ بالجميل ويذكُرَه بالخير إذا كان ذلك فيه، ويسألَنا من فضلنا الذي بلغَ ذلك مبلغَه فنُوليه به منه ما يستحقّه مَن قصَد فضلَنا من وجهه وتوخّاه من مكانه وابتغاه بحقّه ، فيكون قد نال مُرادَه من حيث لا يضَعُ عندنا نفسَه ولم ينقُصْها ببَغْي غيرِه والوقيعةِ فيه . ففضلُنا يَسَع الخلقَ لو قصدوه من وجهه وابتغَوه بحقّه .

فقلت : / يا مولانا (2)، هذا أدب اللّه وأدب(3)أوليائه الذين يأمرون بالقسط في عباده ، لا أدبُ ملوك الدّنيا عند أنفسهم الذين رأوا أنّ من سياسة ملكهم التّضريبَ بين رجالهم والتّحريشَ بين أهلِ مملكتهم ليُبَيِّنَ لهم بعضُهم من بعض ما عسى أنّه قد استَتَر عنهم من حالهم ، ويخاف بعضهم بعضا لذلك فيَتَفضَحوا/نَ/هُمْ .

فقال(ع م): يفعل هذا من لا رغبة له في صلاح عباد الله ولا رأيَ له في رشادهم. ونحن ، فإنّما نحبّ صلاحهم وما يعود بالنّفع عليهم في دينهم ودنياهم لأنّ الله (عج) جعلنا لهم رحمةً. فنحن أرأفُ بهم منهم بأنفسهم . وكيف ينبغي لمن ملّكه الله (عج) أمرَ عباده أن يضرب بينهم / ليتعادَوْا ، وَاللّهُ (عج) يأمرُ بإصلاح ذات البين في قول الله (عج) : « فَاتَّقُوا اللّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ (4) »،وقال :

(1) الحديد ، 10 .
(2) ب : يا مولاي
(3) أ : وآداب .
(4) الأنفال ، 1 .

« إنَّمَا المُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ (1)» . إنّما يعادي بينَ عبادِ الله من لا نَصيبَ له فيهم . ونحن، فقد استرعانا الله (عج) أمرَهم وافترض علينا أن نسعى في صلاحهم فنحن لا نألوهُ في ذلك جُهْدَنا .

ثمّ ذكر رجلا من شيوخ كتامة ممّن كان يخصّه ويُدنيه فقال : لقد صحِبَنَا صحبةً طويلة فما سعى إلينا بأحد ولا اغتابه عندنا ، ولقد كنّا نُجاريه في الحديث ونتحدّثُ مع مَن بحضرتنا فما كان من حديث أنس وخَيْر ، جرى فيه وتحدّثَ به ، حتّى إذا ذُكِرَ غيرُ ذلك أمسك .

ثمّ ترحّم عليه واستغفر له .

حديث في / مجلس في فضل الأوليــاء :

118 — (قال) وسمعته (صلع) يقول : إنّه ليتداخلُني من السّرور وأجِدُ من الفرَح وأبتهجُ بما يتّصل بي ويبلُغني وأراه * من الخير والصّلاح في أوليائنا ما لو كان مثل ذلك في الولَد ما بلغ منّي أكثرَ منه ، وما يفوق من كانت هذه حاله منهم عندي إلاّ مَن خصّه الله من الولَد بالفضل الذي ينقله إليه عنّي .

حديث في مجلس جرى في ذكر الفتنة :

119 — (قال) وسمعته (صلع) يقول : قلتُ يوما للمنصور (صلع) وقد ذكَرَ أمرَ الفتنة وما حاول فيها إلى أن كشفَها اللّهُ (عج) على يديه ، فقلتُ : لو قد كان القائم بأمر الله (صلع) حاول من ذلك ما حاولتَ وقام منه بما قمتَ ، فجلاها ، والأمرُ / مجتمعٌ والحالُ صالح، ولم يدَعْ ذلك إلى أن كان ما قد كان من الفساد في الأرض ؟ فقد كان من القوّة والمَنْعة ومُكانفَةِ الرّجال في أكثرَ ممّا كنتَ أنت فيه يوم قمتَ بذلك .

فقال لي : أعيذُك بالله أن تعودَ إلى مثل هذا القول ، بل فاستغفرِ الله منه ، واللّه ما كان للقائم (عم) أن يفعَلَ إلاّ ما قد فعلَه، ولا كان لي أن أفعلَ إلاّ ما فعلتُ .

(1) الحجرات ، 10

ثمّ قال المعزّ (صلع) : وصدق المنصور، نضّر الله وجهَه وقدّس روحَه وضاعف الصّلاةَ عليه : ما كان للقائم — عليه أفضل السلام — أن يقومَ في أمرٍ أذن الله (عج) بانصرامه، وقد وَلّى أمرُه وقرُبَ وقتُ حِمامه وامتحَن اللهُ عبادَه بالفتنة ووقّتَ وقتًا / لانقضاء المِحْنة . فلَمْ يكُنْ له تقريبُ ما باعده الله (عج) ولم يكن عندَه إلاّ الصّبرُ على ذلك والتسليمُ والرّضاءُ به إلى أنْ لقِيَ اللّهَ (عج) محتسِبا صابرًا . وهذه من بواهر أولياء الله . فلمّا أذِن الله (عج) بانكشاف المحنة وذهابِ الفتنة لم يكن للمنصور أن يتخلّفَ عن القيام بالأمر لقلّةِ العدد ولضُعف المَددِ ، ومَن نصرَه الله (عج) فلا غالبَ له . فقام المنصور بالله (صلع) بالأمر في أوانه ، وتركه القائم (صلع) لانصرام أمرِه وانقطاع زَمانه . ولقد سمعتُهُ (صلع) يوما وقد شاوره شيوخٌ مِن شيوخ كتامة في وجه من وجوه الحرب في أيّام تلك الفتنة ، وكنتُ رسولَهم بذلك إليه ، فقال : قل لهم : فليَفْعَلوا من ذلك / ما أحبّوه . ثمّ قال : والله ما يمنعني من الرأي أحمِلُهم عليه، وإن كنتُ أرى وجهَ الصواب، إلاّ أن يكونَ عناءً! كأنّهُ (صلع) قد علِمَ أنّ أمر تلك الفتنة لا ينقطع على يديه أبدا (1) .

كلام في العدل ذكر في مجلس :

120 — (قال) وسمعت المعزّ (صلع) يوما يسأل بعض القضاة — وقد قدم عليه من عمله — عن عامل ذلك البلد ، فأثنى عليه القاضي خيرا .

فقال : بذلك أمرناه وغيرَهُ من عمّالنا ، فمن امتثل أمرَنا فقد سعِد في دُنياه وأخراه، ومن خالَفَنا برِئْنا إلى اللّه منه كما برِىءَ جدّنا رسول الله (صلع) إلى الله (عج) من خالدِ بن الوليد (2) لمّا خالف أمرَه .

كلام في مثل ذلك :

121 — (قال) وقدم بعض العمّال من عمله بمال وافر فذُكر/ له أمرُهُ واستؤذن له عليه ، وقد وقف بباب القصر بما قدِم به ، وتقدّمَتْ قبلَ ذلك الشكوى فيه .

---

(1) « أبدا » ساقطة من ب .

(2) إشارة إلى حادثة الغميصاء ، حيث أوقع خالد بقوم من بني جذيمة من كنانة وقتل منهم ناسا بغير حق . فقال الرسول (ص) : اللهم ، اني أبرأ إليك مما صنع خالد . وواداهم علي يد علي بن أبي طالب (أنظر : ابن عبد البر ، الاستيعاب 406/1 ، ومعجم البلدان ، 214/4) .

فقال (صلع) : والله لو قدم بأموال أوّلُها عندي وآخرُها في عمله وصحِب ذلك بعضُ ما صحِبه من الشكوى ، ما كان زكا لذلك عندي له موقعٌ . فلو لم يأتِ إلاّ بحُسن الثّناء عليه لوَقَعَ ذلك عندي موقعا . إنّا ۞ والله ما أمرناهم أن يدّعُوا لنا حقًّا إلاّ أخذوه ولا أمرناهم بظُلم أحدٍ ولا بالتجاوز إليه ، فمن خالف ما قد أمرناه به فالله المنتقمُ منه . أما والله لو صحّت (1) لنا شكوى مَن اشتكاه لما قصّرنا عن إقامة الحقّ لله فيه والإنصاف لمن ظلمه منه ، ولكنّا نسمَعُ الشكوى فلا نجِدُ لها تثبيتا ويأتي / مِنَ الرعيّة مَن يُبْطِلُها ، ويشكُرُ مَن شُكِيَ ويُزكّيه ويَحمَد سيرتَه ويُثني عليه ، فنوقِفُ الأمرَ إلى تبيينه . ولو صدَقَنا الناسُ وأنصفونا من أنفسهم وقالوا حقًّا لهم وعليهم ووجدنا منهم مَن نأمَنُه، لحسُنت أحوالُهم واستقامت أمورُهم، ولكنّهم من أنفسهم يُؤْتَوْنَ . والله يجزينا بما نضمره لهم ونُؤمّلُه من الخير فيهم إن شاء الله .

كلام ذكر في مجلس في فضل التّلطّف :

122 — (قال) وسمعته (صلع) يوما يذكر بعضَ عبيده ممّن استكفاه جليلا مِن خِدمته فأثنى عليه خيرا وقال : ما كلّفته عملا فاستنكَف عنه ولا ضجِر منه ولا عجَز عن احتماله ، ولا ناله أحدٌ بمكروه فشكاه إليّ ولا رفع إليّ أمرا علِمتُ منه فيه / حيْفا على أحد (2) ، ولا ضيّع لي واجبا . وإنّه ليرفع إليّ الأمرَ الذي لا بُدّ من رفعِه ممّا يكون فيه ما يوغِرُ الصّدرَ فيتلطّف في ذلك ولا يورده دَفعَةً ولكنّه يأتي بما لابدّ من رفعه منه شيئا بعد شيء ليسهُل أمره .

واستحسن ذلك من فعله وقال: إنّ الإمام إذا رُفع إليه الأمرُ لم يَسَعْه إلاّ إمضاءُ الحقّ فيه ، وقد يكون في بعض ذلك بعضُ المكروه ، فمَن استطاع أن يُصلِحَ ذلك دوننا فليَفْعَلْ ، فإنّ الحقّ ثقيلٌ إلاّ على من خفّفَهُ الله (عج) عليه .

وهذا كقول رسول الله (صلع) لصفوان بن أميّة (3) وقد أتاه برجل سرق له رداءً فأمر رسولُ الله (صلع) ۞ بقطع يده ، فقال صفوان : يا رسولَ الله

---

(1) من : والله ما أمرناهم ... إلى : لو صحت : سقطت من ب .

(2) سقطت « أحد » من أ .

(3) صحابي من أشراف قريش جاهلية وإسلاما ، كان من المؤلفة قلوبهم . توفي بمكة سنة 661/41 (انظر الاصابة : 181/2 ، الاستيعاب 176/2 وتهذيب التهذيب لابن حجر 424/4) .

لَـمْ أعلَـمْ / أنّ الأمـر يبلـغ به هذا : تُقْطَـعُ يدُه مـن أجـل ردائـي ! قـد وهَبْتُـه لـه .

فقال رسول الله (صلع) : فهلاّ فعَلْتَ هذا ولم ترفعه إلـيّ ؟ إنّ الحدّ إذا رُفع إلى الإمام لم يجب تركُه . وأمر بالسّارق فقُطِعت يـده .

وكقول عليّ (صع) : لو وجدت مؤمنا على فاحشـة لستَرتُه بثوبـي . وقولـه (عم) : استتروا عنّا ببيُوتكم فإنّه من أبـدى صفحتَه للحقّ هَلَك . /و/ في كثير من الرّوايات في مثل هذا /ما/ يؤيّدُ ما قاله المعزّ صلوات الله عليه .

كلام في العَدْلِ ذكر في مجلس :

123 — (قال) وكنت بين يديـه (عم) يومـا إلى أن رفـع إليـه بعـضُ أهل الأطراف أتَوْا يشكُون إليه عاملا كان عليهم،ورُفِعَت لهُم إليه رقعةٌ وقد كانوا رفعـوا قبل ذلك أخـرى . فقال : عجبـا لهؤلاء ! / يرون أنّا في غفلـة عنهم وعن غيرهم، وما شغلنا — إذا اشتغل ملوك الدّنيا بلذّاتهم — إلاّ النّظرُ في أمور مَن قلّدنا الله (عج) أمرَه واسترعانا إيّاه . وأنتـم تـرونّ ما نحن فيـه في كـلّ يوم من ذلك . وإنّما يلتذّ بالدنيا من رأى أنّها حظّه من الآخـرة . ولولا ما نعلمه لنا عندَ الله (عج) ما نظرْنا إلى الدنيا بعين، لما نحن فيه من مُزاوَلَتِها وأهلها .

ثمّ نظر إليّ ، فقال لي : قل لهؤلاء القوم : حسبكم أن تعلَمُوا أنّ خبرَكم انتهى ، فأمْسِكُوا عن الشّكوى . وكان قد بعث في عزل ذلك العامل ، فوافى بعد ذلك بأيّام قليلـة واستعمل مكانـه غيـره .

كلام في السّياسة ذكر في مجلس :

124 — (قال) وسمعتـه (صلع) يقـول — وقـد / أخـرج عسكـرا إلى بعض النّواحي — فقيل له : ما بالموضع ما يحتاج إلى * كلّ هذا .

فقـال : إنّـا لننظـر مـن حيـث لا ينظـرون ، وإنّ رسـول الله (صلع) أمر بإخراج جيش أسامة بن زيد (1) لأمر خفي عن النّاس يومئذ إلاّ لمن عرفه وأسرّه إليه . والله لو رضِينا من الدّنيا بالدّعة والسّعَة لكنّا في ذلك ، ولكنّ الله (عج)

---

(1) هـو أسـامـة بـن زيـد بـن حـارثـة . كـان أثيـرا لـدى الرسـول (ص) ، أمـره عـلى جيش فيـه من وجـوه الصحابـة جماعـة ، فمات النبـي قبـل أن يتوجـه أسامـة ، فأنفـذه أبـو بكـر . وفاتـه سنـة 54هـ . (انظر ابن سعد : الطبقات 189/2 وابن الأثير : أسد الغابة 64/1 وابن حجر : الاصابة 46/1) .

افترض علينا القيامَ بحقّه في أرضه والأمرَ فيها بالمعروف والنّهي عن المنكر ، فلسنا نُضيعُ ذلك ولو ثقل حِمْلُه وعَظُم أمْرُه .

سمعت المنصور بالله (صلع) يقول : أمر المهديُّ بالله القائمَ بأمر الله (عم) بالنّهوض إلى مصر (1) ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد خوّلَكَ الله ومكّنَكَ (2) وأعطاك من الدّنيا ما فيه سَعة وكِفاية / فعلامَ تَغمُّ نفسَك وتشغل صدرك ؟ دَعْ هذا حتى يأتيَ الله به عفوا .

فقبض (صع) كفّه اليسرى وقال : نعَم ، هذا المغرِب في قَبْضَتِي هذه — وبَسط اليُمنى — ولكنّ كفّي هذه من المشرق صفر . إنْ ثقُل عليك ما أمرتُك به ، خرجتُ له بنفسي .

قال : بل أنفُذ لما أمرتَ به يا أمير المؤمنين وأسارعُ إليه .

قال المعزّ (صلع) : ولقد علم المهديُّ (صع) أنّه لا يصل إلى ذلك ولكنّه أحبَّ أن لا يُضيعَ الحزمَ ولم ير ترك ما افترض الله (عج) عليه من الجهاد في سبيله .

ثمّ أنفذ المعزّ (صع) ذلك الجيشَ (3) فكان فيه من السّعادة والبَركة والفتح والصُّنع والسّعد ما لم يظنّه النّاسُ ، وظهَر من أمره ما قد رمز به المعزّ صلوات الله عليه .

كلام في فضل التّوبة / ذكر في مجلس :

125 — (قال) وسمعته (صع) يوما يقول — وقد أتاه عن حَمِيد بن يصل (4) أنّه يريد التّطارح إليه — فقال : إن كان له * عند الله خَلاق فيوفّقه لذلك وما أراه

---

(1) خرج القائم إلى مصر مرتين، الأولى سنة 301هـ بعد أن مهدت له حملة يقودها حباسة بن يوسف وصل بها برقة ومشارف مصر، ودخلا الاسكندرية معا سنة 302 ، ثم ذهبا إلى الفيوم . وتقهقر القائم منتصف شهر رمضان إلى إفريقية عندما بدأت زحوف قائد الخليفة العباسي مؤنس الفتى تنال منه .

والثانية كانت مستهل ذي القعدة سنة 306 ، حشد فيها جيشا من كتامة وعرب إفريقية وبربرها، ولاقى صعوبات من مؤنس قائد الخليفة المقتدر .

(انظر : ابن عذاري : البيان المغرب 171/1 ، 182 وابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم ، 11 وابن الأثير : الكامل 30/8) .

(2) أ : ملكك .

(3) الجيش المذكور في أول الحديث .

(4) حميد بن يصل المكناسي : قائد بربري ولاه المهدي تاهرت واستعمله ضد موسى بن أبي العافية . وسجنه المهدي سنة 933/321 لتقصيره في تتبع أعداء الفاطميين ، ففر من السجن سنة 940/328 والتحق بالأندلس ، فانضم إلى الجيوش الأموية (انظر : Lévi-Provençal : Histoire de l'Espagne musulmane, 2/102.

وكذلك : كتاب الاستقصاء للناصري السلاوي ، ج 188/1 ، ويسميه حميد بن يصليتن ، وهو ابن أخي مصالة بن حبوس) .

يوفّق له لما يعلمه له من سوء الطّويّة . فأمّا نحن ، فإنّا نتأسّى في عباد الله جلّ ذكره فيما خوّلنا من فضله ونمتثل فيهم أمره . وبعد : فقد أخبر جلّ ثناؤه في كتابه أنّه « يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ (1) » . وقال : « إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِم فَاعْلَمُوا أنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (2) » . فمن تاب إلينا قبلناه ومن استرحمنا رحمناه ومن استقالنا أقلناه ، ولا يوفّق اللّهُ لذلك إلاّ السّعيدَ من عباده ، وما أراه بالسّعيد .

ولقد رأيته في منامي في هذه / اللّيلة(3) وكأنّي وقفتُ على باب حصن قيل إنّه فيه ، فدعوتُ به ، فخرج في حال رثّة خسيسة حتّى وقفَ من وراء باب الحصن وقد فُتِحَ بعضُه ، فأخذتُ بمجامع أثوابه وهززتُه إليّ هزّةً منكرة فأخرجتُه . فسمعتُ صُراخ النّساء من داخل الحصن وعويلَهنّ عليه وهُنّ يقلن : أخذَه والله مولانا ! فقلت : نعم قد أخذتُه على رغمه ورغمكُنّ ! والله ما أظنّ اللّهَ يُوفّقُه لشيء ممّا يُقال من الخير .

فما كان بعد ذلك إلاّ بمقدار ما وصل الخبرُ حتّى جاء عنه أنّه هلك فصار إلى غضب الله ولعنته . حتّى إنّي أظنّ أنّ موته كان في الليلة الّتي رأى المعزّ (عم) ذلك فيها .

كلام في ذمّ بني أميّة ذكر في مجلس :

126 — (قال) وذُكِر / يوما عنده (صع) مَن بالأندلس من بني أميّة اللّعناء ، وقيل له ما يقال فيهم أنّ أباهم الواصِلَ (4) أوّلا دَعِيٌّ وليسَ له من يُنسب إليه .

(فقال) فإلى من يُنسبون إذن ؟ إلى الكلاب أم إلى القِرَدة أم إلى * الخنازير ؟ واللّه إنّهم لخيرٌ ممّن انتسبوا إليه — يعني الكلابَ والقِردة والخنازير — وإنّ من انتسبوا إليه أسوأ حالا منهم . فدعُوهم وما ادّعوْهُ ، فكفاهم عارا وخِزْيًا بانتسابهم إليه .

(1) الشورى ، 25 .
(2) المائدة ، 34 .
(3) سقط من ب : من عباده ... إلى ... الليلة .
(4) أي ، عبد الرحمان الداخل .

كلام في مجلس في فضل الصابرين (1) :

127 — (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صع) يوما في مجلسه يقول وقد ذكر الحرب: كَمْ مِن مذكورٍ بالتّقدمة ومعروف بالرّئاسة ومَوْصُوفٍ بالشّجاعة، إذا التَقَتْ في الحرب حلقتا البِطَانِ (2) / لم يَـرُدَّ (3) ولم يُعْرَف واستَتَر. ومِن غبيّ العِيان مجهولِ الحال والمكانِ تبدو في بعض تلك المواقف شجاعتُه، وتَظهَرُ فيها كفايتُه. وليس في كلّ موقف يثبُتُ النَّجْد (4) ولا في كلّ حين يقف الشّجاع.

فقال له بعض من حضر: لكنّ بلاد المهديّة وشبّان الصّابريّة (5) من أولياء أمير المؤمنين قلّ من شهِد منهم بعد ذلك مشهدا إلاّ عُرِف فيه مقامُه وتبيّن فيه أثَرُه.

فقال (عم): إنّ أولئك لا يقاسون بسائر النّاس، أولئك محضُ المحض ولُباب اللّباب، إنّه لم يقف معنا يومئذ ويصبر إلاّ نحنُ وأبناؤنا ومَن كان منّا، فالصّابرون والله معنا حينئذ هم الأبناء والإخوةُ والقَرابَةُ واللُّحمة، متى رأيتَ مَوْكِبًا من أولئك فلا ترى / إلاّ أنّه موكب من مَواكب آل أبي طالب.

يقول ذلك (صلع) وهو يتهلّلُ وجهه سرورا بما يقوله.

كلام في مجلس في وصيّة بعض الأولياء وقد خرجوا للجهاد :

128 — (قال) وكنت كثيرًا * ما أسمعه (صلع) يقول إذا حضر عنده شيوخ كتامة ووجوههم: إنّي والله لو ندَبتُ من أحداثكم ومَن عسى لا يُؤبه له منكم

---

(1) أ : كلام ذكر في مجلس في فضل القائم. ولا ذكر للقائم في كامل الفقرة.

(2) البطان : الحزام الذي يلي بطن الجواد. و«التقت حلقتا البطان» من أمثال العرب التي تضرب للأمر إذا اشتد.

(3) أ : لم يـر.

(4) أ : النجدة. والنجد : الشجاع الماضي فيما يعجز عنه غيره.

(5) هذه الاضافة جديدة على النصوص الفاطمية — فيما نعلم — ولها وجهان :
— الأول، وهو الأرجح، نسبة أستمد لها معنى الصبر من اسم صبرة الفاطمية عاصمتهم الثانية بعد المهدية، التي أسسها المنصور إلى جانب القيروان وعرفت بـ«المنصورية». وبذلك يكون قد أشار إلى مواليهم من أهل المدينتين : المهدية وصبرة.
— والثاني أنه ربما كان ذلك إشارة إلى فرقة من الجند تنسب إلى الخادم صابر الذي جلب جوهر الصقلي. (انظر البيان 221/1).

مَن أندُبه لأمرٍ تَرَوْن أنتم أنّه لا يقوم به غيرُكم ولا يصلُحُ لسواكم ، لكان مَن أندُبه إلى ذلك منهم عند ما أريده ، ولقام به حسب أملي فيه . واللّهِ ما سعِد لهُ منكم من سعِد وبان من بان إلاّ باختيارنا لَهُ وتنبيهنا إيّاه .

فلمّا همّ (صلع) بإخراج العساكر إلى سجلماسة لقصد ابن واسول (1) اللّعين المتسمّي بالإمام أمير المؤمنين / ، والطّريقُ إليها من البُعد والمشقّات والانقطاع والمخافات على ما يعظُـم في صـدور النّـاس أمره ، ويتهيّبُـونَ سُلـوكَه لذلك واقتحامَه ، أمَرَ (صلع) أن يُندَب لذلك مَن سارع إليه من شُبّان كتامة طائعا . فلم تَمْضِ أيّامٌ حتّى أتاه منهم من العَدد فوقَ ما أراده ، مسارعين إلى ذلك فرِحينَ به ، فأوسَع لهمُ العطاءَ وأجزل لهم الحِـباء .

فلمّا أرادوا الخروجَ حضر الشيوخُ وحضرتُ معهم مجلسَهُ ، فذكر مسارعة مَن سارع منهم إلى الخروج في ذلك الجيش ، وأنّه كان فيما تقدّم يتهوّل ذكرَ سلوك ما ندَبَهُم إليه دون تعاطي الخروج إليه وذكر تثاقُلَهم — قَبْلَ ذلك — عمّا هو دون ذلك .

ثمّ قال (صلع) : وهذا الذي كنت ذكرتُه لكم في / غير مجلس ومَقامٍ ، أنّي لو ندبتُ من عَسَيْتَ أن أندُبَه منكم لوجدتُ فيه ما أريده .

ثـمّ أذن لمَـن سـارع منهم إلى الخروج ، فدخلـوا عليه فوجًا فوجًا ، وغصّ القصرُ * بهم فأثنى عليهم خيرا وقال لهم قولا جميلا طويلا ، كان فيمـا حفظت منه أن قـال لهم :

بارك الله فيكم وأحسن صحابتَكم والخلافَةَ عليكم ! فقد صدقتُم ظنّي فيكم وأملي عِندَكم وأنتم من معدن البرَكة وعنصر الخير . بكم بدأ اللّهُ إظهارَ أمرنا وبكم يُتمُّه ويُصلِحُه (2) بحَوْله وقوّته ، وقد علمتُ مسارعتَكم إلى ما نُدِبْتُم إليه وإجابَتَكم لما أُردْتُمْ له ، وأرجو أن تبلُغُوا من ذلك بحسب الأمَلِ فيكم ، ويرفَعُ الله (عج) بذلك درجاتِكُم ويُعْلِي به ذكرَكم . أنتُمُ البَنونَ والإخوَةُ /

(1) انظر تعريفنا بابن واسول في ص 214 تنبيه 3 .

(2) ب : ويصلـه .

والأقْرَبُونَ ما يعدِ لُكُم عندي أحدٌ ولا يبلُغُ مبلغَكُم مِن قلبي بشَرٌ ، وما ذلك إلاّ لما لي في قلوبكم .

ما نصر الله وليّا من أوليائه قبلنا بمثل نُصرتكم لنا . على ذلك مضى أوّلُكم وعليه أنتُم ، على محبّتنا ونصرتنا وموالاتنا تتناسَلُون وتَنْشأون ، وبها غُذّيتُم وعليها فُطِرتُم . فأبشروا بما قسَمَ اللّهُ (عج) من الفضل لكم، فأنتم حزب الله وأنصارُه وجُندُه وأحبّاؤه . واللّهِ ما أردتُ بهذا البعث الذي بعثتُكُم فيه شرّا أستدْفِعُه ولا دفعَ مكروهٍ أخافُه ولا استكثارا من دنيا أصيبُها :

أمّا المكروهُ فقد علِم الخاصّ والعامّ والقريبُ والبعيد أنّ غايةَ أماني مَن حوْلَنا من أهل الأرض من المتغلّبين ممّن دان / بمِلّةِ الإسلام ، والمشركين . أن يسلَمُوا منّا ويُعافَوْا أمرَ بأسنا وما أحدٌ منهم أمسى وأصبح اليومَ بحمد الله يطمَعُ في شيءٍ ممّا عِندَنا .

وأمّا اكتسابُ حُطامِ الدُّنيا فها (1) نحنُ * نُنْفِقُ مِن أموالنا على هذا البعث ما لا نرى أنّا نرتَجِعُ مثلَه وإن مكّننَا اللّهُ وأيّدَنا ونَصرَنَا . ولكنّا أرَدْنا بذلك وجوهًا : منها ما افترضه الله (عج) علينا من جهاد مَن خالف أمرَنا وتسمّى بأسْمائنا وادّعى ما جعل الله (عج) لنَا . ومنها أنّ الله (عج) قد امتحن عبادَه بالجهاد في سبيله معَنا، فنحن ندُبهم إليه لنعلَمَ المجاهدين منهم والصّابرين. وليرفع الله (عج) به درجاتِهم ويُجزِل مَثُوبَاتِهم ويَنقُل حالاتِهم . فكم منكم اليوم / ممن ينفُذُ في هذا الجيش تابعًا يعود متبوعا ، ومرؤوسا يصيرُ رئيسا ! إنّما ترفَعُكُم عندَنا وعند ربّكم نيّاتُكم وأعمالُكم، وبها تتوسّلُون إلينا. وإلى بارئكم . لولا السنّةِ التي أمرَ الله عزّ وجلّ باتّباعها، التي لا يَصلُح العبادُ إلاّ بها . ما قدّمتُ عليكم أحدًا منكم ولا مِن غيركم إذ كلّ واحد منكم عندي يستحقّ أن يكون المقدّمَ ، ولكن لا يصلحُ النّاس إلاّ برئيس . وقد قدّمت عليكم من قد علِمتُمُوه (2) ، وأقمتُه فيكم مقامَ نفسي وجعلتُه معكم كأذُني وعَيْني ، وكلّ امرىءٍ منكم على نفسه بصيرة ، وقد أمرت لكم بأجزل عطاء أعطيتُه

---

(1) في النسختين : فهذا ، ومثله كثير في الكتاب .

(2) هو القائد جوهر (انظر البيان المغرب ، 22/1) . ولعل في « اعتذار » المعز على جعل الكتاميين تحت امرته دليلا على وجود منافسة بين قواد البربر والقواد الصقالبة .

مَن قَبْلَكم إلى أبعدَ من مسافتكمْ ، وقد علمتُم أنّه لم يُعْطِ مَن قبلَكُم / أحدٌ قَبْلِي مثلَ ما أعطيتُكم ، ولا استكثرتُ لكم ذلك بل أستقلّه لأقلّكم . والذي لكم عند الله وعندي في الذي تستقبلونه أجلُّ وأكبرُ . فسيرُوا على بركات الله ويُمنه وسعادتِه ونَصْره وتأييده ! كونوا عند ما رجوتكم له من الغَناء والكفاية * وصلاح الحال بينَكُم ! أحسِنُوا عشرةَ بعضِكم لبعض وعشرة من تَصْحَبونه من غيركم ، وأنـزلوا من ينفُذ معكُم من عبيدي منازلَ إخوانكم ، وأجمِعُوا معهُم كلمتكم ، فهم لكم عضُدٌ ولُحمة ، ومواليّ تجمَعُكُم وإيّاهُم ، فلا تجعَلوا بينكم وبينهم فَرْقًا ، أحسن الله لكمُ الصّحابةَ وعليكم الخِلافةَ .

فقبّلُوا الأرضَ مرارا بين يديه وشكَروا ما كان منه وَعَدُوا من / أنفسهم الوفاءَ بما أمرَهم به ، وغلب عليهم من السّرور بما سمِعوا منه ما ظهَر فيهم وتبيّن على وجوههم .

ثمّ أمر بإدخال من نفَذ في ذلك الجيش من الحضرة من قبائل البربر ممّن كانوا قد دخَلوا في الفتنة وأنابوا، بعد المقدرة عليهم، إليه، فقبِلهم وعفَا عنهم، كبني كملان(1) وغيرهم ، وقد سارعوا أيضا إلى الخروج . فلما صاروا بين يديه (صلع) قبّلوا الأرض / وقفوا ، فقال بعضُ من حضر من شيوخ كتامة: هؤلاء يا مولانا مِمّن قال الله (عج) وفيهم/ : « عَسَى اللّهُ أنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدّةً » (2) .

قال : نعم ! قد فعل الله ذلك بهم لما سبق لهم عنده من السّعادة ففازوا بالوَلاية بعد / العداوة وبالهدى بعد الضّلالة وبالنّصرة بعد القطيعة والمنابذة لنا والمحاربة ، فتوبَتُهم مقبولة وذنوبهم إن شاء الله مغفورة .

فقبّلوا الأرض بين يديه واعترفوا بنعمته وشكروا فضلَه وعفوَه .

فقال : كم سارع منكم إلى الخروج في هذا العسكر المنصور ؟

قالوا : كلُّنا يا مولانا مُسَارِعٌ إلَيْهِ ، فمن قَبِلْتَهُ فهو السعيد !

---

(1) قوم من هوارة مقرهم جبال أوراس، ساندوا أبا يزيد مخلد بن كيداد . وقتل المنصور منهم الكثير في وقعة الرؤوس بفحص باتنه . « واستأمنوا للمنصور إسماعيل فأمنهم على سكنى عيالهم بالقيروان » (انظر ابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد 19 ، 31، 39 ، وابن حزم : الجمهرة 496، وابن خلدون : العبر 235/6) .

(2) الممتحنة ، 7

قال : بارك الله فيكم ووفّقكم ، وأنـا أنظر (1) إن شاء الله فيما يصلحكم .

وأدخل العبيد فأوصاهم بمثل ما أوصى به الأولياء * وأمرهم بأن يكونوا لهم إخوة ومعهم ألـفة . وودّعوا وخرجوا .

كلام في السّر ذكر في مجلس :

129 — (قال) وحدّثه (عم) يوما عن بعض من كانت له وجاهة وسيرة (2) ورئاسة في العامّة / أنّه كان يجلس إلى خيّاط في بعض الأسواق غبيّ الحال لا يكاد يُرى إلاّ عنده يحدّثه ، وأنّه عُوتب في ذلك وقيل له : أما وجدت لحديثك غيرَ هذا ؟

فقال : لا والله ، وإنّ فيه لخصلةً ما وجدتها عند أحدٍ من الناس .

فقيل له : وما ذلك ؟

قال : يضيق ذَرعي بالحديث وأحبّ أن أحدّثَ به وأن لا يُنشَر عنّي ، فأحدّثُه به فكأنّما ألقَيْتُ[هُ] في بئر . لا والله ما سمعت عنه أنّه أعاد عليّ حديثا قط .

فقال المعزّ (صلع) : صدق والله ، وأحسن في اختياره . وإنّ من وُجِد فيه مثل ذلك لأهل لكلّ خير .

ثمّ ذكر رجلا من الأولياء كان له به وبالمنصور (صلع) اتّصال ، قال : فكان المنصور (عم) ربّما أخبرَني بالحديث / يجري بينَه وبين هذا الرّجلِ ويقول لي : سله عنه ، فأسأله ، فيأخذُ لي في معاريضَ منَ القولِ يريد أن يقطعَ بها سؤالي ، فإذا أعدْتُه عليه وأخذتُه بالجواب عنه وعرّفته أنّ المنصور بالله (صلع) أخبرَني به وأمرَني أن أجاريَه فيه ، قال : مولانا أصدقُ قولا ، ولعلّي أنا أنْسيتُ هذا الذي قاله . فأذكر ذلك للمنصور (صلع) فيستحسنُه له .

وترحّم المعزّ (صلع) على الرجل وأثنى عليه ثناءً حسنا .

---

(1) أ : سقـط : وأنا أنظـر .

(2) ... ـسط : وسيـرة .

كلام في حِلم المعزّ (صلع) :

130 – (قال) وركب المعزّ (صلع) يوما من أيّام الرّبيع إلى مكان وُصف له أنّ فيه زهرًا حسنا ونبتًا عميما وفي الطّريق الحاملِ إليه مثلُ ذلك ، فلمّا خرج (صلع) من باب / المنصوريّة اكتنفه النّاس يسألونه حوائجهم ويرفعون أمورهم ، فما زال يُقبِلُ بوجهه على الواحد بعد الواحد والجماعة بعد الجماعةِ منهم ويكلّمُهم ويجيبهم (1) حتّى انتهى إلى المكان الذي وُصف له، وانصرف وهو على مثل ذلك ما تملّى ممّا أراد النّظر إليه ولا أعاره الطّرفَ إلاّ اختلاسا ولا أضجره ما كان من أمر النّاس ، وإنّما حولَه لنضجَر له لذلك ، وإنّ المُشاةَ بين يديْه يدفَعُون النّاس فيأمرُهم بتخلية مَن يدفعونه ، وإنّ كثيرا منهم ليُطيل مسايرَتَه ويكرّرُ حاجتَه فيأمرُه مَن حوله بالانصراف ويغمِزُه بعضهم إرادةَ التخفيف عليه وأن ينظُرَ إلى ما خرج إليه / ، فينهاهُم عن ذلك ويأمر أن يدَعُوا مَن كلّمه إلى أن يقضيَ حاجتَه وينصرِفَ عن رأي نفسه .

وهذا دأبه في أكثر خروجه صلوات الله عليه ، ولا أعلَمُ ولا سمعتُ أحدًا وُصف بمثل ذلك من الصّبر وسَعة الصّدر .

(1) أ : سقط : ويجيبهم .

الجزء الثاني عشر

بسم الله الرحمان الرحيم

رمز بالباطن ذكر في مسايرة :

131 — قال القاضي النّعمان بن محمد : سايرت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه ، فذكر الجاحظ فذمّه وذكر مساويء انتحاله .

فقلت : إنّي رأيت في بعض مصنّفاته (1) شيئا كأنّه كان / عندي — قبل أن أسمع هذا من مولانا (صلع) — أنّه قد اتّصل (2) .

قال : معاذ الله ! * هو أخزى وأقبح نحلة من ذلك .

ثمّ قال : وما الذي رأيته له ممّا توهّمت له ذلك ؟

فقلت : قوله في قول الله (عج) : « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ : مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ ... إلى قوله : فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (3) ، » وأنّ الجاحظ قال في ذلك : أفيكون سليمان مع نبوّته وكرامته على الله تعالى وما سخّر

---

(1) انظر الحيوان 4 : 77 .
(2) هكذا في النسختين ، ولا نتبين المقصود من « اتصل » ، ولعل معناه : انتحل مذهب واصل بن عطاء المعتزلي .
(3) النمل 20 — 28

له من الرّيح والطّير والجنّ بأرض الشام فلا يعرف أمرَ ملِكة سبأ ولا اسمَها ولا دينَها على قرب مسافة ما بينهما حتّى يأتيَه بذلك الهدهدُ ؟ ! وأقلُّ ملك من ملوك الأرض اليوم قد علم مثل ذلك من أحوال مَن / كان في أطرافها من الملوك (1) ؟

ثمّ كأنّي رأيته وارى عن ذلك فجاء في ظاهر القول بحجّة هي مثله في الحال ، فقال : وهذا غير منكر في قدرة الله (عج) ، وقد أقام يوسف بمصر ما أقام ، ويعقوب أبوه بالشام لم يعرف خبرَه ولا أين هو . وأحد من يؤسر اليوم في أطراف الأرض ويكون في الحبوس والوثاق والمضايق يصل خبره إلى أهله ويكاتبهم بحاله .

وكأنّي رأيته جاء في الحجّة بمثل ما ابتدأه في القول وترك ذلك موقوفا . وقد كنت قديما أعتبر ذلك من قوله فلا أراه إلاّ كما ظننت به .

فما هو إلاّ أن تمّ قولي حتّى ابتدأني (صلع) فقال : وما في أمر الهدهد وما ذكره / من جهل سليمان (صلع) بأمر ملكة سبأ حتى أتاه به الهدهد ، ما يهوّل به الفاسقُ ويطيل ويُسهِبُ فيه هذا الإسهابَ ويُطنب مثل هذا الإطناب ؟ وهل علم أحدٌ من النّبيّين والمرسَلين والملائكة المقرّبين أمرًا من الأمور إلاّ من بعد أن كانوا به جاهلين ؟ والمتفرّدُ بعلم ما كان ويكون ، هو اللهُ ربّ العالمين . فأمّا من دونه من المخلوقين فلم يعرفوا ما كان ولا ما يكون إلاّ بإخبار الله (عج) إيّاهم بذلك وإخبار بعضهم بعضا عمّا شاهدوه وبلغهم وعلموه ، فكلّ إنسان بما غاب عنه جاهل حتّى يؤدّيَه إليه من شاهَدَه وأخبره عنه .

وقد يجوز أن يكونَ أوّلَ من / أدّى إلى سليمان أمرَ ملِكة سبأ الهدهدُ . ومثل هذا من الأمور قد يعلَمه من هو دون من يجهَله، كما يعلم أخبارَ ما في شاسع البلدان

---

(1) لقد عزا الجاحظ هذا القول لأصحابه فصدره بقوله : « ثم طعن في ملك سليمان وملكة سبأ ناس من الدهرية وقالوا ... » (الحيوان 85/4) وتعقبهم بالرد (انظر صفحة 86 وما بعدها) . والنقل هنا بالمعنى وليس من لفظ الجاحظ. والعجب للقاضي النعمان كيف تغيب عنه دقة الجاحظ وهو يثير مسألة الهدهد ، ولعله في هذا أحد أحدين : اما أن يكون قد طال الأمد على قراءته الحيوان فنسي التفاصيل ، أو أن النسخة التي طالعها كان بها سقط واختلال ، ونستبعد عليه التعمد ، برغم الخلاف بين المعتزلة والشيعة الذي نجد له أصداء واضحة في بعض فصول هذا الكتاب ، ولا سيما إبطال حجية العقل (انظر ص 423) وكذلك في بعض كتب الجاحظ « السياسية » مثل ك. العثمانية المعروف وكتاب « امامة معاوية » الذي ذكره المسعودي (مروج الذهب ج 3 ص 253) فقال انه يؤيد فيه إمامة بني أمية وينتصر بهم من علي وشيعته .

من دخلها من المسافرين ولا يعلَمُ ذلك من لم يَدْخُلْها من أهل الحكمة الفاضلين. فعلى نحوِ هذا علِمَ الهدهُدُ أمرَ ما كان بسبإ دونَ سليمانَ وأخبره به، وليس هذا من العلم الذي يجب به التّفضيلُ، ولا يُنسَبُ به مَن علِمَه دون من جهِله إلى العلم والحكمة عند ذَوِي التميز والعقول، وإنّما هو علم مُشَاهدة وعِيانٍ.

وإنّما العلم الذي يجبُ به التفضيلُ عِلمُ العقولِ والأذهانِ والبراهينِ والبيان .

ثمّ ذكر (صلع) من باطن هذه الآية في قصّة الهدهد/ وسبأ وسليمانَ جُمَلاً فتَحت لِي عِلماً جمّا .

كلام في السؤال جرى في مجلس :

132 — (قال) وسمعته (صلع) يقول : كان المنصور قدّس الله روحه وضاعف الصلاة عليه ، ربّما طارحَني شيئا من مسائل الحكمة فأجَبْتُه (1) بما يتهيّأ لي من الجواب . وإنّه ألقى عليّ مسائل قبل وفاته (صلع) تعذّر عليّ الجواب فيها وأظلَمَ ، فما * هو إلاّ أن قُبِض (صلع) حتّى تهيّأ لي ما كان اعتاص عليّ من جوابه دَفعة بغير تدبُّرٍ ولا رويّة . فعلمتُ أنّ ذلك كما قيل : إنّ الله (عج) ينقُل ما كان عند الماضي من الأئمّة إلى التّالي منهم في آخر دقيقة تبقَى من نَفَسِ الماضي (2) .

كلام في فضل المنصور والمعزّ (صلع) :

133 — (قال) وسمعته (صلع) / يقول : انتهت إلى القائم بأمر الله (صلع) في آخر أيّامه وفاةُ داعٍ من دعاته ببعض جزائر (3) المشرق ، وتنازع وصيّتَه رجلان

(1) هكذا في النسختين ، ولعلها : فأجيبه .
(2) انظر توضيح هذه العقيدة في ما يلي ص 267 .
(3) قسم الاسماعيلية العالم — مجال دعوتهم — مثل السنة الزمنية إلى اثني عشر قسما ، سموا كل واحد منها « جزيرة » ولا يزال تحديد هذه الجزائر غير واضح لدى الدارسين لاختلاف أسمائها وحدودها . وقد جعلوا على كل جزيرة « داعيا » هو « داعي دعاة الجزيرة » أو « حجة الجزيرة » يساعده ثلاثون « داعيا نقيبا » يراجعهم ويستعين بهم في كل ما يتعلق بجزيرته ، ولكل « داع نقيب » أربعة وعشرون داعيا نصفهم ظاهر ونصفهم مستتر . (انظر محمد كامل حسين : طائفة الاسماعيلية 133 ، وديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة ، 55 ، والقاضي النعمان : افتتاح الدعوة 1 والمقدمة الفرنسية 39 ، الحاشية 1 . وانظر كذلك : رسالة المبدأ والمعاد ، ص 12 لابن الوليد ، وإيڤانوف
Ivanow : Studies in early persian Ismailism, p. 23.

من أهل دعوته، كلاهما زعم أنّه أوصى إليه . فلَم يُمْض القائم (عم) من أمرهما شيئا حتّى قُبض قدّس الله روحه . واشتغل المنصور (عم) بما كان فيه من أمر الحرب إلى أن أخْمَدَ الله (عج) به نار تلك الفتنة (1) وأزال به المحنة . فكاتب الدّعاة ، فاحتاج إلى إثبات داعٍ بتلك (2) الجزيرة وكان لكلا الرجلين اللذَيْن ادّعيا وصيّة الداعي المتوفّى رسولٌ بالحضْرة أتى من عنده بكتاب يذكر أنّه وصيّ ويسأل إطلاقه .

فقال لي يوما : من تراه يصلح من هذين الرجلين لهذه / الجزيرة ؟

فقلت : الله ووليّه أعلم .

قال : قل عليَّ ذلك .

فتوقّفت واستعفيتُه .

فقال: لا بدّ من أن تقول ، وقد قلت أنا في ذلك ولكنّني أردت أن أعلم ما عندك فيه ، هل يوافق ما قلتُه أم يخالفه .

فقلت : يُنظِرُني أمير المؤمنين (عم) .

فقال : أنْظَرتُك .

فانصرفت فجوّلت فكري وأدرت نظَري فوقع اختياري على أحدهما، فكتبت اسمَه في رُقعة وجئت بها إليه فوضعتها بين يديه ، فقال : ما هذه ؟

فقلت : اسم الرجل الذي وقع اختياري عليه . فتركها * مكانها وأخرج رقعة مُدرَجَةً فقال : وفي هذه اسم مَن وقع اختياري أنا عليه منهما . وفتحهُما فإذا اختياره واختياري قد / وقعا على رجل واحد . فسُررت بذلك وحمِدت الله .

ثم جئته بعد ذلك فقال : أسرّك موافقتُك إيّايَ في أمر الرّجل ؟

قلت : وكيف لا يسرّني موافقة مولاي ؟

قال : فأزيدك سرورا !

قلت : إن تفضّل أمير المؤمنين (عم) .

فأخرج إليّ رقعة فيها توقيع القائم عليه السّلام بخطّه باختيار ذلك الرجل .

---

(1) يعني فتنة أبي يزيد .
(2) آ : داعي الجزيرة .

وقال : قلّبت كتُبه فمرّت بي على غير تعمّـد .

ورأيت الرّقاع الثلاث التي كتب القائم والتي كتب المنصور والتي كتبت أنا كأنّها كُتبت من نسخة واحدة يقـابل بعضُها بعضـا . وكان فيهـا : ادّعى وصيّة فلان فـلانٌ وفلانٌ ، فنظرت إلى كتاب كلّ واحد منهما فرأيت أنّ فلانا أحقّ بذلك لوجه كذا ووجه كذا / ، لم يزد ما في رقعة منها على أخرى .

(قال) فأدناني المنصور بالله إلى نفسه واعتنقني وضمّني إلى صدره وقبّل صفحة عنُقـِي وألصق خدّه إليهـا مـدّة طويلة وهو يبكي حتّى بلـ[ـت] دموعُه أطواقي وبكَيتُ لبكائـه . ولا والله مـا علمت ما كـان معنى ذلك البكـاء حتّى قبض (صلع) فعلمت (1) حينئذ أنّ ذلك كان وداعا منه لي ، وأنّه رأى — لمّا رآه — أنّ في ذلك أجلَه قد قرُب لِـمَا رآه انتقل إليّ من التّأييـد .

وليس هـذا الـذي قالـه المعـزّ (صلع) بخـلاف مـا قـالـه من انتقـال ما عند الماضي ، وإنّما ينتقل إلى الباقي في آخر دقيقـةٍ تبقّـى من نفَس الماضي ، إنّما ذلك فـي إكمـال الأمـر واستحقـاق الإمامة / ووجـوب الطاعـة ، لأنّ ذلك لا يكـون في اثنَيْـن * باقيَيْـن .

وأمّا الدّلائل والبرَاهينُ والقوّةُ والتأييدُ فإنّها توجد في الحجج في حياة الأئمّة كما ذكر (صلع) ، وتزيد حالا بعد حال إلى وقت الكمال، كلّما قرُب أجَل الإمام تقوّت أسبابُ حجتّه وظهرت علاماتُه. ولذلك ما كان من بكاء المنصور (صلع): لمّا نظر إلى المعزّ (صلع) قد وافقَه ووافقَ القائمَ (عم) علِـم أنّ ذلك من قوّة الدلائل ، وأنّ أجلَه قد قـرب .

وعلى مثل هذا تجـري أمورُ أكثر العالَـم ، لا ينتقل الشّـيء إلى الشـيء دفعة واحدة ولا يكون ذلك إلاّ على التّدريج والنموّ شيئا بعد شيء كنموّ الخلق ودخول الفصل من / الزمان في الفصل ، حتّى ينقضيَ الشّيءُ من الشّـيء ويخلُص بنفسه ويتَبَيّن بحالته وينسَخَ ما قبلـه .

ومن ذلك ما رُوي عن جعفر بن محمد (صلع) أنّه قال : عليّ (صع) عالِـم هذه الأمّـة ونحـن نتـوارث علمـه ، وليس يهلَك منّـا هـالك حتّى يـرى مـن أهلِـه مَن يعلَـم مثـلَ علمـه (صع) .

(1) ب : ما كان ... فعلمت ... ساقطـة .

وفي مثل بكاء المنصور (صلع) لمّا رأى اتّصال المادّة بالمعزّ صلوات الله عليه، قال بعض الحكماء: من سَرَّهُ بنُوُه ساءته نفسُه (1) ، يعنون أنّ/ـه/ بكمال الولد وزيادته يكون نقص الوالد وانحطاطه . وفي ذلك يقول بعض الشّعراء (رجز) :

إذا الرّجالُ ولَدَت أولادُها ... واضطربَتْ من كِبَرٍ أعضادُها
وجعلَت علاّتُها تعتادُها ... فهي زُرُوعٌ قد دنا حَصَادُها (2)

فإذا كان هذا في ظاهر خلق الأبدان وما يداخلها من الزّيادة / * والنّقصان ، فكيف به في باطن علم الأديان ؟ !

كلام في مسايرة في استقلال أمر الدّنيا :

134 — (قال) وسمعته (صلع) يقول : إنّ الله سبحانه يعطي الدّنيا من يشاء من أوليائه وعباده المؤمنين وأعدائه الكافرين ويمنعها من يشاء منهم . ولا يعطي الآخرة إلاّ أولياءه المؤمنين من عباده، وإنّا لنأثرُ عن جدّنا محمّد رسول الله (صلع) أنّه قال: لمّا أسْرِيَ بي إلى السماء لقيتُ ملَكا نازلا وملَكا طالعا ومعي جبرائيل ، فسألتهما عمّا أرسِلا إليه ، فقال أحدهما : أرسِلتُ إلى فلان الكافرِ الجبّار وقد اشتهى سمَكًا فلم يُوجَدْ له في الوقت فاستخرجتُ ذلك له ليُكمَل له في الدّنيا لذّتُه ولئلاّ يكون / له في الآخرة من نصيب . وقال الآخر : بُعِثت إلى عابد من العُبَّاد وقد طَبَخَ قدرا من عُشْبِ الأرض وبَقْلِها وقد واصل الصّومَ أيّامًا ليُفطِرَ عليها ، لأكْفِئَها (3) له لِئَلاّ يُكمِلِ الله (عج) له ما أرادَ من الدّنيا فيكونَ له منها حظٌّ ، ليُكمِلَ اللّهُ (عج) له حظَّه من الآخرة .

ثمّ قال المعزّ (صلع) : وقد أعطى الله (عج) سليمانَ بن داود وكثيرا من أوليائه الصالحين من عباده من الدّنيا كثيرا وأعطى كذلك الفراعنةَ والجبابرةَ ، وحرمَ كثيرا من أنبيائه وعباده الصّالحين إيّاها ، وفعَل ذلك

(1) هذا من أمثال العرب ، قاله ضرار بن عمرو الضبي (انظر مجمع الأمثال للميداني ، 333/2) .

(2) نسبهما الجاحظ في الحيوان 6 : 506 لأعرابي، وفيه : «وجعلت أسقامها ...» ، (وانظر : أبو هلال العسكري : الأمثال 246/2) . وذكر الطبري (التاريخ 5 : 335) أن عامل معاوية على المدينة كان إذا أراد أن يرد بريدا إلى معاوية أمر مناديه فنادى : من له حاجة يكتب إلى أمير المؤمنين ، فكتب زر بن حبيش أو أيمن بن خريم كتابا لطيفا ورمى به في الكتب وفيه الأبيات . فلما وردت الكتب عليه فقرأ هذا الكتاب قال : نعى إلي نفسي .

(3) أكفأ الإناء إكفاء : قلبه ليصب ما فيه .

بكثير من الكفّار ، وذلك من عدله (عج) بين عباده وحكمته في خلقه وقسطه بين بريّته ، لم / يظلم المُحسنَ فيما زوى عنه من الدّنيا ونقص منها عليه إذْ عوّضه منها ثوابَ الآخرة الذي هو خيرٌ له ، بل أحسنَ * في ذلك وأنعم عليه ولم يحرم المُسيءَ شهوتَه إمْلاءً له وإحسانا منه فيها إليه . فكلاهما بنعمته في الدّنيا مخصوص مرعيٌّ وفي الآخرة مُثابٌ مجزيّ ، وله الحجّة البالغةُ والنّعمة السّابغة على المحسن لنفسه والمُسيءِ إليها ، والناظر لها والجاني عليها ، ولا يظلم اللّهُ النّاس شيئا كما قال جلّ ثناؤه : « وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (1) » .

فحديث الملَكيْن معروف مشهور (2) ، ولكنّ الفائدةَ في بيان المعزّ (صلع) إيّاه وإقامة عدل الله (عج) وحكمته فيه . وما أحصي كم مرَّ بي هذا الحديثُ فما أفادَني شيئا / حتّى سمعتُ بيان المعزّ (صلع) وشرحَه إيّاه هذا .

وفي كتاب الله (عج) ما يشدُّهُ ويؤيّده ويُوضّحُه ويؤكّده . [فم]مّا قال جلّ ثناؤه : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ . أُولاَئِكَ الذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (3) » .

وقال : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا ، وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ (4) » .

وقال (عج) : « وَيَوْمَ يُعْرَضُ الذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا (5) » .

وقوله : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ / نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاَهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا . وَمَنْ أَرَادَ

(1) يونس ، 44 .
(2) حديث الملكين : لم نجده في الكتب الستة . وذكره عباس القمي في سفينة البحار ، ج 2 ص 548 .
(3) هود ، 15 – 16 .
(4) الشورى ، 20 .
(5) الأحقاف ، 20 .

الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مشكورًا ، كُلاًّ نُمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاَءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ * وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ، انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (1) » .

وكلّ هذا يؤيّدُ قولَ المعزّ (صلع) أنّ ذلك عدلٌ من عدلِ الله (عج) بين خلقه وحكمةٌ بالغةٌ في عباده وعطاءٌ ونعمةٌ منه ، كما قال (عج) في كتابه .

وقد جاء عن رسول الله أنّه قال : إنّ الله (عج) يُعطي الدّنيا مَن يحبّ ويُبْغِضُ ، ولا يعطي الآخرةَ إلاّ مَن يحبّ (2) .

وعن عليّ (صع) أنّه قال : الدّنيا عرَض حاضر يأكل منها البَرّ والفاجرُ / والآخرة وعدٌ صادقٌ لا ينالها إلاّ المطيعُ الشّاكر . ومَطَايِبُ الدّنيا ما زُوِي منها عن المؤمن لا يَنْكِيه كما يَنْكِي ذلك الكافرَ .

فما أحصي ما أفادني حديث المعزّ (صع) هذا ، من السُّلوان والصّبرِ عن فائت أعراض الدنيا وما يتعرّض فيها من النّكَد والتّكديرِ والشّدّة واعتياصِ الأمور ، إذا ذكرتُه عند (3) ذلك ونزّلت الأمر فيه تنزيلَه هو (صلع) . وكان حظّي من الفائدة بحمد الله في ذلك حظّا عظيما ، نسأل الله إلهَامَ الشُّكر والفوائدِ من كلّ أمرٍ .

حديثٌ في مجلسٍ فيه رمز من التّأويل :

135 — (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صع) أمير المؤمنين يوما في بعض مجالسه يقول : ذكر جدّنا أبو / جعفر محمد بن عليّ (صلع) (4) يوما لبعض أصحابه بعضَ ما خصَّه الله (عج) به من العلم (5)

---

(1) الاسراء ، 18 — 21 .

(2) حديث : ان الله يعطي الدنيا ... جاء في الجامع الصغير (ج 1 ص 359) حديث في هذا المعنى : إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة ، وأبى أن يعطي الآخرة على نية الدنيا . وجاء في الكافي للكليني (ج 2 ص 214—215 ، رقم 1—4) بلفظ أقرب إلى رواية المجالس .

(3) في أ : إذا ذكرنا عند ذلك ...

(4) محمد الباقر : انظر ص 77 .

(5) انظر الرأي في أن الذي « يجب قبوله وتعلمه ونقله من العلم هو ما جاء عن الأئمة من آل محمد » في دعائم الاسلام 84/1 .

وذكر ذلك المعزّ (صلع) عنه، قال : فرأى (عم) ممّن حدّثه بذلك ما دلّ على أنّه لم يحتمل ما سمعه منه وكأنّ أنفسَهُم أنكرَتْه ، فقال : إن تُنكرُوا ما قلتُ فما هو شيء افتعلته ، ولكنّهَا حكمة ورثتُها عن آبائي وفضلٌ خصّني به ربّي أن علّمني وآبائي من قَبْلِي علمَ كتابه الذي يقول فيه: « مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ (1) » وقال فيه : « تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ (2) ». فما من شيء من الأشياء إلاّ وهو في كتاب الله (عج) ونحن نعلَمُه .

قال المعزّ (صلع) : أليس قد قال رسول الله (صلع) في القرآن : فيه نَبَأ مَن قبلَكم وخبرُ مَن بعدَكم ؟

قلت : نعم !

قال : فأين / تجدون في الكتاب خبرَ مَن بعدَكم ؟

قلت : من عِندِكُم (صلع) نجده .

قال : من عندنا والله تجدُونه ، وكلّ ما تطلبون ، ما سلّمتُم لأمرنا وتمسّكتُم بحَبْلنا ودِنتم بإمَامَتِنَا .

وهذا الحديث الذي ذكره المعزّ (صلع) معروف مشهور ، يروى عن الحارث الأعور (3) قال : دخلت المسجد فأصبت النّاس قد وقعوا في الأحاديث ، فأتيت عليّا (صلع) فأخبرتُه بذلك .

قال : قد فعلُوها ؟ !

قلت : نعم !

قال : أما إنّي سمعت رسول الله (صلع) يقول : أما إنّه سيكونُ مِن بعدي !(قال) قلت : فمَا المخرج منها يا رسول الله ؟

---

(1) الأنعام ، 38 .

(2) النحل ، 89 .

(3) حديث الحارث بن عبد الله : ذكره الترمذي (ج 11 ص 30) بهذا اللفظ تقريبا ، وزاد : لا نعرفه الا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول ، وفي الحارث مقال . وذكره الدارمي (ج 1 ص 435) والسيوطي في الجامع الصغير (ج 1 ص 448) .

والحارث هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني الكوفي. من كبار علماء التابعين ، كان فقيها فرضيا، روى عن الامام علي وابن مسعود وزيد بن ثابت . شهد صفين مع علي . وكانت وفاته سنة 65هـ . (ابن حجر : تهذيب 145/2 الذهبي : ميزان الاعتدال ، 202/1) .

قال : كتابُ الله (عج) :فيه نبأ مَن قبلَكم وخبر مَن بعدكم وحُكم ما بينكم . هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه / من جبّار قصمَهُ الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلّه الله . هو حبل الله المتينُ ،وهو ذكرُه الحكيمُ،وهو الصّراط المستقيم . هو الذي لا تَزيغُ عنه الأهواءُ ، ولا تلتبِسُ به الألسُنُ ، ولا تشبَع منه العلماءُ ، ولا يخلُق على ردّ ولا تكرار ، ولا تنقضي عجائبُه . هو الذي لم تلبّث الجنُّ إذ سمعَتْه أن قالوا : « إنّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (1) » ، من قال به صدَق ومن عمِل به أجِر ، ومن حكم به عدَل ، ومن دعا إليه هُديَ الصّراطَ المستقيمَ ، ومن اعتصم « به غنِم . خذها يا أعورُ !

وما أدري كم مرّ بي هذا الحديث ولا كم قرأته وكتبته ، فلا والله ما أفكرت في قوله : وفيه خَبَرُ مَن بَعدَكم حتّى فتح لي ذلك المعزُّ (صلع) / .

وهذا حديث قد رواه عامّةُ أصحاب الحديث فينبغي لهم أن يطلبُوا في القرآن خبرَ مَن يأتي من بعدهم . فإن لم يجدوه فليسألوا عنه أهلَه كما أمرهم الله (عج) بقوله : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (2) » .

وقول المعزّ (صلع) : إنّ عندنا علمَ ما يُطلَب ، كقول جدّه علي (عم) :سَلوني قبل أن تفقدُوني ، فوالذي فلقَ الحبّةَ وبرأ النّسَمةَ لا تسألون[ني] عن علم ما كان وما يكُونُ وعن علم ما لا تعلمون إلاّ أخبرتُكُم به ، علّمَنيه النبيُّ الصّادقُ عن الرّوح الأمينِ عن ربّ العالمين . وكقول جدّه جعفر بن محمّد (صلع) : إنّ العلم الذي نزل به آدَمُ (عم) لم يُرفَعْ وإنّه يُتَوَارَثُ وهو / فينا نتوارثُه (3) .

كلام في مجلس في الحثّ على طلبِ العلم :

136 — (قال) وجلست بين يدي المعزّ (صلع) يوما مع جماعة من أوليائه فسكت طويلا وسكتنا ، ثم رفع رأسه ونظر إلينا ، فقال : ما لكم سكتّم هذا السّكوتَ ؟ ! أحصَرْنَاكُمْ (4) ؟ ! ألا تَسْأَلُونَنا عمّا تنتفِعُونَ به ؟ سلُونا عن أمر دينِكم ولا

(1) الجن ، 1 .
(2) النحل ، 43 .
(3) في توارث العلم بين الأئمة ، انظر ص 136 .
(4) أ : أحصرتكم . وحصره : أخجله وأفحمه فلم يقدر على الكلام .

تتهيَّبُوا أن تسألُوا . فإنَّ عندنا لكلِّ ما تريدون جوابًا كافيا وعلمًا شافيا . إنَّ أصحاب رسول الله (صلع) كانوا ربّما يتهيّبُون أن يسألُوه ،وكان الأعرابُ يردون عليه ولا يرجِعُون عن السّؤال عن كلِّ ما عرَض لهم . وكان أصحاب * رسول الله (صلع) يتمنَّوْن أن يأتيَ منهم من يسألُ بحضرتهِم ليسمَعُوا الجوابَ / .

فقلت : ألا أكون أنا أحد أولئك الأعراب يا أمير المؤمنين ؟

فتبسّم وقال : نعم ،فكن إن شئتَ !

فقلت : قد بلَغنا أنّ بعضَهم سأل رسول الله (صلع) فقال : يا رسول الله ، عَلِّمْنِي عمَلا يُدخلُني الجنّةَ . فأنا أقول : علّمنا ذلك يا أميرَ المؤمنين ،/ممّا/ لا غَناء بنا عن علِمه — وإن جهِلْنَا سؤالَه — وما يُرضيكَ ويُرضي اللّهَ عنّا لنحظَى به وبعِلْمِه .

فقال (صلع) : نعم . أخلصوا قلوبكم ونيّاتِكم ، واعملوا بما افترضَ الله لنا عليكم بمبلغِ طاقتِكم .

لينظُرْ أحدُكم ما يحبّه لنفسه . هل يحبُّ لها أن تكون على خير وهدى ؟

لينظر أحدكم ما يحبّه من ولده ، هل يريد منه إلاّ أن يكون عفيفًا / صالحا برّا تقيًّا ورِعا عالمـا ؟

لينظُر أحدُكم ما يُريده من عبْدِه، هل يريدُ منه إلاّ أن يكون أمينا مطيعا مجتهدا ؟

فهذا مرادي فيكم وبه تبلُغون رضى الله ورضانا عنكم .

فنظرت فيما قال (صلع) من هذا القول فوجدته جامعا لوجوه الخير كلّها ، ورأيت أنّه قلّ من يقوم به .

فقلت : يا مولانا ، وإن قصّرتْ بنا أعمالُنا؟فإنّا نرجو بلوغَ رضاك بعفوِك ونِعمتك وإحسانك وفضلِك وتغمّدك . وإنّا إن أتيناك فاستغفرْنَا اللّه واستغفرتَ لنا ، [نرجو]أن نكونَ كما قال الله (عج): «ولَوْ أنَّهُمْ إذْ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللّهَ تَوَّابًا رَحيمًا (1) »

---

(1) النساء ، 64 .

وأنت/ خلَف رسول الله (صلع) فينا ومفزَعُنا لاستغفارنا * من ذنوبنا وتقصيرنا وظلمنا لأنفسنا .

فقال : ذلك يكون مع ما قدّمْنا من تصحيح النّيات، وإلاّ فقد أخبرَك الله (عج) عن قوم سألوا رسول الله (صلع) أن يستغفرَ لهم عن غير نيّة فلم يَغْفِرْ لهم ، فقال : « سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الأعْرَابِ : شَغَلَتْنَا أمْوَالُنَا وَأهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِألْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ... الآيـة (1) » .

قلتُ : قد يعلَمُ الطبيبُ من حال العليلِ ما لا يعلمُه العليلُ من نفسه ، ومولانا أعلمُ بدائنا ودوائنا .

قال : أجَل، إنّ العليل إذا قبِل عن الطبيب ما يأمُره من أخذ الغذاء والدّواء شُفِيَ بإذن الله، وإن / خالف هَلَكَ. فأنتم إن قبلتم منّا سعدتم ونَجَوْتم وصرتم إلى الرّاحة الطّويلة والبقاء الدّائم ، وإن خالفتُمُونا أهلَكْتُم أنفسكم بخلافنا .

فقال بعض من حضر : فضل مولانا ورحمتُه يسعُنا وما نرجو غيرَ ذلك .

فقال : إنّ الله (عج) يقول: « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ (2) » . فمن اتّقى منكم فَلْيَرْجُ رَحْمَتَهُ

وفي مثل ذلك :

(قال) وانقبض (صع) عن الأولياء بعضَ الانقباض ، وجرى ذكر ذلك فاسترحمتُه واسترفقْتُه واستعطفْتُه ، فقال (عم) : والله ما هم بأرغبَ منّي في صلاحهم وبلوغهم نهايةَ آمالهم، ولكنّي لم أجد منهم من ذلك ما أردتُه، ولو وجدته فيهم لوجدوا عندي خيرَ الدّنيا / والآخرة . ولقد أقبلت فما أقبَلوا ودعوتُ فما أجابوا . فما كنتَ أنت صانعًا بولَدِك لو أسلَمْتَهُ إلى المكتب فترَكه وأقبَلَ على اللّعِب بالكلاب ؟

قلت : كنت أجهِدُ نفسي في تقويمه وتعليمه ولا أدعُه لاختياره .

---

(1) الفتح ، 11 .
(2) الأعراف ، 156 .

فقال : إلى متى ؟ وهل لذلك من غاية ؟ هيهات ! ما لمن لا يُقْبِلُ على الموعظة * في الوعظ من نهاية .

كلام في مجلس في غَمْط النِّعمة :

137 — (قال) وسمعته (صلع) وقد أُتِيَ برأس يعلى بن محمّد بن صالح (1) ورأس أخيه ، فوُضِعا بين يديه ، فقال : هذا ممّن قال الله فيه : « أفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ أفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (2) » ؟ . قد صنعنا بِهِ ما قد علمتوه ، أعطيناه من سلطان الله (عج) الذي أعطاناه / ، وملّكْناه وخوّلْناه وأعزَزْناه ، وكان رأيُنا فيه العفو والصّفح عمّا يبلُغُنا عنه من غمط النّعمة وكُفر الإحسان ما ظهر بالطّاعة ، فأبى الله (عج) لنا من أن نقرّ على المكروه والضّيْم ، فأبدى عليه ما أبطنَه وأظهر ما أسرَّه وعجّل منه انتقامَه وسلَبَه نِعمتَه كعادته عندنا فيمن كان كأمثاله .

كلام في فضل الطّاعة جرى في مجلس :

138 — (قال) وسمعته (صلع) يوما وقد دخل إليه جماعة من الأولياء والعبيد ورجال المملكة،فأوصاهم بوصايا كان فيما حفظتُه منها أن قال لهم: السعيدُ والله منكم مَن امتثل أمرنا وقبِل عنّا . واللّهِ ما هو إلاّ أن يأخذ المرء نفسه ويروّضَها قليلا على طاعتنا والعملِ بما يُرضينا ، / فما أيسرَ ما ينالُه من ذلك حتّى ينالَ خيرَ الدّنيا والآخرة . إنّ الله (عج) قد وصل أيّامَ سُلطاننا وظهورَ أمرنا بأيّام الآخرة ، فمن أحسَنَ منكُم فيها اتّصلَتْ له سعادةُ الدّنيا بسعادة الآخرة واجتمع له خيرُهُما ، ومن غلَبت عليه شهوةُ عاجلِ الدّنيا حتّى يخالفَ أمرنا ويعتاضَ منه حُطاما قليلا خسِر الدّنيا والآخرةَ . ذلك هو الخُسران المبين ، حسبُكم وصيّةً عنّا ما تشاهدُونه منّا * ، فاقتدُوا بنا واقتَفُوا أثرنا . واللّهِ لو لم تجب طاعتُنا واتّباعُ أمرِنا عليكم إلاّ بإحساننا في أمور الدّنيا إليكم،لكانَ من الواجب الوفاءُ لنا

---

(1) أمير تاهرت وافكان وطنجة . كان متمسكا بدعوة بني أمية ، وقتله القائد جوهر سنة 347هـ (انظر ابن خلدون : العبر 46/4 ، وابن الخطيب : أعمال الاعلام 164/3 ، وابن عذاري : البيان 222/2 والناصري : الاستقصاء 198/1) .

(2) الزمر ، 19 .

منكم وأن تكافئُونا بإحساننا إليكم . فكيفَ وقد جمعَ اللّهُ لكم بنا خيرَ الدّنيا والآخرة ؟ / والله إنّ الرّجلَ المتمسّكَ بشيء من المُروءة والأدبِ ليكونُ له الصّديقُ والصّاحبُ يأمره بالأمر فلا يرى مخالفَةَ أمره ، ويُكلّفُه الحاجة فيبذُل فيها مجهوده ، فكيفَ من يعتقِدُ إمامتَنا ويعرِفُ فَرْضَ طاعتِنا !

حديث في الإمامة جرى في مجلس :

139 — (قال) وسمعته (صلع) ذكر داعيا من دعاته بالمشرق فأثنى عليه خيرا ، قال : لمّا اخترناه للموضع الذي هو به قال بعض من أراد الطّعنَ عليه : إنّه ليس بالبارع في العلم . فقلت : ذلك الذي أوجبَ اختيارَه ليعلَمَ هُو ومن كان قد عرفه قبلَ أن يصلَ فضلُنا إليه إذ هو وصل ، كيف يكون تأثيره فيه ، وما يرى من مادّتنا عنده وما / يظهر من النّور فيه عند اتّصال أمرنا به ، فيكون في ذلك المعجزُ الباهرُ لنا .

(قال) فكذلك كان بحمد الله .

ثمّ قال (عم) : وماذا عسى أن يدّعيَ مدّعٍ شيئا من العلم إلاّ ما قد أثره عن آبائنا وأسلافنا بوسائط بينه وبينهم من أوليائنا (1) وعبيدنا . أثبتُهم حديثا وأصدقُهم لهجةً مَن يعبّر عن المعنى الذي يحتمل التّأويل والزّيادة والنّقص عند التّحصيل(2) ، فذلك أفضل أم من نُمِدّه بالهداية والفوائد والحكمة ؟

وأبعد النّاس واللّه من العلم وأقربهم من الجهل من تعاطى علما لم * يثبّته عنّا وادّعى حكمةً لم يأخذها منّا ، وما أكثرَ ما هلك من خالفنا إلاّ بإعجابهم بأنفسهم / وأنَفتهم أن يسألونا كما أمرهم الله (عج) في القرآن المبين إذ قال : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (3) » ، فلم يفعلوا واتّبعوا أهواءَهم واستعملوا آراءهم فأضلّوا كثيرا وضلّوا عن سواء السّبيل .

---

(1) ب : سقط : وأسلافنا ... أوليائنا .

(2) ب : عند التمحيص .

(3) النحل ، 43 .

كلام في مجلس في ذكر أهل البغي والفساد :

140 – (قال) وسمعته (صلع) يقول يوما وقد ذكر أهل البغي الذين نجموا في أيّام القائم ، وقتَلَهُم المنصورُ صلّى الله عليهما وأحرقَهم بعد القتل ، بالنار .

فقال المعزّ (صلع) عند ذلك لجماعة بين يديه : ما تقولون فيهم وفي حالهم في عصر القائم وفيما صنع المنصور (صلع) بهم ؟

قالوا : وما عسى أن نقول في ذلك وهو فعل إمامَيْن ؟

قال : فما يقول النّاس فيه ؟ أترون أنّ / القائم (صلع) قبِل فيهم ما قالوه فقتّل مَن قتَل وعاقب من عاقب ، ثمّ رأى المنصور (صلع) أنّ ذلك باطل وظلم ، فقتلهم بهم ، وفي ظاهر ذلك إنكار فعل القائم (عم) وتغيير أمره ؟

قالوا : قول النّاس في ذلك يختلف بقدر اختلاف أهوائهم .

فقال : أما إنّي والله لقد قلت في ذلك قولا بحضرة المنصور (صلع) وقد جرى عنده ذكر ذلك وبحضرته جماعة ، فجعلوا يشكرون له فعلَه فيهم ويصفون ما كان منهم ومن ابتليَ بأسبابهم حتّى لم يبقَ لهم إلاّ أن يجرّدوا القول بظلم القائم (صلع) . وإن كان في فحوى قولهم ما أوجب ذلك في اعتقادهم لما ، أبدوه من قولهم .

فضاق لذلك صدري وقلت فيه / للقوم قولا غليظا بيّنتُ لهم فيه خطأ ما كان منهم ، فابتهج لذلك المنصور (صلع) وقرّبني إليه وضمّني إلى صدره وقبّل بين عينيّ وقال : وفَيْتَ للقائم (صلع) لما كان يخصّك به من المحبّة ويؤثرك به من القرب منه والاختصاص به .

فقلت : إن رأى أمير المؤمنين أن يكشف لهؤلاء القول في ذلك ويبيّن لهم حقيقة معناه ليعلموا ذلك ، فعله .

فأطرق مليّا وتنفّس الصّعداء ثمّ قال : والله ما كانت الجناية يومئذ من أولئك القوم السّوء إلاّ عليه ولا كان المُمتَحَن غيره . لما كانوا يوردونه عليه ويرفعون إليه ممّا لا يسَعُه تركه ولا إهماله ولا الإغضاءُ عنه دون الوقوف

على حقيقة / أمره وصدقه من كذبه. والله ما عاقب أحدا بقول أحد من هؤلاء وإن رفعوا ما رفعوه، ولا عاقب من عاقب إلاّ بقول قوم كانت لهم ولاية واختصاص، وكان يأخذ بهم قبل ذلك ويعطي ويثيب ويجزي من بعد أن راجعهم في ذلك وحذّرهم إثمه وتأكّد عليهم في ذلك وناشدهم الله له إذا كان ما رفعه هؤلاء على سبيل شبهة . وما لم يكن لمن ارتضاه قطعُ القول فيه – وهو أكثر ما رفعه هؤلاء – أبقاه وأوقفه إلى أن ينظرَ فيه. وما عاقب إلاّ القليلَ بعد استفراغ المجهود في الكشف والبيان ، وأبقى ما أبقاه إلى أن أفضى أمر ذلك إليّ فاتّضح عندي ما اتّضح ،وصحّ ما صحّ، ووجب لديّ / ما * فعلتُه . فأمضيتُ ذلك الفعل فأطلقتُ بعضا ببراءتهم، وبعضا بشُبهَةٍ رأيتُ سترَ الأمر فيها عليهم، وبعضا بالعفو عنهم حسب ما أوجبه الزّمان والوقتُ ، ولو (1) مُدّ في أيّام القائم (صلع) إلى ذلك العصر لم يَعْدُ ذلك الفعل .

ثمّ قال المعزّ (صلع) : فالقائم والمنصور صلوات الله عليهما في ذلك كنفس واحدة وأمرهما فيه متّصل غير منقطع ، كما أنّ الإمام الواحد يرتضي حال الرجُلِ من رجاله فيستعمله ويولّيه ويقرّبه ويخصّه ويدنيه، ثمّ يَتبينُ له بعدَ ذلك ما يوجب عزلَهُ وإبعادَه فيُبعدُه ويُقصيه ويَعْزِله ، وربّما استحقّ عنده القتلَ فيقتُله ، وربّما تمادى رضاه عنه ولم يتبيّنْ / له ما يُوجبُ سُخطَه عليه أيّامَ حياته، ويتبيّنُ ذلك للإمام الذي يأتي من بعده فيفعل ذلك فيه ، وكلاهُما على هدى من الله وصواب وتوفيقٍ وإرشادٍ .

فعلى مثل هذا جرى أمر هؤلاء ، لا على أنّ القائم بأمر الله (صلع) فعل فعلا أنكره المنصورُ فغيّره. ولكنّه تبيّن له ما كان القائم بأمر الله (عم) أوقف [من]ذلك الأمر إلى أن يتبيّن له ما تبيّنَ للمنصورِ (عم) فأمضاه على مَا لَوْ تبيّنَهُ القائمُ لم يَعْدُ فعلَه . وقد قال الله (عج) : « يَا أيُّهَا الذينَ آمَنُوا إنْ جَاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (2) » ولم تجب عقوبة القوم أوّلا فيما رفعوه ولا عقوبة من رفعوا فيه دون البيان الذي أمر / الله (عج) به .

(1) أ : وكما لو ...
ب : كما لو ...
(2) الحجرات ، 6 .

ثمّ قال المعزّ (صلع) : والواجب في مثل هذا على العباد التّسليم لأولياء اللّه وترك * الاعتراض فيه عليهم والإنكار لفعلهم، إذ كلّ فعلهم حكمة وصواب فيما عرفه العباد أو جهلوه، ورضُوه أو كرهوه ، لأنّ أفعالهم بأمر الله سبحانَه وتعالى ، كما أن الله تبارك اسمه يُحيي ويُميتُ ويُصِحُّ ويسقم ويغني ويفقر ويُعزُّ ويُذِلُّ ويرفع ويضَعُ . وذلك كلّـه منه (عج) حكمة بالغة وعدل وصواب ، «لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ (1) » كما قال وهو أصدق القائلين .

وكذلك ما يجريه على أيدي أوليائه هو أمر من أمر الله (2) وحكمة من حكمته وعدل على عباده .

وليس تتغاير أفعال أولياء الله ولا تختلف وإن / اختلف ظاهرها في العيان . لأنّ لكلّ حكم منها وقتا وزمانا لا يصلُحُ إلاّ عليه ولا يستقيم إلاّ به . وذلك كلّه صواب وحكمة ، وإن رآه النّاس تغايرا واختلافا .

---

(1) الأنبياء ، 23 .

(2) أ : من أمره .

الجزء الثالث عشر

بسم الله الرحمان الرحيم

كلام ذكر في مجلس في اختلاف ظاهر طباع الأئمّة (صلع) :

141 — قال القاضي النّعمان بن محمد: سمعت الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يذكر اختلاف أحوال الأئمّة فيما يراه النّاس في الضبط والكفاية والقيام بأمور الأمّة، فقال : إنّ الله (عج) * قد فرّق من ذلك بين أحوال النبيّين فقال وهو أصدق القائلين لنبيّه محمد سيّد المرسلين صلّى الله عليه وعلى آله / : « فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ (2) » فأخبره أنّ[ه] من رسله أولي العزم (3) ، وقال: « وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا(4) » ، وذكر قصّة يونس (عم) وأنّه ضاق ذرعا بما حُمِّلَه من الرسالة وذهب مغاضبا . وأنبياء الله على ذلك في درجة النبوّة والمنزلة من الله (عج) .

---

(1) ب : قبل البسملة ، كتبت هذه العبارة : الجزء الثالث عشر من الأجزاء المؤلفة من كتاب المجالس والمسايرة (كذا) لسيدنا قاضي القضاة النعمان بن محمد .

(2) الأحقاف ، 35 .

(3) أ : فأخبره من رسله أولو .. زم .
ب : فأخبره أن من رسله أولو العزم .

(4) طه ، 115 .

وكذلك الأئمّة صلوات الله عليهم منهم ذو عزم وحزم ، ومنهم أولو رأفة ورحمة ، ومنهم ذو جلَد وصبر ، ومنهم من لا يحتمل شدّة الأمر . وكلّ واحد منهم يصلح لزمانه ويحسن لمكانه لأنّ الله (عج) هو الذي اختارهم وأقامهم وجعل كلّ إمام منهم حجّةً على أهل عصره وقائما فيهم بأمره .

ثمّ ذكر (صلع) ما امتحن / الله (عج) به القائم (عم) من فساد أهل زمانه وما كان من أمر الفتنة في أيّامه ، وصبرَه على ذلك واحتماله (عم) ما حمّله واستضلاعه به (صلع) ورحمتَه (1) .

كلام ذكر في مجلس في القرب والبعد :

142 — (قال) وسمعته (صلع) يقول : كم من قريب منّي يراه النّاس أخصّ الناس بي وهو أبعدهم منّي ، وشاسع عنّي بعيد هو أقرب إليّ من حبل الوريد . فمن أراد أن يعلم مَن قرُب منّي ممّن بعُد فلينظر إلى أحواله وأعماله . فوالله لا يقرب منّي إلاّ من قرّبَتْه أعمالُه (2) الصّالحةُ ولو كان في أطراف الأرض ، ولا يبعد منّي إلاّ من باعدته قبائحُ أعماله ولو كان تحتَ سريري هذا . القريب والله / منّي في الدّنيا من جمعه معي رضوان الله في الآخرة ، والبعيد من باعده عنّي سخطُ الله في الآخرة . فمن شاء أن يغترّ به لما يرى من قربه وهو على خلا[فه ، فـ]ـما يرضاه الله (عج) منه (3) .

كلام ذكر في مجلس في فساد أحوال أكثر الناس (4) :

143 — (قال) وذكر (صلع) فساد أكثر النّاس وما يحاوله من ذلك ، فقال : إن نحن حلُمنا عن زلاّتهم وسيّئاتهم لم يحتشموا وظنّوا أنّهم على صواب في أفعالهم ، وإن نحن أبْدَيْنَاها لهم ولم نُعاقِبهم عليها كان ذلك ذريعةً لهم إليها . والله المستعان على ما نحاوله من أمورهم .

---

(1) في النسختين : ورحمته كما أثبتنا ، ولا صلة لها بالسياق ، ولعلها بقية دعاء معطوفة على (صلع) .
(2) ب : فمن أراد أن من قرب مني إلا من قربته أعماله ...
(3) أ : فمن شاء أن يغتر بمن شاء أن يغتر به ... والقراءة بعد ظنية .
(4) ب : أحوال الناس .

كلام جرى في مجلس في ذمّ بني أميّة :

144 — (قال) وسمعته (صلع) / يوما يقول : بلغني أنّ هؤلاء اللعناء بني أميّة يلعنوننا على منابرهم بالأندلس. وقديما ما فعل ذلك اللّعناء آباؤهم وكانوا يلعنون عليّا (صلع) على منابرهم فما زاده الله (عج) بذلك عنده وعند الخلق إلاّ رفعة ولا زادهم إلاّ عارا ونقيصة . إنّما أراد الفَسَقَةُ بذلك، الانتصار لأسلافهم لعناء رسول الله (صلع) وطردائه ولولا ما ظاهَرُوا النّاس به من انتحال الإسلام لم يقتصروا في ذلك علينا ولأبدوه في رسول الله (صلع) .

ولن يعدوَ لعنُهم إيّانا أمرَيْن : إمّا أن ينسبونا إلى تَسَبّنا من رسول الله (صلع) عند لعنهم إيّانا ، فكفاهم بذلك خزيا عند الله وعند عباده . وإمّا / أن ينسبُونا إلى غير أنسابنا فيصرف الله ذلك عنّا كما قال رسول الله (صلع) فيما كان أسلافهم يتناولونه به قبل أن يُمَكّنه الله (عج) منهم : فكانوا يسمّونه مُذَمَّمًا ويسبُّونه . فقال : أما ترون ما صرف الله عنّي من شرّ هؤلاء ؟ يسبّون مذمّما ولست به (1) ؟

ثمّ قال : وإنّما اللّعن في اللّغة الطّرد . فهم طرداء رسول الله (صلع) لا يدفعون ذلك ولا يُنكرونه، هم ولا من انتصر لهم . فهم أهل اللّعنة من الله ومن رسوله .

ثمّ قال : والله إنّ في أنسابهم لمقالاً واتّساعا للطّعن ومجالا ، ولكنّهم لو نُسِبوا إلى القردة والخنازير لكانوا أفضلَ ممّن نُسِبُوا إليه: عبد الملك بن مروان اللّعين ابن اللعينَيْن الطّريد ابن الطريديْن، / لعن رسول الله (صلع) جدّه الحكمَ وأباه مروان اللّعين في صلبه ونفاه عن حرمه، فلم يزل ومروان منفيَّيْن حياةَ رسول اللّه (صلع) وحياة القائميْن من بعده إلى أن ردّهما عثمان . وكان ذلك من أعظم ما نقم النّاس عليه واستحلّوا قتله من أجله . ونفى رسول الله (صلع) جدّه لأمّه معاوية بن مغيرة بن أبي العاص بن أميّة فتخلّف فأمر عليّا صلوات الله عليه فضرب عنقه ، فهذه أصولهم التي ادّعوها وأنسابهم التي انتسبوا إليها فكفاهم عارا وخزيا ونقيصة بها ، فما يضعهم واضع يريد ضَعَتهم بمثلها ولا يَنقصهم بأنقصَ منها .

---

(1) حديث : يسبون مذمما : ورد عند البخاري ج 4 ص 225 وابن حنبل 2 / 244 رقم 7327 على هذه الصورة : ألا تعجبون كيف يصرف عني شتم قريش ؟ يشتمون مذمما ، ويلعنون مذمما، وأنا محمد !

قول في قبول الموعظة :

145 — (قال) * وذكرت للإمام المعزّ / لدين الله (صلع) يوما ما يتفاوض النّاس فيه ممّا يأثرون عنه ويسمعون منه من المواعظ والحكَم في خطبه ومواقفه ومخاطباته ومواعظه وما دُوّن من ذلك وكتب . فقال : ما يروون بحمد الله من ذلك عنّا ويسمعون منّا إلاّ ما يرضاه الله (عج) ويتقبّله إن شاء الله . وما نريد بما نقوله لهم ونُثبّتُه فيهم ، و[ما] نبتغي به إلاّ وجه الله ، ونحبّ به صلاحهم وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم . فإن قبلوا عنّا ما يسمعونه منّا فقد فازوا بذلك ، وإن يُعرِضُوا عنه فما علينا إلاّ النّصيحة لهم والبلاغ إليهم . وهم بحمد الله في عصرنا أمثلُ منهم في غيره لما منّ الله به عليهم من إقبالنا عليْهم (1) : ونسأل الله توفيقهم لما يرضيه / ويرضينا عنهم .

وفي مثل ذلك :

146 — (قال) وسمعته قبل ذلك يقول (عم) : سمعت المنصور بالله (صلع) يقول : قد كنت أحبّ أن لو أثر النّاس عنّا ما نقول ووَعَوْه وكتبوه ، فإنّ ذلك ممّا كان ينفَعُهم ومَن يأتي من بعدهم .

قال : وذكر رجلا من ذوي الفهم بعلوم الدّنيا وآدابها وأخبارها قد صحبَ المهديّ والقائم (صلع) مدّة أيّام سلطانهما وفي خدمتهما وكان خصيصا بهما قريبًا منهُمَا . ثمّ كبُرت سنّه وخرق وثقُل وضعُف في أيّام المنصور (صلع) . فأهدى إليه كتبا جمعها وألّفها في الأخبار عن سِيَر بني أميّة وبني العبّاس وأخبارهم وما جاء عنهم من روايات المخالفين لنا والصادّين عنّا وعن أمرنا / .

فعجبت لرجل صحب من الأئمّة (صلع) مَن صحب وقرُب منهم كمثل ما قرب أكثرَ (2) أيّام حياته وعامّةَ عمره ، لم يوفّق إلى جمع شيء ممّا سمعه من حكمة جرت على ألسنتهم ، أو علم علِمه عنهم ، فيخلّد ويُؤثَر عنه ويكتب ويسمع منه . مكانَ هذا الذي جمعه ورأى أنّه أتحفَنا به .

(1) أ : إقبالهم عليهم .
(2) أ : ما قرب أيام حياته .

وهذا ممّا ذكره المعزّ (صلع)، في الحديث الذي قبل هذا : أنّ الناس في عصره بحمد الله أمثل منهم في غيره (1) إذ هم يأثرون ويرغبون ويكتبون .

كلام في الموعظة جرى في مجلس (2) :

147 — (قال) وسمعته (صلع) يوما ذكر قولا لبعض المخالفين فقال : لولا أن يُحْمَلَ القولُ عنّا لما كان ينبغي أن يُحتَجَّ على مثل هؤلاء إلاّ بكذا وكذا — وذكر قولا لبعض المخالفين أيضا — (قال) لأنّ هؤلاء لا يكادون يفقهون قولَ أهل الحقّ وإنّما / يقرب من عقولهم ما شاكلها من قول المُبطلين مثلهم .

قد كان (3) بعض الحكماء المتقدّمين عرض له مثل هذا من قوم لم يرَهم يفقهون إلاّ ماَ قارب عقولَهم فخاطبَهم من حيث يعقلون بما ليس هو من وجه الصّواب عنده . فحُمِل عنه ذلك وأضيف إليه إلى أن صار يعتذر منه إلى من يفهَمُ ويبيّنُ الوجهَ فيه لمن يعلّم . فما الحيلة فيمن لا يفهم قول الحقّ ، وإن خوطب بغيره عاد ذلك وبالا على من يخاطبه به ؟ إنّ هؤلاء « إلاَّ كَالأَنْعَامِ » كما قال الله (عج) « بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً (4) » .

كلام في الروح جرى في مجلس :

148 — (قال) وسألته (عم) عن الحديث الذي يروى عن رسول الله (صلع) / أنّه وقف على القَليب (5) يوم بدر وقد رُمِي فيه من قُتِل من قادات المشركين يومئذ ، فقال : يا عتبةُ بنَ ربيعة (6) يا شيبةُ بنَ ربيعة (6) يا فلان

---

(1) « في الحديث ... في غيره » : ساقطة من أ .
(2) ب : كلام في مخاطبة الجهال .
(3) ب : ولكن قد كان .
(4) الفرقان ، 44 .
(5) القليب ج قلب وأقلبة ، البئر قلب ترابها ، وحديث القليب يروى في سيرة ابن هشام (ج 1 ص638 — 640) بهذا اللفظ تقريبا مع أبيات حسان بعد وقعة بدر ، ومنها (وافر) :
يناديهم رسول الله لمّا ... قذفناهم كباكب في القليب :
ألم تجدوا كلامي كان حقا ، ... وأمر الله يأخذ بالقلوب ؟
(6) عتبة وشيبة ، ابنا ربيعة ، من بني أمية بن عبد شمس، قتلا يوم بدر ، الأول قتله عبيدة بن الحارث ، والثاني قتله حمزة بن عبد المطلب (انظر المعارف لابن قتيبة ، 156 وطبقات ابن سعد ، 16/2 — 17) .

يـا فـلان ، — فذكرهم بأسمائهم — هـل وجـدتُم ما وعـد ربُّكم حقّـا ؟ فإنّي وجدت ما وعـد ربّـي حقّـا .

فقيل له : يا رسولَ الله (صلع) ، تكلّم جِيَفًا خاوية ؟

فقال : ما أنتمْ بأسمعَ منهم ، ولو أذِنَ لهم في الجواب لأجابوا .

فقلت : إنّ فريقا من العامّة احتجّوا بهذا الحديث في بقاء الأرواح وأنّها تكون بعد خروجها من الأبدان قائمةً تُثَابُ وتُعَاقَبُ إلى أن يبعث اللّه الخلقَ فتعودُ إلى الأبدان كمـا كـانت . واحتجّـوا بقـول اللّـه (عج) : « النَّـارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُـدُوًّا وَعَشِيًّـا وَيَـوْمَ تَـقُـومُ السَّاعَـةُ أدْخِلُـوا آلَ فِرْعَوْنَ أشَـدَّ الْـعَـذَابِ (1) » ، وبـالأخبـار / فـي عـذاب القبـر وغيـر ذلك .

وقال آخرون : مخاطبة رسول الله (صلع) لأهـل القَليب وقـولـه للذين سألـوه عن ذلك : ما أنتـم بأسمعَ منهم ، شيءٌ خصّـه اللهُ بـه في هـؤلاء خاصّة فأسمعَهُم قولَـه بعد المـوت كما سمـع قولَ عيسى مَن أحياه . فأمّا الأرواح فإنّها تفنى (2) بخروجها من الأبدان كما تفنى الأبدان، ثمّ يعيدها الله (عج) في النّشأة الآخرة كما قال .

واحتجّوا بقوله : «[و]مَا أنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (3) » وبغير ذلك مثل قولـه : «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (4) »،وقولـه : «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاّ وَجْهَهُ (5) » وقولـه «كلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ (6) » .

فقال المعزّ (صلع) : في الرّوح كلام جليل يحتاج إلى شرح طويلٍ وأصلٍ يؤصّل له / وفروعٍ تتفرّعُ منه في ابتدائه وانتهائه وانتقاله ، سوف تسمعونه إن شاء اللّه .

---

(1) غافـر ، 46 .
(2) أ : لا تفنـى .
(3) فاطـر ، 22 .
(4) الرحمـان ، 26 .
(5) القصص ، 88 .
(6) آل عمـران ، 185 .

وأمّـا مـا سألـتَ عنـه مـن قـول رسـول اللّـه (صلع) لأهـل القليب ، فـإنّـه لـم يُـرِدْ بـه خطـاب أولـئك المـوتـى ، فـإنّهم * قـد عـايَنُـوا مـا صاروا إليـه ، وكـان قـولـه : هـل وجـدْتُـم مـا وعـدَ ربّكم حقّا ، استفهـامـا . فـكيـف يَستَفْهِـم مـن يَعْلَـمُ أنّـه لا يُجيبـه ؟ وإنّـما نحـا بـذلك الخطَـابِ نـحـوَ مَـن كـان معـه يومئـذ ممّن كان على رأيهم من المنافقيـن ، تعريفـًا لهم بما فعلَـه الله (عج) بأصحابهم وما أنجـز من وعـده لـه فيهم .

كلام في الأعقاب ذكر في مجلس :

149 — (قال) وسمعته (صلع) يقول : إنّ فيما أوحى الله (عج) إلى بعض أنبيائه أنّه يخلف الوليّ من أوليائه في / سبعة أعقاب من أعقابه بخير ، ويعاقب الكافرَ كذلك في أعقابه .

وهذا يُشْبِه قولَ رسول الله (صلع) : إنّ الله (عج) ليحفظ المؤمنَ في ولَـد، سبعين خريفا (1) .

فقلت للمعزّ (صلع) عند ما ذكـر من الخلف والعقوبة في الأعقاب : يا مولانا ، أيكون هذا القولُ مجملا يراد به مَنِ اقتفى من الأعقاب آثار آبائهم وسار بسيرتهم وتوالاهم ؟

فقال (عم) : لا يكون من الطيّب غير الطيّب ولا من الخبيث غير الخبيث ، وإنّ الحنظلَ لو سُقِـيَ العسلَ ما أثمر إلاّ مرّا، وما رآه النّاس في أسلاف أهل الفضل من نقص فإنّما رأوْهُ نقصا لنقص أفهامهم .

فلم أدر ما أراد بذلك مع قول / الله (عج) : «وَالذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ (2)» .

---

(1) حديث : إن الله ليحفظ المؤمن في والده ... لم نجده في الصحاح والمسانيد التي بين أيدينا .

(2) الطـور ، 21 .

وقولـه : « بَلْ قَالُـوا ... إنَّـا وَجَدْنَـا آبَـاءَنَا عَلَى أمَّةٍ وَإنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ (1) » .

وقولـه : « وَمَا كَانَ اسْتِغْفَـارُ إبْرَاهِيـمَ لأبِـيهِ إلاَّ عَنْ مَوْعِـدَةٍ وَعَدَهَا إيَّـاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَـهُ أنَّهُ عَـدُوٌّ اللَّهِ تَبَـرَّأ * مِنْـهُ (2) » .

وقوله: « يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ المَيِّتِ وَيُخْرِجُ المَيِّتَ مِنَ الحَيِّ » (3) . حتّى أخذ (صلع) في ذمّ قوم آباؤهم أئمّةٌ أطهارٌ ، أخيارٌ ، أبرارٌ (4) ، وجعل يصف سوء حال الأبناء . فتبيّن لي وجهُ ما تقدّم من قوله، وأنّه من قول الله (عج) لنوح في ابنه : « إنَّهُ لَيْسَ مِنْ أهْلِكَ إنَّـهُ عَمَـلٌ غَيْـرُ صَالِحٍ (5) » .

وكان في المجلس مَن لم يتّسع معه الخطـاب / .

كلام ذُكِرَ في الظالميـن :

150 — (قال) وسمعته (صلع) ذكر قوما رفعوا إليه شيئا كرِهَه فلعنَهم ودعا عليهم ، وقـال : هم كانـوا سببَ هـذه اللّعنـة عليهم بمـا ذكّرونا به من أنفسهم .

وهـذا كالـذي يؤثر أنّ الله (عج) أوحى إلى بعض أنبيائه لمّا سخِطَ على بني إسرائيـل : قل لبني إسرائيل لا يذكروني فإنّي أوجَبْتُ على نفسي أن أذكُرَ من ذَكَرَني ، فإن ذكرتُهم فإنّما أذكرهم باللّعْنَة ، فلا يتعرّضوا لها منّي .

نعـوذ بالله من غضبه وغضب أوليائه عليهم أفضل السـلام .

كلام في ذمّ الاحتيال على أولياء الله :

151 — (قال) وسمعته (صع) يقول فيما كان قد أحرق من الكتب في أيّام المنصور (عم) / ، وفيما أحرق منها ما فيه أموال عظيمة من أشرية اشتراها النّاس من

(1) الزخرف ، 22 — 23 .
(2) التوبـة ، 114 .
(3) الروم ، 19 .
(4) ب : أئمـة أخيـار وأبـرار .
(5) هـ ، 46 .

الفَـيْءِ والخـزائنِ ، ووثائق أموال ، وغيـر ذلك : والله مـا دعا المنصورَ (صع) إلى ما فعله من ذلك وزيّنه عنـده إلاّ مـن أراد بـذلك البغْـيَ والأذى لغيـره ، فتوسّل إلى ذلك بتلاف (1) مال أولياء الله . فلا جرم أنّه جوزي في ذلك بما رأيتموه — وذكــرَهُ — ، ولـو حـلفــتُ أنّ المنصـور بـاللّــه (صلع) مـا فعـل ذلك لـصـدقــت وبــررت . ومـا كــان فـي ذلك مـن رضــى النـاس،وهل * يـدْرَك للنـاس من رضـى ؟

ولقد قالوا يومئذ : ما لنا في حرق الكتب ؟ تفرّق علينا الأموال التي جُبِيَتْ منّا . ولو فرّقت عليهم لما أرضتهم .

ولقد / سمعت رجلا يومئذ وكان عليه فيما أحرق ابتياعات (2) ابتاعها وصارت إليه من الخزائن بنحو من ثلاثة آلاف دينار [يقول] : والله ما عليّ في ذلك لأحد مِنّةٌ ولا شُكْـرٌ .

ثمّ قال المعزّ (صع) : فما ذهب على هذا إلاّ يسيرا حتّى ذهب ضياعا ، فلا جزى الله خيرا مَن عرّض بذلك وأعان على ذهابه !

وهذا يشبه قول جدّه محمد رسول الله (صلع) حيث قال : أنهاكم عن قيل وقال وعن إضاعة المال (3) .

قول في بركـة ما يأتـي عن أولياء الله تعـالى :

150 — (قال) وأخرج إلينا ونحن جماعة من الأولياء رسول الإمام المعزّ لدين الله (صلع) طبقا فيه تفّاح جليل ، فقال : هذا تفّاح جاءنا من المشرق من البلد / الذي خرج منه المهديّ (4) والقائم صلوات الله عليهما،ومن الضّياع التي كانت به لهما . ودفع إلى كلّ واحد منّا شيئا منه ، وقال: تبرّكوا به فإنّا نرجو إن شاء الله أن تجنوه من شَجَرِه معنا بأيديكم وقد أنجز الله لنا وعدَه وأهلك عدوّنا بفضله .

(1) كذا في النسختين، ولعلها « اتلاف » أو «تلافي» ، ولا نفهم معنى الجملة : هل برر هذا الواشي المغرض طلب الحرق بصون مال الأولياء ؟ أم يعني المعز عكس هذا : أنه ابتغى بمقترحه اتلاف مال الأولياء ؟ ولعل « توسل » محرفة أيضا عن توصل .

(2) في «أ» و «ب» : « ابتاعات » ، وابتاع الشيء ، اشتراه .

(3) أنهاكم عن قيــل وقــال ... ورد هذا الحديث في موطــأ مــالك (رقم 1817) وفي صحيــح البخاري (ج 8 ص 124) . وكذلك في الكافي للكليني (ج 1 ص 60 رقم 1) .

(4) يعني به « سلمية » في أرض حمص بالشام (انظر : ابن الأثير : الكامـل 8 : 13 ، ياقـوت 3 ، أبو الفـداء : تقويم البلـدان 264) .

فشكرنا له ودعونا الله (عج) بما قدّرنا عليه ، وأخذت ما دفع إليّ من ذلك التفّاح ، وقال لي في الوقت بعض أصحابنا : أنأكلُه أم ماذا نصنعُ به ؟

قلت : هذا يكون عندنا نتشفّى به ونتبرّكُ كما قال مولانا (صلع) .

فلمّا أمسيْتُ من يومي ذلك جلستُ في اللّيل وقد مضى منه صدر * أنظر في بعض الكتب ، وقد نام أهل الدّار بأسرهم/ ، وأنا على ذلك ، إذ عرض لي وجعٌ في الجانب الأيسر كأنّما هو وخزُ السكاكين ، وتزايدَ عليّ حتّى خفتُ الهلاكَ فلم أستطع أن أدْعُوَ أحدا من أهلي ، فقلت في نفسي : ما أتَدَاوَى بشيء أنفعَ من هذا التفّاح الذي صار إليّ عن وليّ اللّه وقال فيه ما قال . وكان بين يديّ ، وتناولتُ منه أقلّ من وزن دِرْهَمٍ فيما أقدّره ، فو اللّهِ ما هو إلاّ أن وصل إلى جوفي حتّى سكن ذلك الوجَع الشّديدُ المؤلمُ دفعةً كأنّما كانت شوكةٌ نُزِعت . فحمِدت الله وعلمت أنّ الله (عج) لا يخيّبُ ظنّ من تقرّب إليه واستَدْفعَه واستشفاه بأوليائه .

وذكرت في نفسي حديث جعفر بن محمد بن عليّ/ لمّا دخل مع أبيه محمد بن علي (عم) على محمّد بن خالد (1) أمير المدينة . قال : فشكا محمّد بن خالد إلى أبي وجعا عرض له في جوفه ، فذكر له حديث رسول الله (صلع) في العسّل والشونيز (2) وأنّه وصفه بمثل هذا . وإنّ رجلا من أهل المدينة اعترض عليه فقال : قد سمِعْنَا هذا الحديث وجرّبنا ما قيل فيه فما انتفَعْنَا به . فقال أبو جعفر محمد بن عليّ (صع) : إنّما ينفع اللّهُ بهذا ومثله أهلَ اليقين والتّصديق لرسول الله (صلع) ، فأمّا من كان من المنافقين * وغيرِ المصدّقين برسول الله (صلع) ، وأخذ ما بلغه عنه على غير تصديق ، لم ينفعه الله به .

ودخلت إلى المعز (صلع) من غد فذكرت له ذلك وما دفع / الله به من الوجع عنّي فزادني به من البصيرة في اعتقادي وأمري . فقال المعزّ (صع) : احمد الله ، فهذه نعمة منهُ خصّك الله بها وهداك إلى البصيرة وحسن الاعتقاد فيها . وما توسّل

---

(1) محمد بن خالد بن عبد الله القسري ولي المدينة سنة 141هـ وعزله أبو جعفر المنصور عنها سنة 143هـ (انظر خليفة بن خياط : التاريخ 2 : 672 ، 681) .

(2) بضم الشين ، في البزر ، الحبة السوداء ، (فارسي) – اللسان ش ن ز – (وانظر ابن سينا : القانون 1 : 677) والحديث : عليكم بهذه الحبة السوداء ... ورد عند الترمذي ، كتاب الطب رقم 3447 إلى 49 ، بخاري ج 7 ص 160 .

بنا إلى الله (عج) متوسّل إلاّ كنّا له خير وسيلة لديه لِمَا توسّل بنا فيه من أمر دينه ودنياه إذا صحّت نيّته وصدقَتْ طَوِيّتُهُ . والله لو أتانا الجُذَماءُ والبُرَصَاءُ والعِمْيَانُ يَسْتَشْفُونَ اللّهَ بنا، وقد أحسَنُوا ظنّهم وصدقَتْ في ذلك نيّاتُهم ولم يَشُبْهُم في ذلكَ شَكٌّ، لَشُفُوا. إنّ الله جلّ وعلا لم يجعل بينه وبين خلقِهِ من البَشَر ملائكةً إنّما جعل أسبابَهُم إليه وَوَسَائلَهم عنده بشرا أمثالهم ، فقال (1) وهو أصدق / القائلين : « وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَا يَلْبِسُونَ (2) » .

ثمّ قال (عم) : إنّ كثيرا من الناس يَسْتَرْقُونَ لأدواء تعرِض لهم ، فإذا وثِقَتْ نفسُ أحدِهم بالرّاقي وأيقَنَ أنّ رُقْيَتَه تنفع مِن ذلك الدّاءِ الذي أصابَه انتفع به لقوّة الطّبيعة على العلّة من أجل ذلك اليقين ، فكيف بيقينٍ يكونُ المُرادُ به وجهَ الله عزّ وجلّ ويُبْتَغَى الشّفاءُ به مِن عنده من جهةِ أوليائه ؟

ثمّ قال (صلع) : لقد عرض لي منذ وقتٍ وجَع في جوفي وكنت قد أمرت بتركيب مَعْجونٍ ينفعُ مِن ذلك فـ(ـتـ)ـقدّمْتُ في اختيار العقاقير وتجويد عمَلِه بما لم أعلم أنّ أحدا تَقَدّمَ في مثله ، فدعوتُ به لأتناول منه ، فجيء به ومعه / مثلُه ممّا كان المهديّ (صع) أمر بعمله ، فلمّا رأيته تعاظمتُ أن أختارَ الذي عمِلتُه أنا على الذي عمِله المهديّ (صع) ، فتناولتُ مِن الذي عمِله (عم) وقلت : اللّهم إنّك قد أكرَمْتَنِي بأبُوّتِه وجعلتَه سابقا إلى الفضل الذي خصصتني به وقدّمته فيه ، وإنّي أقدّم ما كان من أمره على ما كان من أمري فاجعل لي في ذلك شِفاء من الدّاء . فوالله ما هو إلاّ أن تناولتُه حتّى زالَ عنّي ما كنت أجِدُ .

كلام في الدعاء والحمد ذكر في مجلس :

153 — (قال) وسمعته (صع) يقول : سأل رجل جدّنا جعفر بن محمد (عم) ، فقال : يا ابن رسول الله (صلع) علِّمْنِي دعاءً ترجو لي إجابَتَهُ .

فقال (عم) : أكثِرْ من حمد / الله وادعُه بما شئتَ .

فقال : وما الحمد من الدّعاء يا ابن رسول الله ؟

(1) أ : « فقال » ساقطة .
(2) الأنعام ، 9 .

فقال : إنّ جميع من على الأرض من المسلمين يدعون الله (عج) آناء ليلهم ونهارهم أن يستجيب للحامدين ، فما ظنّك بمن شفع له عنده في كلّ وقت جميعُ المسلمين ؟

قال : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟

قال : أليس هم يقولون في كلّ ركعة يركعونها عندما يرفعون رؤوسهم منها : سميع اللّهُ لمن حميده ؟ فعليك بحمد الله يسمعْ دعاءك .

قال المعزّ (صع) : وقد أخذتُ معنى هذا عن جدّنا جعفر بن محمّد (عم) وكتبتُه في فصل من كتاب كتبته إلى بعض من أمّرتُه على بعض الجيوش : اعلم أنّ مَن على الأرض في مشرقها / ومغربها وقريبها وبعيدها ، من جميع المسلمين، من عدوّ ووليّ، ومؤالِفٍ ومخالف، يدعون الله (عج) لك ولأصحابك على منابرهم في كلّ يوم جمعة وعيد، وفي السّاعات التي اختارها الله (عج) لدعائهم ليتقبّله منهم . فهم في ذلك يقولون : اللّهمّ انصُر جيوشَ المسلمين وسراياهم ومرابِطيهم أهلِ برّهم وبحرِهم في مشارق الأرض ومغاربها وحيث كانوا ، نصراً عزيزا، وافتح لهم فتحًا يسيرا ، واجعلْ لهم من لدُنْك سلطانا نصيرا . فأنتم والله المسلمون الذين تلحقُهُمُ الدّعوة ويُرجى فيهم من الله الإجابة، وإن عدَل بدعوته في النيّة من دعا بذلك عنكم إلى غيركم فما يستجيب الله إلاّ لكم / ولأمثالكم من أوليائنا والمجاهدين معنا وعن أمرنا وأمر من أمّرناه منهم حيث كانوا وأينَ حلّوا .

ثمّ قال (صلع) : وكذلك من دعا علينا منهم وعلى أحد من أوليائنا أو لعنَ ، فذلك الدّعاء واللّعن راجعان عليه وواقعان به وبمن تولاّه ، لأنّه لابدّ أن يذكُرَنا إذا ذكرَنا أو من يذكره من أوليائنا عند الدّعاء عليه ، بالظُّلم والفسق أو ما هو أهله ، فأنا أؤمّنُ على ذلك الدّعاء وأسأل اللّهَ أن يجيبَه في الظّالمين والفاسقين والمعتدين . فدعاؤهم فيما يروْنه لأنفسهم بحمد الله إنْ قُبِل ورُفِع ،فهْوَ لنَا ولأوليائنا يُقبَل ويُرْفَع . ودعاؤهم علينا، عليهِمْ يعُودُ ويرجع / ، وهذا من فضل الله (عج) علينا وإحسانه إلينا وما أعدّه اللّهُ من الخِزْيِ في الدّنيا والآخرة لأعدائنا .

كلام ظاهره * حكمة وفيه رمز من التأويل :

154 – (قال) وجلستُ يوما بين يديه (صلع) فأمر باغتراس حديقةٍ قيسَ أنّه يدخُلُ فيها من عدد الغُروس ألفُ شجرة ، وهي مربّعة . فقال : هذه لا يستوي أعدادُ سطورها من كلّ جانب . فَحَسَبْتُهَا فرأينا ذلك لا يستوي كما ذكر (صلع) إلاّ بزيادةٍ في عدد الغرس أو نُقصانٍ منه : فإن جعلتَ أعدادَه اثنين وثلاثينَ في اثنين وثلاثين زاد فكان ألفا وأربعةً وعشرين، فزاد أربعة وعشرين . وإن جُعِل على إحدى وثلاثين في إحدى وثلاثين / نقص وكان عدده تسعمائة وواحداً وستّين ، فنقص تسعةً وثلاثين .

فقال (صلع) : أفما في هذا غيرُ هذا ؟

قلنا : لا علم لنا بذلك وهذا أكثرُ ما يوجد فيه .

قال : وَلِمَ لَمْ يوجَدْ فيه غيره ؟

قلنا : لأنّه حسابٌ معلومٌ لا يجري إلاّ على مقاديره ولا تمكن قسمَتُه على الضّرب بلا كَسْرٍ إلا على هذا .

فقال عليه السلام ، ونظر اليّ : ما تقول أنت ؟

قلت : ما عندي يا مولاي غير هذا (1) . والحساب عِلمٌ لا اختلاف فيه بين منتحليه ، إذا قالوا : ثلاثةٌ في ثلاثة لم تكن إلا تسعةً . أو قالوا : عشَرةٌ في عشرة لم تكن إلاّ مائةً ، وكذلك كَيْفَمَا ضرب ذلك لأنّه عدد بُنِيَ على واحد إلى تِسْعَةٍ من الآحاد ، ومن عشرة إلى مائة من العشَرات ، ومن مائة إلى [ألف] ألف من المئين ، ومن ألف إلى ألف / ، ثمّ إلى ما لا نهاية له من أعداد أُلوفِ الألوف ، لا اختلاف في هذا أعلَمُه بين أهل الحساب .

وهُمْ إذا * قسّموا عددا على عدد فلم يصِحّ، ضربوا ما انكَسَر منه في مثله حتّى يصِحّ ، ثمّ قسموه أجزاء فزادُوا في العدد ونقصوا منه بحسب ما جرى ذكرُه . كما أنّا لو أردنا أن نقسّم عشَرةً على تربيع مستقيم وعددٍ صحيح لم ينقسم ذلك حتّى ينقص من العشرة واحدٌ فيكون ثلاثة في ثلاثة تسعة ، أو يزيد عليها ستّة فيكون أربعة في أربعة ستّة عشر لا ينقسم هذا إلا كذا .

(1) أ : سقط من : فقال عليه السلام ، إلى : غير هذا .

فقـال (صلع) : قـد علِمْنَـا أنّ هذا لا ينقسـم إلاّ كـذا ولكـن لذلك علّة هي الفائـدة فيـه .

قلت : أمير المؤمنين أولى بالهداية والمنّ / بالفائدة .

فقـال : هـذا من الدّلائـل على تـوحيـد الله تعالى كبريـاؤه ، وأنّـه واحد لا مِن عدد ، لأنّ هذا العدد يلحقه الزّيـادة والنّقصـان والتبعيض والإضـافة لأنّه مصطلَحٌ عليه .وذلك يتنـافى عن الله سبحانـه الـذي ليس كمثلـه شـيء ولا يشبِـهـُـه شـيء ممّا تقـع عليه العيـون أو تحويه الأوهام والظّنـونُ .

فبينا فكـري يجـول إذ كنت مفكّرا فيما ذكره من الحساب وفكري يجـول كأنّما يغوص في الثّرى إذ فتح لي (صلع) ما فتحه ،فكأنّما تعلّقَتْ خواطري بملكوت السّماء ، فقلت : يا مولاي ، لم يكن هذا ممّا فكّرتُ فيه فيجري وهمي إليـه .

قال : فإن كنتَ ممّن يتمسّك بنا ففـي مثل هذا فافتكر وإيّاه فاعتبر ، فإنّ في / كلّ شـيء تفكّرٌ فيه وتعتبرُه دليلا على وحدانيّة الله (عج) وربوبيّته .

ثمّ قال (صلع) لبعض من أمره بذلك الغرس : فزد على الألف أربعةً وعشرين ، حتى يستويَ عـددُه من الجهات الأربع .

ثمّ قال : كم يكون في ذلك من أسبوع إذا قُسِمَتْ هذه الغروسُ سبعةً سبعةً ؟

فحسبناه فأصبناه مائةً وستّة وأربعين أسبوعا فيبقى بعد هـذه الأسابيع اثنـان . فتبسّـم (صلع) وقال : عددٌ حسن ومعنى جيّد والحمد لله .

ففهمت مـا رمز بذلك إلى وليّه وعلمت أنّ أولياء الله كيف تحدّثوا وأينما تصرّفوا إنّما يسرحون في بحور العلم ويقطعـون لجج الحكمة ، وأكثر النّاس عن ذلك في عمى وغفلة كما قال الله (عج): / « وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ، وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ (1) » .

---

(1) يوسف ، 105–106 .

كلام في الأخذ عن أولياء الله صلوات الله عليهم :

155 — (قال) : وطالعته (عم) في جمع مثل هذا ممّا أثرته عنه وسمعته منه وأخذته عن رمزه ورأيته من فعله ، إذ رأيتُ أنّ ذلك لا ينبغي لي تقييدُه في الكتب وتخليدُه للأعقاب إلاّ بعد إذنه . وعرضت عليه شيئا منه فارتضاه وقال : من أخذَ مثلَ هذا عنّا بغبطة وقبول ، وعرفَ الفائدةَ فيه ، وشكرَ لنا النّعمةَ به ، نفعَهُ اللّهُ بما يأخذُه منه . ومن أعرض عن ذلك ولم يتلقّه بالقبول ، ولم يعرفِ الفائدةَ فيه ، كان ذلك (1) حُجّةً من الله لنا / عليه وخرج محرومًا منه . وكذلك من بلَغَهُ ذلك بعدَ اليوم أو نُقِلَ إليْه . والله إنّه ما يُؤْثَر عن الآباء شيءٌ من الحكمة والعلم لمن تدبّره حتّى تَدَبُّره، إلاّ دَوَّنَه (2) ، وما جمع النّاسُ فيما جمعوه مثلَه .

فقال بعض من حضر المجلس : إن رأى مولانا (صلع) * أن يأذَنَ لنا فيه فنكتبَهُ ؟

فقال : اذا كمل منه ما نرتضيه أذنّا فيه لمن نرتضي حالَه ، وينفعه الله به إن شاء الله (3) .

ثمّ قال (عم) : إنّ كثيرا من الناس يمرّ هذا ومثلُه على آذانهم صَفْحًا لا يعرِفُونَه ولا يدرون مقداره ، وكثيرٌ منهم يسمَعُ الفائدة فلا يتلقّاها بالقبول ولا يأخذها بالشكر ،فمن كانت هذه حاله كان حقيقا بالحِرمان وجديرا أن يبقى / على ما هو عليه من الجهل .

ثمّ ذكر رجلا فقال : رأيتُه إذا أقبلتُ عليه بشيء نرجو به حسنَ معرفته وموقعَ الفائدة عنده واستقبالَها بالشكر منه ،فربّما أكثرت في ذلك من القول له وهو فاغرفاهُ كالبهيمة لا يعرف ما أقول له فأستَفْهِمُه عمّا ألقيْتُ إليه فلا أجد عندهُ معرفةَ ما سمعه فيدعوني استحْبَاب إتْمَامِ الصنيعة إلى بيان ذلك،فإذا بيّنتُه له وأوضحتُه ، قال : نعم قد عرفت هذا قبل هذا الوقت وهو مذهبي وقولي . ولا والله ما عرَفَه ذلك الوقتَ ولا قبلَه ، أفمِثْلُ هذا يُؤْتَى الحكمة أو يُسْعَفُ بفائدة ؟ لا والله ، ولا كرامة !

وهذا كقول بعض الحكماء : لا تمنَعُوا الحكمةَ / أهلَها فتظلموهُم، ولا تُعطُوها غيرَ أهلها فتظلمُوها،ولا تُلْقُوا الجوهر إلى الكلاب !

---

(1) ب : سقط من : ولم يتلقه بالقبول ... إلى ... كان ذلك .
(2) في النسختين : والله انه لشيء ما يؤثر ... الا دونه . وقراءتنا ظنية .
(3) ذكر النعمان في مقدمة المجالس « سيرة المعز » من تأليفه (انظر مقدمة الكتاب ص 47 تنبيه 1) .

الجزء الرَّابع عشر

بسم الله الرحمان الرحيم

كلام جرى في مجلس في ذكر هذا الكتـاب :

قال القاضي النّعمـان بن محمّد :

قد كنت قدّمت المعذرة في صَدْرِ هذا الكتاب * أنّي وإن كنت لم آلُ اجتهادا في تحـرّي نقـلِ مـا نقلتـُه ممّـا أثبتّـه فيـه عـن الإمـام (صلع) بنفس ألفاظه، فقد اعترفت بأنّـي لا أطيـقُ ذلك بالحقيقـة وأعجِـزُ عنه إذ كانـت ألفاظُ أولياء الله الأئمّةِ كألفاظ جدّهم رسول الله (صلع) في الجزالة والفخامة والبيان ، يعجِـز أن / يحكيَهـا البشـر ، كمـا أعجـزهـم أن يحكُـوا القـرآن . إذ كان القـول عنهـم في الحجّـة والبـرهـان كالقـول عن الله (عج) ، إذ أمَر بطـاعتهم وقرَنَهـا بطاعتـه ، والأخـذِ عنهـم كما أمـر بالأخـذِ عنه . وذكـرت اعتـذارَ بعض الصّحابـة في ذلك في إصابـة حقيقة لفـظِ رسول الله (صلع) وقوله : حَسْبِـي أن أؤَدّيَ إليكُم معناهُ فإنّي (1) أكثرُ مـا عوّلتُ عـلى ذلك .

غير أنّـي صنعت في ذلك صنيعا لم أعلم أنّ أحدا ممّن نَقل الحديثَ سبَقَني إليـه : وهـو أنّـي جعلـتُ كلّمـا أثـرت شيئـا عـن الإمـام (عم) كتبتُـه وأرَيْتُـه إيّاه وعرضتُه عليـه بعد أن قدّمتُ في ذلك العـذرَ عنـده ، فكلّما رأى أنّي غيّرتُ

(1) أ : فانـه .

المعنى عنه قوّمني على المعنى وردّني / إليه ، فأصلحته عنه وصفح لي (صلع) عمّا لم أستطِعْه من حكايةِ لفظه بحقيقتِه، فصار ما أثبتُّه في هذا الكتاب كأنّه هو لفظُه وإن لم يكن هو بحقيقتِه لِمَا أجازه على المعنى وسقط عنه تهمةُ التحريف والإحالة ، وإن سقطَتْ منه فضيلةُ الفصاحة والجزالة، ومعجزِ الألفاظ في المقالة . ولكنّه صار بذلك من أصدق الحديث وأصحّ النّقل. وزالت عنه به التّهمةُ ووجب له به الفضل .

فرفعت يوما إليه (صلع) منه جزءا ، فقرأه حتّى أتى على آخره، وأوقَفني على أشياء منه فأصلحتها على ما أمر به أدام الله علوّ أمره، وصرفه إليّ ، فجعلت أعتذر في التّقصير وإسقاط الكثير ، وأنّي إنّما أثبتّ / عنه (صلع) بعضَ ما يُعطيه الحفظُ . والذي أسقَطه النّسيانُ ، لما عليه من الغفلة طبع الإنسان، أكثرُ من ذلك . فقال : وإن كان ذلك يا نعمان، فإنّ الله يَجزيك بنِيّتك ولا يؤاخذُك بنسيانك. ووالله ما جمع عن آبائنا قبلك أحدٌ مثلَ هذا من جمعك وإنّه لكتاب قلّما يكون مثلُه من الكتب وإنّ فيه لحياةً «لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ (1)». يقول ذلك (صلع) وفي المجلس جماعة ممّن قد سمع أكثرَ ما أثبتّ وعامّةَ ما نقلت، ومرّ عليهم صَفْحًا . ولمّا سمِعوا ذلك منه (صلع) وهم لا يدرون ما في الكتاب، جعلَ بعضهم يسألُه انتساخه وبعضهم يسألني ذلك ، وأظهروا فيه رَغبة عظيمة .

فقال (عم) : يُعْطاه من يستحقُّه إن شاء الله / . ونظر إليّ وتبسّم كالمُخبِر عن غفلةِ أكثرِ النّاس عن الفوائدِ ومرور الحكمةِ عليهم صَفْحًا ، لأنّهم لو أرادوا أن يجمعوا من ذلك ما جمعتُ ووُفّقوا لذلك لأمْكَنَهُمْ ، ولكان ذلك ممّا يسرُّني لنفسي ولهم ، لأنّي كنت أستزيدُ من ذلك كثيرًا ممّا يَحْضُرُونَه وأغيبُ عنه ، لما أنا من الشغل بسبيله .

وقوله (صلع) : يجزيك اللّهُ بنيّتك ولا يؤاخذُك بنسيانك، كقول جدّه رسول الله (صلع): إنّما الأعمال بالنيّات وإنّما لكلّ امرىء ما نوى (2) ، وقوله (ص):

---

(1) تضمين جزئي للآية « إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (ق ، 37) .

(2) جاء في «أ» بإفراد « النية » . وفي الدعائم 1 : 158 بسند جعفر بن محمد (ص) عن أبيه ، عن آبائه عن علي (ص) أن رسول الله (صلعم) قال : « إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى » وسقط من النص لفظ « كل » . انظره تاما بفهرس الحديث صفحة 423 من الدعا[illegible] .

وذكر الحديث أيضا عند البخاري (ج 1 ص 21) وابن ماجة (ص 1413 رقم 4227) والنسائي (ج7 ص 13) ، وكذلك في الكافي للكليني (ج 2 ص 84 رقم 1) .

تجاوز الله لأمّتي خطأها ونسيانَهـا وما أكرِهتْ عليه (1) . يعني بالخطإ مالم يُتَعَمَّدْ .

فأمّا مرور الحكمة على آذان * أكثرِ الناس صفحًا فمن قول الله (عج): « وَمِنْهُمْ / مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ: مَاذَا قَالَ آنِفًا (2) ؟ » فقد كان على مثل هذه الحال من يحضر مجلسَ رسول الله (صلع) ويسمعُ كلامَه ثمّ يخرُج عنه ولا يعِي شيئا منه ولا يعرِف ما قاله .

ومنه قوله جلّ وتعالى : « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ (3)» ، قال ذلك لقوم يبصرونَ بأعيُنهم ويسمَعون بآذانهم ويتكلّمون بألسنتهم ، ولكنّهم عَمُوا وصَمُّوا وبكِموا عن الحقّ .

أعاذنا الله وإيّاكم برحمته من ذلك وهدى جميع المؤمنين إلى ما يُرضيه ووفّقنا للعمل به بفضله .

كلام جرى في مجلس في ذكر الدّعوة والدّعاة :

157 — (قال) وسمعته (صع) يوما وقد دخل إليه بعض الأولياء ممّن كان قد/ أذِنَ له قبلَ ذلك في الدّعوة فسألَهم عن أشياءَ منها فلم يجدْ عندهم شيئا ممّا سألهم عنه ، فقال : والله ما أشكّ في أنّه لا شيءَ عندكم من هذا ولا عند مَن دَعَاكُم. وما كان أكثرُ ما يعامِلون الناسَ به إلاّ بتعظيم الأمرِ عندهم وتهويلِه عليهم والغلظةِ على مَن سألهم عن شيء منه ، وتعنيفهم على سؤالِهم عنه . وأكثرُ ما يقولونه لمن (4) يلافظونه : لم تبلُغْ بعدُ إلى حدّ مَن يسأل عن هذا ، وليس هذا

---

(1) رواه القاضي النعمان في دعائم الاسلام (1 : 280) بغير إسناد ومع تغيير في بعض لفظه « رفع الله عن أمتي خطأها ونسيانها وما أكرهت عليه » . وأخرجه مسلم في صحيحه (2 : 146) عن معمر عن قتاده ، قال : بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ان الله عز وجل تجاوز لهذه الأمة عن نسيانها وما حدثت به أنفسها . هذا وقد جاء في « ب » : عن خطاياها .
، وذكره ابن ماجة (ص 659 رقم 2043) والنسائي (ج 6 ص 157) .

(2) محمد ، 16 .

(3) البقرة ، 18 .

(4) في ب : لمن لا ...

حدّك ، ونحو هذا من القول ممّا يوهمون به أنّهم يعرِفون ما يُسْألون عنه . ولا والله ما يعرفون أكثرَ ذلك .

ثمّ قال لمن خاطبه : كيف قال فلان لفلان (1) منهم ؟ يعني ما قاله بعض / الأولياء لبعض الدعاة .

قال : نعم ، تكلّم يوما وهو في مجلسه فرآه معرضا عن كلامه ، فقال له : أراك تُعرض إعراض * مَن لا يعرف ما قيل له . فقال : أنا لأعرَفُ بهذا ، هذه والله ملاعبُ صِبْياننا . إن يكن عندك غيرُ هذا فهاتِه نُصغِ إليك إذا لم نكن – قبل هذا – نعلَمُه .

قال (2) : فما قال له الشيخ ؟

قال (3) : سكت .

فلم يقل المعزّ (صلع) في هذا شيئا . وهذا وإن كان الدّاعي قد عنّف الرجلَ فيه ولم يترفّق فيه كما ينبغي الرّفقُ به ،وما عمِل بما قاله الصّادق جعفر بن محمّد(صلع) : تواضعوا لمن تعلّمونَه العلمَ ،ولا تكونوا علماء جبّارين فيذهب باطلكم بحقّكم (4). فإنّه لم يكن ينبغي للرجل أن يقول له ما قاله / لأنّ قولَه ذلك إزراءٌ على الحكمة واستقلالٌ لها ، فليس تكرار الحكمة ممّا يضَعُ منها، ولا ينبغي له الإعراض عنها،وقد جعل الله (عج) لمن أصغى إلى استماع كتابه وتدبّره،ثوابا على ذلك، جلّ ذكره . وليس في كلّ وقت تعلَّقُ الحكمةُ بالقلوب وينتفع بها مَن سمعها . وربّما مرّت على الآذان مرارا كثيرة فلم ينتفِع السّامع بها، ثمّ سمعها بعد ذلك فانتفَعَ . ولو طولب قائل ذلك بتأديةِ ما استُودِعَ،وقضاء واجبات ممّا سمع ،لقَصّرعن ذلك وانقطع ، ولزِمَتْهُ الحجّةُ فيما طلبه من المزيد، وهو لم يَضبِط ولا قام بواجب ممّا بلغه من الحدود، حتّى إنّه لو طَرَحَ عنه في ذلك الباطنَ كلَّه وأخذ بإقامة ما / عرّفَه وأُمِر به من إقامة ظاهرِه ،لقعد عن كثير منه وقصَّرَ وتخلّف

(1) لفلان ساقطة من أ .
(2) القول للخليفة المعز .
(3) ب : قال له .
(4) انظر دعائم الاسلام 1 : 80 .

وانحصر . فكيف يتزيّد من الأمانة مَن باء واعترف (1) بالخيانة؟ولكن لجهل أكثر الناس بقدر هذا الأمر حُرِمُوا كثيرا منه ، ولتخلّفهم عن الواجب فيه اقتُصر بهم على ما أعْطُوا منه .

وسكت المعزّ (صلع) عند ذلك ولا أظنّه تفكّر إلاّ في مثل هذا القول . ثمّ قال: ولعلّ سامعَ ما قلناه في تقصير الدّعاة المتقدّمين يتوهّمُ أنّ هذا طعْنٌ على الأئمّة الفاضلين صلوات الله عليهم أجمعين لاختيارهم إيّاهم وإقامتهم لهم ، وهم يعلمون مثل هذا منهم . هيهاتَ، لا والله ما يُعرض الجوهرُ على أصحاب البَعْر . ما قابلوا والله مَن قابلوه إلاّ بقدر / استحقاقهم،وما قصدوا(2)مَن قصدوه إلاّ بما يصلُح لهم . وإنّ جدّنا جعفر بن محمد (صلع) كان يقول: مَن أحسن السّؤال كان جديرا بالنوال . واللّه لو أحسنوا الطّلْبَة لبُذ لَتْ لهمُ الرّغبة، وإنّ لدينا من خزائنِ علمِ الله وفوائد حكمته ما يُحمَّل منه كلٌّ امرىء بمقدار طاقته ويُعطاه بحسب استحقاقه ، ولا يُبْخَسُ إلاّ من بَخَس نفسه .

وما ينبغي لنا أن نُعطيَ أحدا من أمانة الله عندنا ما لا يستحقّه . والله ما نفعل ذلك لأبنائنا وما نعطي مَن نرتضيه منهم الاّ قدرَ حقّه فيه لا نزيده قُلامة ظُفُرْ عليه. قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إلاّ عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إلاّ بِقَدَرٍ / مَعْلُومٍ (3)».على أنّ أحبَّ الأشياءِ إلينا وجود من يلقَن عنّا . أليس لهذا قال جدُّنا عليّ (صع) ، وتنفّس الصّعداء وضرب بيده إلى صدره ، فقال : أما إنّ ههنا لعلمًا جمًّا ما وجدتُ له حَمَلَةً، بل وجدتُ لقِنًا غيرَ مأمون ومأمونًا غير لَقِنٍ (4) .

وفي مثلِ ذلك :

158 — (قال) وسمعته (صع) يقول لبعض الأولياء : ما تنظرون اليوم في شيء تنفعون به ؟ ما تقرأون شيئا ؟ ما تسمعون شيئا ؟ فسكتوا .

---

(1) ب : لمن باء بالخيانة .

(2) ب : ما قالوا والله ... ولما قصدوا ...

(3) الحجر ، 21 .

(4) النص من كلام مشهور للامام علي خاطب به كميل بن زياد النخعي ، أحد الشيعة الذين قتلهم الحجاج ، وكان عاملا لعلي على هيت . انظره كاملا مع فروق في اللفظ ، في نهج البلاغة ، 339 (نشر أبو الفضل إبراهيم . القاهرة 1963) .

وكنت قبل ذلك قد سمعتُ بعضهم يحرّض بعضًا في الاجتماع لقراءة كتاب « دعائم الاسلام (1) » الذي* بسطه المعزّ لـدين الله (صلع) لهم (2) وجعله في مجلس من مجالس قصره، وأباح لهم متى أحبّوا استماعَهُ وقراءتَه/وانتساخَه والتعلّمَ (3) منه والتّفقّهَ فيه . وقال منهم من حرّض (4) على ذلك: وَيْحَكُمْ ، أما تخافُون إنْ قَصَّرْتُمْ في هذا أن يكون حجّة من الله ومن وليّه عليكم إن يختبِرْكم فيه ، وقد أباحه لكم دهرا طويلا، فيختبرَكم فيه أو في بعض أبوابه فلا يجدكم حفِظتُم شيئا منه، ولا انتفعتم به ، فيقال لكم: إذا كنتم لم تقوموا بما أعطيناكم من ظاهر دينكم الذي تعبّدكم الله بالقيام به ، فكيف ينبغي لنا أن نعطيَكم مـن باطنه ؟

فقلت : يا مولانا ، والله لعهدي اليوم بإخواننا يتراجعون في مثل هذا ، وذلك لمّا انقطع عنهم سماعُه ، واعتذر بالعلّة مَنْ أمِر ب[أن] يقْرَأ عليهم وما خلّفتُهم إلاّ على الاجتماع إليه / . فإن تمادى على الاعتذار لهم وتخلّف عنهم رفعوا ذلك إليك وسألوا فضلَ رأيك فيـه .

قال : يا نعمان ، من يقول هذا ؟

قلت له : قال فلان ، وفلان ، وسمّيت له الرّجالَ الذين تفاوضوا فيـه .

قال : هؤلاء قليل في كثير ، وكنّا نُحبُّ صلاح الجميع . وكأنّـي والله بهم لو جَمَعْنَا هُمْ على هذا يُزري بعضُهم على بعض ، ويقول القائل منهم : فلان يريد أن يكون قاضيا ، وفلان يريد أن يكون داعيا ، ويقول الآخر لبعض من يصحَبُه : قم بنا ويحك لكذا وكذا ، لما هُمْ به أشغَلُ وأعنى ، ودعنا من هذا الفُضُول !

فقال بعضهم ممّن حضر : كأنّ والله أميرَ المؤمنين شاهد القوم !

(1) هو كتاب « دعائم الاسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والاحكام عند أهل بيت رسول الله عليهم أفضل السلام » كتبه القاضي أبو حنيفة النعمان بن محمد ، ويعد عمدة الفقه الاسماعيلي إلى اليوم . وقد قال المجدوع إن القاضي النعمان صنفه بأمر من الخليفة المعز وأصل له أصوله وفرع له فروعه . وكان يعرض عليه أبوابه فيتثبت منها ويستدرك ويشير بما يرى إصلاحه حتى أتم الكتاب . انظر المجدوع : فهرسة الكتب والرسائل ، 18 وما بعدها (وانظر مقدمتنا ص 16) . وانظر كذلك ما قالته الدكتورة وداد القاضي من أن كتاب الدعائم « له صبغة سنية مالكية واضحة » (ملتقى القاضي النعمان الأول بالمهدية ، 12–15 أغسطس 1975 ، ص 143) .

(2) سقطت « لهم » من أ . والعبارة هامة لأنها تؤيد ما ذهبنا إليه من أن البسط لا يعدو العرض والتمكين ، وتدفع القول بأن المعز هو الذي أوحى إلى النعمان بمادة الكتاب .

(3) ب : والتعليـم منـه .

(4) ب : من حصـر .

قلت : يا مولانا ، فمن أجل مَن لا يرغب / يُحرَم الرّاغب ، وفي ذات المُعرِض يخيب الطالبُ ؟ أنت صلّى الله عليك أعلم بصلاح جميعهم .

قال : إن لم أعلم ذلك فما أنا بإمامهم . والله إنّي لأعلمه ، وما أبلغ مرادي من صلاح جميعهم . والله يُصلِحُهُمْ ويُوَفِّقُهُمْ إلى مرادي فيهم إلى أن أرفَعَ بعضَهم فوق بعض درجاتٍ ، وأعطيَ كلَّ ذي حقٍّ منهم حقَّه . وأضعَهُ حيث وضع نفسَه . فمن نزع بنفسه من درجة إلى ما فوقَها وبلَّغه إيّاها عملُه رفعتُه إليها . فهُم بهذا يتنافسون ويرغَبُون ، وأبلُغ فيهم ما أؤمِّلُه منهم إن شاء الله .

قلت : يبلغ الله مولانا أمله ، ويوفّق جميع أوليائه إلى ما يحبّه .

قال : ما شاء الله ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله (1) .

كلام جرى في مجلس في أمر القضاء والواجب فيه :

159 — (قال) وقال لي / (صلع) : يا نعمان ، زعم لي فلان ، — لرجل سمّاه — أنّ بعض الأولياء يستثقلون أمرَك ويقولون : فلان أرفَقُ بنا — لبعض القضاة — . (قال) قلت له (2) : الذي يستثقل من أمر النّعمان هو الذي منَعَني أن أتولّى القضاء بين الناس . إنّ القضاء (3) ميزان عدل الله في أرضه وقسطه بين عباده ، فمن عدل به عن جهته وأحاله عن سبيله فقد باء بغضبٍ من الله ولعنة أوليائه . فأمرُ القضاءِ عظيمٌ ومحمَلُه ثقيل . والله ما نقَم النّاس على أمير المؤمنين عليّ (صلع) إلاّ أنّه تقلّدَهُ لهم فحمَلَهُم على منهاج الحقّ فيه ، فلذلك قلّدْنَاه من قلّدْنَاه وتَعافَيْنا منه . إنّما أراد من أراد من نعمان (4) إذا أتاه في / خصومةٍ مع ضعيفٍ أن يُوَسِّع له إلى جانبه في مجلسه ، ويقومَ خصمُه بعيدًا منه . فهذا أدنى ما عسى أنّه كان يُرادَ منه . وفيه خِزْيٌ لمن فعله . لأنّا قد عهدنا إليه وإلى غيره ممّن قلّدناه القضاء

(1) سقط من أ : قلت : يبلغ الله ... إلى : الا بالله .

(2) الحديث كله للمعز .

(3) انظر ما سجله القاضي النعمان من تعريف للقضاء فيما كتبه عما « ينبغي للوالي أن ينظر فيه من أمور القضاء بين الناس » ، الدعائم ج 1 ص 368 .

(4) يورد القاضي النعمان اسمه على لسان المعز « منكرا » على معنى الأدب والتواضع . انظر أيضا ص 72 من كتاب المجالس والمسايرات .

والحكومة أن يساويَ بين القويّ والضّعيف ، ويعدل بين الشّريف والمشروف في قوله وفعله ولفظِه ولحظِه وتقريبه وإبعاده ومجلسه، كما جاء الأمر عن آبائنا صلوات الله عليهم :من تقلّد القضاء به (1) فمن ابتغى خلاف هذا منه لم يرضه إلاّ أن يحكم أيضا بما أحبّه له . وفي هذا – دون غيره – غاية الخزي لمن فعله. وحسبُ خَصم مَن فُعل به هذا نظرا إلى ظاهر جَوْر مَن فعله عليه ، ورَدْعًا له عن حجتّه / ووَهْنا في قوّته . فمثل هذا يَنقَمُه من نَقَم عليه من اتّباع أمرنا وامتثال عهدنا . وحسبُ مَن خالَفَه نقصًا عند الله وعندنا ، ومَن قام به ، مَثُوبَةٌ من الله وحَظْوَةٌ لدينا .

فما عوّلتُ لمّا سمعتُ ذلك منه إلاّ على تقبيل الأرض ، ونظرت إلى ما عسى أنْ كنت أحتجُّ به وأقولُه . فقد قال (صلع) فوق ما كنت أؤمّلُه وأجِدُه . ثمّ طال تفكّري وكثُر تعجّبي وزادت بصيرتي وقويَت بواهره وما تقدَّم من اعتقادي أنَّ الله يُمِدُّهُ عندي من علمه بأمرٍ لم أرفعه إليه كراهيةَ أن أطرِيَ به نفسي لديه . وقد علمتُ أنّ كثيرا من النّاس يَكرَهُنِي عليه لما أحدَثَهُ قُضاةُ السّوء من / الأثرة والذّمام (2) لذوي السلطان ومن يُرتجَى نفعُه من العوامّ ، والرّشوة وغير ذلك من حديث الطعمة فوَعَّرُوا طُرقَ القضاء على سالكه من حيث يجب أن يسلك فيه ، وحملوا من عوّدوه ذلك على الحنَق عليه . ولكنّ الله ذا الطّول والإنعام والآلاء والإحسان * قد منح وليَّه من التّوفيق والبصيرة وما أمدّه به من الآلاء الجسام والتّوفيق والمَعُونة وأيّده به من الإرشاد والهداية ، ما كشف له عن كثير من سرائر الصّدور وخفيّاتِ الأمور ، وأطلَعَه على حيَل المحتالين واستدارات المستديرين وغوائل المغتالين، فلن يعود البغي عنده / إلاّ على من بَغَى وغدَر «وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السيّءُ إلاَّ بِأَهْلِهِ (3)» وبرأس من مكر .

فأضحى وأمسى بحمد الله الحقّ وأهلُه به في عزّة ورفعة ومنَعة ، والباطلُ وحِزبه في خِزي وضَعة . وهممتُ بذكر ما دعا قائلَ ذلك ومَن رفعه إليه من قطعي عنه ما عَوّدَه غيري من التأكُّلِ به واهتضام الحقوقِ على يديه ، وأنّ ذلك

---

(1) العبارة غامضة ولعل بها نقصا : من تقلد القضاء [فليعمل] به . ولم نجد هذا الأمر في ما نقله النعمان عن «آداب القضاة» في الدعائم ج 2 ، 527 وما يليها .

(2) الذمام : كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة . وهي بمعنى : الضمان والحرمة والحق . انظر اللسان «ذمم» .

(3) فاطر ، 43 .

عندَه ذنب لا يرى أنّه يُغْفَر لمن اجترَمه له . فعلمتُ لذلك أنّه (صلع) أعلمُ بذلك منّـي . ورأيتُ أنّ تسليم ذلك ومثله لله ولوليّه أوفقُ ، لأنّ الله يقول : ومن « بُغِـيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللّهُ (1) » وقد ذكرت في هذا الكتاب عن الإمام (عم) في ذمّ البغـي غيـرَ حديث / .

كلام جرى في شيء من النّحو فيه رمـز :

160 — (قال) وسمعته (صلع) يوما يقـول لبعض من حضر مجلسَهُ مِـن النحويّين ممّن برع في علم النّحو : ما تقولون في الحروف المجتمعة الموصُولَة التي تجمعُها وتصلُها الألفاظ ، يستوي الخطّ بها في الشّـيء وغيره بما يراه النّاظرُ إليها إذا رأى صورةَ تلك الحروفِ ، فتكون عنده بمعنىٍ واحد، حتّى يدخلَها الإعرابُ وتُمَيِّزَ بالتّقييد والشّكل فتختلف معانيها ويصير كلُّ حرفٍ منها يدلُّ على ضِـدّ ما دلّ عليه نظيرُه في الصورة وغيرُه ممّا هُو سواه (2)، ومعنـاه غير معناه، ولِمَ كان ذلك ؟ وما معناه ووجهه ؟ وهل فيه معنى يجب استخراجه وتعرف الحكمة فيه ؟ /

فلم يدرِ المسؤولُ عن ذلك * نفسَ السّؤال فضلا عن الجواب عنـه ، وتحيّرَ فيه . واستفهمَـه (صلع) وسأله أن يوضّح له معناه .

فقال . ذلك مثل : لم لم لم . أليس قد استوت صورة هذه الثّلاثـة الأحرفِ ؟

قال : نعـــم .

قال : كذلك : قتل قتل قتل . وكذلك : حمل حمل حمل . وأشباه ذلك في كثير يطول ذكره .

قال : نعـــم .

قال : فإذا رُفِعَتْ (3) لامُ لُمَّ ، كان معنى الأمر ، كقولك : لُمَّ الشَّعْثَ يا فتى .

---

(1) الحج ، 60 ... وسياق الآية : « ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغي عليه » .
(2) قـراءة تقريبيـة .
(3) كان ينبغي أن يقـول : ضمت .

وإذا فتحتَ صارت حرف جزم ، كقولك : لَمْ أفعَلْ .

وإذا كسرتَها صارت في معنى الاستخبار كقولك : لِمَ فعلتَ كذا وكذا ؟ وكانت كلّ واحدة خلافَ الأخرى .

وكذلك قُتِلَ إذا ضمّت القاف وكسرت التّاء وفُتحت اللاّم قلت : قُتِلَ زيد يا فتى . /

وإذا فتحت حروفها قلت : قَتَلَ زيدٌ خالدًا يا فتى .

وإذا فتحت القاف وأسكنت التّاء قلتَ : قَتْلٌ ذريعٌ يا فتى . فكانت كلّ واحدة مخالفة معنى الأخرى .

وكذلك الحاء من حمل ، إذا رفعت الحاء وكسرت الميم قلتَ حُمِلَ الرّجل .

وإذا فتحت حروفها قلت : حَمَلَ الرّجلُ .

وإذا كسرت الحاء وأسكنت الميم قلت : حِمْل الدابّةِ يا فتى . فاختلفت كذلك ، فلمَ كان هذا ؟

فلم يُحرِ الرّجل فيه جوابا أكثر من أن قال : هكذا تَعَارَفَهُ النّاس .

فقال (عم) : وكم لله (عج) من آية وحكمة فيما تعارفه النّاس تدلُّ على توحيده لم يعرِفُوها وأعرضُوا عنها !

فذكّرني ذلك قول الله (عج) : « وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ / وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (1) » .

وقول الشّاعر في عظمة الله عزّ وجلّ (متقارب) :

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ (2)

---

(1) يوسف ، 105 .

(2) البيت لأبي العتاهية ، من قطعة مطلعها :

ألا إننا كلنا بائد ... وأي بني آدم خالد ؟

(ديوانه ، نشره د. شكري فيصل ص 104) .

رؤيا رآها المعزّ (1) :

161 — (قال) وقال لي المعزّ (صلع) يوما : رأيت رؤيا عجبت لها : رأيت كأنّي دخلت المسجدَ الجامعَ الأزهرَ (2) من باب المقصورة الذي أدخل منه لصلاة الجمعة. فلمّا صرت في المقصورة ذكرت أنّي خرجت ولم أتوضّأ للصلاة، فدعوت بماء فأتيت بطَشْتٍ وإبريق، فتوضّأت ثم نظرت في المقصورة إلى رجلَيْن — ذكرهما — من رجال العامّة وهما ممّن يميل إلى المحبّة ويتقرّب من المذهب. فلمّا توضّأت قام أحدُهما بثوبه لينشف به رِجلي فمنعتُه، وقلت له : / ما الذي أجلسَكَ أنت مع هذا، وأنت في غاية الحركة واليقظة وهذا في غاية السكون والغفلة — وكذلك الرّجلان في حالهما — ؟

(قال) فقال لي المتحرّك منهُما : الذي فيّ أنا من الحركة والنّباهة ينوبُ عمّا في هذا من الغفلة والسّكون. قلت : فأنا أسألُك عن شيء تعترفُ فيه بالغفلة. فسألته عن مسألة فتحيّر فيها ولم يحر جوابا، وطلب منّي أن أجيبه بالصّواب، فقلت له : امض إلى نعمان — يعنيني (صلع) (3) — يُجبْك عنها، قال : نعم. ثمّ دخلتُ من باب المقصورة فنظرتُ فلم أر النّاس كما أعرفهم يحتفل المسجد ويغصّ بهم، ولم أر إلاّ نفرا قليلا. فنظرت إليهم فرأيت أولياءنا. ثمّ قصدتُ المِنبَر/ فنظرت فلم أرَني تقلّدْت السّيفَ فدعوتُ به. (قال) فقمتَ إليّ — يعنيني (صلع) — فقلتَ : يا مولانا، هذا السّيف الذي أخطُب به، وهو سيفُك (صلع)، فإن أردتَه فها هو.

---

(1) في أ : رآها المنصور.

(2) لا تخلو كلمة « الأزهر » هنا من لبس ؛ فهل يعني أزهر القاهرة ؟ نستبعد هذا الافتراض لأسباب، منها : — أن جامع الأزهر لم يعرف بهذا الاسم في المدة القصيرة التي قضاها المعز بالقاهرة قبل وفاته سنة 976/365 وإنما كان يعرف بـ« مصلى القاهرة » أو « جامع القاهرة » (انظر المقريزي : اتعاظ 190).

— أن المؤرخين للمعز بمصر، ومنهم المقريزي، لم يذكروا صلاة جمعة بإمامة المعز في ذلك المسجد أو المصلى، وإنما ذكروا صلوات الأعياد به وبالجامع العتيق — جامع عمرو — أو جامع ابن طولون. ولا يخفى من سياق خبر الرؤيا أن المعز ألف الصلاة بهذا الجامع المذكور في النص وألف مقصورته ومنبره.

— أن النعمان لم يذكر قط في غضون كتابه هذا، مصر ولا القاهرة، ولا حتى حملة جوهر، إلا على سبيل النية من المعز والاستعداد لغزوها. ولو كان واصل تحرير هذه « المذكرات » بعد انتقاله إليها مع الخليفة، لذكر عنها شيئا، كثيرا أو قليلا.

هذا، ولقد حاولنا ضبط تاريخ الفراغ من ك. المجالس والمسايرات (انظر مقدمتنا ص 20) فرجحنا أنه لم يتأخر عن سنة 360 على أبعد تقدير. والرأي عندنا أن عبارة « الأزهر » هنا، إنما هي نعت بسيط لجامع المنصورية، وعلى هذا الأساس سمي جامع جوهر بالقاهرة « أزهر » في عهد الخلفاء اللاحقين.

(3) ب : سقطت : يعنيني.

(قال) : فتناولتُه منك وصعدتُ المنبر فخطبتُ خطبةً ذكرت فيها علما * وتأويلا كثيرا . فقمتَ إليَّ فقلت : زدنا يا مولانا . وجَعَلَ أولياؤنا يقولون كذلك، فزدتُ ، وكلّما أردتُ أن أقطع الخطبة استزَدْتموني حتّى أتيتُ على كلام كثير . فنزلت وأنا أقول في نفسي : وما حاجتي إلى سيف نعمان ؟ وكأنّي قد علمت أنّي رأيت ذلك في المنام . وقلت في نفسي : ما تأويل تقليدي لسيفه ؟ والله ما أنا بمحتاج إلى شيء عنده / من العلم ظاهرا ولا باطنا ، فما هذا ؟ أقول ذلك في نفسي . فاستقبلني شيخ لا أعرفه فقال لي : أتدري ما معنى أخذك سيفَ نعمان ؟

قلت : ما هو ؟

قال : هو عُمرَه يكون لك . (قال) فسكنت إلى ذلك وناولتُك السيفَ .

وتأوّل ذلك (صلع) على أنّ القليل الذين حضروا معه في المسجد هم القليل، من الكثير الذين يحضرون معه، الذين يتولّوْنَه ويعرفون فضلَه . وأنّ الرّجلين اللذين كانا كذلك في المقصورة ولم يحوهما المسجد ، كذلك هما في القرب من الولاية.

وتأوّلت أنا بخطبته التي خطب بها واستزادَتِنا إيّاه، فضلَه الذي نرجوه من العلم عنده والزيادة منه لنا / بقدر ما كان يزيدنا منه لمّا استزَدْناه. وإنّ ذلك إن شاء الله يبلغ بنا إلى غاية ما نأمله ونرجوه منه بفضل الله ونعمته .

كلام في درك العلم ذكر في مجلس (1) :

162 — (قال) وسمعته (صلع) يقول : إنّما تخلّف من تخلّف من الناس عن درك العلوم التي يطلبونها أنّ أحدهم إذا نظر في باب من العلم الذي يطلبه لم يستكمله ، وإذا أكمله نظرا أو قراءة أو سماعا لم يتدبّره * وأخذ في غيره ولم يُتْقِنْه ولا حَفِظَه ولا وقَفَ على حقيقته وما يقتضيه ممّا يأتي بعدَه ، وكذلك ينتقل من باب إلى باب، ومن كتاب إلى كتاب ، ومن علم بعد علم . فلا يزال كذلك في عمى وحيرة / ولا يكاد يظفر ممّا يطلبه بكثيرِ فائدة إلاّ مثل ما مرّ عليه صفحا. ولو كان أحدهم إذا نظر في العلم يقصد إليه ويتعلّقُ به ويُريد حفظَه (ف)نظر في أوّل باب منه نظرا شافيًا وأنعَمَ في ذلك إنعاما كافيا حتّى يُتقِنَ حفظَه ، ويحيطَ

(1) ب : كلام في الاقتصار على ما يستطاع لفظــه من العلــم .

علما به وبجميع أسبابه، فلا يبقى عليه شيء منه، لتفتح له ذلك من ذلك العلم ما بعده ولسهل عليه حفظه ولبلغ منه المبلغ الذي يحبه إذا كان . كذلك لا ينظر في باب منه إلا بعد حفظ الباب الذي تقدمه والعمل فيه على ما وصفته . فالناس في ذلك يقصرون بأنفسهم ويتخلفون باستعجالهم . وكذلك لو اقتصر أحدهم على علم من العلوم قد رغب / فيه ومالت به الشهوة إليه ووجد نفسه تميل نحوه ، لبرع فيه ولكنهم يريدون أن يتفننوا في العلوم ويسارعوا إلى غاياتها ويحبون أن يحتووا عليها . ولم يجعل الله ذلك إلا لمن اختصه بالفضيلة وأبانه بالعلم والحكمة من أوليائه الذين هم أحوج خلقه إليه وأفقرهم إلى ما عنده (1) . فمن تعاطى في ذلك أن يبلغ مبلغهم أو يدرك شأوهم قعد به التقصير ولم تساعده المقادير .

كلام في الخير والشر ذكر في مجلس (2) :

163 — (قال) وذكر يوما صلوات الله عليه الخير والشر والحق والباطل ، فقال : ما يقول هؤلاء — يعني العوام — في ذلك ؟

قلت : الذي يقولونه قد علمه أمير / المؤمنين .

قال : قل علي ذلك ، ما أمثل قولهم عندك فيه ؟ *

قلت : قالوا في قول الله (عج) « وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (3) » ، فذكروا أن النجد في اللغة : الطريق في ارتفاع . فقالوا: أراد (عج) أنه هدى الناس طريق الخير وطريق الشر عرفهم إياهما . فمن اهتدى ، كما قال (عج) ، فلنفسه، ومن ضل فعليها (4) . وقد قامت حجة الله على العباد بما بصرهم من ذلك .

فقال : وكيف يجوز أن يهديهم إلى الشر ؟ لو هداهم إليه فاهتدوا بهداه لكانوا مطيعين إن فعلوه .

قلت : إنما معنى قولهم : هداهم إليه ، أي عرفهم إياه ليجتنبوه، وكذلك أمرهم أن يدعوه « اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (5) » ، أي طريق الحق / .

(1) أ : ... الذين أحوج خلقه إليه وأفقرهم إلى ما عندهم ...
ب : ... الذين أحوج خلقه إليهم وأفقرهم إلى ما عندهم ...

(2) ب : كلام فيه رمز من التأويل ذكر في مجلس .

(3) البلد ، 10 .

(4) صواب الآية : فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها (الزمر ، 41) .

(5) الفاتحة ، 6 .

فقال : هذا ممّا قلناه . إنّ الهداية إنّما تكون إلى الحقّ .

قلت : هم يقولون : الصّراطُ في اللّغة الطّريقُ، ومنه قوله (عج) : « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ (1) » ، والسّبيل أيضا الطّريق ، وجمعه السّبل .

فقال : لو كان الحقّ طريقا والباطل طريقا لتساويَا في الحال، ولكان لكلّ واحد منهما أصلٌ . ولو ثبت أنّ للباطل أصلاً لقارعَ الحقّ، ولكن إنّما الأصل للحقّ وحدَه ، والباطل مجتثٌّ لا أصلَ له ، ومن هذا قول الله (عج) « [ضرب الله] مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ / يَتَذَكَّرُونَ . وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ .اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ . يُثَبِّتُ اللَّهُ الذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ * اللَّهُ مَا يَشَاءُ (2) » .

ثمّ قال (عم) : أفلا ترى أنّه قال (عج) « وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ »، فَأَخْبَرَ أنَّ هَذَا الصّرَاطَ الذي أَمَرَنَا بِاتِّبَاعِهِ وَاحِدٌ ، كما أنّ الحقّ واحد ، ذو أصل . ثم قال : « وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ » أي لا تتّبعُوا الباطلَ ، وشعوبُه وفروعُه وطرقُه كثيرةٌ وليس له أصلٌ يُرجَع إليه ولا شيءٌ يعوَّلُ عليه . والحقّ كالطريق القاصد ، من اقتفَى منهاجَه لا / يميل ولا يعدِلُ عنه ، كان أصله الموضع الذي خرج عنه ، وأدّى من لم يتجنّبْه إلى المكان الذي قصَد إليه ، ومن تنكّبه أوقعَه إلى المكان المجهول ، واقتفى كلّ أثر خفيّ ومسلكٍ غبيّ ، ولم يصل إلى حيث توجّه ،وتاه في المهالك والمهاوي واعتسف الفيافي . فحيثما أخذ عن يمينه أو شماله أو أمامه أو حيث توجّه على غير طريق، فهو على غير أصل ، ولا ينتهي إلى حيث أراد ، ولا يزال ما دام كذلك يدعى ضالاّ لمّا أضل الطّريق . وكذلك من سلك سبيل الباطل واقتفى منهاج الضّلال ، وإنّما

---

(1) الأنعام ، 153 .

(2) إبراهيم ، 24 – 27

سمّي ذلك منهاجا وطريقا وسبيلا ومسلكا ونحو ذلك على المجاز لا على الحقيقة لأنّه / ليس بطريق في الحقيقة ، ولو كان طريقًا لأشبه الحقّ ولكان ذا أصل ، وإنّما هو كما مثّلنا لمن سلك فيه كالمجهول في الأرض الذي لا طريق فيه ، وسمّي طريقا على المجاز لأنّ الضالّ عن الطريق تطرّق به فاتّخذه طريقا لنفسه ، لا في طرق له وأثر (1) ممّن اهتدى إلى الموضع المقصود قبله . وهذا مثال الحقّ والباطل .

164 — ثمّ قال (صلع) : وهذا تمثيل مثّله المنصور بالله نضّر الله وجهه وصلى الله عليه وأثْبَتّه * في كتاب الإمامة الذي قد كان بسطه .

في ذكر من يكثر معايب النّاس ، والعيب فيه :

165 — (قال) وسمعته (صلع) يقول : إذا سمعتم أحدا يكثر معايب الناس ويرميهم / بعيب يكثر ذكره ، فاعلموا أنّ ذلك العيبَ فيه . فإنّا نأثر عن جدنا عليّ (صع) أنّه سمع امرأة تسبّ أخرى وترميها بالفاحشة ، والأخرى لا تقول ذلك لها . فقال : أخلِقْ بما تقوله أنّه فيها وأنّ التي رمَتْهَا بذلك بريئةٌ منه . فسُئل عن حالهما فوُجِدَتا كما قال صلّى الله عليه وعلى الأئمّة من ذرّيته الصادقين (2) .

(1) في النسختين : وأثره من اهتدى . والقراءة ظنية .
(2) ختم هذا الجزء بعبارة : تم الجزء الرابع عشر : وهو نصف الكتاب ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آل محمد الطاهرين الأبرار الصادقين (في النسختين) .

الجزء الخامس عشر

بسم الله الرحمان الرحيم

في صناعة القلم الذي اخترعه الإمام المعزّ (صلع) (1) :

166 — قال القاضي النعمان بن محمد رضي الله عنه / : ذكر الإمام المعزّ لدين الله عليه السلام القلمَ ، فوصف فضله ورمز فيه بباطن العلم ثمّ قال : نريد أن نعمل قلما يُكتَبُ به بلا استمداد من دواة ، يكون مداده من داخله : فمتى شاء الإنسان كتب به فأمَدَّهُ وكتب بذلك ما شاء ، ومتى شاء تركه ، فارتفع المداد ، وكان القلم ناشفا منه ، يجعله الكاتب في كمّه أو حيث شاء فلا يؤثّر فيه ولا يرشح شيء

(1) نجد في بداية الميكروفيلم من نسخة « ب » نصا بالانجليزية مطبوعا يحمل عنوان : « قلم خزان من القرن العاشر » . كتبه الدكتور حسن الباشا محمود وهو استاذ تاريخ الفن بجامعة القاهرة .

ويقع النص في صفحتي 28 و29 من مجلة أو كتاب . وهو دراسة موجزة عن هذا النوع من الأقلام التي يخزن حبرها في قصبتها . فبعد أن ذكر محاولات القدماء إجمالا دون تدقيق — وقد رفعها إلى القرن الثامن عشر — تعرض إلى اختراع J. H. Lewis سنة 1819 الذي صنع لقلمه خزانا من المطاط ، ثم إلى تحسين هذا المخترع بتجهيزه بريشة من الذهب .

ومنها انتقل إلى تحليل هذا النص الذي بين أيدينا ، فعرف بكتاب القاضي النعمان بايجاز ، وصرح بأن اختراع القلم الخزان قد سبق بكثير اختراع لويس المذكور ، وقال : وقعت هذه البادرة من المعز في مصر في القرن العاشر . والملاحظ أن نصنا هذا لا يذكر مصر قط ، وإنما افترض ذلك صاحب المقال معتمدا على الفترة المصرية من خلافة المعز وهي قصيرة جدا بالنسبة إلى الفترة الإفريقية .

ولا تخفى أهمية هذا النص من الناحية الحضرية ، إذ لا شك أن قلم المعز هذا سبق بثمانية قرون أول قلم خزان عرف في أوروبا ، وهو قلم F. B. Foelsh سنة 1809 ، ثم قلم J. Scheffer سنة 1819 (انظر دائرة المعارف الايطالية ، فصل Penna ج 26 ص 680) .

من المداد عنه ؛ ولا يكون ذلك إلاّ عندما يبتغى منه ويراد الكتابة به ،فيكون آلة عجيبة لم نعلم أنّا سُبقنا إليها ودليلا على حكمة بالغة لمن تأمّلها وعرف وجه المعنى فيها .

فقلت : ويكون هذا يا مولانا ، عليك السلام ؟ ! /

قال : يكون إن شاء اللّه .

فما مرّ بعد ذلك إلاّ أيّام قلائل حتّى جاء الصانع الذي وصف له الصنعةَ ، به ، معمولا من ذهب فأودعه المِدادَ وكتب به فكتب ، وزاد شيئا من المداد على مقدار الحاجة . فأمر بإصلاح شيء منه فأصلحه وجاء به فإذا هو قلم يقلب في اليد ويميل إلى كلّ ناحية فلا يبدو منه شيء من المداد. فإذا أخذه الكاتب وكتب به كتب أحسن كتاب ما شاء أن يكتب به . ثمّ إذا رفعه عن الكتاب أمسك المداد .

فرأيت صنعةً عجيبة لم أكن أظنّ أنّني أرى مثلها وتبيّن لي فيه مثَل حسن في أنّه لا يسمح بما عنده إلاّ عند طلب ذلك منه ، وفيما يعود بالنّفع ممّا جُعِل سببا / له ، ولا يجود لغير مبتغ ولا يُخرج ما فيه إلاّ لمَن يجب إخراجُ ذلك له لمن يحبّ ، ولا يخرج منه ما يضرّ فيَلْطَخُ يدَ من يُمسكُه أو ثوبَه أو ما لصق به ، فهو نفع ولا ضرر ، وجواد لمن سأل ،وممسك عمّن لم يسأل ، ومستغنٍ بما فيه عن غيره أن يستمدّ منه .

وهذا نحو بعض ما قال بعض العامّة في القلم إنّه أوّل شيء خلقه الله عزّ وجلّ ، فقال له : اكتب فكتب (1) .

---

(1) نستغرب أن يسند القاضي النعمان ما جاء في القلم إلى العامة . والحال أن الاسماعيلية هم أصحاب هذه المقالة كما تدل عليه نصوص منهم كثيرة : فهم يطلقون اسم القلم على العقل الأول الذي هو الموجود الاول . ويقول السجستاني (المتوفي سنة 363هـ تقريبا) في كتاب إثبات النبوات ص 47 في وجه الشبه بين العقل والقلم : « وبحق أيضا شبه العقل بالقلم لأن صور الحروف والأسماء والكلمات والعلم وهي في القلم شيء واحد ليس له مع بعض الحروف مشاكلة ومناسبة ولا من بعضها منافرة ومباعدة ، ولو شاكل القلم بعض الحروف أو نافر عن البعض لظهر المشاكل له قبل المنافرة عنه ، وليس يوجد في القلم هذا الحال بل يتبين للناظر أن اختلاف أشكالها وتأليفاتها إنما هي من أجل حركة الكاتب لا من أجل القلم في ذاته . كذلك جميع الأشياء في السابق لم تتفاوت في جوهريته » . ويرى مفكرو الاسماعيلية أن الآية « ن والقلم » تطلق على العقل والنفس ، فالنون كناية على النفس،والقلم على العقل ، وفي ذلك يقول حاتم بن إبراهيم الحامدي في مجالسه ص 160 أ مخطوط : « ن والقلم : خلق الله القلم من شجرة في جنة الفردوس يقال لها الخلد فقال (تع) : اكتب ؟ قال يا رب وما أكتب ؟ قال (تع) : اكتب ما كان وما هو كائن ... فكتب القلم ما قال الرب في رق أصفى من الياقوت وأشد بياضا من الفضة ثم طوى ذلك فجعله في ركن العرش «وهو أول شيء خلقه الله» (مجالس 124 أ) . ويقول السجستاني في كتاب الافتخار ص 43 مخطوط : « أما القلم واللوح فإنهما يضافان إلى الأصلين (أي العقل والنفس) ويستعملان في إفادة التراكيب » .

وفيما يرمز أولياء الله ويعملونه ويأمرون به ويتكلمون فيه حكمة بالغة لمن تأمّلها وهُدِي إليها . والله يهدي من يشاء من عباده المؤمنين إلى صراطه المستقيم .

كلام جرى في مدح كتامة :

167 – (قال) وسمعته صلوات الله عليه / يقول وقد دخل إليه رجال من كتامة أتوا من النّواحي لشهود العيد ، فدخلوا إليه وسلّموا عليه ووقفوا بين يديه ، فسألهم عن أحوالهم * ومن خلّفوه منهم فأحفى السّؤال بهم . فشكروا ذلك من افتقاده وسؤاله ، وذكروا جميل أحوالهم وهدوء نواحيهم واستقامة الأمور قِبَلَهم ، وشكروا عمّال بلدانهم .

فابتهج لذلك صلوات الله عليه وسرّه وتهلّل وجهه وتبسّم ، ثمّ نظر إليّ فقال : هؤلاء أولياؤنا وخالصتنا ، هؤلاء حزبُنا وزُمرتُنا ، هؤلاء أتباعُنا وعُمدَتُنا ، هؤلاء خاصّتنا وأهل مودّتنا ، هؤلاء الذّين يكونون في الجنّة معنا كما كانوا معنا في الدّنيا . ما أسرّني بهم وأبهجني برؤيتهم / وأحسنَ في عينيّ منظرَهم ! إنّي لأرى جماعتهم وكأنّهم عندي صورة واحدة ، قد تساوَوْا في الجمال والهيئة والبهجة ، حتّى إذا خالطوا النّاسَ من غيرهم : فالواحد منهم متى رأيتُه بين الجماعة من غيرهم كان عندي كالعلَم السّنيّ وكالسِّراج المُضيء . أما إنّي لأقول في نفسي كثيرا إذا رأيت ذلك منهم : إنّ ذلك لفَرْط محبّتي لهم ، فلذلك أراهم كذلك .

فقبّلوا الأرض بين يديه ، وقالوا : يقول مولانا ما يقوله بفضله علينا . فأمّا نحن في موالاتنا إيّاه ومحبّتنا له فلأنفسنا سعينا ، ورضى ربّنا بذلك أردنا ، وما ذلك منّا بالتكلّف ولا بشيء نُكرِهُ أنفسَنا عليه ، ولا نرى عليه مشقّة / ولا كلفة فيه . وما ذلك فينا دون بنينا وخدَمِنا وعبيدنا . والله ما يحلِف أطفالُنا وعبيدُنا وخدمُنا إلاّ بحقّ مولانا وفضله ، ولا على ألسنتهم ولا هجيّرى (1) لهم غيره ، ولا يعرفون لهم مولى سواه ، وما نشأ منّا ومنهم من نشأ إلاّ على ذلك وعليه يموت * إن شاء الله .

(1) سقطت من أ . والهجيرى هي الدأب والشأن والعادة .

والله لقد حاز العدوّ أيّام الفتنة (1) من حازوا من النّساء والأطفال ، ولقد كانت وصاياهم وكتبهم تأتينا يأمروننا بالصّبر مع وليّ الله وأن لا نعطي لمكانهم (2) الديّة لأعداء الله . فصبّروا على السرّاء والضرّاء والسّبي والأسر حتّى أظهرّنا الله تعالى بوليّه واستنقذناهم قسرا بحول الله وقوّته .

فقال صلوات الله عليه : لن يضيع الله سبحانه / لكم ذلك ولا ينساه . والله لو اطّلعتم على ما لكم عند الله بذلك لقرّت أعيُنكم وطابت أنفسكم . وإنّ الله سبحانه تعبّد الخلقَ بضروب مِنَ المحن ، فما تعبّدكم إلاّ لأفضلها وما استعملكم إلاّ في خيرها وأشرفها : موالاة أوليائه والجهاد في سبيله والذبّ عن صرح دينه . فأبشروا من الله بالقسم الأوفى والحظّ الأسنى .

وفي مثل ذلك :

(قال) وسمعته (صع) يقول لبعض الأولياء من كتامة : والله ما يختالجني الشكّ في اعتقاد صغيركم وكبيركم وحرّكم وعبدكم وذكَرِكم وأنثاكم وَلايتنا واجتماع قلوبكم على محبّتنا . على ذلك نشأ صغيركم وعليه كبُر كبيركم .

قال أحدهم : والله لو قد / سمع مولانا (عم) ما يلفظ به نساؤنا وعبيدنا وصبياننا من القول بولايته والمحبّة له ونشر فضله ، لعلم أنّهم على ما ذكره فيهم .

فقال (عم) : ولم لا يكونون كذلك ! وقد قسم الله (عج) لهم منّا (3) الحظ الأوفر في المحبّة لهم والإشفاق عليهم والمودّة لصغيرهم وكبيرهم ، وما لم يكن لهم مثله من أحد من آبائنا * مع ما وهب الله لهم في أيّامنا من العزّ والأمن والسّعة والسّلطان وعلوّ الكلمة ما لو أدركه مَن مضى من أسلافهم ثمّ أمرناهم أن يلجوا النّار بين أيدينا لولجوها .

فقال أحدهم : والله إنّا لنقول ذلك ونتمنّى لمن(4) مات من آبائنا وإخواننا أن لو مُدّ في أعمارهم حتّى يكونوا بلغوا هذه الأيّامَ ورأوا هذه النِّعَم وشملهم /

---

(1) يعني فتنة أبي يزيد .
(2) كذا في « أ » و« ب » ، على المعنى الدارج = موضعهم . ويمكن قراءتها : لفكاكهم .
(3) من : ولم .. إلى ... منا ... ساقطة من أ .
(4) ب : [illegible] من [illegible] أيدينا إلى : نتمنى لمن ...

هذا الفضل ، لقد كان ممّا يزيد في بصائرهم وتعظم به نعم الله عليهم . على أنّا لا نرى بمن بقيَ منهم تقصيرا في الولاية والطّاعة .

قال: لا والحمد لله، ما بهم في ذلك تقصير (1) . وإنّهم في الثّبات لعلى أفضل حال ممّن مضى من سلفهم . ولكنّهم ربّما أرادوا رضانا بالشّيء فأخطأوه ، وربّما تعلّقوا بمن دوننا ليجعلوا ذلك وسيلة إلينا . لا والله ما جعلنا لأحد عليهم في ذلك من سبيل .

ثم قال : ومن مثل هذا دخل ما دخل على من مضى من أسلافهم : رأيت بخطّ القائم بأمر اللّه صلوات اللّه عليه حكاية عن قول بعض من كان من الشّيوخ الأوّلين ، لحقهم ما لحقَهم من الشّكّ في أيّام المهديّ / بالله (2) (عم) ، وقد عاتبه المهديّ في ذلك فقال له : والله يا مولانا ، ما نافقنا عليك ولا غيّرنا ولا بدّلنا . والله لقد نافقنا وغيّرنا وبدّلنا من حيث لم نعلَمْ ذلك ولم نقصد إليه ، ولكن شبّه علينا فيه ، فوقعنا في ذلك من حيث لم نعلم . فإن يعفُ مولانا عنّا فبفضله ، وإن يعاقب بما شاء من العقوبة فنحن أهلها . فقال المهديّ بالله (عم) : بل يعفو الله عنكم يا أبا فلان . وذلك لما علمه من حسن نيّته وطويّته وصدق لهجته .

كلام فيه أخبار ، عن « تقدمة معرفة الفتنة (3) :

168 — (قال) وكان القائم بأمر الله (عم) قد أزمع الانتقال من المهديّة بعد وفاة المهديّ (ص) وأراد استنباط / مدينة غيرها ، وأرسل فقيس له مواضع كثيرة كلّها أراد البناء فيها .

قال المعزّ (صلع) : فكأنّه كان يرى ما حلّ بعد ذلك من الفتنة . فنظرت في غير موضع من المواضع التي قاسها ليبنيَ فيها فوجدت اللّعين مخلدا قد أناخ فيها بعساكره ، ونزل في المواضع التي قاسها بعينه (4) . ثمّ طلبت ذلك بالحقيقة

(1) ب : سقط من : تقصيرا ... إلى : تقصير ...

(2) يشير بهذا إلى الذين افتتنوا في أمر المهدي في بدء أيامه وبدأوا يسرون الانتقا[illegible] بقيادة داعيه أبي عبد الله الصنعاني وأخيه أبي العباس . فأمر المهدي بهما فقتلا في رقادة يوم ال[illegible] [illegible] ذي الحجة سنة 298هـ ، واستمر التقتيل والملاحقة لبقية الأتباع . (انظر النعمان : افتتاح [illegible] ط. بيروت 06 وما بعدها . وابن حماد، 11 . والبيان المغرب 1 : 164 . وانظر كذلك [illegible] من المجالس) .

(3) من « ب » . وفي « أ » : كلام فيه أخبار في معرفة .

(4) ب : بعينيه . ولعل الصواب : بعينها .

وأخرجت القياسات فلم أر موضعا قاس فيه ليبنيه من حدود إفريقيّة(1) إلاّ وقد نزل اللّعين مخلد فيه ، وأعدّه مناخا : وسمّى لنا من ذلك (2) : مرجنّة (3) ، والشّرف (4) المطلّ على مدينة سوسة ، وبقلوط (5) وقصر الزجاج (6) ، وموضع مناخه بقرب المهديّة كان قد قيس للقائم (عم) على أن يبني فيه / لاستشرافه على البحر والمنازل وصحّة هوائه ، ثمّ موضع المنصوريّة (7) والجزيرة (8) ، الموضع الذي انهزم منه اللعين مخلد ، فلم يكن له بعد ذلك

---

(1) إفريقية : يتفاوت امتداد هذا المدلول الجغرافي قديما عند الرحالين وأصحاب المعاجم . فيقول ياقوت : « ... بلاد واسعة قبالة جزيرة صقلية ، وينتهي آخرها قبالة جزيرة الأندلس » .
ويقول البكري : « ... من برقة إلى طنجة ، وعرضها من البحر إلى الرمال في أول بلاد السودان » فأضاف إليها ليبيا الحالية إلى حدود مصر .
وقال غيرهما : « ... من طرابلس من جهة برقة والاسكندرية إلى بجاية ... » . وانظر لمزيد من التوضيح فصل « إفريقية » بدائرة المعارف الاسلامية والفصل لمحمد الطالبي .

(2) يعد هذا النص أول بيان من نوعه عن المحاولات التي تلت تأسيس المهدية في البحث عن موقع آخر حصين يعتصم الفاطميون به من الأخطار المحدقة بهم ، ويبدو أن الأحداث استعجلت الخليفة القائم عن تحقيق ذلك ، وانشغل بمشاكل الثورة عليه حتى توفي ، فحقق المنصور بعد ذلك هذا الانتقال عن المهدية ، بتأسيس صبرة المنصورية والاستقرار فيها سنة 337هـ .

(3) في النسختين : مرجنة ، ولعلها مرماجنة ، وقد ذكر المقدسي (أحسن التقاسيم 227) أنها « كورة كبيرة من عمل رستاق تبسا » . وكان للفاطميين بها ذكريات روحية قديمة إذ بها أقام وتوفي الداعي أبو سفيان الذي أرسله الامام جعفر الصادق سنة 145هـ . وقال عنها القاضي النعمان : « انها دار شيعة ». (انظر افتتاح الدعوة 27 ط. بيروت والادريسي : صفة المغرب 118 . والحميري : الروض المعطار 540).

(4) لعله فكر في استعمال القصبة الأغلبية التي يقوم بها منار خلف الفتى بسوسة وهي قائمة في الركن الجنوبي الغربي ، على أن يتوسع في الزيادة فيها مع امتداد الهضبة إلى موقع مركز ولاية سوسة اليوم . وهذا هو الشرف المطل على المدينة .

(5) لقد اختفى اسم « بقلوط » اليوم ، ولكن يوجد انتساب له في اسم قرية « البقالطة » بقرب المهدية . ولسنا متأكدين من صحة العلاقة بين هذين الاسمين ، ولا من الموقع .

(6) لا ذكر لهذا القصر بين قصور إفريقية في كتب الرحالة والجغرافيين القدامى ، وكذلك في الثبت الذي سجله الادريسي « لمراسي البحر وقراطله وما عليه من القصور » (صفة المغرب ، 123 وما بعدها) .
وما دام القاضي النعمان قد قرب موضعه إلى المهدية وقال انه « مطل على البحر والمنازل » فمن الممكن أن يكون هذا الاسم قد تحرف عن « قصر الديماس » الموجود على ساحل قرية البقالطة ، وهو موقع رأس الديماس شمال المهدية ، حيث توجد آثار مرسى بحري قديم ، وأطلال حصن قديم أيضا جدد واستعمل في العصر الاسلامي للمرابطة والاحتماء . ويعتبر هذا الحصن أو القصر مع جزيرة الأحاسي التي تقع أمامه مفتاح دفاع عن المهدية ، كما تأكد ذلك في حملة لجار الثاني Roger II البحرية سنة 517هـ .
(انظر التجاني : الرحلة 335 و Idris : La Berbérie orientale sous les Zirides I, 334
وكذلك : Ch. Tissot : Géographie comparée de la province romaine d'Afrique,
II, p. 172, 754).

(7) هي المنصورية التي أسسها إلى جانب القيروان الجنوبي الشرقي الخليفة الفاطمي الثالث : المنصور اسماعيل اثر فراغه من حرب أبي يزيد مخلد بن كيداد . وخططها مدورة كهيئة بغداد لأغراض الدفاع . وقد ذكر ابن حوقل المعاصر لتأسيسها ان المنصور « اختط أحسن بلد في أسرع أمد » . وانتقل إليه واستوطنه وأقام به يوم الثلاثاء لليلة بقيت من شوال سنة 337هـ » . واشتهرت باسم « صبرة » و« صبرة المنصورية » . (انظر ابن حوقل : صفة الارض 73 . والمقدسي : أحسن التقاسم 226 . وابن حماد : أخبار ملوك بني عبيد 23 . والبكري : 25) .

(8) لا ندري اذا كان هذا الاسم يعني جزيرة ابن شريك (الوطن القبلي) ، أم جزيرة الأحاسي برأس الديماس ا... بها موقع صالح لادارة حصار المهدية .

مناخ بإفريقيّة . فكأنّما مناخاته بين يدي القائم بأمر الله (عج) أراد أن يبنيها ويسبقه إليها ، وكره المهديّة وأبغض المقام بها كأنّه كان يرى ما يصير إليه أمرها من الحصار والضّيق والمحنة وما يحلّ بمن فيها من الفتنة . وإن كانت العاقبة بحمد الله آلت إلى خير بعد ذلك وإلى السّرور والفرح والعزّ والنّصر ، وصل الله ذلك وأدامه وفسّح أيّامه .

رؤيا رآها المعزّ (صلع) * :

169 – (قال) وسمعته (صلع) يقول : لمّا أردت بناء القصر المعروف/ بقصر البحر واحتفار البحر فيه ، وقفت في الموضع الذي أردت إحداثَ ذلك فيه وقِستُه . وكنت على أن آمر بالابتداء في ذلك إلى مثل مدّة شهر ، ثمّ نمت من الليل ، فكأنّـي رأيت أنّـي وقفت حيثُ كنتُ ، والعبيد عن بعد منّي ، إذ نظرت إلى رجل مُقبل إليّ ، فجعلت أتعجّب من دخوله إلى مثل ذلك الموضع الذي دخل إليّ فيه بلا إذن . ثمّ جعلت كأنّي حلُمت عنه وتركتُه حتّى قرب منّي . فنظرت إلى رجل شابٍّ حسن الوجه معتدل القامة خفيف العارضين ، عليه ثياب نظيفة وطيلسان رقيق ، فسلّم عليّ وأومأ إلى أن يقبّل يدي ، فرفعْتُها عنه فقبّل عضدي ، وقال : ما أوقفك ههنا؟

فتبسّمت / وقلت : بينما نحن نريد أن نسألك ما أدخلك إلينا بلا إذن منّا لك في الدّخول ، أوَ صِرْتَ أنت تسألنا عن وقوفنا في موضعنا ؟

فقال : أفتأمن على نفسك من مثلي لو أراد بك سوءا ههنا ؟

قلت : أفما ترى مَن حولك مِن عبيدنا ؟

قال : وأين هم ؟

فنظرت فلم أر أحدا . فاستربته في نفسي ، فقال لي : إنّما أتيتك أسألك عمّا تريد أن تصنع ههنا .

قلت : ومَن أنت ؟

قال : تريد أن تعرف (1) من أنا ؟

قلت : أحبّ ذلك .

قال : أنا بطليموس .

قلت : أيّ بطليموس أنت ؟

---

(1) أ : ما تريد أن تعرف ...
ب : ما أنت تريد أنت تعرف ...

قال : بطليمـــوس (1) المعروف المذكـــور .
قلت : صاحب الحساب والتنجيـم ؟
قال : نعـــم .
قلت : صاحب كتـاب المجسطي ؟
قال : نعـــم .
قلت : فما كـان دينك / ومذهبك ؟
قال : التّوحيـــد .
قلت : فمـــاذا صرت إليـه ؟
قال : إلى خيـــر والحمـد لله .
قلت : * ولمـــاذا سألتني عن وقوفـي ههنـــا ؟
قال : أردت أن أعـــرف ذلك . .
قلت : أردت أن أبتني ههنا قصرا وأحتفر في وسطه بحرا أجري فيه ماء ويكون في وسط المـــاء قصر (2) .
قال : حسن جميل ، ولكن ابتدىء في ذلك يوم الثّلاثاء .
قلت : وأي يوم ثلاثـــاء هـــو ؟

---

(1) بطليمـــوس القلوذي Ptolémée ، ولد بالصعيد المصري وعاش في الاسكندرية في القرن الثاني بعد الميلاد وكتابه المجسطي كتاب في علم الهيئة والنجوم وحركات الكواكب والأفلاك . وكان أول من عنـي بتفسيـره وتعريبـه يحيـى بن خالد ابن برمك سنة 190هـ . ثم توالت عليه الشروح والتحارير والمراجعات . وكان كتابه في جغرافية الأرض محل دراسة طيلة القرون الوسطى .
(انظر عنه : القفطي : أخبار الحكماء 95 وما بعدها . وابن النديم : الفهرست 267 . وابن جلجل : طبقات الأطباء 37 وحاجي خليفة : كشف الظنـــون 2 : 1594) .

(2) سمى زيادة الله الثالث آخر أمراء الدولة الأغلبية قصره الكبير برقادة « قصر البحر » ، وكان مـــن المعالم الأثرية التي أعجب بها الخليفة الأول عبد الله المهدي (انظر : الروض المعطار ، 487) .
وهو قصر يشرف على بركة مستطيلة لا تزال آثارها باقية إلى اليوم (انظر :
Solignac : Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan, 247)
وقصر البحر الذي يشير إليه المعز في هذا النص ويقول فيه : « ... بوسطه بحر أجري فيه الماء ، ويكون في وسط الماء قصر » ، تردد صداه في قصيدة للشاعر علي الايادي التونسي في مدحه للمعز إذ يقول :

« تحف بقصر ذي قصور كأنما ... ترى البحر في أرجائه وهو متأق
له بركة للمـــاء مـــلء فضائـــه ... تخب بقطريها العيون وتعنق »

(انظر حوليات الجامعة التونسية 1973 ص 104) .
وقد انطمست آثار صبرة / المنصورية فلم تظفر الحفريات بكشف يمكن تطبيقه على أوصاف هـــذا القصر .
وأن البركة المستديرة الموجودة ضمن آثار صبرة والتي اعتبر Solignac (نفس المرجع ص 273) أنها هي «البحر» ، لا يمكن أن تنطبق على الصورة التي قدمها المعز في النص والإيادي في البيتيـن : ذلك أن قطرها لا يسمح باقامة قصر داخلها .
ويبقى الاحتمـــال الأرجـــح ، أن تكـــون بركـــة قصر البحـــر هي البركة المستطيلة ذات الأبعاد 170 مترا × 65 مترا التي يمكن أن يوحه معنى « قطريها » عند الايادي إلى مقياسي الطول والعـــرض .
(وانظر المجالس ص 552) .

قال : هذا الآتـي .

قلت : سبحان الله! ما يتهيأ لي أن أقيس الموضع إلى مثل هذه المدّة فضلا عن أن أدبّر ما أردته فيـه .

قال : ابدأ فيه يوم الثلاثاء – على كلّ حال – بما أمكن من العمل ، فإنّه يوم صالـح .

ثمّ انتبهت ، فقلت: لأنظُرنّ قول أهل النّجوم في الاختيار / في هذا اليوم الذي قاله ، ولم يكن في نفسـي أن أختـارَ لـذلك ولا ألتفـتَ إلى قـولهـم فيـه ، ولكنّي أردت أن أعـرف معنـى الرّؤيـا . فنظـرتُ فلم أر يومـا – عـلى مـا قـالـوا إلى مـدّة طويلة – أحسن في الاختيـار عندهم من يوم الثلاثاء الذي قاله . ثمّ وقفت بعد ذلك في الموضع الذي كنت فيه قائما فيما رأيته في المنام ، والعبيد منّـي بعيد كما كنت أراهـم في النـوم ، وبين يـديّ سبـع في قفـص . ففُتِـح له لشـيء يلقى إليـه ، فاقتحـم البـابَ وكاد أن يخـرُج إليّ . ونظـرت إلى العبيـد فلـم أرهم ، كما كنت رأيتُ ذلك في المنـام . فبـادر السّائـس فأطبـق على السّبـع ، وسلّمنـي الله (عج) .

فعلمت أنّ ذلك الذي رأيته في المنام كـان / إنـذارا .

كلام في قصّة يـوم الغديـر :

170 – (قال) وسألته (عم) عن الرّواية في يوم الغدير وما قاله رسول الله (صلع) ذلك اليوم لعليّ (عم) ، وما قام به من ولايته بقوله : من كنت مولاه فعليّ مولاه .
وقلت : جاءت الرّواية أنّ ذلك كان في منصرفه (عم) من حجّة الوداع لمّا صار عند غديرخم وذلك لثماني عشرة خلت من ذي الحجّة (1) وأنّ الله (عج) أنـزل

---

(1) من : ... اما صار ... إلى ... ذي الحجه : ساقطة من « ا » . والتكملة من « ب » .
وخم ، موضع بين مكة والمدينة ، نزل به الرسول (ص) عند عودته من حجة الوداع وقال فيه هذه القولة المعروفة التي اعتبرها أشياع علي بيعة له تقر حقه في « خلافة الرسول » واعتبروها تكملة لآخر الفرائض ، وهي الولاية . (انظر : ياقوت : بلدان ، والحميري : الروض المعطار 156 ، والمسعودي : التنبيه والاشراف ، 250 ، ودعائم الاسلام ، 2 : 14 و16) .
وقد صارت ذكرى هذا اليوم عيدا عند الفاطميين منذ مقدم المعز إلى مصر سنة 362 (انظر : اتعاظ الحنفاء 1 : 142) .

عليه حينئذ لمّا قام بولاية عليّ (عم) وأجاب المسلمون ما عقده له : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا (1) » .

فقال : نعم ، كذلك كان الأمر .

قلت : وقد جاء عن أبي جعفر محمّد بن عليّ (صع) أنّه قيل له ، إنّ بعض اليهود سمع قول الله تعالى « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي / وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا » ، فقال اليهوديّ : لو نزل مثل هذا علينا لاتّخذنا هذا اليوم عيدا .

قال أبو جعفر : لقد نزل ذلك في يوم عيدين : نزل في يوم عرَفة . ووقع يومَ جمعة (2) .

قلت : ويوم عرفة يوم تسعة من ذي الحجّة ، فكأنّ ذلك — على الحديث — نزل قبل يوم الغدير بتسعة أيّام .

فتبسّم (صع) وقال : فما قلت أنت في ذلك ؟

قلت : ما ذهب وهمي في ذلك أنّ قول رسول الله (صلع) : خلّفتُ فيكم ما إن تمسّكتُم به بعدي لن تضلّوا : كتاب الله وعِترتي أهلَ بيتي — قال هذا يوم عرفة — أنزِلَ فوجبت به الولاية ، وفسّرها بعد ذلك يومُ الغدير (3) .

فقال : لا ، ولكن كان في يوم عرفة كما قال أبو / جعفر (عم) . وذكر تأويل عرفة فتبيّن لي الأمر ، وصحّ الحديثان (4) .

---

(1) المائدة ، 3 .

(2) وهو قول عمر بن الخطاب أيضا وابن عباس . انظر تفسير الطبري في طبعة دار المعارف بالقاهرة ج 9 ص 524 عدد 11095 و11097 . ولكنهما لم يشيرا إلى حديث الغدير هذا ، الذي اعتبره أتباع علي نصا على ولايته . ومعلوم أن جمهور السنة ينكرون هذا النص . وكذلك المعتزلة : انظر ما كتبه الجاحظ في كتاب العثمانية ص 176 من طبعة عبد السلام هارون .

(3) الكلام هنا مختل التركيب أو غامض المعنى . ووهمنا نحن أن النعمان كان يظن أن حديث العترة المنخبة قبل يوم عرفة ، وجاء حديث الغدير مؤيدا له ، مؤسسا مبدأ الولاية لعلي . ولم يربط النعمان الصلة بين آية إكمال الدين وإتمام النعمة وحديث الغدير . وهو أمر لم يغفله مفسرو الشيعة ، ومنهم محمد حسين الطباطبائي في تفسير الميزان ، مجلد 5 ص 176 إذ يقول : « وهذا يؤيد ... أن الآية نزلت يوم غدير خم ، وهو اليوم الثامن عشر من ذي الحجة سنة عشر للهجرة في أمر ولاية علي عليه السلام » (الطبعة الثانية ، بيروت 1974) . وانظر فصل « غدير خم » في دائرة المعارف الإسلامية .

(4) قد احتفظ النعمان بهذا التأويل لنفسه ولخاصة الأولياء ، ولم يفصح عن حقيقة التضارب بين الأثرين : أكانت الوصية يوم عرفة أم بعد الفراغ من مناسك الحج ، في طريق العودة إلى دار الهجرة ؟

فكأنّما شقّ عن قلبي له غطاء كان عليه . فقبّلت الأرض بين يديه ، وقلت : يا مولانا ، هذا الذي نزل من السماء لا ما سكن في الأرض .

كلام في الربيع جرى في مجلس :

171 — (قال) وذكر الرّبيع يوما في مجلس المعزّ (صلع) وما يكون فيه من الخضر والزّهر والنّبت وتفتّح الشّجر . إلى أن جرى ذكر النّزهة فيه وما يخرج به أهل الخلاعة والبطالة إليه — إذا « اعتمّ (1) نبتُه وزها نوّاره واخضرّ عُشبُه وتفتّحت أشجاره — من ألوان الأطعمة وخبائث الأشربة في نزههم إليه ، وما يعكفون به من لهوهم عليه .

فقال المعزّ (صلع) : سبحان الله! ما كان أولاهم / إذا نظروا إلى عظيم قدرته فيما أخرجه من نبات الأرض ونوّارها وافتتاح أشجارها بعد أن أعاد منه ما كان قبل ذلك مخضرّا عميما ، يبسا وصار عصفا هشيما (2) ، ثمّ أنبته الله تعالى بالقدرة ، وأعاده بعد أن يبس وذوى إلى النّضرة ، وزيّنه ببدائع الزّهر ، وكساه بعد الجفاف ألوان الخضر فأحياه بعد الممات ، وأيقظه بعد السّبات ، وأخرجه من تراب وماء ، وغذّاه بحرّ الشّمس ولطيف الهواء ، وجعل له حياتا وموتا ، وقدّر منه نفعا وقوتا ، تعجز العقول عن إدراك كيفيّة إخراجه ، ونُموّه . خلقَتْ قدرتُه عظَمَ (3) الأشجار من الحبوب والبذور الصّغار . وما ألّفه بتدبير حكمته من أغصانها وأوراقها ، واستخرجَه من نوّارها وثمارها ، وتفاوت ألوانها واختلاف / أجناسها وطعومها ، كما قال الله (تع) : « يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ (4) » . وأخبر أنّ في ذلك من الآيات والدّلائل والبيّنات ما يجب على من أطلعه عليه (5) من عباده الفكرة والنّظر والعبرة ، والاستدلال بما أظهره من عجائب قدرته ومعجزات خلقه على وحدانيّته وحكمته .

فذلك الذي أمر الله (عج) به — بذلك وغيره ممّا خلقه — لقوله : « إنّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (6) » ، ولم يقل : إن فيه التذاذا للمتنزّهين واستمتاعًا للآكلين « على النظر إليه » الشّاربين .

(1) اعتم النبت بالزهر وتعمم : تكلل به كالتاج .
(2) ب : عشفا ، أو : حشفا ؟
(3) في النسختين : جلت قدرته عظم .
(4) الرعد ، 4 .
(5) سقطت « عليه » من أ . وتأخرت في ب بعد عباده .
(6) الرعد ، 3 .

ثمّ قال (عم) : وليت شعري ، ما يبعث النظر إلى النّوار والخضر من لذّة شرب المسكر ؟ بل / ما في شربه من اللّذة ، وهو يُحيل حسنَ الصّورة إلى القبح والعورة(1) من امتلاء الوجه واحمراره ، واستحالة البصر وازوراره ، واعوجاج الشّدق وسيَلان الرّيق إلى ما يحدثه من زوال العقل والحِلم وذهاب المعرفة والفهم ، حتّى إنّ إنسانا لو لم يعلم علّة السكر فرأى سكرانا لم يكن شكٌّ فيه أنّه مجنون . بل ربّما كان بعض المجانينِ يتفهّم ما يقول ويعقل ، والسكران لا يدري ولا يعقِل .

ثمّ قال (عم) : ولقد أحسن الذي وصفه فقال : إنّ السكرَ يُذهِبُ العقلَ ، وقلّ شيء ذهب فعاد كاملا . (قال) ولو لم يكن المسكر محرّما لكان فيما يوجبه نظر العاقل لنفسه أن لا يتناولَ شيئا ينقص / عقلَه . وإنّ القليلَ منه ليُذهب من عقل مَن يتناولُه مقدارَ ذلك الذي وصلَ منه إليه ، وكلّما زاد ، زاد ذلك حتّى يذهبَ العقلُ كلّه . وليس على ما يقوله مَن أحلّ قليلَه وحرّم ما أسكر منه (2) . وما أسكر الآخِر منه إلاّ مع ما تقدّم له ذلك . ومن هذا قولٌ كثير ، يوضّحه ويشهد العقل الصّحيح بصحّته.

في مثالب بني العبّاس الملاعين :

172 — (قال) وتصفّح يوما أخبار بني العبّاس في بعض الكتب ، فمرّ على يديه كتاب فيه أخبار المتغلّبين من بني العبّاس وسيرهم ممّا ألّفه وجمعه بعضُ رجالهم ممّن قصد إلى ذكر فضائلهم وتخليد أخبارهم ومآثرهم . فجعل مولانا المعزّ (عم) يقرأ أخبارهم واحدا بعد / » واحد . فأكثرُ ما يجري فيها ذكر شربهم للخمور ولهوهم بالمعازف وصِلاتهم المغنّين واللّهاة والمحتكرين (3) وقولهم الأشعار في الغلمان ، ومجونهم مع الفجّار وغدرهم وخترهم (4) وفتكهم وقتل بعضهم بعضا ، واتّخاذهم أمر الأمّة دولا .

---

(1) في « ب » الوعرة . وفي « أ » الوعورة .

(2) كان المعز يقصد هنا أبا حنيفة وأصحابه ، في موقفهم المعروف من النبيذ . ولم نجد ، والحق يقال ، من أحل منهم المسكر قليلا أو كثيرا .
ولعله يعني بالذات محمد بن الحسن الشيباني الذي قال : ما أسكر كثيره فأحب إلي ترك شربه ، ولا أحرمه . (انظر مختصر الطحاوي بتحقيق أبي الوفاء الأفغاني ، القاهرة 1370 ، ص 278) . وصار تحليل النبيذ شعارا يلصقه المغرضون بالحنفية ، حسبما يظهر في أبيات الزمخشري المعروفة :

إذا سألوا عن مذهبي لم أبح به ... وأكتمه ، كتمانه لي أسلم
فإن حنفيا قلت قالوا بأنني ... أبيح الطلا وهو الشراب المحرم

(الكشاف 310/4) .

(3) كذا في النسختين : ولا يتضح تناسب ذكر « المحتكرين » إلى الطبقات التي عددها . ولعلها مصحفة عن المجنكرين ، وهم عازفو الجنك ، وإن كنا غير واثقين من وجود هذه الآلة في القرن الرابع زمن النعمان .

(4) الختر : أقبح الغدر .

قال المعزّ (عم) : هـذه محاسن القوم ، فكيف بمساوئهـم ؟ وهـذا قول مـَن قصد بقوله مدحهم وفخرهم ، فكيف بمن قصد ذمَّهم ومعايبهم ؟

فقلت : الحمد لله الـذي لم يجعَلْنا من أتباعهم وفي أزمانهم فنكـون مثلهم ومعهم ، ونُحشرَ في زمرتهم .

قال : نعم ، الحمد لله على ما منّ به عليكم بنا وقسـم لكـم مِن وَلايتنا ولطف لكم من الكون معنـا / .

كلام جرى في مجلس في إجراء نهر عين أيّوب إلى المنصوريّة :

173 — (قال) واعتـزم (1) المعزّ لديـن الله (صلع) عـلى إجراء نهـر عيـن أيّوب (2) إلى المنصوريّة ، وقد كان القائم (عم) ابتدأ العمل فيه على أن يجريَه إلى

---

(1) في النسختَين : ولمـا ...

(2) ان مضمون هذا النص جديد كلَّ الجدة على الوثائق والدراسات التاريخية والأثرية . فهو يفيد أن القائم الخليفة الفاطمي الثاني ابتدأ العمل لاجراء عين نهر أيوب إلى القيروان ، وكان مقر الدولة يومـئذ بالمهدية ، لكن فتنة أبي يزيد عطلت الأمر . وفكر الخليفة الثالث المنصور إسماعيل في مواصلة جهود والده ، ولكن مستشاريه هولوا عليه ، وهو تخويف لم يعبأ به المعز ، إذ استأنف العمل يوم الأحد غرة المحرم سنة 348هـ ، مبتدئا من حيث انتهى القائم .

وهذه الحقائق الموثوقة تدعو لاعادة النظر في كل ما قيل عن قنوات الماء الموجهة إلى القيروان . فالنصوص لا تفيدنا بشيء توضيحي عن هذا الموضوع ، مثل الإشارة العابرة التى وردت في أرجوزة لسان الدين بن الخطيب (رقم الحلل في نظم الدول 31 — تونس 1316هـ) يتحدث فيها عن الخليفة المعز الذي : « ... جلب الماء على الحنايا » .

وقد أخذت الدراسات الأثرية وجهة مختلفة عما يفيـده نص القاضي النعمان ، ففي التقرير الذي كتبه Lieutenant Lachèvre تعتبر قناة مياه جبل الشريشيرة ضمن المنجزات الرومانية . انظر :
Paul Gauckler : Enquête sur les installations hydrauliques romaines en Tunisie IV, p. 277. Tunis 1900.

ويذكر G. Marçais أن الأغالبة هم الذيـن نقلوا المـاء إلى القيروان على قناة محمولة على دعائم . حيث تنطلق المياه من حوض التجميع الدائري داخل القناة المقبية ، وتجتاز وادي الموتى على حنايـا عقودها نصف دائرية ، لا تزال أربعة منها قائمة إلى اليوم .

واستخدم الفاطميون لتزويد صبرة / المنصورية بالماء المؤسسات التي أقامها الأغالبة قبلهم كحنايا الشريشيرة التي كان عليهم أن يصلحوا بعض أجزائها وأن يكملوا مد القنوات في الوجهة التي يريدونها وكـان G. Marçais, L'architecture musulmane d'Occident pp. 36, 93 بهذا يـوفـق بين رأيه وما انتهى إليه Solignac في بحثه Les installations hydrauliques de Kairouan لقناة جبل الشريشيرة ومنابعها ومسالكها وعصور بنائها ، حيث تصل القناة الرومانية إلى « هنشيـر غراره » ومن هناك يبدأ المجرى الأغلبي، الذي لم يغير الفاطميون شيئا من مخططه وخطة سيره الا عند اقترابه من القيروان إذ أضيف إليه بعد ترميمه مجرى آخر أوسع وأكثر استيعابا لحجم الماء المار بـه .

ولاحظ Solignac بعض الفروق التي اتخذها معيارا للتمييز بين عملي الأغالبة والفاطميين ، وذلك أن مواد البناء التي استخدمت في إقامة هذا الأثر لربط أحجاره وتغشية سطوحه تشتمل على رماد الخشب والخزف المدقوق tuileau ، ولكن نسبتها في القسم الفاطمـي أكثر ارتفاعـا . (انظر المصدر السابق ، 126 وما بعدها) .

ان نص النعمان لا يدع شكا في وضوح دلالته . ويستمد توثيقه عندنا من شخصية كاتبه وعلاقتـه بالخليفة المعز . ونستبعد أن ينسب هذا الخليفة لنفسه ولأسلافه مـا لم ينجزوه من كبير الأعمـال .

وإذا عدلنا نظرتنا بالنسبة إلى قناة الشريشيرة والحنايا الحاملة لها إلى أعمال الفاطميين وفق هذا النص فسيظل هناك سؤال مهم يتطلب الاجابة، هو : من أين كان الأغالبة يستقون ويملأون بركهـم الواسعة بالقيروان ورقادة ؟

كما سيظل اسم « أيوب » الذي نسبت إليه العين ، نقطة تساؤل عنه وعن منزلته .

مدينة القيروان ، ثـم ّ جاءت الفتنة فقطعـت ذلك ، وهـم ّ المنصور بذلك فهُـوِّلَ عليه أمرُه .

ثم ّ اعتزم المعـزّ (عم) عـلى إجـرائـه . وبـدأ بالعمـل فيـه أوّل يوم من المحرّم سنة ثمـان وأربعيـن وثـلاث مائـة وذلك يـوم الأحـد . وقيس ما بين المكان الـذي بلغ به القائم إلى المنصوريّة فوجد طوله ثلاثة وسبعين ألف ذراع . فأمر بأن يجري قناة تبنى بالجير (1) تأخذ في أسناد (2) / جبال وتمرّ على أودية وأوطئة يحتاج فيها إلى آزاج (3) يجري الماء من فوقها .

واستهال ذلك بعضُ من حضر . فقال المعزّ (عم) : قد هُوِّل مثلُ هذا التّهويل على القائم (عم)، وقيل له : والله لو جُعِلتْ في ساقية من زجاج ما جرت . وقيـل للمنصور (عم) : يحتاج أن ينفق فوق مائة ألف دينار ، ثم ّ الله أعلم هل يصحّ جريها أو لا . وكان ذلك سبب تركها . ولا والله لا أتركها ولو أنفقت فيها أضعاف مـا قيل . والله لو علمت أنّ الزّجّاجين يستطيعون لنا بيتا (4) من الزجاج لأمرتُ بعملها ولأجريْتُها فيها ، ليعلم من يُهوّل ذلك أنّه لا يَهُولني ولا أستَعْظِمـُه . وإنّـمـا تهيّأ ما تهيّأ لمن تقدّم / من ملوك الأرض من مثل هذه الأعمال، بالعزم عليها والحزم فيها .

ثم ّ ذكر ماء جبل زغوان الذي كان يجري في قناة (5) قرطاجنّة فقال : أما والله لو كان لنا هناك ما نستقي به لأصلحتُ تلك القناة ولأجريتُه فيها . وإن كان

---

(1) كذا في « ب » . وفي « أ » تبنى بالجهر والجير .

(2) جمع سند محركة : ما قابلك من الجبل وعلا من السفح .

(3) العقـــود التي تحمل القناة ، والمفرد أزج .

(4) كذا في النسختين ، ولعلها : يستطيعون بناءها .

(5) انظر عن جبل زغوان : البكري 45 والادريسي 119 اذ يذكر « أنه أكثر الجبال ماء » . وتعتبر هذه القناة المحمولة على « قناطر » أو « حنايا » من عمل الامبراطور Hadrien (انظر عنها F. Rakob, le sanctuaire des eaux à Zaghouan, Africa III-IV p. 133. Tunis, 1972,

وقد تعطل عملها في أيام الفتح الاسلامـــي لافريقية ، وأصلحها المستنصر بالله الحفصي إصلاحا لم يكن ليتناسب مع ما كانت عليه . وقد وصف الرحالة العبدري عمله بقوله : « انه احتاج إلى إصلاح بعض الحنايا بها مما يلي تونس ليوصل الماء إليها إذ كانت معطلة قبله ، فأقام في عملها مجتهدا بأقصى ما يمكنه أعواما عديدة ولم يمكنه رد ذلك على ما كان عليه ولا ما يقرب منه ، بل اقتنع بتسديده كيفما أمكن مع قلته وتفاهته بالاضافة إلى غيره » (الرحلة ، 41) وقد استأثر بمائها « قصر السلطان وجنانه الا رشحا يسيرا سرب إلى ساقية جامع الزيتونة يرتشف منها في أنابيب من رصاص » (ص 40) .

ويظهر من كلام المعز أنه فكر في إصلاح قناة زغوان . وأيضا في جلب ماء زغوان إلى المنصورية ، فلم يقعده إلا خشية قطع الماء على سكان تونس وقرطاجنة .

الناس يتعاظمون أمرَهما ويرون أنّ أحدا لا يقدر على ذلك ، فليت شعري كيف جاز ذلك عندهم لمن تقدّم ولا يجوز لمن تأخّر ! ؟ اللّهم إلاّ أن يصحّ في عقولهم الفاسدة أنّهم كانوا في القوّة وعظم الأجسام في خلاف ما عليه اليوم الأنام . وكلما زعموا أنّ المرأة كانت تأتي بأعظم صخرة ، يرونها تحملها على رأسها ومِغزَلُها في يدها . فإن كان بمثل هذا / من المُحال تَصَوَّبَ هذا عندهم ، فنعم.

ثمّ قال : والله لقد صرت إلى ناحية تونس وما لي نظر (1) إلاّ إلى ذلك الماء وكيف ينتهي جريه إلى المنصورية ، فلقد رأيته ممكنا . وإنّي لأرجو ، إذا أعاننا الله على هذه القناة وأوصلها ، أن أجريَه بعونه وتأييده وتوفيقه . وما يتعاظم من مرامِ مثل هذه الأعمال إلاّ أن يكون * الأجل يقطع دونها ، فيأتي ، بعد من رام ذلك وابتدأه ، مِن أهل العجز مَن يقعد عنه فينسِبُ مبتدىءَ ذلك (2) إلى تعاطي ما لا يقوم به و[ا]يهمّ بما لا يتهيّأ له (3) ، فيَنْتقِصه بذلك ، والنّقص أولى بمَن قال ذلك فيه ونسبه إليه .

فقلت : يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ويسدّ في عمره / ويفسح في أيّامه حتّى يُبلغَه أملَه ويبقي من آثاره الصّالحة في الأرض ما يجمعُه إلى أخباره الرّضيّة . فما رأيتُ شيئا تعاظمه مَنْ قبلَه وأعجزهم مرامه إلاّ هيّأه الله (عج) له ونصره عليه . ولقد كان هذانَ العمودان بمدينة سوسة (4) من أعظم آثار الأوّلين ، وكان النّظر إليهما عبرة . ولم ير النّاس أنّهما أمكنا مَن أقامهما إلاّ لقربهما من البحر ، وأنّهما فيه أتاهم آت بهما وأعجز كلّ من تقدّم من ملوك إفريقيّة في الجاهليّة والإسلام تحريكُهما من مكانهما ، فضلا عن نقلهما ذراعا فما فوقه عنه .

---

(1) أ : وما نظرت .

(2) سقط من ب : وابتدأه ... مبتدىء ذلك .

(3) سقط من أ : وهم ... له .

(4) هذه أول إشارة عن مصدر هذين العمودين الكبيرين اللذين نقلا إلى المنصورية واستخدما ضمن بعض قصورها . وبعد خراب الموقع وتحوله إلى محجر لاستمداد مواد البناء القديمة ، عمدوا إلى نشر هذين العمودين ونقلوا منهما أجزاء كبيرة ، وظل بعضها هناك إلى اليوم . ويسميها العامة « عرصات الدم » وهي ذات قطر مقداره 1،50 متر . وقد أفادت الأسبار الأثرية حولها أن المكان الذي تقع فيه حاليا قد دحرجت إليه قصد نقلها وليس لها أي علاقة معمارية بالموقع . انظر عنها :
(Ch. Tissot, géographie comparée de la province romaine d'Afrique T. II, 608 Paris 1888)

ولقد ذكرهما أمير المؤمنين ، وكنّا نرى أنّ ذلك لا يمكن بحيلة ونحبّ أن لو لم يتعرّض لهما لِئلاّ يُعجزاه/ فيكونُ ذلك بعض النّقص . ثمّ رأينا لمّا اعتزم على ذلك أن يحشد النّاس إليهما من البلدان ويجلبوا من الآفاق . فما أفرد لذلك إلاّ طائفةً من عبيده المماليك ، وما أشرك معهم أحدا غيرهم . فأتَوا بهما في أوشك مدّة وأيسر مؤونة بتيسير الله وتأييده (عج) لوليّه .

فقال : نعم ، الحمد لله على ذلك وعلى جميع نِعمه . ولقد تركتُ ما ذكرتَ من جمع الجموع إليهما فرأيتُ أنّ القليل في ذلك أفضل وأزكى ، لأنّ الكثير يتّكل بعض[هم] على بعض وتختلف أيديهم ولا يكاد الأمر والنّهي – ممّن يقوم على أمر ذلك ويتولاّه – يتّصل بجميعهم ، وذلك مع القليل أفضل * وأبلغ .

فما رأيتُ ولا سمعتُ بأعلم منه (عم)/ بكلّ فنّ يأخذ فيه من جميع ما يتصرّف الناس فيه .

كلام جرى يوما في مجلس في ذكر الكيمياء :

174 – (قال) وذكر الكيمياء يوما فقال : سمعت المنصور بالله (عم) ذكرها وقال: قد اجتهد على إبطالها بعض من أنكرها باشتقاق اسمها من الكتمان ، لأنّهم قالوا : كمى يكمي الإنسانُ الشهادةَ كميًا إذا كتمَها، وتكمّى الرّجل بسِلاحه ، إذا تغطّى به واستتَر به ، وتكمّتهُمُ الفتنة والشرّ، إذا غشِيَتهُم . ومنه سمّي الكَميُّ ، وهو الشجاع ، إذا تكمّى بسلاحه وتغطّى به .

(قال) ثمّ قال المنصور عليه السلام: هي مكتومة عند من جهِلَها معلومة عند من عَرَفها . وذلك كما يكون ما كُتِم واستتر مجهولا عند من سُتِر وكُتِم عنه ، معلوما عند / من ظهر له واطّلع عليه .

وكان ذكر المعزّ صلوات الله عليه لذلك بعقب شيء ذكره من علم الباطن ، فعلمت أنّه انّما جاء صلوات الله عليه بذلك شاهدا ودليلا ورمزا فيه .

كلام في أمر العمّال جرى في مجلس :

175 – (قال): وذكر له (عم) أمر العمّال والمتولّين وأنّ كثيرا منهم يظلمون ويتجاوزون إلى الناس ويتعدّون ما حدّهُ لهم أمير المؤمنين فقال: أما والله ما أغفلتُ أمرهم ولا أغضيتُ عنه، ولا أغضي ولا أتغافل إلاّ عمّا يكون لي في ذات نفسي .

وأمّا ما كان لعباد الله ممّا قلّدنيه جلّ ذكره ، فلا أدع منه إلاّ ما لا حيلة لي فيه، ولا استطاعة لي عليه، وما أعلم أنّ الله تعالى يعذرُني فيه / ولا يسألني عنه، لأنّه (عج) لا يكلّف نفسا إلاّ وسعها. والله ما وجدتُ إلاّ ما فعلتُه . أوَ أترُكُ(1) حقّ الله الذي أقام به أوَدَ خلقه وجهادِ عدوّه وصلاح أمور بريّته،الذي لو ترك لكان البَوار والدّمار في تركه ! وإنّ أكثر ما أمكنني واستطعته، أن اخترت لذلك أمثلَ مَن وجدته يقوم به ويصلُح له . ولو دعوت من أراه أفضل منه في دينه لما قام ولا استطاع له ولم يكن يجيب إليه . فضاعت الحقوق ، وكان ذلك سبب ما ذكرته من المكروه .

وإذا أنا ندبت أو أندب لذلك أمثلَ مَن رأيته، أمرته بالعدل وحسن السّيرة وأخذ الحقّ بلا زيادة عليه ولا نقص منه . وعهدت في / ذلك إليه وكتبت له كتابا بيده يكون حجّة له وعليه . فإذا صار إلى عملة استقبله مَن كان يكره العاملَ والنّاظرَ قبلَه ، يحبّ أن يخصّه وأن يكون بطانةً له . وأكثر خروج العمّال والمتولّين إنّما يكون قبل وقت أخذ الواجب (2) . فلا يزال مشكورا عند أهل عمله ما لم يتناول شيئا من الواجب منهم . فإذا أخذ في ذلك بدأ القول فيه ، فشكاه قوم ، وجاء آخرون يشكرونه . وكنّا على غير يقين بما يقولون . ويأتي هو من الإحتجاج بما يبيّن أكثرَه . وربّما كان من يشكوه (3) يزيد في القول عليه أو يأتي بشيء لم يكن منه . فإذا اتّضح ذلك قَوِيَتْ حجّتُه وكلامُه فلا نكاد نقف من ذلك على صحيح من / سقيم . ويأتي قوم ، فيزكّونه ويشكرونه ، وآخرون يقعون فيه ويذمّونه، فلا يكاد أمره يتّضح ، ولا ما قيل فيه يفسد ولا يصحّ ، حتّى يأتيَ على ذلك ما خرج إليه ، وينقص ما تولاّه . ولو ذهبنا أن نكفّ يده في أوّل ما قيل فيه ولم نقف على صحيح أمره لذهبت الحقوق والواجبات، وتعطّلت الجبايات، وانكسرت الأموال ، وكان ذلك سبب ما قدّمنا ذكرَهُ من فساد الأحوال . ومع ذلك إنّا لا نجد مَن نثق به فنستظهرُ بقوله في كلّ بلد وموضع ،ولا نجد أيضا مَن نرضاه يتولّى ذلك كما ذكرناه،وتضطرّنا الحال إلى ما نصيرُ إليه ممّا قدّمنا ذكرَه.

---

(1) في أ و ب : أو ترك .

(2) يعني بالواجب ما يجب استيفاؤه شرعا من الضرائب . (انظر : الأعمال ص 405، والواجبات ص 407، والنفقة ص 498 من هذا الكتاب) .

(3) في أ : يشكره .

فليس يعلم ما نقاسيه من/ذلك إلاّ الله (عج) الذي نرجو أن يقوم لنا العذرُ فيه عنده. وبمثل هذا احتجّ علينا الدجّال البربريّ مخلد بن كيداد لمّا قام محتسبا (1) علينا بزعمه. فلمّا توسّط أمره انخرق الأمر في يده فأهلك الحرثَ والنّسل وأخرب البلاد وأهلك العباد .

قال بعض من حضر المجلس :هو كما ذكر أمير المؤمنين . والخبر المشهور أنّ رجلا أتى إليه فقال له : عندي نصيحة يسمعها الشّيخ ويراها المسلمون .

قال : وما هي ؟

فأخرج مخلاة معه فيها رقاع كثيرة .

فقال : ما هذه ؟

قال :هذه الرّقاع التي ترى، وَدَيْتُ كلَّ ما فيها عن نفسي وحدي من تقسيط ونُزُلٍ وغيرِ ذلك من المغارم / . وجعل يقرؤها عليه واحدةً واحدة وهو يصغي إليه وينبّه مَن حوله على ذلك. وأمر بإحضار وجوه من كان معه من أهل البلدان من رجاله لذلك ، يريد به الشّناعة فاحتفل عندَه خلقٌ عظيم . حتّى أتى الرجل على جميع تلك الرقّاع . فقال : انظروا ! هذا رَجل واحد حلّ به مثل هذا فاعرفوا ما قمتم فيه وثوابه .

فقال له الرجل : وأخبرك يا شيخَ المسلمين بأعظم من هذا ! فأصغى إليه ومن حوله .

فقال : ما هو ؟

قال :إنّي وَدَيْت هذا الذي سمعت ، في هذه السّنين التي قد رأيتَ وسمعتَ تاريخَها في هذه الرّقاع وأنا في منزلي وداري ومعي أهلي وَوَلدي ، وعندي / من

(1) لقد علل أبو يزيد ثورته على الفاطميين بأنهم أثقلوا الناس بالضرائب المشطة ، فوجب عليه أن يقوم محتسبا لله مدافعا عن مصالح المسلمين . ويظهر موقفه هذا بوضوح من خلال النص الطويل الذي أورده المقريزي (المقفى 195 ب) ، وفيه هذا الحوار بين المنصور وأسيره أبي يزيد :
« ما الذي اعتددت على أمير المؤمنين – يعني القائم بأمر الله – حين خرجت عليه ؟ فقال : كان
« أبو القاسم كريما حوله قوم سوء أحدثوا هذه القبالات التي فيها الجور على المسلمين فقمت لذلك
« مفكرا أريد اصلاح أمور الناس . قال : فهل علمت أن ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره ؟
« قال : لا أعلم . قال : فهلا رفعت ذلك إليه وأطلعته عليه ، فان غير المنكر كان الذي أردت ،
« وإن هو لم يفعل اتخذت ذلك حجة عليه . فسكت . قال : كأنك إنما قمت محتسبا ؟ قال نعم . »
وانظر ص 429 حيث يبرأ القائم من تصرفات بعض الأولياء مما أثار غضب الرعايا .

العبيد كذا ، ومن البقر كذا ، ومن الغنم والذّخائر كذا، والطّعام والزّيت والزّبيب كذا وكذا – وعدّد أشياء كثيرة – إلى أن دخل إلينا أصحابُك فانتهبوا جميع ذلك حتّى لم يبق لي منه قليل ولا كثير . وخرّبوا منزلي وفرّقوا أهلي وولدي وقرابتي ، فلم أجد أحدا أسكن معه فارتحلت بأهلي بعد أن أخذ عبيدي ، فلقيني بعضهم فانتزعوا منّي أهلي(1)وبناتي وافترقوهم . فجئت إلى عسكرك أدور فيه،فوقعت على بعضهم، فكاد مَن كان عنده يقتلني . وما نجوت إليك بنفسي إلاّ عن جهد .

فأسقط في يد الشّيخ السّوء وتنكّر أصحابه على ذلك الرّجل وهمّوا به وكادوا أن يقتلوه/. فما خلّصه منهم إلاّ بحيلة وأرسله مستترًا مع قوم حتّى أوصلوه مدينة القيروان . وذهب جميع ما ذكره له .

وهذا قليل في كثير ممّا نال غيره . وما عرف النّاس فضلَ ما كانوا فيه إلاّ عندما وقعت تلك الفتنة بهم وحلّ ما حلّ من هذا بأكثرهم.وأكثر النّاس لا يعرفون ولا يدرون قدرَ نعم السّلطان عليهم،ويتعاظمون اليسير ممّا يكلّفهم ولا يرضيهم إلاّ التّرك بالجملة لهم حتّى تحلّ النّائبة بهم فيعلمون عند ذلك فضل ما كانوا فيه .

وإنّي لأذكر يوما أنّي كنت بالمهديّة في زمن المهديّ (عم) ، فسمعت قوما من أهل البوادي قد باعوا غلّة ومتاعا لهم فدخلوا يطلبون ثمنه/وقد نَضّ في أيديهم مال كثير منهم فجعلوا يحسبونه ويذكرون ما لزمهم في الأداء(2) عليه،فعظّموا ذلك ، وأنا أسمعهم من حيث لم يعلموا ، وحولهم خلق من العبيد قياما وقعودا ذاهبون وراجعون . فلمّا انقطع كلامهم، قلت لهم : ويحكم ، أما تخافون على هذا المال بين أيديكم من هؤلاء الذين حولكم ؟ فضحكوا من قولي وقالوا : نحن في حرم أمير المؤمنين ومدينته نخاف هؤلاء وغيرهم ؟!

فقلت : فإن خرجتم ، أما تخافون منهم وأمثالهم من وراء المدينة ؟!

فقالوا : لا . وأنكروا قولي .

قلت : ولا في طريقكم إلى منازلكم ؟

قالوا : ما نخاف من أحد .

(1) سقط من ب : بعد ان أخذ ... مني أهلي .
(2) في أ وب : الأذى .

قلت / : ولا في منازلكم؟ فجعلُوا يتعجّبون من كلامي كأنّهم رأوني غريبا ولا أعلم حال البلد .

قلت : أفما تعلمون أنّ هؤلاء وأمثالهم أقوى منكم أبدانا وأنكى وأشجع وأكثرُ عددا ؟

قالوا : نعم .

[قلت] : وأنتم أغنى وأيسر وأكثر نعما وأهلا ؟

قالوا : بلى .

قلت : فما الذي يمنعهم من التّوثّب عليكم وأكل أموالكم وانتهاك حريمكم ؟

قالوا : يمنعهم من ذلك خوفُ السّلطان .

قلت : وبماذا قدر عليهم السّلطان ؟ أليس بالرّجال الذين يرزقهم ويُجري عليهم ؟

قالوا : نعم .

قلت : وبذلك دفع العدوّ عنكم وعن غيركم وأمِنتم على أنفسكم وأموالكم وأهلكم ؟

قالوا : نعم .

قلت : فلِمَ تتعاظمونَ أن يأخذَ منكم لذلك يسيرا / من كثير وقليلا من جليل ؟

فجعلوا يعترفون بالنّعمة وقالوا: جزاك الله خيرا ! لقد صدقت فيما قلت لنا وسهّلت الأمر علينا وعرّفتنا من العواقب ما قد كان غاب عنّا . وجعلوا يتفاوضون في ذلك ويذكرون قدر النّعمة عليهم فيه .

وأكثر النّاس همج لا يحاسبون أنفسَهُم ولا ينزّلون الأمور عندهم ، فيريدون من وُلاة أمرهم أن يدفعوا عنهم ويجاهدوا عدوّهم ويكفّوا أيدي المتطاولين عليهم عنهم ، ويُنفقُون في ذلك ويرزقون من يقوّونه بلا مؤنة عليهم ولا واجب يقيمونه لهم ، ولا فرض ممّا افترضه الله يؤدّونَه إليهم . كأنّ الذي ينفقونه على مصالحهم يقطعونه/من الجبال أو يغرفونه من البحارِ أو يقيمونه بملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يسألونهم شيئا على ما يعملون. فهم في ذلك كمن حكى الله تعالى

قـولهـم لمـوسـى بن عمـران : « اذْهَبْ أنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إنَّا هَهُنا قَاعِدُونَ (1) » .

كلام فيما يستحبّ الفاضل من البقاء في الدّنيا (2) :

176 — (قال) : وسمعته صلوات الله عليه يقول : سمعت المنصور (صع) يقول : إنّما يستحبّ الفاضلُ البقاءَ في الدّنيا ليظهر الله عزّ وجلّ منه ما هو كامن من الخير والفضل فيعظم ثوابه ويجلّ في الدار الآخرة قدرُه . وإلاّ فإنّ الذي له عند الله في الدّار الآخرة أفضلُ ممّا له في الدّنيا / .

(1) المائدة ، 24 .
(2) كذا في « أ » . وفي « ب » : حكاية المعز عن المنصور عليهما السلام فيما يستحب من البقاء .

مدينة القيروان ، ثمّ جاءت الفتنة فقطعت ذلك ، وهمّ المنصور بذلك فهُوّلَ عليه أمرُه .

ثمّ اعتزم المعزّ (عم) على إجرائه . وبدأ بالعمل فيه أوّل يوم من المحرّم سنة ثمان وأربعين وثلاث مائة وذلك يوم الأحد . وقيس ما بين المكان الذي بلغ به القائم إلى المنصوريّة فوجد طوله ثلاثة وسبعين ألف ذراع . فأمر بأن يجري قناة تبنى بالجير (1) تأخذ في أسناد (2) / جبال وتمرّ على أودية وأوطئة يحتاج فيها إلى آزاج (3) يجري الماء من فوقها .

واستهال ذلك بعضُ من حضر . فقال المعزّ (عم) : قد هُوّل مثلُ هذا التّهويل على القائم (عم)، وقيل له : والله لو جُعِلتْ في ساقية من زجاج ما جرت . وقيل للمنصور (عم) : يحتاج أن ينفق فوق مائة ألف دينار، ثمّ الله أعلم هل يصحّ جريها أو لا . وكان ذلك سبب تركها . ولا والله لا أتركها ولو أنفقت فيها أضعاف ما قيل . والله لو علمت أنّ الزّجّاجين يستطيعون لنا بيتا (4) من الزجاج لأمرتُ بعملها ولأجريْتُها فيها ، ليعلم من يُهوّل ذلك أنّه لا يَهُولني ولا أستَعْظِمُه . وإنّما تهيّأ ما تهيّأ لمن تقدّم / من ملوك الأرض من مثل هذه الأعمال، بالعزم عليها والحزم فيها .

ثمّ ذكر ماء جبل زغوان الذي كان يجري في قناة (5) قرطاجنّة فقال : أما والله لو كان لنا هناك ما نستقي به لأصلحتُ تلك القناة ولأجريتُه فيها . وإن كان

---

(1) كذا في « ب » . وفي « أ » تبنى بالجهر والجير .

(2) جمع سند محركة : ما قابلك من الجبل وعلا من السفح .

(3) العقود التي تحمل القناة ، والمفرد أزج .

(4) كذا في النسختين ، ولعلها : يستطيعون بناءها .

(5) انظر عن جبل زغوان : البكري 45 والادريسي 119 اذ يذكر « أنه أكثر الجبال ماء » . وتعتبر هذه القناة المحمولة على « قناطر » أو « حنايا » من عمل الامبراطور Hadrien (انظر عنها
F. Rakob, le sanctuaire des eaux à Zaghouan, Africa III-IV p. 133. Tunis, 1972,

وقد تعطل عملها في أيام الفتح الاسلامي لافريقية ، وأصلحها المستنصر بالله الحفصي إصلاحا لم يكن ليتناسب مع ما كانت عليه . وقد وصف الرحالة العبدري عمله بقوله : « انه احتاج إلى إصلاح بعض الحنايا بها مما يلي تونس ليوصل الماء إليها إذ كانت معطلة قبله ، فأقام في عملها مجتهدا بأقصى ما يمكنه أعواما عديدة ولم يمكنه رد ذلك على ما كان عليه ولا ما يقرب منه ، بل اقتنع بتسديده كيفما أمكن مع قلته وتفاهته بالاضافة إلى غيره » (الرحلة ، 41) وقد استأثر بمائها « قصر السلطان وجنانه الا رشحا يسيرا سرب إلى ساقية جامع الزيتونة يرتشف منها في أنابيب من رصاص » (ص 40) .

ويظهر من كلام المعز أنه فكر في إصلاح قناة زغوان . وأيضا في جلب ماء زغوان إلى المنصورية ، فلم يقعده إلا خشية قطع الماء على سكان تونس وقرطاجنة .

الناس يتعاظمـون أمرَهما ويرون أنّ أحدا لا يقدر على ذلك ، فليت شعري كيف جـاز ذلك عنـدهم لمـن تقـدّم ولا يجـوز لمـن تـأخّـر ! ؟ اللّهـم إلاّ أن يصحّ في عقولهم الفاسدة أنّهم كانوا في القوّة وعظم الأجسام في خلاف ما عليه اليوم الأنام . وكما زعموا أنّ المرأة كانت تأتي بأعظم صخرة ، يرونها تحملها على رأسها ومِغزَلُها في يدها . فإن كان بمثل هذا / من المُحال تَصَوَّبَ هذا عندهم ، فنعم.

ثمّ قال : والله لقد صرت إلى ناحية تونس وما لي نظر (1) إلاّ إلى ذلك الماء وكيف ينتهي جريه إلى المنصورية ، فلقد رأيته ممكنا . وإنّي لأرجو ، إذا أعاننا الله على هذه القناة وأوصلها ، أن أجريَه بعونه وتأييده وتوفيقه . وما يتعاظم من مرامِ مثل هذه الأعمال إلاّ أن يكون * الأجل يقطع دونها ، فيأتي ، بعد من رام ذلك وابتدأه ، مِن أهل العجز مَن يقعد عنه فينسِبُ مبتدىءَ ذلك (2) إلى تعاطي ما لا يقوم به و[ا]لهمّ بما لا يتهيّأ له (3) ، فيَنْتَقِصه بذلك ، والنّقص أولى بمَن قال ذلك فيه ونسبه إليه .

فقلت : يطيل الله بقاء أمير المؤمنين ويسدّ في عمره / ويفسح في أيّامه حتّى يُبلِغَه أملَه ويبقي من آثاره الصّالحة في الأرض ما يجمعُه إلى أخباره الرّضيّة . فما رأيتُ شيئا تعاظمه مَنْ قبلَه وأعجزهم مرامه إلاّ هيّأه الله (عج) له ونصره عليه . ولقد كان هذانَ العمودان بمدينة سوسة (4) من أعظم آثار الأوّلين ، وكان النّظر إليهما عبرة . ولم ير النّاس أنّهما أمكنا مَن أقامهما إلاّ لقربهما من البحر ، وأنّهما فيه أتاهم آت بهما وأعجز كلّ من تقدّم من ملوك إفريقيّة في الجاهليّة والإسلام تحريكُهما من مكانهما ، فضلا عن نقلهما ذراعا فما فوقه عنه .

---

(1) أ : وما نظـرت .
(2) سقط من ب : وابتدأه ... مبتدىء ذلك .
(3) سقط من أ : وهم ... له .
(4) هذه أول إشارة عن مصدر هذين العمودين الكبيرين اللذين نقلا إلى المنصورية واستخدما ضمن بعض قصورها . وبعد خراب الموقع وتحوله إلى محجر لاستمداد مواد البناء القديمة ، عمدوا إلى نشر هذين العمودين ونقلوا منهما أجزاء كبيرة ، وظل بعضها هناك إلى اليوم . ويسميها العامة « عرصات الدم » وهي ذات قطر مقداره 1،50 متر . وقد أفادت الأسبار الأثرية حولها أن المكان الذي تقع فيه حاليا قد دحرجت إليه قصد نقلها وليس لها أي علاقة معمارية بالموقع . انظر عنها :
(Ch. Tissot, géographie comparée de la province romaine d'Afrique T. II, 608 Paris 1888)

ولقد ذكرهما أمير المؤمنين ، وكنّا نرى أنّ ذلك لا يمكن بحيلة ونحبّ أن لو لم يتعرّض لهما لئلاّ يُعجزاه/ فيكونُ ذلك بعض النّقص . ثمّ رأينا لمّا اعترم على ذلك أن يحشد النّاس إليهما من البلدان ويجلبوا من الآفاق . فما أفرد لذلك إلاّ طائفةً من عبيده المماليك ، وما أشرك معهم أحدا غيرهم . فأتَوا بهما في أوشك مدّة وأيسر مؤونة بتيسير الله وتأييده (عج) لوليّه .

فقال : نعم ، الحمد لله على ذلك وعلى جميع نِعمه . ولقد تركتُ ما ذكرتَ من جمع الجموع إليهما فرأيتُ أنّ القليل في ذلك أفضل وأزكى ، لأنّ الكثير يتّكل بعض[هم] على بعض وتختلف أيديهم ولا يكاد الأمر والنّهي – ممّن يقوم على أمر ذلك ويتولاّه – يتّصل بجميعهم ، وذلك مع القليل أفضل * وأبلغ .

فما رأيتُ ولا سمعتُ بأعلم منه (عم)/ بكلّ فنّ يأخذ فيه من جميع ما يتصرّف الناس فيه .

كلام جرى يوما في مجلس في ذكر الكيمياء :

174 – (قال) وذكر الكيمياء يوما فقال : سمعت المنصور بالله (عم) ذكرها وقال: قد اجتهد على إبطالها بعض من أنكرها باشتقاق اسمها من الكتمان ، لأنّهم قالوا : كمى يكمي الإنسانُ الشهادةَ كمْيًا إذا كتَمَها، وتكمّى الرّجل بسلاحه ، إذا تغطّى به واستَتَر به ، وتَكَمَّتْهُمُ الفتنة والشرّ، إذا غشيَتْهُم . ومنه سمّي الكَمِيُّ ، وهو الشجاع ، إذا تكمّى بسلاحه وتغطّى به .

(قال) ثمّ قال المنصور عليه السلام: هي مكتومة عند من جهِلَها معلومة عند من عرَفها . وذلك كما يكون ما كُتِم واستتر مجهولا عند من سُتِر وكُتِم عنه ، معلوما عند / من ظهر له واطّلع عليه .

وكان ذكر المعزّ صلوات الله عليه لذلك بعقب شيء ذكره من علم الباطن ، فعلمت أنّه انّما جاء صلوات الله عليه بذلك شاهدا ودليلا ورمزا فيه .

كلام في أمر العمّال جرى في مجلس :

175 – (قال): وذكر له (عم) أمر العمّال والمتولّين وأنّ كثيرا منهم يظلمون ويتجاوزون إلى الناس ويتعدّون ما حدّهُ لهم أمير المؤمنين فقال: أما والله ما أغفلتُ أمرهم ولا أغضيتُ عنه، ولا أغضي ولا أتغافل إلاّ عمّا يكون لي في ذات نفسي .

وأمّا ما كان لعباد الله ممّا قلّدنيه جلّ ذكره ، فلا أدع منه إلاّ ما لا حيلة لي فيه، ولا استطاعة لي عليه، وما أعلم أنّ الله تعالى يعذرُني فيه / ولا يسألني عنه، لأنّه (عج) لا يكلّف نفسا إلاّ وسعها. والله ما وجدتُ إلاّ ما فعلتُه . أوَ أترُكُ(1) حقّ الله الذي أقام به أوَدَ خلقه وجهاد عدوّه وصلاح أمور بريّته،الذي لو ترك لكان البَوار والدّمار في تركه ! وإنّ أكثر ما أمكنني واستطعته، أن اخترت لذلك أمثلَ مَن وجدته يقوم به ويصلُح له . ولو دعوت من أراه أفضل منه في دينه لما قام ولا استطاع له ولم يكن يجيب إليه . فضاعت الحقوق ، وكان ذلك سبب ما ذكرته من المكروه .

وإذا أنا ندبت أو أندب لذلك أمثلَ مَن رأيته، أمرته بالعدل وحسن السّيرة وأخذ الحقّ بلا زيادة عليه ولا نقص منه . وعهدت في / ذلك إليه وكتبت له كتابا بيده يكون حجّة له وعليه . فإذا صار إلى عملة استقبله مَن كان يكره العاملَ والنّاظرَ قبلَه ، يحبّ أن يخصّه وأن يكون بِطانةً له . وأكثر خروج العمّال والمتولّين إنّما يكون قبل وقت أخذ الواجب(2) . فلا يزال مشكورا عند أهل عمله ما لم يتناول شيئا من الواجب منهم . فإذا أخذ في ذلك بدأ القول فيه ، فشكاه قوم ، وجاء آخرون يشكرونه . وكنّا على غير يقين بما يقولون . ويأتي هو من الإحتجاج بما يبيّن أكثرَه . وربّما كان من يشكوه (3) يزيد في القول عليه أو يأتي بشيء لم يكن منه . فإذا اتّضح ذلك قَوِيَتْ حجّتُه وكلامُه فلا نكاد نقف من ذلك على صحيح من / سقيم . ويأتي قوم ، فيزكّونه ويشكرونه ، وآخرون يقعون فيه ويذمّونه، فلا يكاد أمره يتّضح ، ولا ما قيل فيه يفسد ولا يصحّ ، حتّى يأتيَ على ذلك ما خرج إليه ، وينقص ما تولاّه . ولو ذهبنا أن نكفّ يده في أوّل ما قيل فيه ولم نقف على صحيح أمره لذهبت الحقوق والواجبات، وتعطّلت الجبايات، وانكسرت الأموال ، وكان ذلك سبب ما قدّمنا ذكرَهُ من فساد الأحوال . ومع ذلك إنّا لا نجد مَن نثق به فنستظهرُ بقوله في كلّ بلد وموضع،ولا نجد أيضا مَن نرضاه يتولّى ذلك كما ذكرناه،وتضطرّنا الحال إلى ما نصيرُ إليه ممّا قدّمنا ذكرَه.

---

(1) في أ و ب : أو ترك .
(2) يعني بالواجب ما يجب استيفاؤه شرعا من الضرائب . (انظر : الأعمال ص 405، والواجبات ص 407، والنفقة ص 498 من هذا الكتاب) .
(3) في أ : يشكره .

فليس يعلم ما نقاسيه من/ذلك إلاّ الله (عج) الذي نرجو أن يقوم لنا العذرُ فيه عنده. وبمثل هذا احتجّ علينا الدجّال البربريّ مخلد بن كيداد لمّا قام محتسبا (1) علينا بزعمه. فلمّا توسّط أمره انخرق الأمر في يده فأهلك الحرثَ والنّسل وأخرب البلاد وأهلك العباد.

قال بعض من حضر المجلس: هو كما ذكر أمير المؤمنين. والخبر المشهور أنّ رجلا أتى إليه فقال له: عندي نصيحة يسمعها الشّيخ ويراها المسلمون.

قال: وما هي؟

فأخرج مخلاة معه فيها رقاع كثيرة.

فقال: ما هذه؟

قال: هذه الرّقاع التي ترى، وَدَيْتُ كلّ ما فيها عن نفسي وحدي من تقسيط ونُزُلٍ وغيرِ ذلك من المغارم /. وجعل يقرؤها عليه واحدةً واحدة وهو يصغي إليه وينبّه مَن حوله على ذلك. وأمر بإحضار وجوه من كان معه من أهل البلدان من رجاله لذلك، يريد به الشّناعة فاحتفل عندَه خلقٌ عظيم. حتّى أتى الرجل على جميع تلك الرقّاع. فقال: انظروا! هذا رجل واحد حلّ به مثل هذا فاعرفوا ما قمتم فيه وثوابه.

فقال له الرجل: وأخبرك يا شيخَ المسلمين بأعظم من هذا! فأصغى إليه ومن حوله.

فقال: ما هو؟

قال: إنّي وَدَيْت هذا الذي سمعت * في هذه السّنين التي قد رأيتَ وسمعتَ تاريختها في هذه الرّقاع وأنا في منزلي وداري ومعي أهلي وولدي، وعندي / من

(1) لقد علل أبو يزيد ثورته على الفاطميين بأنهم أثقلوا الناس بالضرائب المشطة، فوجب عليه أن يقوم محتسبا لله مدافعا عن مصالح المسلمين. ويظهر موقفه هذا بوضوح من خلال النص الطويل الذي أورده المقريزي (المقفى 195 ب)، وفيه هذا الحوار بين المنصور وأسيره أبي يزيد:
«ما الذي اعتددت على أمير المؤمنين – يعني القائم بأمر الله – حين خرجت عليه؟ فقال: كان
«أبو القاسم كريما حوله قوم سوء أحدثوا هذه القبالات التي فيها الجور على المسلمين فقمت لذلك
«مفكرا أريد اصلاح أمور الناس. قال: فهل علمت أن ذلك من رأي أمير المؤمنين وأمره؟
«قال: لا أعلم. قال: فهلا رفعت ذلك إليه وأطلعته عليه، فان غير المنكر كان الذي أردت،
«وإن هو لم يفعل اتخذت ذلك حجة عليه. فسكت. قال: كذلك إنما قمت محتسبا؟ قال نعم.»
وانظر ص 429 حيث يبرأ القائم من تصرفات بعض الأولياء مما أثار غضب الرعايا.

العبيد كذا ، ومن البقر كذا ، ومن الغنم والذّخائر كذا، والطّعام والزّيت والزّبيب كذا وكذا — وعدّد أشياء كثيرة — إلى أنْ دخل إلينا أصحابُك فانتهبوا جميع ذلك حتّى لم يبق لي منه قليل ولا كثير . وخرّبوا منزلي وفرّقوا أهلي وولدي وقرابتي ، فلم أجد أحدا أسكن معه فارتحلت بأهلي بعد أن أخذ عبيدي ، فلقيني بعضهم فانتزعوا منّي أهلي(1)وبناتي وافترقوهم . فجئت إلى عسكرك أدور فيه، فوقعت على بعضهم، فكاد مَن كان عنده يقتلُني . وما نجوت إليك بنفسي إلاّ عن جهد .

فأسقط في يد الشّيخ السّوء وتنكّر أصحابه على ذلك الرّجل وهمّوا به وكادوا أن يقتلوه/. فما خلّصه منهم إلاّ بحيلة وأرسله مستتِرًا مع قوم حتّى أوصلوه مدينة القيروان . وذهب جميع ما ذكره له .

وهذا قليل في كثير ممّا نال غيره . وما عرف الناس فضلَ ما كانوا فيه إلاّ عندما وقعت تلك الفتنة بهم وحلّ ما حلّ من هذا بأكثرهم.وأكثر النّاس لا يعرفون ولا يدرون قدرَ نعم السّلطان عليهم،ويتعاظمون اليسير ممّا يكلّفهم ولا يرضيهم إلاّ التّرك بالجملة لهم حتّى تحلّ النّائبة بهم فيعلمون عند ذلك فضل ما كانوا فيه .

وإنّي لأذكر يوما أنّي كنت بالمهديّة في زمن المهديّ (عم) ، فسمعت قوما من أهل البوادي قد باعوا غلّة ومتاعا لهم فدخلوا يطلبون ثمنه/وقد نَضّ في أيديهم مال كثير منهم فجعلوا يحسبونه ويذكرون ما لزمهم في الأداء(2) عليه، فعظّموا ذلك ، وأنا أسمعهم من حيث لم يعلموا ، وحولهم خلق من العبيد قياما وقعودا ذاهبون وراجعون . فلمّا انقطع كلامهم، قلت لهم : ويحكم ، أما تخافون على هذا المال بين أيديكم من هؤلاء الذين حولكم ؟ فضحكوا من قولي وقالوا : نحن في حرم أمير المؤمنين ومدينته نخاف هؤلاء وغيرهم ؟!

فقلت : فإن خرجتم ، أما تخافون منهم وأمثالهم من وراء المدينة ؟!

فقالوا : لا . وأنكروا قولي .

قلت : ولا في طريقكم إلى منازلكم ؟

قالوا : ما نخاف من أحد .

---

(1) سقط من ب : بعد ان اخذ ... مني أهلي .
(2) في أ وب : الأذى .

قلت / : ولا في منازلكم؟ فجعلُوا يتعجّبون من كلامي كأنّهم رأوني غريبا ولا أعلم حال البلد .

قلت : أفما تعلمون أنّ هؤلاء وأمثالهم أقوى منكم أبدانا وأنكى وأشجع وأكثرُ عددا ؟

قالوا : نعم .

[قلت] : وأنتم أغنى وأيسر وأكثر نعما وأهلا ؟

قالوا : بلى .

قلت : فما الذي يمنعهم من التّوثّب عليكم وأكل أموالكم وانتهاك حريمكم ؟

قالوا : يمنعهم من ذلك خوفُ السّلطان .

قلت : وبماذا قدر عليهم السّلطان ؟ أليس بالرّجال الذين يرزقهم ويُجري عليهم ؟

قالوا : نعم .

قلت : وبذلك دفع العدوّ عنكم وعن غيركم وأمِنتم على أنفسكم وأموالكم وأهلكم ؟

قالوا : نعم .

قلت : فلِمَ تتعاظمونَ أن يأخذَ منكم لذلك نَزرا / من كثير وقليلا من جنيل ؟

فجعلوا يعترفون بالنّعمة وقالوا: جزاك الله خيرا ! لقد صدقت فيما قلت لنا وسهّلت الأمر علينا وعرّفتنا من العواقب ما قد كان غاب عنّا . وجعلوا يتفاوضون في ذلك ويذكرون قدر النّعمة عليهم فيه .

وأكثر النّاس همج لا يحاسِبون أنفسَهُم ولا ينزّلون الأمور عندهم ، فيريدون من وُلاة أمرهم أن يدفعوا عنهم ويجاهدوا عدوّهم ويكفّوا أيدي المتطاولين عليهم عنهم ، ويُنفقُون في ذلك ويرزقون من يقوّونه بلا مؤنة عليهم ولا واجب يقيمونه لهم ، ولا فرض ممّا افترضه الله يؤدّونه إليهم . كأنّ الذي ينفقونه على مصالحهم يقطعونه/من الجبال أو يغرفونه من البحار أو يقيمونه بملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يسألونهم شيئا على ما يعملون. فهم في ذلك كمن حكى الله تعالى

قـولهـم لمـوسـى بن عمـران : « اذْهَـبْ أنْتَ وَرَبُّـكَ فَقَـاتِـلاَ إنَّا هَهُنا قَاعِـدُونَ (1) » .

كلام فيما يستحبّ الفاضل من البقـاء في الدّنيـا (2) :

176 — (قال) : وسمعته صلوات الله عليه يقـول : سمعت المنصور (صع) يقول : إنّما يستحبّ الفاضلُ البقاءَ في الدّنيا ليظهر الله عزّ وجلّ منه ما هو كامن من الخير والفضل فيعظم ثوابه ويجلّ في الدار الآخرة قـدرُه . وإلاّ فإنّ الذي له عنـد الله في الدّار الآخرة أفضلُ ممّا له في الدّنيا / .

---

(1) المائـدة ، 24 .
(2) كذا في « أ » . وفي « ب » : حكاية المعز عن المنصور عليهما السلام فيما يستحب من البقاء .

الجزء السادس عشر

بسم الله الرحمان الرحيم

كلام جرى في رغبة النّاس في العلم المأثور عن الأئمّة :

177 — قال القاضي النعمان بن محمد: ذُكر عند الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه رَغبةُ الناس في العلم المأثور عنه وعن آبائه الطاهرين فيما أقامه (صع) من باطن علم الدين لأوليائه، ورَغبتُهم واغتباطُهم به . * فقال: لقد رأيت رؤيا بعقب وفاة المنصور (عم) . وعندما أظهرتُ أمرَ هذه الدعوة ،ذكرتُها في ذلك الوقت لمن حضرني: رأيتُ المنصورَ بالله وهو يسألني عمّا صنعته من ذلك ، وقمتُ به . وقد كنتُ أعرف ضنَّه به وشُحَّه عليه ، فجعلتُ / أذكرُ ذلك له كالمعتذر منه وأقول له : .إنّي لم أجد بُدًّا من إقامة حُجّة الله على من استرعاني إيّاه وحمّلني أمرَه ، ونحوَ هذا من القول .

فقال : قد أصبتَ ووُفّقتَ ، فكيف رأيتَ إقبالَ الناس على ذلك ورَغبتَهم فيه ؟

قلت : ما رأيت من ذلك ما أعجبني . فعقد بيده ثمانيةً ، فقال : إلى ثمان ترى ذلك فيهم .

فقلت : ثماني ليالٍ أم ثمانيةُ أشهر ، أم ثماني سنينَ ؟

فقال : إلى ثماني سنين وإلى اثنَي عشر يكون ويكون . ولم يذكر صلوات الله عليه ما قال في ذلك . ونرجو أن يكون ذلك خيرا نَنْتَظِرُه ونبلُغُه إن شاء الله. ولم نسأله عن ذلك إذ كتَمَه ، خوفًا من أن / يكونَ ذلك لا يقع بالموافقة عنده .

سؤال المعزّ (صلع) لبعض شيوخ البربر :

178 — (قال) وسمعته يسأل بعضَ شيوخ البربر عن قولهم في سيرته فيهم ، فقال : هُمْ يا أميرَ المؤمنين معترِفُون بعفوك عنهم وصفحك،بعْدَ القُدرَةِ ، عن جُرْمِهم وما تقدّم من زللهم . وهم شاكرون لسيرتك فيهم وإحسانِك إليهم .

فقال : ما فعلْنَا ما فعلناهُ فيهم إلاّ إبلاغا في حجّة الله وحُجّتِنا عليهم ، فمَن شكر ذلك واعترفَ به منهم فقد استدام النّعمةَ واستجلبَ الزيادةَ ، ومَن كفر الإحسانَ وغَمَط النِّعْمَةَ فقد استجلب النِّقْمة واستحقّ العُقوبةَ .

كلام في مجلس في طلب العلم والحكمة :

179 — (قال) وسمعته (صع) / يقول : إنّا لَنُسَرُّ بِمَن نراه من أوليائنا يطلب العلمَ والحكمةَ ويرغَب في الخير ويُذكَرُ بالجميل كما نُسَرُّ بذلك في الولَد .

فقلت : هم زرعُ أمير المؤمنين ولَعهدي اليومَ بالقول في مثل هذا مع بعضهم بحضرة هذا — وأومأت إلى رجل حضر المجلس — فقلت لبعضهم ، وقد تذاكَرْنا مثلَ هذا : كيف تكون مَسَرّةُ أحدكم بزَرْعِه إذا رآه في غاية الصّلاح والقوّة والإقبال والتّمام ؟

فقالوا : مسرّة عظيمة .

قلت : فنحنُ زرعُ وليّ الله يَسُرُّه بلا شكّ أن يرانا كذلك ، وتلوت عليهم قول الله (عج) : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالذِينَ مَعَهُ » إلى قوله : « ... وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ / فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ (1) » .

(1) الفتح ، 29 .

قلت : أفلا ترونَ أنّ الله (عج) شبّه المؤمنين بالزرع وذكرَ أنّه يُعجبُ زُرّاعَه إذا هو استغلظ واستوى على سوقه ؟ فحقيقٌ علينا أن نكون بحيْثُ يُعجب أولياء الله .

فقال (صع) : وكيف لا يُعجبُنا أن تكونوا كما أمرْناكُم عن الله (عج) وقد استعملَنا في استصلاحكم وتقويمكم ودعائكم (1) إليه وقَبُولكم عنه ؟ وهل يُعجِبُ من استُعمِل في عمل أن يأتيَ به على خلافِ محبوبِ مَن استعملَه ممّن يرجُو ثوابَه عليه ؟ واللهِ ما يسرُّه إلاّ أن يُصلِحَ ما يتولّى (2) عملَه ويُحسِّنَه ويأتيَ به على أفضلِ حالِ مسارِّ مَن استعملَه فيه ليوفّيَه أجرَه عليه / ويشكُرَ له قيامَه به .

وإن هو أفسدَ ذلك * وفسُد على يديه أو لم يقُم بما أقيم له من صلاح ، أو لم يصلُح بعد أن بذَلَ مجهودَه فيه ثمّ أتى غيرُه فصلُح على يدَيْه واستقامَ له الأمرُ فيه وأتى به على حسَب ما أملَه مستعمِلُه ، فكيف يكونُ حال مَن كان قبلَ ذلك وقد عجَز عنه إذْ لَمْ يصلُحْ على يديه ؟

فكذلك نحن : إنّ اللهَ (عج) يستعمِل منّا الواحدَ بعد الواحدِ ثمّ يرى ما عملْنا . وقد قال رسول الله (صلع) : إنّي مكاثرٌ بكم الأممَ يومَ القيامة (3) . أفترى أنّهُ لَا يَسرُّنا أن يكثُرَ أتباعُنَا وأولياؤنا ومن يقْبَل عنّا ويتأسّى بنا ويمتثِل أمرَنا ؟ بلى والله ! إنّا لنُسَرّ بذلك أيّما سرور ونُغَمُّ بخلافِه . وما دعا نوحٌ / على قومه إلاّ وقد عيل صبرُه وضاقَ صدرُه بتكذيبهم إيّاه ، واشتدَّ غمّه بما سمِعه منهم ورآه ويئِسَ منهم ، وأخبره الله (عج) عنهم أنّه لن يؤمنَ منهم إلاّ مَن قد آمن من قبلُ ، فعند ذلك دعا عليهم بالبوار والدمار .

---

(1) دعائكم بمعنى دعوتكم .

(2) أ : تدل .

(3) حديث : إني مكاثر بكم الأمم . ذكره النسائي (ج 6 ص 66) وابن حنبل (ج 3 ص 158) على هذا النحو : تزوجوا الولود الودود إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة . وجاء على صيغة أخرى في مسند ابن حنبل (ج 3 ص 354) : انكم اليوم على ديني ، واني مكاثر بكم الأمم ، فلا تمشوا بعدي القهقرى ، وكذلك في الجامع الصغير (ج 1 ص 431) . وذكره ابن ماجة (ج 1 ص 599) على هذا النحو : انكحوا فاني مكاثر بكم . هذا ، وسيعيده النعمان فيما يلي من الكتاب (ص 561).

كلام في الدعوة إلى الحقّ ذكر في مجلس (1) :

180 — (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صع) يقول : إنّ الحقّ لثقيلٌ إلاّ على مَن خفّفه الله عليه . هذا (2) نحن نريدُ صلاحَ العبادِ وندعُوهم إلى ما يُرضي اللّهَ عنهُم ، فقَلَّ مَن لا يشتدّ ذلك ويثقلُ عليه ، لأنّا إنّما ندعو مُنْتحِلاً انتحلَ ضلالةً رآها عند نفسه هدى ، فنريدُ أن نُحيل نيّتَه عمّا كان اعتقَد ونصرِفَ رأيَه عمّا كان انتحَلَ بَعْدَ / أن لَعَلَّهُ كبُرَ عليه ، فاتّبَعَه غيرُه فيه وقبِل عنه ما جاء به منه .

وآخرَ قد استحلى الباطلَ واستمراه واستخفّه الشيطانُ له واستهواه فغلبَتْ شهوتُه عليه وعظُمت رَغبتُه فيه نريد أن نصرفَه عنه ونمنَعه مِنْه ونُخرِجَ منه ما هو في يَدَيْه ونحرّمَه عليه ونحولَ بينه وبين شهوته ولذّته .

وآخرَ قد اكتسبَ من الظلم واستخفّ بالإثم وتطاعَمَ أكلَ أموالِ الناس بغيرِ حقّها وارتكابَ حُرُمِهم بغير حِلّها ، نقبِضُ عن ذلك يدَه وننتزِعُ طُعمتَه ونضَعُ منه استطالتَه .

وآخرَ في لهو وشُرب وسماع وعبثٍ وطرَب ومجانةٍ وخلاعة (3) وانتهاك حرمة ، نريدُ منه الوقارَ والسّكينةَ ، ونمنعُه العبثَ والمجانةَ ، وندعوه / إلى الصَّوْم والصلاة والورع والتحرّج والصّدق والأمانةِ والعفافِ ، ومذاقُ ذلك كلّه مرٌّ عندَ ما استحلاه من الباطلِ وتطاعَمَهُ .

فمن ذا من هؤلاء لايَثقُل أمرُنا عليه ، أم من ذا منهم ندعوه إلى ما نريدُه من ذلك فيسارعُ إليه طيّبَةً نفسُه به ، إلاّ من كان الله (عج) قد أراد سعادتَه وتوفيقه ؟ ولو كنّا تركنا كلَّ امرىء في الدين وما ينتحلُه وصوّبْنا له فيه قولَه وأريناه أنّا نستحسنُ مذهبَه ونقولُ به معه ، ونُعرِض عن أهلِ الباطل والفُسق ونجامعُهم عليه ونُخْلِي بينهم وبين ما أحبّوا منه ونَدعُ من تعدّى وتعدّيَه ولانُعَ(ـا) رِض

---

(1) ب : كلام جرى في استثقال أكثر الناس للحق وسكونهم إلى الباطل .

(2) هذا عوض « ها » وهذا التعبير متكرر في الكتاب .

(3) سقط من ب : وسماع وعبث وطرب ومجانة وخلاعة .

فيه ، لكنّا أحبَّ الناس إليهم ، ولَمَا ثقُلَ شيءٌ من أمرنا عليهم . وبِمثلِ / هذا رأى المتغلّبون أنّهم ساسوا أمرَهم .

ثمّ قال (صع) : وقد أجابَنَا إلى ذلك ، اليومَ ، وسلّم * إلَيْنا بحمدِ اللّه أكثرُ الناس عارفِينَ لحقّ الله عليهم ، فيه .

(ف)أفكَرْتُ فيما قاله (صع) فوجدتُ سيرة مَن شاهدناه وبلَغنا عنه من بني أميّة وبني العبّاس وأتباعِهم وعمّالِهم على أكثرِ ما وصفه (صع) ، إذْ من أجل ذلك دخلَ الفسادُ في الدين والوهَنُ على الإسلام والمسلمين ، لأنّهم كانوا يرون أنّ من الحزم عند المتغلّب منهم والرأي والتدبير ألاّ يعرفَ الناس مذهبَه ، وأن يرى أهلُ كلّ مذهبٍ أنّه على رأيهم ليجتَمِعُوا عليه ويولّوا القضاء كذلك من كلّ أهل مذهبٍ ، يعزلون من / هؤلاء ويُوَلّون من هؤلاء لِيُرُوهُم أنّهم راضونَ بمذاهبِهم كلِّها ، وعاملون بها بأسرها ، وكذلك يُخَلّون بين أجنادهم ومَن يُعدّونه للحرب من رجالهم وبين ظُلْمِه رعاياهم وتناولِ ممّا تناولوه من أموالهم ، وتعدَّوْا عليه من حُرُمِهم في كثير من أحوالهم ليُرضُوهم بذلك ويستعطفُوهم . فأمّا أهل الفسق والباطل فيخالطونهم ويفعَلون كثيرا منه مع كثير منهم ولا يُنْكِرُونَهُ عليهم لما كان من رأيهم وشأنهم وكانوا عليه . فبهذا رأوْا سياسةَ ما تغلّبوا عليه ، والله (عج) أعلم بما يصلُح عليه خلقُه ويستقيمُ عليه عباده .

وقد فرض الله فرائضه وبيّن حدوده / ولوازمه وحقوقَه ، فلو كانوا من أهلها لاستعمَلُوها وحمَلوا من استرعاهُمُ اللّهُ إيّاه من عباده كما أمر الله (عج)، عليها . بل إنّما يرون الرأي ويضربون المثل بقول القائل من أوائلهم : خلّوا بين الناس وأديانهم يُخلُّوا * بينكم وبين دنياكم . فهذه سياسة مَن طلب الدنيا باطّراح الآخرة .

فأمّا الأئمّةُ الذين تعبّدَهُمُ الله بالقيام بحقّه،فأسوتهم برسول الله صلّى الله عليه وعلى آله . وإنّما نتأسّى به، وبقول المعزّ صلوات الله عليه وأولياء الله الذين استرعاهم أمر عباده وتعبّدهم بإقامة حدوده وحقوقه في أرضه، والله يُحسِنُ عونَهم ويُصلِح عبادَه وبلادَهُ لهم / .

توقيع في الأمر بالصبر على الأذى :

181 — (قال) ولما أرحلني المنصور بالله (صع) عن مدينة إطرابلسَ إلى الحضرة المرضيّةِ وافقَ وصولي إليها غَداةَ يوم جُمُعَةٍ فخلع عليَّ يومَ وصولي وقلّدني ، وأمرني بالسير من يومي إلى المسجد الجامع بالقيروان (1) وإقامةِ صلاة الجمعة فيه والخطبةِ إذ لم يكن يومئذ بالمنصوريّة جامع ، وأمر بجماعة من خاصّة بوّابي القصر الأعظم بالمَشْي بين يديَّ بالسلاح إلى أن صلّيتُ فانصرفت .

ثمّ خرج توقيعُه من غدٍ إلى ديوان الرسائل بأن يُكتَبَ لي عَهدٌ بالقضاء بمُدن المنصوريّة والمهديّة والقيروان وسائر مدن إفريقيّة وأعمالها ، فذُكِرَ / ذلك وانتَشَر في الناس ، وعلِموا امتثالي،أيّام كنت بإطرابلسَ ، أمرَه (صع) فيما عهده إليّ في عهد القضاء عليها ، من إقامة الحقّ على الشريفِ والمشروفِ ، والعدلِ بين القويّ والضعيف .

فانْتَهى إليّ عن جماعة ممّن تعوّد الأثَرةَ وممَن عوّدهم إيّاها للذّمام والطعمة، وعن المخالفين لي في المذهب ممّن تطاعم الرئاسةَ ،أنّ ذلك ساءهم وخفضهم واشمأزّت منه قلوبُهم ، فقام فيه من اعتاد الأثَرَةَ أنفةً وحميّةً وممَن * عوّدها الناس خيفة على نفسه وتقيّة ، وممَن خالف المذهبَ ديانة وعصبيّةً (2)،فأسرّوا بيَ النّجوى واجتمعوا عليَّ لاجتماع الأهواء من خاصّ وعامّ ، وقريب وبعيد ، / فخلصوا نَجِيّاً (3) في الحيلة بالبَغْي عليّ ، وسدّدوا بالمكر سهامهم إليّ ، لغير ذَنْب منّي إليهم ولا جنايةٍ منّي أوجبت ذلك منهم ، فشنّعُوا عليّ من الأشانيع ونسبوا إليّ من المنكَر ما اللّهُ يسألُهم عنه ويُثيبُني إن شاء اللّهُ بفضله ، عليه ، وتهيّأ لهم بذلك بعضُ ما أمّلوه بحسَب ما أوجبَه الزمانُ وتهيّأ في الإمكان ممّا لم يكن عليَّ منه بحمد الله وفضلِ وليّه ضَيْرٌ ولا نقصٌ .

ولمّا صرتُ إلى ما أصارني إليه المنصورُ وقمت بما وجب عليّ القيام به منه ، وسمعُوا ثناءَ الناس ممّا تطاعَمُوه من العدل ورأوه من الإنصاف ، جعَلُوا يُشيعُون فيهم (4) الأشانيعَ ويدُسّون من بينها فيهم / أنّي أنسبُ المكروه إليهم

(1) أي جامع عقبة .
(2) هذه أول إشارة إلى الصراع المذهبي والعقائدي بين السنة والشيعة في إفريقية .
(3) نجيا : سرا وتواطؤا .
(4) ب : يشعون فيه . أ : يشنعون فيهم .

وأسعى بهم وأحرّكُ ما فيه حتفُهم ، ومما علِموا أنَّهُم يكرَهُونَه ، ونسبوه إليَّ ليُوغِرُوا صدورَهم عليَّ ويذهبوا بشكرهم لي مع أصنافٍ من الحيل والأذى والمكر لا يفتُرُون عنها ولا يملّون منها — يطولُ ذِكرُها — ووجوهٍ من الأذى كثيرةٍ ثَبَتَتْ عندي وصَحَّت لي .

فضاق صدري بها وحمّلني ذلك بعد صبر طويل على رَفْعِها إلى المعزّ لدين الله (صع) فضمّنتُ جُمَلا منها رقعةً ودفعتُها إليه .

فوقّع إليّ بخطّه في ظهرها : يا نعمان ، والله لولا معرفتي بك لنَسبْتُك عند وقوفي * على رقعتك هذه إلى الجهل ، إذ كنتَ قد علمتَ ما مرّ على مواليك من أذى مَن نصب لهم / وعاداهم وردّ أمرَ الله (عج) وكذّب رسولَه فيهم ، من المِحَن العظيمة . لكنّ أنفسَنا قد تمرّنت على حَمْل المكروه ، وظهورُنا قد قويَت على النهوض بأثقاله . وأنتَ بحمد الله ، فلم ينَلْكَ ما يدخُلُ عليك منه نقصٌ في دينك ولا ذلّ في دنياك ، وقد ضِقتَ من هذا الذي وصفتَه وبلغَ منك . أفَمَا علمتَ أنّك الجاني على نفسِك ما منه ضجِرتَ (1) إذ قد تبَيَّنَ لك مخالفةُ السِّفلِ الرَّعاع لأولياء الله ورفضُهم لأحكام الله ونصبُهم وطعنُهم على أتباع الحقّ وأهله ، وأردت أن لا يكونَ منهم ما قد كان إليك . فكنت تدَعُنا وتتّبعهُم وتتعافى ممّا قد بُلينَا وبُلِي أتباعُنا به منهم .

وإذا كنت اتّبعتَنا على / بصيرة ومعرفةٍ فاصبر على ما لا بدّ منه فقد قال مولاك عليّ (صع) : رضى الناس غايةٌ لا تُدْرَكُ ، وحسبك عملُك بطاعة الله وعملُهم بمعاصيه . وأنت أعلم بنفسك منهم بك . فإن كان بينك وبين الله شيء تخافُه ، فمنه فاحذَرْ ! وإن لم يكن ، فهذا لك زيادة في الأجر . ولقد كان الواجبُ عليك أن تسألَ اللّهَ الزيادةَ لك من هذا الحسَد ، فإنّك لا تزدَادُ بقُرْبِنَا رِفعَةً إلاّ زدتَ من كثرة الحاسِد وكَيْد الكائدِ . فإن كنتَ سألتَ اللّه رفعَ ذلك عنك في حين ضيق صدرك فاستقِلْ الآن ! فقد كان بعض الحكماء إذا دعا اللّه لنفسه قال : ربّ اجعلني محسودا ولا تجعلني مرحوما ! ثق /

---

(1) ب : زجرت .

بالله * ربسَّك وبنا ، فوالله لا ينالُك معَ الثقة بالله وعزّ الدولة مكروه تحذَرُهُ في دين ولا دنيا ! هذه الألسنةُ الحداد هي متاجر النّساء والسِّفل والأوغاد ، تذهب بالإعراض عنها وتزول بالاطّراح لها ، وتزيدُ وتعظُم ما علم السِّفل نَفاقَها ، فلا تُصغِ إلى سماعها وَلاّ تُلْقِ بالاً بِهَا ! فواللّهِ ما سبيلهم عندي إلاّ كسَبيلهم عند المنصور (صع) ، فلقد سمعتُه يقول ويؤكِّد ذلك ويحلف عليه – وذكر كلاما – :ولاّهُمُ اللّهُ ما تولَّوْه وجزاهم بما اعتقدوه ! ومع هذا فللمُلك سياسةٌ يساس بها ، ولنا حدودٌ لن نتعدّاها . واللّهُ يُظهِرُ أمرَه على رغم الراغمين ولو كره المشركون ! والله / يؤتي فضله من يشاء ، والله سميع عليم .

فلمّا قرأت توقيعه هذا سلوتُ ممّا كان ضاق به صدري (1) . وكأنّما كنت في غفلة عمّا ذكرَه (صع) . وأنا أروي قبل ذلك عن الصادق جعفر بن محمد (صع) أنّه قال : إنّ المكروه أسرع إلى شيعتِنَا وأوليائنا من الماء إلى مقرّه ، ومن الطير إلى وكره . فمَن تولاّنا فليستقدّ له من الصبر جلبابا .

وقولَه لبعض أوليائه، وقد كان شكا إليه ما ينالُه من الناس مثل الذي شكوتُه ، فقال له : أوَمَا تحمَد الله على ذلك ؟ إنّ الشيطانَ لمّا يئسَ من أوليائنا أن يصرِفَهم عن وَلايتنا التي بها يُنَالُ ما عند الله ، أغرى النّاسَ بهم / وحرّضهم على أذاهم ، فلذلك ما يلقَوْنَ منهم .

وقولَه لآخرَ شكا إليه مثل ذلك : ما فعل ذلك بك إلاّ أنت بنفسك !

فقال : وكيف ذلك يا ابن رسول الله ؟ والله ما أتعرّضُهم وإنّي لأصبِر على * مكروههم وأعرِض عنهم .

فقال : إنّ ذلك ليس هو الذي يُرضيهم منك ولا الذي يَقطَعُ شرّهم وأذاهم عنك .

قال : وما الذي يُرضيهم ويقطعُ عنّي أذاهم ، جُعلتُ فداك ؟

قال : الذي يُرضيهم عنك ويَغْبِطُهم فيك ويحبّبك إليهم ويُدنيك منهم ويزلفك لديهم ويُقرّبك عندهم ، أن تتولاّهم وتقولَ بقولهم وتعادِينا وتبرأ منا لهم .

---

(1) ب : سقط : فلما قرأت ... صدري .

قال : أعوذ بالله يا ابن رسول الله ! / والله لو قرضوني بالمقاريض ورمَوْني في النار ، ما فعلتُ ذلك ولصبَرت على ذلك من مكروههم .

قال : والذي شكوتَه منهم أهوَنُ من ذلك ، فاصبِر عليه ، فإنّ الله يجزي الصابرين .

قال : أصبر والله يا ابن رسول الله (صلع) وأصبر .

فكأنّي والله لم أكن سمعتُ مثل هذا ، ولقد رويتُه وكتبتُه وما ذكّرنيه إلاّ قولُ المعزّ (صلع) الذي طابقه وشاكله وكأنّما (1) خرج من مَخْرجِه وهو كذلك ، لأنّهم كما قال الله تعالى : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (2) » . وما زال مثل ما كنتُ شكوتُه إليه ، يتزيّد عندي ويتردّد عليّ ، فإذا ضاق لذلك / صدري بعضَ الضيق ذكرتُ قولَه هذا فتعزّيتُ به ، وما زلت أروّضُ نفسي على ذلك حتّى صار ذلك لا يحزنها ولا يغمّها ولا يُؤثّرُ فيها ، وحتّى صار من عسى أن كان يُبْلِغُني ذلك لا يبلغني شيئا منه لما رآه من إعْراضي عنه وقلّة اكتراثي به ، فصرتُ إلى الراحة بحمد الله وفضل وليّه (صع) لما بصّرني إيّاه وعلّمني ، وهداني إليه . ولم أرفع إليه بعد ذلك شيئا من ذلك قلّ ولا كثر ، ممّا صغر ولا ممّا كبر ، ولا أرفعه ٭ أبدا وإنّه ليتكرّر عليّ في أكثر لأيّام ، ما أقلعوا عنه ولا ملّوا منه .

توقيع بفضل وامتنان من المعزّ (صع) :

182 — (قال) وكان اعتمادي أيّام المنصور بالله (صع) / فيما أحاوله (3) عنده وأرفعه إليه ، وأطالعه فيه ، على المعزّ لدين الله (صع) . فما أردته من ذلك بدأته به ورفعته إليه وسألته حسن رأيه فيه : فما أمرني أن أفعله من ذلك ، فعلتُه . وما كرهه لي ، تركته . فكان لي في ذلك رِفْدٌ عظيم وفرَح كبير ، ولم أكن أعمل على رأيه إلاّ ظهرَتْ لي بركتُه والسعادة فيه ، ولم يَنْهَنِي عن شيء فتركته ، إلاّ تبيّن لي بعد ذلك عيبه .

---

(1) أ : وكان ماسا . ب : وكافي ما . ولعل النعمان يبتهج بمطابقة ما سمعه اليوم من المعز لما كان نقله عنه مطابقة تامة ، ونعلم حرص النعمان على نقل كلام الإمام معنى ولفظا (انظر المقدمة ص 47 وص 301 من الكتاب).

(2) آل عمران ، 34 .

(3) أ : أخلو له .

فلمّا قبض المنصور بالله صلوات الله عليه وبركاته ورحمته ، احتجتُ إلى مطالعة المعزّ (صع) ومعاملته بما كنت أعامل المنصور وأطالعه به ، فعدِمتُ من دونه ما كنت وجدتُه فيه دون المنصور (عم) ، فبقيتُ وقتا طويلا / أتهيّب ذلك وأخاف التقحّم فيه . فلمّا طال ذلك عليّ كتبت إليه رقعة رأيت أن أقدّم فيها عذرا عنده فيما عسى أن أرفعه إليه وأخاطبه فيه ، كان فيها :

قد علم أمير المؤمنين (صع) اعتماد عبده ، فيما كان يرفعه إلى المنصور قدّس الله روحه ، على فضل رأيه ومطالعته به قبل رفعه ، وعملَه فيه بعد ذلك على أمره ونهيه ،وأنّ ذلك ممّا وَجد (1) غِبّ عاقبته ودامت السلامة وحسُنت الحال له به : ولم يجد عند أمير المؤمنين الآن دون مولاه مولى يعتمد في مثل ذلك عليه فيما يخاطبه به ويرفعه إليه . وقد روي فيما روي عن مولاه عليّ أمير المؤمنين (صع) في فصل * من فصول / كلام ذكر فيه الواجبَ على الأمّة للأئمّة ، فقال فيه : وإذا كان العلماء في زمان إمام حقّ وأهلُه فاسقون ، وجب على العلماء عرضُ أنفسهم على إمامهم ، وتعريفُه من الكفاية والأحوال الصالحة ما لديهم وتسليم أنفسهم (2) إليه ليُسلِمَهم إلى الأشكال والحدود التي يجدها أبلغَ وأنفعَ لما يريده .

فالذي يجب على عبد أمير المؤمنين من هذا كشفُه لمولاه من حال نفسه ، اعتقادُ وَلايته والإخلاصُ له فيها ، وذلك أصلُ ما لا يزكو عمل إلاّ به ، والصدقُ فيما يقوله له وعليه . لا يسأله الله عن كذِبٍ إن شاء الله لا يتعمّده ولا يقصده (3) ، والتسليمُ لمولاه واستفراغُ المجهود فيما يتحرّى به رضاه .

وأمير المؤمنين أعلم بعبده وممّا يراه أهلاً له . فإن وقع من قوله أو فعله شيءٌ / بخلاف موافقة مولاه فمن حيث رأى أن يقعَ ذلك بموافقته وهواه ، وقد قال جدّه رسول الله (صلع) : قد تجاوز الله لأمّتي عن خَطَئِها ونسيانها وما أكرهت عليه (4) . وأمير المؤمنين (صع) مُحْيي سنّةِ جدّه ومقتفي أثره ومنجزُ وعدِه لأهل

(1) ب : وجب .

(2) من : على أمامهم ... إلى ... وتسليم أنفسهم : ساقطة من أ .

(3) ب : لا يسأله الا الله إن شاء الله عن كذب يتعمده ويقصده .

(4) تجاوز الله لأمتي ... انظر ص 303 تنبيه 1 .

عصره ومتّبعُ أمرِه ، فإن أمر عبدَه بإيراد أموره عليه على جميل الظن في الصفح به وبلوغ الأمل من التجاوز منه ، فعَل منْ ذلك ما هو أهلـه .

فوقّع إليّ في ظهر الرُّقعة بخطّه : صانك الله يا نعمانُ ، وقفتُ على كلّ الذي وصفتَـه في رقعتك هذه واستدللت من لفظك على شيء قد تبيّن لي منك ولم أتحقّقْه إلاّ عند وقوفي على / رقعتك هذه . والذي تبيّـن لي منك (1) ، فنفارُك عمّا كنت عليه منَ الانبساط * والاستراحة إلينا فيما عساه يعرِض لك ويقعُ إليك . فرأيتُ منك انقباضا أوحَشَني إذ لم يكن له سبب ولا علّةٌ تُوجبُه ، بل الأمل فيك خلافُ ما يسمـو إليه أملُك من التشريف والتنويه باسمك ورفـع منزلتـك إذ لـم أكـن أطلّع إلاّ على خير وأحـوال يجب أن يكـون عليها كـلّ وليّ لنا مثلك . وكان الأولى بك التزيّد في السعي المحمود ليكـون حالك حالا يغبطك بها الوليُّ ويكيدُك عليها العَـدوُّ ، وفقّك الله وسدّدك .

والذي وصفتَه من حالك مع مَـن صلّى الله عليه (2) وألحقَنَا به ، فحالُك لم تخفَ علينا بل كنّا / أصلها وفرعَها وإن كان الشخصُ الجسمانيّ المقدّس قد غُيّب عن أبصارنـا ونُقـل إلى سعـة رحمـة الله ، فإنّ المـادّة الروحانيّـة متّصلةٌ غير منْقَطِعَة ، والحمد لله ربّ العالمين ، فمولاك مضى وإمامُك خَلَفَ ، فاحمد الله واشكره وسلّم لأمـره ، واكتب إليّ بما عساك تُحبُّ ذكره ليأتيَك من أمرنا ما تعمل عليه إن شاء الله (تع) ، والسلام عليك .

فما أعلَمُ أنّي سررت منذ كنت ، سروري يومئذ ، لمّا قرأت هذا التوقيع وأسقطتُ عن نفسي وحشة التعقّب وأزحت عنها مؤنة التّحفّظ واعتمدت فيما أعامله به وأرفعه إليه وأخاطبه فيه على حسن النيّة وسلامة الطويّة / وترك التصنّع في كلّ الأمور . فما زلت أتعرّف على ذلك منه صلوات الله عليه فضلا عندي يتجدّد ونعمة تتّصل وأسبابَ خير تتأكّد ، أتحمّل شكرها عند الإقرار بالعجز عنه وأبلغ وصفَها لدى * الاعتراف بالتقصير فيه .

(1) من : ... ولم أتحققه إلى ... منك ... ساقطة من ب .
(2) أي : المنصور .

الجزء السَّابع عشر

بسم الله الرحمان الرحيم

توقيع بمثل ذلك :

١٥٥ — قال القاضي النعمان بن محمد : امرني الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه بالجواب عن مسائل وردت عليّ من بعض النواحي بعد أن طالعته في ذلك ورفعته إليه . فكتبت الجواب عنها ورفعته إليه / ليتصفّحه فيكون ما ارتضاه منه منسوبا إليه ومرويّا عنه . كما صحّحتُ كذلك ما كنت روَيْتُه عن آبائه (1) عليهم السلام وعليه وعلى من لحِقتُه منهم صلوات الله عليهم ، واستأذنتُه (صع) في أن يكون ذلك مرويّا عنه ، في رُقعةٍ ذكرتُ ذلك فيها ورفعتُها إليه .

فوقّع بخطّه إليّ في ظهرها : يا نعمانُ ، أنفِذْ هذا الجوابَ فقد أحسنتَ فيه ، أحسنَ الله إليك وأعانك على ما أخذتَ به نفسك من ابتغاء رضى الله ربّك ورضانا عنك وختم لك بالسعادة في دينك ودنياك ، فقد أتَيْتَ بالجواب على ما يجب .

وذكر كلاما في الرواية عنه وقال بعده : إنّا نأثر عن آبائنا البررة الطاهرين قولهم / : ما قرّب الله الخيرَ من قوم قطّ إلاّ زَهِدوا فيه .

---

(1) ب : سقط : كما صححت ... آبائه .

فما علمت أنّي اغتبطْت بشيء كغبطتي بدعائه (عم) هذا الذي وقّعه إليّ بخطّه ، وما أخذتُ في شيء أبتغي به رضوان الله (عج) ورضاه إلاّ رأيتُ أنّي أعِنْتُ عليه وجاءني فيه ممّا لم أكن أحتسِبُه ولا أرجوه ، فأعلم أن ذلك لفضل دعوته (صع) .

فأمّا إحسان الله (عج) إليّ بعد أن دعا به لي فقد رأيتُه متّصلا عليّ متواترا عندي ، له الحمد لا شريك له ، ولوليّه الشكرُ على ما منّ به وسألَه لي منه .

وأمّا الخاتمة بالسعادة في الدين والدنيا فإنّي على ثقة ويقين منها لبركة دعاء وليّ الله لي بها ، ولِـمـّا عرّفني الله (عج) به عاجلَ إجابته / في غيرها .

وممّا يُؤْثَر عن رسول الله (صلع) فيما ذكره من الدعاء المستجاب دعوةُ الإمام العدل : نسأل اللّهَ إلهامَه في المزيد منها ولمن أحبَّ الخيرَ له من أهلٍ وولدٍ وأخٍ في الدين ولكافّة المؤمنين .

وبمثله :

184 — وذكر لي (صع) قولا بغاني به باغٍ لديه ، ممن وقف على سوء حاله ، ذِكْرَ متطوّلٍ عليّ بذلك مُنعِم ، مع تكذيب لذلك ورفضٍ لقائله . فرفعت إليه كرّاسة أشكر فيها فضلَه وأعتذرُ ممّا قاله القائل له .

فوقّع إليّ بخطّه في رقعةٍ غيّرها : باسم الله الرحمان الرحيم ، وقفت على الكرّاسة التي بعثتَ بها إلينا تعتذر فيها ممّا قاله النَذْلُ الخسيسُ ، وقد علم الله يا نعمان أنّا ما نظرْنا إليك مذ كنتَ / قطّ إلاّ من حيثُ أمّلْتَ أن ننظرَ إليك منه وبحيث وضعْتَ نفسك من وَلايتنا ومحبّتنا واعتناق أمرنا . فحسبُك يا نعمان رضى ربّك واستغفارُ مواليك وقبولُهم لسعْيك ، وكفى النذلَ والرّكيك حالُه عند الله وعندنا وعند الأمّة . وتاللّهِ لو علمتُ أنّك تُلقي لكلامه بالا أو تشغَلُ لك منه صدرا ، ما أوقفتُك عليه ، فألْقِ عن نفسك الفكرة في شيء من أمره ، وأنْزِلْه من الاحتقار في نفسك وعينيك منزلته في أنفسنا وأعيُننا ،

وثِق بما لك عندنا فِي صدورنا، واعلَمْ أنّا آيةٌ (1) من آيات الله يستعملُنا كيفَ يشاء، ولو لم يكن / الله عنك راضيًا ما وفّق لك عندنا السعادةَ. فحسبُك هذا، والسلام.

فو الله ما دريتُ * ولا أدري كيف أصف هذه النعمة وإن كانت نظائرُها عندي له (صع) كثيرةً. ولو كان هذا الفضل والجميل من القول عندي لبعض الإخوان، لأثقلَني حَملُه ولأعجزني شكره، فكيف به من وليّ الله وابن نبيّه، ومن جعل الله أمرَ ما يُرجى من خير الدين (2) والدنيا بيده؟ ولولا أن يطول الفصل والبابُ وينقطِعَ عمّا رُتّب عليه ترتيبُ هذا الكتاب (3)، ويصيرَ في الطول إلى ما لا يُدْرَى كيفَ نِهايتُه، لفصّلتُ لفظ المعزّ (صع) فيه، وأعطيتُ كلَّ لفظة قِسْطَها من البيان والتنبيه على ما فيها / من الشرف والفضل والجزالة لمن عسى أنَّ بعضَ ذلك يغيبُ عنه، وإن كان نور الشمس لا يَخْفَى عن الأبصار، وضوءُ القمر لا يستتر عن النُّظّار. ولو قصدت ذلك لتهيّأ من هذا التوقيع كتُبٌ كثيرة واجتمعَتْ، ممّا يتفرّعُ منه، أبوابٌ عديدة، وإن كنت أعلمُ أنّ ذلك لا ينتهي غَوْرُه ولا تُدرك نهايتُه. ويهدي اللهُ لعلم ذلك من اختاره وأحبَّ هدايتَه، وينفعُني إن شاء الله إثباتُه وتخليدُه، وينفعُ به مَن قرأه بعدي وانتَسَخَه، إذ كثيرٌ ثواب الله وواسعٌ ما عنده.

وبمثله :

185 — (قال) وسألني بعضُ القضاة والحكّام والطَّلَبَة بسطَ كتاب مختصَر من قول أهل البيت (صع) / لهم يقرُب معناه ويسهُل حفظه وتخفّ مُؤْنَتُه. فابتدأتُ شيئا منه، وقدّرت أنّ الكتابَ إذا كمل قام (4) على من يريد انتساخه بدينار فما دونه، وسمّيتُه «كتاب الدينار» وذكرت ذلك في بسط * افتتاحه ورفعتُ ما ابتدأتُه منه إلى المعزّ (صع) وطالعتُه فيه وسألتُه قراءته عليه

(1) للاسماعيلية تأويل لكلمة «آية» كما يؤولون «الكتاب» بـ «الناطق» (الرسول)، فيقول جعفر بن منصور اليمن في تفسير قوله تعالى: «منه آيات محكمات هن أم الكتاب» (آل عمران، 7): «... ان الكتاب، مما يسمى به الناطق، والآيات، مما يسمى به الأئمة، (ف)يعني «بالكتاب أنه أقامه مقام الناطق، ومنه آيات محكمات، يعني من ذريته ... أئمة» (كتاب الكشف ص 132). هذا وفضلنا قراءة «آية» الواردة بنسخة أ على قراءة «آلة من الآلات الله» التي جاءت في نسخة ب.

(2) ب : الآخرة.

(3) انظر ما كتبناه عن تجزئة الكتاب في المقدمة ص 38.

(4) قام بدينار : قوم ثمنه بدينـار.

وسماعَه منه ليكون مأثورا عنه . وكتبت مع ما رفعتُه منه إليه رقعةً ذكرتُ فيها ذلك له .

فوقّع إليّ صلوات الله عليه بخطّه في ظهرها :

باسم الله الرحمان الرحيم، صانك الله يا نعمان ، وقفْتُ على الكتاب وتصفّحتُه فرأيت ما أعجبَني فيه من صِحّة الرواية وجودةِ الاختصار . ولكنّ فيه كلمات تعتاصُ على كثير / من أوليائنا معرفتُها فاشرَحْها بما يقرب من أفهامِهم ، فيستوي في معرفته والإحاطة بعلم ألفاظه الشريفُ والمشروفُ ، فإنّه يجيء طريفا قريبَ المأخذ . وسمِّه « كتاب الاختصار لصحيح الآثار عن الأئمّة الأطهار (1) » ، فإنّ ذلك أشبَهُ به من «كتاب الدينار» لأنّ فيه من علم أولياء الله ما يحِقّ على كافة الخَلق طلبُه بأرواحهم فضلا عن أموالهم . وهذا الاسم يضَع من قدره عند ذوي النّعم ويرَوْنَ أنّهم يصِلون إليه وإلى ما هو أجلُّ منه ببذل اليسير من حُطام دنياهم ، ويَرَوْنَ أنّ الذي جمعوا وقَمَشُوا (2) من سُحْتِهم (3) هو الغنيمة التي عليها المدارُ إذ كان الفسادُ على عقولهم / أغلبَ طباع اللّؤْمِ عليهم ، إلاّ من عصم الله منهم ، وقليل ما هم .

ثمّ وقّع بعد ذلك بإثباتِ أشياء تصلح فيما رفعته منه ، وحذفِ أشياء ممّا كتبتُه وأثبتُّه فيه ، ذكرها وعلّم عليها . وقرأته بعد ذلك قراءةً عليه وأثبتُّ فيه كلَّ ما صحّحه وارتضاه وأسقطتُ ممّا كنت كتبتُ فيه ما أمرَ بإسقاطه منه وأخذتُه لفظًا منه . وأذِن لي أنْ أرويَه — لمن أخذه عنّي — عنه ، عمّن ذكره فيه من آبائه الطاهرين (صع) بعد أن أثْبتَ (4)ذلك عنهم. فعظُمَتْ فائدتي فيه وجلّت نعمتُه عليّ به،ولم أكن تعرّضتُ برفعي ذلك إليه [إلى] غير ذلك ليصِحّ لي ما كنت آثرتُه عن آبائه وجمعته من كُتُب الرواة / عنهم وسمعتُه قبلَ ذلك منهم . وفتق لي فيه (صع) وأمدّني من بحرِ علمه بما صار به هذا الكتاب مشتملا على علمِ جميع الحلال والحرام ، والقضايا والأحكام . وصحّ لي ذلك

---

(1) ذكره إيفانوف برقم 65 وعنوان : مختصر الآثار ، أو*: اختصار الآثار

(2) قمش ، على وزن ضرب ونصر ، جمع فتات الشيء من هنا وهناك .

(3) السحت بضم السين ، ما خبث من الكسب .

(4) آثرنا الاسناد إلى المعز على الاسناد إلى النعمان المتكلم .

عنه فيما أعملُ به من الفرائض المفروضة عليّ وأفتِيي به مَن سألني ، وأقضي به في أحكامي بحمد الله ونعمته وفضل وليّه . وأنا أؤمّل إنْ مُدّ في عمري [أن] أعرِضَ كلّ شيء أتديّنُ به كذلك وآخذَه صحيحا منه (1) . والله يبلغني ذلك ويمُنّ عليّ به بحَوْله وقوّته . فقد رُوي عن بعضِ مَن لحق جعفرَ ابن محمد (صع) أنّه قال له : يا مولاي ، أحِبّ أن أعرض ديني عليك . (ف)قال : ذلك من الفرض الواجب . فشهّدَ / الشهادتين وأقرّ بالأئمّة واحدا بعد واحد يسمّيهم حتّى بلغ إليه .

فقال له : اعلَمْ أنّ مَن دان الله (عج) بهذا ، فقد دانَهُ بالدين الذي لا يَقْبَلُ غيرَه ولا يرضى من أحدٍ سواه ، واستحسَنَ ذلك منه وصوّبَه من قوله ، فمَن فتح الله له في * عَرضِ أُصولِ دينه وفروعِها على وليّه ، فقد أتمّ نِعمته أن (2) وفّقَه إلى أخذِها عن إمامه وتصحيحِها على وليّه .

والحمد لله على ما فتح لي فيه من ذلك . ونسألُه البلوغَ إلى ما أؤمّلُه ممّا بقيَ منه وقَبولا لذلك وتوفيقا إلى ما يُرضيه منه .

في تعدّي العمّال :

186 — (قال) وذكرت عند الإمام المعزّ لدين الله صلوات الله عليه يومًا ما عليه الناسُ من الإقبال على / طاعته والتسليمِ لأمره والرَّغبة فيما عندَه ممّا فضّله اللّهُ به من العِلم والحكمة ، وجعلَهُ قائما به لعباده هاديًا إليه به .

فقال : الحمد لله الذي هيّأ لنا ذلك ومكّن لنا فيه بلا مُعين من الخلق لنا عليه ، بل أكثر مَن نرجوه لقُوّتِنا وإصلاح قلوبِ العباد لنا ، مُعينٌ في ذلك علينا : إن كان شيءٌ ممّا يكرهونه ممّا يتَعَدّى فيه عليهم مَن نقيمُه لهم ، قال لهم : هذا أمْرُ (3) مولانا ولـه نأخذ منكم ما (4) نأخذه . وقد أعاذنا الله عن أن نأمُرَ أحدا بالتعدّي على عباده . فما يكفيهم تعدّيهم حتّى ينسبوه إلينا

(1) ب : أؤمل ... عرض كل شيء ... وأخذ صحيحاته .
(2) ب : إذ .
(3) أ : هذا من مولانا .
(4) تأخذ منكم ما ... سقطت من أ .

وإن كان منّا فضل وعطف على أحد ، امتدحَ به لمَن يصلُ إليه مَن نُجريه له على / يديه واستعدّه عُدّة لنفسه . فَسيّئاتهم منسوبة إلينا وحسناتنا مضافة إليهم ، ولكنّ الله يعلم نيّاتِنا (1) لخلقه وأمرنا في عباده ، فيَجزينا إن شاء الله بذلك ويُثيبنا عليه .

رمز بالحكمة :

187 — (قال) ورأيته يوما جالسا * وبين يديه فوّارَةٌ ماء تفورُ وهو ينظُرُ إليها وكانت طريقةُ الفوّارة عاليةً ، فنظرَ إليها مليّا وقال : سبحان من دلّ بكلّ شيء خلقَه على عظيم حكمته . ونظر إليّ فقال : أترى هذا الماءَ ؟

قلت : نعم يا مولاي .

قال : أما علمتَ أنّ له أصلا عاليًا في الموضع الذي يأتي منه (2) ؟

قلت : نعم (3) يا مولاي .

قال : أوَليس الماء شبحا كثيفا شأنُه الرسوبُ والانصباب إلى ما سفل ؟ /

قلت : نعم .

قال : ولكنّ مثل هذا إذا خرج محصورا كما ترى ارتفع وَسَمَا إلى الأصل الذي خرج منه ، وإن كان من طبعه الانحطاطُ .

قلت : أجل .

قال : وكذلك الأنفسُ العالية تطلُبُ مراقِيَ أصولها ، وهي أجدر بذلك من هذا الماءِ الذي طبعُه الرسوب . فبمثل هذا فليعتبر أهلُ الألباب ولا ينظروا إلى ما في الدنيا كنظَرِ البهائم .

في وجوب إقامة الظاهر والباطن :

188 — (قال) ورفع إليه بعضُ مَن يقف بين يديه رُقعةً فقرأها . ثمّ نظر إليّ فقال لي : هذه رقعة فلان ، ذكر لنا يومَ ركِبْنا ، الحديثَ الذي يروى

---

(1) قراءة تقريبية .

(2) هذا يدعم ما ورد في ص 332 من أن المعز جلب الماء من الجبال الواقعة غربي القيروان .

(3) ب : أجل .

عن جدّنا أبي جعفر محمّد بن عليّ (صع) أنّه نظر / 111 الكعبة البيتِ الحرام فقال : إنّ النظر إليها عبـادة .

فقلت (1) : أجل .

قال : إنّ الله (عج) لم يجعل الدليلَ على الفاضل والمَثَلَ له إلاّ الفاضلَ ، يكون ما كان ، من حيوان أو نبات أو جمادٍ . لذلك فضّل الله بَعض البقاع على بعض . وقد علمْنَا أنّ هذا البيتَ مَبْنِيٌّ من حجارةِ الأرض وطينها ، فالذي نُصِب مَثَلاً له شرّفه الله وعظّمه ، وجعلَه كما قال جلّ ذكره : «مَثَابَةً للنَّاسِ (2)» وافترض عليهم حَجَّهُ والطوافَ به . ومَن لم يُعَظِّمِ الدليلَ على الشيء والمَثَلَ له ، لم يُعَظِّمْهُ (3) .

ثمّ قال (عم) : ومن التّهاون بالظاهر هلَكَ مَن هلك ممّن عرف الباطنَ . فلَعَنَ اللّهُ مَن تهاون به / واطرّحَهُ وأزرى بهِ ! لا واللّهِ ما افترضَ اللّهُ فرضًا ولا عظّمَ أمرا إلاّ ومَثَلُ ذلك تعظيمُهُ واجبٌ في ظاهره وباطنه . فظاهر الحلاَل حلالٌ معظّمٌ ، وظاهر الحرام مذموم ، وكذلك باطنُهُما ، وكلُّ فريضةٍ مُوجبَة دلّت على شيء أو كانت له مِثْلا فهيَ (4) كذلك تجري مجراه وتتّصل به .

رؤيا رآها المعزّ (صلع) :

189 — (قال) وذكر عنده يوما عبد الرحمان الأمويّ المتغلّب بالأندلس فقال : لعنَه الله ، فلقد ذكرتُه مُذ ليالٍ بيني وبين نفسي ، فأطلتُ الفكرةَ فيه إلى أن هممْتُ أن آخذَ مضجعي ، فقضيت ما ينبغي أن أقضِيَه من حقّ الله عليّ وسألتُه (عج) ورغبت إليه أن يُرِيَني حالَه ومصيرَه وما / هو عليه عنده ، في منامي . ثمّ نِمتُ، فكأنّني في مجلس يُشرِفُ على باب الفتوح (5) إذ نظرت إلى نجيب (6) قد دخل

(1) ب : فقـال .
(2) البقـرة ، 125 .
(3) نجد في كتاب الكشف لجعفر بن منصور اليمن (ص 97) ما يمكن أن يوضح هذا المعنى الباطني الكعبة : فهي ممثول الحجة ، وهي كالسفينة بالنسبة إلى نوح ، وحواء بالنسبة إلى آدم ، لأن حواء « حوت الأشياء من الخفيات المكنونة والعلوم المصونة » .
(4) سقط من ب : وكل فريضة ... فهـي ...
(5) ب : مشـرف . وباب الفتوح : أحد أبواب المنصورية الأربعة وهو إلى الغرب . (انظر ابن حماد : أخبـار ... 24) .
(6) النجيب : الناقة الحسنة .

منه قد ملأ فروجه ونفخ الريح جِلالَه (1) ، وعليه رجل يحثّه حتّى وقف بباب القصر ، فاستأذن عليّ ، فأمرتُ بإدخاله وكأنّه خيّل إليّ أنّه بشيرٌ أتاني ببشارة فأُدخِلَ عليّ ، فلمّا مثَل بين يديّ سلّم عليّ وقال : هذا الرجل ، قد جئْنَا به .

قلت : من هذا الرجل ؟

قال : الذي سألتَ الله أن يُرِيَكَ إيّاه .

قلت : عبد الرحمان الأمويّ ؟

قال : نعم .

قلت : فأين هو ؟

قال : هذا هو ورائي ، وإنّما جئت أستأذنُك في المجيء به إليك .

قلت : جئْني به .

فجاءني برجل ملفوف / في إزار وعلى رأسه الطرطور . فقلت للرّجل : ما هذا الذي على رأسه ؟ أهذا زِيُّه ؟

قال لي : هذا زِيُّ الشهوة . ونظرت إليه بين يديّ في مقام خِزْية . فقال لي الرجل : اكشِفْ عنه الإزارَ إنْ شئتَ . فكشفتُه ، فنظرتُ إلى يده مغلولةً إلى عُنُقه . فقال لي الرجل : أفيقدر مثلُ ذلك على ضُرّ أو نفع ؟ القادر على الضرّ والنفع هذا — وأومأ بيده إلى السماء — ثمّ قال لي : لا تُظهِرْه عندَ العامّة والغوغاء فقد بقي شيء من المُدّة . وجمع لي أصابعه (2) وحرّك يدَه يُقَلِّلُ ذلك . ثمّ استيقظتُ فخررت لله ساجدًا لمَا أراني من ذلك .

وصيّة موجزة :

190 — (قال) وسمعته (صع) وقد استعمل عاملا على / بعض الأعمال فأمر بإدخاله إليه يومَ خروجه إلى ذلك العمل ليوصيَه . فكان ممّا عهدهُ إليه أن قال له : اعلم أنّا توخّيْنا فيك خيرا وظنّنّاهُ بك ، فلا تَرْضَ لنفسك بدون ما ظننّا بك ! سر راشدا !

وما زاده على ذلك ، وقد جمع له كلَّ وصيّةٍ وموعظة في هاتين اللفظتين .

(1) الجل بالضم والفتح ج جلال : ثوب تلبسه الدابة لتصان به .

(2) ب : وجمع إلي . إذا جمع أصابعه كلها ، أشار إلى عشر سنين ، فتكون هذه الرؤيا وقعت سنة 340 — الناصر مات سنة 350 — ولكن المعز تولى الخلافة سنة 341 . فلعل الطائف حرك يدا واحدة كما في النص . والحكاية بعد تدل على انشغال المعز بأمر خصمه الأموي .

كلام في إصرار الظالمين على الباطل :

191 – (قال) وسمعته (صع) يوما يقول : واللّه لا يخفى حقّنا عن الناس ، ولو أنصفُوا من أنفسهم واطرّحوا أهواءَهم ونظروا بعيُون الإنصاف منهم لما استَتَرَ ذلك عنهم ، وما يستُرُ ذلك عن جاهلهم إلاّ جهلُه ولا يتخلّف عنه عالِمٌ إلاّ شُحًا على رئاسة . ولقد / فاوضت فلانا – وذكر رجلا من علماء العامّة عندَهم وأكابرِهم – وبسطتُه (1) في القول وما زلت به إلى أن أقرّ بحقّنا، واعترف به اعترافَ من لم أشكّ أنّ اعترافَه اعترافُ حقيقةٍ لا اعترافُ مداراةٍ وتقيّة ، وانقطع ووقف في يدي (2) ، فقلت له : ما يمنعك بعدَ هذا من الرجوعَ عمّا أنتَ عليه إلى ما أقرَرْتَ به ؟ فلم يُحِرْ جوابا .

فقلت له : إن شئت عرّفتُك لمَ لا تفعَلُ ذلك .

فقال مستريحا من تعذّر الجواب عليه إلى قولي : ما هو يا أمير المؤمنين ؟

قلت : أنت رجل قد ترأّسْتَ في العامّة وذُكِرتَ بالعلم فيهم ، وصار لك بذلك حالٌ عندهم ، فإذا أنت فارَقْتَهُم وصِرْتَ إلينا / نَبَذُوكَ واستَخَفّوا بك وسقط عندهم جاهُك ،ولم تكُنْ عندَ أوليائنا في حال مَن برع في علمٍ دخَل فيه لقُرب عهدك به ، وصرتَ دون مَن سبَقَك إلينا منهم ، فلا أنت صرتَ إلى ما أنتَ اليومَ فيه عند أصحابنا ، ولا أنت بقيتَ عليه عند أصحابك .

فقال : لا حول ولا قوّة إلاّ بالله ! أعوذ بالله من ألسنة بني هاشم !

وتبيّن لي منه أنّه قد علمَ أنّ الذي قلتُ هو سرُّه فاستَخْذَى (3) وجعَلَ يلوذُ في كلامه ، فأعرضتُ عنه وتركتُه ، نعوذ بالله من الخذلان والشّقوة .

ولقد مات هذا الرجلُ بعد هذا القول عن قُرب عهدٍ به بعد صُحبةٍ طويلة للأئمّة صلوات الله عليهم / وفضلٍ جزيلٍ كان إليه منهم ، وما تمتّع بما اعتاضه برئاسته من نعمة الله وفضلهِ وكرامته وما دعاه إليه وليُّه وتأكّدت به حجّة الله عليه إلاّ القليلَ . وماكان ما كان من وليّ الله من هذا القول إليه إلاّ تأكيدا لحجة الله عليه.

---

(1) بسطه : سره وطمأنه .
(2) هكذا في النسختين ، ولعل المعنى : وقع في قبضتي وتحت طائلة .
(3) استخذى : استرخى واضطرب .

في وجــوب الجهــاد :

192 — (قال) وأتاه يوما صلوات الله عليه عن صاحب بَعَثَ بعثَ به وأمّره عليه أنّه نزل على عدوّ من أعدائه بجيشه، فحاصره حتّى إذا ضيّق عليه بذَلَ له أموالاً جسيمة فقبِلَها منه لينصرِف عنه .

فغضب المعزّ لدين الله (صع) لذلك غضبا شديدا وقال : لئن فعل هــذا لأفعلنّ به ولأفعَلَنّ به — لشيء من المكروه ذكره — ثمّ قال: ونحن نُعيذ بالله مَن أمّلْنا فيه / خيرا ورجَوْنا منه قياما حسَنًا أن يخيّبَ الله ظنّنا فيه، بل نرجو أن يوفّقَه الله لما أمّلنا فيه ورجَوْناه منه وألاّ ينزَع عن أحد من أوليائنا نعمةً أنعمها عليه بنا .

ثمّ قال : إنّا لم نُخْرِجْ أولياءَنا ونُتعبْ فكرَنا ونُنفقْ أموالَنا لنطلُبَ بذلك أموالا نعتاضُها ، ولا أردْنا بذلك متّجرا بها ، وإنّما أردنا بذلك (1) إقامةَ حقّ الله في أرضه وأن يُعْبَدَ سبحانَه فيها حقَّ عبادته ويُدانَ بطاعته كما أمر لأوليائه . فأمّا المالُ ، فعندنا بحمد الله منه ممّا خوّلَناه وأصارَه إلَيْنا من وجهه وحقّه وحِلّه ما لا حاجةَ بنا إليْه ، يموتُ عنه إمَامٌ منّا بعْدَ إمام ويُخلّفُه ، فما فائدَتُنا في جمعه والزيادة منه ، وما حاجتُنا / إليه ؟ إنّما الحاجة والفائدة لنا إقامةُ ما استخدَمَنا الله (عج) ونصبَنا له من الذّبّ عن دينه وجهاد أعدائه والدعاءِ إليه واستنقاذِ مَن جعلَنا سببا لاستنقاذه ونجاةِ من أقامَنا لنجاته، ممّن أراد سعادتَه ، واصطلامِ من أراد اصطلامَه على أيدينا لِشقوته . فلذلك نسعى وندأبُ وإيّاه نقصد وفيه نرغب. فنسأل الله العونَ على ما يُرضيه منّا والتسديدَ والتأييد في ذلك لنا .

خطاب خاطب به المعزّ (صع) رسول طاغية الروم :

193 — (قال) وقدم إليه (صع) بَطْرِيقٌ من بطارقة الروم وأشرافهم رسولاً عن طاغيتهم صاحب القسطنطينيّة بما أوجبَه على نفسه من مغْرَم الجزية عن /

(1) سقط من ب : متجرا ... بذلك ...

أرض قَلَوْرِيّة (1) كما يبعث بذلك لكلّ سنة ، وجاء منه بهدايا كثيرةٍ من آنيةِ الذّهب والفضّة المرصّعة بالجَوْهَر وديباجٍ وحريرٍ وبرْذَوْن (2) وغير ذلك من نفيسِ ما عندهم ، وبكتابٍ من مُرسله يخضَعُ فيه إليه ويرغب ويسأل ويطلُب الكفَّ عن حربه ويسأل الموادَعَةَ . وبعث بعدد كثيرٍ من أسارى أهل المشرق وما لم يكن قطّ قبل ذلك طاغيةُ الروم بعثَ بمثلهم إلى ملكٍ من ملوك المغرب ولا إلى أحدٍ ممّن مضى من الأئمّة قبل المعزّ (صع) وَلاَ (ك)ان طاغية الروم يؤدّي خراجًا ولاجزيةً عن أحد من أهل ملّته إلى غيره (ص) . فقبّل ذلك الرسولُ الأرضَ مرارا بين يدَيِ / المعزّ (ص) ومثّل قائما بين يديه، فأدّى إليه رسالةَ مُرسِله ودفع إليه كتابَه واستأذنَه في إدخال هديّته ، وذلك بعد أن وصلَ مالُ الجِزْيَةِ إلى عامل صقلّيّةَ على الرسم المقدَّمِ الجاري (3) .

فأذن له أمير المؤمنين (صع) في إدخالها وأسعفه بقَبُولها وكان أكثرُ ما أدّى إليه الرسول عن طاغية الروم وما جاء في كتابه إليه سؤاله الهدنة مؤبّدةً على ما أجراه من الخراج والجزية على أهل قَلَوْرِيّةَ ، وبأن يرسِلَ رسولا من قِبَله ليُسَرَّ بذلك ويفْعَلَ فيه ما يجِبُ على مثله لمحبّته بزعمه وميله .

فأجاب المعزّ (صع) رسوله عن ذلك بأنّ الدينَ والشريعةَ يمنَعان منَ الذي سألَه من الهُدْنَة المؤبّدة / لأنّ الله (عج) إنّما بعث محمّدا رسوله (صلع) وأقام الأئمّة من وَلَدِه من بعده (4) يدعُون إلى دينه ويجاهدُون مَن خالفَه حتّى يدخلُوا فيه أو يُعْطُوا الجزية عن يدٍ وهم صاغِرُون داخلُون في حكم إمامِ أهلِ الإسلام وذِمّتِه . فإنّ الموادعةَ إنّما تجوز لمُدّةٍ معلومةٍ على ما يراه إمام المسلمين صلاحا لهم وللدّين ، ولو كانتْ مؤبّدةً لبطَل الجهاد المفروضُ على العباد ، وانقطعَتْ دعوةُ الإسلام وخولِفَ حكمُ الكتابِ .

وعرّفه أنّه ممّا ينبغي لمثل من كان في محلّ مَلِكه الذي أرسلَه ألاّ يغيبَ عنه مثلُ هذا من شريعةِ مَن يخاطِبُه ويكاتِبُه وألاّ يسألَ ما لا تُوجِبُه الشريعة لمن سألَه .

(1) قلورية : مقاطعة في جنوب إيطاليا مطلة على جزيرة صقلية (انظر ص 167 وص 240) .

(2) هكذا في النسختين . ولم نجد الكلمة بديلا أنسب للمقام .

(3) يبدو أن الإتفاق بين المعز والإمبراطور ينص على أن الجزية تدفع سنويا إلى عمال صقلية الكلبيين . ولم يسبق للنعمان أن حدثنا عن تفاصيل الاتفاق .

(4) من بعده : ساقطة من ب .

فاعترف العلجُ بذلك على مُرسِليه / وسأل الزيادةَ في مدّةِ الهُدنة عنه له .

فقال المعزّ (ص) : جوابُ هذا في كتابنا المقدَّمِ معك قبلَ اليوم إليه (1) : أنّه ما دام على ما شرَطْناهُ عليه وأوْجَبَهُ لنا على نفسِه لم نبدأه بحرب حتّى ننبُذَ إليه عهدَه ، أو بعدَ أن تنقضيَ مدّةُ الموادعةِ بيننا وبينَه ، لا نخفُرُ ولا نغدِر كما تخفُرون أنتم وتغدِرُون .

وعدّد عليه أشياءَ من ذلك فعَلُوها ، فاعتذر منها عن ملِكِه بأنّ ذلك لم يكن • من فِعلِه وأنّه أنكرَه وطالَبَ مَنْ فعَلَه .

فقال له المعزّ (صع) : فإذا كان الأمر على ما تصِفُه من ملكِك أنّه يُغلَبُ على أمره ويعجِزُ عمّن خالَفَه وغلَب عليه من أهل مِلّته، فأيّ فائدةٍ في موادعتِه إذا كان عاجزًا مَغلُوبًا ؟ /

ولكن هل لَكَ ولَهُ في أن أعقِدَ له ما يتّفِقُ معي على عقدِه (2)، على مَن يرى أنّه في غيرِ مملكتي ممّنْ يقابِلُه من جهة المشرق كابنِ حمْدانَ وغيرِه (3) . فإن خرَجُوا عمّا أعقِدُه عليهم فلا عقدَ بيني وبينَه . فأمّا مَن حوَتْه مملكتي وحدودُ طاعتي فقدْ علِمَ وعلِمْتَ أنّهم أقدرُ على أهلِ دينِه ومملكتِه وبلدِه لو أرادوا الخفْرَ والغدْرَ كابن حمْدانَ (4)، فهل بلَغَهُ أو بلغَكَ أنّ أحَدًا منهم تعدّى لي، فيما جعلتُه له، أمرًا وخالفَ شيئًا منه ؟

فجعل العلج يعترف بذلك وبالفضل لوليّ الله (ص) ويسألُ ويرغَبُ إليه . فأعرض المعزّ (ص) عن جوابه عن ذلك وجعل يسأله عن كيف الحال بينهم وبين أهل طرسوس / (5) وابنِ حمدان في حروبهم ومعاملتِهم إيّاهم ، في حديث

(1) فهذه وفادة ثانية إذن من المبعوث نفسه (انظر رسالة الدشراوي المرقونة ص 313 ورسالة Schlumberger عن نقفور فقاس ص 468) .
(2) في النسختين : معه على ما عقــده .
(3) نفهم من هذا الكلام أن المعز يعرض على الرومي معاهدة باسم أمراء المشرق ضامنا لهم ملتزما باحترام العقد من جهتهم . ويلذ للمعز أن يتكلم باسم المشرق اعتقادا منه أنه خليفة على المسلمين قاطبة ، وبهــذا الاقتراح ، ان قبل ، يضمن السلم لأهل الشام والجزيرة ، بدفع خطر الروم عنهم .
(4) العجب أن يسمي المعز جهاد سيف الدولة للبيزنطيين غدرا !
(5) «أ» : طرطوس ، وكذلك في «ب» مع شطب على الطاء الثانية . وطرطوس ميناء سوري جنوب بانياس . وطرسوس ثغر اسلامي يقع جنوب تركيا الحالية ، ودارت فيه حروب بين البيزنطيين وسيف الدولة ، واحتلها الروم سنة 965/354 ، في عهد سيف الدولة الحمداني (انظر الكامل لابن الأثير ج 7 ص 13 ، وهو لم يذكر طرطوس) .

أطاله . وكان ذلك العِلجُ يُجيبه عمّا يسأله من ذلك عنه (1) . فنظر بعضُ مَن في المجلس إلى بعضِهم كمَن لا يدري ما معنى السؤالِ عن ذلك والمفاوضةِ فيه . ثمّ عاود العلجُ في سؤال رسولٍ يرسِلُه إلى ملكه وذكرَ له تواتُرَ رسلِه عليه وعلى آبائه مذ أفضى الله (عج) بالأمرِ إليهم وأنّه لم يَمْضِ رسولٌ منه ولا منهُم إليه

فقال المعزّ (ص) : إنّ أحدا من الناس لا يرسل رسولا إلى أحد إلاّ لحاجةٍ له إليه ولأمر يجب * له عليه . ونحن بحمد الله ، فلا نعلَمُ أنّ لنا إلى صاحبك من حاجة ولا له علينا أمرٌ واجبٌ . فلماذا نُرسِلُ إليه ؟ اللهمّ إلاّ أن يكونَ أمرٌ من/ أمور الدين ينبغي لنا مراسلتُه ومفاوضتُه فيه وهو من المُباحِ في دينه ، ولكن نظنّ أنّه يكبُر عليه ، فإن نحن أرسلْنا فيه إليه، فعلمتَ أنّهُ يجيبُنا فيه، سهُل علينا أن نرسلَ إليه رسولاً كما سألَ وسألتَ عنه . فلو كان (2) ذلك لله (عج) ولدينه لم نفْعَل ذلك له ، ولا ينبغي لنا أن نفعلَه، إلاّ بعد أن يتحقّقَ عندنا أنّه يجيبُ إليه ، لأنّا لا نرى أن نَسْألَ أمرا ، وإن كان لوجهِ الله (عج)، فنخيب (3) فيه . ولأنّ ذلك ، لو كان ، لكان سوءُ عاقبته عليه . ونحن لا نُلزِمُك الجواب في ذلك عنه ، والقطع فيه عليه ، إذ ذلك ممّا لا يَلزَمُك ولا ينبغي لك ، ولكنّا سنأمُرُ بذكرِ ما نريد ذكرَه لك وتَنْصرِف وتقف / على ذلك منه لأنّه أمرٌ كبير (4) . فإذا علمت منه بالحقيقة أنّهُ يجيب إليه، عرّفتَنا ذلك عنه فيسهُل علينا أن نُرسلَ إليه . ولو كان ذلك فيما حوَتْه الدنيا بحذافيرها او اشتملت عليه بأقطارها ، لما سهُل علينا أن نرسلَ فيه رسولا من قِبَلنا . ولكنّه لمّا كان لوجه الله (عج) وابتغاء ثوابِه سهُل علينا ووجَب لدينا .

فاستعظم العلج القولَ في ذلك وأقبل على أمير المؤمنين بالمدح والشكر حتّى خرَج في قوله ذلك إلى الكفر والتشبيهِ الذي يعتقدُه. فردّ ذلك المعزّ (صع) عليه وتواضع لله (عج) كما يجب أن يتواضع له ، وعرّفه ذلكَ ليعلم أنّه لم يرضَهُ * من

(1) عنه في أ وب ، وكأنها زائدة .
(2) في النسختين : فلو لا أن . والتركيب صعب .
(3) أ : فنجيبه فيه . ب : فنجبه فيه . والعبارة غامضة ، وقراءتنا تخمين .
(4) لأنه أمر كبير ، ساقطة من أ .

قوله وإن كان عند نفسه إنّما قصد به / تعظيمه ورأى أنّ ذلك ممّا يجوزُ عنده . ثمّ أمره (صلع) بالانصراف إلى المكان الذي أنزلَه فيه ، فانصرف .

ثمّ عطف على من كان في المجلس كأنّه اطّلع على ما كان في قلوبهم، فقال : لعلّ بعضكم أنكر ما أطلْنَا سؤالَه عنه عن أمرهم مع أهل المشرق ؟ ولم نُرِد بذلك منه الحديثَ والمذاكرةَ ، ولكنّي علِمتُ أنّه رسولٌ قد لُقِّنَ ما يقول وأوقِفَ عليه ، وعلى ما يُجيب فيه ممّا قد لعلّ مَن أرسلَه علِم أنّه سيُسألُ عنه . فأتيْنَاه من مكان نَعلمُ أنّه لم يُتَقَدَّمْ إليْه فيه ، ولم يعلَمْ مرسلُه أنّه يُسأل عنه، حتّى أخذْنا من قِبلِه مَا تقوم به حُجَّتُنَا عليه من وجه كذا ووجه كذا ، وعدّد / وجوها كثيرة ممّا سمعناه جرى بينهما لم ندرِ أنّ في ذلك حجّةً حتّى ذكره (ص) ، فإذا فيه حجج وكيدة لم تظهر إلى أحد ممّن حضر إلاّ عند ذكرِه إيّاها وبيانه لها .

فقبّلوا الأرض بين يديه وأظهروا السرور بما وهب الله من التأييد له وأمدّه من العلم والحكمة به . وكان ذلك عنه (ص) بعد أن سألهم ما رأوْه في مخاطبته إيّاه فيما خاطبه ، وما توهّموه في مراده في ذلك ، فلم يكن عند أحدٍ منهم علِمٌ من ذلك . ثمّ سألهم هل فيما سمعوهُ من حُجَّةٍ يروْنَ أنّها تقوم عليه أو على مرسله؟ فما علِمَ أحدٌ منهم ذلك . فبعد ذلك قال ما قاله لهم ممّا ذكرته عنه — ص — (1) .

خطاب خاطب به المعزّ / صلوات اللّه عليه رسول (2) بعض الدعاة : *

194 — (قال) وقدم على أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) رسول بعض الدعاة بالمشرق بمال حمّله ذلك الداعي إيّاه من أعمال المؤمنين . فأدخله المعزّ (ص) وسألَه عن أحوال ذلك الداعي والمؤمنين قِبلَه ، فأخبره من ذلك بما حمِدَ الله عليه من استقامةِ الأحوال وانتظام الدين وألفة المؤمنين . ثمّ سأله عمّا شاهده في طريقه فأخبره بتعظيم مَن مرّ عليه من أمراء بلدان المشرق إيّاه، وبرّهم (به) وإكرامهم له ، لعلمهم بما جاء به إلى أمير المؤمنين (ص) من قِبَل صاحبه إذ

(1) نشر فرحات الدشراوي هذه الفقرة في حوليات الجامعة التونسية ، عدد 2 ، لسنة 1965 ص 28 ـ 31 .
(2) سقطت « رسول » من ب .

أكثرُ أجنادهم وأصحاب أمورهم من دعوته ، ومنهم كثير ممّن (1) دعاه غيرُه ، وَهُم / بأسرهم يدينون بوَلاية وليّ الله ، ويعتقدون إمامته .

وكان فيما حكاه عن بعضهم ، وهو في أجلّ موضع مرّ به ، بعضُ ما كرهَهُ الرسول منه مع ما وصَفَهُ من سوء حاله ، وذلك، فيما ذكره : أنّه أرسل في طلبه فأدخله إليه وسأله عمّا قدِمَ به فأخبره . فقال : أمّا إنّي لو شئتُ أخذَ ذلك لأخذتُه لأنّه أو أكثره من عند أصحابي ورجالي .

فقلت : أيّها الأمير ، أو تقول غيرَ هذا ؟!

فقال : وما هو ؟

قلت : تقول : إنّ الذي في يديك أنتَ، منهم (2) وعنهم، لقيامهم معك وعضدهم إيّاك .

قال : أجل ، إنّه لكما قلت .

(قال) قلتُ : وأنتَ أبقاك الله فما يمنعُك ممّا فعلوه وقد أخذ عليك لوليّ الله ولمَن تقدّمه / من الأئمّة مرارا ؟ (قال) فرأيتُه وقف في ذلك . وكان جوابه أن قال : كلّ مَن ترى، إنما يطلب الدنيا . ونحن نطلبُها ، ما دامت المدّةُ والدولة والأيّام لنا ، فإذا انقضت سلّمنا ذلك على الكُره .

(قال) قلت : وقد علمتَ أنّ أصحابَك على ما هُم عليه ؟

فضحك وقال : والله ما من رجل من أصحابي أعلى عندي درجةً ولا أكثرُ منزلةً ولا أعرضُ دُنْيًا (3) من هذا — وأومأ إلى رجل هو وزيره وصاحب أمره — ثمّ قال : ولقد سايرني مذ أيّام في بعض ما خرجتُ متنزّها إليه فتذاكرْنا أمر صاحبكم — يعني أمير المؤمنين (صلع) — فقلت : ما أظنّه يمنعُه من الهجوم على المشرق إلاّ أنّه ليس معَه من الرجال والعُدّة / ما يرى أنّه يقوى به على ذلك ، فضحك من قولي وقال لي : وما يريد من الرجال والعدّة، وكلّ من ترى حولك وحولَ غيرك رجالُه وأولياؤُه ؟ فوالله ما داراني في أمره ولا ساترني وإنّه ليصل

---

(1) ب : ممـا ..

(2) ب : وأنت منهم .

(3) أ : ولا أعرف دينا ، مع إصلاح دنيا إلى دينا بتغيير الإعجام .

إليه من بين صلة لي عليه جارية وغلاّتٍ من مَعْروفي لديه في كلّ عام أزيدُ من ثلاثمائة ألف دينـار .

فقلت : فحسبُك أيّها الأميـر .

قال : ما يمنع صاحبكم من المشرق وما الذي قنع به من المغرب وما عسى أن يكون في المغرب وفيما رضي لنفسه منه ؟

قلـت : ألسـت تعلـم أيّهـا الأميـر أنّ المغـرب شطـر الدنيـا وأنّ الله قرنه بالمشـرق فذكَرَهُمَا معـا ؟

قال : / نعم

[قلت]: فهل تعلم في المغرب مليكًا غيرَه ؟

قال : لا .

قلت : وكم بالمشـرق من مليك ؟

قال : كثيـــر .

قلت : أوَ ليس له أكثرُ ما يملِكُون ذلك به مِـن رجالهم ، يتقرّبون إليـه بأموالهم وينصرونه ، إنْ أحبّ ، بأنفسهم ؟

قال : نعـــــم .

قلت : فأيُّ مليكٍ من ملوك الدنيا * له مثلُ ما له معَ مَا خصَّه الله (عج) به من فضيلةِ الإمـامـة ؟

قال : فمِن هذا العجبُ فيما قلناه ! فما عندك فيه ؟

(قال) قلت : ما عندي في ذلك إلاّ القبولُ عنه والتسليمُ لأمره وتركُ الاعتراض عليه ، والعلمُ باليقيـن أنّ كلّ ما كان منـه،صوابٌ وحكمـة ، ولسْنَا نـرى أن نسبُقَـه بالقـول ، وإنّما نحن رُسُلٌ ننْفُـذُ بمـا أرسِلنا فيه إليه وننصَرف فيمَ يصرِفُنا / به .

(قال) ففكّر مليًّا ثمّ دعا بدابّتي ، فما ركبت إلاّ بين يدَيْهِ وأكرَمني . ولكـن اغتمَمْتُ لِمَا رأيتُ من تخلّفه عن الواجب لوليّ الله عليه وقوله ما قاله من أنّه صاحبُ دنيا ، وما وقفتُ منه عليه ويقال فيه من سوءِ الحـال .

قال المعزّ لدين الله (ص) : أفكُنْتَ تحبُّ أن تراه على صحّة من وَلايتنا وكمالٍ في أمرنا ؟

قال : أي والله ، لقد كنت أحبّ ذلك .

قال : إنّ ذلك لو كان وهو على ما هو عليه من المُظاهرةِ بالقيام بأمر أعداء الله ، لكان أضرَّ عليك وعلى أصحابك المؤمنين ولكانت النّعمةُ يرجى بقاؤُها عليه والسلامةُ يطمع دوامُها له ، فتطول مدّتُه وأيّامُه واغتمامُك وأصحابك . ولكنّ من قاطع / اللّهَ مثلَ هذه المقاطعةِ ولم يكن له من أوليائه (1) حظٌّ ولا نصيبٌ ، كان الهلاك بحول الله وقوّته منه قريبًا . فقد كان يقال : كفاك دَرْكًا من عدوّك أن تراه عاملاً بمعاصي الله . وقد سعى بمولاك جعفر بن محمد (ص) بعضُ السعاة إلى بعض المتغلّبين من بني العبّاس ونسب إليه أنّه يريدُ الخروجَ عليه ، فأحضره لذلك وسأله عمّا قال الساعي به ، فأنكره ، وثبّتَ الساعي على ذلك من قوله فيه بين يدَيْ من سعى به . فقال له جعفر بن محمد (ص) : أفتحلِفُ على ذلك ؟

قال : نعم ، أحلِفُ عليه ، وذهب * ليحلِف بالله .

فقال : لا ، ولكن قل : قد بَرِئتُ من حول الله وقوّته إلى حول نفسي وقوّتها .

فقال ذلك / ، فمات في المكان .

فأسقط في يدَيْ ذلك الذي سَعَى إليه ، وأعظم أمرَ أبي عبد الله (ص) وقال له : كيْف علِمتَ أنّه يعاقَبُ بمثل هذه العقوبة إذِ استحلفتَه بما استحلفتَه به ؟

فقال : علمت أنّه كاذب في قوله وأنّ الله (عج) إذا حلف حالفٌ باسمه فوحّده وعظّمه في حلفته أبقى اللّهُ عليه ، لتوحيده وتعظيمه إيّاه ، ولم يعجّل بالعقوبة عليه ، فلم أدَعْهُ لذلك واستحلفتُه بالبراءة منه لئلاّ يكونَ بينه وبين الله ما يُرجى له به السلامةُ من جُرأته عليه ، فكان ذلك ، وعجّل الله (تع) الانتقامَ منه .

وكذلك هذا الذي ذكرتَه : لو اعتصم بأدنى أمرٍ من أمورنا وكان على شيء من طاعة الله ، لأمهله الله / وفتّحَ له . ولكن بانسلاخه من ذلك وخروجه منه ، يُتَوَقّع قربُ انتقام الله (عج) وسُرعةُ وقوع البلاء له .

(1) أوليائه : ساقطة من أ .

ثمّ ذكر له هذا الرسول غيرَ هذا الرجل ممّن اجتاز به من أمَراء البلدان وإكرامه له وأنّـه أرسـل إليـه ليـأتيَـه فاستعفـاه من ذلك إذ علِـمَ أنّـه يريد منه أن يقبّـل يدَه أو يعظّـمَه وأنّـه لا يفعَلُ ذلك له واعتذر إليه في التخلّف عنه ورمَزَ لما منَعَه من المجيء إليه ، فقبِلَ ظاهرَ عذره ولم يكلّفْه من ذلك ما يكرَهه وتركَهُ ،نـازلا عندَ مَن قصد إليه من أولياء أمير المؤمنين ، فأمر بحِفظه وأصحبَه مَن أجازه من حـدّ عملِـه وأخرجـه ظاهـرا بما معَـهُ لأمير المؤمنين (صلع) / * .

فقال له المعزّ لدين الله (ص) : هذا ممّن نظر لنفسه ، وأحرى به أن تدوم النعمة ما دام على ذلك . أمّا بلغك ما عمِله صاحبُ الفُرس عندما ورد عليه كتاب جدّنا رسول الله (صلعم) (1) يدعوه إلى الإسلام،من أنّه أنِف من ذلك واستكبر ومزّق كتابَ رسول الله (صلع) فمزّق اللّهُ (عج) مُلكَه وسلبه إيّاه فلم تقُم لهم قائمة ؟ وأنّ ملِك الروم لمّا أتاه كتاب رسول الله (صلع) قبِله وأجابه عنه ، فلم ينزِلْ به ما نزَل بغيره . وهذا ممّا قدّمتُ لك ذكرَه عمّن تعلّق بشيء من الحقّ وأصغى إليه أنّه ينتفع بذلك ، وأنّ مَنْ قاطع اللّهَ وأولياءه أوشك أن ينتقِم الله منه .

والحمد لله مؤيّد عزّ وليّه / وجاعلِ الهيبة والرّعب في قلوب عبادِه (2) .

---

(1) ص في ب . وهذه أول مرة تكتب التصلية بهذه الصورة ، أي بإضافة م السـلام .

(2) ب : تم الجزء السابع عشر بحمده ومنته وصلى الله على رسوله وعلى آله الطيبين الطاهريـن .

الجزء الثامن عشر

بسم الله الرحمان الرحيم

حديث جرى في مجلس في الردّ على بعض المتكلّمين :

195 — قال القاضي النعمان بن محمد : جلست بين يدي الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوما فذكرتُ له كلاما لبعض المعتزلة في قول الله (عج) : « فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الفِتْنَةِ ، وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، الآية (1) » ، واضطرابَ قولِ المعتزليّ في ذلك وسوء توجيهه له .

فقال (ص) : من اتّباع هذا القائلِ وأمثالِه المتشابهَ ، اتّباعُهم من شبّهوه بأولياء الله الذين أمرهم / تبارك اسمه بردّ ما اشتبه عليهم إليهم وبِسُؤالهم عمّا لا يعلمونه من أمر دينهم ، فلم يفعلوا ما أمرهم الله (عج) به وسألوا من لم يأمُرْهم بسؤالهم ، فتخوّنوا وتهوّكوا (2) وضلّوا وهلكوا . ولو سألوا الراسخينَ في العلم الذين أمرَهُمُ الله بسؤالهم وأخبرهم أنّ عندَهم تأويلَ الكتاب ، لعلِموا مِن عندِهم وجه الصواب ، ولكنّهم أرادوا أن يكونوا أئمّةَ أنفسِهم وأن يستطيلوا على الأئمّة برئاستِهم فتأوّلوا كتابَ الله برأيهم وقالوا في قوله بأهوائهم ، فأوجبوا

(1) آل عمران ، 7 .
(2) الهوك : الحيرة والتردد .

وعيدَه لمن وعده بالثواب ووَعْدَه لمن تواعَده بالعقاب،فأضلّوا كما قال الله (تع): « وَأَضَلُّوا كَثِيرًا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ / (1) » وكأنّهم لم يسمعوا قولَ الله وهو أصدق القائلين: « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (2) » ، ولا قوله لرسوله: « وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ (2)» . فلا هم عن الرسول أخذُوا البيانَ ولا إلى أهل الذكر ردُّوا ما اشتَبَه عليهم من آي القرآن ، بل أمضَوا ذلك على آرائهم وتأوّلوه بأهوائهم . ولو جاز ذلك لأحد لجاز لرسول الله (ص) . فقد أخبر الله (عج) في كتابه وأمره بإخبارهم بنفي ذلك عن نفسه فقال: «قُلْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي (3)»،وقال (عج) مخبرا عن رسول الله (صلع) : « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى » إلى « شَدِيدِ الْقُوَى (4) » . فأجازوا من القول / لأنفسهم ما يجوز (5) عندهم لنبيّهم، وما شهد كتاب الله بخلافه لهم، جرأةً على ربّهم واستخفافا بدينهم . وذكر الله (عج) المنافقين في كتابه وأمر بجهادهم نبيَّه . فلوسئل هؤلاء عن المنافقين مَن هُم فسمَّوْهم بدعواهم عليهم،ونسب أولئك اسمَ النفاق إليهم وأوجبوا أنّهم هُمُ المنافقون بأعيانهم، ما كانت تكون حجّتُهم عليهم إن لم يرجعوا إلى بيان الرسول وسؤال أهل الذكر كما أمرهم الله (عج) ، وإلاّ فلا حجّة لبعضهم على بعض وكلّهم مدّعٍ بلا بيان .

فذكرت عند قول المعزّ (ص) هذا ، قول جدّه الصادق جعفر بن محمد (صلع) وقد سأله بعض مواليه / عن الاختلاف في الفُتيا لمَ كان بين الناس ؟ فقال (عم) للسائل : هل بلَغَك أنّهم اختلفوا على عهد رسول الله ؟

فقال : لا والله،جعلني الله فداك ، ما بلغني ولا سمعت أنّهم اختلفوا على عهد رسول الله .

فقال له جعفر : ولمَ لم يختلفوا حينئذ .

(1) المائدة ، 78 .
(2) النحل ، 43 — 44 .
(3) الأحقاف ، 9 ، وقد التبست الآية عند المؤلف (أو الناسخ) بالآية 203 من سورة الأعراف .
(4) النجم 1—5 . والمقصود بالذات الآيتان 3 و4 : وما ينطق عن الهوى ، إن هو الا وحي يوحى .
(5) ب : ما لا يجوز .

فقال: لأنّهم كانوا يسألون رسول الله (ص) عمّا جهلوه ويعلّمهم ما لم يعلموه.

قال: صدقت، وكذلك والله، لو أقاموا من أقام لهم من بعده مقامة وسألوه (1)، لما اختلفوا. ولكنّهم نصبوا بعده من (2) لم يأمر الله ولا رسولُه بنَصبِه، فسألوه عمّا جهِلوه وتحاكموا إليه فيما اختلفوا فيه، فقصّر عن كثير من ذلك ولم يعلمه وجعل يسأل الناس عنه فاختلفُوا عليه في الجواب فيه، وتطاعموا لذلك الرئاسة / فمضَوْا على ردّ الجواب لا يدرُون [أ] أصابوا أم أخطأوا أوجه الصواب، ومضى على ذلك كذلك الثاني والثالث (3). واختلفوا في أحكام الدين، فاقتدى بهم في ذلك من جاء بعدهم من التابعين ومن لحق بهم من اللاحقين، فكان سبب الاختلاف مع طلب القوم الرئاسةَ لأنفسهم وصرف وجوه الناس إليهم، وقد قال رسول الله (ص) *: من طلب العلم ليباهيَ به العلماء ويماريَ به السفهاءَ وليصرف به وجوهَ الناس إليه، ويقول أنا رئيسُكم، فليتبوّأ مقعَده من النار! إنّ الرئاسة لا تصلح إلاّ لأهلها (4). فقال عليّ (عم): لو ردّوا الأمرَ إليّ لقضيتُ بين أهل القرآن / بالقرآن، وبين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل. وإنّي لأعْلَم ما بين اللوحَيْن. وكان يضرب بيده إلى صدره ويقول: إنّ ههُنا لعلمًا جمّا ما أصبْتُ له حمَلَةً. وقال جعفر بن محمد (ص) وقد سئل عن قول الله (عج): «فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» فقال: نحن أهل الذكر، ولو ردُّوا السؤالَ إلينا، لما اختلف منهمُ اثنان. وروى مثل ذلك عن أبيه أبي جعفر محمد بن علي (صلع)، ومثل هذا وما يؤيّده علمهم (صلع) قد جاء من غير طريق.

وذكرت فيما وصفت من أمر المنافقين قولَ الصحابة: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله (صلع) إلاّ ببغضهم عليّا / لأنّ رسول الله (صلع) قال: لا يحبُّك إلاّ مؤمنٌ ولا يُبغضُك إلاّ منافق (5). فلولا بيان الرسول ودلالته لما عرف الناس المنافقين كما قال المعز لدين الله (عم).

---

(1) يعني علي بن أبي طالب وهو وصي الرسول

(2) يعني أبا بكر.

(3) عمر ثم عثمان.

(4) حديث: من طلب العلم ليباهي به العلماء ... ذكره ابن ماجة (ص 93 رقم 253 و254) والسيوطي في الجامع الصغير (ج 3 ص 210). وورد في الكافي الكليني (ج 1 ص 47 رقم 6).

(5) لا يحبك الا مؤمن ... ذكره الترمذي (ج 13 ص 168). وجاء في نهج البلاغة (ص 372 رقم 42). بهذا اللفظ: يا علي لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق.

وفي مثل ذلك :

196 — وذكرت له في هذا المجلس قولَ بعض من تسمّى بالعدل من العامّة في الرّد على بعض المُجْبِرة وقد عارض في قول الله (عج) « اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ » ، فقال : إذا كان الله قد هدى المؤمنين ، فلمَ أمرَهم أن يسألُوا الهدى ؟ فإذا كان قد أنعَمَ عليهم بالهدى فكيفَ يستحقّون الجزاء ؟ فقال هذا المتسمّي بالعدل : الذي أمر الله (عج) عباده المؤمنين أن يسألوه من / الهدى ألطافٌ منه وزيادات يخصّ بها من يشاء . وقد هداهُم قبل ذلك ، كما قال الله (عج) : « وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (1) » . وأمّا إنعامُه عليهم ، فلو أنّ رجلا وصل رجلا بصلة فاشترى منها منزلا وفراشا وطعاما ولباسا لنفسه ولأهله ، فلمّا صاروا إلى ذلك قالوا : لقد أنعم علينا فلان بنعمة عظيمة ، كان ذلك جائزا في القول إذا كان أصل النعمة منه ، وإن كان وليّهم هو الذي فعل ذلك بهم فهو والله أحقّ بها(2) .

فقال المعزّ (ص) : ما أسوأ هذا من توجيه ، وأقبحَه من تشبيه ! والله تعالى عن أن يُشبَّهَ بخلقه أو تقاسَ أفعالُه بأفعال عبادِه / . ولو نُزّلت هذه النّعَمُ التي شبّهها هذا المشبّهُ بنعمِ الله (عج) حقّ تنزيلِها فعليم ما لعلّهُ يدخلُها من النّقص والغَبْن والبَخْس في حين اشترائها وما يلحقُها من الآفاتِ والعاهات ، وتكون له سببا من المعاصي الموبقاتِ والجوائحِ في الدنيا ، والعقوبات وسوء الحساب في الآخرة ، والمصير إلى نار الله الحامية، لعادت نِقَمًا ولم تكُن نِعما . ونِعَمُ الله على عباده لأجلّ من أن تُحصى ،أو يعدّ ما فيها من الفوائد والخيرات فتستقصى ! ولو تدبّر هذا القائلُ قولَه لعَلِم أنّ النِّعْمَةَ التي أنعم الله بها على عباده الذين اصطفاهم وأمر عباده جميعا بسؤاله هداية صراطه(3) ،هي نعمة الدين(4) التي / لا تُوازيها نعمة ولا تُشبهُها مِنّة ،إذ بها كمال الدين والدنيا وهي نعمة الآخرة والأولى،وهي نعمة الله على خلقه إذ كانت النعمة باتّباعِ صراطِهم تُنالُ ، وبمعرفتهمْ والاقتداء بهم

(1) محمد ، 17 .
(2) أ : ... بهم والله أحق بها .
ب : ... بهم والله أحق بهذا .
(3) ب : صراطهم .
(4) أ : نعمة الله .

تدركُ . ولجهل هذا القائل بنعمة الله هذه شبّهتها بحطام الدنيا وقاسها إليه . وجهله بها يوجب عداوته إيّاها ، فقد قيل : إنّ من جهل شيئا عاداه .

فذكرت عند قول المعزّ لدين الله (عم) هذا القول(1)، سؤال السائل جدّه جعفر ابن محمد (ص) عن قول الله (عج) «ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (2) »، فقال صلوات الله عليه : ما يقول هؤلاء فيها ؟ يعني العامّة .

فقال : أنت أعلم بقولهم جُعلتُ فداك .

قال له : على ذلك / ، ما عندك من قولهم ؟

قال : يقولون : النّعيم ههُنا الشربةُ الباردةُ في اليوم الحارّ .

فقال : والله(3) لئن سألوا عن هذا ليطولنّ سؤالُهم . بل نحن والله النعيمُ الذي أنعم به عليهم ، وعنّا يُسألون فيما عرفوه من حقّنا وافتُرضَ عليهم من طاعتنا .

فذكرت هذا الحديث للمعزّ (صلع) وأنّ العامّة ترْويه ، فقال : هو صحيح وهو كما قال الصادق جعفر بن محمد جدُّنا (ص) (4) . والسؤال الذي أمروا أن يسألوه هو سؤال الجزاء على معرفة أوليائه أيضا ، فذلك هو الجزاء الأوفى والحظّ الأسنى .

وفي مثل ذلك :

197 — وسألته (صع) في هذا المجلس عن قول الله (عج) : «الٓمٓ ، ذَلِكَ الكتاب لاَ رَيْبَ فِيهِ / هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (5)» ، وذكرتُ له قولَ بعض من احتجَّ على المُجبِرة من العامّة في قولهم : إذا كان القرآنُ إنّما هو هُدًى للمتّقين ، فما على غيرهم من الحُجّة إذا لم يكن هدى لهم ؟ فقال هذا المحتجُّ : القرآن هدى للمتّقين وغيرِ المتّقين، ولم يقلِ الله (عج) إنّه ليس هدًى لغير المتّقين(6)، وقال : ونظير هذا في قول الله (عج) : « إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ (7) » ، وقد جعله الله نذيرًا لِلْعَالَمِين .

(1) ب : هذا القائل .
(2) التكاثر ، 8 .
(3) ب : سقط : والله .
(4) ب : سقط : جدنا .
(5) البقرة ، 1 .
(6) ب : سقط : لغير المتقين .
(7) يس ، 11 .

فقال المعزّ لدين الله (ص): من ههُنا * تاه القومُ فضلّوا وهلَكوا . وسكت ساعة، وصوّب رأسه ، ثمّ نظر في المجلس يمينا وشمالا فلم ير أحدا يُكرّه الكلامُ بحضرته . قال : إنّ الكلام إنّما (1) يبنى على أصوله . ثمّ ابتدأ / بتفسير «آلم ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ» وشرح ذلك من الباطن بما يُعجزُ القائلينَ ويبهرُ السامعين ، ثمّ ذكر المتّقينَ بصفاتهم ومن هم، وذكر الذينَ يؤمنون بالغيب ويقيمونَ الصلاةَ والذين يُنْفِقُونَ ممّا رزقهم ومَن هُم، وشرح ذلك شيئا شيئا شرحا شفى به القلوبَ وأزال الشّكّ وأذهب الحيرةَ . ثمّ قال : والذين لا يؤمنون فهم كما وصفهم الله (عج) : «فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى (2)» ، فمن بصّره الله الهدى وقوّاه عليه وأمره ونهاه فاهتدى بهداه وقبِل عنه أمرَه وانتهى بنَهْيه وحافظ على حُدوده ، زاده الله (عج) من الهدى كما قال وآتاه التقوى ، ومن لم يُقبِل على الهدى وعصى / الله فيمَا أَمَرَهُ به وارتكب ما نُهِيَ عنه ، ففي أُذُنَيْه وقر ، وهو كما قال الله (تع) ، عليه عمى .

ثمّ قال : وهذا الهدى للمتّقين هو من لطائف الله ومِنّتِه وإحسانِه التي ذكرها هذا القائل أوّلا في أمّ الكتاب (3) ، ونسي ذلك فخالفه في هذا الباب .

فذكرت عند قول المعزّ (عم) قول جدّه عليّ أمير المؤمنين (عم) وقد سأله سائل عن الإيمان والإسلام ، ما كلٌّ واحد منهُما ؟ فقال : الإسلامُ الإقرارُ ، والإيمان الإقرارُ والمعرفة ، فمن عرّفه الله نفسه ونبيّه وإمامه فأقرّ بذلك ، فهو مؤمِنٌ .

قال له السائل : فالمعرفةُ من العبدِ والإقرارُ منه ؟

قال : المعرفةُ من الله حجّة ومِنّة ونعمة، والإقرارُ مَنٌّ من الله يمُنّ به على / من يشاء من * عباده ، والمعرفةُ أيضا صنع الله في القلب ، والإقرارُ فِعلُ القلب . وكلّ ذلك مَنٌّ من الله ورحمةٌ . فمن لم يجعلْه الله عارفا فلا حجّةَ عليه ، وعليه أن يقف عمّا لا يعلَمُ ، ولا يُعذّبُه الله على جهله ويثيبه على عمله بالطاعة ، ويعذّبه على عملِه بالمعصية ، ولا يكون شيء من ذلك إلاّ بمنّ الله وفضلِه وقضائه

(1) أ : سقطت : إنما

(2) فصلت ، 44 .

(3) الفاتحة . وقد مر السؤال عن «اهدنا الصراط المستقيم» ... ص 380 .

وقدَره وعلمه وكتابه بغيرِ جَبْر ، لأنّهم لو كانوا مَجْبُورين لكانوا معذورين وغيرَ محجوجين (1). ومن جهل فعليه أن يَرُدَّ إلينا ما أشكل عليه لأنّ الله تبارك وتعالى يقول : « فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ (2) » .

قال له السائل: فما أدْنَى ما يكُونُ به العبد / مؤمنا، وأدنى ما يكونُ به كافرا وأدنى ما يكون به ضالاّ ؟

قال : أدنى ما يكون به مؤمنا،أن يُعرّفه اللهُ نفسه فيُقرّ له بالإلاهيّة، ويعرّفه نَبِيَّهُ فيُقِرَّ له بالنّبُوَّة ويعرّفه حُجّته في أرضه وشاهدَه على خلقه فيعتقدَ إمامته.

قال له السائل : وإن جهل غير ذلك (3) ؟

قال : نعم ، ولكن إذا أُمِر فليُطِع وإذا نُهِيَ فَلْيَنْتَهِ .

وأدنى ما يكون به مشركا أن يتديّن بشيء ممّا نهى الله عنه، فيزعم أنّ الله أمر بذلك ويعبد من أمر به ، وهو (4) غيرُ الله .

وأدنى ما يكون به ضالاًّ أن لا يعرف حجّةَ الله في أرضه وشاهدَه على خلقه فيأتمّ (5) به .

وفي مثل ذلك :

198 — (قال) وذكرت له (صلع) قولهم في قول الله (عج) : « خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ / وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ » وأنّ الختم ههنا الإخبارُ عنهم أنّهم لا يؤمنون (6) ، لا على أنّه حالَ بينهم وبين الإيمان .

فقال : ما هذا الهروب إلى هذا التّعَقُّد * من القول ؟ أليس قد أخبر أنّهم كفروا قبلَ هذا ، فقال : « إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ

(1) أ : مجهودين . ب : محمودين .
(2) النحل ، 43 .
(3) المعنى : حتى وان جهل ... ؟
(4) ب : سقطت : هو .
(5) ب : فيأتمر به .
(6) ب : سقط : أنهم لا يؤمنون . والآية من البقرة ، وكذلك التي تليها بعد حين (6–7) .

آنْذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ » وإنّما كان كفرَهم بعد الإنذار والدعاء (1) إلى الإيمان فأبَوْا منه وكفروا ؟ فاستغطاؤُه هذا أن يحول بينهم بعد هذا وبين الإيمان ، هل يدفع أنّه يُميتُهم ، والموتُ حائلٌ بينهم وبين الإيمان إذا كانوا قد أصرُّوا على الكفر ، فلا يكون في ذلك لهم حجّةٌ عليه ، بل له الحجّة البالغة .

ثمّ قال (صلع) : أليس قد قال الله (عج) : « كلاَّ بَلْ رَانَ / عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (2) » وقال : « وَعَلَى أبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ » ؟ وكلاهما سِترٌ ولكنّ الغشاوةَ أخفُّ وأدقُّ ، والرَّيْنُ أغلظُ ، فجعل ذلك على القلب لأنّ البَصَرَ به يُبصر وقد يرى البصر كثيرًا ما يراه فلا يُثبت إلاّ ما صرف الناظر قلبَه إليه ، قال الله (عج) : « وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ (3) » ، وقال : « فَإنَّهَا لاَ تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ التِي فِي الصُّدُورِ (4) » . وذكر مثَل القلوب ومثَل الأبصار من الباطن فأوضح المعنى في ذلك وبيّنه ودلّ به على ظاهر القولَ فيه .

مجلس في أمر أمضاه (صلع) :

199 — (قال) وكان رجل معروف بالأذَى للناس والسعاية بالباطل بهم ووسمهم بالمثالب / والمعايب قد أغْرَقَ في ذلك وأكثر فيه ، وفشا شرُّه وأذاه ، واتّصل ذلك بالمعزّ (ص) وتقرّر عنده مرّة بعد مرّة وكلّ ذلك يُغضي عنه ويَتَثَبَّتُ في أمره إلى أن واجهه بذلك ورفعه إليه وتبيّنَ له من أمره ما لم يجد بُدًّا * من عقوبته عليه ، فأمر به فعوقب عقوبةَ مثله .

ثمّ أجرى ذكره بعد ذلك (ص) فقال : إنّا لنغضي ونصبر ونعفو ونتغافل ونستر ما أمكنَ الصبرُ والعفو والسَّتر ، وننتظر (5) بذلك ونَتَثَبَّتُ فيه لِئَلاَّ يكونَ منّا أمر فـ/ي/تبيّنَ لنا بعدَه خلافُ ما أوجبَه ، فنندَمُ عليه . ونحن نقدر على أن نعاقبَه بالقتل فما دونه ، فإن تبيّنَ لنا بَعْدَ ذلك براءةُ من قتلنَاه ، لم نستطع / أن نُحيِيَه ، لأنّ ذلك شيء إنّما تفرّد اللهُ جلّ اسمُهُ ، به وحدَه . فلذلك نؤثر الأناةَ فيما يُرفع إلينا ،

---

(1) الدعاء في معنى الدعوة ، وهو كثير في الكتاب .
(2) المطففون ، 14 .
(3) الاعراف ، 198 .
(4) الحج ، 46 .
(5) أ و ب : نستظهر .

والتثبُّتَ فيما تقرّر لدينا، فإذا تبيّن ما لا شكَّ فيه ووضُحَ عندنا ما لاخفاءَ به وَوَجَبَ علينا تنفيذُ الحقّ،أنفذْنَاه في مَن (1) كان، بعد أن نأمَن إن شاء الله النّدَم على ذلك، ولا يأتينا ما يُوجِبُ خلافَ ما فعلناه فنَنْدَمَ عليه ونخاف تباعتَه . وما نتأسّى في ذلك إلاّ بالله ربّنَا وخالقِنَا الذي خوّلنَا وأعطانَا ومكّننا وفضّلنا ، فإنّه عزّ وجلّ يُمْهِل للمذنبين ويبسُط للظالمين وهو العالِم بما يعملُون ، وَيُبْدُون ويكتُمُون ، وهو قادر على الانتقام منهم،وغيرُ متوقّع[منه] مَا يتوقّعُه / المخلوقون من المظالم فيما بينهم،وهو مع ذلك يُملِي لمن عصاه ويُمهِل من تعدّى أمرَه إلى أن يحِقّ الحقُّ عليه ويُجَازِيَهُ بما هو (عج) مُجَازِيه . فإذا كان هذا فِعْلَ الإلاه القادرِ ، والربّ العليم ، فكيف بالمخلوقِ الضّعيف الدنيّ وهو دونَ الدونِ ؟ واستعبر (ص) .

فقبّلت،أنا ومَن حضر، الأرض بين يديه وقلنا: الحمدُ لله الذي منّ علينا بفضل وليّه وستره وتثبّته في أمره وجعلنا من أهل زمانه * وعصرِه وأتمّ علينا النعمة به .

رؤيا رآها المعزّ (ص) :

200 — (قال) : وذكر (ص) أحمد بن بكر المتغلّب بإحدى مدينتَيْ فاس (2) وما كان منه قديما من ذلك إلى أن أمكنَ الله (عج) القائمَ بأمر الله (ص) منه وأتِيَ

---

(1) ب : فيمــا .

(2) أحمد بن بكر بن سهل الجذامي ، أمير فاس للناصر الأموي ،أسر مرة أولى سنة 322 في مستهل مدة القائم الفاطمي ، أسره ميسور الفتى وبعث به إلى إفريقية . وكان أميراً على عدوة القرويين من مدينة فاس ، حسب ما يقوله ابن حيان في المقتبس (الجزء الخامس المخطوط بالمكتبة الملكية بالرباط ، ص 245–246) وهو الذي يروي خبره مع ميسور في رسالة بعث بها موسى بن أبي العافية ، وهو «وليه القائم بدعوته » إلى عبد الرحمان الناصر :

« ... وأما ما أراده سيدي أمير المؤمنين ـ أبقاه الله ـ انهاءه إليه مما نحن فيه مع المشارقة، أهلكهم « الله ، فان اللعين أبا القاسم طاغوتهم (القائم) بعث إلينا غلامه ميسور الخصي وعفريته ابن أبي « شحمة الكتامي ، وغيرهما من قواده في كثف من شياطينه داعيا لمن حولنا من القبائل إلى الدخول « في طاعته . وأعطوهم فحلوا في البلاد ، وبثوا دعاتهم ، فتوقف الناس عنهم ، ولاذ البرابرة منهم « بأوعارهم ومعاقلهم ، فلما يئسوا منهم كاتبوا أهل مدينة (فاس) ولطفوا بهم ودعوهم إلى الدخول « في طاعتهم وأعطوهم العهود المغلظة والأيمان المؤكدة على تأمينهم وتقديمهم . فاغتر بهم أميراهم : « محمد بن ثعلبة صاحب مدينة الأندلسيين ، وأحمد بن بكر صاحب مدينة القرويين ، وقدما عليهم « مع وجوه من رجالهما . فلما صاروا بين يدي الخصي غدر بهم ، فأخذهم وأخذ جميع من كان « معهم من دواب وأسلحة . فلما رأى أهل فاس ما فعله من ذلك توقفوا عنه وامتنعوا من إدخالــه . « فنكب عنهم وصار إلينا ... » .

وبقي أحمد بن بكر أسيرا إلى سنة 341 ، فسرحه المعز إلى المغرب ، فعاد إلى ولاء الأمويين حتى أسره جوهر في حملته الكبرى سنة 348 فجعله في قفص وأرسله إلى المنصورية صحبة أمير سجلماسة في * قفص آخر . ويقول الناصري (استقصاء ج 1/189 و199) إنهما ماتا في الأســر .

هذا ، وفي اسم هذا الأمير اختلاف . فبعضهم يقول : أحمد بن بكر كابن حيان في النص السابق ، والبكري (المغرب ، 124 و128) . ويدعوه ابن أبي زرع (الأنيس المطرب/56 و60) أحمد بن أبي بكر . وفي المجالس يأتي على الوجهين فآثرنا رواية ابن حيان والبكري .

به أسيرا إليه فأمَرَ باعتقاله فاعتُقِل باقيَ مدّة القائم (ص) ، ثمّ منّ عليه المنصور / (عم) وأطلق سبيلـه فعاد إلى تغلّبه وفسقه ، وخلع طاعة الأئمّة من عُنُقه ودعا إلى الفسقة بني أميّة،وأظهر اللّعْنَ على مِنبَره على الأئمّة (1) لعنَهُ اللّهُ وأخزاه،وخرجت عساكر المعزّ (ص) إلى الصُّقع الذي هو به فأجاب كلّ من فيه وأناب إلى الطاعات، سواه(2)،فإنّه أصرّ وتمادى على غيّه وأحاطت العساكرُ المؤيَّدَةُ وجنودُ الله ووليّه به.

قال المعزّ (ص) يوما وقد ذكره وهو في هذه الحال : لقد رأيتُ البارحةَ عدوّ الله وكأنّي أتِيتُ به فأمرت بقتله ، فجعل يسترحِمُنِي ، فقلت : والله لو وجدتُك تحتَ أستار الكعبة لما أفلَتُّك ولَقَتَلْتُك ! فجعل يراجعُني كالمحتجّ عليّ في قولي / هذا ويقول:وما يوجب قتلي تحت أستارِ الكعبة ؟ فقلت : أقلُّ ما يوجبُ ، مراجعتُك إيّايَ هذه ، فأسمع قائلا يقول من خَلْفي ولم أره : أحسنتَ والله ، أصبت أصاب الله بك المراشدَ ! والله مراجعتُه إيّاك توجبُ قتلَه لعنهُ الله ! فألتفِتُ فإذا الذي يقول ذلك المنصورُ بالله (ص) .

فلم يكن بين هذا اليوم الذي حدّثنا بهذا الحديثِ فيه وبين اليوم الذي فتحَ الله فيه فاس عليه ، وأقدره على اللعين ابن بكر وأخذه أسيرا إلاّ أقلُّ من عشَرة أيّامٍ .

كلام في ذكر الحكمة :

201 — (قال) ولمّا فتح المعزُّ لدين الله (ص) للمؤمنين بابَ رحمته وأقبل عليهم بوجهِ فضلِه ونِعمتِه ، أخرج إليّ كتُبًا من علم الباطن وأمرني أن أقرأها عليهِم* في كلّ يوم جمعة في مجلسٍ في / قصره المعمور بطول بقائه . فكثُر ازدحامُ الناس وغصَّ بهمُ المكان وخرج احتفالهم عن حَدّ السماع وملأوا المجلسَ الذي أمر باجتماعهم فيه ، وطائفةٌ من رَحبة القصر ، وصاروا إلى حيث لا ينتهي الصوتُ إلى آخرهم . وقيل له في ذلك (ص) ووُصف له أنّ فيهم ممّن قد شملَتْه الدعوة أهلَ تخلّف ومن لا يكاد أن يفهم القولَ ، وأنّ مثل هؤلاءِ لو ميّزُوا وجُعل لهم مجلس يُقرأ عليهم فيه ما يَحتمِلون ويفهمُون ، لكان أنفعَ لهم .

---

(1) ب : سقط : عن عنقه ... الأئمة .
(2) سواه : إلا هو .

فهمّ بذلك (صلع)، فعظم الأمر على أهل هذه الطبقة ورأوا أنّه إنّما قصّر بهم من أجل تخلّفهم في حالهم . وجرى ذكر ذلك بين يديه وأنا حاضر وقد دعا بالحجّام / ليأخذ من شَعْره (1) فدخل ، وقمت وتَنَحَّى من كان بين يديه فدعاني ووقف الحجّامُ على رأسه ، فقال لي: لقد مرّ بي البارحةَ في أمرِ هؤلاء ما منَع من إبعادِهم من كتاب الله ، وذلك ما ذكره (عج) في سورة هود ، فانظر ما هنالك .

فلم يتهيّأ ، لما كان عليه ، لي أن أستفهمه عن ذلك ولا كيف مرّ به ذلك : أمِن قراءةٍ قرأها أم في رُؤْيَا رآها ؟ غير أنّي قلت : أنظرُه يا مولاي.

فانصرفت ونظرت في سورة هود فوجدت في قصّة نوح قوله : « وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ، إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا / مِنْ قَوْمِهِ : مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وما نراك اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ * كَاذِبِينَ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ؟ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ؟ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ / خَيْرًا ، اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (2) » .

فعلمت [من] هذه الآيات [أنّه] أراد(3) وأمر — أدام الله عُلُوَّ أمره — بإسباغِ رحمته على كافّة المؤمنين، وأَوْسَعَهُم منها جَمًّا من عطائه وجزيلاً من نعمائه، وإن كان ذلك لا يستقرُّ إلاّ في قراره ولا يعيه إلاّ أهلُه ولا يأخذ كلُّ آمرىءٍ إلاّ

(1) الحجام هنا بالمعنى الاصطلاحي في إفريقية : الحلاق .
(2) هود ، 25–31 .
(3) في النسختين : فعلمت أن هذه الآيات أراد (صلع) ...

قسطه بحسب ما فيه من القوّة وما يتّصل به من المادّة ، كما أنّ ضوءَ النهار قد يتّصل بالأبصار وإنّما يقبل منه كلّ بصرٍ بقدر صحّته وقوّته،والذي لا صحّة ولا قوّة فيه منها لا يتّصلُ به شيءٌ من ذلك الضّوءِ ، كما أنّ آنيةً لو وضعت تحتَ سماء ممطرةٍ لم يستقرّ الماء إلاّ فيما كان منها أجوفَ / ، وما كان مسطّحا ومكبوبا على رأسِه أوْ ملقًى على جانبه لم يدخُلْ فيه شيء من ذلك الماء ، وما استوى على اعتداله منها وكان ذا جَوْفٍ أخذ من الماء بقدر سَعَتِه واحتماله وصِغَرِه وكبره .

وكذلك هذا الأمر . قد قيل إنّ بعض الأئمّة أطلق لبعض المؤمنين قولا من الباطن وبحضرته بعض غِلمانه،فظنّ بعض من حضره أنّه لم يره فنبّه عليه وأشار له إليه، فقال : قد رأيتُه،وليتَكم أنتم تفهمُون ما أقول ! * وقد أخبر الله (تع) بمثل ذلك عن قوم سمِعوا من رسول الله (صلع) ما لم يفهموه ولا وعَوْه فقال : « وَمِنْهُمْ مَن يستَمِعُ إليْكَ حتّى إذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قالُوا للّذِينَ أوتُوا العِلْمَ ماذَا قالَ / آنِفًا ؟ (1) » فأخبر الله (عج) أنّهم شهِدُوا وسَمِعُوا ما سمِع أولُو العِلم فلم يعرفوه ولم يعرفُوا ما قالَهُ رسولُ الله (صلع)،فأخبر عن رسول الله (صلع) أنّه قد جَمَعَ مثل هؤلاءِ فيما أسمَعَهُم مع ذوي العِلم . وقد شاهدنا مثل هذا ورأينا كثيرا من قوم يسمَعُون ولا يعلمون ما سمِعُوه ولا تعلّقَ شيءٌ منه بقلوبهم ، وقوم سمعوا ذلك معهم ووعَوْه وعلموه وانتفعوا به ، وأولياءُ الله أعلمُ بما يفعلون وبمن يخصُّون ومن يَجْتَمِعُون وعلى أيّ شيء يجمعون ويُفرّقون ، كلّ شيء عندهم من ذلك بمقدار ووزن وعلى منهاج وسَنَنٍ .

كلام جرى في مجلس بكّتَ فيه أهلَ سجلماسة (2) :

202 — (قال) / : ولمّا تمادى أمر اللعين ابن واسول وارتكب ما ارتكبه وتعاطى ما تعاطاه من التغلّب بسجلماسة وخلع طاعة الأئمّة وتسمّى بالإمام أمير المؤمنين الشاكر لله ، وهو الكافر بالله (عج) لِعَظِيم ما ارتكبه من نهيه ، رأى المعزّ لدين الله (صلع) جهادَه لعظيم جُرمه وأنّه لا يَسَعُهُ تركه لِمَا تَعَدّى إليه وتعاطاه. فأنهض إليه عسكرا فأمكنه الله (عج) من رحمته من غير يدٍ لأحدٍ من الخلق عليه فيه : وذلك

---

(1) محمد ، 16 .

(2) نشر هذا النص الطويل في ملحقات كتاب « المعز لدين الله » (الملحق الخامس) .

أنّ قائد ذلك العسكر تقدّم إلى أهل سجلماسة من قبل أن يحلّ بهم بِمُدّةٍ بكُتُبٍ منه في القبض عليه، وأنّهم إن فعلوا ذلك * أمَّنهُم وأحسَنَ إليهم وعفا عن ذنوبهم التي / اقترفوها بطاعته على ما ارتكبَه من عظيم جرمه وإلقائهم بأيديهم إليه. فلم يفعَلُوا. ولمّا قربت العساكر المنصورةُ منه خرج من المدينة هاربا بنفسه، فلقيَه نفَر من أهل المدينة فأخذوه وأتَوْا به القائدَ. فعاتب القائد (1) أهلَ سجلماسة في تركه، ثمّ رأى الصفح عنهم وولّى عليهم واليًا منهم وانصرفَ. فوثبوا على ذلك الوالي فقَتَلُوه وأقاموا مقامَه منتصِرًا بن محمد ابن المعتزّ (2) وكان أبوه وجدُّه قد وَلِيَا البلد باستعمال أمير المؤمنين، وكانا من أهل الوَلاية.

وكان ابن واسول هذا الفاسقُ المتغلّب لمّا تغلب على البلد اعتقل منتصِرًا هذا وهو غلام حدَثٌ فأقام معتَقَلا عنده مدّةً / . فقدّمه أهلُ البلد لمّا قتلوا العامل الذي استعملَه عليهم القائد، ونسبوا إليه من القبيح ما زعموا أنّه أوجَب قتله، وذكروا أنّ الغوغاءَ والعامّةَ قتلُوه، وذهبوا في تقديمهم هذا الذي قدّموه إلى ما هو عليه من الوَلاية والمحبّة، وقيل إنّه سعى في قتله في ذلك وأرسل رسولاً من فَوْره، وأرسل أهلُ البلد وكتبوا إلى أميرِ المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) يذكرون ذلك ويعتذرون ويصفُون حالَهم. فصرف رسولَهم بأنّه غيرُ قَابِلٍ ذلك من عذرهم وأنّهم لا أمَانَ لهم عنده إلى أن يأتيَ وجوهُهم، وسمّاهم، ويأتيَ منتصِرٌ هذا إليه مُحَكِّمِينَ في أنفسهم، فحينئذ يرى رأيَه / فيهم.

وانصرف الرسول بذلك إليهم فما كان إلاّ مقدار * مسافَة وُصُولِه إليهم وانصرافه حتّى أتى منتصر هذا الذي قدّموه ومائتا رجل من وجوههم، وهم(3) الذين سمّاهم أميرُ المؤمنين، قد ركبوا طرُق الرّمال والفلَوات خوفًا من أن يصل إليهم

---

(1) هو جوهر، والغريب أن النعمان لا يذكر اسمه.

(2) المنتصر: تولى سجلماسة بعد أبيه سنة 321 وعمره ثلاث عشرة سنة، فكانت جدته تدبر أمره، إلى أن ثار عليه ابن عمه محمد بن انفتح (ابن واسول) سنة 332هـ (انظر البكري، المغرب، 151، وابن الخطيب، أعمال الأعلام، 73 وابن خلدون ج 6 ص 270، والناصري، الاستقصاء ج 1 ص 126)
هذا وان ترتيب أسماء آبائه مضطرب في هذه المراجع، وهي لم تذكر رجوعه إلى إمارة سجلماسة بعد أسر ابن واسول سنة 348.

(3) وهم: زيادة من ب.

أحد دون الباب، حتّى حلّوا به، فأدخلهم أميرُ المؤمنين (صلع). فلمّا مثلوا بين يدَيْه وقبّلوا الأرضَ ووقفوا نظر إليهم نظرةَ مُغْضَب وأطرق ساعة فامتقعَتْ ألوانهم وارتعدت فرائصهم ولم يستطع أحد منهم أن ينطقَ بحرف لمّا داخلهم من الخوف . فرفع رأسه فقال :

يا أهلَ سجلماسة ، فعلتم ما فعلتم في أيّام المهديّ بالله (صلع) واقتدر / عليكم مرّة بعد أخرى فعفا عنكم وأحسن إليكم لحلوله الذي كان فيكم (1) ومجاورته إيّاكم مدّةَ إقامته فيكم، كما يرعاه من أحلّه الله محلّه من كرم الطباع وحُسن الصنيع، من غير يد كانت لكم عنده ولا فعل من الجميل تقدّم لكم لدَيْه ، فصفح وأحسن وعفا وأجملَ ، فما رعَيْتُم ذلك حقّ رعايته ولا فُهْتُم بشُكره . ثمّ نعق فيكم ناعقٌ من الشيطان فلبّيتُموه ودعاكم إليه داع فأجبتُموه . قام فيكم دعيّ فيما ادّعاه متوثّبٌ على ما تولاّه قد عرفتم نسبه ودريْتُم سببه فتَغَلّبَ على ولاة (2) أمركم وتحلّى بالرئاسة والتصنّع لكم وتسمّى بأمير المؤمنين وإمامِ المسلمين لكم، وأنتم على علم لا تشكّون، ويقين / لا تمترون، أنّ ذلك لا يجوزُ له ولا يحلّ تسليمه لمثله، فسلّمتموه له وأطعتموه وتولّيتُموه واتّبعْتُموهُ ففارقتم جماعةَ المسلمين وخرجتُم من حزب المؤمنين وأحدثتُم حدثا عظيما في الدين ، وانتهى إلينا من أمركم ، وأمرِه ما لم يسَعْنا تركُه والغفلةُ عنه لما افترضه الله علينا عزّ اسمه من القيام بحقّه في أرضه وجهادِ مَن صدف عن دينه وغيّر سنّة رسوله وحلّ محلّكم ومَحَلّ هذا الفاسق فيكم . فأنهضْنا إليكم جيشًا من أوليائنا وأنصار دولتنا وعبيدنا مع عبد أمّرناه عليهم وتقدّمنا إليه في الإعذار والإنذار إليكم في الإنابة والتّوبة قبل الوقوع بكم. فلم يزَل مع طيّ / المراحل نحوكم يتابع الكتُبَ إليكم مع رسله تأكيدا في الحُجّة عليكم مرّة بالوعد ومرة بالوعيد ، وتارة باللين وتارة بالتشديد، يدعوكم إلى الطاعة والنزوع عمّا أنتم عليه من المعصية والضلال ، والقبضِ على عدوّ الله فيكم إن تمادى على ما هو عليه من الغيّ والضّلال إن استطعتموهُ، أو البراءة منه وتركه بجانب إن لم تقدِروا عليه . ووصلَت كتبُه إليكم وأدّى إليكم من اجتاز به منكم كُلَّ ذلك ، /و/ أنتم على باطلكم مُصرّون، وبالفاسق المضلّ لكم متمسّكون، إلى أن حلّت جيوشُنا بقربكم

---

(1) نعلم أن المهدي نزل أول ما دخل المغرب بسجلماسة .

(2) أ : على ظاهر أمركم .

وانتشرت عساكرُنا ببلدِكُم وعاين من عاينَها من عيون عدوّ الله من جمعِها / وعتادها وقوّتها ما أنهاه إليه، وقد علم أنّه لا طاقةَ لكم ولا له بعسكر من عساكرِها .

فلمّا حلّت بعقوتِكُم ونزلت بداركم وأنتم مع الفاسق على ما أنتم عليه، نهض مولّيًا عنكم وهاربا متسلّلا من بين أظهركم . وقد كنتم تقدرُون على أخذه لو أردتُموه ويمكنكم من ذلك ومن حصاره في داره متى أحببتموه لو أخذتُم بحظّكم في ذلك ففعلتموه * . لكنّكم أقمتُم مصرّين على طاعته وتولّيه إلى أن نزع عنكم وأقدرَنَا الله (عج) بفضله وإحسانه عليه ، كعادته الجميلة، بلا صُنع لكم ولا لغيْركم في ذلك، وأقدرنا عليكم وأمكنَنا منكم وأنتم على ما أنتم عليه من غيّكم وضلالكم / وما تستوجبون به اجتياحَكم ودَماركم، فسار عبدُنا فيكم بما أمَرناه به من العفو والصفح والمرحمة ، وانصرف عنكم فأحدثْتُم بعده ما أحدثْتُم . فماذا تستحقّون أن يُفْعَل بكم ؟

يكلّمهم بهذا الكلام (صلع) كلامَ مغضب. فاصفرّت ألوانهم وتغيّرت وجوهُهم وأرعدَت فرائصُهم وأفحم أكثرُهم عن الكلام . وقال من قال منهم قول مذعور دهش : إن يعاقبْ أميرُ المؤمنين (ص) فنحن أهلُ العقوبة، وإن يعفُ فهو أهلُ العفو والفضلِ والرحمة .

فأطرق (صلع) مليًّا ثمّ دعا منتصرًا بن محمد (1) بن المعتز فقرَّبَه إليه وأمرَهُ بالجلوس فقبّل الأرضَ مرارا وشكر لأمير المؤمنين . ثم / عطف (صلع) على الوَفْدِ فقال : قد كنتم تستحقّون أليمَ العذاب والنّكال . ولكنّا لِلّذي جبلَنا الله عليه من الصّفح والعفوِ والمرحمة قد عفَوْنا ما سلَف من ذنوبكم ما استقمتم وأصلحتم وقد استَعْمَلنا عليكم عبدنا هذا — وأومأ إلى منتصر — فقبّل ، وقبّلوا، الأرض مرارا وشكروا بما قدروا عليه ، وزال ما ظهر عليهم من الهلَع والجزع وأمر (صلع) بصرفهم إلى موضع أنزلَهم فيه وخلع على منتصر وحمَلَه ، وفعل ذلك بجماعةٍ من وجوههم وأمر بإجرَاء النُّزُل لهم أجمعين وأقاموا * بذلك مدّة في أرفه عيش وأحسن حال . ثمّ لمّا رأى صرفهم عقد لمنتصر على سجلماسة وعملِها وخلع / عايه خِلَعًا سَنيّة وحمله على عُدّةٍ من الخيل بسروج مُفَوَّفَةٍ ووصلَه بصلات

(1) في «أ» : ابن أحمد خلافا لما مر في أول هذا النص ، والاصلاح منه ومن ب .

جزيلةٍ وحمَل جميع من قدِمَ معه وكساهم ووصلهم وصرفهم إلى بلدهم بما لم يوصلوه ولم يتوهّموه . وكان غاية آمالهم أن يَسْـلَمـوا من القتل . فانصرفوا وقد طالت بالشُّكرِ ألسنتهم* ومُلئت فرحًا قلوبُهم ..

كلام كلّم به (صلع) عامل سجلماسة :

203 — (قال) وسمعت منتصرا هذا يوما يشكر لأمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) صنيعَه فيه ويذكر ما وهبه الله له من عطفه عليه وإحسانه إليه ، وما صار له بذلك من النعمة والفائدة والغبطة .

فقال له المعزّ لدين الله (ص): يكفيك والله من ذلك تعجيلُ الراحة لك وإزالة الغُمّة / عن نفسك وتجديد المسرّاتِ بأنْ كان الفاسق المتغلّب قبلَك يتوقّع من حلول بأس الله به على أيدينا ما قد أصاره الله (عج) إليه وعجّل له به، فلم يكن لذلك يلذّ عيشا،وكلّما انتهى إليه شيء ممّا يتولاّه الله (عج) لنا من الصنع أنكاه . وقد كان(1) حتفُه وإمكان الله (عج) إيّانا منه يتّصل بذلك . فهو كما قال الله (عج) في إخوانه المنافقين : « يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ (2) » . وأنتَ الْيومَ قد أمِنتَ ذلك كلّه ، وكلّما جدّد الله (عج) لنا نعمةً وأولانا فضيلةً ومكرُمة تجدّد لك بذلك سرورٌ واتّصلَتْ بك باتّصاله نعمةٌ وغِبطة ، فلو لم يكن لعدوّنا عقوبَةٌ ولوَلِيِّنا مَثُوبَةٌ غيرَ / هذا لكفاهُما ، فكيف وقد تكفَّل الله (عج) لنا بالصُّنع في عاجلِ الدنيا بإعزازِ الوليّ وكبتِ * العدُوّ وأعدّ لأوليائنا في الآخرة كريمَ الثواب ولأعدائنا أليمَ العقاب ؟

فقال منتصر : صدق والله أمير المؤمنين ، لقد كان عدوّ الله ابنُ واسول من توقّع بأس الله الذي وقع به وما يتّصل (3) به من صنع الله عند وليّه لفي أمرٍ ما هو اليومَ بدونِ ما كان فيه ، وإنّ عبدَ أمير المؤمنين بحمْدِ الله وفضْلِ وليّه (صلع) من خفض العيش وراحةِ النفسِ لفِي ما يسألُ اللهَ دوامَه له بطول بقاء وليِّه (صلع) .

(1) في النسختين : دان .
(2) المنافقون ، 34 .
(3) أ : يتصول ، وفي التركيب غموض .

فقال أمير المؤمنين : لن تعدم نعمة وفضلا من الله وقبولا منّا عليك / ما عرفت قدر النعمة عندك وشكرت ما يأتي منها إليك إن شاءَ اللّهُ (تع) .

توقيع بتفضيل أهل الولاية :

204 — (قال) : وكتبت إلى الإمام المعزّ لدين الله (صلع) أطالعه فيما يُرْفَعُ إليّ من تراث عبيدِه والرّقيقِ (1) ، وفي مَن يقُومُ عِنْدِي بذلك من وَرَثَتِهم يطلُبُونَه من عبيد وأحرار ، وعن شهادة بعضهم لبعض إذْ كان (عم) ومن قبلَهُ من الأئمّة لم يجدُوا في ذلك حدّا علمتُه ورأيتُ أكثرَهم يرِثُ بعضُهم بعضا ، والقضاةُ يورّثونهم (2) ويُجيزون شهادةَ بعضِهم لبعضٍ ، وذلك لا ينبغي في الحقيقة لأنّ أموالَهم لمَوْلاَهم لا يَرِثُهم(3)أحدٌ من قراباتهم إلاّ ما مَنّ به منها عليهم. وكذلك شهاداتُهم لبعضِهم / لا تجوز لأنّ أموالَهم له ، وشهادةُ العبدِ لمولاه فيما أثَرناه عن الأئمّة (صلع) أجمعينَ لا تجوز . وكذلك تقول العامّة (4) . ولم أدر إن كان القضاة في القديم سألوا (5) ذلك وحملوهم على ظاهر ما رأوه من أمرهم أنّهُم كالأحرار عندهم .

وذكرت شيئا كان في أيّام القائم بأمر الله (ص) وذلك أنّ رجلا من جُملة العبيد هلك،وكان صاحبَ ديوان . واختصم وَرَثَتُه إلى القاضي يومئذ ودار بينهم ما ارتفعوا(6) فيه إلى القائم بأمر الله (صلع)،وسألني بعضُهم واستفتاني في وصيّةٍ أوصى بها ، فقلت له : هو مملوك لا تَجُوزُ له وصيّةٌ ولا يرِثُه أحدٌ من قرابته . وما ترك ، فلمولانا (عم) (7) يُجيزُ / منه ما أجاز ويرُدُّ ما ردّ كما يريد .

فأخبرني ذلك الرجلُ بعد ذلك أنّه احتجّ بذلك عند القائم بأمر الله (صلع) وذكر له ما أفتيتُه به ، فقال : صدق فيما قال .

(1) أ : عبيده الرقيق .
(2) ب : سقط : ورأيت . يورثونهم .
(3) ب : لا يرثها ..
(4) أي السنة ، فالشيعة والسنة متفقون على منع العبد من الميراث ورفض شهادته لمثله .
(5) أو : سئلوا . وتجوز القراءتان : يسألون الإمام ، أو يسألهم المتقاضون .
(6) أ وب : ارتفعوه .
(7) الإمام مولاه ، أي مالكه .

فلمّا رفع ذلك (1) إليّ طالعتُ المعزّ لدين الله (ص) برقعة رفعتُها إليه فوقّع لي فيها: مَن كان مِن سائر عبيدِنا ممّن شملته دعوتُنا ، أجرَيْتَ أمورَه مجرى أمورِ الأحرار المالِكي أمورِهم في مواريثهم وشهاداتهم وأفعالهم وجميع ما يتصرّف من أحوالهم (2) . ومن لم يشمله ذلك جرى أمرُه مجرى أمور العبيد الذين لا يجوز لهم من أمورِهم إلاّ ما أطلقه لهُمْ مواليهم .

فنظرت من ذلك إلى أمر / لم يكن يقَعُ عليه وهمي ولا خطرَ قبلَ ذلك ببالي ، ورأيتُ أنّه جعل (صلع) فضلَه عليهم عتقَه لهم (3) ، فأخذتُ بذلك وعمِلت عليه عن أمره (عم) .

ثمّ سألتُه بعدَ ذلك عن بعضهم وقد كان دعا قديما ثمّ خلط وساءت حالتُه وأبدى عُوارَه فلم يَدَّعِه هو — ص — (4) ، فوقّع إليّ فيه : يجري مجرى العبيد ويُسْلَك به سبيل من تَقَدَّمَ به الأمرُ في أمثاله . فعلمتُ أنّ ذلك العتقَ لم يُجْرِه إلاّ فيمن أخذ عليه (5) عَنْ أمره . فأمّا من صار إلَى ذلك عن غير أمره فهو بحسَب ما كان على الأصل * .

توقيع في من تخلّفَ عن البيعة :

205 — (قال) واستَعَنْتُ فيما أنا بسبيله من أمر / المنصور صلوات الله عليه لمّا قلّدَني القضاءَ بالمنصوريّة قومًا لم يصِلوا إلى الدعوة ورأيتُ منهم مقاربَةً ، ورجوتُ أن يهديَهم الله إن فتح في ذلك لعباده . فلمّا جاء اللّهُ من ذلك بِما هيّأهُ لخَلقه من فتح باب رَحمَتِهِ لعباده ، تخلّفُوا . ورجَوْتُ أن يحاسِبُوا أنفسَهم

---

(1) أي : مواريث عبيد المعز .

(2) في هذا النص حكم فقهي مهم من المعز ، وهو اعتبار العبيد المناصرين للدعوة الفاطمية — حتى وإن لم يعتقوا بعد — مثل الأحرار ، يرثون وتقبل شهادتهم ، ويبيعون ويشترون . وهذه الأحكام لم ترد في كتاب « دعائم الإسلام » بل ورد ما يخالفها (انظر ج 2 ص 286) مثل قول الأئمة : لا يتوارث الحر والمملوك (حكم عدد 1373) وقولهم : العبد يرث إذا أعتق قبل قسمة الميراث (حكم 1370) .

هذا وقد انتبه ماريوس كانار M. Canard إلى أهمية هذه المسألة في ترجمته لسيرة الاستاذ جوذر (ص 185 تعليق 411) واستشهد بهذا النص الذي بين أيدينا ، مع شيء من الخطإ في فهم عبارة « مالكي أمورهم » فترجمها بعبارة « مثلما يعامل الفقه المالكي الأحرار » .

والنص بعد هذا شاهد على تصرف الأئمة في الأحكام الفقهية وعلى عطفهم على كبار خدمهم مثل جعفر الحاجب وجوذر صاحب السيرة وميسور الفتى وجوهر القائد .

(3) أي : صار عطف المعز على دعاته من العبيد بمثابة الاعتاق لهم من الرق ، إذ مكنهم من الارث والشهادات والتصرف في أموالهم .

(4) أ : لم يدعه صلع . ولعل يدعه من دعا ، لا من ودع .

(5) أخذ عليه العهد بالولاية وخدمة الدعوة . وفي النسختين وردت « أخذ عليه » مكررة .

منهم أحداً إلاّ عَمَمْتَهُ به ، ثمّ لا تُبَالِ إذا عملت على مَحْبُوبنا مَن سخط ذلك أو رَضيَه ، فإنّا نُعطي من سعة ويبخَلُون من ضيقٍ (1) .

توقيع في ردّ البغي :

207 — (قال) وتظلّم إليّ قومٌ من بعض من أقمتُه من الحكّام فلم يسَعْنِي إلاّ رفعُ ذلك إليه (ص) . فوقّع إليّ فيه : المكرُ والحِيَلُ والخديعَةُ اليومَ في الناس أغلبُ الطباع عليهم . وهذا الرجل فله سلامةُ ناحية ولينُ جانب ، وما كلُّ ما يقال يصحّ ، وليس شيء أغرب من الإجماع على / تزكيةِ قاضٍ أو حاكمٍ لأنّ ذلك معدوم إلاّ بزوال التضادد من العالم . لأنّ المحكومَ له راض والمحكومَ عليه ساخط . ولكن يتقدّم في ذلك إليه فإن غفل في شيء من الأشياء كان في وعظك إيّاه ما يُوقظُه إن شاء اللّهُ (تع) .

توقيع في رفع قدر العلم :

208 — (قال) وجمعت * كتابا في الفقه عن الأئمّة الطاهرين من أهل بيت رسول الله (صلع) فرأيتُ أنّه لا يَصْلُح ليَ العمل به ولا يحلُّ ليَ الفتيَا والقضاء بما فيه ولا انتحالُه إلاّ بعد أن يصحّحَه إمام الزمان. فرفعتُه إليه (صلع) مع كتاب وقَعَ إليّ ، فيه روايات عن أهل البيت (ص) . فوقف على ما فيها ووقّع إليّ في الكتاب الذي جمعتُه : / هذا كتاب مستملَح عند العالِم قريبٌ مِن فهم الجاهِل ، فَجزّئْهُ (2) ليَكُونَ أقربَ وأسهلَ على السّامع لأنّه لا يَبْتَدِيء البادىءُ في جزءٍ منه إلاّ وقد اشتهى النظرَ فيه ؛ وإن طال عليه . ملّه . والكتاب الذي بعثتَ به معه فيه أشياء محرّفَةٌ لا يَتَهَيّأ أن يرويَها الناس عنّا إلاّ استعملوا الكذب واجترأوا على الخُبث ، فيكون ذلك سببَ ما كنّا فيه بجهلِ الجاهَلين . وقد ابتلانا الله برَعْيِ الحمير الجُهَّال (3) ، فإنّا لم نزل نتلطّف في

---

(1) حكم « إداري » من المعز : لكل موظف أجرة على وظيفته ، حتى وإن توظف في مسقط رأسه أو كان موسرا .

(2) لعل النعمان عمل بهذه التوصية ، فجاءت كتبه مقسمة إلى أجزاء ، ومنها كتاب المجالس والمسايرات، وإن كان أغفل التنبيه إلى التقسيم في مقدمة الكتاب (انظر مقدمة المحققين ص 38) .

(3) هذا حكم قاس على أهل إفريقية ، ولعل مصدره الصراع المذهبي بين السنة والشيعة .

هدايتهم ومسايرة أحوالهم إلى أن يختم الله لنا بالحسنى والخروج من بين أظهُرهم على أحمد حالٍ (1) . وإلاّ فإنّ مثلَ هذه الأشياء المُستغلقة لا تُؤَدّيهم إلى شيء من / المعرفة ويعودُ وبالُ جهلهم علينا ، كفانا الله بفضله وأعاننَا برحمته . فأمّا أنتَ فحالُك عندنا حال لا تُؤَدّي شكرَ الله عليها ولا تنهَضُ بثقْلها إلاّ بعَوْنه إيّاك وتوفيقه لك لما أخذتَ به نفسَك من رضى الله ربِّك ورضى مواليكَ .

توقيع في ذكر عاشوراء :

209 — (قال) وكنت رويت عن الصّادقين الأئمّة من أهل بيت رسول الله (ص) ممّا أدّاه إلينا الرواةُ عنهم فضائلَ يوم عاشوراء . وحضر وقته فرأيت أن أذكرها في خطبة الجمعة التي تتلوها وأذكر فيها مصاب * الحسين (صلع) (2) وأنّ الله أكرمَهُ بالشهادة في هذا اليوم الذي عظّمه ، كما أكرم أباه عليّا أمير المؤمنين بها / في يوم عظيم أيضا من شهر رمضان (3) . ثمّ رأيت أن لا أفعل ذلك حتّى أطالع به المعزّ (ص) ، فذكرت ما رويتُه في ذلك وما أردتُ أن أخطب به .

فوقّع إليّ فيه : يا نعمان ، ما ذكرت إلاّ ما جاء عن الصادقينَ صحيحا . ويوم عاشوراء، فقد علمتَ تفضيل الجُهّال إيّاه من غير وجه التفضيل الذي فضّله الله (عج) ، وأنّهم جعلوه يومَ عيدٍ وسرور لمّا سنّه لهمُ الفسَقة بنو أميّة . فصِفْ تعظيمَهم له من أيِّ وجه كان ، مثل أن تقول: « فعظّموا عبادَ الله هذا اليوم الذي عظّمه الله واستنُّوا في تعظيمكم إيّاه سنّة نبيّكم محمّد رسول الله (ص) ، لا أن تتّخذوه يومَ عيد وسُرور كما اتّخذه أعداءُ الله وأولياءُ / الشيطان ، وأعداءُ الرحمان ، من أبناء مروان ، لمّا نالوا فيه من هتك حرم رسول الله وقتل أولياء الله ، فأحلّوه محلَّ السُّرور والجذَل ، لا محلَّ الاستغفار والعمَل . فرحِمَ اللّهُ امرأ عمِل لنفسه واقتفى سنّةَ نبيّه ورغِب في عفو ربِّه ولم يغفل في هذا اليوم العظيم عن ذكر مصاب أبناء نبيّه ولم يُخلِ الظالمين فيه من لَعْنِه ! ألا لعنةُ الله على الفاسقين المارقين أولياء الشياطين وقتَلة المؤمنين ! » .

(1) لعل في هذا تدعيما للنظرية القائلة بأن انتقال الفاطميين إلى مصر كان بسبب كراهة أهل إفريقية لهم ، وهو رأي كثير من الباحثين ، منهم فرحات الدشراوي في رسالته .

(2) قتل الحسين بكربلاء يوم عاشوراء (10 محرم 10/60 أكتوبر 680) .

(3) قتل علي ليلة 17 رمضان 661/40 .

ثمّ تنسُق على هـذا الكـلام مـا يُشبهُـه فـإنّ الذي منعنـي (1) عـن تمـام الكلام الشغل بشيء نُؤلّفه ، نسأل الله عونه وتوفيقه لنـا ولأوليائنـا ، فلقـد انفـردنـا بحَمل ما اجتمعت الأمّــةُ الضالّةُ على رفضـه / .

(1) سقط من ب : ثم تنسق ... منعني .

الجزء التّاسع عشر

بسم الله الرحمان الرحيم

توقيـع في فضـل النيّـة :

210 – قال القاضي النعمان بن محمد : أمرني المعزّ لدين الله صلوات الله عليه بجمع شيء لخصّه لي * وجمعه وبسط لي معانيه وسطّر لي جملته، فابتدأت منه شيئا ثمّ رفعته إليه واعتذرت عن الإبطاء فيه، لما أردته من إحكامه ورجوته من وقوع ما جمعته منه بموافقته (صلع)، فطالعتُه في مقداره.

فوقّع إليّ : يا نعمان لا تُبال كيف كان القدر مع إشباع المعنى (1) في إيجاز، فكلّما أوجزتَ في القول واستقصيتَ المعنى فهو أوفق وأحسنُ. والذي خشيتَ من أن يُستبطأ في تأليفه، فوالله لولا/ توفيقُ الله (عج) إيّاك وعونه لك لما تعتقدُه من النيّة ومحض الولاية، لما كنتَ تستطيع أن تأتي على باب منه في أيّام كثيرة، ولكنّ النيّةَ يصحبُها التّوفيقُ.

كلام في مجلس لبعض الأولياء بفضل الولاية :

211 – (قال) وسمعته (صلع) يقول يوما لبعض شيوخ الأولياء. وقد نقه من علّة وهو مع ذلك ضعيف : كيف تجدُك ؟

قال : على أفضل حال يا مولاي، إذ قد فسح الله في أجلي حتّى نظرتُ إليك.

---

(1) ب : سقطت : المعنى.

فقال : يُبقيك الله وجميعَ أوليائنا إلى أن ترَوْا إنْ شاءَ اللّهُ (تع) ما تُؤمّلونه وترجونه من وعدِ الله (عج) لنا . ومن مات منكم قبلَ ذلك فَسَيَرى ما تَقَرُّ به عينُه من رحمة الله ويصير إلى ما كان يُؤمِّلُه . / أما إنّ جدّنا جعفر بن محمد (صلع) قال لشيعته : أما والله إنّكم بتولّيكم إيّانا كلُّكم من أهل الجنّة ، وإنّا لضامنون ذلك لكم عن الله . ولكن نُحبُّ من جميعكم أن يكونوا معنا فيها ، منازلُهم تقرُب من منازلنا بأعمالهم الصالحة ولا يُؤَخِّروا أنفُسَهُمْ بالذنوب عن قُربنا ، فإنّ الجنّةَ درجاتٌ ومنازلُ كما قال « (عج) : « وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً (1) » .

ثمّ قال (ص) : من ذا يضمن عن الله غيرُنا ، أم من ذا يتوسّل إلى الله بمثل وسيلتنا ؟ ووسيلتنا إلى الله جدّنا محمّد (صلع) أفضلُ الخلق عند الله ، فمن ذا يتوسّل بمثله ، أم من ذا يحُلّ محلّنا منه ؟ إنّ الله أحلّنا منه محلاً لم يُشْرِك معنا فيه غيرنا ، ولقد اجتهدوا أن / يتّصلوا منه بسبب أو نسَب ،وفعل (ص) ذلك لمن فعله تألّفا إلى دين الله فأبى الله (عج) أن يجعَلَ ذلك لغيرنا منه ،وقطَعَ سببَ كلّ ذي سبب يتسبّب (2) إليه ولم يُبقِ من ذرّيّته غيرَنا ، اختصاصا اختصّنا به وفضيلةً أكرمنا بها ،على رغم من أراد أن ينافسنا فيها ويشاركنا في مثلها . ثمّ جعلنا (عج) صفوةَ مَن أكرمَهُ بها ولُبَابَ من انتجبَهُ منها ، وأعطانا وخوّلنا وفضّلنا ، فنحنُ صَفوتُه من خلقه وأمَنَاؤُهُ على عباده ، وأئمّتُهم وأولُو الأمر فيهم . وكم جهد المتغلّبون علينا على إطفاء نور الله منّا ويأبى الله إلاّ أن يُتِمّ نوره .

ولقد ابتغَوْا ذلك من كلّ جهة واحتالوا فيه بكلّ / حيلة لمّا استَتَر (3) السّلف من الآباء صلوات الله عليهم تقيّةً من عدوّهم ، وعلما بأنّ الوقتَ غير وقتِهم وأنّ وعدَ الله لم يحْضُر أوانُه لهم ، فدسّ الفسَقَة إليهمُ الدسائسَ واحتالوا بالحيَل . وقام من أهل هذا البيت لمّا تطاول الأمرُ بهم

(1) الاسراء ، 21 .

(2) ب : سقط : أو نسب ... ذي سبب .

(3) الاستتار : هو اختفاء الأئمة في وقت المحنة . ويؤرخه الاسماعيلية بمدة إسماعيل بن جعفر الصادق ، الامام السابع ، فلذلك يعرفون أيضا بـ« السبعية » .

أما الشيعة الامامية ، فيقولون بأن طور الاستار – ويسمونه غيبة – قد بدأ مع الامام الثاني عشر سنة 874/260 ، فعرفوا بـ« الاثني عشرية » . وقد قالت الشيعة الكيسانية أيضا باختفاء محمد بن الحنفية (انظر فصل « غيبة » بدائرة المعارف الاسلامية) .

مَن ليس من أهل القيام، طمعًا (1) في انتهاز الفرصة والاغتنام ، وولاة الأمر في خفية واستتار ، ينتظرون أوان وعد الله إيّاهم ويعملون على علم من ذلك عندهُم ، من العلم المخزون الذي استودعهم ، حتّى إذا ظفر المتغلّبون من أئمّة الضّلال بمن قام عليهم من أهل هذا البيت (ص) وقد علموا أنّهم ليسُوا * من أهل الحقّ فيهم وخفيَ / عنهم أمرُ أصحاب الحقّ منهم ، دبّر اللعين المتسمّي بالمأمون حيلة وكاد مكيدة ، فأظهر التشيّعَ والوَلاية والتبرّي من مذهب آبائه ، وردّ فدكا (2) على ولد فاطمة (عم) وصرّح بظلم مَن انتزعَهَا من يدها وأعلن بالبراءة إلى صاحب الزمان وإمام العصر من آل محمّد ، وأنّه ، إن ظهر إليه ، أسلّم له ما في يديه . فأيُّ طَمعٍ لم يكن يميل إلى من قد ملك أمر الأئمّة واحتوى على الدنيا ، يرا[ه] وهو يريد البراءة منها إلى من هي له ، فلا يظهر إليه (3)؟! لاجرم أنّ ذلك قد استفزّ مَن لم يكن من أهل الحقّ إلى أن ادّعَى ذلك لهُ فقبله وسلّم الأمرَ إليه ثمّ دَسّ إليْه فقتله (4) وادّعى وَصِيَّتَه ليرى من تمسّك به أنّه قد / ذهب وانقطع ما كانوا به مُتَمسِّكِينَ ، حيلة آبائه أعداء الله الأوّلين إذ ادّعى أوّلُهم (5) أنّ الوصيّة صارت عن ولد عليّ إليه ، وكلاَّ /لا/ يفعل الله ذلك وهو يقول : « وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ » إلى يوم الدين (6) . فلن يكون الأعداء بالأعقاب أبدا ! أبدا ! لا ترجِعُ القهقرى ولا تنتقل عن الذرّيّة إلى البُعَداء ! وكان ذلك دأبَ أولياء الله حتّى أزِفَ الوقت الموعودُ ، وقرب الحدّ المحدُود ، وقام جدّنا المهديّ بالله (عم) يضرب في الأرض من مشرقها إلى مغربها (7) على خوف من

(1) كأن النعمان يعني هنا الطائفة الاثني عشرية التي هادنت الدولة العباسية إلى زمن الغيبة .

(2) سبق الحديث عن ضيعة « فدك » . انظر ص 122 تنبيه 1 .

(3) في هذا الكلام غموض ، فالطمع بالكسر هو الطماع ، أي، هنا ، المتطلع إلى الامامة الذي يخرج إلى الخليفة المنتصب (وهو هنا المأمون) مغترا بعرضه الامامة على مستحقها ، غافلا عن هدفه الحقيقي ، وهو الكشف عن خصومه الشيعة . والمعني بكلام المعز هو علي الرضا الامام الثامن (من سلسلة الاثني عشرية) الذي سيأتي خبره بعد قليل .

(4) الخبر عند ابن الأثير : الكامل ج 5 ص 183 ، وقد ورد خبر هذه البيعة تحت سنة 816/201 . وورد خبر وفاة علي بن موسى تحت سنة 819/203 وقد استبعد ابن الأثير أن يكون المأمون قد سمه .

(5) أي أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين .

(6) الزخرف ، 28 : « وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون » ، وفي أ : وجعلها باقية وعقبه .

(7) كان خروج المهدي من سلمية سنة 902/289 . انظر فصل « الاسماعيلية » بدائرة المعارف الاسلامية وكذلك سيرة جعفر الحاجب بترجمة ماريوس كانار – مجلة Hespéris المغربية ، سنة 1952 ص 289 ، تنبيه عدد 4 .

أهلها ، واثقا بوعد الله حتّى مكّنه الله وأظهره وَجَعَلَنَا وَرَثَتَهُ وَمَكَّنَنَا (1) في الأرض من بعده .

فأكثرُ من حضر المجلس / من الأولياء حمدَ الله أن جعلهم ممّن بلغ إلى ذلك وكان من أهل زمانه * ، وذكروا ما هَيَّأَهُ الله له وأقدره عليه وملّكه إيّاه وأولاهُ في وليّه وعدوّه من الصنيع الجميل له .

فقال (صلع) : نعم،والحمد لله على ما أولى من ذلك وصنعه وتفضّل به . وإنّ ذلك وإن غابت عنه أشخاص الآباء فلن يغيبَ عن أرواحهم الشريفة ذلك ، أحياءً قبل أن يكون ، ولا أمواتا بعد أن كان . ولقد كان القائم بأمر الله قدّس الله روحه ليَأخذُني وأنا في سِنّ الأطفال فيضمّني إلى صدره ويقبّل ما بين عينيّ ويقول : أنت أبو تميم (2) ويحمد الله ، وما كنت أدري يومئذ ما يريد بذلك .

ثمّ قال : / أفمن أودَعَه الله علمَ ما يكون يُجهَل فضله أو يشكُل أمرُه ؟ لو أنّ قائلا قال : إنّ هذه النطفَةَ يكون منها بشر من حاله كيت وكيت لكان ذلك من قوله ، إذا كان ، ممّا يبهرُ ، فكيف ممّن علّمه اللّهُ علمَ ما يكون ممّا لم يكن بعد ؟

فقال ذلك الشيخ من الأولياء الذي كان خاطبه أوّلا (3) : الحمد لله على ما مَنّ علينا من معرفتكم ، وأن جعلنا ممّن يتولاّكم ويدين بإمامتكم !

فقال (صلع) : نعم،فاحمدوا الله على ذلك ، فوالله ما هيّأ اللّهُ لأمّة من الأمم ما هيّأه لكم ولا فتحَ على أحد مثْلَ ما فتح فيه عليكم،وإنّ أمرَكم معنا ا/مـ/مّا فيه برهَانٌ لمن تأمّله ودليلٌ على إمامتِنا وذلك لطول صُحبتكم / إيّانا، أجدادُكم مع الأجداد ، وآباؤُكم مع الآباء ، وأنتم معنا ، وكذلك يكون إن شاء الله (تع) أعقابُكم مع أعقابنا : ألاّ يموتَ أحد حتّى تخلُف من ولده الجماعةُ ممّن يخلُفونه ويسُدّون مكانه ويفضُلُونه ويسعدون بوَلايتنا ويشرُفون بطاعتنا . ولأنتَ اليومَ * بما نِلت منْ رضائنا عنك أفضلُ من أبيك بالأمس مع آبائنا ، وإن كانت السابقة له والفضلُ والجهاد .

(1) ب : ومكن لنا .
(2) كنية المعز منذ الطفولة هي أبو تميم . وتميم هو أكبر أبنائه .
(3) أي الشيخ الذي أبل من مرضه .

فما أمّةٌ من الأمم كانت هكذا مع أئمّتها قبلكم مثلكم ، وما ذاك إلاّ للحقّ الذي نَحْنُ عليه . فأمّا ملوك الدنيا ومن صحبهم عليها وتَوَلاّهُم لها ، فلمّا يصِحّ الواحد منهم بعدَ الواحد لهم ،فضلا عن اجتماع أمّة مثلكم تتبعهم ذرّياتُهم / وأعقابُهم . والله ما للدنيا عندنا من وزن ولو اجتمعتْ بأسرها في أيدينا وما انتجبناكم وارتضيْناكم وآباءَكم إلاّ للدار الآخرة . هذا المهديّ بالله (ص) سمعه هذا — وأشار إلى شيخ ممّن بين يديه ممّن كان قد صحب المهديّ (عم) — يقول وقد ذكر عنده ما جمع الله (عج) له من الدنيا : هب الدنيا في قبضتي هذه اليسرى فأين ما يكون في يميني ؟ قال الرجل : أشهد بالله لقد سمعته يقول ذلك .

كلام في مجلس في الثناء على بعض الدعاة :

212 — (قال) : وأتاه كتاب من بعض الدعاة من المشرق يصف فيه ما هو عليه والمؤمنون قِبلَه من اجتماع الكلمة على الوَلاية والطاعة وجميل / الأمُور ، وذكر وُرُودَ كتاب ورد من أمير المؤمنين (صلع) بما هيّأ الله له من فتح سجلماسة وغيرها من مدائن الغرب والقبض على من بها من رؤساء الضلال كابن واسول (1) المدّعي الإمامة وإمرةَ المؤمنين ، وغيره من الفسقة الضالّين ، وأنّه أكثرُ ما استطاعه وعوّل عليه عند سماع ذلك أن خرّ ساجدا . وذكر في كتابه ما * جاء عن رسول الله (صلع) في سجود الشكر ، وذكر ابتهاج المؤمنين بذلك وأنّه نسخ كتاب أمير المؤمنين وفرّقه على دعاته في آفاق الجزيرة (2) التي أمرُ الدعوة بها إليه ، ومسرّة مَن سمع ذلك إذا قُرِىء عليه ، ووصف ما بعث به من أعمال / (3) المؤمنين إلى الحضرة (4) ،فأحضر أمير المؤمنين رجالا كانوا بالحضرة من رسله وذكر لهم ما ورد به كتاب صاحبهم وأثنى عليه وذكر وَلايته وصدق نيّته فقبّلوا الأرض شكرا لما سمعوا منه في صاحبهم .

فقال لهم في قوله في السجود شكرا لله لما انتهى إليه ممّا فتحه الله على وليّه (صلع) : وهل يكون فوق ذلك من شكر ؟ وهل نقدر نحن في شكر نعم الله علينا

---

(1) محمد بن واسول : انظر ص 214 تنبيه 3 .

(2) الجزيرة : انظر ص 265 تنبيه 3 .

(3) الأعمال : لعلها زكاة الخمس التي تفرض للامام ، وتسمى أيضا « الواجبات » . انظر ص 335 تنبيه 2 . و ص 407 تنبيه 7 .

(4) الحضرة تعني هنا عاصمة [illegible] العصور الموالية ، ينقلب معناها إلى السلطان أو الخليفة .

على أكثر من ذلك والاعتراف بالعجز والتقصير عمّا يُبلغ به كنهُ شكرِ أقلّ أنعُمِه علينا فيما أعطاناه ومنَحَنَاه وتفضّل علينا به ؟

ثمّ قال لهم : وهل تستطيعون (1) أنتم أن تبلغوا من شكر هذا الشيخ الذي عرّفكم بنا ووصل / أسبابكم بأسبابنا على بُعْد ما بيننا وبينكم ونزوح دياركم عن ديارنا حتّى رأيتُمونا وشافهتُمونا ونلتم فضلنا وحللتم محلّ الأبناء منّا ، على أكثر من الدعاء والإقرار بالعجز عن شكر ما كان إليكم في ذلك منه ؟

قالوا : هو كما قال أمير المؤمنين (صلع) ، وقبّلوا الأرض مرارا شكرًا لما قاله لهم وما كان من فضله إليهم ووصفوا سرور ذلك الداعي وابتهاجه وفرحه بهم إذا قدموا عليه من حضرة أمير المؤمنين (صلع) ، وقال أقربهم عهدا به : لقد تلقّاني عندما اتّصل به قدومي مِنَ الحَضرة مذ سرت ، راجلا في يوم حارّ شديد الحر خارجا عن المدينة التي هو بها ، فلمّا التقيت / معه مال إلى جدار خربة واعتزلْنا عن الناس ، فقال لي : رأيتَ وليّ الله ؟

قلت : نعم !

فالتزمني وجعل يقبّل عَيْنَيَّ تقبيلا خفت عليهما من شدّته ، وأنا أقبّل يديه ورجليه ، وهو كذلك يقبّل عينيَّ ويَضُمُّني إلى صدره حتّى مضت ساعةٌ من النهار ولا يزيد على ذلك،وهو يبكي فرحا بما بلغه عن وليّ الله ، واشتياقا إليه . ثمّ جعل يسألني عن حاله وأخباره وأنا أخبره ، وهو قائم حتّى لقد خشيتُ عليه من شدّة الحرّ ، وقلت له مرارا : يا سيّدي ، نصل إلى مكانك ونجلس ونتحدّث معك ، فلم (2) يقبل ذلك منّي ، بل جعل يسألني ويستفهمني .

فقال له أمير المؤمنين : هذا وما / هو عليه من صِدْقِ الوَلاية وحسن النيّة الذي بان به عن غيره ، وفَضَّلَهُ على من سواه من أمثاله فأقبلت قلوبنا عليه (3) . ولو لم يكن له عند الله من السعادة ما يرضيه ، لمَا فتَحَ الله له في ذلك ولا وفّقَه إليه ولا وفّقنا لاختياره . وقد جهِد من نازعه الأمرَ وطلب مكانه عندنا (4) ، في أن نُقصيَه عنّا

(1) في الأصل : يستعتبون ، والاصلاح من ب . وسيأتي المفعول مسبوقا « بعلى » زائدة : على أكثر من الدعـاء ..

(2) في «أ» و«ب» : فلا .

(3) في «أ» و«ب» : وأقبل بقلوبنا عليه .

(4) ب : وطلب الأمر مكانه عنـده .

ويَسْتَحْوِذَ على مكانه بإعطائنا ذلك إيّاه . فلمّا علم الله من هذا ما علِمَهُ وفّقنا لإقامته وصرَف مَن آذاه خائبا من أمنيّته ، ووجدنا عند هذا بتوفيق الله ما كنّا نرجوه ونؤمّله وأصبنا لديه صدقَ ما ادّعاه بما أصاره من تقديمه ممّا كان لنا في يديه إليه (1) . وفصحت تلك (2) / الشواهد من ذلك (3) عليه حتّى جعل هو (4) وغيره من أمثاله من دعاتنا بالمشرق – وذكر بعضهم – يعتذرون إلينا ويقولون لنا : إن كان الذي يحمل فلان إلى الحضرة هو الذي قرّبه من وليّ الله (صلع) فإنّ أكثر أهل (5) جزيرته هم سلاطين الدنيا وملوكها وأهل أموالها ونعيمها وأكثرهم قد دخلوا (6) دعوته فهم يتقرّبون ويُوصلون من الواجبات (7) إليه ما لا يصل إلى غيره ، ونحن فإنّما رَغبتنا في إقامة الأمر واستعداد كثرة المؤمنين ، وأكثر من يتّصل بنا من أنكد سلاطين الجور وأجْحَفهم (8) ، وعامّةٌ من الناس لا كثيرَ أموال عندهم فقلّ ما يوصلونه إلينا .

ثمّ / قال أمير المؤمنين (ص) : ومتى سألناهم عن هذا أو عرّضنا لهم به ؟ والله لولا أنّا نضُرُّ بالمؤمنين المتّصلين بنا وندفعُ حقوقَ الله التي أوجبَها عليهم ونخالفُ أمره فيهم ، لما قبلنا شيئا . فقد خوّلنا الله (عج) مِن فضله وأعطانا من جزيل نعمته وجمع لنا مِن خير الآخرة والدنيا ما أغنانا عن ذلك . ولكنّا نقبله طهرا لهم ونصرفه فيما يعود ثوابه عليهم ونمتثل في ذلك أمرَ الله (عج) فيهم ونُسَرُّ بما يأتينا من ذلك عنهم لعلمنا بحسن نيّاتهم وقيامهم بفرض الله (عج) عليهم .

ثمّ ذكر أخبارا قبيحة بلغته عن بعض الدُعاةِ ممّن نصب في طرف من أطراف بلد الإسلام ، الشرك به أغلب / وسلطانه عليه المستحكم ، وأنّ قُرْبَ العهد بذلك

---

(1) إليه ، أي ، إلى ناقل أخبار هذا الداعي وأمواله إلى الخليفة .

(2) في « أ » و« ب » : ذلك . وأقررنا « فصحت » بمعنى « دلت وأوضحت » .

(3) ذلك ، أي الناقل الذي شهد لدى المعز بولاء هذا الداعي الوفي .

(4) هو ، أي الناقل .

(5) في « ب » : فان أهل أكثر أهل الجزيرة .

(6) أ : قد دخل .

(7) الواجبات : قد تكون زكاة الخمس التي تؤدى إلى الامام . يقول النعمان في كتاب الهمة (ص 69) : « ... فعل جميع المؤمنين أن يدفعوا خمس ما غنموه في كل عصر إلى امام ذلك الزمان من أهل بيت رسول الله (ص) » .

(8) ب : وكثر من ... انكار ... وأجحفه .
أ : وأكثر من ... أنكاد ... وأجحفه .

وظهورَه في الدار وسوءَ حال ذلك الداعي حمله ، فيما اتّصل به عنه ، إلى أن رخّص لهم في بعض المحارم (1) التي يستحلّها أولئك المشركون ، وأظهر ، بذلك الغمّة واستعبر وتأوّه . وذكر أنّه قد أعمل الحيلة في تطهير تلك الجزيرة من ذلك الذي انتهى إليه عنه لكي يصلح الله (عج) أمرها . وذكر من أدّى ذلك إليه عنه ممّن وثق به من جماعة المؤمنين على بُعد الدار . فإنّهم ذكروا أنّ من أنكر ذلك منهم بالموضع جعل يسأل من قدم الحضرة عن ذلك هل فيها منه شيء ؟ فأعلمه بأنّ ذلك ليس منه شيء ، وأنّ الأمر على / إقامة دين الله ولزوم طاعته والقيام بفرائضه واجتناب محارمه . (قال) (2) : فحمد الله وشكره ذلك الرجل (3) وقال : إذا كان أصلنا على هذا ، لم يضرّنا فسادُ الفرع ، ونرجو أنّ الذي حدث فينا لا يغيبّ عن وليّ الله لبعد داره وأنّ الله يوفّقه إلى ما يرضيه فينا وفيمن غيّر دينه عندنا .

ثمّ تعجّب (صلع) من ذلك واستعظم الأمر فيه واستهاله . وذكر آخرَ من الدعاة النائبين أيضا عنه وأنّه نظر إلى أهل جزيرته وأكثرهم يذهب مذهبَ الفلاسفة فاشتقّ لهم من كلامهم كلاما يدلّ بزعمه به على أمر أولياء الله ، لم يقولوه ولا أذِنوا له فيه ، [و] خرج به عن نظام الدين وفارق به أصل أولياء الله / أجمعين .

قال : فقدم عليّ بعض من أخذ ذلك عنه واستحكم في صدره منه فسألتُه عنه فأخذ في الكلام فيه : فلا هو أفاد كلامَ الفلسفة كما ذكَره أهلُها . ولا هو أبان عن دين الله كما زعَم . وجاء من التخليط بما يُخْرِجُ عن الملّة ويدعو إلى الكفر ، فجعلت إذا كسرت ، عليه لم ينفع الكسر فيه ولا أرى لقبوله حقيقة منه وإن تابَعني عليه ، وإذا أرخيتُ له في عنانه فيما استحكم عنده رأيت أثرَ قبوله . فعلِمتُ أنّ ذلك وأمثاله ممّن داخلُه علّة لا يُبرِئُه منها إلاّ العلاجُ الطويل في اتّساع المدّة . وتفكّرت في كثرة من لعلّه في مثل حاله من أهل ذلك الصُّقع وكيف ينصرفون / عمّا تداخلهم من هذا البلاء العظيم . فهالني ذلك .

وقال : هؤلاء بمنزلة قوم تطلع عليهم الشمس وتغرب عنهم ولا يشعُرون بها ولا يرَوْنها . وتمرُّ آياتُ الله عليهم صفحا وهم معرضون عنها ، والله القادر على ما يحبُّه

(1) أ : المحاربة ، والاصلاح من ب .
(2) ناقل الخبر إلى المعز عن الداعي المنحرف .
(3) المستفسر عن وقوع مثل هذا التساهل بالحضرة أو انعدامه .

من صلاح أمرهم على بعد ديارهم منّا وانقطاع أمرهم عنّا ، وإنّا لو رمنا صرفهم عمّا استحكم وتقرّر عندهم وأخذه الأبناءُ عن الآباء ، لخشيتُ أن يصيروا إلى ما هو أعظم منه من الانسلاخ من أمرنا ، وأن يروا أنّا قد عجزنا عمّا علم سلفنا إذ قد استحكم عندهم أنّ ذلك عنهم ، فإمّا يرون أنّا قصّرنا عن علم ذلك عندهم ، أو غيّرناه عليهم إذ خالفنا أصلهم وعدَلْنا عن مِنْهَاجِهم / .

(قال) : ولقد سألني هذا الرجل عن اسم بعض الآباء فذكرته، فإذا هو عنده على خلاف ذلك فيما عرفه .

فقال : نعم ، هذا ممّا قيل لنا أنّ الإمام له سبعة أسماء :

اسم جسمانيّ

واسم نفسانيّ

واسم روحانيّ

واسم طبيعيّ

واسم حقيقيّ

واسم ظاهر

واسم باطن

ثمّ جعل (صلع) يتَعَجَّب لقوله .

(قال) : وجاءنا رجل آخر من قِبَل بعض * الدعاة النائيين عنّا بكتاب ذكر أنّه سأله أن يجمع له ما به الحاجة إليه وقال : يراه مولانا (صلع) فإن كان الذي فيه صوابا أخذته وعملت به ، وما أنكره رفضته واطّرحته . فنظرت فيه فإذا به محشوًّا عويصا ومحالا وما لا فائدة فيه ولا حاجة لمسترشدٍ / إليه ، فلم أدرِ ما أقول فيه : إن أبطلتُه عنده خِفتُ عليه ممّا قدّمتُ ذكرَه ، وعلى من يرجع عنّي (1) بذلك إليه ممّن خلّفته ، وإن صحّحتُه عنده صحّحتُ عنده الفاسدَ ، وأعوذ بالله ! لكنّني لطفت في تقويمه وتأييده من غير هذين الوجهين وتأنّيْتُ له . وكان فيما رأيت في هذا الكتاب

---

(1) ب : علي .

أن زعم له فيه أنّ الإمامة انتقلت عن بعض الأئمّة إلى ميمون القدّاح (1) وإلى فلان وإلى فلان — لقوم ذكرهم من أفناء الناس — ثمّ جعل (صلع) يتعجّب من هذا القول وقال : فإذا كان ذلك كذلك فقد انقطع السّبب — ونعوذ بالله — من أيدينا فصار أخذنا لما أخذناه من الفضل من قِبل غيرنا وصاروا أحقّ به منّا، ولن يجعل / الله (عج) ذلك عند الضرورة عند من جعله في يديه من أهل هذا البيت من غير الأعقاب المتّصلة إلاّ مستودعا عندهم غير مستقرٍّ (2) فيهم إلى أن يستحقّ ذلك مستحقّه فيأخذَه من أيديهم .

ثمّ ذكر بعض من صار ذلك إليه كذلك في يديه وأنّه أراد أن يؤثِر به من قرب منه ممّن لم يجعله الله (عج) له، فكلّما نصب لذلك واحدا مات واستأثر الله به ، إلى أن ذهب أقاربه وأقام صاحبَ الحقّ ضرورة إذ لم يجد غيرَه ، فقال : الآن يا عمّ (3) بعد أن فعلت ما * فعلتَ ! فتمثّل له بقول الشاعر (رجز) :

الله أعطاك التي لا فوقَها ... وكم أرادوا منعَها وعوْقَها

عنك، ويأبى الله إلاّ سَوْقَها ... إليك، حتّى طوّقوك(4) طَوْقَها /

(1) هذا قول خصوم الشيعة الطاعنين في نسب الفاطميين : فقد قالوا ان المهدي لم يكن إسماعيليا فاطميا ، كما يدعي أتباعه ، من أنه الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، بل كان حفيداً لعبد الله بن ميمون القداح ، وهو أول الدعاة الاسماعيليين بالعراق ثم بسلمية ، وقد ذهب هذا المذهب بعض الشيعة الاسماعيليين أنفسهم واعتبروا أن المهدي لم يكن هو المهدي حقا ، بل كان إماما «بالتبني الروحي» ، وأن المهدي الحقيقي إنما هو أبو القاسم محمد القائم الخليفة المغربي الثاني . ويدل كلام المعز في هذه الفقرة على أن هذا الزعم في نسب المهدي كان لا يزال رائجا عند بعض دعاة المذهب ، على الأقل بالمشرق . (انظر بهذا الصدد : دائرة المعارف الاسلامية ، فصول : عبد الله بن ميمون — الفاطميون — أبو الخطاب الاسدي . وانظر أيضا : رجال الطوسي ص 135 و205 حيث اعتبرهما من أصحاب محمد الباقر وجعفر الصادق . وانظر كذلك : أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ، تعريب خليل أحمد جلو وجاسم محمد الرجب ، ص 133 وما يليها . وقد أورد القاضي النعمان في « دعائم الاسلام » (الطبعة الثالثة 1969 بالقاهرة ج 1 ص 45 إلى 55) نبذا عن المارقين المغالين من الشيعة . (وانظر مقدمتنا ص 22 والمجالس ص 411) .

(2) الامام المستودع حسب ما يفهم من عبارة « من غير الأعقاب المتصلة » هو من يعهد إليه مؤقتا بالامامة ، في انتظار صاحبها الحقيقي أو الامام المستقر . والمستودع هو أيضا من آل البيت حسب كلام النعمان ، ولعل هذين المصطلحين جاءا عند الاسماعيلية لتبرير ما يطرأ من خلل على ترتيب التعاقب في سلسلة الأئمة ، كانتقال الامامة من الحسن إلى أخيه الحسين ، لا إلى ابنه البكر حسب القاعدة . (انظر فصل « إمامة » بدائرة المعارف الاسلامية، القسم الخاص بالاسماعيلية . وانظر ما يقوله القاضي النعمان في إمامة الحسن ثم الحسين ثم أبناء الحسين بالدعائم ح 1 ص 36—37) .

(3) هذا العم هو ، حسب رواية « استتار الامام » (نشر ايفانوف ص 96) ، سعيد الخير ابن الحسين بن أحمد بن عبد الله ، الذي « استبد بالامامة ونص بها على ولده ... وكان له عشرة أولاد ، فلم يزل ينص على كل واحد منهم إلى أن هلكوا بأجمعهم ... فتاب وجمع دعاته وأعلمهم أنه مستودع للمهدي صلوات الله عليه .

(4) في «أ» طوقوها، والاصلاح من «ب» ومن كتاب «استتار الامام» (ص 96). وقد ألحق الدكتور احسان عباس هذا الرجز بالأبيات المنسوبة إلى كثير (ديوانه ، بيروت 1971 ، قطعة 21 ص 535) ، وذكر المصادر التي وردت فيها ، وأسماء قائليها ، ومن قيلت فيهم ، ومنهم خلفاء بني أمية بالشام .

فردّها الله (عج) إلى صاحبها المستقرّ فيه وأخرجها من يدَيْ من كانت مستودعة عنده بعد أن جهِد في صرفها إلى من قرب منه جهدَه . فليس المستقرّ كالمستودَع ولا الوكيلُ كالموكِل ولا الوصيُّ كالموصَى عليه ، ولا له أن يملك شيئا ممّا له في يديه ولا أن يعدل بذلك إلى غيره عنه . هي أمانة الله (1) التي قد استحفظها ووديعته التي أودعها . قال الله جلّ من قائل : « إنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ (2) » . فإذا كان هذا هكذا في أهل البيت الأقربين، فكيف ينبغي أن يقطع القول فيه بأنّه قد سار بالحقيقة إلى الأبعدِين كالذين / ذكرهم هذا ، من ميمون القدّاح وغيره ؟

قال : نعم ، إنّ صاحب الحقّ لهو الميمون المبارك السعيد قادح زناد الحقّ وموري نور الحكمة (3) ، فإن ذهب من ذهب إلى هذا فنعَم .

ثمّ قال للقوم : فلمّا اطّلع الله (عج) من (4) حسن نية صاحبكم عافاهُ من مثل هذا التخليط وأحظاه عندنا وثبّته على حقيقة أمرنا فسعدتم بسعادته وانتفعتم بحُسن نيّته وطاعته .

فشكروا له وقبّلوا الأرض بين يديه، ثمّ انصرفوا وقد مُلِئُوا سرورا بما سَمِعُوا منه .

كلام في مجلس في جواب ابن واسول :

213 — (قال) وسمعت الإمام المعزّ لدين الله (صلع) يقول وقد أُتِي بابن واسول المدّعي الإمامة والمتسمّي بأمير * المؤمنين / بسجلماسة، فأمر بتصييره في سقيفة

---

(1) ب : في أمانة الله .

(2) النساء ، 58 .

(3) هذه التورية باسم « ميمون القداح » تخلص من مشكلة العلاقة بين عبد الله المهدي وعبد الله بن ميمون . ثم ان القداح مهنة باري القداح ، اى النبال ، لا قادح النار . (انظر رجال الطوسي ص 225 في « عبد الله ابن ميمون القداح ») . وقد قالوا ايضا : القداح هو من يستخرج ماء العين المتورمة . وعلى كل ، فان وصف الامام بأنه قادح الحكمة كان رائجا في الاوساط الاسماعيلية بدليل هذا البيت لابن هانىء في المعز :

« مستهديا بدليل الله تتبعه وقادحا لزناد الحكمة الأول »

(قصيدة 43 بيت 68)

هذا ، وقد روج أبو العباس في انتقاضه على المهدي ، التهمة بأنه مستودع ، وأن الامام المستقر إنما هو القائم (انظر إفتتاح الدعوة تحقيق الدشراوي ص 309 ، والمجالس ص 410) . وانظر كذلك التعليق 62 ص 167 لناشري سيرة الأستاذ جوذر وقد استشهدا بفقرات من كتاب المجالس .

(4) هكذا في أ و ب . وهذا التعبير معهود في النصوص الإسماعيلية ، على ما فيه من ظاهر نسبة الآنية الى علم الله .

القصر في وثاق . ودخل شهر رمضان ، فسأل ابنُ واسول أن يصلّيَ الجمعة خلف أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) وأخبر بذلك عنه . فقال للذي أدّى إليه ذلك عنه : قل : إنّ الصلاة وجميع الأعمال لا تقبل إلاّ بنيّة واعتقاد ، ولو كنت تعتقد إمامتنا لم تَحُلَّ هذا المحلّ ولم نكن لنبخَلَ عليك بسجلماسة ولا لها عندنا من الوزن ولا للدنيا بما فيها ، وما كنّا نتكلّف في ذلك ما كنّا تكلّفناه من بعثة أوليائنا (1) في العساكر نحوك وإتعاب أنفسنا في تدبير ذلك وإقامته لك . فلو كنت رغبت عَن نيّة منك في أن تأتمّ بنا لنلت فضل ذلك وثوابَه / وأنتَ وادعٌ في مكانك آمنٌ في سلطانك بإقامتنا ذلك لك . وإذ قد أنكرت إمامتَنَا وادّعيت الإمامة (2) دوننا إلى أن أظفرَنا اللّه بك وأقدَرَنَا عليك ، فماذا يغنيك أن تأتمَّ بنا في صلاتنا وأنت أسيرٌ في أيدينا على ادّعائك مقامنا ؟

وإن كان الذي أردتَه من صلاتك بصلاتنا ما تبتغي به الفضل، وكان ذلك عقد نيّتك، وأنت (3)معترفٌ بإمامتنا منكر لما كنت عليه ، نادمٌ راجعٌ عنه، فوالله ليَنْفَعُكَ ذلك صلّيتَ بصلاتنا أم لم تُصلّ .

وإن كنت إنّما أردتَ أن تُرِيَنا من نفسك الميلَ إلينا وتتوسّل بذلك إلى ما يُرضينا، فوالله لا يرضينا منك إلاّ ما أرضى اللّهَ (عج) عنك ، وإنّ قلوبَنا / لَبيَده وما يصرفُها إلاّ لمن رضيَ عنه وارتضى عمله وأحبّ سعادته . فإن أردت منّا ذلك فأخلِصْ * لله (عج) فيما بينك وبينه ، واعتقد ذلك تجد ذلك عنده جلّ ذكره في الآجل ، وعندنا بما يجعلُه لك في قلوبنا في العاجل ، ودع عنك التزيُّنَ بالباطل .

قال الرسول : فلمّا بلّغته ذلك تحيّرَ ولم يدر ما يقول غير أنّه قال : والله ما هذا إلاّ من كلام النُّبُوَّة ، وهو ابنُ رسول الله (ص) حقّا، وهذا من ميراث حكمته .

وفي مثل ذلك :

214 — (قال) وأخبره عنه بعض من يجتمع معه ممّن أذن له في ذلك أن يبسطه (4) ويسألَه حوائجَه، أنّه يسأل هل عنده من كلام أرسطاطاليس شيء ؟ والذي سأله / ذلك

---

(1) يعني الحملة التي قادها جوهر واشترك فيها زيري بن مناد وابنه بلقين أميرا صنهاجة ، وجعفر بن حمدون والي المسيلة .

(2) الامامة هنا الخلافة .

(3) أ : وأنك .

(4) ب : وفي أن يبسطه .

ممّن يُعْنَى بمثل هذه الكتب . (قال) فقلت له : ما تريد من كلام أرسطاطاليس، وأصحابُك يُنكرونه ؟

قال : ينكـــر ذلك من لا يحسن . فأدّى هذا القائلُ قوله هذا إلى المعزّ لدين الله (صلع) فقال له المعزّ (ص) : قل له : لعلّك أردت من كتب أرسطاطاليس رسالته (1) إلى الاسكندر في الإبقاء على ما ظفر به من الملوك ، لتأخذ منها ما لعلّك تتوسّلُ به إلينا في الإبقاءِ عليك ؟ قال الرجل : فبلّغتُه ذلك من قول أمير المؤمنين فبهُت إليّ وقال لي بعد حين : ما أظنّ من نَحلهُمُ النبوّةَ نَحلهُمْ إيّاها إلاّ من مثل هذا : والله ما عدا ما في نفسي ، وما أردت إلاّ هذه الرسالةَ لمثل ما ذكر أنّي أردتُها له . / ثمّ ذكر الحديث الذي يُؤثر عن رسول الله (صلع) : بُعِثت وفي هاتين القريتين – يعني مكّة والطائف – أربعونَ رجلا ظنُّ أحدهم كيقِين غيره (2) . قال : فإذا كان مثل هذا يوجد في سائر الناس فكيف في ذرّيّة النبيّين ؟

كلام في مجلس في فضل الولايــة :

215 – (قال) وسمعتُه (صلع) يوما * يقول لقوم من الحسنيّين وفدوا عليه من ناحية اليمـن ومن الحجاز وقد أحسن نزلهم ووصلهم وأذن لهم في الانصراف ، ودخلوا عليه ليودّعوه ، فشكروا له فاعترفوا بفضله وقالوا : نحن يا مولانا عبيدٌ لك وحسبنـا بذلك شرفا وفخرا . ولقد أمرَنا وآباءَنا من تقدّم من أسلافنا وعهـدوا / إلينا في طاعة القائم (3) من أهل هذا البيت (ص) واتّباعه والتسليم له ومعرفة فضلـه .

---

(1) لعل هذه الرسالة التي يعرفها كل من ابن واسول والمعز هي « رسالة أرسطوطاليس إلى الاسكندر في السياسة» التي أدرجها عبد الرحمان بدوي في كتابه « مخطوطات أرسطو في العربية ، القاهرة 1959 » ضمن الكتب المنحولة (ص 37 رقم 19 . . وقد ذكر Reymond Weil في رسالته عن ارسطو والتاريخ (باريس 1960 ص 157) ترجمة عربية لرسالة من هذا النوع وقال انها منحولة .

(2) الحديث : لم نجده في المصادر المعروفة وقد ذكره القاضي النعمان في كتاب التوحيد (ص 118–119) مع اختلاف طفيف .

(3) القائم عموما اسم يطلق على « صاحب كل زمان » ، أي الناطق لكل دور ، أي النبي المرسل ، « بمـــا يقوم به من نشر العلوم والحقائق » (زهر المعاني لعماد الدين ادريس ، ص 437) .
وتطلق عبارة القائم خصوصا على آخر ناطق يختم دور الستر ، ويفتح دور الكشف ، وهو المعروف عند الاسماعيليين بـ« قائم القيامة » .
وفي هذا النص تعني عبارة « القائم » الامام المنتصب بقطع النظر عن كونه يختم دورا أم لا .
ونستنتج منه أن ذرية الحسن يعترفون بامامة ذرية الحسين ، وهو اعتراف لم يشمل كافة الحسنيين ، بدليل مقاومة الأدارسة للفاطميين (انظر فصل « الأدارسة » بدائرة المعارف الاسلامية) .

فقال (صلع) : من عرف والله ذلك لنا سعد واغتبط وطابت وَلاَيَتُه وصحّ دينُه . ومن أنكر خسر دنياه وآخرته . أولاكم والله بمحمّد وأقربكم منه من أقرّ بفضلنا وعرف حقّنا ، وأبعدُكم منه من أنكر ذلك لنا وجهله وادّعاه دوننا ودفعه. إنّ الله (عج) يقول : « إنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ (1) » . وقال حكاية عنه (عم) : « فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي (2) » . فلَوْلاَ اتِّبَاعُ من اتَّبعه إيَّاه لم يكونوا منه ، وأولى به . ونفى الله (عج) عن نوح ابنَه إذ خالفه فقال : « يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ (3) » . فباتِّباع أولياء / الله وطاعتهم والتسليم إليهم ومعرفة حقِّهم وفضلهم نجا مَن نجا من ذرّياتهم وغيرهم ، وبخلافهم وعصيانهم وإنكار فضلهم هلَك مَن هلك ممّن قرُب أو بعُد منهم. ولن يقرّبَ الله (عج) منهم إلاّ من قرّبَتْه أعمالُه الصّالحةْ .

كلام في مجلس خاطب به المعزّ (ص) ابنَ واسول لمّا أتي به أسيرا :

216 — (قال) وأدخل المعزّ لدين الله (ص) ابن واسول إلى نفسه بعد عدّة (4) أيّام من وصوله،وهو في وثاقه . فلمّا مثل بين يديه أمره بالجلوس فجلس ، فأمسك عنه حتّى رأى أنّه سكن روعه . ثمّ أقبل عليه من غير تجهّم فقال : ما الذي حملك على ما ادّعيتَه وتسمّيتَ به ؟

قال : الحَيْنُ والجهل يا أمير المؤمنين (ص) .

قال : / أوَ تحتجّ في ذلك بحجّة ؟

قال : معاذ الله ! ما عندي في ذلك من حجّة إلاّ الاعترافُ بالجهل والخطإ على نفسي . ونظر إليّ كالمستشهد بي . وذلك أنّه قال لبعض من فاوضه : بلغني أنّ القاضي له تأليف، وكنتُ أحِبّ أن أرى منه (5) شيئا . فلمّا عرّفني ذلك الذي

(1) آل عمران ، 68 .
(2) إبراهيم ، 36 .
(3) هود ، 46 .
(4) أ و ب : مدة .
(5) أ : وكتب أحب .
ب : كنت أحسب .

قال له ، بسطتُ له كتابا في الحجّة عليه (1) فيما ادّعاه من الإمارة بغير عقد إمام، وما تعدّى إليه بعد ذلك من ادّعائه الإمامة وتسمّيه بأمير المؤمنين وتلقّبه بالشاكر لله ، والرّد فيما بلغنا أنّه احتجّ لنفسه بذلك . فتعاظم ذلك لمّا انتهى إليه ، واعترف بالخطإ والجهل على نفسه . وعلم بذلك أمير المؤمنين (ص)،فقلت له : يا أميرَ / المؤمنين (ص) بمثل هذا من قوله اعتصم وعليه عوّل (2) . فقال له (ص) :فتحلف بالله وتشهده على قولك أنّه اعتقادك ونيّتك ؟ فحلف على ذلك وأشهد الله (عج) على نفسه (3) أنّ اعتقادَهُ ونيّتهَ كالذي أظهر وقال به .

ثمّ جعل أمير المؤمنين (ص) يبسّطه ويسأله عن أخباره وأخبار البلد الذي كان به . ثمّ إذا مضى في ذلك عاوده في ذكر حجّة إن كانت عنده في دعواه ، فيرجع إلى الاعتراف بالخطإ والجهل على نفسه .

فكان فيما سأله عنه (صلع) أن قال له : ما يقول الناس عندك فينا وينسبوننا إليه في الذي ننتحلُه ونقول به ؟ فسكت . فقال له : قل ما عندك من ذلك ، وما قيل لك فيه فإنّا لا نأنف من سماعه / ولا نُنكرُ عليك أن تقوله وإن كان من أفحش ما قاله المُبطلون الظّالمون . إنّما يأنف من سماعِ المكروه فيه عمّن نسبه إليه ، من كان من أهله ، وكان يعلم أنّ الذي قيل هو عليه ، فيغتمّ لذلك إذا أبداه الله (عج) عليه ، وأشهره به ، وعلمه الناس منه،فيستحي لذلك . فأمّا من علم ما بينه وبين الله ، وأنّه نسب إليه من المكروه ما ليس فيه وما لم يفعله،ممّن له تمييزٌ وعقلٌ ، فإنّ سماعَ ذلك ممّا يحبّه لما يرجوه من ثواب الله (عج) عليه ، وانتقامه ممّن قاله فيه ونسبه إليه . ونحن نُحبّ سماعَ مثل ذلك ونشتهيه . فقل ما بلغك عنّا ولا ترجع عن شيء منه !

فقال: إن رأى أمير / المؤمنين (ص) أن يُعفيَني من ذلك فليفعَلْ ، فإنّ لساني لا ينطاعُ للقول بذلك .

فقال له : أليس فيما بلغنا أنّه انتهى إليك عنّا أنّا ندفعُ نبوّة محمد (ص) وندّعي النبوّةَ بعدَه،وندفعُ سُنّته وشريعتَه وندعو إلى غيرهما ؟ فسكت . فقال لهُ أمير المؤمنين : ويحك قل ! أليس قد بلغنا أنّ ذلك ممّا قيل لك عنا ونسب إلينا ؟

(1) هذا كتاب آخر من مؤلفات النعمان لم يصلنا .

(2) أي : اعتذاره بالجهل والخطإ .

(3) ما بعد « قولك » إلى « نفسه » ساقط من ب .

قال : نعم .

فقال (عم) : فلعن الله من قال بهذا وانتحلَه وادّعاه ومن تقوّله علينا ، ورمّانا به ونسبه إلينا ! فكيف نقول ذلك أو ندّعيه ،وشرّفنا الذي جلببنا اللهُ جلبابه وفخرُنا الذي ألبسنا أثوابَه ،بجدّنا محمد (ص) ؟ فبه علوْنا على الأمم ،وبه فخرنا على العرب والعجم ! فكيف ندفعُ / نبوّته أو نُنكِرُ فضلَهُ أو ندّعي أنّ ذلك لنا دونه ؟ واللّه لو بعث الله نبيّا بعده * — وكلاّ ، لا يكون ذلك ! — لكنّا لتمسّكنا به أبعدَ الناس وأرغبَهُمْ عنه . إنّ بني عبد شمس (1) عادَوْنا فيه وأبغضونا من أجله لمّا قال قائلُهم : أطعَمْنَا وأطعَمْتُم وفعلْنا من الجميل مثلَ ما فعلْتُم حتّى إذا كنّا كفرَسَيْ رِهان قلتُم : مِنّا نبيّ ! واللّهِ لا سلّمْنا ذلك ولا أقرَرْنا به إلَيْكُم (2) .

فإذا كنّا نحنُ ندعو إلى البراءة من شريعة جدّنا محمد (صلع) ، فمَن ذا يدعو إلى الاعتصام والتمسّك بها ؟ بل والله فإن قلنا إنّ الله (عج) أورثَنا شرفه ومجده وفخرَه ،وأقامنا أئمّةً للأمّة بعده ،وأوجَب لنا على الناس من الطاعة بعده مثل الذي كان / يجب له ، لقد صدقنا لقول الله (عج) : «أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ (3) » . فنحن والله أولو الأمر الذين تعبّدَ الخلائقَ بطاعتنا ، وأهل الذكر الذين أمرَهم بسؤالنا على رغم مَن جَحَد ذلك وأباه لنا . فهذا هو فضل الله (عج) علينا ونِعمتُه لدَيْنا ،التي لا ننهض بأعباء شكرها إلاّ بعونه لنا . وهي الخطّة التي لا ينافسنا فيها إلاّ دعيٌّ مكابِر ولا يدفعُها عنّا إلاّ ضالٌّ كافر . وما بعدَها من خطّة فندّعيَها ولا فوقَها من رتبة فنسمُوَ إليها . وحسبُنا إن بلغْنا شكرَ نعمة الله (تع) علينا ، فكيف ندَعُها وندّعي ما يَصْلِي اللّهُ من ادّعاه النارَ ،ونقول بقول من أبطل نبوّةَ جدّنا محمد (صلع) من الكفّار / ؟ والله سائلٌ مَن قوّلنا من ذلك ما لم نقُلْهُ ومؤاخِذُه بقوله .

ثمّ قال له (عم) : هات غيرَ هذا ممّا قيل لك فينا (4) .

---

(1) أي بنو أمية .

(2) قولة الأمويين : أنظر ص 235 .

(3) النساء ، 59 .

(4) في ب : مما قيل لك فينا ما لم نقله ونؤاخذه بقوله . ويبدو أن الزيادة منقولة سهوا من سطر سبق .

قال : ما أعرفه يا أمير المؤمنين ، وفيما قلتَه محضُ الإيمان * واليقين .

قال : بلى ! لقد بلغنا أنّه قيل لك إنّا نعبُد رأسًا عندنا يُكلّمنا ونسجُد لـه من دون الله ويَنْشُرُ لنا من فيه الدنانيرَ .

قال : سَمعْنا من يقول ذلك .

قال له أمير المؤمنين : فأيُّ رأسٍ قالوا هذا الرأسُ ، رأسُ إنسان أم بهيمةٍ أم حيّةٍ أم ما هــو ؟

قال : لا أدري ما يقولون لعنَهم الله .

فقال (عم) : بلى والله ، إنّا لنعبُد رأسَ كلّ شيء وَإلاَهَهُ وخالقَه : اللّه ربَّ العالَمين ، وهو الذي أعطانا وفضّلنا واصْطفانا وكرّمنا .

قال : كذلك هو والله يا أمير المؤمنين .

قال أمير المؤمنين : فالعجَب من / هذه العقول الناقصة والأوهام الفاسدة التي تقبل مثل هذا المُحال من المقال وينطبع فيها ويثبُت عند أهلها حتّى ينسبُوه إلى أحد أو يقبلُوه من قول قائل ، أو أن يصدّقوا به لو قد رأوه بأعيُنِهم أو سمعوا من يدّعِيهِ بآذانهم (1) .

كلام في مجلس في تناول ما أحلّ الله وترك الرّباء (2) بتركه :

217 — (قال) وذكر (صلع) الشهوات وقول الله (تع) : « أضَاعُوا الصَّلاَةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ (3) » . فقال : إنّما عنى الله (عج) بهذا القول الشهواتِ المحرّماتِ . فأمّا من اشتهى ما أحلّ الله وأباحه فلا حرَج عليه فيه أن ينالَه إذا قدر عليه وأمكنَه . إنّ الله (عج) قد خوّلنا وأعطانا من الدّنيا ما أعطانا ، فما أعلَمُ أنّي حرَمت نفسي / ما أشتهيه منها ، ولكنّ الله بفضله وإحسانه إليَّ عصَمَني من أن أشتهيَ شيئا حرّمَه عليّ ، لا والله لا أنظر إلى محارم الله إلاّ بعَيْن المقت لها ولا تميلُ نفسي بحمد الله * وفضلِه عليّ إلى شيء منها ، وإنّ المعاصي عندَ الظالمين

(1) تعرض فرحات الدشراوي إلى هذه « المناظرة » في الفصل الذي كتبه عن أسر ابن واسول في مجلة «الكراسات التونسية » سنة 1956 ص 295 .

(2) أي عدم الافتخار والتبجح بحرمان النفس مما أحل الله لها .

(3) مريم ، 59 .

لأشهى من الحلال وهم فيها أرغبُ ولها أطلَبُ . فالحمد لله الذي منّ علينا بالعصمة ولم يجعل لنا فيما حرّمه علينا شهوةً . ولو حرّمْنا ما أحلّه الله لنا ومنَعْنا منه أنفُسَنا وقد أباحَنا إيّاه ومَلّكْنَاه، لكُنّا قد دَفَعْنا حُكْمَه وخالَفْنَاه ورددْنَا ما تفضّلَ به علينا وكرِهنَاه ، وتحريمُ حلالِ الله وكراهيَتُه كتحليلِ حرامِه وإباحتِه . إنّ الله (عج) يقول في كتابه: « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ / اللَّهِ التِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ (...) قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ (1) » .

رؤيا رآها المعزّ لدين الله صلوات الله عليه :

218 — (قال) ولما قرب وصول الجيش من المغرب إلى الحضرة أمر الإمام المعزّ لدين الله (عم) لابن واسول وابن بكر(2) بعمل عجلتين ليكون كلّ واحد منهما على واحدة تجرّ به في حين النّداء عليه . وذلك ممّا لم يُعلَم أنّه سبَق به ولارآه أحد . وجعل يصفهُما للنّجّارين ، فقال : يُجعَل سَطحٌ من ألواح وعلى خشَبَة مصلّبة وتُرفَعُ على أربع فِلَك ويُبْنى عليه بُرْجٌ من ألواح(3) واسع الأسفل ضيّق الأعْلَى، يكونُ طوله عشَرة أذرع ، ويكون في أسفله قفَص من خشَب وتيق له من خلفه / بابٌ يُدخَلُ فيه أسيرٌ(4) ويغلق عليه، وله سقفٌ، فوقَه تابوتٌ من البرج؛ له باب يُفتَح ويُغلَقُ ، وفيه شباكة يسيرة مقدار ما يدخله من الضوء ، وفي وسط القفَص خشبة عظيمة كصاري المركبِ في أسفَلها مرْوَد على سَطح السّرير يخرج من وسَط سقف القَفص وسقفِ التّابوت الذي فوقَه ، ويظهر على سقفه منها مثلُ قامة ، وعلى رأسها سريرٌ مقدارَ ما يجلس فيه الجالس حوله حاجزٌ من شبّاك مخروط يمنعُ من السّقوط عليه . ولْيَكُنْ في التابوت رجلاَن لا يُريَان وفي الخشَبَة معهُما وتدان فيها يُديرَانها فيدُورُ السرير الأعلى بمَنْ يكُونُ عليه ليرى كلُّ مَن حولَه وجهَه / ولا يعلمون بمَ يديره .

(1) الاعراف ، 32 ، وقد اختصرها الناسخ بقوله : ... إلى يوم القيامة .

(2) أحمد بن بكر : انظر ص 385 تنبيه 2 .

(3) ما بعد ألواح الأولى إلى الثانية سقط من ب .

(4) في المخطوطتين « أسد » ولا معنى له ، ما دام القفص مصنوعا للأمير المهزوم .

فتعجّبْنا لذلك لمّا عُمِل (1) ورأيناه ، كيفَ اخترع ذلك واهتدى إليه صلوات الله عليه .

فقال (عم) : رأيتُه فيما يرى النائم قبل أخذ هذيْن الفاسقَيْن بمدّة فجعلت أنظر إليه كما هو الآن * بين يديَّ وأقلّبُه وأقول : ما هذا ؟ فيقال لي : هذا يكون ينادى على أعدائك عليه ، ففهمتُ صورتَه وعَملْتُه على ذلك (2) .

كلام في عقوبة الملحدين في أولياء الله :

219 — (قال) وذكر المعزّ لدين الله (ص) رجلا أصابه بلاء عظيم في نفسه ووصف ما صارت حاله إليه . وكان هذا الرجل قد ألحد في أولياء الله وغلا في دينه . وقد كان قُلِّدَ شيئا منه ، وناله بسبب ذلك من سُخط الأئمّة / ما نعوذُ بالله منه . فقال المعزّ لدين الله (ص) لمّا ذكر ما صارت حالُ هذا الرجلِ إليه : ما ألْحَدَ أحَدٌ فينا ولا أراد إدخالَ النقص على شيء من أمْرنا إلاّ ابتلاه الله في عاجل الدنيا ببلاءٍ يكون به نَكَالاً . ولَعَذَابُ الآخرة أخزى وأشدُّ وأبقى ، وإن كان أهلُ العذاب في الآخرة قد يجدُون بعضَ العَزاء بمن يرَوْنَه معهم من المُعذّبين فيها بذنوبهم . والمعاقَب في هذه الدنيا بمثلِ هذه العقوبة لا يَرَى مثلَه فيتعزّى به .

ثمّ قال (عم) : إنّه قد أصابته — يعني هذا الوجل — لعنة ثلاثة أئمّة . وإنّ لَعنة الإمام من أشدّ عذاب الله لا تُخطِىءُ فيمن قصَدَتْه ولا ينجو مَن أصابته ، ولا والله ما يرسلها أولياء الله إلاّ على مُستحقّها بعد أن لا يَرَوا له مَحيصا منها / ولا يجدوا له بُدّا منها . فأمّا ما داموا يرجُون من المرء أوبةً أو يَطمَعون له بتوبةٍ فإنّهم يعفُون ويصفَحُون ويتَغَافَلُونَ ويغتفرون ، لما جبلهم اللهُ (عج) عليه من الرأفة والرحمة والصفح وإقالةِ العثرة . ثمّ ذكر من تجاوز هذا الرجل وتعدّيهِ وما أدخل على الدين من الشبهة * على ضعفاء المؤمنين ما يطول ذكره .

قال : ولقد تقرّر عند المنصور بالله (ص) أنّه يقول : عندنا من حكمة الله وعلمه ما نُزيل به الجبال ونخرُق به البحارَ، ولنا من أوليائنا في الدين من تزول السموات

---

(1) في أ : لذلك العمل ، والاصلاح من ب .

(2) نفهم من هذه الرواية العجيبة أن القفصين اللذين ذكرهما المؤرخون لم يتخذهما جوهر بالمغرب ، بل صنعا خصيصا للاستعراض الذي كان ينوي المعز إقامته بالمنصورية احتفالا بنصر جيوشه ، على غرار ما كان يصنعه أباطرة الرومان عند عودتهم بالأسرى وأسلاب الحرب إلى روما

والأرضُون،ولا يحول ولا يزولُ. فأعظم ذلك المنصور بالله (صلع) من قوله وأحضر / جماعةً من الأولياء فذكر ذلك لهم عنه ولعَنه .

ثمّ قال المعزّ لدين الله (صلع) : أعظم آيات موسى (عم) فلق البحر ، وفي ذلك كلام . فهذا الشقيّ ادَّعَى فوق ذلك لنفسه وهو يُنْسَب إلينا ويدّعي عِلْمَنا ومذهبَنا وقولَنا ، ونحن نبرأ إلى الله من دعواه وقولِه وما يَنْسِبُه إلى نفسه ، أن يُنْسَبَ إلينا وإلى من يتّصل بنا . إنّ الله (عج) قد فضّلنا وشرّفَنَا واختصّنا واصطفانا واجتبانا وافترضَ طاعتَنا على جميع خلقه وجعلنا أئمّةً لجميع عبادِه وأسبابَهم لديْه ووسائلهم إليه والوسائط بينهم وبينه ، وكفى بهذا فضلا وشرفا . ونحن من الاعتراف في ذلك بفضل الله (عج) وإحسانه / إلينا والتذلّل له والتواضع فيما منحَنا إيّاه بحيث تبلغُه طاقتنا ، فمَن ادّعَى لنا أو لنفسِه بنا فوقَ ذلك فعَلَيْه لَعنة الله وغضبُه ، ونحن بَراء إلى الله تعالى منه ومن إفكه . واللهِ ما يُريد بنا من زادنا على حقّنا الذي منّ الله تعالى به علينا إلاّ وَضْعَنَا ، واللّهُ يضع من أراد ذلك ويُخزيه ويُركِسُه ويُقْصيه .

ثمّ قال (عم) : سمعت القائم بأمر الله (عم) يقول : إنّما أراد الدعاة إلى النار الذين انتسبوا إلينا بما نحلُونا إيّاه أنّا نعلَمُ الغيب وما تجُنُّ الصدور،وأشباهَ ذلك ممّا افترَوْه علينا ونسَبُوه إلينا، أن يجعلُوه عُدّةً لنفاقهم . فمتى أظْهَرُوا النفاقَ قالوا لمن دَعَوْه إلينا / : ليس عند هؤلاء ما وصفنا لكم في الأئمّة الذين دَعَوْنَاكُمْ إليهم ، كما قال ذلك بعضُهم ، فهلك وأهلَك به خَلقا من الناس .

ثمّ قال المعزّ لدين الله (ص) : إنّ المنتسبين إلينا المتقوّلين ما لم نَقُلْه أعداءٌ لنا وأضرُّ من عَدُوّنا المناصِب لنا المبايِن بعَداوتِنا : هؤلاء يدخُل من أجلهم الشبهة في أمرنا بما يُظهِرونه من تولّينا ، [و] أولئك قد باينُونا وأضجروا الناسَ بعداوتنا فليس يدخُل من أجلهم شُبْهَةٌ علينا ، فهم أقلُّ ضررا لنا ممّن تولاّنا وخالف أمرَنا وافترى البهتانَ علينا .

الجزء العشرون

بسم الله الرحمان الرحيم

كلام في / مجلس في الردّ على بعض المتكلّمين :

220 — قال القاضي النعمان بن محمد : ذكرت للإمام المعزّ لدين الله (صن) ما يقولُه (1) القائلون بحجّة العقل . فقال لي : يا نعمان أتظنُّ (2) أحدا يدفع أن يكون عاقلا ؟ إنّك لو سألتَ أيّ مجنون شئت أن تسأله، عن عقله لقال لك : إنّي من أعقل الناس . فالناس كلّهم يدّعُون العقلَ وهم مختلفون في المذاهب . فمنِ ادّعى منهم حُجَّةَ عقله لمذهبه لم يَعْدَمْ مخالفا له منهم يدّعي دعواه لنفسه ، ولكن ثَمَّ شيءٌ يصِحُّ به قولُ (3) المحقّ وتَبطُل به دعوى المبطل ، ويميّز بين العقل والجهل .

قلت : ما هو يا مولاي ؟

فأطرق ساعة متبسّما ثمّ قال : العاقل / هو المطيع لله (عج) العامِلُ بأمره ، المنتهِي بنهيه ، الآخذُ عنه وعن أوليائه . والجاهل ، العادلُ عن ذلك ، المتعاطِي علمَ ما لم يأتِ عن الله ولا عن رسوله (صلع) * . فهذا فرقُ ما بين العاقلِ

(1) أ : يقول .
(2) ب : انظر ، أ : أتنظر .
(3) أ : قدر .

والجاهل . كما أنّ الفرْقَ ما بين الخير والشرّ الإباحةُ والحَظْرُ ، فما أمرَ اللّه (عج) به وأباحَه لخَلْقه وندب إليه عبادَه، فالخيرُ في إتيانه ، وما حرّمه ونهى عنه وحظرَهُ فالشرّ في اقترافه وتناوُله . فليس بالأعيان عرف الخير والشر ، ولا بالعقل عُلم العدل والجوْر ، ولكن بتحظير الله (عج) وإباحته وأمْره ونهيه وتحليله وتحريمه علمُ ذلك ومَيْزُ/ه/ . ولو كان ذلك مصروفا إلى عقول الخلائق وتميـُّزهم لاستحسنوا كثيرا / من القبح ولاستقبحوا كثيرا من الحسن .

فمَن زعم أنّه يقطع بحجّة عقله في تمييز ما بين الخير والشرّ والعدل والجوْر بغير ردّ إلى كتابِ الله ، ولا أخذ عن سنّة رسول الله (ص) ، ولا أثَرة علمٍ عن أولياء الله ، فقدِ اختلق الإفكَ (1) والزُّورَ ، وتمسّك بالباطلِ والغرور . ومن اتّبع أمرَ الله وأمْرَ رسوله وأخذ عن أوليائه (2) فقدِ اعتصم بحبل الله المتين ، واستمسك بالعروة الوثقى ، وفاز بالسهم الأوفى .

خذ هذا الأصلَ إليك فإنّهُ قاطع لحجّة (3) كلّ من تعاطى علما دون أولياء الله ورَغِب بنفسه عن ردّ ما لا يعلمه إليهم (4) كما أمره الله .

قلت : آخذه واللهِ بشُكرٍ مِن معدن / العلم وخلَف أهلِ الذكر . وقبّلتُ الأرض شكرا له .

وبنيت على هذا الأصل، وتفرّعَتْ منه فروعٌ كثيرة احتججْتُ بها في كثير ممّا ألّفتُه من الكتب ، فكانت حججًا قاطعةً نافعة (5) . والحمد لله على ما منَحني من موادّ وليّه ومنّ به عليّ من بركة حِبائه ورَحْمته ، صلوات الله عليه .

كلام في بركة التوسّل بأولياء الله (ص) :

221 — (قال) وركِب المعزّ لدين الله (ص) ركوبا للعامّة فلقيَه الناس في حوائجهم ، ولَقِيَه رجل تاجر من إخواننا وسلّم عليه ، وقبّل يدَه ،

(1) ب : اختلق الباطل الافك.
(2) ب : أولياء الله .
(3) ب : قطع بحجة .
(4) أ : يعلم . وفي النسختين . عن الرد إليهم ما لا ...
(5) أ : نافقة .

ومـرّغ عليها وجهـَه * ، وأهوى إليه برقعة ٍ ليدفعـَها إليه ، فحال الناسُ فيما بينـَهُ وبينه ، فانصرف إليّ وأنـا في الموكب معه (ص) ، فقال : ذهبَ لي غـُـلامٌ وأردت رَفع / بطاقة ٍ إلى مولانا (ص) ليأمُر لي بطلبه فحيل بيني وبين ذلك ، ولم أصِـلْ إليه .

فلمـّا كان من غد ، لقيـَني فقال : ما زلـْنا نتعرّفُ من أولياء الله ما فيه البواهرُ والمعجزاتُ من أمورهم . (قال) ذكرتُ لك بالأمس ذهابَ العبد واغتمامي بذلك ، وأنـّي لمـّا لقِـيتُ مولانا (صلع) وسلـّمتُ عليه ، قلتُ في نفسي : اللهمّ إنـّي أتقرّب إليك وأتوسّل بوليـّك في جـَمْعِ ضالـّتي وردّها عـَليّ – وقد كان العبدُ ضلّ عنـّي منذ أيـّام – فوالله ما هو إلاّ أن انصرفت/فلقيـَني رجلٌ ما أعـرِفه ، فقـال : ذهب لك شيء ؟

قلت : نعـم ، غلام .

قال : فهب لي شيئا وأدلـّك عليه .

قلت : ما تريـد ؟

قال : ثلاثة دراهمَ . فدفعتها إليه ، / ومضى بين يديّ حتـّى صرنا إلى قصر خـَلـِـق ، فإذا أنا بجماعة من البربر ، والغـلامُ معهم والمكـان خـالٍ كما تعلم في فحص أفيـح (1) . فلو أرادوا أخذي مع الغـلام أو سَلـْبي لفعلوا . فلما رآني الغلام جرى إليّ ، وهرب القومُ وتركوه لي ، فانصرفـْتُ به بين يـديّ .

ودفع (2)إليّ رقعة ذكر فيها ذلك،وقال:سألتك بحقّ وليّ الله إلاّ دفعتـَها إليه .

فدفعت الرقعة إلى أمير المؤمنين (ص) . فلمـّا قرأها تبسـّم ، فقلت : يـا مولاي أقسم عليّ هذا الرجلُ بحقـّك في إيصالها إليك .

وأوقفنـي (3) على ما فيها ، فقلت له : عندنا من هـذا ما لا نـُحصيه عددا .

فأطرق أمير المؤمنين (ص) كالمستخذىء (4) لفضل الله عليه / وقـال : الحمد لله على ما وهبنا ومنّ به علينـا .

---

(1) «أ» و«ب» : في فحـص أقبـح .
(2) مولى الغـلام .
(3) أ : وأوقعنـي .
(4) استخذأ واستخذى بمعنى .

وفي مثل ذلك من بواهر أولياء الله (صلع) :

222 — (قال) وسمعته (صلع)* يقول : أخبرني فلان — وسمّى رجلا كان قد قدِم إليه رسولا من بعض دعاة أهل المشرق بأموال من أعمال المؤمنين وأمتعة في أحمال (1) ، وكان من ثقات المؤمنين أهلِ الصدق والأمانة — أنّه مرّ في طريقه بالمشرق بأصحاب مكس (2) يُغْرِمون الناس على (3) أحمالهم وهو في رفقة (4) عظيمة ، قال : فأخرجت (5) ما يلزمني لهم من الدراهم ، وأمسكتُها بيدي ، وقعَدوا على مضيق لا يمرّ بهم إلاّ البعيرُ ، وكلّ (6) من مرّ بهم دفع إليهم بقدر ما معه . (قال) وقعدوا على / ثلاثة مواضع موضعا بعد موضع ، يُغرِمونَ كذلك لا يكاد أحد أن يخفى عنهم ، ولا يمرّون بهم إلاّ وِحْدَانًا . (قال) فمررت بالقوْم الأوّلين ، فلا والله ما منهم (7) أحد نظر إليّ ولا عرَض لي ، كأنّ الله قد طمَس أعينَهم عنّي ، فما كلّمني أحدٌ منهم . ثم مررتُ كذلك بالآخرين الذين بعدَهم ، فكان ذلك سبيلهم ، ما عرض لي أحد منهم .

ثمّ قال المعزّ (صلع) : فذكرت ذلك لفلان ، يعني رسولا أيضا قدِم بمثل ذلك من قِبَل ذلك الداعي ، وهو رجل أيضا من أهل الصّدق والوَلاية والأمانة . (قال) فحلف لي بالله لقد كان ذلك حاله فيما اجتاز به ، وما عرَض له أحد فيه لكأنّما سكِّرَت (8) أبصارُهم عنه / .

كلام في مجلس جرى في ذكر المحن :

223 — (قال) وذُكِر له (ص) يوما ضعف المتغلّبين من بني العبّاس بالمشرق ومن يأتمّ بهم ، ويدعو إليهم ، ويتسمّى بطاعتهم ، ووهّن أمورهم ، وما أيّده الله به وشدّد من (9) سلطانه ، وأكّد من عزّه ، وبسط من قدرته ، وجرى بذلك

(1) أ : أعمال .
(2) أ : بياض بمقدار كلمة .
(3) أ : عن .
(4) أ : رقعة .
(5) ب : فخرجت .
(6) ب : فكل .
(7) ب : منعهم .
(8) سكر البصر (بالمعلوم والمجهول) : تحير وحبس عن النظر .
(9) أ : وما أيده الله وشدد سلطانه .

القول . وقال بعض من في المجلس : أرجو أنّ وعدَ الله قد قرب (1) ، وهذا — إن شاء الله (تع) — أوانُ الفـرَجْ .

فقال المعزّ (صلع) : فماذا تقولون فيما مضى على آبائنا من المِحَن ولهؤلاء المتغلّبين من * الإقبال والدّوَل ؟ أذلك شيء أعطاهُم الله إيّاه أم غلبوا على أمره فيه ؟

فقالوا : الله ووليُّه أعلـم .

فقال (عم) : إنّه كان فيما أوحى (2) الله (عج) إلى داود : / يا داود إنّ وَلَدَكَ سيكون منهم من بعدك ما يوجب عقوبتَهم ، وإنّي لست أنزَعُ منهم ما أعطيتُك ، ولكـن من عصانـي منهـم فبالعَـصَا أقَـوّمُـه . ثم تنفّس الصّعَـداء (ص) وقال : في هذا مقـال لـه مقـام . وإنّـه فيمـا يروى أنّ القائـمَ منّا إذا أسنَـدَ ظهـرَه إلـى الكعبـة البيـت الحـرام ، وقـام خطيبـا للنـاس (3) فحينئـذ يقوم لكلّ (4) مـا عنـده .

فقبّلنا الأرض وقلنا : نسألُ اللّـهَ أن يجعَلَنا ممّن يلحَقُ (5) ذلك ويفـوزُ بمشهَدِه بين يدَيْ وليّـه وابن نبيّـه .

كلام في بواهـر أوليـاء الله (ص) :

224 — (قال) ونظـر المعـزّ (ص) يوما إلى بستان قد اغتَرَسَه وحوّط عليـه بجهـة وادي القصّاريـن (6) ، وكـان ذلك الموضـع موضعـا موحشا قَبْلَ ذلك خـاليـا ، / بعيـدا من حـدّ المدينة ، لا يظـنّ أحـد أنّه يُحتـاج إليه لشيء ، فلمّا اغترسَـه (ص) ، وأدار عليـه حائطـا ، وأجرى فيه النهرَ ، أينَع بأصناف الشجَر والرياحين والخضر والنّوار ، وصار من أحسن بستان رآه الناس .

(1) أ : قريب .
(2) ب : أوصى .
(3) ساقطـة من أ .
(4) ب : بكـل .
(5) ب : يحلـق .
(6) واديّ القصارين : مسيلة صغيرة متصلة بوادي زرود ، تفصل بين المنصورية والقيروان وترتبط بالمجرى الكبير جهة الشرق . ذكره ابن عذاري (البيان ج 1 ص 243) : « ... فمالوا (العسكر) إلى وادي القصارين وإلى باب تونس أحد أبواب القيروان ، فنهبوا ما كان عند القصارين » . وفـي اللسـان (قصر) : القصار والمقصر المحور (الغاسل) للثياب لأنه يدقها بالقصرة التي هي القطعة من الخشب .

فقال المعزّ لدين الله (ص) يوما وقد نظر إليه : لقد مررت يوما بهذا الموضع وأنا مع المنصور [و]فيه حُفَرٌ يُضرَب منها الطوب أو يُنقَل منها (1) تُراب (قال) فقلت : وما الذي يرادُ من هذا الموضع يا مولاي ، والانتفاعُ به في مثل هذا من ضرب الطوب ونقلِ التراب أحسنُ ؟ [قال] فنظر إليّ وتبسّم وقال : امنَعْه (2) على كلّ حال وسوف * تحتاج إليه .

قال المعزّ (ص) : ففعلت ما أمر (3) به لترك الاعتراض / عليه وأنا أرى أنّني لا أحتاج إليه ولا غيري لشيء أبدا . (قال) فوالله ما أفكَرْتُ في قول المنصور (صلع) هذا إلاّ اليومَ ، كأنّه شيءٌ قد كان عرفه (صلع) .

كلام جرى في مجلس فيما يريده (4) وليُّ الله لأوليائه من الخير :

225 — (قال) وذكر المعزّ (ص) يوما رجالا من رجال الدولة فاستَعْجزَهم عمّا كان يؤمّله منهم ويرجوهم له ، وقصّرَ بهم عن أن يبلُغوا أملَه فيهم ومحبوبَه لهم من العلم والأمانة والكفاية فيما يريدهم له ، ويؤمّلُه أن يبلُغَ بهم إليه من درجات المعالي . وقال : عجبتُ لقوم قد ساق الله (عج) إليهم سعادة الدنيا والآخرة فخلّفوا أنفسهم عمّا سيق إليهم منها . والله إنْ أريدُ بهم إلاّ أن / يكونوا أعلامَ الناس ورؤساءَهم ، وما أحبّ أن يسبقَهم أحد إلى فضيلة ولا مكرُمة ولا قربِ حالٍ منّي ولا حُسنِ منزلة ، لكنّني لم أجد فيهم كلّ ما أريده .

فقلت : يا مولاي ، ومن ذا تجدُ فيه كلّ ما تريده ، والذي يريده أولياءُ الله من العباد ما لا يكون إلاّ فيهم (ص) ، فهم الذين أبانَهم الله (عج) بالكمَالِ ، وأعجزَ الخلقَ عمّا أبانَهم به . ولولا فضلُ أولياء الله وتغمّدُهم وصفحُهم عنّا لما كنّا شيئا . إنّ الله (عج) يقول : «وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أبدًا (5)» ،

(1) أ : منه .
(2) أ : منعه .
(3) أ : ما أمرت .
(4) أ : يريد .
(5) النور ، 21 .

وإن كان أمير المؤمنين لم يبلغ إلى مُراده ممّن أحبّ بلوغَ الخير به ممّن ذكرَهُ فإنّ أمرَهم اليوم — بحمد الله في أيّامه / الظاهرة ودولته الطاهرة — من الطاعة والاستقامة وتحرّي الحقّ والسلامة وتوقّي النقيصة على خلاف جميع أهل الأرض وخلاف ما كان عليه مَن مضى من قبلهم مع الأئمّة الماضين (ص) ، وكلّ يوم — بحمد الله — في أيّام أمير المؤمنين الزاهرة ودولتِه الطاهرة يأتي ، فهو أحسن ممّا مضى فيما عليه جميع الأحوال .

فقال (عم) : أمّا ذلك فهو كذلك والحمد لله ، ولكنّا أردنا بلوغ الأمل في أوليائنا .

قلت : يبلّغ الله مولانا أملَه في أقرب وقت يحبّه .

قال : ما شاء الله .

ثمّ ذكر القائم (ص) فقال : لقد سمعته أيّام الفتنة وهو يقول لبعض الأولياء : واللّهِ ما أعلم بيني وبين الله ذنبًا / يجب أن أبتَلَى من أجله بمثل هذا البلاء ، وما نقَم هؤلاء علينا (1) إلاّ فعلَكم فيما خالفتُم فيه أمرَنا ، ولو كنتُم عندَمَا أمرنَاكُم به امتثَلْتُموه (2) ، ما أصاب هؤلاء عَلَيْنَا مقالا يقولونه ولا شيئا يذكرونه .

ثمّ قال المعزّ لدين الله (ص) : جزى الله عنّا خيرا مَن امتثل أمرَنا ولم يجعل لعدوّنا مغمزا ولا مقالا فينا (3) بارتكابِ نَهْيِنا وتعدّي أمرنا .

كلام في مسايرة جرى في فضل أولياء الله :

226 — (قال) وسايرت المعزّ لدين الله (صلع) يوما فذكر كتابا نظر فيه في الليل فقال : أرقت البارحة وأحسست فتورا ، فأخذت كتاب (4) كذا — وذكر كتابا سمّاه — فنظرت فيه . وذكر شيئا تعقّبه / منه تكلّم عليه كلاما طويلا ، وجاء فيه بحجج باهرة عجيبة .

---

(1) أ : عليكم .
(2) ب : وامتثلتموه ، وهي قراءة صالحة لو فصلنا « عند » و« ما » في الجملة الظرفية .
(3) ناقصة من ب .
(4) ب : كتابسا .

فقلت : يا مولاي، مثل هذا يخطر على ما ذكره أمير المؤمنين من الكلال والفتور والسّهر والسّآمة ؟

فتبسّم إليّ وقال : سمعت المنصور بالله (ص) يقول في بعض ما أوصاني به : متى أردت تأليف (1) كتاب أو تعقّبه أو النظر في أمر تريد إحكامه ، فتوخَّ لذلك حينَ السآمة والكسَلِ والفتور ، فإنّ أنفُسَ أولياءِ الله أقوى ما تكون إذا ضعُفَت أبدانُهم وفترت وكلّتْ قُواهم ، وكذلك يكون في حين مفارقةِ أجسامهم ووقت انتقالِهم من الدنيا لعلمِها بفضل ما تصير إليه ، وذلك على خلاف ما عليه أنفُسُ أهل الدنيا ، لأنّ / أنفسهم أقوى ما تكون إذا صحّت أبدانُهم ووثقوا بالمُقامِ في دنياهم . ومتى ضعفت أبدانهم ضعُفتْ أنفُسُهم ، لأنّ أنفُسَهم خدم أبدانهم ومتعلّقة بدنياهم .

(قال) فما أخذت في شيء من هذا (2) على ما وصفتُ فوجدتُ من نفسي قوّة إلاّ ذكرتُ قوله (صلع) .

كلام في تعلّق المُخالِفين بأدنى ما يجدون في الدين من العلل :

227 — (قال) وذكر لي يوما — وأنا أسايره — شيئا رآه في بعض ما ألّفته في الاحتجاج على من خالف مذهبَ أهل البيت (ص) من العامّة ، واستجاد القول فيه (ص) ثم أفادني شيئا كنت أغفلتُه ، وقال : يجب أن تُدخل مثل هذا فيه لتقطَع به مقالَ من عَسَى أنْ يَقُولَ / شيئا فيه ، فإنّ أعداء الله قد يسمعون من حجّةِ الله لنا عليهم ما لا يشكّون فيه ولا يمترون في أنّه الحقّ (3) فيسكتون عنه حتّى إذا مرّ بهم شيء يدخل منه (4) بعض الشّبهة عليهم تنبّهوا له وتكلّموا فيه ، وموّهوا من أجله .

ثمّ قال : سمعت المنصور بالله (ص) ذكر نحوا من هذا من حالهم . ثمّ قال : إنّما مثَلُهم مثَل الذباب قلَّ ما يقع من البدن إلاّ على موضع جُرح أو أثَر أو بَثْرة أو حيث يكون بلّة أو مِدّة .

(1) ناقصة من ب .
(2) « من هذا » ناقصة من ب .
(3) « فيه ولا يمترون » ناقصة من ب .
(4) أ : فيه .

كلام في مسايرة في ذكر تغلّب المتغلّبين وأمر فدك :

228 — (قال) وسايرت الإمام المعزّ لدين الله (صلع) فذكر رجلا ينتحل الوّلاية . وأنّه بلغه أنّه ألّف كتابا في الردّ على أبي بكر في انتزاعه / فدكا من فاطمة صلوات الله عليها ، وأنّ بعض مَن وقع إليه ذلك الكتاب ممّن يقصُرُ (1) فهمُه من المتسمّين بالوّلاية أعجبه وبالغ * في مدحه .

فقال المعزّ (ص) : عجبا لمثل هؤلاء ! يذكرون من أمر فدك ، ويعظّمون ما كان من انتزاع القوم إيّاها من فاطمة (عم) ، ويدّعون ذكر ما هو أعظم وأجلّ منها ، وما بسببه والتغلّب عليه قدروا على انتزاعها ، وهذا (2) ما جعله رسول الله (ص) لعليّ (ص) من الإمامة وأمر الأمّة من بعده، فمنعوه ذلك وحالوا بينه وبينه ، واهتضموه حقّه ، وجلسوا مجلسه . فيدّعون ذكر هذا الذي هو الأصل والقُطب /و/يتشاغلون بذكر فدك وغير فدك ممّا هو أقلّ من أن / يُلتَفَتَ إليه ويُشْتَغَل بذكره . لو لم يكن للقوم إلاّ انتزاع فدك لرجَا لهم عفْوَ الله،ولو سلّموا الأمر لمن جعله الله له واقتعدوا (3) بِفَدك وأمثالها لما التفت إليها .

ثمّ قال : فتكلّمْ على فساد أصلهم وأساس ما بنَوْا عليه أمرَهم ، فإنّ من فسد أصله ووهي أسّه فسدت أغصانُه ووهى بنيانُه . فأمّا فدك ومثل فدك فنحن نُعرِض عنها لهم وندّعها لمن تقلّدَها منهم .

حديث في حِلم المعزّ لدين الله (صلع) وصبره وتغمّده :

229 — (قال) وذكر المعزّ لدين الله (ص) يوما رجلا كان ورد عليه من جهة المغرب يُعْنَى بعلم النجوم ، فأحسن أمير المؤمنين (صلع) نزله وكَسَاهُ وحملَهُ ووصلَه / وأجرى عليه جرايةً لقصده إيّاه من بعيد ورحلته (4) إليه، ولم يلْبَثْ إلاّ قليلا حتّى سأل الإذنَ له في الانصراف فأذِن له . وكنّا نتعجّب لذلك منه . فقال المعزّ لدين الله (ص) لي يوما — وأنا بين يديه — : ألا أخبرك بسبب انصرافه ؟

(1) ب : يقصى .
(2) وهذا في أ و ب . ولعل الصواب : وهو .
(3) ب : واقتدوا .
(4) أ : من بعد رحلته .

قلت : يفعلُ من (1) ذلك أمير المؤمنين ما رآه .

فقال : إنّ هذا الرجل لمّا وفد علينا وصار إليه من فضلنا ما صار ، حسدَهُ * بعضُ أهل صنعته ممّن أولِعَ بالشّناعة علينا ، فذكر لـ ـلـ ا من المواليد فقال : ما ترى لمن وُلد هذا المولدَ ؟

قال : أرى النّحُوسَ قد أظلّته ، ولا أشكّ أنّ أيّامَه قد انقضت .

قال له : فكذلك الذي أنت في نزله وقصدك إليه — يعنينا — / وهذا مولدُه . فرأى الضعيفُ العقلِ أنّ انصرافَه بما نال منّا غنيمةٌ ، فسألنا الإذن — وقد انتهى إلينا ما قيل له — فأذِنّا له ، فانصرف . ولقد رفع إلينا في حين انصرافه رقعةً يعرّض فيها بالمسألة (2) . وقد كنت قبل ذلك أمرت له بمائتَيْ دينار ، فَصُرَّتْ في صرّة ، وكنت على البعث بها إليه ، ثمّ نظرت إلى وقـ ـ رَفعه فرأيته وقتَ سعد . فقلت : لا أظنّه إلاّ وقد تحرّى لرقعته هذا السّعد ولكنّي والله لا أبطلْتُ ذاك عنده ، فتركتُها على أن نجعلَها له في وقت آخر على غير سؤاله . فأنسيتُها (3) وخرج محروما .

فقلت له : لقد أعطى الله وليّه من الصّبر والحلم والتغمّد ما لا أظنّه أعطاه / أحدا .

فقال (عم) : أوَلَمْ أخبرْك عن فلان مند مدّة بأنّه يتكلّمُ فينا وكنتَ تُـ لك عن كلامه ، فرأيت ذلك أغضبَك وأهاجَك عليه ، وقلتَ لي : وددت أنّي ظفِرت به فيما يوجب بسطَ اليد بالمكروه إليه ، فأنيلَه من ذلك ما أشفي به صدري منه ؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين ، قد كان ذلك وإنّي عليه .

قال : أفكنتَ فاعلا به ومنتقِماً منه بمثل انتقام الله (عج) لنا ؟

قلت : وكيف ذلك ؟

قال : أوَمَا بلغك خبره ؟

(1) أ : يفعله ذلك ...
(2) المسألة ، أي سؤال الرفد والعطاء .
(3) ب : فأبقيتها .

قلت : لا واللّـــه .

قال : قد هلك مـذ ثلاث بأكـلـة أصابته في فمه فأكلتْ داخله وخارجه

قلت : إلى غضب الله .

قال : نعم ، وإلى سعيـره وناره . أتدري ما كنّيتُ عندك (1) فيما بلغنا عنه ؟

قلت : لا ، إلاّ أن يخبرَني أمير المؤمنين / .

قال : حكم علينا فيما دلّته بزعمه عليه النجوم بأنّ أمرنا * ينقطعُ ويزول في الوقت الذي قطع الله فيه مدّته بالآفة التي أصاب بها ما لفَظ بذلك به ، أفكُنّا نقدِر على أن نفعل به أكثرَ من هذا ؟ إنّ كثيرا ممّن يتّصل بنا أذاهُ وقولُه فينا لربّما قيل لهم : أما تخافون أن يعلم بمثل هذا منكم ؟ فيقولون : هو ممنوع منا . ثمّ تبسّم (ص) وقال : نعَـم والله ، إنّـي لَمَمْنُـوعٌ مـنَ الظّـلـم والتعـدّي ، وإنّ الله (عج) لينتصر لي وَيَنْتَقِـم ممّـن تناول منّي ما ليس له . أما والله لو شئت لبطشت بهم ولانتصفت منهم ، ولكنّـي لو فعلتُ ذلك وعلِم الناس أنّـي أنتصر لنفسي من مثل هذا لأكثروا من البغي من بعضهم على / بعض ، وشغلوا صدري بذلك كما شغلوا به مَن قَبلي ، ولكنّي تغافلْتُ عنهم ، وما الله بغافل عمّا يعمل الظالمون ، وهو أعلم بما يُسِرّون وما يُعلنـون .

قلت : الحمد لله الذي منـح أمير المؤمنين هذا الفضل العظيم ، وأبانه بهذا البرهان المبين ، ووسمه بالأناة والصبر والحلم ووليِّ الانتقــامَ لـه من أهـل البغـي والظلـم . وأميرُ المؤمنين وسلفُـه ، كما قال أصـدقُ القائلين : « ذُرِّيَّةٌ بعضُها مِـنْ بَعْضٍ واللّهُ سَمِـيعٌ عَلِـيمٌ (2) » .

ثمّ ذكرت في مثل ما ذكر من منعه المنجِّم المحروم، وما منعَه لئَلاّ يرى أنّ علمَه بالنجوم وتوخّيَه ساعة السّعد، به نال ذلك ، ما رويناه عن جعفر بن محمد (ص) أن دارا / صار له نصفُها عن بعض مواليه ونصفُها لرجل كان يعنى بعلم النجوم ، وأنّه دعـاه (ص) إلى قسمتها فسـوّفَ ذلك إلى أن اختـار لنفسه ساعـةَ سَعـد ، فأتـاه فيهـا بعـد مـدّة يسألـه القسمـة ، فأرسل معه من يقاسمه ، فانصرف إليـه يـذمّ علـم النجـوم وقال : يـا ابـنَ رسـول الله (ص) كنت أحبّ ناحية

(1) كذا في النسختين ، ولعل الصواب : أتذكر ما كنيت به عندك ، إشارة إلى تلميح من المعز إلى النعمان في شأن هذا الخصم المغرض .

(2) آل عمـران ، 34 .

من هـذه الدار فَمَطَلْتُ بقسمتها إلى أن تخيّـرتُ لنفسي ساعـةَ سَعْـد ووثقت فيها بأنّـي أنـالُ بُغْيتي . فلمّـا قُسِّمَتِ الـدار ورُمِـي السّهم وقـع لك ما كنت أحبّ ولي ما كنتُ أكرَهُ .

فقال له أبو عبد الله (صلع) : لولا أن ترى أن اختيارك أصارك إلى ما تحبّ لأعطيناك ما أحببتَ ، نعم ، ولتركْنا الكلَّ لك / ، ولكن لا والله ما تَأخُذ إلاّ ما صار لك . ولكنّـي أفيدُك ما إن قَبِلْتَه كان خيرا لك ممّا أردتَه .

قال : وما هو ، جعلني الله فداك ؟

قال : إذا أصبحتَ فتصدّقْ بصدَقة فإنّها تُذهب عنك نَحسَ يومك ، وإذا أمسيْتَ فتصدّقْ بصدَقة فإنّها تذهـبُ نحس (1) ليلتك .

فتبسّم المعز لدين الله (ص) وقال : هو كما قال (عم) .

كلام جرى (2) في ذكر قبول الحقّ ودفعه :

230 — (قال) وسـأل ابـنُ واسول أن يصلّـيَ في الجامع صلاةَ الجمعة فأذن له أميـر المؤمنين (صلع) اقتداء بفعلِ جدّه عليّ (ص) إذ كان فيما يُؤثَر عنه أنّه كان يـدَع من أراد شهـودَ الجمعة من أهـل السجن أن يأتوها ثمّ يُعادُون إلى السّجن إذا قُضِيَت / الصلاة . فحضر ابن واسول كذلك صلاةَ الجمعة وهو مقيّد ، وجلس في الحلقة بعد الصلاة يستمع المسائل ، وجرى من ذلك بعضُ ما يخالف قولَه فبيّنتُه له ، فرأيت أنّه اعترف بالحقّ فيه وانقادَ إليه .

ودخلت من غَدٍ إلى أميـر المؤمنين (صلع) فقال : أمّا إنّ ابن واسول أعجبه أمس (3) ما سمِـع منك ، وقال : لقد انتفع بصُحْبة الأئمّة وأفاد عنهم علما جمّا . فمـا الذي سمـع منك (4) ودار بينَك وبينَـه ، وكيـف رأيتَـه ؟

فذكرت له ما دار من الكـلام وقلت : هو رجل قـد قـرأ كتُبَ العامّة إلاّ أنّه بربريُّ الطبع ، وكأنّه ظنّ أنّه ليس الحق إلاّ ما انتهى إليه ، فرأيتُه إذا سمع

(1) ب : سقط : يومك ... نحس .
(2) ب : جرى في مجلس في ...
(3) أ : أمـر .
(4) ب : سقط : وقال لقد انتفع ... منك .

الحقّ أصغى إليه ، وإذا بُيّن له وشُرح وفُسّر مجملُه رجع إليه وانقاد ، ولم يلجّ في الباطل كما يفعَلُ كثير ممّن / انتحل مذهبا ونشأ عليه ممّنْ نشاهده .

فقال المعزّ (ص) : هذا سبيل أهل الإنصاف * ومن يُريدُ اتّباعَ الحقّ . فأمّا من جمحَ في الغيّ وآثر حبّ الرّئاسة في الدنيا ، وأنِف من الرجوع عمّا هو عليه من الباطل لئلاّ تنقُص رئاستُه ويتّضع حالُه عند العامّة — نظير قوم ذكرهم — فأولئك ممّن قال الله (عج) [فيهم] : « صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ (1) » . وكان من شِرارهم من لعَنه الله وأصْلاه جهنّم وساءَتْ مصيرا ، مظفّر (2) اللعين ، فإنّه ما كان يدين لله بدين .

قلت : والله يا أمير المؤمنين لقد كنت إذا قرأتُ على الناس ما أمر أمير المؤمنين بقراءته عليهم من الحِكمة يومَ الجمعة (3) ، كثيرا ما أنظر / إليه (4) في جملة الناس فيقع بقلبي أنّهُ من بينهم كلّهم غيرُ مصدّق بما سمعه وأرى ذلك في وجهه

---

(1) البقرة ، 171 .

(2) مظفر : أحد الموالي الصقالبة الذين خدموا الفاطميين ، مثل جوهر ، وميسور ، وقيصر ، ذكره المقريزي (اتعاظ 145 والخطط ج 2 ص 158) فقال « انه علم المعز الخط وهو صغير فكان يدل عليه » وقال ان المعز قتله لأنه شتمه بلغته . ولعل السبب الحقيقي هو ، كما قال M. Canard في ترجمته لسيرة الأستاذ جوذر (ص 57 : ... Vie) ، أن الفتيان الصقالبة قد طغى نفوذهم على الخليفة نفسه فتخلص من بعضهم مثل قيصر ومظفر سنة 960/349 .

(3) مجالس الدعوة : يذكر القاضي النعمان أنه يقيم بعد صلاة الجمعة درسا في الدعوة الاسماعيلية بأمر من الامام . وجاء في خطط المقريزي (ج 2/223-224) أن القاضي محمد بن النعمان جلس على كرسي بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ، ولأخيه بمصر ، ولأبيه بالمغرب ... » ، وقال : « ... ان الفقهاء يتفقون على دفتر يقال له « مجلس الحكمة » في كل يوم اثنين وخميس ، ويحضر مبيضا إلى داعي الدعاة : فينفذه إليهم ويأخذه منهم ويدخل به إلى الخليفة في هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه ان أمكن ويأخذ علامته بظاهره ، ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين في مكانين : للرجال على كرسي الدعوة بالايوان الكبير ، وللنساء بمجلس الداعي ... وكان الداعي يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الأولياء والدعاوي المتصلة ، فكان يفرد للأولياء مجلسا ، وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلسا ، ولعوام الناس وللطارئين على البلد مجلسا ، وللنساء في جامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر مجلسا ، وللحرم وخواص نساء القصور مجلسا . وكان يعمل المجالس في داره ، ثم ينفذها إلى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتبا يبيضونها بعد عرضها على الخليفة . وكان يقبض في كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصل من النجوى ... وكانت تسمى مجالس الدعوة « مجالس الحكمة » . وفي سنة 400 ، كتب سجل عن الحاكم بأمر الله ، فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التي كانت تحمل ويتقرب بها وتجرى على أيدي القضاة . وكتب سجل آخر بقطع مجالس الحكمة التي تقرأ على الأولياء يوم الخميس والجمعة » .

وقد قرأ القاضي النعمان كتابيه « دعائم الاسلام » و« تأويل الدعائم » في مجالس الدعوة . واشتهرت كتب كثيرة بعنوان المجالس لأنها كانت تقرأ في مجالس الدعوة ، نذكر منها : مجالس المؤيد في الدين الشيرازي ، والمجالس المستنصرية ، ومجالس حاتم بن إبراهيم الحامدي ، الخ ...

(4) ب : لقد كنت كثيرا ما ... يوم الجمعة أنظر إليه .
أ : لقد كنت كثيرا ما ... الجمعة ما نظر إليه .

وشمائله وعينَيْه ، فأقول كثيرا في نفسي : أخشى أنّـي آثـم بهذا الظنّ فيه وأحاسِـب نفسي بذلك .

فقال المعزّ لدين الله (ص) : لا وَالله ، مَا أنتَ في ذلك آثِـمٌ ، بل مُصيب لما كان عليه . ولقد سمعتُ منه غيـرَ مـرّة ما دلّ أنّـه مـا يعتقـد شيئـا من الإسلام . ولقد قال يوما ـ وقد جرى ذكر محمّد النبـي (ص) وابتداءُ نبوّته ـ فقال اللعين ، لعنه الله : هذه من حِيَـلِ العرب . فما كان يعتقد الإسلام أصـلاً ، فكيف إمامتُنَا وما نحنُ عليـه ؟

قلت : هو ما قال أمير المؤمنين فيما يظهَرُ منه . فأمّا صاحبه / قيصر (1) فإنّه كان يميل إلى هذا الأمر ولكنّه هو كان شيطانه .

فقال (ص): هو كما قلتَ : قد كان يميل إليه (2) ، ولكنّه لم يكن يحبّ أن يَرَى على ظهر الأرض أحدا إلاّ واقعا تحتَ أمره ونَهيه ومِـن تحتِ يده .

قلت : أمّا هذا فهو المعروفُ منه .

قال : ومن كانت هذه إرادتُه ، لَمْ يُرِدْ أن يكون الأمرُ إلاّ له ، وهذا أعظـمُ الجُـرم وأسوأ الاعتقـاد .

قلت : لاجرمَ إنّ الله تعـالى عجّل انتقامه منهما بيدِ وليّـه وأضلاهُـمـا وبيلَ عذابه . ولو عمِـلا بأمر الله وسلّما لوليّه لكانا على أفضل حال في الدنيا والآخرة .

فقال : أجل ، واللّهِ ما كان الله (تع) ليُسلّطَنا * عليهم بمثل ما سلّطنـا بـه إلاّ بعد أن أسرفا (3) / على أنفسهما ـ وأأسفـاه ! ـ بسـوء (4) فعلهما . قال الله تعالى : « فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ (5) » .

قلت : نعوذ بالله من انتقامه وسطوات أوليائه وممّا يوجب ذلك من معاصيه .

---

(1) قيصر : مولى آخر من عبيد المعز الصقالبة ، قتله المعز مع مظفر .
(2) سقط من ب : فيما يظهر منه ... كان يميل إليه .
(3) ب : أمرنـا .
(4) سبـق ، في « ب » .
(5) الزخـرف ، 55 .

الجزء الحادي والعشرون

بسم الله الرحمان الرحيم

حديث في مجلس في ذكر النجامة :

231 — قال القاضي النعمان بن محمّد : ذكر الإمام المعزّ لدين الله (صلع) يوما — وأنا بين يديه — النّجامة والمنجّمين فقال : من نظر في النّجامة ليعلمَ عِدّةَ (1) السّنينَ والحسابَ ومواقيتَ اللّيل والنهار وليَعتبِرَ بذلك عظيمَ قدرة اللّه جلّ ذكره ، وما في ذلك من الدّلائل على توحيده / لا شريك له ، فقد أحسن وأصابَ . ومن تعاطى بذلك علمَ غيب الله والقضاء بما يكون فقد أساء وأخطأ . ولقد كان المنصور بالله (ص) من أعلم الناس بها ، ولقد قال لي غيرَ مرّة : والله ما نظرتُ فيها إلاّ طلبا لعلم توحيد الله وتأثير قدرته وعجائب خلقه . ولقد عاينتُ ما عاينتُ من الحروب وغيرها فما عملت في شيء من ذلك باختيار من دلائل النجوم ولا التفتُّ إليه (2) .

---

(1) أ : مدة .

(2) مر الحديث عن علم المنصور بالنجوم وعدم إيمانه بتأثيرها . انظر ص 132 .

ثم قال المعزّ (ص) : أتاني بعض المنجّمين بكتاب ألّفه يذكر فيه خلقَ آدم وكيف كانت الكواكب يوم خلقه الله (عج) ، وما دلّتْ عليه ممّا آل أمره وأمرُ ذرّيته إليه ، ورأى أنّه أتى في ذلك إليّ بفائدة وعلم سبق / إليه . فلمّا وقفت على كتابه سألته فقلت : هذا خلقُ آدم قد ذكرته ، وكيف كانت الكواكب يومَ خلقه الله (عج) فيما زعمتَ ، فهل كان قبل آدم شيء ؟

قال : نعم ، قد كان قبله .

قلت : فما كان قبله (1) ومن كان ، وكيف كانت هذه الكواكب قبل ذلك ، وما دلّت عليه قبل خلق آدم ؟

فلم يُحِرْ جوابا وقال : هذا شيء ما ظننت أنّي أسأل عنه .

قلت : وهذا الذي تكلّفتَه وجئتَ به ما سُئلتَ عنه أيضا، فكيف تكلّفتَه ؟ فعجبت من قوم يتيهون فيما لا يعلمون ويتعاطون ما لا يدركون (2) ، وحسبهم لو أخذوا * عن أولياء الله ما يُعطونهم إيّاه وسألوهم عمّا (3) ينبغي لهم أن يسألوهم عنه ولم يتكلّفوا ما لم يُتَعَبَّدوا / به ولا كُلِّفُوه ولا سئلوا (4) عنه .

حديث في مجلس في ذكر المنصور بالله (صلع) :

232 — (قال) وذكر المنصور بالله (ص) فقال : كان — والله — تاج آلِ محمد (ص) وزينتهم وجمالهم وواحدهم علما وورعا وزهدا وجمَالاً (5) وحلما ونزاهة وشجاعة وإقْدَامًا . ولقد كان ، قبل أن ينتهي أمر الإمامة إليه في أيّام المهديّ بالله والقائم صلوات الله عليهما ، أقلَّ الناس حرصا على الدنيا والتفاتا إليها وشغلا بها . وكان الذي يصير إليه من مثل ما يصير إلى العمومة والإخوةِ يُبارِكُ (6) فيه على قلّة اشتغاله بالكسب والفائدة ، واجتهادهم في ذلك وكلفهم به . وكانت

---

(1) ناقصة من أ .

(2) ب : يدرون .

(3) أ : ممـا .

(4) ب : ولا سألوه .

(5) أ : مجالا .

(6) في « أ » و« ب » : يترك . وقد استصوبنا قراءة ناشري سيرة الأستاذ جوذر اللذين نقلا نص النعمان هذا ص 170 تعليق 67 .

نعمته وخيره علينا وعلى أهله أوسعَ وأكثر من خيرهم على بنيهم / وأهليهم أضعافا مضاعفة ، حتّى لقد كنّا نستكثر ذلك ونقول له فيه،ونذكر أنّه لا حاجة لنا بكثير ممّا يصيّره إلينا من الخيرات ، فيقول : اتّسعوا وتمتّعوا ! فهذا فضل من فضل الله استعملني له فيكُمْ (1) ، واستخدمني فيه لإرفادكم وحسن معايشكم ، ومن وسّع الله عليه فينبغي له أن يوسّع على من جعل أمره إليه .

فكنّا أفضل أهل الجماعة من الأقارب ، حتّى إذا أصار الله الأمر إليه ، اشتغل بأمر الأمّة وأعرض عنّا وعن نفسه وقصّر بنا وبه عن كثير ممّا كان عوّدنا وتعوّد،حتّى لقد قال له بعض العيال — ممّن ألِمَ لذلك — : ليتَ أنّا كنّا بحسب ما كنّا (2) قديما قبل أن يفضي إليك / هذا الأمر !

فقال : كنتم يومئذ همّي وحدَكم ، وأنا اليوم أهتمّ بجميع الأمّة (3) .

ثمّ قال (ص): لقد مضى — قدّس الله روحه وصلّى الله عليه — وما تمتّع من الدنيا بما يتمتّع به من يملك مائة دينار فما دونها ، وقاسى من الحروب والتّعب والنصَب ما على الله ثوابه ، ونحن اليوم نتقلّب في النّعم ونُمسي ونُصبِحُ في الدّعة والأمن واستقامة الأمور لنا فيما نحمد الله حقّ حمده عليه . وما فكّرت فيما كان فيه (ص) وفيما أنا اليوم بسبيله إلاّ ذكرتُ ما كان عليه داود من الحروب والتعب والنصب ، وما أصار الله (تع) إليه سليمان (عم) بعده من الملك والسّعة والبسطة واستقامة الأمور .

ثمّ حمد الله وأطرق مليّا وظهرت عليه خشية وكآبة ، واستعبر (ص) ، إعظاما لنعمة الله (عج) عنده وما وهبه الله له وأنعم عليه به ، وإن كان ما يتلذّذ في

---

(1) ب : فيه لكم فيكم .

(2) بحسب ما كنا ، ساقطة من ب .

(3) نجد في سيرة الاستاذ جوذر (ص 62) نص رسالة من المنصور في هذا المعنى جاء فيها :

«فاسألوا أهلي وولدي كيف كان إحساني إليهم وافضالي ونعمتي عندهم . والله ما كانوا يرضون مني بما يكفي ويزيد حتى يأخذوا مني اسرافا جزافا ، وانهم بعد أن افضت إلي الامامة والخلافة لقد ضاعوا بعدي وعدموا الفضل والاحسان الذي كنت عودتهم إياه ، اشغلي بأثقال ما حملت من أمر العباد عن التجارة ، وما كنت عودته أهلي وولدي من تلك العادة» .

وقد تنبه ناشرا السيرة إلى قرابة النصين فأوردا نص المجالس هذا في تعليقهما (عدد 67) على رسالة المنصور .

ولا نستبعد أن يكون النعمان استلهم حديث المعز هذا من رسالة المنصور .

ذلك بكثير مطعم ولا مشرب ولا نكاح ولا طرب ، وما تلذُّذه إلاّ بالحكمة ، ومثل هذه التذكرة والمواعظ الحسنة .

ولقد انتبه لأمره (1) ابن واسول،وهو أسير في عقلته،على غباوته وغلظ طبعه ، وقد سأل عن أحواله في لياليه وأيّامه ، فأخبر أنّه إذا أصبح خرج من منزله وجلس في مجلسه ودخل إليه خاصّةُ أوليائه وخدمه ، فلا يزال جالسا إلى أن ينتصف النهار ويحضرَ وقت الغَداء ، وهو / — طول ذلك — في وجوه ما يأمر به ويحكمه من أمر المملكة ،والحديث في مثل هذا من العلم والحكمة . وإذا حضر وقت قيامه دخل فطعم وصلّى ونام نومة،ثمّ قام فصلّى العصر وخرج إلى مثل ما كان عليه ، ولا يزال كذلك إلى اللّيل، ثمّ يدخل ويحضر خاصّته وينظر في الكتب والعلوم ويؤلّف الكتب أكثر ليله . فهذا دأبه إلاّ أن يخرج في بعض الأيّام لما يخرج إليه من [الا]طّلاع [على أحوال] الناس والتفرّج . فيركب في صدر النّهار ثمّ يعود فيجلس في آخره .

فعجب ابن واسول من هذا عجبا شديدا ، وقال : إذا كان هذا مع إقبال الدنيا والسّعة والعز وعنفوان / الشبيبة والقدرة ، فما عُبِدَ الله بمثل هذا .

فصل من كتاب كتب به المعزّ (صلع) إلى طاغية الرّوم في أمر أهل أقريطش (2) :

233 — قال : وكان طاغية الرّوم (3) قد رغب إلى أمير المؤمنين المعزّ لدين اللّه (ص) في الموادعة ، وبذل له على ذلك أموالا ، وكانت رغبته إليه في الموادعة مدّة طويلة أو أبديّة إن وجد ذلك . فرأى الإمام ،

---

(1) الحديث الآن عن المعز .

(2) قضية جزيرة إقريطش : نشر حسن إبراهيم حسن وطه أحمد شرف في ملاحق كتابهما رسالتي المعز إلى الاخشيد صاحب مصر وإلى الامبراطور البيزنطي ، نقلا عن المجالس والمسايرات (انظر «المعز لدين الله» طبعة 1947 بالقاهرة ، ص 303 و321) .

هذا ، وقد حلل فرحات الدشراوي كلا من الرسالتين ومن ملخص كلام مبعوث أهل الجزيرة إلى المعز في فصل نشر بمجلة الكراسات التونسية Les Cahiers de Tunisie سنة 1959 ص 317 تحت عنوان : La Crète dans le conflit entre Byzance et al-Mu'izz. ثم نشر رسالتي المعز إلى الإمبراطور ورسالته إلى الأمير الإخشيدي في العدد الثاني من حوليات الجامعة التونسية سنة 1965 ص 28–35 . هذا وقد كتبنا في المتن «أقريطش» بفتح الهمزة – أو كسرها – تبعا لما جاء في معجم البلدان (236/1) . أما في حواشينا ، فقد اقتصرنا على الاسم المصطلح عليه اليوم ، بدون همز .

(3) الامبراطور قسطنطين السابع .

لمّا تبيّن له أنّ ذلك خير للإسلام والمسلمين وليستجمعوا فيقووْا على حرب المشركين ، أن أجابه إلى موادعة خمس سنين (1) .

ثمّ اتّصل به بعدَ ذلك، وقبل أن تنقضيَ مُدّةُ الموادعة، أنّه أرسل الدّمستق (2) — الذي هو أقرب / رجاله درجة إليه وأخصّهم به — في عُدّةٍ من السّفن كثيرةٍ وجيوش ثقيلة حتّى أناخ بها على جزيرة أقريطش ، وهم في دعوة بني العبّاس .

فلمّا حلّ بهم من ذلك ما لا قوام لهم به . وعلموا أنّه ليس عند بني العبّاس نهضة ولا لهم لدينْهِم نُصرة ، أرسلُوا مركبًا فيه رجال من قِبَلِهم مع وجه من وجوههم إلى أمير المؤمنين المعزّ لدين الله يستغيثون به ويسألونه استنقاذَهم وإغاثتَهم ، فلم ير صلوات الله عليه — وإن كانُوا تنكّبُوا عنه (3) — أن يخيّب رجاءهم عنده ، ولا أن يسلّمهم للمشركين . فأمر عندما اتّصل به خبرُهم وقبل أن يصلَ إليه رسولُهم ، بالأخذ في الأهبة والعُدّة ليكونَ نفوذُ الأساطيل إليهم في أوّل زمان الإمكان . ثمّ قدم الرسول عليه / وأدّى عنهم ما أرسلوه به إليه .

فرأى أن ينبذ إلى المشرك عهده كما أمر اللّه (تع) بذلك في كتابه ، إن هو أصرّ على حربهم ، وأمر بكتاب في ذلك إليه * وأملاه على الكاتب بحضرة من بين يديه بكلام ما سمعتُ أجزلَ ولا أبلغَ منه .

فقال بعد أن خيّره بين أن يُقلع عن حرب أهل اقريطش وبين أن ينبذ إليه عهده — كما نبذ رسول الله (ص) إلى مشركي العرب عهدهم وأرسل عليًّا ببراءة (4) فقرأها في الموسم عليهم — ولقول الله أصدقِ القائلين : « وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ (5) » .

---

(1) وقعت هذه الهدنة سنة 957/346 بين المعز وقسطنطين السابع، ولكن رومانوس الثاني ، خليفة قسطنطين نقض العهد بغزوه جزيرة قريطش (انظر فصل الدشراوي ص 313) .

(2) هو نقفور فقاس ، قاد الأسطول البيزنطي إلى جزيرة قريطش وحاصر عاصمتها سنة 349 ، أي قبل انقضاء المهادنة بثلاث سنوات (المرجع السابق) .

(3) لأنهم أندلسيون أولا ، ثم لأنهم استنجدوا بالإخشيد والي العباسيين على مصر .

(4) أي ، بسورة التوبة ، وبخاصه الآية الاولى منها : «براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين» . وقيل انها نزلت سنة تسع بعد فتح مكة وأرسل النبي (ص) عليا ليقرأها في موسم الحج (انظر تفسير الكشاف ج 2 ص 172 ، وتفسير البيضاوي ج 2 ص 274) .

(5) الأنفال . 58

ثمّ قال له في كتابه (عم) :

ولا ترى أنّ دعوة أهل أقريطش قبل اليوم إلى غيرنا وقد أنابوا / اليوم إلينا واستغاثوا بنا ، ممّا يُوجب لك عندنا تمامَ الموادعة بتركهم إليك وترك اعتراضك فيهم . إنّ امتناع أهل الباطل من أهل الحقّ ليس بمُزيلٍ حقّهم وإن تغلّبوا عليه دونَهم ، بل هو لهم بتصيير الله (تع) إيّاه إليهم . فأقريطش وغيرها من جميع الأرض لنا ، بما خوّلنَا الله منها وأقامنَا له فيها ، أطاعنا منها من أطاع وعصانا من عصى ، وليس بطاعتهم يجب لنا أن نملك ولا بعصيانهم يحِقّ علينا أن نترُك ، ولو كان ذلك لكان الأمر إليهم لا لله (تع) الذي خوّلنا ولا لنا ، إن شاؤوا أعطوْنا وإن أحبّوا منعُونا ، كلاّ ! إنّ ذلك لله الذي له ما في السّموات وما في / الأرض وهو الذي اصطفانا وملّكنا وأعطانا ، ولو كان ذلك للخلق لما وسِعنَا قتالُ من امتنع منهم علينا ولا ردُّ ما انتزعوه بالغصْب من أيدينا إذا أقدَرَنا الله على ذلك وبه قوّانا .

فإن قلت أنتَ غيرَ ذلك ، وأنت ترى أنّ ما في يديك لك ، فقدْ كان رومانس (1) تغلّب عليك وعلى أبيك من قبْلك ، ثمّ دارت لكما عليه الدائرةُ . فإن رأيت أنّ من احتجزَ شيئا وتغلّب عليه فهو له دون صاحبِ الحقّ الذي ملَكه ، فلم يكن لك ولا لأبيك القيام على رومانس ولا * انتزاعُ ما صار إليه من بين يديه . فهذه سبيل أهل الحقّ عندنا . فإن اعترفتَ / لها فقد أنصفت ، وإن جهلتَها لم يكن جهلُك إيّاها حجّةً على من عرفها . وعهدُك إن تماديتَ على حرب من أناب إلينا منبوذٌ إليك ، فانظر لنفسك ولأهل ملّتك فإنّا مناجزوك وإيّاهم الحربَ بعون الله لنا وتأييده ، ولا حول ولا قوّة إلاّ به .

وفي مثل ذلك إلى صاحب مصر:

(قال) واستمدّ أهلُ أقريطش هؤلاء صاحبَ مصر وهم من أهل دعوته تجمعهم دعوة آل عبّاس ، ومراكبهم بخيرات بلَدِهم وأطعِمتها تَميير أهلَ مصر ، وهداياهُم تصل إلى عُمّالها ، فعجز عن نُصرتهم . وسأل من ينظر لأمير المؤمنين فيما قِبلَه في أن يكتب إليه (صلع) في إغاثتهم واستنقاذهم ، وأرسل /

(1) رومانوس : هو Romain Lécapène الذي اغتصب الحكم من قسطنطين السابع سنة 919 (فصل الدشراوي ، ص 314 تنبيه 30) .

قوما كانوا منهم قِبَلَه ليسألوا أميرَ المؤمنين (صلع) ويرغبوا إليه في ذلك . ثمّ أظهر أنّه ينصرهم ورمى بعض مرَاكب في البحر لمّا اتّصلَ به إنكار العامّة عليه (1) للتخلّف عن نصرتهم .

فكتب أميرُ المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) إلى من يكاتبه بمصر جوابا عن كتابه إليه بذلك يخبره أنّه قد أمر بإخراج الأساطيل وأخذ في عدّتها .

وكان فيما كتب به إليه : أن قُلْ لصاحبك : إنّ الله ــ سبحانه ــ قد خولّنا من فضله وأمدّنا من معونته وتأييده بما نرى أنّا بحَوْله وقوّته ونصره لنا وإظهارنا على عدوّنا نكُفّ أيديَ الكفرة عمّا تطاولت إليه من حرب هذا الصُّقع والإيقاع بأهله / . وقد انتهى إلينا أنّك أظهرت الحركةَ إلى الجهاد وإمدادَ هؤلاء القوم بمراكب من قِبَلِك ، وأنتَ لعمري بذلك أجدرُ لقربهم منك واتّصالهم بك ومَيْرِهم بلدَك وكونهم وإيّاك في دعوة واحدة . ولو أسلمناهُم إليك وقعدنا عنهم لما كان لك ولا لهُم علينا حجّة في ذلك ، ولكنّا آثرنا نُصرة أمّة جدّنا محمد (ص) ولم نر التخلّفَ عن ذلك وقد رجَوْنا له ، وألقَوْا بأنفُسهم إلينا فيه . ونحنُ لا نحول بينك وبين الجهاد في سبيل الله ، ولا نمنعُك من تمام ما أمّلْت منه ، فلا يكُن ما يتّصل بك من إنفاذ أساطيلنا يُريثُك عن الذي همَمْتَ من ذلك ، وأن تخشى على من تبعَثُ به وعلى مراكبك منّا ، فلك / علينا عهدُ الله وميثاقُه أنّا لا نكون معهم (2) إلاّ بسبيل خيرٍ ، وأنّا نُحِلُّهم محلّ رجالنا ، ونجعل أيديَهم مع أيدينا ونشركُهم فيما أفاء الله علينا ، ونُقيمُهم في ذلك وغيرِه مقامَ رجالنا ، ومراكبَك مقام أساطيلنا حتّى يفتحَ لنا إن شاء الله ، ثمّ ينصرفوا إليك على ذلك أو يكون من أمر الله وقضائه ما هو فاعله . فاعلم ذلك وثق به منّا ، ففي تظافر المسلمين على عدوّهم واجتماع كلمتهم إعزازٌ لدين الله وكبتٌ لأعدائه . فقد سهّلنا لك السبيل ، والله على ما نقول وكيل .

فإن وثقْتَ بذلك ورأيتَ إيثارَ الجهاد فاعمل على أن تُنفِذَ مراكبَك إلى مرسى طنبة (3) من أرض برقة / لقرب هذا المرسى من جزيرة أقريطش ، ويكون اجتماعُهم

---

(1) ب : ويرغبوا إليه في ذلك أنه ينصرهم ورمى بعض العامة عليه ...

(2) ب : منهم .

(3) لم نهتد إلى هذا الموضع في المعاجم ، ولعله تحريف عن « لبدة » وهي مدينة أثرية على الساحل بين [illegible] وبرقة ، وإن كان الأقرب إلى الظن أنه مرسى واقع بين الإسكندرية شرقا وأجدابية غربا جزيرة قريطش .

مع أساطيلنا بهذا المرسى مستهلّ ربيع الآخر (1) بتوفيق الله وقوّته وتأييده ونصره وعَوْنه .

وإلاّ ترى ذلك فقد أبلَغْنَا في المعذرة إليك والنّصيحة لك ، وخرجنا ممّا علينا إليك . ونحن بحول الله وقوّته وتأييده ونَصْره وعَوْنه مستغنُون عنك وعن غيرك ، وعلى عزم وبصيرة في إنفاذ أساطيلنا ورجالنا وعُدّتنا وما خوّلنا الله إيّاه وأقدرنا عليه ممّا نرى بحوله وقوّته أنّا نبلغ به ما نؤمّ إليه بذلك ونصمد نحوه . فبالله نستعين ، وعليه نتوكّل ، وعلى تأييده نعوّل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل / * (2) .

كلام في بصيرة أمير المؤمنين في جهاد المشركين (3) :

234 — (قال) ولمّا قدم عليه (ص) رسول أهل أقريطش أمر بإدخاله إليه ، فلمّا مثَل بين يديه قبّل الأرض مرارًا وأدّى إليه عن القوم ما أرسلوه به من تَضرّعهم واستغاثتهم وسُؤَالهم ورَغبتهم واسترحامهم ، وجعل يذكر له قدر البلد وموضعَه من بلد الروم ومن مصر ، وأنّه فرضة لهما ، وأنّ الله (تع) — إن أقدَرَه على دفع المشركين عنه وملّكه — كان سبب فتح القسطنطنية والمشرق عليه إن شاء الله . وعدّد ما فيه من الآلات والمعادن ، وما يتهيّأ به من إنشاء الأساطيل وقربه من القسطنطنية ومن مصر ، في كلام طويل ذكره .

فقال المعزّ (ص) / : نحن — بحول الله وقوّته — نبلغ من تحقيق آمالكم وتصديق ظنّكم فينا حسب ما أمّلتموه ورجوتموه . وقد أمرْنا بتجهيز الأساطيل مُذْ بلَغَنا مصيرك إلينا ، ولو كان أهل بلدك عجّلوا ببعثك لرجونا أنّه لم تكن أساطيلنا هذا الوقتَ إلاّ عندَهم ، ونحن نرجو من (4) الله إذ وفّقَهم إلى التّطارح إلينا أن يؤيّدَهم ويُثبّتَهم إلى أن تصل أساطيلُنا إليهم ويستنقذَهمُ الله بذلك بمنّه وفضله وبما عوّدَنا من تأييده ونصره . وغرضُنا في ذلك القيام بما أوجب الله (تع) علينا من الجهاد لعدوّنا واستنقاذ مَن أناب إلينا من أمّة جدّنا ونصرتِهم ومعُونتِهم .

---

(1) من سنة 961/350 (انظر فصل الدشراوي ص 312) .
(2) نشر الدشراوي هذه الرسالة ، ص 33—34 من الحوليات عدد 2 .
(3) هذا العنوان ناقص من ب .
(4) في أ و ب : ان .

وأمّا أعراض الدنيا فقد / ملّكنا الله (تع) منها وأعطانا وخوّلنا ما يجاوز الآمال والغايات، ويفوتُ الأمانيَ والنهايات، ونحن على ثقة مِن وعده إيّانا إيراثَنا الأرضَ كما قال الله في كتابه، وإظهارَنا — بحوله وقوّته — على جميع أعدائه. فطِبْ نفسا وأقِمْ إلى أن تنصرفَ مع أصحابك في أساطيلنا.

وأمر بردّ رَجُلَيْن من أصحابه مع رِجالٍ من قِبَله إلى أهل أقريطش بجوابهم وبما عزم عليه من إغاثتهم ونُصرتهم في أوّل وقت الإمكان من الزمان إن شاء الله (تع) (1).

حديث في مجلس في ذكر فضل المنصور (ص):

235 — (قال): وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوما — وأنا جالس بين يديه — ما لاقاه المنصور، — قدّس الله روحه وصلّى / الله عليه وعلى آله وآبائه — من حرب أهل الفتنة إلى أن جلّاها اللهُ (تع) على يدَيْه، وما مرّ عليه (ص) في ذلك من التّعب والنّصَب، ومقاساةِ السّفَر ومباشرة الحرّ والقُرّ، وما خرج إليه من ذلك دفعةً بعد الخَفضِ والدّعة من غير دُربةٍ في ذلك ولا ممارسة، وما عرض له لذلك من العلل.

فقلت له: يا مولاي، لئن كان قاسى لذلك جسيما، فقد كشف الله (تع) بذلك على يدَيْه عن الأمّة بلاء عظيما، وحصّن به (عج) دينَه من أن يبدّل، وسنّةَ نبيّه محمّد (صلع) من أن تُغيَّر.

فقال: أجل، وما زال (ص) في محنة عظيمة ومزاولة شديدة إلى أن نقله الله إلى دار كرامته ومَحَلّ راحته / وقرار جنّته.

ثمّ قال (عم): لقد دخلت إليه في آخر أيّامه (ص) وقد اشتدّت عِلّتُه، فرأيت منه ما عرفتُ /له/ الموتَ في وجهه، فما تمالكت أن استعبرتُ، فنظر إليَّ وقال: ما لك؟

قلت: أفكرت (2) فيك وفي المهديّ بالله — قدّس الله روحه — وأنّه مذ أفضى الله (تع) إليه بما أفضى به من كرامته وإن كانَ/ت/ المحن قد عارضته، فقد آل أمره

(1) ص 34–35 من عدد الحوليات المذكور.
(2) أ: تذكرت. وأفكر في الأمر مثل فكر.

إلى راحة طويلة ودَعة ونِعمة . وأنت ـ صلوات الله عليك ـ فمذ أفضى الله (عج) بهذا الأمر إليك لم (1) تنفكّ عن الحروب والمقارعة والأسفار والمزاولة إلاّ إلى العِلل والأسقام والأمراض والآلام ، فأسألُ الله لأمير المؤمنين تعجيلَ الراحة ودوامَ العافية / .

فقال : لئن قلت ما قلت فيما عرفته فظهر (2) إليك ، لَلّذِي استتر وغابَ عنك أكثرُ . أتدري مُذْ كم أنا أزاول المحن ؟

قلت : مُنْذُ كم يا أميرَ المؤمنين ؟

قال : مذ والله قبَض الله المهديّ بالله (عم) صرت إلى المحَن العظام * وإن كنت لمتحَنًا قبل ذلك بمِحَنٍ كثيرة . إنّه لمّا كان من أمر الله في (3) المهديّ (ص) ما كان ، لم يتقدّمِ القائمُ (عم) للصّلاة عليه حتّى أخذَ بيدِي وخلا بي فقلّدني عهدَه وأسرّ إليّ ذلك واستكتَمَني إيّاه . فوالله ، ما علم بذلك منه إليّ ، بعد الله ، غيري (4) . وأقمتُ مدّةَ أيّام حياته ثلاثَ عشرة سنة (5) أنظر إلى من قرُبَ منه ومن بعُد عنه (ص) يسعَوْنَ بالفساد في دولة/ هي لي قد قلّدَني الله أمرَها ، وأنا كأقلّ الأبعدين لا آمُر ولا أنْهى ، ولا أتعرّضُ لشيء أنكره ولا أومِىءُ إليه ، ولا إلى شيء يتَوَهّمُ من أجله عَلَيّ شيءٌ ممّا أنا فيه ، وأهلُ خاصّتي يُؤْذَوْنَ ويُسْتَطَال عليهم فلا يجد

(1) أ : ثم لا .

(2) أ : فنظر .

(3) في ، سقطت من ب .

(4) في أ و ب : غيره . وإنا نفهم من كلام المنصور هنا أن القائم عينه وليا لعهده منذ وفاة المهدي في 14 ربيع 1 سنة 4/322 مارس 934 ، وأن هذا التعيين لم يعلم به إلا القائم والمنصور نفسه . (أنظر تعليقا في ص 137) . وقد جاء في ص 220 أن بعض شيوخ كتامة كان على علم من التعيين .

ونجد في سيرة الأستاذ جوذر (ص 40) أن القائم أعلم بالتعيين حاجبه جوذر ، وأمره بكتمان « الخبر أشد الكتمان حتى أظهره بنفسي في الوقت الذي يشاء الله ذلك ويختاره » . وقد بين ناشرا السيرة في التعليق 28 هذا التضارب بين رواية جوذر ورواية النعمان ، ونسبا القاضي إلى « الوضع والتدليس » ، فرجحا ـ ضمنيا ـ رواية جوذر .

(5) هنا أيضا خلاف بين الروايتين . فبينما يقول جوذر : « فكتمت أمر المنصور في نفسي لم يطلع على ذلك مني أحد سبع سنين » (ص 40) ، نرى النعمان يقول ، نقلا عن المنصور ، ان الستر استمر ثلاث عشرة سنة ، أي ، إذا انطلقنا من 322 ، سنة وفاة المهدي ، إلى سنة 335 ، مع ان القائم توفي في 13 شوال 334/ماي 946 . وقد نبه ناشرا السيرة إلى هذا التضارب أيضا .

على أن النعمان نفسه ينقل عن المعز (ص 468) أن الكتمان دام اثني عشر عاما . والاعلان على تعيين المنصور كان، حسب رواية ابن حماد (أخبار ملوك بني عبيد ص 21) وابن عذاري (البيان ج 1 ص 218) من القائم إلى وجوه كتامة في رمضان 334 ، أي قبل وفاته بشهر تقريبا .

عندي أحدٌ منهم نُصْرَةً ولا قياما أكثر من أن أقصيهم عن نفسي وأبعدهم عن قربي ، ويُنال مني وأسمعُ ، وتُهْضَم أموالي وتؤكَلُ ، وأنا في ذلك كلّه بمعزل أتجرّعُ غُصصَ الغُموم وأتحمّل فادحَ النّوازل صبرًا على ما حُمِّلتُ، وقياما بما قُلِّدتُ، وحفظا لما استُرعيتُ، وصيانةً لما استُودعت من أن تستحثّني فيه أبّهةُ القدرة أو أن يظهرَ عليّ منه عزُّ المملكة . ولو بقيتُ على ذلك أيّامَ حياتي / ما عدوتُ ما كان منّي ، ولو شئت لبسطتُ يدي ولساني وأنفذْتُ أمري ، لأنّ الله (تع) قد جعل إليّ (1) ذلك ولكنّني لم أزل على ذلك من حال إلى أن كان من أمر الله (تع) في القائم (عم) ما كان ، وكان من الأمر ما قد انتهى إليك وشاهدتَ ، وذلك هو الذي علمتَ . وإنّه — في جانب ما قد مضى عليّ ولقيتُه من قبْله — لأقلُّ من أن ألتفتَ إليه أو أذكره .

فاستعْبرت لما سمعتُه من ذلك ، وأكثرتُ من الصّلاة على المنصور (عم) /و/قلت : يا مولاي ، هذا واللّه الصّبر الذي وعد الله (تع) أن يُوفّيَ أهلَه أجرهم بغير حساب .

ولقد روينا * عن عليّ (ص) ما ذكره ممّا امتحنه الله به في حياة رسول / الله (صلع) (2) وبعد وفاته من المِحن التي يَمتحن بمثلها أولياءه ، فما بلغتْ كلُّها ما ذكره المنصور (ص) في هذه الواحدة وما قد عرفنا من حاله يومئذ وما جرى عليه ممّا أجْرَى جملةَ خبره في حديثه هذا . ولقد كنّا نَتعجّب من خموله وتواضعه وتوقّيه أيّامَ القائم (صلع) ومحلُّه منه محلُّه ، ونحن لا ندري ما أفضى الله به إليه يومئذ ونستعظم ذلك منه ، فكيف لو علِمْنا بما أصاره الله (تع) إليه ؟

فقال المعزّ لدين الله (ص) : إنّ عليّا وإن كان قد امتُحن بما امتحن به لم يكن يدَع (صلع) شيئا في نفسه يحمل (3) ألمَه عليه حتّى يَضربَ به وجوهَ المخالفين له والمُعاندين عليه (4) والمتخلّفين / عنه ، إمّا /ة/صريحا وإمّا تعريضا ، وفي ذلك

---

(1) أ : لي .
(2) ب : سقط من « ما ذكره — إلى — رسول الله صلع » .
(3) أ : يجد ، بعد تشطيب على : يحمل .
(4) « عليه » ساقطة من أ .

بعضُ ما يُسلّي الغمّة ويذهب العلّة . والمنصور (ص) كالمغضي على شوك القتاد والقابض على جمر الغضا، ثمّ لا يرى أنّه في شيء من ذلك أخصُّ الناس به وأقربُهم إليه صلاة الله ورحمته وبركاته عليه من صابرٍ على أمر الله محتسب فيه . فضاعف الله له أجرَ ذلك وأحسن عليه جزاءه .

كلام في مجلس في النهي عن استقلال فضل الله عزّ وجلّ :

236 — (قال) : وسمعت الإمام المعزّ (ص) يقول : إنّا ربّما أردنا أن نستعملَ بعضَ رجالنا وعبيدنا على العمل فيستقلّه من نَنْدُبُه إليه ويحتقرُه ، ويرى نفسَه فوق ما ندبناه إليه وأردنا استعماله عليه ، فينحطُّ / عندنا بذلك حتّى نراه دونَ ما أردناه له ، لأنّه قيل : من رَفَعَتْه الوِلايَة وتشامخَ لها فهي فوقَه وهو دونَها ، ومن تواضع فيها فهي دونَه وهو فوقها .

ثمّ قال (عم): أفلا ينظر هؤلاء الجهّالُ الحمقى أنّ الذي يأنفُون منه من الأعمال قد تقلّدناه (1) نحنُ ؟ فهيَ بعضُ أعمالنا ما رغبنا عنها ولا رفضناها،وإنّا لننظر فيها بحسَب ما ننظر في أعلى الأعمال وأجلّها ، فيأنفون ممّا لا نأنف عنه ، وَيُجِلّون أنفسَهم عمّا لا نُجِلّ أنفسنا عنه . إنّما لهم فينا أسوة ، ثمّ أعظم من ذلك وأجلّ : إنّ اللّهَ عزّ اسمه وتعالى ذكره هو خالق ما استنكفُوا منه ، ومدبّرُه والناظرُ فيه بحكمته ، ما أهمله ولا ضيّعَه / بل رعاه وحفظه ، واستحفظنا إيّاه . فما كان الله تعالى قد ولّيَه برعايته واسترعانا إيّاه فرعيناه بما خوّلنا من فضله نسترعيه هؤلاءِ الجهّالَ فيأنفُون عنه استكبارا بأنفسهم ورفعة بها عمّا وليَه الله — جلّ ذكره — وولّيناه بأمره .

وجعل يتعجّب من ذلك ، فسمعت منه في هذا المعنى ما لم أظنّ أنّني أسمع مثلَه من الحكمة والتحذير والموعظة .

فقلت: يا مولاي، ما ذهب بنفسه عن شيء تأمر به ، ولو كان كسحَ المراحيض والأزبال ، إلاّ من تعدّى طوره وجهل قدرَه . أوَ لم يعرف ما أوجب الله (تع) لك عليه ؟

(1) [illegible]

ثمّ قلت : هذا فلان — لرجل قد كان من أقرب من كان إلى / المهديّ بالله (صلع) — كان أوّل ما استخدمه فيه شراء التّبن وخزنه ، ثمّ ترقّت به الأمور إلى أن صار إلى ما صار عنده (ص) . ولئن يكون المتولّي يتولّى القليل ثمّ يرتقي منه إلى ما فوقه لخيرٌ له من أن يتولّى جليلا ثمّ ينحطّ عنه .

فقال (عم) : التّبنُ ممّا تلزم(1) الحاجة إليه وكذا وكذا — وعدّد أشياء كثيرةً من صغائر الأشياء وخسيس الصنائع — فإذا ندبنا إلى ذلك مَن يتكبّر عنه ، أفليس قد أخلّ ذلك بما يحتاجُ إليه ؟ إنّ الله قد استخدم النبيّين أفضلَ عباده عنده في طاعته فيما استخدم فيه سائرَ خلقه فما أنِفوا عمّا استخدمهم فيه (2) ، ولا جعلهم في ذلك فوقَ عباده . فهم يَستَنْجُون ويتطهّرون ويتناولون من ذلك / بأيديهم ما يتناولُه عامّةُ المؤمنين بها (3)، ما رفعهم الله عن ذلك ، ولا استنكفوا هم عنه كما يستنكف الجهّال عمّا نندبهم إليه .

فجاء أيضا في ذلك (صلع) بما لا يخطر على القلوب، وما لم يُسمَع بمثله في حكمة تقدّمت ولا موعظة سلفت .

كلام في مجلس في إحياء شرف الآباء :

237 — (قال) : وسمعته (ص) يخاطب بعض الأولياء ممّن كان له أسلاف تقدّمت لهم رئاسةٌ في أيّام المهديّ والقائم — صلوات الله عليهما — ثمّ انقرضوا وزالت تلك الرئاسة من أسلافهم ، وخمل ذكرهم ، وقلّت ذاتُ أيديهم . فأراد (ص) أن يحييَ ذكرهم ويصرفَ إليهمُ العملَ الذي كان أسلافهم عمّالا عليه ، وذُكروا به / وشرُفوا من أجله . فأحضرهم وقرّبهم وذكر ذلك لهم وما أمّله فيهم ، فشكروا فضله بما قدروا عليه ، وقبّلوا الأرض مرارا بين يديه .

فقال (ص) فيما قال لهم :أردنا أن نصل عوارف آبائنا (ص) عند (4) أسلافكم فيكم ، ونحيي ذكرهم بكم ، ونلُمّ شعثكم ، ونرفع من حالكم ، فكونوا

---

(1) أ : تكرم .
(2) سقط من أ : فما ... فيه .
(3) أ و ب : بهم .
(4) أ : عن .

حَيْثُ نُريده منكم ، ونقدّره من الخير فيكم ، فأعينونا على ما أردناه من الخير بكم بصالح أعمالكم وحسن نيّاتكم وطوّياتكم ، فإنّا نقدر على تغيير حالكم وسدّ فقركم وأن نُغنيَكم ، ولا نقدر على صلاح ما تفسدونه من أنفسكم إذا أنتم لم تَقبلوا على أمرنا إيّاكم ووعظنا لكم ، فما السعيدُ كلُّ السعيد إلاّ من / قَبِل عنّا وامتثل أمرَنا وأطاعنا ، ولا الشقيّ إلاّ من خالفَنا وارتكب نَهْينا ، وما نريد بكلّ ما نفعلُه فيكم ممّا تحبّونه أو تكرَهونه وتعرفونه وتُنكرونه إلاّ صلاحَكم والخيرَ لكم في دنياكم وأخراكم . إن أحْسَنّا إلى مَن نُحسِن إليه منكم ورَفَعْنا من نَرفَعُه وأنعمْنا على من ننعم عليه ، فما نريد منه بذلك إلاّ أن يعرف فضلنا فيشكرَه ويعمَل من صالح العمل ما يستديمه به ، ويمتريَ منّا المزيد منه ، ويصلَ إلى رضوان الله به ، ويرضى بنا عنه . وإن عاقَبْنا من نعاقبه فما نعاقبه(1) إلاّ تأديبًا له ، وليرجع عمّا أنكرناهُ عليه ونقمناه من أمره إلى ما يرضي الله (تع) عنه ويرضينا منه فيسعد بذلك / في الدنيا والآخرة . وإن قتلْنا منكم من نقتله ممّن يجب القتل عليه ولا يسعُنا أن نُبقيَه ، فما ذلك منّا فيه إلاّ تطهيرا له وتمحيصًا لذنوبه ، وما دونه لغيره ممّن نرجو أن يردعَه ما رأى(2) فيه ، عمّا هو من الفساد عليه ، وكلّ ما تجري به أمورُنا فيكم فهو صلاح لعامّتكم كيفَمَا(3) جرى تدبيرُنا فيكم ومضت أحكامنا عليكم ما سلّمتم (4) لأمرنا ورضِيتم بحكمنا .

حديث في مجلس في إنكار فعل (5) من غيّر دين الله :

238 — (قال) : وسمعته (ص) يذكر تغيير بعض الدعاة أمورا غيّروها وأحكاما حكموا بها وأصولا أصّلوها من العلم بزعمهم في بعض الجزائر على رأيهم واستنباطهم ، وأضافوها / إلى قول الأئمّة الطاهرين (صلع) ، فقال : نحن نبرأ إلى الله (تع) من هؤلاء وأمثالهم ومن أفعالهم ، وما هم لنا بأولياءَ ولا كرامةَ لهم ، ولا يدعُون إلينا وإن ادّعَوا في ظاهر أمرهم . إنّما أولياؤُنا من قال بقولنا واتّبع أمرَنا ولم يتقوّلْ علينا ما لم نَقُلْهُ . وأمّا من تقوّل علينا الباطلَ ونسبَه

---

(1) ب : سقط : فما نعاقبه .
(2) في النسختين : أرى .
(3) في النسختين : وكيف ما ...
(4) « ما سلمتم » ، ساقطة من أ وألحقت بالعنوان الموالي .
(5) أ : ... فعل ما سلمتم من غير ...

إلينا وخالفَ أمرَنا ودعا إلى من قال بذلك القول الذي ابتدَعَه ، وذهب إلى المذهب الذي اخترَعَه ، فإنّما دعا إلى نفسه من اتّبعه وكذب علينا ، والله سائلُه . واللّه لو صدق الدعاة إلينا عنّا ، وأدّوْا إلى الناس قولَنا ولم يتقوّلوا علينا ، ما تخلّفَ أحد عنّا ممّن يتّبعُ قولَنا ،وعرَف مذهبنا / . ولكنّ هؤلاءِ وأشباهَهم /هم/ الصادّون 438 عن الله وعنّا ، المبدّلون لقولِ الله وقولِنا ،المحرّفُون لكلام الله * وكلامنا . فبُعدا وسُحقًا لهم وبئسَ المصير ! إنّما أرادوا استعجالَ حطامٍ نالوه من أموال مَن استفزّوه وغرّوه منّا . فقد نالوا من ذلك ما طلَبوه ، واقتدوا به وتعجّلوه ، فذلك حظّهم الذي قصدُوا إليه وأرادوه ، وحسبهم به عِوَضا من ثواب الله الذي قصدوه ، وبناره وسعيره وعذابه جزاءً بما فعلوه !

الجزء الثاني والعشرون

بسم الله الرحمان الرحيم

كلام في مجلس في التواضع لله تعالى وإقامة فرضه :

239 ـ قال القاضي النّعمان / بن محمد : وحضر عيد الفطر وتقدّمه نَوْءٌ عظيم وكثُر الوحل والطين . وذُكر ذلك للإمام المعزّ لدين الله (ص)، وما بالمصلّى منه وما في الطريق إليه من الماء والوحل والطين ، وظنّوا أنّه يُصلّي صلاة العيد في المسجد ، فقال (ص) : يكون من ذلك ما كان ، لابدّ من قضاء فرض الله (تع) في البراح على ما أمر به جلّ ذكره وسنّةُ رسوله (ص) . وذكر حديث النبيّ (ص) أنّه ذكر ليلة القدر من شهر رمضان فقال : رأيت أنّي أسجد فيها في ماء وطين، وأنّ الناس أمطروا بعد ذلك ، فوكف المسجد وصلّى رسول الله (ص) ، فانصرف من الصلاة وقد أثّر الطين والماء في جبهته وأنفه / لسجوده فيه (1) .

وقال المعزّ (ص) : وهذا من أقلّ ما ينبغي أن يفعل في ذات الله وأكثر منه ، والله لو حَبَوْنَا في هذا الطين حبوًا على الرّكب وكان ذلك ممّا يرضي الله عنّا ويقبله مِنّا لفعلْناه . إنّ رسولَ الله (ص) يقول : إذا سمعتم داعي آل بيتي فسارعوا إليه

(1) رأيت أني أسجدَ في ماء وطين : ذكره البخاري ج 3 ص 61 ومسلم ج 3 ص 171 و172 .

ولو حبوا على الثّلج والنار (1) . فإذا كان الله (تع) قد أوجب لنا هذا على عباده ونحن خلق من خلقه قد ابتدأنا بفضله وأنعم علينا بإحسانه، فكيف * بما يجب له علينا وعلى الخلق جلّ ذكره أن نرخّص فيه أو نتعاظمَ مشقّةً تدخل علينا من أجله ؟ معاذ الله أن نستكبر عن عبادته أو نستحسر (2) في طاعته (3) !

وخرج (عم) / وخرج الناس في غد يخوضون الماء والطين فما انصرفوا إلاّ وقد تخضّبوا فيه ، وامتلأت ثيابهم منه ، وكان مشهدا يرضي الله من وليّه وممّن ذهب فيه مذهبه إن شاء الله .

كلام في موقف بكّتَ وليُّ الله [فيه] بعضَ من صدف عن أمره :

240 — (قال) وكان هذا العيد وقد أمكنَه الله من محمد بن واسول المدّعي إمامة المسلمين والمتسمّي بأمير المؤمنين ومن ابن بكر صاحب مدينة فاس الغامطِ نعمتَه الكافر إحسانَه ، وكانا يومئذ معتقَلَيْن في سقيفة القصر ، وكان وصولهما في آخر شعبان (4) . وظنّ الناس أنْ سيُقتَلا إذا وصلا ، فلمّا أبقِيَا قيل : إنّهُما يوم الفطر يُقتلان . فلمّا / انصرف (ص) ودخل إلى داخل قصره ، أحضرهما إليه ، فمثلا بين يديه — وهو قائم على فرسه والرّمحُ بيده — فقبّلا الأرض ووقفا ، فقال لهما : أيّهما كان أحسن لكما : أن تكونا اليوم في مثل حالكما هذه بمَعْصِيتِكما وعداوتكما، أو تكونا اليوم في جملة أوليائنا ومن ائتمّ بنا ، فتقضيان فرض ربّكما معنا ، أو حيث كنتما على طاعتنا التي افترضها الله — تعالى — عليكما وعلى سائر خلقه ، وأنتما وادعان سالمان آمنان ؟

فلم يفهم عنه ابن واسول ما قاله ، وأظنّ الخوفَ والذعر غلب عليه ، فقال : بل الذي نحن فيه يا مولانا أفضل . فتبسّم أمير المؤمنين لمّا علِمَ بأنّه لم يفهم عنه/.

---

(1) حديث إذا سمعتم داعي آل بيتي فسارعوا إليه ، ولو حبوا على الثلج والنار . ذكر ابن ماجه حديثين بلفظ مغاير : رقم 4082 يختم بعبارة : فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج .
ورقم 4084 : فإذا رأيتموه ، فبايعوه ولو حبوا على الثلج، فإنه خليفة الله المهدي . ورواه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح على شرط الشيخين .

(2) ب : نستخف .

(3) ب : عبادتـه .

(4) من سنة 959/358 . وذكر شعبان هنا غريب ، لأن حصار فاس انتهى يوم 20 رمضان من هذه السنة ، وأحمد بن بكر كان أمير فاس وقتها .

وأظنّ البائس إنّما ظنّ أنّه(1) خاطبه بمثل ما خاطبه به قبل* ذلك. فإنّه(صلع) قال له قبل ذلك في يوم أحضره إليه : والله إنّك في حالك هذه التي أنتَ فيها — وإن كنت في الأسر والوثاق — لأفضل ممّا كنت فيه من معصية الله بتخطّيك إلى ما تخطّيْتَ إليه ، وتسمّيك بما تسمّيتَ بِهِ ، وإن كرهتَ ما أنت اليوم فيه . فقال : هو كما قال أميرُ المؤمنين (صلع) . فأحسبه ظنّ أنّ الخطاب الذي خاطبه به أمير المؤمنين (ص) في هذا المقام كذلك كان .

فأعرض عنه (ص) لمّا رآه لم يفهم قولَه ، وعطف على ابن بكر فقال : أنت يا ابن بكر أمكننا الله منك وأنت على غيّك ، فمننّا عليك ، وأطلقْناك من أسرك/ وصرفناك إلى بلدِك،فما رعيْتَ الإحسانَ بل غمطت النِّعَمَ وتغلّبت على البلاد دوننا، ودعوت (2) إلى غيرنا (3) . وتقول، فيما انتهى منك إلينا : هؤلاء الفواطمُ — تعني الذين بناحيتك — تسترضي أحدَهم بقلّة من نبيذ وأتْرُجتّيْن تُهدي ذلك إليه، وتعني أنّا نحن لا نرضى منك إلاّ بالكثير . فلو عقلت لعلمتَ أنّ الرّاضِي منك بما وصفتَ ، مثلُك في الحال أو دونك ، وليتَك أقمتَ لنا ظاهراً أو كنت واصَلْتَنا بأترجّة لعلّك كنت تستميلُنا بها كما زعمت أنّك استملت من استَمَلْتَه ، ولكنّك نابَذْتَنا وصارَمْتَنا . ثمّ صارت (4) عساكرنا إليك ، فأظهرتَ أنّك على الطاعة وغلقْت/ دونهم أبوابَ مدينتك ، ولم تخرج إلى عبدنا قائد عسكرنا (5) ، وسألك أن تبعثَ بابنك ليكونَ عندنا ، فأومأتَ إلى أسْوَدَ بين يديك ، وقلت لرسولي إليك : لو سألني شعرة من رأس هذا الأسودِ ما أعطيتُه إيّاها ، وتقاتل عساكرنا ، وتقتل أولياءَنا . ثمّ تكتب إلينا أنّه كانت بينك وبين القائد هينمة ، وتسألُنا أن نُحِلّك محلّ الأولياء * عندنا . أفترى لو أنّك أسخطتَ بعْضَ نسائك بعضَ (6) السخط فقابلتَها بمثل هذا الذي قابلْتَنا به ، أكانت راضيةً منك به ؟ فإيّانا يا شقيُّ تقابل بمثل هذه المقابلة ، وعلينا تجترىء بمثل هذه الجرأة ؟

(1) أ وب : انما .
(2) أ : سموت .
(3) أي إلى المروانيين بالأندلس .
(4) جوهر الصقلي .
(5) ب : سارت .
(6) ب : هذا السخط .

يقول له (صلع) مثل هذا ، قولَ مُغْضَبٍ / ، والرمحُ بيده يديره فيها وسنانُه من قِبَل الفاسق ابن بكر ، فظنَّ كثير ممّن حضر أنّه سيرسله إليه حتّى لقد تنحّى من كان واقفا إلى جانبه . فأسكت الخائب ودهش ، وأكثر ما قدر أن يقول : يا مولاي ، أنا عبدك وقد أخطأتُ .

ثمّ عطف عليهما فقال : ما كنتما فاعلَيْن بمن حلّ عندكُما محلّكُما عندي لو أنّ الله أقدر كلّ واحد منكما عليه كما أقدرني عليكما ؟ فسكتا . فنظر إلى ابن واسول فقال : قل — والله الشاهد على ما في قلبك — : ما كنتَ صانعا في ذلك ؟

فقال : ومن أنا حتّى أشبّهَ بعبدٍ من عبيد أمير المؤمنين (ص) ، فكيف به في شيء من فعله ؟

ثمّ تفحّج فرس أمير المؤمنين / فبال ، فتباعد كثير ممّن كان حولَه ، وتنحّى ابن واسول قليلا ، وكان قبالته ، وقد جرى من بول الفرس نحوه . فقال له أمير المؤمنين : لمَ تأنّفْتَ من بول الفرس ؟

فسكت . فقال : قل لي في ذلك ولا علَيْك ، فقد ترى كثيرا من عبيدنا فعل مثل ما فعلت .

فقال : يا أمير المؤمنين ، قيل لنا إنّه نَجِس .

فقال : ولمَ قُلْتُم إنّه نجس ؟

قال : لأنّه لا يؤكل لحمه ، وما لم يؤكل لحمه فبوله نجس (1) .

فقال له : وكيفَ لا يؤكَلُ لحمُه ؟ أو لم يبلُغْك أنّه يباع في مجازر المسلمين في كثير من أمصارهم ؟

ثمّ نظر إليّ فقال : ما تقول أنت يا نعمان في ذلك ؟

قلت : أقول فيه كما قال مواليّ وما رويناه عنهم عن رسول / الله (صلع) أنّ عليّا قال : مرّ رسول الله (صلع) برجل من الأنصار وبينَ * يَدَيْه فرَسٌ له

---

(1) يذهب الشافعي وأبو حنيفة إلى أن أبوال الحيوان كلها نجسة . أما مالك فقاسها على لحوم الحيوان : فما حرم لحمه ، فبوله نجس (انظر بداية المجتهد لابن رشد ج 1 ص 77 . وانظر كذلك : عبد الرحمان الجزيري : الفقه على المذاهب الأربعة : باب الطهارة) . ويفهم من جواب ابن واسول أنه متفقه في الدين سني المذهب (بعد أن كان خارجيا) .

يكيد بنفسه (1) فقال له رسول الله (ص) : اذبَحْه يضاعَفْ لك أجرُه بذبحه و احتسابك إليه (2)

فقال : يا رسول الله (صلع) ، ألي منه شيء ؟

فقال : نعم ، كُلْ وأهد إلَيْنَا إن شئتَ . فذبحه وأهْدَى منه فخِذا إلى رسول الله (صلع) .

قال (عم) : فأكل منه رسول الله (ص) وأطعمنا (3) .

قلت : وعلى هذا أكثر العامّة يُجيزُونَ ذبح الخيل وأكلَ لحومها . فأمّا أهلُ البيت (ص) فإنّهم يرون ذبح(4) ما عطِب منها ويئِسَ مِنْ حياته—[كان] وهكذا الذي وُصف أنّ رسول اللّه (ص) أمر بذبحه لمّا كان يكيد بنفسه — ولا يرَوْنَ ذبحَ الصحيح السالم / منها لقول اللّه (تع) : « وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً (5) » . وقوله : « وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ (6) » . فأباحوا ذبحَ ما عطِب منها ويئِسَ من حياته (7) وأكلَ لحمه ، بالخبَرِ ، وتوقّفوا عن ذبح السالم الصحيح منها ، بالنصّ لما فيها من عزّ الإسلام وقوّة أهلها وزينتهم إذا كانت سليمةً . فإذا عطِبَت ويئِس منها زال عنها هذا المعنى وحلّ ذبحُها وأكْلُ لحمِها بالحديث ، وبقول الله (تع) « وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (8) » .

وقد روي عن رسول الله (ص) في ذلك أخبار كثيرة .

---

(1) أي يجود بها .

(2) النسائي (ج 7 ص 201—202) ، ابن ماجة (ص 1064 رقم 3190—3191) الترمذي (ج 7 ص 294) البخاري 7 ص 123 .

(3) ذكر القاضي النعمان هذا الحديث في باب الاطعمة من كتاب الدعائم (ج 2 ص 124) ، مع اختلاف يسير في المتن . ولكننا لم نجد في المسانيد السنية أن الرسول قد أكل من لحوم الخيل . وإنما جاء عنه أنه رخص فيها ، وتذكر كل المسانيد حديث أسماء بنت أبي بكر مع بعض الاختلاف في السند والمتن . والحديث : « نحرنا (أو ذبحنا) فرسا على عهد رسول الله فأكلناه (فأكلنا لحمه أو من لحمه) . (انظر البخاري ، ذبائح ، 27 ، مسلم : باب الصيد ، 38 ، النسائي ، ضحايا ، 23 ، ابن ماجه ، ذبائح ، 12 ، وأحمد ابن حنبل ، ج 6 ص 346) . أما لحوم الخيل ، فقد اختلف العلماء في إباحة أكلها . فمذهب الشافعي والجمهور من السلف والخلف انه مباح لا كراهة فيه . أما المالكية فقالوا : المشهور عندهم تحريم الخيل ، وفيه قول بإباحتها . وأما الحنفية فقالوا : يكره أكل الخيل كراهة تنزيه على المعتمد . (انظر بداية المجتهد ج 1 ص 455 « ذوات الحافر الانسي » ، والجزيري : الفقه على المذاهب الاربعة ، قسم العبادات ص 611) . ونضيف هنا أنه وردت في المسانيد السنية و كذلك عند الشيعة أحاديث تنهى عن أكل لحوم الخيل .

(4) سقط من ب : الخيل ... ذبح .

(5) النحل ، 8 .

(6) الانفال ، 60 .

(7) سقط من ب : ويئس من حياته ... ما عطب منها ويئس من حياته .

(8) الحشر ، 7 .

فتبسّم (صلع) وصرفَ عنانَ فرسه فدخل من باب الخاصّة إلى داخل قصره / وقد نُصِبت الموائد للناس ، وصرف القيّمُ على الطّعام ابن واسول وابن بكر إلى حجرة وقرّب إليهما مائدة فأكلا وصُرِفا إلى مكانهما .

وتحدّث الناس بما كان من أمير المؤمنين إليهما . وقال لي بعضهم : ما ظنَنَّا إلاّ أنّ (1) ابنَ بكر سيقتل .

قلت : فلو قُتِلَ الآن أليس قد مضى بما فيه واستراح ممّا هو بسبيله ، وإنْ كان صائرًا إلى غضب الله ؟ ولكنّ في متعتنا بالنظر إليه وإشهاده مثلَ هذه المشاهد وتقريعه بمثل هذا التقريع إلى أن يرى ولي الله فيه رأيَه، أفضلَ البُغية والمأمول .

ذكر رؤيا رآها المعزّ (صلع) :

241 — (قال) وكنت قد ألّفت سير المعزّ (ص) من أوّل ما أفضى / الله (عج) بالإمامة إليه ، وما وهب اللّه له في أيّامه والأمّة به من برَكته وسعادة إمامته ، وما تابع فيها من المسرّات وأولى من الخيْرات وأوسعَ من العطيّات ، في رجزٍ موزون بقواف مزدوجة (2) . وكثّر الله (تع) ذلك وترادف منه ما أعجزني مع كثرة الشغل بما أنا فيه عن تأليفه وتصنيفه . وكنت رجوت أن أبلغَ من ذلك في حياتي صدرا ، وأن يصل ذلك عقبي من بعدي وأعقابُهم في طول بقاء وليّ الله معزّ دينه ودوامِ عزّه وسُلطانِه ، وتتابع آلاء الله عليه .

وكلّفتُ ابني عليًّا (3) عملَ شيء من ذلك لأنظرَ إليه بحسب ما رجوتُ . فأخذ في ذلك وعملَ منه أبوابا رأيت أنّها / حسَنَةٌ وعرضتُها على المعزّ (صلع) فاستحسَنَها واستجاد معناها .

---

(1) في « أ » و« ب » : الا أنهما وابن بكر .

(2) ذكر النعمان تآليف أخرى له فيما سبق من الكتاب (ص 117 و ص 135.)، وهذه الأرجوزة في سيرة المعز ذكرها إيفانوف في ثبته تحت عنوان « ذات المنن » بعدد 99 .

(3) علي بن القاضي النعمان ولد بالقيروان في رجب سنة 328ه وقدم مع المعز إلى مصر ، ولما توفي والده أشركه المعز في القضاء مع أبي طاهر الذهلي . فظلا يقضيان حتى توفي المعز (365ه) . وولي العزيز ، وعرض للقاضي أبي طاهر مرض الفالج ففوض العزيز القضاء إلى علي بن النعمان في صفر 366ه ، وظل منفردا بالقضاء إلى أن توفي سنة 375ه ، وصلى عليه العزيز .

وعلي بن النعمان أول من لقب بقاضي القضاة في مصر، وكان عالما فقيها ومؤلفا وشاعرا رقيق الشعر ، أورد له الثعالبي شيئا من شعره . انظر الكندي : الولاة والقضاة ص 495 و589 و591 والثعالبي ، يتيمة الدهر ، ج 1 ص 385 ، وابن خلكان (ترجمة 766) الذي أرخ ولادته بربيع الأول سنة 329 .

ثمّ أقبل عليَّ (ص) وهو ينظر فيها فقال : لقد ذكّرني هذا ـ وذكر شيئا فيها ـ رؤيا رأيتها البارحةَ : كأنّ اللعينَ مظفرًا (1) قد قال لي مرّة : إنّ من بَعُد عن أمير المؤمنين كان أسلَمَ ممّن قرُب منه ، لأنّه كان يقال : من قرب من الشمس أعْشَتْ بصره . فإنّي أرى البارحة فيما يرى النائم /أنّي/ أذكر ذلك عنه ، فيقول لي مَن ذكرتُه له : أوَ قال ذلك لك الفاسقُ ؟

قلت : نعم .

قال : لا جرم أنّ الله ابتلاه بسخطك وأصاره إلى الخزي المقيم والبلاء العظيم ، إذ كان هذا هو اعتقاده فيك وهذه حاله منك قد عميَ أن يستضيء بنُورك / في حياته وصار إلى عذاب الله بعد وفاته . ثمّ عطف عليَّ فقال : إنّما تُعشي الشمسُ الأبصارَ الكليلةَ الضعيفةَ . فأمّا الأبصار السالمة الصحيحةُ فهي تَستَمِدُّ من نورها ، ولو كان النور يعشي لأعشى من هُوَ فيه .

قلت : يا مولاي ، فالقائل هذا معروف ؟

فقال : أي والله معروف شريف ، وتبسّمَ .

قلت : على أنّ هذا كلامٌ يستعمِلُه الأوائل قديما .

قال : نعم ، ولكن المادّةَ سبب فساده كما ترى (2) .

قلت : الحمد لله الذي أمدّ وليَّه (3) بنور حكمته ، وفضّلنا بقربه والأخذ للفوائد من قِبَله .

حديث في مجلس في فضل القرب من أولياء الله صلوات الله عليهم :

242 ـ (قال) وسمعته (صلع) يقول / لبعض خاصّة عبيده وقد قدم عليه من المهديّة ، وكان مقيما بها ، وأمره بالمقام بحضرته وخصّه بالقرب منه لقديم وَلايته وصحّته وعفافه : إنّك لا تَعْدَم بقربك منّا خيرًا تُفيده ومسرّةً تُغْبَط بها وتطيب نفسا بوُرودها ونعمةً تَحُوزها وتستفيدها . كما لا يعدَم من قرُب من عدوّنا وحلّ من خاصّته محلّك منّا ، من غضب الله ولعنه وخزيه ومَقته

(1) مظفر : انظر ص 435 .
(2) هكذا في أوب . ولعل « المادة » محرفة .
(3) ناقصة من أ .

في عاجل دنياه حسب ما يستحقّه ، ولمّا أعدّ لهم في الآخرة أنكى وأشقى ، ولعذابُ الآخرة أشدّ وأبقى . كما أنّ ما أعدّ لأوليائنا ولمن سعِدَ بقربنا ورضانا من ثوابه في الدّار الآخرة عنده أجلّ وأعظمُ ممّا يظنّه / أو يسمو إليه أملُه .

فقبّل الأرض بين يديه ذلك الرجل ومن حضر ممّن خصّه بقربه ، وحمدوا الله على ما أولاهم من فضله ، وشكروا له ذلك بما قدروا عليه .

حديث في مجلس في قبح الخيانة وسوء عاقبة أهلها :

243 — (قال) وذكر يوما (صلع) قوما وجب عليهم مال في شيء خرجوا به إلى جهة المشرق وكتموه وستروه واختانوا به ، فأظهره الله عليهم وأبداه لوليّه . وذكر ذلك بعض من تولّى مثل ذلك .

فقال (صلع) : قبّح الله الخيانةَ وقبّح أهلَها ، فما أسوأ حالَهم وأقلّ نظرَهم لأنفسهم ! أما إنّ هؤلاء لو سألونا تركَ ما اختانوا به لتركناه وما بخِلنا عليهم به ولا على غيرهم / بأضعاف ذلك ، حتّى لقد تركنا في هذه السّنة أكثر ما يلزَمُهم ، ما جَبَهْنا (1) سؤال أحدٍ منهم ممّن عرفناه ولم نعرفه، من يستحقُّ منهم ومن لا يستحقُّ . فما الذي أحوَجَهُم إلى الخيانة ، وما أحوجناهم إليها ؟ اللهمّ إلاّ أن تكونَ الطّبَاع الفاسدة الغالبة عليهم وسوء الهمّة التي بُنِيَ عليها تركيبهم ، قبّحهم الله وأخزاهم ! والله إنّا لنترك الكثيرَ من حقّنا والواجبِ لنا لهم ولغيرهم وإن لم يسألونا تركه لهم ، ونأمر من يتولّى ذلك لنا بالغفلة عنهم وترك الاستقصاء عليهم .

فقال ذلك الرجل : والله إنّ عبدَ أمير المؤمنين ليتمثّل ذلك من أمر مولاه فيهم ، وأنتم كما قال الله (تع) فيكم / : « ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ (2) » . ولقد كان المهديّ بالله (ص) يأمُرني بذلك ويقول : إنّا لو استقضينا (3) حقّنا لذهب الكرَمُ الذي جَبَلَنَا الله عليه .

فقال المعزّ (ص) : هو كما قال (ص) ، وليس للناس غاية تدرك في رضاهم فيُستطاع بلوغُها . وما رَضِيَ أكثرهم عن الله فيما قسمَهُ لهم ، فكيف يرضَوْنَ

(1) جبهه : رده .
(2) آل عمران ، 34 .
(3) بالضاد المعجمة في النسختين ، ولعلها : استقصينا ، بالمهملة .

عنّا ؟ ولكن لا ندع الجميل ممّا أمكننا واستطعنا . والله يجزينا بذلك ما نرجوه من جميل جزائه ، ويجزي من غمط نِعْمَتَنا وكفر إحساننا ما يستحقّه عنده .

كلام في العفو جرى في مجلس :

244 — (قال) وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) فضلَ العفو والصّفح والمرحمة وما جبلَهُ الله [عليه] من ذلك ، وحمِد الله على ما وهبه / منه ، وقال: إنّا نأثر عن آبائنا (ص) أنّ موسى بن عمران (ص) بينا هو يصلّي في موضع خلا فيه بنفسه ، وقد سجد فأطال السجودَ ، إذ مرّ به عدوٌّ من أعداء الله ، فوضع قَدَمه على قفا موسى * بن عمران وهو ساجد ، فوطِئهُ وطأةً شديدة ، ومضى يشتدّ لِئَلاّ يطلبه .

فرفع موسى (عم) رأسه وقد ألِم لشدّة وطأته ، وقال : ما لك ،لا غفرَ الله لك ! وما هو (عج) بالذي يغفر لك مثل هذا .

فأوحى الله (تع) إليه : يا موسى أتقطَعُ عليّ ، وتوجب أنّي لا أغفر ذنبا عمِلَهُ عبدٌ من عبادي ، وذلك ممّا يُؤْيسُهم من رحمتي ويدفع ما أوجبتُ منها لخَلقي ؟ لقد أتَيْتَ يا موسى عظيما بما تبتّه عليّ من ذلك / ، ولقد أتى عبدي هذا الظالم لنفسه إليك ذنبًا عظيما ،في عدلي عليه أن أعذّبه عذابا أليما . فإذا قطعتَ عليّ بأنّي لا أغفِرُه له فلأخالِفَنّ ظنّك بي وما أوجبْتَه من قَطع رحمتي ، ولأغفِرَنّ له ، وقد غفرتُه لما كان منك في ذلك .

فاستغفر موسى ربَّه وأناب إليه ممّا كان منه واسترحمه وتاب إليه منه .

كلام في مجلس في القيام بحقّ الله مبلغ الجهد :

245 — (قال) وذكر يوما (صلع) قولا بلغه عن بعض المخالفين المبغضين لأيّامه — لعنهم الله — ولو شاء (صلع) لدمّرهم ، ولكنّ الله (تع) قد جبله على الحِلم والعفو والصفح والمرحمة .

فقال : بلغني أنّهم يقولون : قد همّ بكذا فلم يستطعه ، وهمّ بكذا / فلم ينَلْه ولا قدَرَ عليه . قبّحَهُمُ الله ! فما أسوأ حالَهُمْ وأقلّ بصائرَهم

ومعرفتهم بما تعبّدَ الله به رُسُلَه والأئمّةَ من عِبادِه ، ونصبهم له ، واستخدمَهم فيه . كأنّهم غيرُ مصدّقينَ بنبُوّة رسول الله (ص) ولا هُم من أهلِ مِلّته ولا ممّن ينتحِلُ دَعْوَتَه . وإنّهم إذا أخلصوا لذلك /.../ (1) ولكنّهم يدّعون أنّهم من أهل الإسلام، وقد علموا أنّ رسول الله(ص)همّ بغير شيء فلم يبلُغْه وقصَدَ غير مَقْصد فانصرف عنه ولم ينَلْ ما قصد فيه * منه ، وبعث غير بعث فانهزم إليه ، ولقِي غيرَ عدوّ فلم يظفَر به . وإنّما تعبَّدَ اللّهُ رسلَه الذين أمرهم بالجهاد والأئمّةَ الذين أقامَهُمْ للقيام بأمر دينه / بما تعبَّدَهم من استفراغ مجهودِهم وبذلِ وُسعِهم فيما افترضه عليهم من جهاد أعدائه . فلذلك أقامَهم واستخدمهم ، فهم يُدْئِبُون فيه أنفُسَهم ويَهجُرون أوطانَهم وينفقون فيه ما (2) خوّلهم من أموالهم، ويبلغون منه ما قدروا عليه وأمكنهم ، وذلك فرْضُه الذي فرَضَه عليهم ، ولم يفترض عليهم أن يغلبوا العُداة (3) ولا يُبقُوا منهم أحداً إلاّ دمّروه . بل ذلك من أمرهم وأمر عدوّهم إليه جلّ ثناؤه ، ينصرُهم على من أحبّ أن ينصرَهم عليه، ويُبقِي من أعداء الله من يُبقيه لما يريده جلّ جلاله من استنقاذه إلى الهدى أو الإملاءِ له ليزدادَ كما قال الله (تع) إثما (4) . ولو شاء الله/ لاجتَاحَ من كفَر به وعنِدَ عن أوليائه فأدنى إليه عذابه ، ولكنّه امتحن عباده بذلك من أمره كما قال، عزّ وجلّ من قائل : «وَلَوْ يَشَاءُ اللّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (5) » .

فوعد القائمين بحقّه المجاهدين في سبيله ما قد وعدهم من ثوابه ولم يُكلِّفْهم غير القيام بأمره وبذلِ المجهود فيما أمرهم به . ولكنّه لمن يُقالُ هذا ؟ ألِلْبهائِمِ في أشخاص بني آدم ؟ بل البهائمُ أفضلُ مِنْهُم وأهدَى سبيلا ! أما إنّهم يتعرّضون لبأس الله أن يَحُلّ بهم بأيدينا وما ذلك ببعيدٍ من الفاسقين. وإنْ نحلُمْ / عن جهلهم ونغْفَلْ عن قبيح ما يأتي منهم فما الله بغافلٍ *عمّا يعمل الظالمون . وما لنا أن نتعدّى

(1) هكذا في النسختين ، ولعل في الكلام نقصا .
(2) ما : ناقصة من أ .
(3) في النسختين : العداوة .
(4) الآية من سورة آل عمران ، 178 « إنما نملي لهم ليزدادوا إثما » .
(5) محمد ، 4—6 .

أمرَه وَلاَ أنْ نخَالِفَ حكمه بل نصبرُ على ما أوذينا كما صَبَرَ أولُو العزم من قبلنا ، وكما أمر الله بذلك محمّداً نبيّه جدَّنا (صلع) ، فقد قال وهو أصدقُ القائلين: «فاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلاَ تَسْتَعْجِلْ لَهُم (1) » . وما عذابُ الله من الظالمين ببعيد ، بل أخذُه كما قال : « إذَا أخَذَ الْقُرَى وَهْيَ ظَالِمَةٌ إنَّ أخْذَهُ ألِيمٌ شَدِيدٌ (2) » .

كلام في مجلس في الخروج من حقوق الله :

246 — (قال) وسألني رجل حضر مجلس الحكمة(3) ممّن دخل إلى دعوة وَلِيِّ الله ممّن قدِمَ من المشرق : إلى من يدفَعُ ما / يجب عليه في ماله إذا هو انصرف إلى بلده ، وهو لا يدري هناك أحدا يقوم بأمر المؤمنين ؟

فقلت : إنّ أولياء الله لن يُخْلُوا موضِعًا من الأرض من جناح (4) لهم فيه ، واسطةٌ بينهم وبين من همّ به من عباده، فإذا أنت صرت إلى موضعك عرفتَ ذلك إن شاء الله .

ثمّ ذكرت ذلك للمعزّ (عم) فقال : نِعْمَ ما قلت له ، إنّ أكثرَ الناس يجهلون أمرنا ويظنّون أنّا لا نُعْنَى إلاّ بمن شاهدناه وكان بحضرتنا ، ولو كان ذلك لكنّا قد ضيّعْنا من بَعُدَ منّا ، وقد أوجب الله (تع) على جميع خلقه وَلاَيَتَنَا ومعرفتَنا واتّباعَ أمرنا والهجرةَ والسّعيَ إلينا من قُرب ومن بعد ، كما أوجبَ الله عليهم في

---

(1) الأحقاف ، 35 .

(2) هود ، 102 .

(3) مجلس الحكمة : انظر ص 435 .

(4) الجناح (ج. أجنحة) وهو داعي الجزيرة . وفي الدعوة الاسماعيلية ، أن الوظيفة الأساسية للامام هي تعليم المعنى الباطني للدين ، وهذا يقتضي ترتيبا لأعضاء الدعوة الذين هم امتداد لشخص الامام ، ومن ثم وقع تسمية بعض الدعاة بالأجنحة ، وكذلك بالأيادي أي ان الدعاة هم أعضاء الامام ومساعدوه ، وكلهم يكونون جسدا واحدا . لكن القاضي النعمان في كتاب « أساس التأويل » (ص 70 ، 85 ، 87) يجعل الأجنحة في آخر مرتبة من مراتب الدعوة ، فتكون مراتب الدعوة كالآتي : الناطق ، الأساس ، الأئمة ، الحجج ، اللواحق (النقباء) ، الأجنحة . فالجناح هو الحد الادنى الذي يتصل مباشرة بالمستجيبين . (انظر كذلك جعفر بن منصور اليمن : تأويل الزكاة ص 357 . والفترات والقرانات ص 35 أ ، والسجستاني : إثبات النبوات ، ص 100) .

ظاهر أمره / الحجّ (1) إلى بيته الحرام من الآفاق ، ولكنّا للرّأفة بهم ولمـّا نرجُوه ونُحبـُّه من هدايتهم قد نصَبْنَـا بكل جزيرة (2) لهم من يَهديهم إلينا ويدُلّهم علينا ، عرّف ذلك من عرفه وجهِله من جهِلَهُ ، وإن كنّا قلّما نجد لِذلك من يقوم بالواجب فيه ، ومن نجد عندَه ما نَرتضيه فما علينا إلاّ الجهد والبلاغُ (3) ، والله يَهدي من يشاء من عباده ويرحَمُ من أحبَّ من خلقه ، ويختار لوَلايتنا من يختاره * من حزبه .

كلام في مسايرة ذكر عن القائم (صلع) :

247 — (قال) وسايرت المعزّ لدين الله (صلع) في بعض أسفاره فذكر القائم (ص) واختصاصَه إيّاه ومحبّتَه له وقُربتَه منه وما كان امتَحَنَ به المنصورَ (صلع) من طول ستر / أمره (4) وتركِهِ إظهارَه إلى أن قرُب وقتُ انتقاله .

فقال المعزّ (صلع) : دخلت إليه بعد أن أظهر المنصور (صلع) ونصبه للناس (5) بعد مدّة اثنتي عشرة سنة من يوم أفضى إليه بذلك (6) ، وذلك قبل وفاته (صع) بثلاثة أيّام (7) ، وعنده بعض حرمه ، فأمرها فتنحّتْ عنه ، ثمّ أدناني من نفسه ، وضمّني إلى صدره ، وقبّل بينَ عيْنَيّ ، وبكى فبكَيْتُ لبكائه ، ولا أدري ما أبكاه .

---

(1) أشار القاضي النعمان إلى تأويل الحج ، في كتابه « تأويل الدعائم » ، في باب الحج فقال : « الحج فيما يتعارفه الناس السير إلى بيت الله الحرام لقضاء المناسك ، والحج في اللغة الاختلاف إلى الموضع وإلى الشيء مرة بعد مرة ، يقولون : حج فلان موضع كذا إذا أدام الاختلاف إليه ولزمه ، وحج فلانا ، أي أتى إليه معظما له ، فأقام عنده وعظمه ... فيقال من ذلك : حج الرجل البيت إذا أتاه ليقضي الواجب عنده ، وحج فلانا إذا أتاه أيضا لمثل ذلك تعظيما له على ما ذكرنا . وهذا هو وجه التأويل . فظاهر الحج الاتيان إلى البيت العتيق بمكة لقضاء المناسك عنده وتعظيمه . وتأويل ذلك الذي جعل الظاهر دليلا عليه إتيان إمام الزمان من كان من نبي أو إمام ، وقد ذكرنا أن مثله في الباطن مثل البيت الحرام (ص 196–197) » . إذن يكون الحج في الباطن هو السعي والهجرة إلى الامام . وكما يقول القاضي النعمان ، ولتيسير الأمر لأبناء الدعوة جعل في كل ناحية تقام فيها الدعوة من يقوم بأمره وهو فيها يمثل الامام .

وكذلك تأويل جعفر بن منصور اليمن في كتاب الكشف (ص 118) : « ... والباطن من الحج على وجهين : أحدهما الهجرة من وطنك إلى وطن الرسول في عصره أو إلى وطن الامام في عصره مع معرفة صاحبها وإلى من جاهرت بحقيقة فضله ومقامه حتى يقبل حجك ويشكر قلبك ويتزكى سعيك وينجلي عنك شكك ، والوجه الثاني في الباطن فهو معرفة الامام (ص) في كل عصر وزمان الناطق بالحكمة .... » .

(2) الجزيرة : انظر ص 265 .

(3) ب : البــلاء .

(4) عن الناس ، أما المنصور فقد كان يعلم بتعيينه حسب روايته للمعز (انظر ص 448) . وقد برر القاضي النعمان هذا الكتمان في « أساس التأويل » (ص 51) بحجة يرفعها إلى جعفر الصادق : « ... فكان ذلك — أي تأخير الاعلان عن الوصي — لئلا يجتمع الفضل الكامل في اثنين ولا يكون الا في واحد بعد واحد » (وانظر في ص 514 صيغة أخرى من هذا القول مع تعليقنا) .

(5) في رمضان 335 كما مر .

(6) عند دفن المهدي ، في ربيع 1 سنة 322 .

(7) هذه المحادثة بين القائم والمعز دارت إذن يوم 9 شوال 13/335 ماي 956 .

ثمّ قال لي : يا بنيّ إنّ مولاك ومُحبّك مفارقُك بعد ثلاث . وعقَدَها بيده .

قلت : بل يُبقِي الله أميرَ المؤمنين ويُمِدُّ في عمُره ويُقدّمُنا قبله .

قال : اسْمَعْ ما أقولُ لك : إنّ أخوفَ ما أتخوّفُه عليك من أبيك ، ما علِمتَه / من إيثاري إيّاك وإيثارك أمري على أمره ، وميلك إليّ دونَه ، وما أعلمَهُ من ميله إلى أمّهَاتِ إخوَتِك (1) . فأخشى خشيةَ المُشفِق عليك أن يعدل بهذا الأمرِ عَنْكَ إلى غيرك منهم . وكلاّ لا يفعل الله ذلك إن شاء الله ! ولكن متى رأيتَ منه أثَرَةً عليك أو ميلا عنك فاصبِرْ صبرَ من أحلّه الله محلّك ، وأقامه مقامك . فأنت والله صاحبُها ، ولولا صِغَرُ سنّك اليومَ ما عَدَتْك (2) . وعن قريب تصير إليك. فأوصيك بتقوى الله واحتمال ما حُمّلتَ والصبرِ على مَضَض ما يُؤتى إليك ، وإخوَتَكَ إخوَتَكَ ! فأحكِم مُعَامَلَتَهم في يومك وغدِك !

ثمّ أدركه ضعف وبهَرٌ ، فقطع الكلام / ساعة ثمّ تنفّس الصّعداءَ وقال : الإخوَةُ (3)وما الإخوةُ؟ يتهوّلُ أمرَهم، لما كان ناله (صلع) من المشقّة في سياسة أمرهم . ثمّ خفَتَ، ورأيتُ أنّ الكلام أجهده، فقُمْتُ عنه وخرجت، فإذا بالمرأة من وراء الباب تسمَعُ ما جرى من الكلام — وهي بعض أمّهَاتِ الأولاد — فهنّأتْني بما سمعتْ وقبُض (ص) ثالثَ ذلك كما قال (4) .

في بعض بواهر المعزّ (ص) :

248 — (قال) : واعتزم المعزّ لدين الله (ص) على الخروج عن الحضرة لمطالعة بعض الكور واحتفار أنهار أنْ يُجْرِيَهَا إلى الحضرة ، فبعد أن أعدّ لذلك وقرب الوقت الذي اعتزم على الخروج فيه جاءت الأخبار بأنّ الجراد قد أطلّ على

(1) يظهر أن أبناء المنصور الخمسة (والبنات الخمس) كانوا من أمهات مختلفة ، ولكن المؤرخين لم يذكروهن .

(2) ولد المعز في 11 رمضان 319 ، فعمره إذن 15 عاما . وقد سبق للمعز أن ذكر عبارة القائم هذه بلفظ مختلف : ولولا صغر سنك لجعلت هذا الأمر إليك (ص 94 من المجالس والمسايرات) . وقد لاحظنا (ص 95 تنبيه 1) أن نبة القائم هذه تشعر بأن الامام قد يتجاوز — في تعيين خليفته — الابن إلى الحفيد .

(3) سقط من ب : فقطع الكلام ... وقال الإخوة .

(4) يظهر أن القائم قدر يوم وفاته تقديرا صحيحا ، وكأن النعمان يريد أن يشعرنا بأن الأئمة يتنبؤون بوفاتهم . هذا ، وقد عقد الكليني فصلا في كتاب الكافي (ج 1 ص 258) بعنوان : باب أن الأئمة (ص) يعلمون متى يموتون ، وأنهم لا يموتون إلا باختيار منهم .

البلـد / وأشرف عليه ، وبوّخ (1) في كلّ موضع نسزل فيه . فكان ذلك كسرا من عزمه على الخروج ، وقال : متى خرجْنا فحلَلْنا ببَلَدٍ وأعقبَهُم بعد ذلك حلولُ هذا الجراد بهم ، خشينا أن يتَطَيَّرَ بنا منهم مَن لا خيرَ فيه وأن يجعَلَ من ذلك مقَالاً .

فأقام على ذلك أيّامـا حتّى حـلّ الجـراد وانتشـر في البلـدان ، وبـوّخَ فيها ثمّ خرج (ص) وقد قحط المطر وأجدبت الأرض وتغيّرَ الزرعُ وذبل وأشفى على الهلكة . فكلّما نزل منزلا نزل الغيث بـه بنزوله ، وجاء منه ما يجاوز الرَّواء ، وأحيى الزرعَ لا يجاوز ذلك ما (2) بين يدَيْه. فإذا ارتحل من ذلك المنزل ارتفع المطر وصار في صحو حتّى ينزل بالمنزل / الذي يليه وهو في القحـط والجـدب عـلى مثـل ما كان عليـه المنزل قبلَـه . فساعة حلولـه ينشأ السحـابُ ويأتـي بالغَيْثِ الوابـلِ مـا دام مقيمـا حتّى يرتحِـلَ .

فلم يزل كذلك مدّةَ مسيره وحلوله حتّـى انصرف ، فنمَتِ الزروع والثمار وكملـت ، ودُفعت الآفـة عنهـا وأمنـت . ورأى النـاس مـن بـركـة أثـره ويُمْن سفره ما بهرهم ، وعظم أمـره عندهم ، وأعقبه الله (عج) بذلك ممّا توقّعه من سوء ظنّهم به وتطيّرهم بحلوله لما اطّلع عليه من جميل نيّته فيهم وحسن اعتقاده لهـم * .

كلام في مجلس في بركة نظر أولياء الله (صلع) :

249 — (قال) واستعمل المعزّ لدين الله (صلع) يوما جماعة على أعمال شتّى / انتخبهم لها ولم يكونوا استُعمِلوا قبل ذلك على مثلها ، فتكلّم مَن بحضرته في ذلك ، وشكروا له اصطناعه إيّاهم ، وتنويهَه بأسمائهم ، ودعَوْا بأن يبلّغه الله إلى أن يستعمِلَ كذلك ذراريَّ أوليائه في مشارق الأرض ومغاربها ، وقالوا : نرجو أن يوفّقَهُم الله إلى ما يرضاه وليُّه منهم وألاّ يخيّبَ ظنّه بهم وانتخابه إيّاهم لما انتخبهم واختارهم .

فقـال (صلع) : مـا نظـرنا إلـى أحـد نظـر خيـر إلاّ تبيّـن ذلك فيـه ، لأنّ نظـرَنا إلى من ننظـر بذلك إليه سعـادةٌ مـن الله (تع) لـه ، فما دام يعلـم فضل النعمـة عليـه ويعتـرفُ بفضلنـا عنـدَه ويتحـرّى رضاءَنـا ويحـذَرُ سُخطنا

(1) هكذا في « أ » و« ب » ، ولعلها : وفرخ . وبـوخ : أفسـد .
(2) في أ و ب : إلى مـا ...

لا يزال على خير ، وبقدر ما / يعتقده من ذلك ويتحرّاه يرتقي في الدرجات ويتصاعَدُ في المعلومات ويتزيّد في الفضل والخيرات ، حتّى إذا غلبَت الشهوة وحلّت الشّقوة واستحكم الطّمَع وقويَ الشرّه ، فأعرَضوا عن أمرنا وجهلوا حقّنا وصدفوا عن وصايانا ، وخالفوا حدودنا ، وكانت هِمّتُهم أنفسَهم أسلَموا إليها ووكَلوا إلى حوْلِها وقوّتها ، فأظلم نورُهم ، وانكسفَت أحوالُهم ، وساءت أعمالُهم ، واستحوَذَ الشيطانُ عليهم فأضلّهم وأعمى أبصارَهم ، فخسِروا الدنيا والآخرةَ ، ذلك هو الخسران المبين . وما نولي مَن نُوليه ونستعمِلُ مَن نستعمله إلاّ ونحنُ نتوخّى الخير فيه ونُحبّه له . وقليل من يُعين على محبوبنا / ويَمتَثِلُ أمرَنا . ولو فعَلُوا لسعِدوا وأدركوا فوق ما ابتغَوا وأملوا واشتهوا من أمر الدنيا والآخرة ، ولأدركوا خيرَ العاجلة والآجلة ، وبلَغُوا رضاءَنا ورضاءَ أنفُسِهم وآمالهم وآمالنا فيهم ، وأسألُ اللّهَ توفيقَهم • لذلك وعونَهم عليه ، فبذلك تتمُّ الخيراتُ وتعُمّ البركات وتشتمِل المسرّات .

الجزء الثالث والعشرون

بسم الله الرحمان الرحيم

كلام في مجلس في انتظار وعد الله لأوليائه صلوات الله عليهم :

250 — (قال) وقدم على الإمام المعزّ لدين الله — صلوات الله عليه — رسلُ جماعةٍ من الدّعاة من جزائرَ شتّى / بعيدةٍ ، فوافَوْا بالحضرة في يوم واحد ، فأدخلهم إليه ، فقبّلوا الأرضَ بين يديْه ، ومرّغوا خدودَهم عليها ، وأكثروا من حمد الله وشكره إذ أبلغهم إليه وأراهم وجهَه ، وأوصلُوا كتبَ الدعاة الذين أرسلوهم وما حمّلوهم من أعمال المؤمنين قِبَلَهُمْ .

وسألهم (صلع) عن الأحوال ممّن خلّفوه من الدعاة والمؤمنين وما تجري الأمورُ به لديهم ، فذكروا من صلاح الأحوال في ذلك واستقامة الأمور والعلوّ والظهور ما حمِد الله عليه ، وأكثر (عم) من شكره بما وهّب منه . وذكروا ظهورَهم(1) إلى من يَتَجنْتَازون به من الوُلاَة المتغلّبين في البلدان وإكرامَهم إيّاهم وبِرَّهُم بهم إكراما لأمرِ وليّ الله وإعظامًا / له .

فقال بعض من حضر : ما يمنع أمير المؤمنين من المشرق ولا يحول دونَه إلاّ أنّه لم يرُمِ (2) العزمَ في أمره . فأمّا لو عزم على ذلك لما حال دونَه حائلٌ .

---

(1) ب : وأظهروهم .
(2) أ : لم يسر .

فقال (ص) : إنّا لم نتخلّف عن ذلك إلاّ انتظارا للمدّة التي وعدنا الله الظّهورَ فيها ، ولو حضرتْ ما تخلّفْنا عن إقامة أمرِ الله (تع) الذي نصبَنَا للقيام به ، وما ذلك بعاجل دنيا نتكثّر (1) منها ، ولو كانت رَغبتُنا في ذلك لكان عندنا سمّا خوّلنا الله (تع) إيّاه من كريم أموالها ما لا نرى أنّه في أيدي المتغلّبين * على أمرنا ، وما كنّا لنتعرّض بأنفسنا وأنفسِ أوليائنا إلى التّعب والنّصَب في عرض حُطام الدنيا ، ولكنّ اللّهَ (تع) / استحفَظَنَا دينَه واسترعانا أمرَ عباده ، ولابدّ لنا من بذلِ أنفُسِنا فيما استخدَمَنَا فيه وأن نَدْأبَها فيما يُرضيه .

ولقد أنهض المهديُّ بالله (ص) قُرّةَ عينه ومُهجة نفسه القائم (ص) إلى مصرَ كَرَّتَيْنِ (2) وهو عالم بأنّها لا تُفتَحُ على يدَيْه ، ولكنّه أراد تأكيد حجّة الله عليهم بدَعْوته ، وألاّ يدَعَ شيئا من المجهود إلاّ بلغَ منه ما في نفسه ، وإن كان ذلك قد أدخل الشكّ على بعض المستضعَفين في أمره ، ولذلك كرِهنا (3) أن نُدْخِل عليهم مثالَه بالحركة في غير أوان الوقت .

ولقد أخبرني المنصور بالله (ص) أنّه تَلقّى القائمَ (عم) عندما انصرف من الكرّة الثانية عن مصر ، وقد كان / المهديّ بالله ارتحل بعد خروجه إلى المهديّة ، قال : فلمّا انتهى القائم (صلع) إلى باب المهديّة نظر إليه ثمّ قال : « إلاّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا (4) » . ودخل، ودخلتُ معه إلى المهديّ بالله (صلع) في وقته ذلك ، فسلّم عليه وضمّه إليه ثمّ قال : « إلاّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا » . فكأنّما نطقا بذلك معًا (صع) بلسان واحد وعن رُؤْيَةٍ واحدة (5) .

ثمّ قال المعزّ لدين الله (ص) : أما والله لو أراد الله ببني العبّاس خيرا لَقَطَعَ أمرَهم يومئذ على يدَيْه – يعني المهديّ بالله (صلع) – وهم في عنفوان أمرهم وتمام سُلطانهم وعزّهم ، ولم يُرِهم من الذّل والهوان ما أراهم اليومَ على / أيدي شرار الخَلق من الدّيْلمِ حتّى ملكُوهم وأذلّوهم ووطِئوا أرضهم وتغلّبوا على ما بأيديهم

---

(1) ب : نتكاثر .

(2) كانت المرة الأولى سنة 301 ، والمرة الثانية سنة 306 ، (انظر المقريزي : اتعاظ الحنفاء ص 98 ، 103) .

(3) في أوب : ما كرهنا .

(4) يوسف ، 68 .

(5) عن رؤية واحدة ، ساقطة من ب . هذا وان رؤية قد تقرأ أيضا : روية .

وصاروا عِلْيَةً (1) عندهم . وإنّ من أعظم البليّة غلبةَ السفَل والأشرار . وأمّا من غلب عليه أهل الحق والأخيار ، فذلك أقلّ لمحنته وأهونُ عليه في بليّته . وما أراد الله بما فعله بهم إلاّ أن جعل ذلك عبرةً لمن اعتبرَ ، وليعلم من اذّكّر في ذلك وأبصرَ ، هوانَ الدنيا عند الله وما فيها ، إذ قد ملّكها مثلَ هؤلاء السِّفلة ، وأنّه انتقم بهم ، وهم شرار خلقه ممّن غمَط نعمته وأخذ غيرَ حقّه (2) وقعد مقعدَ أولياءِ الله الذي جعله لهم في أرضه ، كما أهلك نمرود بن كنعان / ببعوضةٍ ، كما جاء الخبر بذلك من أمره . إنّ الله تعالى لو شاء أن يُشْرِقَ بنا الأرض من حيث كنّا ، لأشرَقَنَا ، ولكنّه لمّا سبق في علمه ما نطق به عنه جدُّنا محمّد رسول الله (صلع) أنّ الشمس تطلع من مغربِها (3) ، أزْعَجَنَا من مقرّنا فغرَبْنَا ، ثمّ أطلَعَنَا من حيث وعد أن يُطلِعَنا وهو يسيّرنا إذا يشاء حيث يشاء (4) من أرضه حتّى يُورثَنا جميعَها كما وعدَنا في كتابه ، بمَنّه وفضله .

كلام في مجلس في صنع الله لوليّه :

251 — وكان بعض الدعاة بجزيرة نائية في صُقع بعيد يدعو إلى أولياء الله بعد دعاة تقدّموا قَبْلَه في المكان الذي هو فيه ، واستجاب لهم قبلَه وإليه خلقٌ عظيم من أهل / تلك الناحية ، وعامّةُ أهلها مجوس ، ولكن قد كان الإسْلاَمُ فشا فيهم قديما ، فاتّصل بأمير المؤمنين المعزّ لدين الله (ص) أنّ هذا الداعي الآخر أحدثَ فيهم حدَثًا : وذلك أنّه دعا عالَما كثيرا من المَجوس وهم على دينهم لم يُسلِموا ، وتركَهم على ما هم عليه يستحلُّونَ من محارم الله ما كانوا يستحلّونَه ، ويعمَلُون ممّا نهى الله عنه ما كانوا يعملونه من نكاحِ ذواتِ المحارمِ ، وتناول ما لا يحِلُّ من المشارب والمطاعم ، تعدّيا منه لحدودِ الله (تع) ، ووضعِ أمانته عزّ اسمه عند من لا يحِلّ وضعُها عنده ، لعاجل دنيا أراد نَيْلَه بذلك * منهم ،

(1) أوب : عيلة .
(2) ب : بغير حقه .
(3) طلوع الشمس من مغربها : جاء في صحيح الترمذي (ج 9 ص 34) وفي تعايق ابن العربي حديث بهذا اللفظ : ان الشمس تذهب تستأذن في السجود ، فيؤذن لها ، و كأنها قد قيل لها : اطلعي من حيث جئت ، فتطلع من المغرب . والحديث يساق في معنى قيام الساعة ووصول الدنيا إلى آخر أمرها .
(4) حيث يشاء ، ساقطة من ب .

واستكثارا فيما حسّنه سوءُ رأيه له بهم . ثمّ / تعدّى ذلك به إلى أن أباح ذلك من محارم الله (تع) لبعض أهلِ دعوته من المسلمين وغيرهم .

فعظُم على أمير المؤمنين من ذلك ما تناهى إليه ، وأكبره ، وتبرّأ إلى الله منه ، ومقته ، وأهمل أمره ، واشتغل صدره . وكان قد أنفذ إليه رسلا من قِبَلِه ، وطوى عنه ما هو عليه . وسأل الإمامُ الرُسُلَ (1) عن ذلك ، فأعلَمُوهُ به ، وكان فيهم خير ، فعرّفهم (صع) عظيمَ ما ارتكبه من ذلك ، فتبرّأوا منه ، وتابُوا إلى وليّ الله من اتّباعه على أمره ، ودعاهم وطهّرهم .

ثمّ سألهم ومَن بالحضرة من أهل النّاحية غيرهم عن أفضلِ مَن فيهم ، فسمَّوا له رجلا ، فكتب إليه بالعمل على أهل تلك الجزيرة (2) وإطّلاعِ من / يَثِق به من المؤمنين المخلصين قِبَلَه على ذلك ، واستعمال الحيلة في قتل عدوّ الله المرتدّ عن دينه ، المبتدع ما ابتدعه ، ونَسْخ بِدَعِه وإظهار دين الله على ما أمر الله وأولياؤُه به . وأنفذ أولئك الرسل بذلك وبكتاب إليه جوابًا عن كتابه ، وبما رأى (ص) أن يكتُبَ به إليه . وعرّفنا ذلك في الوقت أهلُ خاصّة مجلسه وتفرّجَ بما اغتمّ به من ذلك إلينا تفضّلا وتَطَوّلاً . وقد ذكرت طرفا من ذلك فيما مضى من هذا الكتاب (3) .

وكنّا نترقّب ممّا نخشى أنّه يحدث عن ذلك في الناحية ترقّبَ المُشفِقين ، وقلنا : قومٌ تطاعَمُوا المحارم فما الذي يردّهم عنها / ، وقد فشت وصارت دينًا عندهم ؟ وكان تخوّفُنا على المكتوب إليه أغلبَ من الرّجاء في هلاك الفاسق المبدّل ، غيرَ أنّا نرجع في ذلك إلى الثّقة بالله لوليّه ، وأنّه كما عوّده يبلّغه ما يرجوه ويؤمّله . فما كان إلاّ بقدر وصولِ الرسُلِ إلى المكان وانصرافهم إذ جاء رسل آخَرون من تلك الجهة بكتب وأمانات حمّلوها ، فأدخلهم (صلع) فقبّلوا الأرض بين يديه ، ومرّغوا خُدودَهم تقرّبا إليه ، وحمِدوا الله وشكروه على أن بلّغهم إليه وأدناهم وقرّبهم منه . وبَعُدَ من حضر في مجلسه عنه بحسَبِ ما يجب لمكان سرّ إن أخذ معهم فيه ، فسألهم عن الحال . فتكلّموا / بكلام طويل نسمعُه ولم نصرف الأسمَاعَ إليه ،

(1) ب : نقص من « من قبله » إلى « وسأل الامام الرسل » .
(2) ب : الناحية .
(3) أنظر ص 407 .

تقيّةٌ من أن يكون ممّا لا ينبغي لنا سماعُه ، وننظر إلى وجهه يتهلّل لمَا سمعَه ، ويُكثِر من حمد الله حتّى انقضى كلامُهم وانصرفوا .

والتفتَ إلينا متهلّلا مستبشرا مسرورا فقال : قد سمعتم كلام القوم ؟

قلنا : سَمِعْنَاه ولم نَفْهَمْ .

فقال : نعَم ، فاسمعوه : ذكروا أنّ الله (تع) قد كثّر أهلَ دعوتنا وأولياءَنا قِبلَهُم ، وإن كان هذا الفاسق قد بثّ ما بثّه فيهم ، فإنّه لم يشتهر عنه كلَّ الاشتهار ، ولم يكن اطّلعَ عليه إلاّ أهلُ ثِقتِه ومَن قَرُب منه ، وأنّ اللّه (تع) أقبَلَ بملِكٍ من ملوك أهل الناحية له قوّةٌ ومنَعَة / وعُدّة ورجالٌ ، فاستجاب إلى الدعوة (1) بمَنْ مَعَهُ ، وصار في حزب المؤمنين ، وقويَ به أمرُهم وأظهروه ، وأعلنوا باسمي وشهّرُوه وكتبوه على الأعلام ، وخطبوا به على المنابر ، وأنّ ملوك الناحية أنكروا ذلك عليهم ، فأقبلوا بجموع عظيمة إليهم لا يحصى عددُها ، ولا يبلغ عددُ المؤمنين عُشَيْرَ مِعْشارها . فلمّا رأوا ذلك ، اجتمعوا في موضع واحتفروا عليهم خندقًا ، فما هو إلاّ أن وصل عدوُّهم إليه /و/ردموه لكثرتهم ساعةَ وصُولِهم إليه ، واقتحموه عليهم ، فأمر ذلك الملِك المستجيبُ أصحابَه بالحَملة وجماعة المؤمنين ، وقد حسُنَت بصيرتُه وخلُصَت نيّته ، فقالوا له : / على من نحمل وبين أيدِينا عدَد الثرى ؟

فقال : لا تنظروا إلى ما بين أيديكم من الملإ ، ولكن انظروا إلى السّماءِ ، فإنّ مَن عليها معكم ، وهو ناصركم ومؤيّدكم * . فحملوا حملةَ صِدْقٍ بنيّاتٍ خالصة ، وحَمَل جماعتُهم وحمل معهم ، فانهزم الملأ بينَ أيديهم مِن عدوّهم ، ومَنَحَهُم اللّه أكتَافَهُم (2) . فقتلوا منهم ما لا يُحصى عددا ، وغنِمُوا من أموالهم وسلاحهم وكُراعهم ما امتلأتْ منه أيديهم ، وفرّق اللّه جمعَ عدوّهم ، وأقبل مَن حولهم بالطّاعة لهم والتسليم لأمرهم ، فدانت لهم مدنٌ كثيرة ، واستعملُوا عليها

(1) ب : نقص من «له قوة إلى ...إلى الدعوة» .

(2) أي : خيلهم ، ولعلها : أكثافهم ، أي ، جماعاتهم .

عمّالا ، وأظهروا فيها دعوتَنا ، وحازوا لأنفسهم / معقِلا حصينـا بقلعـة شاهقة (1) منيعة قطنوا بها واتّخذوها دار هجـرة (2) .

والداعي اللعيـن المبدّل ، فهـم يعتقدون طاعته لولايتنا ويعظّمون أمره إذ كان يدعو إلينا . فما هو إلاّ أن انتهى الرسل الذين حملناهم في أمره إلى أدنى عمل الجزيرة ، ولم يبقَ بينهم وبين الموضع إلاّ مسيرة شهر حتّى أذن الله (تع) في الفاسق بما أرَدْناه بلا عَنَتٍ ولا تكلّف ، فطرَقَتْه بغلَتُه ، /و/أعجلَه الموتُ فيها عن أن يوصيَ لأحد بمقامِه ، ولا أن يُقدّمَ أحدا لمكانه فيكون قـد سدّ موضِعَه وقام مقامَه . وكفى الله مؤنته ، وبلّغنا في عفافٍ ما أردناه منه بفضله ونعمته ، وما عوّدَنَاه / من جميل عادتـه .

ولمّا هلك عـدوُّ الله اجتمع الدّعاة فيمن يقيمونه مقامَـه إلى وقـت مطالعتنـا ، فوقـع اختيارُهم واتّفاقهم على الرّجل الذي اخترْنَاه وأقمنـاه وكتبنا إليه ، لمـّا أراد الله (تع) من تأليف أمرهم واجتماع كلمتهم وظهور أمرهم عـلى عـدوّهم ، ليقيموه عليهم ويُرسلُوا رُسُلاً من قِـبَلِـهم لمطالعتنا بأمرهم . فأكبر ذلك الرجلُ من أمرهم ، وقال لهم : إذْ قدِ اتّفق رأيكم عليَّ فاسمعوا منّـي . قالوا : نعم،نسمع ونطيع لك . فاختارَ أربعةً منهم ، وقال لهم : تكونون على الجميع ، ويكون كلُّ داعٍ إلى أهل دعوته ، وأكون أنا النافذَ برسالة الجماعة إلى / الحضرة . فما أمر به وليُّ الله امتثلناه ، ومن أقامه لنا سمعنا منه وأطعناه .

واختار رجالا للقدوم معه علينا وقدِم . فلم يسر إلاّ بعضَ أيّام حتّى لقيَتْه رُسُلنـا ، ففرح واستبشر بلقائهم ، وسألهم عن الحال ، فدفعوا إليه كتابنا إليه ، وكتابنا إلى جماعة الدّعاة بما أمرناه به في الخائن . فانصرف إلى مكانه ، وبعث بالقوم

(1) شاهقة : ناقصة من أ .

(2) دار الهجرة هو الموضع الذي اتخذه أصحاب الدعوة وطنا جديدا يستترون به ويجتمعون فيه ، ثم ينطلقون منه لنشر دعوتهم . ويقول النويري في نهاية الأرب عن ظهور القرامطة : «ثم أن الدعاة اجتمعوا واتفقوا على أن يجعلوا لهم موضعا وطنا ودار هجرة يهاجرون إليها ويجتمعون بها ، فاختاروا من سواد الكوفة ... قرية ... فحازوا إليها صخرا عظيما ، وبنوا حولها سورا منيعا ، عرضه ثمانيـة أذرع ، ومن ورائه خندق عظيم ، وفرغوا من ذلك في أسرع وقت ، وبنوا فيها البناء العظيم . وانتقل إليها الرجال والنساء من كل مكان ، وسميت دار هجرة» (عن حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولـة الفاطمية ، ط 3 ، 1964 ص 386) . وقد استمدوا هذه التسمية من هجرة الرسول (ص) إلى المدينة فكانت المدينة دار هجرة الرسول ومركز دعوته . وفي القرآن آيات ترددت فيها كلمة هاجر ومشتقاتها ، وكثير منها تبارك الذين يهاجرون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، وآيات أخر تحث على الهجـرة في سبيل الله .

الذين كانوا معه بما حمله إلينا ، وكتاب المؤمنين الذين وافاه الكتاب عندهم من أهل الناحية .

وتناول الكتابيْن (صع) فقرأهما علينا بنفسه إلى آخرهما . فسمعنا من كلام الرّجل في كتابه ما لم نجد فيه لفظةً ساقطة ولا / معنًى فاسدا . ووقفنا فيه من جزالة لفظه (1) ومعانيه على ما وثقنا لوليّ اللّه بقيامه له ، وذكَرَ مسرّته وابتهاجه وما انتهى إليه أمرُ وليّ اللّه بما أمر به وأحياه من دين الله (تع) ، وما كانوا أنكَرُوه ممّا فشا عن الخائن من تغيير الدّين وارتكاب محارم الله (تع) . وذكروا ذلك في كتابهم .

وطالعَ الرجلُ بما يعمل عليه من دعوة مَن صار من المجوس إلى دين الإسلام كما يجب ، ثمّ الأخذ عليهم بعد أن يُسلِموا كما ينبغي ، وشاور في كثير من أعماله وما يجريه من أموره .

وذكر صنما معبودا قِبَلَه يحجّ المجوسُ إليه كحجّ المسلمين إلى بيت الله الحرام في كلّ / عام : فطالع في كسره وتعفية أثره ، وفي أشياء كثيرة – يطول بها الكتاب – من أمره ، واستمدّ وليّ الله من عِلْمِه فاقتبس (2) من نوره ما يعمل به وبذيعه فيمن قِبلَه .

فما ندري كيف نصف ما كان من ابتهاجنا بذلك وموقعَه من قلوبنا بما أجراه الله منه على يد وليّه ويسّره له ، ومنَحه من صنعه فيه . وعوّلْنا على تقبيل الأرض بين يديه ، وحمِدنا الله وشكرناه بما قدرنا عليه واستطعناه * ، وسألنا إنجاز وعد وليّه وبلوغنا إليه .

وفي مثل ذلك :

252 – (قال) وصل إلى حضرة أمير المؤمنين الإمام المعزّ لدين الله (ص) رسلٌ من قِبَل داع من بعض دعاته ببعض الجزائر بمال حملوه / إليه من قِبَلِه

(1) من « ساقطة ... » إلى « ... لفظه » ، ناقصة من « ب » .
(2) أ و ب : فاقتبسه .

من قربات المؤمنين وغير ذلك ممّا حمّلهم (1) إيّاه ، فأوصلوا ذلك وأوْصَلُوا كتابه إليه (ص) . فذكر لنا أنّه كتب فيه يذكر فيه استقامة الأحوال قِبَلَه وعمومَ سلامة الأولياء لديه وصلاحَ أحوالهم وحسنَ نيّاتهم وإقبالَهم إلى ما يرضي الله (تع) ويُرضي وليّه (ص) ، ويصف أنّ بعض طواغيت بني العبّاس نجَم في ناحيته وادّعى الأمر لنفسه وغلب على موضع من الجزيرة التي هو بها ، وسار إلى مدينة من مدائنها ، والأمير الذي عليها ممّن شملتْه الدعوةُ الطاهرة واستجاب إليها ، فأظهره الله على الخائب المخذول ، فهزم جمعه وأسّره .

وكتب إلى ذلك الدّاعي يطالعه فيما يعمل فيه / ، واستأذنه في مكاتبة وليّ الله وأذِنَ له في ذلك ، ووصل كتابُه وقرأه أمير المؤمنين علينا ، فسمعنا كلام معترِف بفضل وليّ الله (ص) ، مسلِّمٍ لأمره ، عارف بحقّه ، متديّن بولايته .

فقلت : يا مولاي ، حقيق على الله نصرُ من كانت هذه طويّته وهذا اعتقاده .

فقال : أجل والله ، إنّ الله (تع) لينصُر من تولاّنا كما وعد في كتابه المبين ، لأنّهُم حِزبه وهو يقول،أصدق القائلين « أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ المُفْلِحونَ(2) ». وأثنى على هذا الرّجل خيرا ، ودعا له بخير ، وذكر ولاية أبيه من قَبْله ، وما كان عليه من جميل النّية وحسن الاعتقاد لوليّ الله ، وترحّمَ عليه ، واستغفر له ، وقال : لقد كان هذا / الفتى يؤمَّل لمقامه في * حياته وتُعرَف مخايل الخير فيه وهو طِفلٌ بين يديه ومن أصغر بنيه . وذكر مِحنةً كانت قد أصابت أباه وهو لتسْع سنينَ ، وصنَع إخوتُه الأكابر صنيعا أرادوا به استمالة العامّة فأنكره عليهم ، وقال : إنّ الذي قام والدُنا له حيٌّ لم يَمُت ، فإن أصابه ما أصابه فصاحبُ الحقّ الذي تولّيناه ووصلْنا أسبابَنا بأسبابه، في عزّه وسلطانه ، فلن نعدمَ من الله خيرا ما دُمْنَا نتولاّه ، ونصرا نتوقّعه ، وفرَجًا نُؤملُه ما خلصَت نِيّاتُنا له ، فعلاَمَ نُعطي هذه الدّنيّةَ من أنفسنا ؟ فعَجِب لذلك يومئذ مَن سمعه لما كان منه على حداثةِ سنّه وقريب عهده / ، وقال خاصّة أهله : إن كان مِن سيّدِ مكانَ أبيه ، فهذا . وأزال الله تعالى بفضله تلكَ المحنة عن أبيه ، وأعاد إليه سلطانَه وعزّه الذي

(1) ب : حملوهم .

(2) في النسختين : ... هم الغالبون . والتصويب من سورة المجادلة ، 22 . أما آية 56 من سورة المائدة فهي : « ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » .

كان قد خوّله إيّاه . وأخبر بما كان منه فأعجب به (1) واستحسنه له . ثمّ كان عاقبةُ أمره ما قد سمعتُم .

فحمدنا الله على ما أولى وليّه ، وشكرناه بغاية جهدنا .

وكان هذا والمجلسان قبله في مجلس واحد (2) فقلت له : يا مولاي ، لو جاز لنا أن نُحدِثَ سُنّة ، لاتّخذنا هذا اليومَ عيدا لما تواتر علينا فيه من المسرّات ، ولكن أكثر ما نقدر في ذلك عليه حمد الله وشكره بغاية وسعنا ومنتهى طاقتنا .

قال : نعم ، الحمد لله على ما خوّلنا وأعطانا ومنح / أولياءنا ، وأسأله إلهامَ شكره وتمامَ نعمته علينا وعليهم بفضله ورحمته .

كلام في مجلس في فضل التمسّك بالطاعة :

253 — (قال) ولمّا قفل الجيش المنصور من أرض المغرب بعد أن أظفرَ الله (تع) وليّه بابن واسول المدّعي الإمامة وابن بكر النّاكث المتغلّب بفاس ، وفتّحها الله (تع) على وليّه وما والاها من أرض المغرب ، أخذ قائد ذلك الجيش أبناء جميع وجوه أهل المغرب ورؤسائهم (3) رهائن عنده ، وقدم بهم وبكلّ وجه (4) كان بذلك الصّقع ممّن يُطاع به ويُخاف جانبه . وجاء فيهم بجماعة من الحسنيّين الذين تناسلوا من ولد إدريس (5) وتأمّروا في القبائل وادّعوا الملك . فلمّا وصلوا / إلى الحضرة ، أمر أمير المؤمنين (ص) بإنزالهم ، وكساهم ، ووصلهم وحملهم ، وأجرى عليهم النّزل الواسع . فأقاموا على ذلك مدّة ثمّ منّ عليهم بتسريحهم وإطلاقهم إلى بلدانهم ، وأمر لهم بصلات وخلَع وحُمْلانٍ . وبعث معهم إلى آبائهم وأكابر أهاليهم بكُسًى وصلات وسُرُج مُغَرْقَة (6) .

وأم[illegible] [illegible] في حين خروجهم ليودّعوه ، فصفّوا بين يديه ، وأدنى الحسنيّين [illegible] وامرهم بالجلوس . ثمّ قال للجميع : قد علِمتُم ما كان من إحساننا إليكم ،

(1) ناقصة من أ .
(2) أي ، الفقرات التي رقمناها 250 ، 251 و252 ، نقلها النعمان عن مجلس وا[illegible] المعز مع أوليائه .
(3) ب : ورؤسائه .
(4) ناقصة من أ .
(5) معلوم أن إدريس الأول مؤسس الدولة الإدريسية بالمغرب سنة 789/172 هو من [illegible] الحسن بن علي بن أبي طالب . انظر ك. الاستقصاء للناصري ج 1 ص 147 وما يليها .
(6) مغرقة : محلاة بالفضة . ولعلها « مفوفة » كما مر .

وفضلنا عليكم ، وعفونا وصفحنا عمّا سلف من أموركم ، وقد سرّحناكم لما اتصل بنا من شهرتكم ومن خلّفتموه وراءكم في سراحكم وشوق / بعضكم لبعض ، فآثرنا إسعافكم بذلك والمنّ به عليكم . فاعرفوا ذلك وتلقّوه بالشكر وحميد السعي وحسن الطاعة تتعرّفوا منّا المزيد عنكم (1) ، ويتّصل فضلنا لديكم ومعروفنا عندكم . وليعلم من أدنى إلينا بالنّسب منكم أنّ ذلك إنّما يتوسّل به من اعتصم بالطاعة وتمسّك بها ، فأمّا من عصى أولياء الله وخالفهم فقد انقطع نسبه (2) منهم ، كما قطع الله (تع) نسب ابن نوح منه لمّا عصاه ، ولولا أنّ الله افترض الطاعة لنا على كافّة خلقه وقرنها بطاعته وطاعة رسوله ، وجعلها دينا تعبّد العباد به ، وأقامنا (3) لإقامة دينه ، لما عبأنا بمن أطاع منكم ولا من عصى ، ولكنّا / إنّما نريد بذلك إقامة ما أمرنا الله — تعالى — به من إقامة دينه . ولو أنّ هذا الفاسق ابن بكر أطاعنا * ما بخلنا عليه بفاس وما هو أعظم منها ، وما لذلك عندنا ولا للدنيا بأسرها من خطب نبتغيه ممّن تغلّب ، ولا نقيم أنفسنا لمحاربته لولا ما افترض الله (تع) علينا من ذلك واستخدمنا له . ولو سلّم ذلك إلينا الفاسق ومن تمسّك به وأطاعه على معصيتنا لما عرّضوا (4) أنفسهم للتّلف وحرمهم للانتهاك ، وإن كان ممّا جبلنا الله عليه من الصّفح والمرحمة منعنا من انتهاكها — وقد عرّضوها للانتهاك — ومن سفك دمائهم وهلاكهم عن آخرهم — وقد استهدفوا بها للسفك وبأنفسهم للهلاك — ولكنّا عفونا عند المقدرة ، وصفحنا بما جبلنا الله (تع) عليه من الصفح والمرحمة ، وأبقينا على من بقي منهم ومن أقدرنا الله تعالى عليه من جميعهم ، وصنّا حرمهم ، وعففنا عن دمائهم . وما لهذا الفاسق الذي أقدرنا الله (تع) عليه ، بعد الذي كان منه من مناصبتنا وحربنا بعد عفونا قديما عنه وإحساننا إليه . من المقدار ما يوجب عقلته وإبقاءه إلاّ لما أردنا أن يديم الله (تع) به حسرته من كونه في الأسر . ونظره إلى فضل الله علينا وعلى من ننيله إيّاه ممّن رأينا المنّ عليه والإحسان إليه منكم ومن أمثالكم ممّن آثر طاعتنا والتسليم لأمرنا وأناب إلينا ولم / يصرّ على معصيتنا ، فيعلم أنّ الله (تع) لو أراد به

---

(1) ب : عنده .

(2) أ : نسبته .

(3) ب : نقص من « بطاعته .. » إلى « ... وأقامنا » .

(4) أ : عرض .

خيرا لوفّقه إلى ذلك وقدّره له ، فنال من فضلنا وإحسانِنا ما قد نال غيره . ففي ذلك ما يُنكي اللّهُ (تع) به صدرَه ، ويديمُ له حسرتَه وأسفه ، فينال من أليم عـذابه – جلّ ثناؤه – في دنياه صدرا ممّا أعدّه له قبلَ مصيره إلى أليمِ عذابه الدائم والخلودِ في خِزْيِهِ اللازم .

إنّا والله ما نبتغي من طاعتكم لنا وتسليمكم لأمرنا وإنابتكم وإنابةِ غيركم * إلينا عزّا إلى عزّنا نستفيدُه ، ولا عرَضًا من أعراض الدنيا نستزيده . ولقد خوّلَنا اللّهُ (تع) من ذلك وملّكنا وأعطانا بفضله علينا وإحسانه إلينا ما لا نتعاطى أن نقومَ بشُكره ، ولا تمتدّ أعيُننا / إلى غيره استقلالا لما خوّلنا اللّهُ (تع) وأعطانا من جزيلِ كرائمه وأفضلِ علائقه ، وأعزّنا به من عزّ سلطان حقّه ، وأمجدَنا من مجد شرف دينه ، وما وصل من أسبابنا بأسباب جدّنا محمّد نبيّه (صلع) ، وأن جعلنا أئمّةَ خلقه الذين لايقبَلُ /منهم/ إلاّ من أقبَل عليهم ، ولا يرتضي إلاّ مَن ارتضاهم . فما بعد ما عِندَنا من فضله ونعمته فضلُ نعمةٍ ينبغي أن ننالَها (1) من أحد من عباده ولا فوقَ ما أعطانا من الشرف والمنزِلة ما يؤمّل أن نرتقيَ إليه بشيء نستزيده من قِبَل أحدٍ من خلقه ، بل قد أحوجَ اللّهُ (تع) جميع العباد إلينا دُنيًا ، ودِينًا ، وله الحمد على ما خوّلنا وأعطانا ومَنّ به علينا ، ولكنّا نَنْدُبُ / أنفسَنا وأبدانَنا ونستعمل أولياءنا ونُنفقُ أموالنا فيما استعملَنا الله فيه ، واستَخْدَمَنا له ، وأمرَنا بإقامته من معالم دينه والذبّ عنه وإقامةِ شرائعه ، وإحياء ما أماته المُبطلون من سُنّته وأحكامه . فنحن ندعو مَن أناب إلى ذلك ونَحُضُّهم عليه ، ونجاهد من عَنِد ذلك وصَدَفَ عنّا فيه .

فاعْلَمُوا ذلك منّا وعرّفوه مَن تصيرون إليه ، وإنّكم لن تَعْدَموا فضلا من الله ومِنّا ما اعتصمتُم بحبلنا وتولّيتُمُونا ، ولن تفُوتوا الله (تع) وتفوتُونا إن صدَفتم عن أمرنا وأصغَيْتُم إلى عَدُوّنا ، ويد الله العليا عليكم وعليهم وأيدِينا (2). وعلى كلّ مَن عصانا وصدف عن أمرنا ، وَعْدًا وَعَدَنا * / إيّاهُ (تع) في كتابه ، وواجبًا أوجبَه تبارك وتعالى في إيجابه إلى من عسى أن يَميلوا عنّا ومن يستبدِلُون بنا ، ودعوة من يُؤْثِرون على دعوتنا ، وهي دعوة جدّنا محمّد (ص) .

(1) أ : تناولهـا .
(2) لعل الاصح أن يقال : ويد الله العليا وأيدينا عليكم وعليهم وعلى ...

وطواغيت بني أميّة الذين مال نحوهم ودعا إليهم وأصغى إلى باطلهم هذا النذل ابن بكر واستبدلهم بنا ، هم عدوّ جدّنا محمّد (صلع) وحربُه ولعناؤه وطرداؤه وحزبُ الشيطان وجنوده . ونحن حزب الله وحزبه — كما وعد — الغالبون ، وحزبُ رسول الله ، وذرّيّتُه المطهّرون . والله ما تثبُتْ أنفسهم الخسيسة ، ولا تتعاطى مقاومة فضلنا ، ولا ينكرون — وإن أبدوا ما أبدوه من محاربتنا وعداوتنا — / حقّنا . وإن قلوبهم لتخافُنا وجلودهم لتقشعرّ منّا . ولو قُرِّب جلد ميّتٍ منهم إلى جلدِ ميّتٍ منّا لاقشعرّ منه ، كما (1) قد قيل إنّ ذلك يعتري جلودَ بعض الحيوان إذا قُرّبَ من جلود بعض السباع . وللّذي جعلَهُ الله لنا من الهيبة في صدور عدوّنا والخوفِ لهُوَ أشدُّ ممّا جعله الله — تعالى — في قلوبِ الحيوان للسباع لا محالة .

فمَنْ ذا يعدِلُنا بالأرجاس من بني أميّة ومَن هُوَ في مثل حالهم ، إلاّ من أعمى الله قلبَه ، وغلبت عليه شِقوتُه وحَيْنُه ؟ فاعرِفوا فضلَ ما وفّقكم الله (تع) إليه وحباكم به ، وقُوموا بفرضه واشكُرُوه على ما وَهَبَكم منه ، ومَنّ عليكم من رضانا به ، تستديموا نِعمتَه بذلك / وتستزيدوا فضله . أمّا إنّني لم أقُلْ ما قلتُهُ في نفسي تكبّرا ، ولا وَصَفْتُ ما وصَفْتُه من فضل الله (تع) عندي فَخْرا ، بل قلت اعترافًا بفضله عليّ ، وشُكرا لنعمته ، وأنا أقلُّ عباده عندَ نفسي تواضُعًا لعظمته وأذلُّهم لديها تذلّلاً وخضوعا لقُدرَتِه . واستعبر (صلع) ، وظهرت خشيةُ الله على وجهه .

فقبّلوا الأرض بين يديه ، واعترفوا بفضله ، وشكروا له بما قدروا عليه ، وذكروا ما يعتقدونه وما يعلمونه ممّن خلّفوه وراءهم من أوليائهم واعتقادهم طاعتَه وولايتَه ، وودّعوا وانصرفوا .

وكان قد أدخل قبلهم وجوه أوليائه من كتامة وغيرهم وخاصّة عبيده ، فحضروا / المجلس . فلمّا انصرف القومُ نهض من كان جالسا منهم للقيام ، فأمرهم بالجلوس فجلسوا . ووقف كذلك من كان منهم واقفا ، فأقبل عليهم وسألهم عن أحوالهم ، وذكر مَن مضى من أسلافهم وترحّم عليهم ، وحضّهم

(1) ب : كما قال قد قيل ...

على ما كان عليه أسلافُهم من الرَّغبة في الحكمة وطَلَبِها وسماعِها والمواظبة عليها .

فذكرت له مواظبتَهم على ذلك واجتماعهم في كلّ يوم جمُعة واحتفالَهم وغيرَهم من أوليائهم (1) إلى الجامع لشهود الجمعة والتهجير إليها ، ثمّ مُقامَهم بعد انقضاء الجمعة لسماع الفقه والمناظرة فيه قبل انقضاء صلاة العصر ، ثمّ احتفالهم بأجمعهم ومن عسى أن فاتته صلاةُ الجمعة منهم إلى / القصر المعمور بطول بقائه لسماع الحكمة وما يظهر من إقبالهم عليها ورَغبتهم فيها .

فقال : هذا الذي نريده منهم ومن غيرهم ممّا فيه حظُّهم وصلاحُ أحوالهم وتمامُ نعمة الله عليهم . إنّهم ومن مضى من أسلافهم كانوا مع من مضى من آبائنا — قدّس الله أرواحهم — قليلا ما يُنعَمُ عليهم مثل ما نُنْعِم نحن على هؤلاء بحسب ما أوجبَه الزمان وجرت به الحكمة في أعصارهم (صع) وعصرِنا هذا المباركِ من بعدهم . إنّهم كانوا يأخذون ما قد (2) سمعوا به من العلم والحكمة لهم، فلمّا أخذوا ذلك عنهم تركُوهم، ولم ينقِموا عليهم تركَهم لسؤالهم المزيدَ من فضل الله (تع) لهم . ونحن نبذُل لأهل عصرنا / ما يجب في بَدْءِ الأمور بذلُه لهم، ونزيدهم ما رأينا الرَّغبة والإقبال منهم ، ونُنعِمُ عليهم إذا سكتوا عن طلب الزيادة منّا لهم ونُحبّ أن نجعلَ جميعهم أعلامًا يُهْتَدَى بهم ، وسُرُجا يُستضاء بنورهم ، وعلماء تَقْتَبِسُ الخلائقُ منهم .

فقبّلوا الأرض بين يديه ، وشكروا فضله وجزيل ما أولاهم من نعمه .

فقال (عم) : أُحبّ لكم ولغيركم خاصّةً ولجميع مَن تمسّك بولايتنا عامّة أن يكونَ ما تُكِنُّه صدورُكم لنا موافِقًا لما تَنْطِقُ به ألسنَتُكم عندنا ، فإنّ الله (تع) إنّما يَجزِي العبادَ بنيّاتهم ، وإلاّ فمثَل مَن سمع الخائبَ اللعين قيصر (3) وقد سأله بعضُ رجالنا رفعَ حاجة إلينا / فأعرض عنه ، وقال: إنّما تُقْضَى حوائجُ الرّجال إذا احتيج إليهم ، واليومَ فليس لمولانا علوٌّ يُحتاجُ معه إلى الرجال .

---

(1) ب : أوليائه .

(2) أ : كانوا يأخذون قبل ما سمعوا به من ...

ب : كانوا قد ما سمعوا به من ...

(3) قيصر : انظر : ص 436 . وفي ب : العين — يعني قيصر — .

فيطوي هذا عنّا ويرضاه مِن قوله ، ويصحبه ويتولاّه بعدَه يكون قد حفظ لما أخذ لنا عليه وصحّت لنا نيّتُه .

فقالوا : لعن الله من فعل ذلك .

قال (عم): نعم ، ورحم الله من بلّغه إلينا نصيحةً لنا كما أخذناه عليه وأنكرَه بسببه لمّا سمعه منه . فمثل هذا فارعَوه من أنفسكم ولا تتّخِذُوا ولائج من دوننا ، فوالله ما أحوَجْناكم إلى ذلك، وإلاّ فأخبروني أيٌّ كبيرٍ منكم أو صغيرٍ كتب إليّ رُقْعةً في ليل أو نهار يقول إنّه يريد الدخولَ إليّ فحجبته ، أو الاجتماع معي/ لحاجة يريدها أو لأمر يُنهيه إليّ فمنعتُه أو دفعتُه؟ إذًا والله لا يقول ذلك قائل منكم ولا يتعلّق به عليّ ، فأيّ حجّة لكم في وضع أنفسكم لمن هو دوني ، وأنا أريد رفعتَكم وتشريفكم ؟

فقبّلوا الأرض بين يديه وشكروا له ، واعترفوا بفضله وإحسانه .

الجزء الرّابع والعشرون

بسم الله الرحمان الرحيم

حديث في مجلس في حمد الله عزّ وجلّ وشكره والاعتراف بفضله :

254 – قال القاضي النعمان بن محمّد : سمعت الإمام المعزّ لدين الله – صلوات الله عليه – وقد أتاه فتح مدينة فاس بعد أن كان أكثر الناس يئسوا من ذلك لطول إقامة الجيوش عليها (1) / وهروب مَن هربَ منهم عنها وقوّة أهلها وكثرة الأطعمة فيها ووعر خنادقها وحصنها ، فقال (ص) : هذا من قول الله (عج) : « حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا (2) » . والله ما استيأس رسل الله من فضله (عج) ونصره إيّاهم ، ولكنّهم استيأسوا ممّن خذَلهم ولم يَقُمْ بواجب حقّ الله (تع) الذي افترضه في جهاد عدوّهم ، فقطعوا من الخلق رَجاءهم ، ووصلوه بالله ربّهم ، فآتاهم نَصْرَه الذي به وعدَهم .

وقد كان المعزّ لدين الله (صلع) ، كلّما ورد عليه من أمر فاس هذه أمرٌ يئس مَعَهُ مَنْ سَمِعَهُ مِنْ فتحها ، يقول – ونحن نسمعه من غير موطن – : إذا

---

(1) دام الحصار نصف شهر في الحقيقة ، ولعل النعمان يعني هنا طول اقامة جوهر بالمغرب عامة ، أي سنة أو أكثر ، كما يقول ابن عذاري (ج 1 ص 222) وابن الأثير (الكامل ج 6 حوادث 347) .

(2) يوسف ، 110 .

أتى مثل هذا ،ما أتوكّل في/ أمرها وكلّ أموري إلاّ على الله لاشريك له ، ولا أرجو غيرَه ، وإنّـي لواثقٌ بفضله ونصره .

ثمّ قال (ص)لمّا أتاه الفتح : والله إنّي لربّما أريد أن أسأل الله — تعالى — في الزِّيادة من فضله فيما يكون من مثل هذا فأستحي أن أسألَه ذلك لكثرة ما أولاني منه ، له الْحَمدُ لا شريكَ له . وإنّـي لـربّمـا سألـتُ الله (تع) طـول البقـاء لعـدوّي ليُخزِيَه الله بذنوبه ، ويرى ويَسْمَعَ من صنع الله عندي ما يُنكيه ويؤلمه .

ثمّ قال (عم) : أتدرون ما أردْتُه بالكتاب الذي كتبته منذ قريب * لأهل فاس هؤلاء الأشقياء ؟ وقد كان كتب لهم كتابا بالأمان إن أنابوا ، وعرَّفَنا به ، فلمّا انتهى إليهم ردّوه فلم يَقْبَلوه / .

قلنا : الله ووليّه أعلم .

قال : والله إنْ أردتُ بذلك إلاّ هلاكَهم بإقامة حجّة الله تعالى عليهم ، وإلاّ فقد علمتُ أنّهم ، متى جاءهم وهم يرون أنّهم في قوّة وأنّ عساكرَنا قد سئمَتْ من المُقام عليهم وانحلّ بعضُها عنهم ، وجاءهم مثل هذا من عندي ، أنّهُم يدفعونه . فأردت أن أجعلَه ككتاب رسول الله (صلع) إلى صاحب فارس (1) إذ (2) أتاه فمزّقه فمزّق الله تعالى ملكه ، وككتاب المنصور بالله (صلع) إلى مخلد اللّعين وأصحابه ، وقد حاصرهم بقلعة كيانة (3) إذ كتب إليهم الأمان فردّوا كتابه ، فأمكنه الله (تع) منهم في أقـرب وقت . وكـذلك أردتُ بكتابي الـذي رأيتمـوه ، وكان كما أردت ذلك بحمد الله / ونعمته .

ثم حمد الله (تع) بما هو أهله ، وشكر فضلَه بما قدر عليه وأمكنـه .

كلام في مجلس في ترتيب استعمال العمّال على العمل :

255 — (قال) : وذكر (صلع) بعض الأولياء لبعض الأعمال (4) فقال : إنّا ربّما أردنا مثل هذا لمن نندبُه فيرى نفسَه فوقَ ما ندبناه إليه ، ويرى أنّا قصّرْنا به في ذلك ، وما نقصِد بأحدٍ من أوليائنا وغيرِهم ممّن نندُبه إلى عمل نستعمله عليه إلاّ شرَفَه

---

(1) رسالة النبي إلى كسرى : حملها عبد الله بن حذيفة فقرئت على كسرى ثم أخذها فمزقها ، فقال الرسول (ص) : اللهم مزق ملكه ! (النويري : نهاية الأرب ، 163/18) .

(2) في النسختين : إذا أتـاه .

(3) في جبال المعاضيد شمالي شط الحضنة ومدينة المسيلـة .

(4) ب : لبعض العمـال .

وترفيعه . وما شيء استعملَنا الله (تع) فيه فعملناه له بقليل ، [و] ينبغي لمن ندبناه إليه أن لا يحتقرَه ، ويرى نفسه فوقه . ونحن عمّال الله (عج) عليه . وإنّما (1) ننقُل الناس كما ينبغي أن يُنْقَلوا في الأحوال حالا عن حال . فمن / رفَعَتْه كفايته (2) ونصيحتُه رفعْناه ، ومن قعد بنفسه فلا يلُمْ أحدا سواه .

وليس ينبغي لنا أن نبتدىء من نبتدِئُه حتّى نختبرَه بمعالي العمل (3)، وما سبق منه فيما هو دونه ، لأنّا لو فعلْنا * ذلك لعرضنا به إلى هلاكه . فقد قيل إنّ الإنسان إذا رمى شيئا من يده من نحو صدره إلى ما دونَ ذلك من أسفلِ يدَيْه ، فالمعلوم أنّه لم يُرِدْ به كسرَه ولا إفسادَه ، وإذا رفعَه إلى أعلى من ذلك وإلى فوق رأسه وضرب بِه الأرضَ، كان العلم محيطا بأنّه أراد أن يكسِّره ويُوهِنَه . فهذا مثَلٌ لما قلناه إنّا لربّما نُعطِي من نُعطيه اختبارًا ومحنة . فإن رأينا من أعطيناه ما نُعطيه قامَ به وشكر / عليه وأدّى الأمانة، زِدناه ، وإن قصّر، قصّرْنا به ونقصناه . وهذا دأب (4) الله (تع) لخلقه فقد جعل ثوابا لمن أطاعه وعقابا لمن عصاه وقال : « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (5) » .

كلام في مجلس في فضل النّيـة :

256 — (قال) وذكر للمعزّ (صلع) بعضُ دعاته بعضَ عمّال المهديّ (ص) ، فقال : ذكر عنه أنّه افتتح مدينةً فلم يُصب فيها كثيرَ شيء ، فاغتمّ لذلك وأرسل إلى أهل خاصّته من الجيش الذي كان معه ، فقال لهم : هذه مدينة مذكورة قد افتتحناها عَنوة ، ونحن كما ترون لم نجد فيها مالا نقابل به وليَّ الله ونُبقِي (6) به وجوهَنا عنده ، وإذا لم نفْعَل ذلك صرنا في / حدود التّهمة . فأيّ مصيبة أعظمُ

---

(1) ب : وأن .

(2) كفاية عوض كفاءة ، والخلط بين الكلمتين بعد شائع .

(3) هكذا في النسختين ، ولعل في الكلام تحريفا ، إذ المنتظر أن يختبره في العمل المتواضع أولا ، وفقا لمدلول الجملة اللاحقـة .

(4) ب : وهذا الأداب .

(5) إبراهيم ، 7 .

(6) هكذا في النسختين . ولعلها : نقي .

ممّا نحنُ اليوم فيه ؟ ليت أنّا لم نفتح هذه المدينةَ ، وكنّا رجَعْنا عنها ولم نَصِرْ عرضا للتُّهَم وقول البغاةِ والحسَدة . وأظهر لهم بذلك غمّة شديدة .

فقالوا له : ممّا يغمُّك من هذا وأنتَ على يقين من نفسك وصحّةٍ من نيّتك ؟ ونحن وأهل العسكر قد (1) أصبنا غنائمَ كثيرة ، فنحن نَضُمُّها كلَّها إليك فتأمر ببيعها وتبعَثُ بأموالها .

فقال : والله إنّ في هذا لبعضَ ما سلّى قلبي. وعندي أيضا من نعمة وليّ الله وفضله عليّ ما نَزيدُه إلى ذلك ونتجمّلُ به .

فانصرف القوم عنه يجمَعُون الغنائم ، ودخل هو إلى الدّارِ التي نزل بها — وهي دار / سلطانِ تلك المدينة — فاستلقى على سرِيره لينامَ ، فتَعَذّرَ عليه النومُ ، وبيده مِروحَةٌ يتروّح بها ، وجعل يفكّر فيما يبيعُ من متاعه ويزيده من ماله إلى ما يجتمع من الغنائم ، وشقّ عليه أخذُها من أيدي الأولياءِ وقد قاتَلوا عليها وكان قد أباحهم إيّاها . فهو يفكّر في ذلك ويَنْكُتُ الحائطَ بالمِروحة التي في يده لاشتغال ذهنِه ، إذ سمع الحائطَ يَدْوِي لوقع المِروحة عليه ،فانتبَه لذلك واختبره، فرَآهُ كذلك يدوي وكأنّما وراءَه شيءٌ ، فدعا بالفأس فضرَب فيه فإذا بأموالٍ عظيمةٍ قد خُبِّئَتْ فيه تربو على الأمَلِ ، فأخرجَت وصُبّت بين يَدَيْه ، ففرِح وزال / عنه ما كان مغموما به .

وأتاه القوم الذين خاطبهم بصدر من الغنائم ، وقالوا : هذا ما عندنا قد بدأنا به فخُذْه إليك لتخرجَ إلى الناس فتكلِّمَهم في ذلك ، فإذا علِموا أنّا سارعنا بما عندنا سارعُوا بما عندَهم ، فأخبرَهم بما أصاب ، وشكرهم وردّ عليهم ما أتَوْهُ به ، وبعث بالمال ، فانتهى إلى المهديّ (صلع) ما كان في ذلك منه ، فحسن له موقعُه عندَه .

قال المعزّ لدين الله (صلع) : وأخبرني عنه بعض من يخصّه ويقرّبه أنّه أدخله إليه يوما إلى داره في الموضع الذي كان عاملا عليه ، وقد أخرج أموالا كثيرة ليبعَثَ بها إلى المهديّ بالله (ص) ممّا اجتمع عنده من مرافق العمل. (قال) : فقال / لي ذلك

(1) في النسختين : فقد ...

الرجل : ولم أكن قطّ رأيتُ ألفَ دينار مجتمعًا فلمّا رأيت ما بين يديّ من الأموال تعاظمتُ أمرَها . فقال لي : أتدري لماذا بعثت إليك ؟

قلت : لا :

قال : هذه الأموال عندي وهي أكثرُ ما قدَرْتُ عليه – وذكر لي مبلغَها – وإنّما نخافُ أن يستقِلَّها مولانا (عم) .

قال الرجل ، وكان من أهل ذلك البلد : فلمّا قال ذلك خشيتُ إن بعثَ (1) بذلك المال * كلّه أن يصير قانونا مقطوعًا على البلد ، فلا يقوم أهلُه به ، فقلت : أيّدك الله ، إنّ هذا مالٌ عظيم لم يُخرَجْ قطّ مثلُه من هذا البلد ، فإن أنتَ بعثتَ به كلّه دَفعةً واحدة أجحَفْتَ بنفسك ولم تأمن من أمرٍ يحدُث عليك / تحتاجُ فيه إلى المال ، فلا يكون عندك منه شيء ، فلا يتهيّأ لك فيما يُستقبَلُ مثلُ هذا . فإن قصّرتَ دونه كنت قد تعرَّضْتَ للقول فيك . وفي بعض (2) هذا المال ما يستكثر لك لأنّه لم يكن يحمِلُ أحدٌ من العمّال قبلَك بعضه ، فاقتصِرْ منه على ضِعفَيْ ما حملَه من كان قَبْلَك (3) ، فإنّ ذلك [مـ]ـمّا يُعرَفُ فيه فضلك وتوفيرُك ، ودعِ الباقيَ عندك لما عسى أن ينوبَك وتحتاج إليه وتوفّر به ما تبعَثُ به بعدَ اليومِ إن نقُصَ (4) المال في يديك .

(قال) فرأيته تغيّر لكلامي وأطرق ساعة ثم رفع رأسَه إليّ مُغْضَبًا فقال : أمَا والله لولا علمي بنصيحتك ومودّتك لقلتُ إنّك أردتَ بي سوءًا / ولعاقبتُك عقوبة مثلك ، ولكنّي لا أشكّ في أنّك لم ترد إلاّ خيرا ، ولكن ربّما أراد الإنسان الخيرَ فأخطأ . أفكُنْتَ ترى لي أن أخون مولانا (عم) وأحتبِسَ مالَه ، وأكذِبَه فيما أبعَثُ به إليه ، فأقول : هذا ما اجتمع لي ؟ فأينَ عهدُه في عنقي وأين فضلُه عليّ وأينَ إحسانُه إليّ ، وما رجاه من نصيحتي وأمانتي ؟ والله لا أدَعُ منه حبّةً واحدةً إلاّ بعثْتُ بها ، فإن احتجْتُ إلى شيءٍ طالعتُ مولانا بحاجتي ، وأرجو

---

(1) في النسختين : بعثت .

(2) ب : نقص من : هذا . فان ... إلى : وفي بعض ...

(3) زيادة في ب : لا بعضه فاقتصر منه على . وقد تكون تكرارا لما في السطر السابق .

(4) ب : أن تقبض .

أن يُغنيَني اللّهُ عن ذلك ، وإن لم أجِدْ مثلَ هذا فيما أستَقبِلُ بعثْتُ بما وجَدْتُ ، /و/توكّلْتُ على الله في حسن ظنّ وليّه بي لما اعتقَدْتُه ونَوَيْتُه .

وبعث بالمال عن آخره فما احتاج إلى شيء / بعد ذلك . وكان إدخاله زيادة في كلّ عام إلى أن توفّيَ وهو على ذلك من حاله .

ثمّ قال المعزّ لدين الله (صلع) : فهذا ممّن كانت نيّتُه ونصيحتُه قد أدّاه فضلُهما إلى السعادة ، وكان المهديّ بالله (صلع) يشكر فعله ويحمد أمره ، وإن لم يكن ممّن برع في الدّين من المؤمنين ، فكان فيه بعض ما كان ممّا يعفو الله عنه إن شاء الله له ولمن كان في مثل حاله من أوليائنا ، وإن كانت الشهادة قد طهّرته ومحّصت عنه ما تقدّم له مع ما كان عليه من رضى وليّ الله لما كان من نصيحته وأمانته وكفايته .

كلام في استحباب العدل وشكر أهله :

257 — (قال) وكان المعزّ لدين / الله (صلع) قد استعمل على ناحية من نواحي الزّاب رجلا فأدخل مالا كثيرا ،وصحبه سوء ثناء عليه وشكوى من الرعيّة (1) له لم يتحقّق عند وليّ الله ، إلاّ أنّ ذلك ممّا ظهرت منه له غمّة شديدة ، وعزل ذلك العاملَ من البلد وأقصاه واستعمل عاملا مكانَه . فجاء عند رأس الحَوْل بمال دونَ ما جاء به الذي تقدّمَه ، وجاء قاضي البلد معه ووجوهُ أهله يشكرونه . فأمر المعزّ لدين الله (عم) بإدخاله وإدخالهم إليه ، وقرّبه وأدناه وأدنى القاضيَ ، فذكر حُسن سيرته ، وشكروا ذلك بأجمعهم ، ووصفُوا ما عاملَهم به من الجميل ، فاستبشر بذلك المعزّ (صلعم) وقال : اللّه يعلَمُ أنّا ما أمَرْنا أحدا استعملناه / إلاّ بمثل الذي تَصِفونَه من فعل هذا الرجل . فإنّا ما نرضى لأحد خلافَ أمرنا ، ولا نجد حجّة عليه ،فنُهمِلُ ما يجبُ فيه . ولكنّكم معشرَ الرعايا لا تصدُقُونَنا ولا تُبلِغوننا ما يكون منه على وجهه ،وإذا شكا بعضُكم أكذَبَهُ غيرُه وشكر من يشتكيه ، ولو صدقتمونا عن آخركم وزالت الشُّبهة عنّا في أمركم لصلُحت أحوالُكم واستقامت أموركم ، ووجدتُم من إنصافنا وعدلنا عليكم مالا

---

(1) أ : من شكوى .
ب : سقط : عليه .

تبلغه آمالكم . ولكنّكم أنتم سببُ إدخال الوهَن على أنفسكم ، فاصدُقونا تجدوا (1) الصدق عندنا . والله * ما صدَقنا من كذَب ظنُّه فينا ، ولا أمِلَنا بنيّة صالحة من خاب أملُه عندنا . وإنّا لنحبّ / لكم من الخير فوقَ ما تحبّونه لأنفسكم وما تحبّه لكم آباؤكم وأمّهاتُكم . ونشفق عليكم فوق إشفاقهم بكم . والله الشاهدُ على نيّاتنا في ذلك لكم ولكافّة المسلمين والمعاهدين .

فشكروا له وقبّلوا الأرض بين يديه ، وأحسن نزلهم ، وصرفهم إلى بلدهم ، وصرف ذلك العاملَ عليهم بعد أن قرّبه واختصّه وأدناه وأكرمه وحباه وزاد في عمله وبسط يده وقوّى أمره .

كلام في استعظام الشكر في أمر أولياء الله وجهل الجاهلين (2) :

258 — (قال) وسمعت المعزّ لدين الله (صلع) يذكر قوما قد سبَقوا إلى الإيمان وكانت لهم أحْوالٌ جميلة تقدّمت به . ثمّ تداخلَهُمُ الشكّ وصار بعضهم إلى النّفاق ، — نعوذ بالله من البلاء — / ، فقال : هؤلاء من الذين قال الله (عج) فيهم : « فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ (3) » . هذا فلان منهم يقول للمهديّ (عم) : أرِنَا آيتَكَ ؟ فأراه الله الآية في نفسه . ويقول له : أنت المهديّ ليس بعدك أحد ، فيقول له المهديّ (عم) : لو كان الفضل مقصورا على واحد لما كان وصل إلينا منهُ شيء ، ولكن لي من الفضل ما جعلَه الله (عج) لي ، ولمن يأتي من بعدي ما يجعلُه لكلّ واحد منهم . ويقول الآخر لمّا قُبِضَ المهديّ (ص) : إنّا لله ، لا دُنيا ولا آخرة ، كأنّه توهّم أنّ الله (عج) قد قطع فضلَه ، وأنّ ما كان يراه في المهديّ وينتظره قد انبتر وزال من يديْه وكذب من عرفه به ، فأيّ شِقوة تكون مثلَ هذه / الشقوة وأيّ مصيبة أعظمُ منها مصيبة ؟ ولكنّ الجهلَ والتخلّفَ عن المعرفة إذا اجتمع مع الكِبْرِ والأنَفة كانت هذه ثمرته وعاقبته . توهّم * هذا الجاهل بجهله أنّ مفتاح الشيء هو الخزانة في ذاته .

فذكرت له (صع) سببَ مصارمة صاحب هذا القول لبعض الدعاة وأنّه قال يوما لذلك الداعي : أخبِرْنا عن هذا العمل الذي يصل إليك من المؤمنين ، يعني

(1) في « أ » و« ب » : تجدوا نحب ... وفي رأينا أن الكلمة مكررة عن تجدوا ، فأسقطناها .
(2) ب : ويجهل جهل الجاهليـة .
(3) البقـرة ، 89 .

النَّفَقَةَ (1) /أ/ هو العملُ الذي ذكره اللّه (عج) في كتابه وأمر/به/ عباده كقوله (تع) : « وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ (2) » أم ثمّ عمل غيره وأنتم تسمّونه العمل ؟

(قلت) فلم يدر ذلك الداعي ما يقول له إلاّ أن أغْلَظَ عليه في القول وقال / له : أردْتَ أن تُضِلّ المؤمنين بهذا القول وتصدّهم عن دين الله .

فقال : أنا أضلُّ المؤمنين وأصُدُّهم ؟ لأنّا أعلمُ مِن كثير ممّن يرى أنّه فوق الناس في العلم . ونحو هذا من الكلام . واعتكر الكلام بينهما فقطعه وصارمه .

فقلت : لو قال ذلك الداعي جوابا له ما قد بسطه اليوم مولانا في أوّل تربية المؤمنين (3) ممّا حكاه عن الصادق جدّه جعفر بن محمّد (صلع) لمّا سأله السائل عن الإيمان : أقَوْلٌ هو أم قَوْلٌ وعمَلٌ ؟ فقال : الإيمان عملٌ كلُّه، والقول بعضُ ذلك العمل — ثم فسّر ذلك في كلام طويل واحتجّ له من كتاب الله (عج) بحجج كثيرة — فكان يقول هذا الداعي : هذا الذي ذكرتَه هو عمل ، وغيره / من أعمال البرّ التي افترض الله (عج) وسنّها رسوله (ص) فهي كثيرة ، فكلٌّ واحدٍ منهما إذا انفرَدَ فهو عمَلٌ ، فكذلك أعمالُ البشر ، لكان (4) قد بيّنَ له وكفى نفسَه وإيّاه ما أدخل في ذلك .

---

(1) لعل السائل يشير بالنفقة إلى النجوى (ج نجاوى) ، وهي التبرع الذي كان يؤخذ من كل من يتعلم أصول المذهب الاسماعيلي (حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ، ص 223) . ويذكر المقريزي في خططه (ج 2 ص 225) أن لداعي الدعاة أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما لا سيما الصعيد ، ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث ، فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة بيده ... وفي الإسماعيلية المولين من يحمل ثلاثة وثلاثين دينارا وثلثي دينار على حكم النجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز في المحول فيخرج له عليها خط الخليفة : بارك الله فيك وفي مالك وولدك ودينك ، فيدخر ذلك ويتفاخر به » .

ومن أنواع النفقة الفطرة ، وهو ما يدفع في عيد الفطر ، ويقول المقريزي (خطط م 2 ص 225) « وكذلك في عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة ويحصل من ذلك مال جليل يدفع إلى بيت المال » . (وانظر ما قلناه عن الأعمال والواجبات في ص 335 و405 و407) .

(2) التوبة ، 105 .

(3) تربية المؤمنين : يقول القاضي النعمان ان المعز بسط اليوم هذه المسألة في مجلس الحكمة لتربية الدعاة والمؤمنين . ونعرف أن « تربية المؤمنين » هو عنوان كتاب للقاضي النعمان وهو تأويل دعائم الاسلام ، والعنوان الكامل هو : «تربية المؤمنين بالتوقيف على حدود باطن علم الدين في تأويل دعائم الاسلام » . وان أول أبواب هذا الكتاب هو باب الايمان . فمسألة الايمان قد بسطها القاضي النعمان في أول كتاب دعائم الاسلام ، وكذلك في تأويل هذا الكتاب (انظر ثبت ايڤانوف رقم 66 ، ومقدمتنا ص 16) .

(4) جواب لو قال ، في أول الفقرة .

فقال المعزّ (ص) : ولو كان هذا هكذا لم يكن ما قال الله (عج) : « ظُلُمَـاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ (1) » . إنّ الجاهلَ لا يعلَم إلاّ الجهلَ والمفضولَ لا يبلُغ أهلَ الفضل ، وما أُتي أكثر مَن يُؤْتَى ممّن انتحل أمرَنا إلاّ من قِـبَل هذا الوجه من قوم قد ضلّوا فأضلّوا كثيرا عن سواء السبيـل .

فقلت : يا مولاي ، لقد سألني المنصور (ص) يوما عن * مثل هذا فقال لي : يا نعمان ، أخبرني عن هؤلاء الذين كان المهديّ قد قتل بعضَهم / وخلّد آخرين في السّجن ممّن تقلّدَ عهدَه من أهل إفريقيّة لِـمَا اتّصل به عنهم من القول بالإباحات ، أعندك في ذلك عِلم من دعاتِـهم أو سمعتَ من أحدهم شيئا من ذلك ؟

فقلت : يا مولاي ، لم أسمعه ، وقد سمعتُه .

قـال : وكيـف ذلك ؟

قلت : كـان الدعـاة يومئذ عامّتُهـم لا يعرفـون شيئـا من ظاهـر ديـن الله (عج) من حلال وحرام ، وكانوا يأنفون أن يعترفوا بالجهل لشيء يُسألُـون عنه ، فما أحصي ما سمعتُ عن واحد من أكابرهم يُسأل عن شيء من ذلك مثل طهارة أو صلاةٍ أو صوم أو غيرِ ذلك من فرائض الدّين وأحكامه وحلاله وحرامه ، فإذا سأله السائل عن ذلك / انتهَره وأغلظَ عليه ، وقال : ما سؤالك عن هذا المُحال من الظاهر وتدَعُ علمَ الباطن ؟

(قلت) فإذا سمع هذا مَنْ يميّزُ حالَهم ويعرِف تخلّفَهم وأنّ ذلك منهم بِـجَهْلِـهم بما يُسألُـون عنه ، وعَلِمَ ما يأخُذُونَـه في العهد الذي في أيديهم من إقامة ظاهر دين الله وباطنه ، ثبت على ما هُوَ عليه ، وألقَى قولَهم هذا . ومَن كان من أهل التخلّف وغلَبَتِ الشهواتُ عليهم والشّقوة مثل أولئك ، تأوّلوا قولَهم هذا في إسقاط الظاهر كلّه . وذكرتُ له كلاما كثيرا بلَغَنِـي عن كثير منهم .

فتهوّل ذلك وأكبَره وقال : أجل ، لِمَـنْ مثلِ هذا وأشباهِه هَلَكَ كثيرٌ .

فقال لي المعزّ (ص) : أفَمِثْلُ هؤلاء يقال / لهم دُعَاةٌ إلينا بـل والله هـم الصادُّونَ عن الله (عج) وعنّا ، وما دعا إلينا مَن خالف أمرنا وتقوّل علينا وقال

(1) النـور ، 40 .

برأيه في شيء ممّا نسبه إلى أمرنا دون مطالعتِنا وردّ ما جهله ، كما أمر الله (عج) وغيْرُه ، إليْنَا .

حديث في مجلس في ذكر رموز أولياء الله (لع) : *

259 — (قال) وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوما رموز أولياء اللّه لأوليائهم في حال التّقيّة على أنفسهم وعليهم ، وفي غير ذلك ممّا تُوجبه الحكمةُ عندهم ، فقال : سأل رجلٌ من المؤمنين بعضَ الأئمّة عن مسألة فأجابه عنها بجواب ، ثمّ قال له : كأنّي بك بعدَ أن سمِعْتَ جوابي هذا تسأل فلانا — وسمّى له رجلا — فيُجيبُك بخلاف ما / أجبتُك به ، فتدَعُ قولي وتأخُذُ بقوله ؟

فقال الرجل : أعوذ بالله من أن أفعَلَ هذا يا ابنَ رسول الله (ص) ! وكان بحضرة الإمام حينئذ حجّته فلمّا ولّى الرجل قام (1) في أثره ، ودعا به إليه ، فقال له : امض إلى الرجل الذي قال لك، فاسأله فإنّه سيُفتيك كما قال لك الإمام (عم) بخلاف ما أفتاك به ، فاعمل على ما يُفتيك به الرجل .

قال : وكيف يكون هذا يا مولاي ؟

قال : اسمع ما أقول لك فإنّما ذلك رَمْزٌ رَمَزَ به إليك .

ثم قال المعزّ (ص) : من لم يعرفْ حقيقةَ أمرنا ضلّ عن سبيلنا ، وما يؤتى أكثر الناس إلاّ من ذلك ، إنّ الله (عج) يقول : « وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ (2) » . وقال : « وَتِلْكَ / الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ (3) » . وقال في قصّة عيسى (عم) : « فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ، قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (4) » . وذكر بعد هذا من العلم والحكمة ما شفَى به القلوب .

---

(1) أي : مام الحجة . وقد وقع تعريف الحجة . انظر ص 94 .
(2) الروم ، 58 .
(3) العنكبوت ، 43 .
(4) مريم ، 29 .

قول في إنهاء ما يجب إنهاؤه إلى وليّ الله (1) صلوات الله عليه :

260 — (قال) وسمعته (صع) يوما يحُضّ على إنهاء ما يجب ان يُنْهَى إليه . ثم قال بعقب ذلك : أمّا ما ينبغي إبلاغُنا إيّاه من ذلك ولا يسَعُ عليه طيّه دوننا ويعلَمُ مَن كان ذلك عندَه أنّ الفرضَ عليه أن يُنهِيَه إلينا كما قد أخذناه في عهدنا عليه بذلك ، لا شُبْهةَ فيه ولا خفَاء به ، فطيّه دوننا لمن وجد سبيلا إلى رفعه / إلينا خيانةٌ ومعصية لنا .

وأمّا ما كان ممّا يسع السّكوتُ عنه ممّا رخّصنا لأوليائنا في ستره وتركهم أن يكشف بعضُهم عوراتِ بعض فيه ممّا لا يُحْظَر فيه سَتره (2) ، ويؤمّل لذي الزلّة منه التوبةُ ويُعلم ذلك بحقيقة ، فستْره وطيّه أولى .

وأمّا ما يشكّ مَن انتهى علمُه إليه ولا يَدْري أيَسَعُه طيّه دوننا أو يجب رفعُه إلينا ، فينبغي له أن يُعَرِّضَ بذكره ، فنحن نعلم ما يُومِىءُ به من ذلك ، فإن استفهَمْنَاه أخبرَنا وإن سكتْنَا عنه سكَتَ عنّا ، وكان ذلك الفرض الواجب عليه لنا .

حديث في مجلس في ذكر الحكمة :

261 — (قال) وكان المعزّ لدين الله (صلع) (3) يحلّ من القائم (ص) والأئمّة من ذرّيته الطاهرين محلاّ خصيصا مذ نشأ ، وكان يقرّبه ويدنيه / ويسرّ إليه دون أبيه . وكان رسولَه وسفيرَه إلى الناس فيما يأمر به وينهى عنه ويحتاج إليه . فإذا خلا كان بين يدَيْه ، ومتى غاب عنه أرسل إليه .

وكان المنصور من المهديّ (ص) بهذه المنزلة لا يكاد يُفارقُه إذا خلا ، ويحدّثُه سرّا ولا يعلم أحد ما يجري بينهما . فأخبرني بعض من كان يدخل إلى المهديّ (ص) في أكثر الأوقات لما لابدّ له منه أنّه لم يكن قطّ دخل إليه في خلوة إلاّ وجد المنصورَ (عم) بين يدَيْه يناجيه ، فإذا رآه تنحّى من بين يدَيْه

---

(1) ب : إلى أولياء الله .

(2) من : وتركهم إلى ... فيه ستره : زيادة من ب .

(3) أ : صلعم ، وإضافة الحرف الرابع نادرة جدا في الكتاب .

حتّى يقضيَ ذلك الرجل حاجته ، فإذا خرج عاد إليه . (قال) وما سمعتُ قطّ ما يجري بينهما ، وما علمت أحدا ممّن يقرُب من المهديّ (عم) / كان يحلّ محلّ المنصور منه ، ولا رأيت أحدا يخلو معه ، فأدخُلُ عليه على ذلك إلاّ كلّمه بحضرتي ، وسمعت ما يجري بينهما ، إلاّ المنصورَ (صلع) .

فذكر المعزّ لدين الله (صلع) يوما مثل هذا من حاله، وأنّ المهديّ (صلع) كان يغذّيه بالحكمة ، ويرشّحه للإمامة بحسَب ما كان القائم بالله (ص) يفعل به هو .

قال : فمن ذلك ما أخبرني به المنصور (ص) أنّه ابتدأ به . قال لي : دخلت إليه يوما وأنا حين ابتدأت النظر في الكتب ، فقال لي : نظرتَ في شيء من العلوم ؟ جمعتَ شيئا من الكتب ؟

قلت : يا مولاي ، ابتدأت في شيء من ذلك .

قال : في ماذا نظرتَ ؟ فذكرت له ما أنظر فيه .

قال : أما نظرت في شيء من الطبّ ؟ /

قلت : لا .

قال : إنّه أحقّ ما نظرت فيه وتعلّمته ، ومثلُكَ لا يستغني عنه .

قلت : ما أمر به مولانا (ص) انتهَيْتُ إليه .

قال : فأنا أخرجُ لك كتابا منه تنظرُ فيه .

فلمّا دخلت من غد إليه ، ناولني كتابا ضخما وقال لي : هذا كتابٌ من الطبّ شريف ، فانظر فيه وصُنه ولا يراه أحدٌ عندك ، ولا تطالِعْ أباك عليه ، ولا تخبر بما جرى بيني وبينك فيه ، واحتفِظْ بالكتاب غايةَ الاحتفاظ .

فأخذته وشكرتُ له وانصرفتُ وأنا أقول في نفسي : وما في الطب ما يبلغ المهديّ (عم) به هذا المبلغ ؟ وسترتُه كما أمر . فلمّا صرت إلى مكاني، نظرتُ فيه، فإذا فيه من علم الباطن ، وأنا لا أعرف / يومئذ ذلك، فتحيّرتُ فيه . وتوهّمتُ أنّه أمثال مضروبةٌ في الطبّ ، وأقمتُ يومي وليلتي أدرس فيه فلا أرى إلاّ علمَ الباطن محضا . فلمّا دخلتُ إلى المهديّ (صلع) من غد ، أدناني وقال لي : نظرت في الكتاب ؟

قلت : يا مولاي ، نظرت فيه وليس فيه من الطبّ شيء . فإن كان أمير المؤمنين أراد به الطبّ فليس في هذا الكتاب منه شيء .

فتبسّم (ص) وقال لي : يا بنيّ ، ذلك هو الطبُّ الحقيقيّ وهو طبُّ الأرواح الباقية في الدار الآخرة ، به يعالَجُ من ألمها ويُداوَى من سُقمها ، فأمّا الأبدان الفانية فهي أقلُّ من أن يُرفَعَ بها هذه الرّقعة . انظر فيه واعرف معانيَه واحفَظ / أصوله فإنّ فيه أصولا من العلم الشريف ، فإذا أنت حفِظتَ ذلك وأيقَنْتَ معرفتَه فاصْرِفْهُ لأعْطيَك غيرَه إن شاء الله تعالى .

الجزء الخامس والعشرون

بسم الله الرحمان الرحيم

حديث في مجلس في فساد الناس :

262 — قال القاضي النعمان بن محمد (1) : سمعت الإمام المعزّ لدين الله ، صلوات الله عليه ، يذكر فساد أحوال النّاس وما يحاوله من أمورهم ، وما يناله من صعوبة سياستهم ، فقال : والله ما ندري أيّ وجه نقصده بهم ، فنجد فيه راحة ممّا نحاوله ونزاوله من أمرهم . قد قلّدنا / الله (عج) أمورهم ، واستخدمنا في تقويم أسبابهم ورعايتهم ، وهم من سوء الحال وقلّة الإنصاف منهم وعدم الخير فيهم في غاية المكروه . فإن أعرضنا عنهم وتركناهم كنّا قد ضيّعنا ما افترضه الله عزّ وجلّ علينا من أمرهم . وإنْ نحنُ أقمنا الواجب فيهم (2) أهلكناهم عن آخرهم لعموم المكروه واشتماله عليهم . وإن نحن أهملنا ذلك لهم كنّا قد أبحنا ما أمر الله (عج) بتحظيره وما نهى عنه ونعوذ بالله من ذلك :

والله ما مثّلت نفسي وإيّاهم إلاّ برجل ابتلي بِدُخلة سَوْءٍ وَوَلَدِ سَوْءٍ : إن هو أبدى عوراتِهم وهتك أستارَهم فَضَح نفسَه وهتك ستره ، وإن هو تركهم

---

(1) ب تضيف : قدس الله روحه .

(2) أ : منهم .

وما هم عليه لحقه ألم ذلك ونقصهُ وعارُه ، وإن هو / أراد أن يُصلحَهم ويصرفَهم إلى ما فيه حظّهم عندوا عليه ، وصعُب أمرُهم . فنسأل الله التوفيقَ إلى ما يرضيه منّا فيما استرعاناه منهم ، والعونَ على ما نحاوله من أمورهم * .

ذكر رؤيا رآها المعزّ لدين الله (صلع) (1) :

وذكر يوما (ص) ما كان المرجفون أرجفوا به وقالوه ، فضّ اللّه أفواههم (2) وانقطع دابرهم ، من أنّه يموت (ص) لعام مضى من أعوامهم لما زعموا أنّ النّجوم عليه دلّت .

فقال : لقد رأيت في ذلك الوقت فيما يراه النائم(3) بعضَ عبيدنا قد وقف بين يديّ(4)وهو يستحثّني على الخروج إلى المشرق ويصف لي ضُعف أهله وأنا أسوّف ذلك وهو يحثّني(5) فيه ، / فأقول له: كأنّك إنّما تريد بهذا ما يقول هؤلاء الأنذالُ من قرب الأجَل؟ إنّا لابدّ أن ندرك ما قضاه (6) الله (عج) وقدّر أن يجريَه لنا من فضله ويجعلَه على أيدينا ممّا تقدّم لنا من وعده ، طالت الأيّام بنا أم قصرت .

(قال) ثم كأنّي بعد ذلك قد اجتمعت مع المنصور بالله (ص) فقال لي : ما قال لك فلان (7) وما قلت له ؟

فأعدت عليه ذلك . فقال لي : بل يجعل الله لك من طول العمر ما تبلغ به أقصى أمنيتك ، ولكن في كم تقاوم الدول ؟ كأنّه يستحثّني على الخروج .

ثمّ أُتيتُ بفرس أشهبَ من أعتق الخيل وأعلاها ، فقال لي المنصور (صلع) : هذا فرسُك الذي تخرج عليه إلى المشرق ، ولم / يكن عندي يومئذ فرس أشهبُ شبه ذلك الفرس — وأومأ إلى الفرس الذي أُتِيَ إليه به من سجلماسة — وتأوّلْتُ أن يكون هو ، إذ كان في نعت الفرس الذي رأيتُه ، إلاّ أنّي رأيت (8) في هذا — لمّا أُتِي

(1) ب : العنوان هو : حديث في ذكر المرجفين .
(2) أ : وجوههم .
(3) أوب : يرى النائم الناس .
(4) ب : بين يديه .
(5) ب : يستحثني فيه .
(6) ب : أن ندرك بهذا ما يقول هؤلاء إلى ما قضاه ...
(7) سقط : لك ، من ب .
(8) الا أني رأيتُ ، ناقصة من ب .

بـه إلـيَّ ـ حمـرةً ، وكـان ذلك الـذي (1) رأيتُه في المنـام صادق البياض . ثمّ هذا اليوم قد ذهبت منـه تلك الحمرةُ وخلُص بياضُه حتّى كأنّه هو الذي رأيتـه في المنام .

قلنـا : يعجّل الله لسيّدنا ومولانا أمير المـؤمنيـن (ص) وعـده * وينجـز ذلك له ويقرّبه بفضلـه .

قال : ما شاء الله تعـالى .

حديث في مجلس في الكذب على أولياء الله (عم) :

263 ـ (قال) وذكر يوما (صلع) / روايةَ أكثرِ العامـة عن الأئمـة من أهل بيت رسول الله (صلع) خلافَ قولهم ، وكذبَهم عليهم ، وتحريفَهم حديثَهم ، فقال : إنّا نأثر عن جدّنا جعفر بن محمّد (ص) أنّ رجلا طوى إلى المدينة من طلبة الحديث من العامّة ، فمرّ بداره (ص)، وناس يدخلون إليه، بأيديهم الكتب والمحابر يكتبون عنه . فلمّا رآهمُ الرجلُ دخل في جملتهم ، وجلس معهم ، وخرج إليهم جعفر بن محمّد (صلع) . فلمّا نظر إليه نكِره ، فسأله ممّن هو ؟

فقال : رجـل غريـب (2) .

فقال : ومـا تريـد ؟

فقال : أنا رجـل أطلب الحديـث فـرأيـت هـؤلاء في زيّ أهلـه ، فدخلـت معهم لأكتـب .

قال له : أفتعرفنـي ؟

قـال : لا ، ولكن تخبرني ـ أصلحك الله ـ من أنت، وتحدّثني فأكتب / عنك .

قـال : فهل كتبتَ عن أحد ؟

قـال : نعـم .

قـال : فاعرض عليّ ما معك ممّا كتبت .

فأخرج إليه كتابا من كمّه وجعل يقرأ عليه حديثا رواه عن رجل ذكر عنه (ص) من تحليل المسكر وإباحة المتعة أشياء (3) لم يقل بها قطّ (ص) ولا حدّث بشيء منها .

---

(1) ب : سقط : ذلك .

(2) فقال : رجل غريب ، ساقطـة من ب .

(3) « وأشياء » في « أ » و« ب » .

فقال له : هذا الذي حدّثك هذا الحديث ثقةٌ عنـدك ؟

قـال : أي والله ، إنّـه لثقـة مأمونٌ

فقال جعفر بن محمد : هذا الذي روى لك عنه ما رواه ، تعرفه ؟

قـال : لا .

قـال : فلو رأيتَه بعد هذا فأنكر لك أن يكون (1) حدّث بهـذا ولا قال به ، ما كنت صانعـا ؟

قـال : ما عسى أن أصنعَ وقد حدّثني به عنه الثقة ، فحملته وحدّثتُ به / وأفتيتُ .

قـال : أفما كنت تصدّق من روى لك عنه في إنكاره ؟

قـال : لا والله ، لأنّ الذي أخبرني عنه ثقة مأمون .

قـال : اذهب لشأنك أيّها الرجل ، فليس عندي حـديث ، وإنّما دخل هؤلاء إليّ لحاجـةٍ لهم .

فخرج الرجل ، فعطف جعفر بن محمد (ص) على أصحابه الذين بين يديه من شيعته ، فقال لهم : أما سمعتم قول هذا وما ابتُلينـا به من أمثاله من العامّة ، يكذبون علينا ويروي ذلك منهم مَن يرويه عنّا ثمّ يصدّقهم فيه ولا يصدّقنا إن أنكرناه ؟

ثمّ تعجّب (صلع) من جهلهم .

حديث في مجلس في منع الحقّ من أهله وتجاوزه إلى غيره :

264 — (قال) وسمعته (ص) يقول : ما أعجبَ حكمَ الحقّ / على أهله وأغفلَ أهلَ الباطل عن أمره ! إنّ أهل الباطل يتناولون من أهل الحقّ ما قدّروا عليه وأمكنهم منه ، ويتشفَّوْنَ بدوك ما يصلون به إليهم من قول وفعل بباطلهم وخَساسة همّتهم ونذالة أنفسهم ، وكلّ ما أمكنهم منهم نالوه ووصلوا إليه ، ولم يَزَعْهم حقٌ ولا تكرُّمٌ عنه . وكذلك سبيلهم في كلّ ما حرّمه اللهُ عليهم ، ومنعَهُم منه ولم يوجبه لهم ، وحال الحقّ بينه وبينهم ، إن قدروا عليه وتناولوه وتجاوزوا الحقّ إليه ،

(1) « أن لا يكون » في « أ » و « ب » .

وتخالفوا أمر الله (عج) فيه ولم يَقْصُرهُم مروءة ولا أدب صالح عنه . وأهل الحقّ يحجزهم الحقّ عن التعدّي عليهم وتناول ما ليس لهم منهم ويزَعُهُم الكرمُ / والحياءُ وشرف الأنفس عن تناول كثير من الواجب لهم عليهم والمباح لهم فيهم :

ثمّ هم لجهلهم وسوء طباعهم يحتجُّون على أهل الحقّ بما يُوجبه الحقّ عليهم، إن ظنّوا أنّهم يتجاوزونه إليهم بذلك على أنفسهم إن أمكنهم الفرصة فيهم ، وقدَروا على ما يريدونه منهم . ثم إنّ كثيرا منهم يقول لأهل الحقّ إنّهم لا يقدِرون لهم على ما يقدرون هم (1) عليه منهم ، وإنّ الذي عرفوا به من الحقّ وكرم الأخلاق يقصر بهم عنهم .

ثمّ تعجّب (عم) من ذلك وقال: نعم والله، إنّهم لكما قالوا ، وما يقدرون إلاّ على ما أقدرهم الله (عج) من جهة * طاعته واتّباع أمره. فأمّا من خلافه ومعصيته / فما السفل الأشرار بأقدرَ على ذلك من غيرهم ، ولكنّ حدودَ الله وأوامرَه تمنَعُ أهل طاعته وولايته من تعدّيها ، والعفوُ والفضلُ والرحمةُ تقصُرهم عن كثير من الأشياء رخّص لهم فيها ، وإنّهم من الغبطة والمسرّة بذلك على أضعاف ما عليه أهل الباطل من مسرّتهم بما ينالونه من وجه باطلهم وغبطتهم بما يدركونه من غير طريق الحقّ بتعدّيهم. وإنّ أهل الحقّ لينظرون إليهم في ذلك طورا بعين الزّراية وطوراً بعين الرحمة لما حَمَّلُوه ظهورَهم وطوّقوه أعناقَهم ممّا يصليهم أليمَ عذاب الله وناره ، ويلحقهم في الدنيا له من / عاره وشَناره ، والحمد لله على ما خصّنا [به] من فضله ، ونسألُه أن يُوزِعنا شكرَ نِعَمه .

حديث في مجلس في فضل القبول عن أولياء الله والرّضى بما أوتوه وترك التخطّي والتّطاول إلى غيره :

265 — (قال) وذكر الإمام المعزّ (ص) تطاول أكثر الناس إلى أن يبلغوا من علم أولياء اللّه ما يجاوز حدودَهم ، فقال (ص) : يريدون أن يبلغوا من العلم غايةَ ما أودَعَنا اللّهُ منه وجملةَ ما خصّنا به من فضله ، فاستودَعَناه من سرّ حكمته . ولو كان ذلك يجري فيهم ويحبّب لهم لما كان لنا فضل عليهم إذ

(1) في « أ » و « ب » : يقدرونهم .

قد حَوَوْا ما حويناه ، وَوَعَوْا ما وعيناه ، وبلغوا من فضل الله إلى حيث بلغنا / إليه . ولكنّ الله (عج) منحنا من ذلك بفضله ما منحناه وأعطانا منه ما أعطاناه ، وجعل لنا أن نعطيَ من ذلك مَن رأينا أن نعطيَه ما رأيناه ، ونمسك عمّن رأينا الإمساك عنه ، لقوله جلّ من قائل : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (1) » .

وليس ينبغي لنا أن نعطيَ الناس كلّ ما في أيدينا ولا أن نبخَل عليهم بما أُعْطِينا ، ولكنّا نعطي من ذلك ما نعطيه بقدر كما أوجب الله (عج) ذلك بقوله : « وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاما (2)» وقال : « وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ (3) » .

ولم يجعل الله (عج) لمن أعطاه / حُطام عاجل الدنيا ووسّع منه عليه أن يخرجَ من جميعه إلى مَن افترض نفقتَه عليه ، وإنّما جعل له من ذلك قدرَ ما يقوم به ويكفيه دون ان يخرجَ من جميع ما أعطاه إليه . قال جلّ من قائل : « وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ /.../ الى ... « مَعْرُوفًا (4) » . وقال : « وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ (5) » .

فإذا كان هذا أمره (عج) بالاحتياط على حُطام الدنيا الذي هوّنه و زهّد فيه ، فكيف بما عظّمه وشرّفه وحضّ عليه من العلم والحكمة وما لم يؤته إلاّ لمن ارتضاه من عباده ، ولم يستحفظ عليه إلاّ مَن (6) ارتضى من خلقه ؟

ولو أنّهم شكروا على ما أوتوه وعرفوا فضله / وعملوا به ، لَتَزيدُوا منه ، فكانوا على خير ما امتدّت بهم الأعمار حتّى يلقَوا الله وهم لفضله شاكرون، ومنه متزيّدون . ولكنّ أحدَهم لا يُرضيه إلاّ أن يأتيَ على كلّ ما عندنا ونحويه ولم يجعل

(1) صٓ ، 39 .
(2) الفرقـان ، 67 .
(3) الاسـراء ، 29 .
(4) في « أ » و« ب » : « جعها » ولعلها احدى القراءات . وقد اختصرت الآية فيهما، وعوض المحذوف بحرف « إلى » وتمامها هو : « ... التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا » (النساء ، 5) .
(5) الإسـراء ، 26–27 .
(6) ب : إلا لمـن ...

الله (عج) ذلك له ولا لغيره دوننا . ولو كان ذلك لأحد غيرنا لشاركنا * في فضلنا ، وما جعل الله (عج) لنا في ذلك لأحد من شِرك ، وليتهم قاموا بما أوتوه ، وفهموا ما سمعوه ، ونهضوا بالواجب فيه ! ولكن إنّما غرضهم أن يسمعوا ما يسمعونه فيعرضونَ عنه ويطلبون ما فوقه كأهل الرّغبة في حُطام الدنيا والبُخل به ، الذين إنّما غايتهم جمعه ، وما جمعوا منه / لم ينتفعوا به ، وأعينهم ممتدّة ، وأنفسهم نازعة إلى ما في أيدي غيرهم منه ، ليجمعوه إليه ، وإن كانوا لا ينتفعون به ، منافسةً فيه وشرَهًا ورغبة .

ولو كان هؤلاء الذين ذكرنا حالهم كذوي (1) البصائر في أمر الدنيا ، الذين يرضَوْن بما أوتوه منها ، ويحمدون الله عليه ، وينتفعون بما صار إليهم منه على قدر ما أعطوه ، ولا تمتدّ أعينهم إلى من هو فوقهم ، لحسنت أحوالهم كما حسنت (2) أحوال هؤلاء في دنياهم وطاب عيشهم . وكما أنّه من لم يقنع بما قسّم الله (عج) له من أمر الدنيا، وكان نظرُه ومطلبُه منها درجةَ من هو فوقه لم يزل فقيرا فيها متعبا مغموما محزونا / ، فكذلك يكون هؤلاء فيما تسمو إليه أنفسهم إذا لم يقنعوا بما آتيناهم فيشكروا الله (عج) عليه ويعرفوا فضله .

لو أنّا قطعنا إنسانا دارا تَسعُه وتسعُ عِيَاله فشكر على ذلك وقنع بها لطاب عيشه فيها . فإذا استقلّها ولم يقنع إلاّ بمثل ما نحن فيه من المساكن ، كفر إحساننا إليه وعدِم المزيدَ عنده ، واشتدّت فاقته وغُمّته ، ولم ينل ما سمَتْ إليه همّته .

قلت : يا مولاي ، كما أنّه ليس لما في الدنيا غاية يبلغها من رغب فيه ولم يقنع بما قسّم الله له منها * ، فالذي عند أولياء الله من فضله أجدر ألاّ يكون له غاية فيرى من رغب في ذلك أنّه يبلغ غايته إن لم يحمد الله ويشكُرْ لأوليائه ما منَحوه من ذلك (3) وأعطوه .

قال : يا نعمان ، / لا تقل مثل هذا في هذا ! بلى ! والله إنّ لكلّ شيء من ذلك غايةً ومُنتهى . وإذا سمع بأنّ ذلك لا غاية له من يطلبه كان ذلك ذريعة إلى تركه

---

(1) أ : لـذوي ...

(2) سقط من ب : أحوالهم كما حسنت ...

(3) من : أنه يبلغ ... إلى ... من ذلك ، ساقطة من « أ » .

طلبَّ ما يرى أنّه لا غاية له . ولكنّ غاية كلّ إنسان من ذلك أن يكون راغبا طالبا ، وبفضل ما أوتيه وصار إليه عالما ، وعليه شاكرا . فإذا كان كذلك لم يزل مترقّيا في درجات الفضل، زائدا فيه حتّى يلقى اللّهَ على أفضل حال . وما جعل الله (عج) فضلَه عندنا بلا نهاية . ولقد جاء : أنّ الماضي منّا لا يصير فضلُه إلى من يخلُفه من بعده إلاّ في آخر دقيقة تبقى من نفَسه ، لِئلاّ يستويَ الفضل عند اثنَيْن باقيَيْن (1) . وأنّ الله (عج) / يزيد التالي (2) من الفضل أضعافا ممّا كان آتاه الماضي . ولذلك نهاية ينتهي إليها . ولو لم يكن له نهاية لكان فضل الآخِرِ منّا على الأوّل بمقدار ما بينه وبينه ، ولكن قد جعل الله (عج) لذلك منتهى ينتهي إليه ، ومدارا يدور عليه .

فتعرّضت لبيان ذلك منه فأومأ إليّ بشيء فهِمْتُه ، وكان المجلس معمورا . فسكتُّ ، وحمدت الله على ما صار إليّ عنه ، صلوات الله عليه .

حديث في مجلس في ذكر تخلّف بعض الدعاة :

266 — (قال) وذكر المعزّ لدين الله (ص) بعض الدعاة وما يقولونه للمتّصلين بأسبابهم عند سؤالهم إيّاهم عن بعض ما يسألونهم عنه / : لم تبلغوا حدّ هذا الذي تسألون عنه .

فقال (عم) : وما ذلك إلاّ أنّهم هم لم يبلغوا معرفة ما يُسألون عنه ، ولو صدقوا عن أنفسهم واعترفوا بذلك لِمَن سألهم ، لكان أولى بهم ، كما قال جدّنا

---

(1) ذكرنا هذا القول فيما سبق (انظر ص 468) . وقد نسبه القاضي النعمان في كتابه « أساس التأويل » (ص 51) إلى جعفر الصادق . وذكرنا أن الاسماعيليين لا يجيزون اجتماع إمامين في عصر واحد . وعلى ذكر قول الغزالي في كتابه « فضائح الباطنية » (ص 52) « ولا يتصور في زمان واحد إمامان كما لا يتصور نبيان تختلف شريعتهما » يقول علي بن الوليد ، أحد مفكري الاسماعيلية في القرنين السادس والسابع الهجريين ، في كتابه « دامغ الباطل » (ج 1 ص 254 وما بعدها) : « لما كان النبي (ص) قائما بهداية الخلق وتعليمهم كما سبق له منا القول ، ولا مشارك له في عصره ، بل هو الحاكم في جميع أتباعه بما أمره الله ، وجب أن يكون خليفته القائم مقامه في هداية أتباعه وحفظ دينه واحدا في عصره لا يشاركه في الحكم بما فوض إليه من أمر الدين مشارك ، بل له رتبة الوحدة في ذلك . ولو كان جائزا حصول إمامين في عصر واحد مفوض الحكم إلى كل واحد منهما لأمكن اختلافهما فيما يحكمان به في دين الله . وإذا جاز منهما الاختلاف انسد طريق الرشاد على التابعين لهما ... فلهذا وجب أن تكون رتبة الامام محفوظة بالوحدة والتفرد بالحكم والأمر ليعم الائتلاف ... فإن اجتمع مع إمام الهدى خليفته المرتضى لخلافته كما اجتمع مع مولانا علي بن أبي طالب ولداه الحسن والحسين ، لم يكن للخليفة مع مستخلفه في دين الله أمر ولا حكم الا ما حكم به المستخلف إلى أن ينص عليه ويشير بالأمر ويفوض الحكم إليه ... فحقيقة القول : « ان لا يكون إمامان في عصر واحد » يراد به أن لا يكون الامر والحكم في دين الله الا لواحد منهما دون الآخر وعلى الآخر الرضى بذلك والتسليم » .

(2) ب : الثاني .

عليّ (ص) : أربعٌ لو شدّت إليهنّ المطايا حتّى يُنضيَنّ لكان قليلا : لا يرجو العبد إلاّ ربّه ، ولا يخاف إلاّ ذنبَه، ولا يستحي الجاهل أن يتعلّمَ، ولا العالِم إذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول : لا أعْلَمُ .

ولو كانوا يعلمون ما يُسألون عنه لأجابوا كلّ سائل بجواب حدّه كما قال جدّنا جعفر بن محمد (ص) : إنّا لنجيب في المسألة الواحدة بسبعة أوجه، لكلّ وجه حدّ . فاستكثر ذلك من سمعه وقال : بسبعة أوجه يا ابن رسول / الله (صلع) ؟! فتبسّم إليه وقال : نعم ، وسبعون ! ولو زاد لزدنا (1) !

فلو كان من يقول ذلك عالما بهذه الحدود والوجوه لأجاب أهلَ كلّ حدّ بالوجه الذي يجب به جوابهم ، ولم يقل ما قاله لهم . وفي ذلك القول تقصير بالعلم ودفع(2) للحجّة عمّن سأل فلم يجد جوابا ، ولكن ينبغي أنّه يجاب بما يلزمه في حدّه ذلك ، فيكون عاملا بما يجب على مثله ، عالما بما يجب علمه لأهل حدّه حتّى يرتقي منه إلى غيره ولا يُتْرَكَ سدى مهملا .

ثمّ تنفّس الصّعداء (صلع) وقال : وأين لنا من يقوم بمثل هذا ويُعْتَمَدُ عليه أو أن يصدُقَ عن نفسه فلا يدّعيَ ما ليس فيه / ، ويردّ إلينا ما جهله ؟ والله لو كان ذلك لما اختلف اثنان في أمرنا ، ولكنّ أكثر من يقوم بذلك لنا أحد رجلين : إمّا قائل برأيه ، وكلّ ما عرض له ممّا يرى أنّه يوافق ما عندنا من غير ردّ إلينا ولا اقتصارٍ على ما أعطينا ، فيهلَكُ ويهلَكُ من أجله كثير ، أو متوقّف عمّا لا يعلم وهو يوهم أنّه يَعْلم ، وما مثل من كانت هذه حاله ببعيد عن حال غيره ممّا ذكرنا قبله . وقليل منهم من يعتمد على أمرنا . وبقدر ذلك * يفتح اللّهُ له ويصنع على يديه لنا . وإنّ كثيرا منهم ليسألُنا فنُجيبُه كما ذكرنا من حيث يجب جوابه وبقدر

(1) ذكر القاضي النعمان هذا الخبر في كتابه « أساس التأويل » (ص 27) هكذا : « وهو انه قيل له (أي جعفر الصادق) يا ابن رسول الله ، سمعنا منك قبل هذا الوقت على خلاف هذا الوجه ؟ فقال عليه السلام : انا نتكلم في الكلمة الواحدة سبعة أوجه ، فقال الرجل متفكرا : سبعة يا ابن رسول الله ؟ فقال : نعم ... وسبعين ولو استزادنا لزدناه » . ويرى مفكرو الاسماعيلية أن للتأويل أوجها متعددة، فيقول الكرماني : « ان العبارات في أداء معاني التأويل مختلفة والمعاني على تباين ألفاظها متفقة ، وكل ذلك كاف شاف ما لم يرفع أحد فوق حده ولم يوضع آخر دون قدره . وقد يكون تأويل أبين من تأويل وأوضح على قدر صفاء جوهر المؤول وقوته في العلم والاستنباط ، فيكون أوقع في نفوس المرتادين وأقرب إلى أفهام المتعلمين » . (الرسالة الحاوية ص . 241 . وانظر كذلك : راحة العقل ص 188–189) . ويبين القاضي النعمان في هذا الفصل أن التأويل يكون حسب مستوى الحدود والدرجات فى الدعوة .

حدّه وبمثل ما يجوز أن يكون الجواب ، بالمكاتبة والرسالة / . فربّما رأى من يأتيه ذلك منّا أنّ ذلك تقصير عظيم به ، وبحسب من ينتهي إليه أمرٌ من أمورنا أن يعتمدَ عليه ويُسلّمَ لنا فيه ويقنعَ ويرضى به إلى أن يأتيَه منّا ما يأتيه . ولو جرتِ الأمورُ على مثل هذا ونحوه لاعتدلَتْ واستقامت . والله يوفّق لذلك أولياءَنا ويجمعُهم عليه من طاعتنا بمنّه وفضله وقدرته وحوله وقوّته إن شاء الله تعالى .

حديث في مجلس في لوازم الواجب للغنيّ والفقير من المؤمنين :

267 ــ (قال) وذُكر الفقير ،عند المعزّ لدين الله (صلع)، فقال رجل ممّن حضر : ما أسوأ حالَ الفقير يسبق أهل الغنى بأعمالهم ويقعد به الفقر عنهم !

فقال المعزّ لدين الله (ص) : كلاّ ! إنّ / الله (تع) لا يقْصُرُ به إذا حسُنَت نيّته . فإذا كان ينوي أنّه لو كان له مال لخرج من حقّ الله عليه فيه فهو على نيّته . ولم يجعل الله على أحدٍ فرضا ولم يُعطه ما أوجبَ مثلَ ذلك الفرض فيه .

قال الرجل : فكيف به ، ولغيره عملٌ ، ولا عمل له ؟

قال له المعزّ لدين الله (صلع) : قد أخبرناك أنّ نيّته تَجزِيه من ذلك ، وما لم يوجبه الله (عج) عليه فلا حسابَ عليه فيه ، وعليه أن يقومَ من الأعمال /ب/غير ذلك بما كلّفه اللّهُ ، واستطاعه وقدر عليه من فرائض الله (تع) التي افترضها على عباده . فليس العمل النفقة في سبيل الله فقط ، ولكنّ ذلك عمل من الأعمال التي أوجبها / الله سبحانه . ومن لم يستطعها كلّها أو شيئا منها لم يكلّف ما لم يستطع لقول الله (تع) : «لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ وُسْعَهَا (1) » وقوله : «لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إلاَّ مَا آتَاهَا (2) » وقوله : «لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3) » .

---

(1) البقرة ، 286 .

(2) الطلاق ، 7 .

(3) التوبة ، 91 .

الجزء السَّادس والعشرون

بسم الله الرحمان الرحيم

حديث في مجلس في بذل المجهود من المقلّ :

268 — قال القاضي النعمان بن محمد : ذكرت للإمام المعزّ لدين الله (صلع) أعمال / قوم من المؤمنين ذوي إقلال، غير معروفين، يأتون بالقليل من الأعمال مواظبين على ذلك دائمين عليه .

فقال (ص) : والله لَلْقليلُ الذي يأتي به هؤلاء وأمثالُهم من كسب أيديهم على ضيق معايشهم وغباوتهم لا يريدون بذلك سُمعةً ولا رياءً ولا يبتغون به نيل منزلة من منازل الدنيا، لأزكى عند الله (تع) وعندنا من كثير (1) /م/ممّا يأتي به أهل السّعة والغِنى والجِدَة ممّن نعرفه، ونرى أنّ ما يأتي به (2) نقف عليه ونْعلَمُه ، لأنّ القليل من المقلّ يُنْقِصُ من معاشه ويُخِلّ به ، والكثير من أهل الكثر لا يُنْقِصُهم ولا يُخلّ بهم كذلك ولا يؤثّر في / معايشهم . ولذلك قال رسول الله (صلع) : أفضل الصدقة جهد من مقلٍّ (3) .

---

(1) ب : كسب .

(2) ب : نقص من « أهل السعة » إلى « ما يأتي به » .

(3) الحديث : أفضل الصدقة جهد من مقل . ذكره النسائي (ج 5 ص 58) ، واضاف السيوطي (ج 1 ص 210) : سرا إلى فقير .

ثمّ قال (عم) : لا يستوي من نُعطيه ونوسّع عليه من فضلنا فيصلُ إليه بلا تعب ولا نصب (1) فيُخرجُ منه حقّ الله إلينا ، ومَن يُخرِجُ ذلك من كدّه وسعيه ، وعن عرَقِ جبينه وعمل يده .

قلت : يا مولاي ، فمن لم يجد شيئا غيرَ فضلك فيُخرِجُ منه ما يلزمه (2) ؟

قال : ذلك إلى نيّته ،والله (تع) يَجزِي العبادَ بنيّاتهم . فمن كان نيّته من (3) ذلك ، لو كان ذلك من كسب يده ، وكان في مثل هؤلاء الذين وصفتَ حالَهم ولا نعرِفهم * بأسمائهم ، أنّه كان يفعل في ذلك مثل أفعالهم ،فله في مثل ذلك مِثلُ ما لهم / .

ومن كان إنّما يفعل ذلك رياءً وسُمعة ، وأنّه لو لم يفعله لانحطّت عندنا درجتُه ، كانت له في ذلك نيّته . فينبغي للمؤمن أن يعتقدَ وينوِيَ جميعَ عمله لله (تع) لا يشُوب ذلك بتصنّع ولا رياءٍ ، فإنّ الله (تع) يعلَمُ خائنةَ الأعين وما تُخفِي الصّدورُ ، وما بين قبول الأعمال وحبوطها إلاّ اعتقَادُ النّيّاتِ فيها ، وبذلك خلّد الله (عج) أهلَ الجنّة في الجنّة وأهلَ النار في النار ،بأنّ كلّ فريق منهم كان اعتقادُه لو خُلّدَ في الدنيا أن لا يفارِقَ ما هو عليه ، فجُوزُوا بنيّاتهم . ومن ذلك قال رسول الله (ص) : نيّة المؤمن أبلغ من عمله (4) ، ولأنّه إن نوى خيرا ولم يعمله أثيب / على نيّته فيه ، ولو عمل ولم ينو لم ينفعه العمل .

حديث في مجلس في حجّة العقل (5) :

269 ـــ (قال) وأمر المعزّ لدين الله (ص) بإدخال ابن واسول ـــ وهو في العقلة ـــ إليه . فلمّا مثل بين يديه ، أمره بالجلوس فجلس ـــ وهو مكبّل ـــ فسأله عن أخبار سجلماسة وأهلها وسيرته /حينَ/ كان فيهم وما يقال عنه من قبوله ما كان (6) يُطرَى

(1) ب . نقص من « ونوسع عليه » إلى « ولا نصب » .
(2) ب . ما يلزم .
(3) في النسختين : أن ، ولا تستقيم بها القراءة .
(4) نية المؤمن أبلغ من عمله : ورد هذا الحديث في الجامع الصغير (ج 3 ص 265) بعبارة « خير من عمله » . أما الصحاح والمسانيد فتذكر الحديث المعروف : إنما الأعمال بالنيات ، الذي ورد في ص 302 . وجاء في الكافي الكليني (ج 2 ص 84 رقم 2) بتكملة : ونية الكافر شر من عمله ، وكل عامل يعمل على نيته .
(5) أ : في رحمة للعقل .
(6) في « أ » و« ب » : من قبوله كان ما يطرى به ...

به ممّا ليس فيه ويتصنّع (1) بـه عنده . فدفع كثيرا من ذلك وأنكره ، وأجاب عن كثير ممّا تسأله أمير المؤمنين عنه .

ثمّ نظر إلينا أمير المؤمنين (صلع) فقال : لقد رأيته — يعني ابن واسول — مذ ليال وكأنّه بين يديّ وأنا أقول له فيما كان / اتّصل بي عنه من قوله في عليّ بن الحسين (عم) أنّه كان يوم أصيب الحسين (عم) طفلا مثل هذا — وأومأ إلى خنصره — فأقول له شيئا والله ما سمعته قبل ذلك ولا عرض لي : أرأيتَ هذا الذي قَبِـل ذلك عنك أنّكّ ذكرته (2) من أنّ عليّ • بن الحسين كان طفلا يوم أصيب الحسين (عم)، يذهَبُ إلى أنّ الإمامةّ لا تجب له يومئذ ؟ فما تقول في رجل هلك وخلّف امرأة حاملا منه ، أليس لمَن تلد حَظُّه من الميراث ؟ فاجعل (3) عليّ بن الحسين (عم) كان (4) حَمْلاً يوم أصيب أبوه (صلع)، أليسْ له ميراثه ؟ فإن كان الأمر لأبيه فهو له ، صغيرا كان أو كبيرا، وإن لم يكن لأبيه شيءٌ فلا شيءَ له / [و]لو كان شيخا .

فجعل ابن واسول يتعجّب من ذلك ويقول : هذا والله هو الحقّ ! ويقول : والله ما سمعتُ بمثل هذه الحجّة ! أشهد أنّ ذلك كما قال أمير المؤمنين .

فقال له أمير المؤمنين (ص) : وما يدريك أنّ هذا هو الحقّ ؟

قال : هذا البيان والشاهد الذي يثبته العقل (5) يا أمير المؤمنين .

قال له : وكلّ شيء قلتَ به وذهبتَ إليه من دينك واعتقادك فهو على هذا بما يشهد له عقلك ؟

قال : نعم .

قال له : أوَلَيْسَ ما كنت عليه قبل هذا، ممّا يخالفه، كذلك شهد له عقلك ؟

قال : نعم .

---

(1) أ : ويتسع به .

(2) في ب : ذكرتك ، والجملة كلها تحتاج إلى تحوير وإصلاح : أرأيت لو أن هذا الذي قبل عنك ما ذكرته من أن علي ... يذهب إلى ...

(3) في أ : فاعمل . واخترنا « فاجعل » لمقاربتها لمعنى الافتراض .

(4) « أليس لمن ... إلى ... كان » ، سقط من ب .

(5) ب : هو العقل .

قال : أفليس أخطأ، فيما تقدّم، الصوابَ ؟

قال : نعـــم .

قال : وما يدريك أنّه قد أخطأ آخرا / كذلك ، وأنّ الحقّ في غير ما شهد به لك إذ قد علمت أنّه قد أخطأ أوّلا ؟

فسكت ابن واسول ولم يُحِر جوابا . وقال : هو والله كما قال أمير المؤمنين ، ولكنّ قول أمير المؤمنين هو الحجّة .

قال له : وما يدريك أنّي أردت أن ألبِسَ عليك وأقرّرك على خطئك ؟

قال له : أوَ يكونُ هذا من مثل أمير المؤمنين ؟

قال : نعم ، لأنّ الله يقول وهو أصدق القائلين : « وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ (1) » . فإذا شئنا أن نَلْبِسَ عليك ونمتحنك فعلْنا . وقد امتحن الله (عج) إبراهيم (عم) بذبح ابنه ولم يكن ذلك ممّا أراد منه ولا ممّا تعبّده به في قولك ، وكذلك امتحن الله (عج) أولياءه للحقّ . وامتحن / كثيرا من خلقه، ولكن للحقّ منارا إذا نصب وقام كان هو الحجّة .

فسكت ابن واسول شبيها بالمتعجّب المتحيّر ولم يوفّقْ إلى سؤال ما يفتح له ذلك .

وقد أفادني أمير المؤمنين المعزّ لدين الله (صلع) حجّةً في الرّد على القائلين بحجّة العقل يطول ذكرها ويخرج عن حدّ هذا الكتاب وقد أثبتّها في كتاب « اختلاف أصول المذاهب (2) » .

والذي ذكره (ص) من أمر عليّ بن الحسين (عم) هو من بعض التلبيس على ابن واسول، والحجّة عليه فيه من نفس ما قاله وذهب إليه . فأمّا عليّ بن الحسين (صلع) (3) فكان يومَ أصيب الحسين (عم) رجلا كاملا قد ولد له أبو جعفر محمد ابن عليّ (صع) وكان / معه ذلك اليوم حمّل مع النساء، ومحمّد (عم) يومئذ ابن خمس سنين لأنّ مولده سنة ستّ وخمسين ومقتل الحسين (عم) سنة إحدى وستّين . ومات

---

(1) الأنعـام ، 9 .

(2) يقول المجدوع : هو « كتاب عجيب بليغ كاف فيما بني عليه ، استوعب فيه دلائل كل منهم ، وذكر جميع ما قالوه في دعواهم جملة ، ثم الرد عليهم في ذلك تفصيلا » (فهرسة الكتب والرسائل ص 96–97) . ويقول ايفانوف Ismaili Literature ، 34 : ان القاضي النعمان لم يشر إلى المذاهب التي يناقشها ، وترك القارىء في لبس من أمرها . هذا وقد سبق للمعز طعن في حجية العقل (انظر ص 423) .

(3) ب : سقط منها : « هو من بعض التلبيس ... » إلى « ... علي بن الحسين (صلع) » .

أبو جعفر (ص) سنة أربع عشرة ومائة وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وولد عليّ بن الحسين (عم) سنة اثنتين وثلاثين، وكان يوم مقتل الحسين (عم) ابن تسع وعشرين سنة، ومات سنة أربع وتسعين . هكذا قال أصحاب التاريخ في غير كتاب ممّا ألّفوه ، وإن كان بعضهم اختلف في ذلك، فهو أثبت ما قالوه . وكان عليّ بن الحسين (عم) يوم أصيب الحسين بن عليّ (ص) فيما ذكروه أيضا ، عليلا ثقيلا شديد العلّة / فلم يشهد القتال ، وشهده أخوه عليّ الأصغر فقتل في من قتل، وحُمل هو (عم) إلى يزيد (لع) بحال علّته ، وحُمل ابنه أبو جعفر (عم) معه مع حرم الحسين وأصحابه (صع) .

حديث في مجلس في النهي عن الغلوّ في أولياء الله (عم) :

270 — (قال) وسمعته (صع) يقول : ينتهي إلينا أخبار عن بعض من يزعم أنّه يتولاّنا وبعض من يدّعي أنّه يدعو إلينا من الغلوّ فينا والقول * بما لم نقله في أنفسنا وبما لم يسمعه أحد منّا ، حتّى كأنّهم أعلمُ منّا بما يقولونه فينا ، ونحن نبرأ إلى الله من كذبهم علينا وتقوّلهم فينا . ونحن عباد من عباد الله مخلوقون مربوبون ، لا علم لنا إلاّ ما علّمنا وصار إلينا عن نبيّه / جدّنا محمّد (ص) ، ممّا أودعه الله إيّاه وأورثناه (1) ممّن بعده وأودعناه ، لا نحيط من علمه إلاّ بما شاء ولا من غيبه إلاّ ما أطلع عليه منّا من ارتضاه كيف أحبّ وشاء ، لا ندّعي النبوّة والرسالة ، بل نحن المستحفَظون على الإمامة ، حلالُنا من كتاب الله وحرامنا منه ، وطاعتنا مفروضة على عباد الله بحكمه . من عرّفنا فقد عرف الله ، ومن جهلنا فقد جهله . نحن الدالّون بحكمته عليه ، والقائمون بأمره على عباده . نحن دون ما يقول الغالون وفوق ما يظنّ الجاهلون .

إنّما أراد من نحلّنا علمَ الغيب ونسب إلينا تنزّلَ الوحي ممّن يدعو بزعمه إلينا ، أن يجعلَ ذلك مقدّمة / لنفاقه علينا . فإذا أراد ذلك قال لمن كان دعاه : لم أدعُكم إلاّ لمن وصفتُ لكم فيه ما وصفت ، فيصدّهم بذلك عنّا ، لعن الله الصادّين عنّا فإنّهم عن الله يصدّون ، وبدينه يتلاعبون ! أرادوا الدنيا وعسُر عليهم

(1) أ : وأورثنا . ب : وأورثناه إلينا .

طلبها من وجوهها فالتمسوها بوجه الدين ليَنَالوا من حُطامها ما هو عن قليل منهم زائل ، وهم به مطالبون . وقد سعد من أخذ عنّا ما نعطيه واقتصر عليه ولم يقل بغيره ولا تكلّف من القول ما لا يعلمه .

لقد انتهى إليّ عن بعضهم أنّه قال : وددت أنّه لو سُئلتُ عمّا لا يكون فأجبتُ عنه . فرأى عند نفسه ومن سَمِع / ذلك ممّن يصدّقُه أنّه قد * جاء بما أبان به من علمه،وافتخر بذلك له . فلو تدبّر هذا القول من وُفّق للصّواب لوضح له من خطئه أنّ ما لا يكون لا يكون عنه جواب ، لأنّه لايكون (1) .

فجمع (صلع) في هذا القول جملا من الحكمة يتفرّع منها من السؤال على هذا القائل ما يخرج عن حدّ هذا الكتاب . وإنّ الله (عج) قد سأل الملائكةَ عمّا كان ممّا لم يُطلعهُم على علمه فقالوا اعترافا بالعجز : « لاَ عِلْمَ لَنَا إلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إنَّكَ أنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (2) » . فكيف يدّعي مَن دونهم علمَ ما لم يكوّنه الله (عج) وما لا يكون؟ ولا يجوز أن يقال : يكونُ، فيكون حكمه إذا كان كذا وكذا .

لو أنّ قائلا قال : لو أنّ رجلا / مات فقُسّم ميراثه ونُكِحَ نساؤه ثمّ عاش بعد الموت ،هل يرجع في ماله وأهله،أو يكون ذلك لمن صار إليه عنه؟لم ينبغِ للمسؤول عن ذلك أن يجيب عنه ، لأنّه ممّا لا يكون .

ولو قال : لو ذهب الليل والنهار والشمس والقمر وبقيَتِ الدنيا وأهلُها بحالهم ، متى كانوا يصلّون ويحجّون ويصومون ، وهم لا يعلمون الليلَ والنهار الذين تعبّدوا بأداء ذلك في أوقاتهِ/ما ؟ لم يكن على المسؤول أيضا (3) في ذلك جواب لأنّه ممّا لا يكون . ومثل هذا ممّا يكثُرُ القولُ فيه وينسب (4) الجهل إلى السائل عنه ومدّعي الجواب فيه . وقد نهى الله عن القول بما لا يعلمه القائلون وبما لم يكن

(1) في ب : لوضح له من خطئه أنه لا يكون عنه جواب لأنه سيكون ، وفي أ : فلا يكون ... لأنه سيكون والجملة لا تخلو من غموض .

(2) البقرة ، 32 .

(3) أ : سقط : أيضا .

(4) أ : ينسب ، بدون عطف .

ولا يكون ولا علم / للعباد به . وقد قال رسول الله (صلع): من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء وملائكة الأرض (1) .

باهــرة للمعــزّ (صلع) :

271 — قال القاضي النعمان بن محمد : ورفع إليّ وكيل لي ببعض البوادي أنّ لي * بها موضعا يصلح أن يُبنى به رَبْعٌ يُغِـلّ في السنة مثل ثلاثين دينارا . وجعل يرغّبني في الأمر بابتنائه ، ويكرّر ذلك عليّ حتّى رأيت أنّ تركه ذلك من إضاعة المال المنهيّ عنها .

فاستأذنت المعزّ لدين الله (صلع) في رقعة رفعتها إليه إجلالا عن مواجهته بها ، فوقّع إليّ : ابْنِهِ ، بارك الله لك فيه ! .

فما وثقت بشيء ثِقتي بأن تكونَ البركة فيه. فأمرتُ الوكيل بالبناء. فعاد إليّ يذكر أنّ بعض الموضع يستحقّه / رجل ، فأمرتُه بدفعه إليه ، وقلت : ابْنِ فيما بقي .

قال : فإنّه ينقصُ عمّا كنتُ قلتُ .

قلت : لا ، بل يزيد إن شاء الله .

فدفعه. ثمّ عاد إليّ فقال : إنّ الرجل يريد بيع ما صرفتَه إليه مع شيء له يتّصل به ، ويتّصل بذلك موضعان لرَجُلَيْن يبيعانهما .

قلت : وكم يسأل جميعُهم ؟

قال : مثل أربعين دينارا .

قلت : اشترِ منهم وادفَعْهَا إليهم .

ففعل وابتنى في الجميع رَبْعًا جاء بموضع رغِبَ فيه الناسُ وتزايدوا في اكترائه ، فبلغ كِراؤه في السنة نحوا من مائتي دينار بعد أن بُني بأيْسَرِ مؤنة في أقلّ من مدّة شهرين . فما رأيت دعوةً أسرع منها إجابة، ولا بركةً أعظمَ منها نفعًا وزيادة في أقرب وقت / وأوشك مدّة ، وما لم يتوهّمه أحد أن يكون ، وكان بفضل دعوة وليّ الله (ص) ، زوّدنا الله وجميعَ المؤمنين إيّاها بالرحمة والمغفرة لمستقرّ الدار الآخرة التي هي أكثر ثوابا وأعظم أجرا .

---

(1) حديث : من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض : ذكر بهذا اللفظ في الجامع الصغير (ج 3 ص 167) وبلفظ آخر في معناه عند أبي داود (ج 2 ص 288) وابن حنبل (ج 2 ص 365) وكذلك في الجامع الصغير بالصفحة نفسها : من أفتى بفتيا بغير علم كان إثم ذلك على من أفتاه / من أفتى بفتيا غير ثبت فإنما إثمه على من أفتاه . وبلفظ مقارب عند الكليني (ج 1 ص 42 رقم 3) .

حديث في مجلس في فضل الأولياء (عم) :

272 — (قال) ودخل إليه (صع) رهط من كتامة قدموا من أعمالهم وارتضى سيرتهم فيها . وهم أحداث نشأوا في دولته ، ومضى آباؤهم وأجدادهم في أيّام الأئمّة الطاهرين من قَبْله . فأثنى عليهم خيرا وقال : أما والله لو تعلمون ما لكم ولجميع أوليائنا عندنا من الرضا والمحبّة لاستفزّتكم المسرّة ، وما نُعرِض عمّن نعرض عنه (1) منكم ونعاقب من نعاقبه / إلاّ تأديبا وتقويما لكي يزدادوا من الفضل والخير . ولو علم آباؤكم ومن مضى من أسلافكم قبل أن يموتوا ما لحقهم فيكم من بعدِهم لتمنّوا الموت في أيّام حياتهم لما تطيبُ به أنفسُهم لكم من بعدهم (2) إذ كانوا في دون ما أنتم فيه في أيّامنا ، وإن كان الأئمّة (ص) لم يتركوا في الإحسان إليهم ، فلم يبلغوا معهم ما بلغتُمْ أنتمُ اليومَ معنا .

ولكلّ زمان حال توجبها الحكمةُ ويجري فيها بالعقوبة والرحمة . أما والله إنْ قتلناكم فما نريدُ بِكُم إلاّ الحياة الدائمةَ إذا وجب تطهيرُكم بالقتل في العاجلة . وإن عاقبناكم بدون ذلك فما نعاقِبُكم حَنَقًا عليكم ولا مقتا بُغْضًا لكم ، ولكنّا نفعل ذلك بأيدينا / تطهيرا لكم . وإن عفونا عنكم وأحسنّا إليكم فنحنُ أهل العفو والإحسان . فأنتم والله معنا في كلّ الأحوال وعلى جميع الأمور كيفما تصرّفْتُم وجرى تدبيرُنا فيكم ، على سبيل نجاةٍ وخيرٍ وسلامة وغبطة .

فاعرفوا حقّنا وفضلنا ، وسلّموا لحكمنا وأمرنا ، ولا ترتابوا فينا ، ولا تشكّوا فيما نأتيه ونذَرُه من أمركم كيفما جرت الأحوال بكم معنا ، تسلَمْ صدورُكم وتظفَروا بحظّكم في دنياكم وآخرتكم .

فشكروا لـهُ بما قدروا عليه وقبّلوا الأرض بين يديه ، وقالوا : نحن يا أمير المؤمنين عبيدك وصنائعك والمعترفون بفضلك ، فما أصبناه فبتقويمك وتأديبك ، وما أخطأنا فيه ، فنحن نرجو فيه / رأفتك ورحمتك .

فقال (عم) : يعصمكم الله من الخطإ بتأديبنا وتقويمنا إذ لا نرى لأحدٍ منكم زلّة إلاّ نبّهناه ، ولا غفلة إلاّ أيقظناه ، ولا تخلّفا إلاّ حرّكناه ، ولا تقصيرا إلاّ وعظناه . فليس يَهْلَكُ مع هذا إلاّ الشقيّ الذي غلبت عليه شِقوته ، والله يُعيذكم من الشقوة بولايتنا وجميل رأينا فيكم إن شاء الله تعالى .

(1) أ : عن من نعرضه منكم .
(2) ب : في أيام حياتهم التطيب به الأئمة من بعدهم .

الجزء السَّابع والعشرُون

بسم الله الرحمان الرحيم

حديث في مجلس في فضل النيّة وكراهية الإعجاب [بالنفس] :

272 — قال القاضي النعمان بن محمد : سمعت الإمام المعزّ لدين الله (صع) يقول : إنّما هلك / من هلك من الناس من قِبَل الإعجاب بأنفسهم وبأعمالهم، واعتقاد قلوبهم على ما أعجِبُوا به من أعمالهم وقوّتهم ، فيحبط الله بذلك أعمالَهم ويَكلُهُم إلى أنفسهم ، ولا يوفّقهم لشيء من رشدهم وما يكون فيه سعادتهم . فأمّا من حسنت نيّته وعمل بمبلغ مجهوده ، واستقلّ ما يكون من ذلك في الخير منه ، واعتقد أنّ ما عمِلَه من خير فبتوفيق الله (تع) له ، وأنّ ما عمله لنا فزكا على يديه ، فبفضل الله علينا وَصُنْعِه الذي عوّدَناه ، لا بحوله هو ولا بقوّته ، ولم يستكثِرْ ذلك لنفسه ، فذلك السعيد الموفّق لخير دنياه وآخرته ، يمدّه الله (تع) من التوفيق والمعونة ، ويجزل له من الأجر والمثوبة ، ويُكسبُهُ / من رضانا عنه ما لا يسمو إليه أملُه ولا تبلُغه همّته ، ويصل ذلك له ما وصل ذلك ودام عليه ، ابتغاءَ وجهه ، ونواه له جلّ ذكره ، ولم يرد به غيره . فإنّما يرجع كلّ شيء إلى النيّات ، بها يجازى(1) العباد ، ويثابون ويطالبون ويعاقبون . ومن أعجبته نفسه وعمله أسلمه الله (عج) إلى ما أعجبه .

---

(1) ب : مما يهارى .

ثمّ أراد (ص) أن يذكر شيئا . ثمّ أمسك وأعرض بوجهه وأطرق كالمستحي ممّا يريد ذكره وقال : ما عسيت أن أقول ؟ فالله يعلم أنّني لربّما صلّيت وأجهدت نفسي في تمام الصلاة وكمالها ، وإنّي لأنصرف عنها ، وما أرى أنّني أكملتُها ولا أنّها قُبلت منّي لا لسوء ظنّي بالله – جلّ وعزّ – ، ولكن لاستقلال ما كان / منّي . وما عسى أن يكون عمل (1) المخلوق الضعيف المسكين لما يرجو [من] ثواب ربّه وشكر نعمته ، وهو لو تقطّع إربا طول عمره في طاعته لم يبلغ حقّ جزء لا يتجزّأ من أقلّ نِعمةٍ من نِعَمِه ؟ . فحسب المؤمن بلوغ المجهود في طاعة ربّه وطاعة وليّه ، والإقرار بالعجز عن القيام بالواجب في ذلك عليه ، والإخلاص واعتقاد حسن الطويّة ، ولا يكون ذلك منه إلاّ بحسن توفيق الله (عج) له وفضله عليه به .

حديث في مجلس في حسن صنع الله لوليّه (عم) :

274 – (قال) ووصل إليّ كتاب من صاحب الأحباس بمدينة سوسة يذكر فيه أنّه ظهر بدار الصناعة (2) بها على سبعة مواجل أوّلية متقنة العمل / ، ينفذ بعضها إلى بعض ، كانت مدفونة تحت الأرض ، إلاّ أنّها تحتاج إلى بعض إصلاح وإلى صهريج يجري عنه الماءُ إليها ، وأنّها متى امتلأت ماءً استغنى بها أهل المدينة عمّا هو خارج منها . وكانت ذخيرة للمراكب ولغير ذلك ممّا يحتاج إليه . فرفعت ذلك إلى الإمام المعزّ لدين الله (ص) فسُرَّ به ، وأمر بإصلاحها وإصلاح هذا الصهريج ، وأن يُبْنَى مسجد .

وكان قبل ذلك قد ذكر له تضايق داريْ(3) الصناعة بالمهديّة بالمراكب وكثرتها وما زاد منها ، وأن الداريْن قد غصّتا بها . فذكر عمارة دار الصناعة بسوسة والإنشاء بها . وكان وجود هذه المواجل / من مقدّمة الخير فيها . ثمّ قال (ص) : لئن امتدّ بنا المقام هاهنا لنُجْرِيَنّ البحر بحول الله وقوّته إلينا في خليج حتّى تكون مراكبنا تحطّ وتقلع بحضرتِنا (4) .

---

(1) في «أ» و«ب» : من عمل ، وهي منقولة خطأ عن السطر الموالي .

(2) دار الصناعة هي معامل صنع المراكب ، وعن دار الصناعة بالمهدية انظر : سيرة الأستاذ جوذر ص 154 من الترجمة الفرنسية وص 121 من النص العربي . وكذلك المقريزي ، اتعاظ ص 101 .

(3) ب : دار .

(4) هذه أول إشارة إلى إمكانية ربط المنصورية والقيروان بالبحر .

فقلت : يُبلغ الله مولانا أمله بحوله وقوّته ، وينجز له وعده إن شاء الله .

فقال : إنّا بحمد الله ونعمته علينا ، وهي أكثر من أن نُحصيها ، في غاية من فضله وإحسانه، قد مكّن الله لنا وخوّلنا وأوسع في نعمته علينا ، وآتانا ما لم يؤت أحدا غيرنا . فأعداؤنا والمتغلّبون على حقّنا ، وإن رأوا أنّهم قد حازوا من الدنيا أكثرَ م/مـّ/ـا عندنا ، فإنّ الله (عج) قد جعل البركة فيما آتانا ، فنحن نبلغ به فوقَ ما يبلُغون ، ونعطي أولياءَنا / ورجالَنا وأنصار دولتنا أكثرَ ممّا يُعطُون . وعندنا بحمد الله ونعمته أكثرُ ممّا عندهم ، ورجالنا أفضلُ من رجالهم محبّةً لنا وبصائرَ في أمرنا وصحّةَ وَلاية لنا وطولَ صحبة ومواظبة على جهاد أعدائنا . إنّ ملوك الدنيا من قَبْلنا لم يكونوا يؤثرون النزولَ إلاّ على مواضع الأنهار والمعادن ، وإنّا نزلنا بحمد الله على معدن الوَلاية،وجمع الأولياء الذين لا يُحصى عددُهم ولا يفنى مَددهم — يعني كتامة — قد جمعتْهُمُ الدار وألّفتْهم الوَلاية والمحبّةُ ، مضى على ذلك معنا آباؤهم وأجدادُهم مع الآباء والأجداد ، ونشأ عليه مَن معنا وفُطروا على وَلايتنا . وإنّما تُعِدُّ / الملوكُ الأموالَ للرجال . فقد أعطانا الله بفضله الرجال والأموالَ ، وبسط أيديَنا على أعدائنا ، وجمع شمل * كلمةِ أوليائنا على وَلايتنا ، وعبيدَنا على محبّتنا والسمع والطاعة لنا والشكر على ما يُوليهِمْ من رضائنا .

فقال بعض من حضر المجلسَ من أهل المشرق : وأين يبلغ يا أميرَ المؤمنين عطاءُ غيرك من عطائك ؟ إنّ الذي يُعطيه أعداؤك جندَهم نـَزْرٌ عند عطائك لأوليائك(1) إذا حُصّل لهم . إنّ أعداءك إنّما يُعطُون الرؤساء من أجنادهم العطاءَ بعد العطاء لهم ولأتباعهم ومَن قدّموهم عليه من أجنادهم،ولعبيدهم وسائر أسبابهم ، فيقطع العرفاء (2) من ذلك / كثيرا منه لأنفسهم ، ويفرّقون باقيهُ على مَن قُدّموا عليه ، وربّما عاملوهم فيه . ولا يبلغ ما يصل إليهم بعضَ ما يصل إلى أقلّ عبدٍ من عبيد مولانا (صلع) . ومولانا يُسبغ على أوليائه وعبيده الصلات والأرزاقَ والكُسى والحُملانَ (3) والعَلُوفةَ والجِرايةَ على نسائهم وأبنائهم ، يقبضون ذلك بأيديهم وإن خرجوا في بعث حملَهم ووصلَهم وأدرّ أرزاقهم ما غابُوا ، وأبقى على مخلّفيهم ما كان يُجْرِي عليهم . ومن استَشْهَدَ منهم أو مات أبقى ما كان يُجْري عليه

(1) ب : لأوليائنا .
(2) العرفاء ج عريف ، ولعله الموظف على توزيع الأعطيات على الجند .
(3) الحملان : ما يحمل عليه من الدواب كالإبل والبغال وغيرها .

لمخلّفيه . ويفرّق عليهمُ السلاحَ والزواملَ والمضارب (1) وجميع أدوات السفر إذا سافروا ، مع إقطَاعِـهم القطائعَ (2) / والضياعَ ، واستعمالِـهم على الأعمال ، وتعاهدِهم بالهبات الجزلة والعطايا السنيّة ، وبُلغتِهم عند أوبتهم من البعوث، بالكساء والصلاتِ والمراكبِ والحُمْلانَاتِ . فأيـن يبلـغ مثـل هـذا عطاءُ غيرِ أمير المؤمنيـن (ص) ؟

فقال : الحمد لله الذي جمع لأوليائنا بنا الدنيا والآخرةَ وجمـع لنـا ذلك بفضله علينا وجزيل إحسانِه إلينا حمدا نبلغ به رضاهُ ونقضي به شكرَ نِعَمِه .

حديث في مجلس في الاستدلال بالنجـوم :

275 — (قال) وأقحط المطرُ أوانَ الحرث ووقتَ الحاجة * إليه . وكـان المنجّمـون قد ذكروا أنّها تكون سنة جَدْبٍ وقحط ، فما كانوا بأوشك من أن أتى الله (عج) من الغيث والسقيا والمطر / بما لم يروا عن بعيد مثله . ودام أيّاما حتّى خاف الناس من أجلـه .

وحضرت مجلس المعزّ (صلع) في وقت ذلك فذكر عنده قولُ أصحاب النجوم ما قالوه ، فقال (ص) : ما كان هذا الغيثُ إلاّ تصديقا لقول رسول الله (صلع) في الخبر المأثور عنه لمّا أمطِروا بالمدينة ، فجعل بعضُ الناس يقولون : أمطِرنا بنجـم كذا ، وقال قومٌ : أمطرنا بفضل الله (تع) ورحمته . فقال رسول الله (صلع) : أصبح الناس رجلَيْن : رجل مؤمن بالله كافر بالكواكب، ورجل مؤمن بالكواكب كافر بالله (3) .

ثمّ قال المعزّ (صلع) : لقد أجمعوا كما علمتم على ما أجمعوا عليه من القحط والغلاء / فجاء الله (عج) بخلاف ما أجمعوا عليه . وما كان إجماعهم غلطا على ما قاله أصحاب النجوم ، بل كلّ قولهم وما جاء من المتقدّمين منهم دلّ على ما قالوه ،

---

(1) الزوامل ج زاملة : الرواحل من الابل . والمضارب ج مضرب : الخيام .

(2) القطائع ج قطيعة : ما يقطع من ربع أو أرض .

(3) ورد هذا الحديث في المسانيد السنية مع اختلاف جزئي في المتن . ففي صحيح البخاري في باب الاستسقاء (ج 2 ص 41) : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب . وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب . انظر نفس هذا الحديث في صحيح مسلم ، كتاب الايمان ، باب بيان كفر من قال : مطرنا بالنوء ، ج 1 ص 59 .

ولا تكلّموا إلاّ على ما قاله أصحاب النجوم الأوائلُ ، وما هو في الكتب بلا اختلاف بينهم فيه . لكن جاء الله (عج) بخلاف قولِـهم تصديقا لرسول الله (صلع)، وتكذيبًا لمن ادّعى علمَ غيبه الذي لم يُطلع عليه إلاّ من ارتضى من رُسُلـه .

حديث في مسايرة في الرغبة في العلـم :

276 — (قال) وسايـرت المعـزّ لديـن الله (صلع) يومـا في بعـض ما خرج إليه فذكر شيئـا من العلـم في فـنّ جـرى الذكـرُ فيـه منـه ، فقـال : ذكـرت مثلَ هذا مذ / ليال ، وأنا أعرف كتابا فيه كلامٌ منـه مستقصًى فأمرت بإحضاره ، فلم يعلـم من يقوم على الكتب مكانـَه ، فقمت بنفسـي إلى خزانة الكتب ، وفتحتُ بعض الصناديق وأنا قائم أطلب ذلك الكتاب * من المكانِ الذي قدّرتُ أنّه فيه، وذلك في أوّل الليل، وقلّبت الكتبَ ، فجعلت إذا مرّ بـي كتاب أتصفـّحه فيعرض لي فيه ما أحبّ أن أستقصيَه، ثمّ يمرّ على يدي غيرُه فيجري منّي كذلك مجراه ، فلم أزلْ قائما كذلك أتصفـّح كتابا بعد كتاب وقد شغلـني ذلك عن أن أذكر ما أنا فيه فأجلس ، حتّى حان نصفُ الليل ، ونبّهني على ما أنا عليه وجَعٌ / شديد بقدَمـي من طول القيـام . فانصرفت ، وأصبحتُ وقـد عـرض لـي مـن ذلك وجـع مؤلـمٌ برجلـي كـان مـن سبب ذلك .

فقلت : هذه والله يا مولاي الشهوة في العلم ، والرّغبة فيه التي لم يُتَحَدَّثْ بمثلها عن أحد قبل أميـر المؤمنين (ص) ، فهنّأه الله ما وهبـَه من ذلك ، وبارك له فيه .

فأطرق (ص) كالمستحي من ذكر ذلك وتكلّم بكلام خفـيّ لم أفهمه عنه .

وصيّـة في مجلس :

277 — (قال) وتوفـّي بعض الأولياء وكان عاملا على كورة ، وخلـّف ولدا حدَثا فاستعمله المعزّ (ص) على عمل أبيه وأقامه عليه إبقاء للصنيعة عنده في مخلـَّفي من صنعها لديه ، وحفظا لمخلـَّفيه ، وبحسب ما جرت عادته (صلع) في من / مضى من أوليائه . وكان هذا الولد غائبا عن وفاة أبيه بموضع عمله . وكا/ت/ وفـاة أبي بالحضرة . فلم يبلغ إليه بحمد الله خبرُه إلاّ ومعه عهدُ أمير المؤمنين (ص) إليه بولايته مكان أبيه . فأقام إلى أن أحكم ما رأى إحكامَه من أمر العمل ، ثمّ استأذن في القدوم على أمير المؤمنين (ص) فأذن له ، فقدم ودخل إلى أمير المؤمنين . فكان منه إليه من

الجميل ما ودّ من حَضَرَه وسأل اللّه أن يُميتَه في طول بقائه وعلى رضائه ليُخْلَفَ في مخلَّفيه بمثل ذلك .

ولمّا أراد الانصراف إلى عمله استأذن، في الدخول إلى أمير المؤمنين (ص) فأذن له فدخل ليودّع . فلمّا مثل بين يدي أمير / المؤمنين (ص) وقبّل الأرض ، قال له أمير المؤمنين (ص) : أزمعتَ على الخروج ؟

قال : أزمعتُ ما يراه أمير المؤمنين (ص) .

قال : سر على بركة الله مصحوبا بعافيته ! نحن نرجو أن يجعل الله فيك من البركة ويوفّقك من الخير إلى ما تكون به أفضلَ من أبيك . فأنت من بلادنا وربيّ أيّامنا ونشرُ دَوْلتِنا وغذيُّ نِعمتنا ، فأشْعِرْ نفسك العملَ بما أمرناك ، والانتهاءَ عمّا نهيناك ، والوقوفَ على ما حدّدنا لك ، وخذها بذلك ولا تتعدّهُ تحسُنْ أحوالُك وتَزْكُ أعمالُك وتستكمل رضانا عندك . اجعلِ الحقَّ قصدَك والعدلَ سيرتَك وأمرَنا ونهيَنا نُصبَ عينك وإمامَك . إنْ / غضبتَ فليكن غضبُك لله (عج) ولنا ، وإن رضيتَ فليكن رضاك بسبيل ذلك ، وذرِ الرضاء والغضب لنفسك عنك بجانب . فمن تجاوز إليك ما عسى أنّه يغضبك وينقصك فإلينا تجاوزَ ذلك ، وتجد [عندنا] من الانتصار لك ما لا تنتصر به لنفسك (1) . طالعنا بأمورك ومه عسى أن تريدِ العمل به قبل أن تعمله،فما أتاك منه فأمْضه على ما نأمُرُك به تكن على سبيلَ نجاةٍ وسلامة وراحة في كلّ أمرك ، وتزول الحجّة عنك (2) فيما تخشى أن تقوم فيه عليك . فما ندم من شاورنا في أمره وطالعنا به ، وما عدِم ندمًا من ترك ذلك / من أمثالك واعتمد على هواه ورأيِ نفسه . سر راشدا وفّقك الله .

فقبّل الأرض مرارا ودعا بما قدر عليه وانصرف .

توقيع في إقامة حقّ الله عزّ وجلّ :

278 — (قال) ونفّذ أمير المؤمنين (ص) الإمام المعز لدين الله (ص) إليّ في النهي عن النّياحة على الموتى ، كالذي يؤثر في ذلك عن آبائه عن جدّه رسول

(1) في النسختين : ونحن من وراء الإنتصار لك . وقد أصلحنا بما يوافق السياق .
(2) في أ : عندك . وفي النسختين : تزول كما أثبتنا عوض : تزل ، كما قد يقتضي جواب الشرط

الله (ص) والأئمّة الطاهرين من ذرّيته . فتقدّمت في ذلك بالنهي والتغلظ فيه والنداء بذلك وإشهاره .

وعثرت بعد ذلك على نساء ينُحْنَ فعاقبتُهن بالضرب الوجيع ، والنداءِ عليهنّ والحبسِ الطويل ، حتّى أظهرن التوبةَ . وكلّ من كانت تعرف / بذلك من النساء حضرن إليّ فأظهرن إخلاصَ التوبة بين يديّ ، وأشهدن الله ومن حضرني بذلك عليهنّ . وتوثّقتُ بالأيمان المؤكّدة في ذلك منهنّ . وكفل عندي بهنّ كُفَلاءُ ، فأطلقت سبيلهنّ . ونزع — فيما ذكَرَ مَن أمرتُه بطلبهنّ ممّن ينظر في أمور مثلهنّ — جماعة منهنّ عن الحضرة واختفَيْن . وذكر الذين أخذتُهم بطلبهنّ ممّن يجب أخذُه بذلك وزِمامُهم أنّهم لم يقدِروا عليهنّ ، وضمِنوا عندي ألاّ تنوحَ نائحةٌ إلاّ قبضوا عليها ، وأحضَرُوا بها إليّ .

فاستقام الأمر على ذلك مدّة طويلة . ثمّ اتّصل بي أنّهن قد عُدن إلى النِّياحَةِ / في السرّ وفي داخل البيوت . فأخذت من تضمّن ذلك به، فنفاه وأنكره وأبطله . ثمّ تزيّد الخبرُ بذلك واشتهر ، وسمعت النياحةَ في غير موضع ، وأرسلتُ للقبض على النائحات . فدخلن في جملة نساء المأتَمِ ، واستترن بهنّ ، ولم يقدر عليهنّ . فأخذت بذلك زِمام القوم الناظرين في مثل هؤلاء المفسدين بما تضمّنَه من أمرهنّ ، وقد اتّصل بي أنّه أطلقهنّ لشيء تناوله منهنّ . فجاء بكلام مجمل فيه وذكر أنّه يطالع أمير المؤمنين مولانا (صلع) . وتمادى الأمر على ذلك ، ولم أجد إلى أخذ الفواسق سبيلا .

واتّصل أمرهنّ بأمير المؤمنن (ص) . فخشيت أن ينسب إليّ تقصيرا في أمرهنّ ، فكتبت رُقعة بخبرهنّ وما / صنعتُه * في أمرهنّ وما آل إليه ذلك ، مطالعًا فيما أعمل عليه في ذلك .

فوقّع إليّ : والله يا نعمانُ ما أدري ما أقول لك ، ولقد كثُر تعجّبي منك، مع طول الصحبة ومصابَحَتِنا ومماساتنا، خفيَت عنك أخلاقُنا . متى علمتَ منّا بدأة أو رجعة عن إقامة حقّ الله،والرضاءَ ببيع الآخرة بالدنيا ؟ أسألُ الله أن لا يُبقيَنا إلى يوم نُرى فيه على مثل هذه الحال ! فبحقّنا عليك إلاّ بعثْتَ أعوانًا في طلب الفَسَقَةِ — يعني الذين تضمّنوا أمر هؤلاء النوائح — ليَحضُروك بهم . وخذهم أشدّ

مأخذ بإحضار الفاسقات إليك – يعني النوائح – (1)وأوجِعْهُنّ ضربا وصيّرهنّ في الحبس إلى / العقلة وألزم النذلَ فلانا – يعني رئيس هؤلاء المتكفّلين – عشرة أعوان حتّى يحضر بهنّ الساعةَ ، ولا تَرْكُنْ في ذلك إلى شيء من المعاذير ، فلن يُقبَل منك ! وما وقع من الخلل فيما أمرناك به من إقامة الحقّ كان الله مسائلك عنه . فقد وثقنا لك واستنمْنا إليك . فإذا كنتَ أنت يتخالجك الشكّ فيما تقوله السفلُ عنّا ، فما ظنّك في مثل ذلك بالسفلِ العوامّ الذين يُحبّون أن تشيعَ الفاحشة عمّن طهّره الله وعصمه بفضله ، وله الحمدُ ؟

فلمّا وقفت على مثل هذا التوقيع لم أضعه من يدي حتّى تقدّمت فيما أمر به (صلع) من إلزام الأعوان مَن أمر بإلزامهم/ إيّاهم ،وكان ذلك في يوم نَوْء منطبق ولزمني من الغمّ بما وقّعه (ص) من أنّي كنت ممّن تخالجه الشكّ فيه (صلع) ، نعوذ بالله من ذلك ، ما لم أدر ما كنت فيه . فرفعت إليه رقعةً بما صنعته ، ووصفت ما نالني من الغمّ بما ذكر من الشكّ (ص) وذكرت أنّي لم أتوقّف عن الإمضاء إلاّ رجاءَ صلاح الأمر من دون أن أشغل به صدره (ص) بمثل ما اشتغل به . فلمّا لم أجد ذلك طالعته به ليكون العمل فيه * عن أمره المقرون بالسعادة والتوفيق .

فوقّع إليّ : يا نعمان. وقفْنا على ما ذكرته في رُقعتك هذه ، وتالله ما نظنّ الذي نالك من الاغتمام بما وصفتَه أكثرَ ممّا نالنا / من ذلك عند الوقوف على ما ذكرتَه في تلك الرقعة . فلعن الله مُطْلِقَهُنّ ومُطْعِمَهُنّ على ذلك وصدق وعيدُه عليه ! فلو لم يكن من شؤمهنّ إلاّ ما كان لكفاهُم . فأمّا على أنّا وجدنا عليك وجدا يدركك منه إثمٌ فمعاذَ الله ! ولكنّا نحبّ أن تكون – كإرادتنا لك – نافذَ العزم ، ماضيَ الأمر . وإمّا نَرْفَعْ إليك أمرا أنكرناه وتقدّمْنا إليك في تغييره فتَمسكَ عنه المدّة حتّى تلاطف فيه فلانا وغيره . فيكونوا بباطلهم وجسرهم على الله وعلى أوليائه أقوى عزما منك في إقامة حقّ الله . فهذا أردناه لا غَيْرَه . فامض على ما أمرناك به ، ولا تُزلِ الأعوانَ عن النذل أو يحضُرَ / بهنّ . ومن كان منهنّ عند أحد من شيَع إبليس .لامن رجالنا (2)فتقدّم إليهم فيهنّ ،وخذهم في إحضارهنّ أشدّ مأخذ،وحذّرهم سطوتنا . فإن حاطوا أنفسهم ولزموا ما به أمرناك فهو أعود على الجميع . فإن اتّصل

(1) سقط من ب : ليحضروك بهم ... يعني النوائح .
(2) هكذا في النسختين . ولعل « لا » زائدة .

بك عنهنّ غير ذلك فتقدّم إلى من يهجم عليهنّ ويخرجهنّ شرّ (1) خروج من الموضع الذي هنّ فيه ، ولو كانوا في قصرنا ، أبْعَدَ الله صانعَ المنكَر ومستحسِنَه . وما رأيتَه من اختبار حالهنّ بالجيران فنعمَ ما رأيتَ . فامض على ذلك إن شاء الله .

ثمّ خرج إلى مجلسه (صلع) فجلس ، ودخل مَنْ رسمُه الدخولُ إليه . وكان فيهم هذا الذي أمر بإلزام الأعوان ، / وقد ألزمته ذلك ، فشكا ذلك إليه ، فأسمعه (صلع) كلاما غليظا في إباحة النياحة . فأنكر الرجل ذلك يحلف عليه بما يعلم مولانا (صلع) منه خلافه ، فأعرض عنه بوجهه * تكرّما من مواجهته إيّاه بجحده أن يكون اتّصل به نهي أمير المؤمنين عن ذلك . وقال له : يا نذلُ ، إذا كنتَ تجسر على مثل هذا في مجلسنا فيمكننا أن نجحد الباري — جلّ وعزّ — ما بلّغَنَاه الآباء الأطهار عن رسول الله (ص) من قوله : «من أطعم نائحة درهما كلّفه الله إخراجه بفيه من قعر الجحيم (2). فأي نكير أغلظ من هذا ، فلعن الله الظالمين !

ونظر إليّ فقال : أما والله لقد سمعتُ مذ ليال مرّت صوت نائحة وأنا قائم في / الصلاة فما عرفت كيف أتمّمها غضبا لله (عج) وما ارتكب من نهي في ذلك . فلمّا انصرفتُ من الصلاة قلت : اللّهمّ إنّك تعلم أنّي لم أرضَ هذا الصوت ولا أطلقتُ ، وأنّي نهيْتُ عنه وغلّظت فيه . اللّهمّ فخذ بعقوبة ذلك مَن أباحه . ولقد اشتدّ حنَقي عليك في غفلتك عن ذلك .

فقلت : الله يعلم أنّ عبدَ أمير المؤمنين ما غفَل عنه ، ولقد بذل المجهودَ فيه ، وما استطاع أكثرَ ممّا فعله ولا قدَرَ على من ارتكبه فيعاقبَه . ولكن إذا أمر أمير المؤمنين بأخذ هؤلاء الذين أباحوا ذلك لهنّ بإحضارهنّ ، فعبدُ أمير المؤمنين (صلع) يأخذ في ذلك بأشدّ المأخذ / ، ويبذل فيه من المجهود ما يرجو به قطْعَ هذا المنكر بحول الله وقوّته ، وجميل رأي أمير المؤمنين (ص) وبركته فيه .

فقال : نحن قد أقمناك لتنفيذ الحقوق وإنصاف المظلوم وتغيير المنكر . وبسطنا يدَيْك ولم نقبضهما عن أحد فيه . فَاشْدُدْ وطأتَك وقوّ عزمَك في الحقّ ، ولا تكن لأحد ممّن كبر وصغر عندك فيه هَوادة ، ولا تخاطِبْ أحدا من رجالنا في ذلك

---

(1) في النسختين : أشر .

(2) لم نجد هذا الحديث في المسانيد السنية وان اوردت أحاديث متعددة تنهى عن النياحة ، مثلا : أبو داود 173/2 وابن ماجة رقم 1581 .

ولا في شيء مما نأمرك به في قصرنا ، ولكن تحضره في مجلس قضائك وتنفذ له وعليه ما وجب عندك. فمن أنف لنفسه من الحضور مع خصمه إليك، [كائنا] من كان من الناس ، فلينصف / من نفسه ، أو يدع ما يطالب به إن كان الطلب له ؛ وليقم في ذلك في الحق مقام أقل الناس ، وإن كان عند نفسه شريفا ، فالمقام في الحق مقام واحد للقوي والضعيف والشريف والمشروف . فمن ظن غير ذلك وشمخ بأنفه أو توهم أن له في الحق فضلا على غيره ، فأبعده الله كائنا من كان !

فقبلت الأرض بين يديه ، وشكرت بما قدرت عليه ، وامتثلت في الأمر الذي ذكره (صلع) ما أمره ، ونفذت منه ما أمر بتنفيذه ، وأذعت ذلك عنه (ص) وأشهرته ، وأمرت [بحمل] من ظفر به من النوائح إلى المحابس إلى أن اجتمعن ، وأنزل/ت/ العقوبة بمن تستحقها منهن (1) / .

(1) في النسختين : وأمرت من ظفرت به من النوائح إلى المجالس ... وأنزل العقوبة بمن يستحقها منهن .
هذا وقد تحدث النعمان عن منع الأئمة « البكاء والنوح » (المجالس ص 102) . وانظر كذلك جواب المعز عن طلب أحد الأمراء في سيرة الأستاذ جوذر (ص 100 من المتن . والتعليق 108 ص 182 للمحققين ، وأيضا تعليق ماريوس كانار في ترجمة السيرة (تعليق 340 ص 151) .
وقد ذكر ابن عذاري ، تحت سنة 349 (البيان ، ج 1 ص 223)، رسالة من المعز إلى الأئمة والمؤذنين جاء فيها : ولا نصيح امرأة وراء جنازة ، ولا يقرأ العميان على القبور إلا عند الدفن ...

الجزء الثامن والعشرون

بسم الله الرحمان الرحيم

كلام في ذكر الإمامة جرى في مسايرة :

279 — (قال) (1) وسايرت الإمام المعزّ لدين الله (صلع) يوما في بعض ما كان يخرج إليه ، فذكر المهديّ (ص) فقال : إنّي لأذكر يوما كنت حُمِلْتُ فيه إليه ، وأنا يومئذ فطيم أعقل الكلام وأحفظ ما يكون ، فتناولني وقبّلني ، وأدخلني تحت ثوبه ، وكشف عن بطني وألصقها ببطنه (2) ثمّ أخرجني وبارك عليّ ، وسألني عن حالي ، وأجلسني في حجره . ودعا لي بمأكل . فأُتِيتُ بطَبَقٍ من فضّة مذهّبٍ / فيه مَوْز وتفّاح خريفيٌّ وعِنَبٌ ، فوُضِعَ بين يديّ ، فلم أتناول منه شيئا . فأخذه بيده وناولَنِيه ، فأخذتُه بيدي ، فقال : امض به فكل أنت ما فيه وأعطِ الطبقَ فلانة * — وذكر بعض البنات وهي يومئذ في مثل سِنّي — فقلت له : لاَ ، بل آخذ أنا الطبق ، وأعطيها ما فيه . فضَحِك وتعجّب من انتباهي لذلك ، ودعا لي بخير ، وقال للخادم : احمله ، فحُمِلتُ وحُمِل معي الطبقُ بين يديّ ، وقال : سيكون له نبأ ، ومثل هذا من الكلام ، لم أضبطه أنا عن المعزّ (صلع) .

(1) ب : قال القاضي النعمان بن محمد .
(2) ان المعز في هذا النص يكشف لنا عن نوع من الطقوس كان يقام من أجل التبريك واسباغ نور الامامة على المولود الجديد الذي هو من ولد الائمة .

ثمّ قال المعزّ (ص) : كان المهديّ واحد الزمان وخبيئةَ آل محمد عليه وعليهم لسلام ، وعالِـمَهم وكاشفَ جلباب / المحنة عنهم . ثمّ ذكر حديثا عنه (صلع) سمعناه قديما يذكر عنه (عم) : وذلك أنّه كان يرمز بمحنة تكون.وفتنة تظهر ، ونفاق يشتمل على أكثر الأمّة ، ومن أجل ذلك ابتنى المهديّة وحصّنها ، وانتقل إليها . وكان يؤثر عنه أنّه إذا نظر إلى سورها العالي الحصين وأبوابها الحديد ، وتكلّم على ذلك مَن يكون بين يديه ووصّفوها بالمنعة ، وأنّه لم يُبْنَ مثلُها ، يقول : كلّ ذلك إنّما أعددناه لمقام ساعة من النهار . فلم نكن ندري ما معنى قوله ذلك حتّى ظهر الدجّال مخلد بن كيداد ، وهاجت فتنته ، واشتملت على أكثر الأمّة . وجاء بمَن كان معه حتّى وقف بباب المهديّة (1) ساعة من النهار / . وكان ذلك آخر ما انتهى إليه . ولم يزل بعد ذلك في نقص وانحطاط حتّى أقدر الله (تع) المنصورَ (ص) [عليه] ففضّ جموعَه ، وأخذه أسيرا برمقه بعد أن طلبه في الفيافي والقفار وشواهق الجبال،حتّى أظفره الله (عج) به ، وأمكنه منه ، وكشف به جلبابَ تلك المحنة ، وأطفأ به نارها .

ثمّ ذكر المعزّ (عم) الحديث الذي كنّا نسمعه أيضا يؤثر عن المهديّ (عم) في كاشف هذه المحنة،ومطفىء نار هذه الفتنة،أنّه ذكره في بعض أيّامه،فقال : صاحب هذا الأمر في هذا الوقت حَمل في بطن أمّه ، وعن قريب يولَدُ . وكان المنصور (ص) حَمْلا في ذلك الوقت ، وكان عند المهديّ (ص) حَمْل فوُلِدَ المنصور (ص) وولد / أبو الحسن للمهدي . وكانت أمّه قد قالت – وهي حامل به – للمهديّ : إنّي رأيت كأنّ القمر في حجري وأنا أرضعُه . فلمّا ولد المنصور وأتِي به المهديّ ليباركَ عليه ، دعا بأمّ ولده أبي الحسن وقد ولدَتْه (2) فدفع المنصور إليها وقال لها : أرضعيه مع ابنك . ففعلت مسرورة بذلك فرحة به . فلمّا أرضعته ، قال لها المهديّ (ص) : أتذكرين الرؤيا التي رأيتِ أنّك تُرضِعينَ القمر وهو في حجرك ؟

قالت : نعم يا أمير المؤمنين (ص) .

(1) ذكر المقريزي خبر بناء المهدية والموقع الذي اختاره لها المهدي (اتعاظ الحنفاء ، 101–103) .

(2) ولد المنصور برقادة في أول جمادى الثانية سنة 301 . وأبو الحسن (أو الحسين) عيسى بن المهدي ولد أيضا في هذه الآونة ، حسب كلام النعمان هنا . ومات عم المنصور هذا سنة 382 (انظر ملاحق اتعاظ الحنفاء – الملحق 12) . وفي هذا الخبر يظهر ميل المهدي إلى المنصور وتنبؤه له بالخلافة منذ أن كان رضيعـا .

(ف)قال لها المهديّ (ص) : فهذا تأويل رؤياك . ثمّ لم يلبث ابنها أبو الحسن أن جَدِرَ فذهب بصره ، فأيقنتْ أنّ رؤياها كانت للمنصور (ص) مع تأويل / المهديّ(ص) لها ذلك .

قال المعزّ (ص) : فكانت بعد ذلك من اليقين والوَلاية لنا في غاية ما يكون عليه أهل الإخلاص ، وكبُرَتْ وأسنّتْ وهي على ذلك . وكانت تقول لولد المهديّ ونسائه بعد وفاته : والله لقد خرج هذا الأمر من هذا القصر – تعني قصر المهديّ بالله (صلع) – فلا يعود إليه أبدا . وصار إلى ذلك القصرِ – تعني قصر القائم بأمر الله – فلا يزال في ذرّيّة صاحبه ما بقيَت الدنيا . وإذا رَأتْ الواحدةَ من نسائنا ، قالت : هذه السيّدة ، لمن كانت منهنّ قد ولدت إمَاما ، فيقول لها بناتُها : لقد كبرتِ وخلّطت . فتقول : أما الكبَرة فنعم ، وأمّا التخليط فلا ، والله ما أنا / بمخلّطة ولكن سمعتُ ذلك من علم الأئمّة .

ولم تزل على ذلك حتّى ماتت .

قلت : رحمها الله (تع) .

قال : نعم ، ونفعها اعتقادها .

حديث في مسايرة :

280 – (قال) وسايرت المعزّ لدين الله (ص) يوما في بعض ما خرج * إليه ، فسألني ابتداء عن نفسه الشريفة – حماها الله من كلّ سوء – عن الأهل والصّبية والولد والدُّخلة سُؤَالاً لو كان من أحد الأصدقاء المساوين في الحالة لتعاظمتُه له واعتقدت يدا له عندي به . وانبسطتُ إليه لما بسّطه من فضله انبساطَ العبد الواثق بحنان مولاه وإقباله عليه ، أذكر حال الدُّخلة والولد والصبية على حسب ما يجري بيني وبينهم بإسقاطي / التكلّف ، وهو مقبل عليّ بوجهه الجميل الشريف ، مُتَبَسِّم لما يسمعه من الحكايات عنهم ، ويستزيدني ، حتّى بلغتُ من ذلك إلى ذكر البنات وأولادهنّ وما يجري مجرى ذلك . وجعل بفضله يسألني عن صغيرهم وكبيرهم وأحوالهم

ثمّ ذكر ولديّ عبدَيْه ، فقال : ما لهما وَلَدٌ بعد ؛

فقلت : يا مولاي ، لكلّ واحد منهما جارية ، وكأنّهما لم يقنعا بهما للولد ، وتاقت نفسهما إلى ما هو أحسن منهما ، وإلى التزويج .

وذكرت له ما عاق عن ذلك ومنع منه من أنّني لم أنظر لهما في مساكن بعدُ .

قال : وأظنّك أيضا ملت إلى الجواري لمقاربة الثمن فاشتريت لهما / ما لا يصلح لمثلهما ؟

قلت : لا والله ، ما اشتريتهما ولكنّهما من رقيق كان مولانا (ص) منّ بهم على عبده من رقيق الفيء .

فقال (ص) : وهذا أعجبُ ! ما في أولئك ما يصلح لمثل هذا ، ولقد ضيّقت عليهما .

قلت : يا مولاي ، على أن ينظر عبدك لكلّ واحد منهما في مسكن ويزوّجه .

فقال (عم) : إلى متى يكون هذا ؟ والله لئن لم يفرحا ولم يسرّا في أيّامنا وإقبالنا عليك وعليهما ، ويسرّ كذلك جميع أوليائنا ، فأنّى كانت لهما مسرّة مثلها ؟

فقبّلت عرف الفرس وقلت : يمدُّ اللهُ في أيّام أمير المؤمنين (ص) ويصل * إقبالَه على عبيده وجميع أوليائه ، حتّى يسرّ بذلك ذراريّ ذراريهم ، ويُسبغ / الله من فضله عليهم ما يسرّهم ، ويكبت أعداءهم .

قال : فعل الله ذلك . وأمّا ما ذكرت من تزويجهما ، فبالله عليك إلاّ عدلتَ عنه ، فقليل[اً] ما تقع الموافقة من النساء . وإن كانت موافقة لم تعدم مخالفةً من الأصهار ومن يتقرّبُ بقربهم ، فيجمعك الخلطة مع غير الشكل . وكيف ، والغالبُ اليوم على النساء عدمُ الموافقة ، والأمةُ التي تصلُح أن تتّخذ للولد تُختَبَرُ وتجرَّبُ ، فإن كانت موافقةً اتُّخذت ، وإن لم تكن موافقةً نُظِرَ في غيرها أحسن وأوفق ؟

فقلت : أصاب أميرُ المؤمنين ، أصاب الله به المراشدَ ، ووفّق في قوله ، أدام الله توفيقَه ، والسعادةُ والرشاد فيما رآه / لعبيده . وهذه ساعة جرت بالسعد لهم بحسن رأيه وجميل نظره ، فمدّ لأوليائه وعبيده وللدين والدنيا في أيّام عزّه وتمكينه وطول بقائه ، ودوام مسرّاته .

وانصرفت وقد مُلِئتُ سرورا بما كان من اختصاصه إيّاي بمثل هذا الذي لا يختصّ به الصديقُ صديقَه ولا الحميم حميمه .

توقيـع (1) :

281 — (قـال) وأمرنـي الإمـام المعـزّ لديـن الله (صلع) بتأليـف شـيء مـن العلـم وقفنـي على جميـع معانيـه ، وأصّل لـي أصولـه ، وألقـى إلـيّ جملـة مـن القـول فيـه . ولـم أكـن قبـل ذلك تـقدّمـتُ في تأليـف شـيء منـه ، ولا اتّسـع علمـي فيـه اتّساعـا يـوجب أن أتقدّم في تصنيفه . فلمّا فتـق لي / المعنى فيـه ، ولخّصه لي ، وأوضح لي معانيه، وأمرني بتأليفه وبسطه ، تقدّمت في ذلك تقدّمَ واثـق بعون الله به ، إذ كان عن أمره (ص) . وتهيّبت أمره ولم أرني أبالغ فيه ، ولا أنتهي منه إلى ما يرضيه .

فابتدأت منه جزءا ورفعته إليه (ص) ولم أفرغ منه إلاّ عن مشقّة شديدة ، وأنا أرى أنّي مقصّر فيما وليت * منه ، ورفعت معه رقعة وصفت فيها بعض ما اعتراني فيه .

فوقّع إليّ في أسفلها صلوات الله عليه : يا نعمان، وقفتُ على الكتاب الذي عملته فرأيته قد جاء حسنا ما بعده أحسن ، فتماد على عملك فيه ، أحسنَ الله عونَك ، وأجزل أجرك !

فوالله / ما هو إلاّ أن قرأت توقيعَه هذا بخطّه (عم) وقبّلته ووضعته على صدري، فكأنّ الله (تع) أوصل إلى قلبي في ذلك مادّةً من المَعُونة التي دعا لي بها (صلع) فتحتْ ما كان انغلقَ عليّ من معاني ما بدأت به ، وقدّرت أنّه يأتي قليـلا ، فانفتـح لـي مـن معانيـه ووجـوه أجناسـه مـا جـاءني منـه فـوق مـا أمّلتُـه وأضعـافُ مـا تـوهّمتـه ، وبـدأت فـي الـذي يلـي منـه مـا رفعتـه ، فكان أيسرَ شـيء علـيّ وأسهلـه ، فرأيـت تعجيـل إجابة دعوته لي (ص) بحسن المعُونة فيه .

توقيع آخـر :

282 — (قال) وكان المعزّ (ص) أقطع أولياءه مواضع يبنُون فيها بالمنصوريّة المباركة . وكان البنون والبنات وبعض المقرّبات / سألوني في سؤال ذلك لهم ليجمع

---

(1) التوقيع : انظر ص 98 و 102 .

شملَهم وتقارُب مساكنهم ، ولمّا في ذلك من ستر الحرم عند حاجتهنّ إلى التزاور والتفقّد من بعضهنّ لبعض وأنس بعض الجميع ببعض ، ولمّا نالهم في التفرّق من الوحشة والانقطاع ، ولتضايق بعض مساكنهم ، وكون بعضهم معي في مسكن ضاق بهم لمّا اتسع بنا فضلُ وليّ الله ، وكثرت نعمتُه عندنا .

فرفعت إليه (صلع) رقعةً أسأله فيها ذلك إجلالا عن مواجهته بالسؤال ، وذكرتُ فيها ما دعاني إلى سؤال ذلك من سؤال الولد ومَن ذكرتُه إيّاه . وإنّ ذلك لو كان لنفسي لكان في أقلّ ما أنا فيه بُلغَةٌ مع الكِبرَ وقرب الأجل * .

وكان رفعي / لهذه الرقعة في يوم جمعة . وسألته مع ذلك منشورا في حاجة لي ، وما أقرأه في ذلك اليوم على جماعة المؤمنين ممّا عوّدهم أن يُقرَأ عليهم في كلّ جمعة ، ويخرجه من عنده (ص) ، فأقرأه بعد انصرافه من صلاة الجمعة وعن حلقة المناظرة ، وقراءة كتب الفقه بالجامع ، وبعد أن يحتفلَ المؤمنون في قصره – عمّره الله بطول بقائه – فأقرأ عليهم في كلّ جمعة كذلك ما يُخرِجُ إليّ من الحكمة والوصايا والموعظة والعلم الحقيقيّ .

فوقّع إليّ : يانعمان ، قد أخرجْنا إليك ما تقرأه اليوم ، والذي سألتَه من أمر السجلّ ، فاجتمعْ فيه مع جوهر (1) يكتبْه لك ، ولا تصفْ نفسك بالكبر وتحدّثْها / بقرب الأجل ، فالله (عج) يهبك السلامة والعافية حتىّ تبتني في أيّامنا ومعنا حيث يختاره الله ويرضاه لنا من أرض المشرق بالأبنية الواسعة المنيفة ، وقد جمع الله لنا بلوغ الأمل في الدين والدنيا ، وما ذلك على الله بعزيز . ونحن نأمر لك بما سألتَه وفوق ما أمّلتَه إن شاء الله .

فقبّلت توقيعَه ، وأحسست – علِمَ اللهُ – من وقت ذلك فما بعده ، في نفسي قوةً ، وانبسَط أملي ، ووثقتُ بأنّ الله (عج) يبقيني حتىّ أبلغ ما أمّله (صع) . فما

---

(1) هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها القائد جوهر باسمه ، وإنما يكني عنه النعمان عادة بلقب « القائد » . ويظهر من جواب المعز هنا أن جوهرا كان كاتبه المكلف بتدبير شؤون القصر ، ومعلوم أنه يدعى أيضا عند المؤرخين بـ« جوهر الكاتب » . ونجد في سيرة الأستاذ جؤذر (ص 95) إشارة أخرى إلى هذه الوظيفة « الإدارية » عند جوهر ، إذ يكتب المعز توقيعا لجؤذر يقول فيه :

« ... فاذكر خبرها – خبر الإبل التي كثرت المكوس عليها – لجوهر عن أمرنا « ليكتب لك كتابا بحسبما أردت ... » .

أحصِي ما سمعته (عم) يؤمّلُ ما قد رأيتُ اللّهَ (عج) قد بلّغه أمله فيه مِمّا هو أصعب وأبعد من هذا الذي ذكره وتمنّاه (ص) ، حتىّ لقد قلتُ له في بعض ما شاهدت من / ذلك : يا مولاي تمنّ وأكثِرْ ، فما زلنا نرى أنّ الله (عج) يبلغك كلّ ما تؤمّلُه .

توقيـع آخــــر :

283 — (قال) ولما نصب نفسه الشريفة لأخذ ميثاقه على المستجيبين إليه (1) ، وولي إخراج ما يقرأ عليهم على نحو ما تقدّم القول فيه ممّا يُرَبّون به ، ويرتفع من يرتفع في درجات العلم * الحقيقيّ له ، نصبني (2) (صلع) لقراءة ذلك عليهم لِئلاّ يقعَ فيه نقص ولا زيادة ولا استحالة ، إذا كان مكتوبا في كتاب يقرأ بلا زيادة عليه ولا نقص منه . فكثر المستجيبون وعظمت رغباتهم ، وأقبلوا من كلّ أفق يقطعون البحار والقفار إلى ذلك من نيل رحمته ، وصارت لهم بكلّ مصر جماعة وألفة واجتماع على طلب العلم / والحكمة ، وبثّ فيهم (صلع) ما يُقرأ عليهم ، وتواترَتْ عليّ كتبُ جماعة من أهل ذلك من قريب البلدان وبعيدها يسألون الزيادة من فضله ونعمته .

فرفعتُ ذلك إليه ، وسألته إسعافَهم ببعض ما يخرجه به ليُقْرَأ (3) على مَن بحضرته المرضيّة ، وأنهيتُ إليه رغباتِهم وسؤالَهم . فوقّع إليّ : كثّر الله المؤمنينَ

(1) من بين رسوم الدعوة أخذ العهد والميثاق على المستجيبين – وهم الدعاة الجدد المتهيئون للدخول في الدعوة – والعهد والميثاق شرط أساسي في دخول المستجيب كلية في الدعوة ومفاتحته بأسرارها وترقيه في درجاتها. يقول حميد الدين الكرماني في رسالة الكافية ، (مجموع الرسائل ص 411) : وإنما وجب أخذ العهود والمواثيق من الناس في دين الله لخلتين :

أحدهما لكي تجب عليهم الحجة من جهة الله بقبولهم ما يقبلونه من أوامر الله (تع) وبذلهم القيام بها وان قصروا فيها ، فتكون مجازاتهم بحسب فعلهم بعد الميثاق .

وثانيهما لكون الخلاف فيما بين الناس موجودا وامتناع الامر في الاطلاع ع[illegible] [illegible]ر الناس فيمنع من كانت سريرته غير الاخلاص لله وفي الله ، ولئلا يكون من تعاهد عينا وعدوا [illegible] على ما يدبره الامام أو الدعاة من المكر بأئمة الدين ، [illegible]ن الاستضرار بمكانه فيما يراد من [illegible]بادة الله (عج) [illegible]ما أكثر من الانتفاع به ، [illegible] الأمر في الميثاق إلى أمانته بعد الا[illegible] [illegible]سحق بالنقض [illegible] ما على الناقضين ، وبالوفاء أن [illegible]ما للموفين . ولذلك كان الأنبياء [illegible] الناس الذين يجيبون إلى دعوتهم . والعهد والميثاق رسم سابق من الله (تع) ...

ويقول المقريزي ، (خطط ج 2 ص 227) بعد ذكر الآيات الداله على العهد وال[illegible] [illegible]ان الداعي يقول للمستجيب : « فأعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بالمؤكد من أيمانك وعقودك أن لا تفشي [illegible]را ولا تظاهر علينا أحدا ، ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحا ولا توالي لنا عدوا » . فإذا أعطى اله[illegible] [illegible]ال له الداعي : « أعطنا جعلا من مالك نجعله مقدمة امام كشفنا لك الأمور وتعريفك إياها ... » فإذا [illegible] المدعو أمسك عنه الداعي ، وان أجاب وأعطى ، نقله إلى الدعوة الثانية ... » . انظر صيغة اله[illegible] في المقريزي : خطط ج 2 ص 232–234 ، والغزالي : فضائح الباطنية ص 27–29 ، وأربع رسائل إسما[illegible]ة ص 69–79.

(2) في « أ » و « ب » : ونصبني ...

(3) ب : لـيقرأه .

ومحقِّ الكافرين ، وما سألْتَ وسألوا إلاّ ما ينبغي إسعافُهم به ، ونحن نتصفّح من ذلك ما يصلُح لهم ونُنفِذُهُ إليهم إن شاء الله (تع) .

توقيع آخر :

284 — (قال) وكنتُ ربّما أفدتُ الفائدة من فضل اللّه وفضل وليّه من عَيْنٍ وعُروض وطعام وغيرِ ذلك ممّا يجب فيه حقّ اللّه الذي / أمر (عج) بدفعِه إلى أوليائه والخروج منه إليهم ، فأتوخّى أن يجتمعَ فأوصلُه جملةً . وربّما كان منه ما لا يتهيّأ بيعُه وما يلزم الحاجة في الوقتِ إليه ، فأؤخّر الواجبَ فيه إلى أن يتهيّأ وجودُه ، وأثبتُ ما قد لز مني من ذلك في كتاب وصيّتي خوفَ الْحِدْثَان ، ولم يمكنني غير ذلك . ثمّ خشيتُ أن يكون فيه عليّ إثم ، فرأيتُ مطالعةَ مولانا المعزّ لدين الله (صع) ، وسألتُه تحليلي منه بفضله إن رأى ذلك أو الأمر بمَا أعمَلُ عليه ، فوقّع إليّ : يا نعمانُ ،أنت من ذلك في حلّ وسَعة ، فنيّتُك تنوب عنك ، نفعَك اللّه بها في العاجل * والآجل .

كلام في مسايرة :

285 — (قال) وسايرت الإمام المعزّ / لدين الله (صلع) في بعض ما خرج إليه فذكر ما ينسبه إلى الأئمّة مَن يتسمّى بوَلايتهم ويدّعي الدعوة إليهم فيما بعُدَ ونأى عنهم من الباطل الذي برّأهُمُ الله (عج) منه ونزّههم عنه ، وينحلُونهم إيّاه من الخروج عن حدّ مراتبهم التي أقامَهُمُ الله (تع) لها إلى ما يخرج عن ملّة جدّهم (ص) ، ويقطع عن دعوته التي نصبَهمُ اللّهُ (تع) لإحياءِ ما أمَات المبطلون منها،وغَيّرَهُ المُبْتَدِعُونَ من سُنَنِها ، وجعلهم (عج) حفظة لها ، فلعن (صع) من فعل ذلك منهم، وقال به ، ونسبه إلى أئمّة الهدى (صع) .

ثمّ قال : وأعجب ممّا ينتحله هؤلاء الفسقة ويعتقدونه من تبديل دين الله والخروج عنه ، وإضافة / ما يذهبون إليه من ذلك (1) إليْنَا ، أنّ بعضهم ربّما

---

(1) في « أ » و« ب » : ما يذهبون من ذلك إليه إلينا .

تجرّأ علينا بإظهار ذلك إلينا ، ومراسلتنا ومكاتبتنا بما زخرفه من باطله وكُفره بالله وبرسوله محمّد جدّنا (صلع) ، وما بسطَه في قوله من تغيير شريعته وهدْم ملّته ، وابتداع بدعٍ يبتدعونها في دين الله من ذات أنفسهم وبما يتعلّقون به ممّا يأخذُونَه من انتحال مِلَلِ أهلِ الكفرِ وزخاريفِ باطلهم ، فيبسطونها في كتب يؤلّفونها وينسِبون ذلك إلينا ، حتىّ إنّ بعضَهم كتب إلينا يذكُر أنّه أقام شريعةً وأكّدَها بحيل تقبلُها العقول ولا يدفعُها مَن سمعها ولا ينفكّ عنها ، وألّف لها كتابا كالقرآن لشريعة الإسلام / ، وأنّ الناموس يغشاه لذلك بأن يقيمه لنا ويصلّيَ علينا في كتابه ، و[مثل]هذا من عجيب القول .

وكانت صلاته على نفسه أشبه بقولِه هذا القذر (1) ، والله يعلم ما داخلني * من ذلك ،من الغمّ والوحشة . وأكثر ما فزعت فيه وقدرت عليه ،أن تبرّأت إلى الله (عج) من قوله ،ولعنته . وهذا من حبائل الشيطان ، وما يريد به الصدّ عنّا من سمع بأنّ مثلَه يضاف إلينا ونحن برَاءٌ ،بحمد الله ونِعمته ، منه ،فيما بيننا وبين الله وبين أوليائنا (2) الآخذين عنّا حقيقةَ ما نحن عليه ، العارفين بالمنازل التي أنزلنّا الله (عج) بها من منازل أئمّة دينه الذين نصبهم لعباده ، ولن يضرّنا — إن شاء / الله — افتراءُ الظالمين المبطلين علينا وما ينسبونه من الباطل والبهتان إلينا . وإنّما يهلَك من أجل ذلك من انتحله وافتعله ومن صدّقه فيه وقبله منه ممّن (3) يزعم أنّه يتولاّنا أو من يتّخذه علينا حجّة ممّن عادانا .

فقلت : أعاذ الله أولياءه وبرّأهم من قول المبطلين الكاذبين عليهم القائلين فيهم بخلاف ما هم عليه . وأعجب ما سمعه عبدُ أمير المؤمنين عن هذا القائل قوله إنّه احتال بحيل توهّم بها أنّ الحقّ ما افتعله . فإذا كان قد أقرّ بأنّ[ها] حيَلٌ احتال بها فكيف يدّعي الحقّ لها ؟

فقال (ص) : أو ليس كذلك انتحال هذا الفاسق ، ومن كان في مثل حاله ممّن يقول بقوله ، أنّ الذي / أتى به النبيّون (ص) من البراهين والكتب والآيات إنّما

---

(1) القراءة هنا تقريبية ، ولعل المعنى هو : وكان الأولى أن يدعو إلى الصلاة على نفسه لا علينا ، فيشبه فعله هذا قوله السابق في الضلال . فيكون ذلك منه أقل شناعة مما زخرفه فينا وما أحدثه في الاسلام .

(2) ب : أوليائه .

(3) ب : من .

كان ذلك بحِيَلٍ منهم احتالوها، وأمور أوهموا الناس بها ؟ هذا اعتقاد كلّ من دفع نُبُوّةَ النبيّين ـ صلوات اللّه عليهم أجمعين ـ الذين نزّههم اللّه وبرّأهم من قول هؤلاء الفاسقين . وهذا اللعين أحدهم ، ومثله كثير ، لمّا اعتقد مثلَ هذا، وزيّن له الشيطان ما زيّنه منه * لنفسه ، وعلِم أنّه إن (1) ادّعى ذلك لمن يعرِفُه ، ونسبَه إلى نفسه، لم يُقْبَلْ منه ، فأراد أن ينسب ذلك إلينا ليصلَ به إلى ما يريدُه من جَمْعِ حُطام الدنيا به ، وأن يُوهِمَنَا أنّه أراد ، بذلك ، الدعاءَ إلينا وتعظيمَ أمرنا عند من يدعوه ويستجيب له ، وتوهّم أنّ ذلك / يزكو له عندنا ونقبلُه منه ، فيستدعي الناس إلى حقّنا بالباطل الذي زيّنه وزخرفه بزعمه لنا ، وما هو اعتقادُه الفاسدُ برأيه الضالّ المُضِلّ لعنه الله وأمثالَه ، وأمكنَنَا منهم ليطهّرَ الأرض من رِجسِهم ويقطعَ عنّا شناعتَهم بفضله .

كلام (2) في فضل قوّة النفس :

286 ـ (قال) وسايرت الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوما في بعض ما خرج إليه، فذكر فضل النفس فقال : أتيت منذ يومين بأسد ميتٍ، هائلِ الخلق، عظيم الجثّة، ضخم الأعضاء، فألقِيَ بين يديّ، وجعل من كان بالحضرة عندي يقلّبُون أنيابَه ومخالبَه وينظرونَ إلى عظيم خَلْقه وظاهرِ ما يدلُّ عليه من شدّته / وقُوّتِه ويتهوّلون ذلك ويستعظمونه . فقلت لبعضهم : هذا ظاهر ما كان يبطش به ويُخافُ له من بأسه وسَطوتِه ، تقلّبونه بأيديكم الآن لا تخافونَه ولا تتّقون منه ولا تخشَوْن سطواتِه عليكم به . فهل ترون ذلك يُغني شيئا أو يخاف منه. أحدٌ إذ فارقَه ما كان مستجنّا فيه من النفْس التي بقوّتها كانت [illegible] هذه الأدواتُ ما تفعلُه ، وهي التي كانت تستعمِلُها فيما يُرْهَبُ ويُتّقى منه ؟ هذا الجسد والخلق الهائل الذي أنتم اليوم تستكبرونه وتستعظمونه وتستهيلونَ منظره ، هذا * هو لا(3) يغني شيئا لمّا فارقَتْهُ القوّةُ التي كانت فيه كامنة مستجنّة ! ففِيها / فكّروا ، وإيّاها فاستَهيلُوا واستعظموا ! وفي

---

(1) أ : واعلم انه ان ادعى ...
ب : واعلم انه ادعى ...

(2) ب : كلام في مسايرة في ...

(3) في النسختين : وهذا هو، عوض : ها هو ، وهو تعبير شائع في الكتاب .

قدرة الله (عج) فيها وتدبيره إيّاها وإحكامه لها فتفكّروا ! واعتبروا ذلك حقّ الاعتبار، فهو ممّا إليه من هذا تنظرون، وإيّاه تتهوّلون وتستعظمون، أحقّ.

فجاء (صلع) في هذا القول بأصل من البيان في النفس والبرهان. يطول فيه غَوْصُ الفكَر، وتنتُج منه الدلائل والعبَر، ويشهد بفضله ما بطَن على ما ظهَر، ويقوم حجّة ودليلا لمن وفّق وهُدِيَ فأبصَر.

حديث في بواهر الأئمّة :

287 — (قال) وذكر الإمام المعزّ لدين الله (ص) يوما وأنا جالس بين يديه أمرَ الفتنة وما جرى فيها من المحنة. فذكر بعض من كان بين يديه ما أنفق فيها / القائم (عم) من الأموال بقول مجمل، يستكثرُ ذلك ويستعظمُه. فقال المعزّ لدين الله (ص) : أفلا أخبِرُكُم عن جملة ما أنْفَقَ فيها ؟

قلت : يخبر أمير المؤمنين بما أحبّه، فإنّا لنحبّ ذلك.

قال (عم) : أمر (عم) هذا — وأومأ بيده إلى خازن بيت مال القائم (1) وهو بين يديه — أن لا يُخْرِجَ من النفقة في ذلك إلاّ من ماله، وعزل له مائةَ ألف دينار واثنَيْ عشرَ ألفَ ألفِ درهم، وقال له : احذَر أن تُنْفِقَ في شيء من أمر هذه الفتنة شيئا من غير هذا المال، فإنّك إن أنفقْتَ شيئا من غيره ذهب ضياعا، ولابدّ من أن يَنْفَدَ هذا المالُ في (2) هذه النفقة كلّه.

فوالله ما زاد عليه ولا نقّص منه، ولا / كان إلاّ كفاف النفقة في ذلك حتّى انقضت الفتنة بفراغه.

ثمّ نظر إلى الخازن فقال : أليس كذلك كان الأمر ؟

قال : نعم، كذلك كان أمرني القائم (عم)، وما أنفقت (3) غيره وما بقي منه درهم فما فوقَه ولا احتيج إلى غيره.

---

(1) «صاحب بيت مال أبو الحسن بن علي الداعي» (ابن حماد : أخبار، 21).

(2) سقط من ب : أنفقت ... هذا المال.

(3) ب : من غيره.

في الزهد في الدنيـا :

288 – (قال) وذكر المعزّ لدين الله (صلع) يوما بناء لبعض الأوّلين وما فيه من العجائب ، فذكر بعضُ مَن حضر ، بناء المعزّ (ص) وما هيّأهُ الله (عج) من بناء النهر المُعِزّيّ وإجرائه في القناة العجيبة المرصوصة بالحجَر والجِسِيرة المبنيّة به العجيبة البناء مسيرةَ يوم ، ثمّ بناءَ القصر الشامخ العظيم البنيان بالحجر المنحوتِ المقطوعِ من الجبَل،على بعد مسافته / (1)،ولم يتهيّأ لأحد من ملوك الدنيا الذين ملكوا الموضع أن يضعوا فيه حجرا على حجر ، وبناءَ الإيوان (2) العجيب الشامخ وجرَّ العمد الهائلة من مسيرة يوم إليه ورفْعَها ، بعد أن أجمعَ الناس على أنّه لو اجتمع أهل الأرض ما استطاعوا عِملَ ذلك منها .

فحمد المعزّ (ص) الله على ما هيّأه له من ذلك ، وجدّد شكره ، ثمّ قال : واللّه ما أردنا بهذا علوّا ولا افتخارا ، وإنّا لعلى بصيرة ويقين واستعداد لمفارقة ذلك وتركه عمّا قليل كما ترك غيرُنا مثلَه ، ولكن لمّا ملّكنا اللّهُ (عج) وأعطانا ، أظهرْنا نِعمته . ما للدنيا (3) وما فيها عندنا حظّ ، ولو كان

---

(1) النهر المعزي ، والقناة المبنية والقصر الشامخ : اشارات إلى مبتنيات المعز بالمنصورية . وقد أشار إليها ابن حماد أيضا فقال :
« وهو الذي بنى الايوان بالمنصورية وبنى المعزية بها ، وبنى قناطر ساق الماء عليها » (ص 47 من أخبار ملوك بني عبيد) .
ولعل « النهر المعزي » والقناة المرصوصة يعنيان الساقية التي تجلب الماء من الجبال البعيدة إلى البركة العظيمة التي بها سمي القصر « دار البحر » ، كما سمي في رقادة الأغلبية ، ويسمى في قلعة بني حماد فيما بعد .
ونجد ، في قصيدة مدح بها علي الايادي التونسي،الخليفة المعز ، وصفا للقصر والبركة والساقية :
« ... تحف بقصر ذي قصور كأنما ... ترى البحر في أرجائه وهو متأق
« له بركة للماء ملء فضائه ... تخب بقطريها العيون وتعنق
« لها جدول ينصب فيها كأنه ... حسام جلاه القين بالأرض ملصق »
(انظر حوليات الجامعة التونسية ، 1973 ص 105) .
ويظهر أن « دار البحر » إنما هي جزء من قصر واسع لعله هو « المعزية » التي ذكرها ابن حماد ، ذاك ما يفهم من عبارة وردت في سيرة الأستاذ جوذر (ص 86) : « ... وأسكنه (المعز أسكن جوذرا) عنده في دار البحر داخل قصره المبارك ... » . هذا، وقد ذكر القاضي النعمان « قصر البحر » فيما سبق ، ص 326 .
هذا وان نتائج الحفريات الجارية بالمنصورية لم تنشر إلى حد الآن ، ولعلها لا تسمح بضبط جميع المعالم الفاطمية على حقيقتها . (وانظر ص 326 تنبيه 2 وص 33 تنبيه 2) .

(2) نقلنا في التنبيه السابق كلام ابن حماد عن الايوان ، وقد اعتمد G. Marçais على هذا الاسم الفارسي، وكذلك على اسم « الخورنق » وهو قصر آخر للمعز بالمنصورية ، فتحدث عن تأثير الفن المعماري الايراني في المعالم الفاطمية . (المرجع المذكور ص 119) .

(3) ب : وما للدنيا .

لها عندنا حظّ لما / بذلناها لهؤلاء ، وأومأ بيده إلى ما بين يديه من الأموال وإلى الناس من أهل بدو وحضر ، وهم يمرّونَ بين يَدَيْه بمن يُطَهَّر من ولادهم ، ويعطي كلّ من يمرّ منهم من صغير وكبير وشريف ومشروف (1) .

في ذكر النصر :

289 — (قال) وانتهى إلى المعزّ لدين الله (ص) أنّ بعض البربر في الأطراف قطعوا على أهل رفقة قدمت من جهة المغرب فانتهَبُوا ما معهم ، فأخرج (ص) إليهم عبدا من عبيده ، وأخرج معه خيلا منهم ، وظنّوا وظنّ كلّ مَن رآهم أنّ بعضهم يستولي على أمثالهم فخرجوا مستخفّين بهم يتبادرون إليهم ، وقطعوا * مسيرة عشَرة أيّام في يومين وبعض يوم حتّى إنّ أكثر(هم) انقطعت / خيلهم ، ووقف كثير منها مبادرة منهم إليهم لئلاّ يفوتوهم ، وظنّوا أنّهم قادرون عليهم . واتّصل الخبر بالبربر فأدبروا هاربين بين أيديهم ، وأدركوهم فحملوا عليهم حملةَ رجل واحد مستخفّين بهم ، فاحتوَوا على بيوتهم ، وقتلوا جماعةً منهم ، ومالوا على الغنائم والأموال ، فمال البربر عليهم ، وقد افترقوا ، فنالوا منهم وهزموهم ، وحال الليل فيما بينهم ، وذهب البربر فدخلوا في الرمال وفاتوهم ، وانصرف البعث .

فقال المعزّ (ص) عند انصرافهم : نال هؤلاء ما نال أصحابَ رسول الله (صلع) يوم حُنَين كما حكى الله (عج) بقوله : « وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا ، وَضَاقَتْ / عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (2) » . والله ما وثِقَ قوم بأنفسهم قطّ إلاّ وَكَلَهُم الله إليها ، ولا استهانوا بعدوّهم إلاّ غلب عليهم . ولا توكّل قوم على الله قلّوا أو كثُروا وأخلَصوا نيّاتهم له

---

(1) الطهور أو الختان أو الاعذار : لعل هذا الحديث جرى في اليوم الذي أمر فيه المعز بإعذار الأمراء بنيه : عبد الله ، ونزار وعقيل » وكان ذلك سنة 351 في مستهل ربيع الأول ، وعمم الختان إلى كافة صبيان مملكته « فأمر ولاته وعماله من لدن برقة إلى أقصى سجلماسة ، وما بين ذلك إلى جزيرة صقلية وما « والاها ، في حضر وبدو ، وبحر وبر ، وسهل وجبل ، بطهور من وجد من أولاد سائر الخلق ، « حرهم وعبدهم ، وأبيضهم وأسودهم ، ودنيئهم وشريفهم ، ومليهم وذميهم (هكذا) ، لمدة شهر ، « وتوعد على ترك ذلك ، وأمرهم بالقيام بجميع نفقاتهم من مطعم وملبس ومشرب وطيب ... » (المقريزي ، اتعاظ ... / 135) .

وسيذكر النعمان هذا الحدث بالتفصيل فيما يأتي من هذا الجزء (ص 556) .

(2) التوبة ، 25 . وحنين واد بين مكة والطائف ، حارب فيه الرسول (ص) في اثني عشر ألفا ، وقال بعض الصحابة إعجابا بهذه الكثرة : لن نغلب اليوم من قلة . فغلبوا وبقي الرسول (ص) في جمع قليل (انظر تفسير البيضاوي 280/2) .

وأيقنوا أن لا حولَ ولا قوّة إلاّ به، إلاّ أيّدَهُمُ اللّهُ بنصره، وذلك قوله لا شريك له حكاية عن طالوت وأصحابه في قوله : « وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الظالمين (1) » . وقوله وهو أصدق القائلين : « كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (2) » .

ثمّ قال المعزّ لدين الله (ص) : قد جاءتنا الفتنة ونحن في سبعين ألف / مقاتل أو يزيدون فاستخفّوا بالعدوّ ، فما زال يصيب منهم وينقص من عددهم حتّى هلك الجبّارونَ منهم والمخالِفون والواثِقُون بأنفسهم، حتّى إذا لم يبق منّا إلاّ سبعمائة رجل (3) ، والعدوّ في مَا لا يحصى عددُه ، أظهرَنَا اللّهُ عليهم ، وأظفرَنَا بهم ، ومكّننا من رمّة رئيسهم ، وفرّق جَمْعَهُمْ ، وقتلهم بأيدينا وأيدي أوليائنا الذين أخلَصُوا لله وتوكّلوا عليه ، وأيقنوا أن لا حولَ ولا قوّة إلاّ به، وعلِموا ضُعفَهم وقلّةَ عددهم ، وأهلك عدوّنا لما بطَروا وأشِروا وأعجبتهم أنفسهم ممّا نالوا . وهذه سنّة الله في الأوّلين والآخِرين .

ثمّ أومأ بيَده إلى رجل من أوليائه قد كان خرج في / بعث فأصابته نكبة فقال : والله لقد قال لي هذا وقد توجّه إلى الموضع الذي كان فوّض إليه لمّا رأى ما معه من الجمع والعدّة: والله لو أمر[ت]ني أن أخرُقَ بهؤلاء إلى أطراف الأرض لخرقت .

(قال) قلت له في الوقت : لا تقل مثل هذا ولا يدخلك العُجْب بنفسك وبمن معك ، وتوكّل على الله ، وثِق به وبنصره .

فناله ما قد ناله . ولا أظنّ ذلك إلاّ لإعجابه بمن كان معه وما تهيّأ له من القوّة، وإن كان بعد ذلك قد زكا عمله ، وفتح الله على يديه وأظفره، لما عوّدَنا من فضله .

وكذلك هؤلاء البربر الأنذال: قد كنّا أمرنا من يخاطبهم في ردّ ما استلبُو لأهل هذه الرّفقة ، فامتنعوا / من ذلك . فلمّا وقع بهم ما وقع ، وإن أفلتوا ، فقد قتل منهم بشر كثير ، وشُرّدوا إلى موضع لا يقيمون به إلاّ هلكوا خصاصة ، فأرسلوا

(1) البقـرة ، 250 .
(2) البقـرة ، 249 .
(3) كان الجيش الفاطمي يعد سبعين ألف مقاتل حين اندلعت ثورة أبي يزيد ، فنقص إلى سبعمائة رجل هذا التقدير من المعزّ لم يذكر عند المؤرخين ، فيما نعلم .

إلينا يتضرّعون ويسألون الأمانَ على أن يردّوا ما أخذوه لأهل الرّفقة ويأتونا بمال بذلوه لِنُؤَمِّنَهُمْ على أنفُسِهِم .

وهذه عادة الله الجميلة عندنا فيمن عَنِدَ أمرَنا . ومن بطر من أوليائنا وجندنا وأعجَبَتْه نفسه ، أدّبه اللّه بمثل ما أدّب به مَن ذكرناه منهم من غير وهن يدخل علينا ولا نقص يُنْسَبُ إلينا . وذلك بما عوّدَنا الله * جلّ وعزّ من فضله وإحسانه وطَوْله وامتنانه ، فله الحمد لا شريك له .

رؤيا رآها المنصور (صلع) : /

290 — (قال) وذكر المعزّ لدين الله — صلوات الله عليه — المنصور، قدّس الله روحه وصلّى عليه ، وما قام به من أمر الفتنة حتّى جلاّها الله على يديه ، وما ناله من ذلك في طلب مخلد اللّعين في فيافي الصّحاري وقرون الجبال حتّى أقدره الله (عج) عليه ، وما أحدث ذلك عليه من العلل .

فقال (عم) : لقد أخبرني (صع) بعد انصرافه أنّه لمّا اعتلّ بتاهرت العلّة التي أشفَى منها على الموتَ ، اشتدّ يوما به الوجع ، ويئس من نفسه . (قال) : فذكرت ما يجب للّه (عج) عليّ من تسليم الأمر إليك والوصيّة بذلك ، وما يجب أن أوصي به ، فأرسلت في طلب فلان وفلان — وذكر جماعة من وجوه أوليائه — / لأذكر ذلك من عهدي إليهم فيك . (قال) فبعد أن مضى الرسول نمتُ وما كنتُ أنام قبل ذلك ، فرأيت رجلا وقف عليّ فقال : ما الذي أردتَ أن تقول لهؤلاء القوم الذين أمرت بإحضارهم إليك ؟

قلت : أردت أن أشهدَهم على عهدي ووصيّتي .

قال لي : ولمَ ذلك ؟

فقلت : لما أنا فيه من العلّة وقد يئست من نفسي .

فقال : أفظننتَ أنّ الله يقطَع عن أملك وقد قمت له وبذلت من نفسك في طاعته ما بذلته ؟ كلاّ والله لا ينالك شيء ممّا تخوّفتَه حتّى يجمعَ الله لك شملَك ويُبلغَك ، فيما تحبّه ، أملك من هذا الأمر . فطب نفسا وقرّ عينا ولا تخَف .

(قال) / ثمّ انتبهت والرسول قائم ، فقال : قد حضر القوم .

قلت : أدخلهم ! فأدخلهم إليّ فعرّفتهم ما بعثتُ فيه إليهم وما رأيته وأنا من العلّة والضعف فيما لا يَطْمَعُ لي بالحياة فيه مَن رآني . فوالله ما أمسيت يومئذ إلاّ مُفيقًا معافًى ، وعادت القوّة • في أيّام قلائل باتّصال الصحّة ، فانصرفت بعد بلوغ الأمل ونيل البغية والظفر .

ذكر طهور ولد المعزّ لدين الله (ص) :

291 — (قال) ولمّا أراد الإمام المعزّ لدين الله (صلع) أن يطهّر عبد الله ونزارا وعقيلا بَنيه تقدّم إلى خاصّته وأوليائه وسائر جنده وعبيده وجميع رجاله وكافّة مَن بالحضرة من سائر التّجار والصنّاع وعامّة الرعيّة بالمنصورية / والقيروان، وجميع أهل مدن إفريقيّة وكورها من حاضر وباد ، وأمر بالكتب إلى العمّال من لدن برقة وأعمالها إلى سجلماسة وحدودها وما بين ذلك وما حوته مملكته وإلى جزيرة صقلّية ومن بها من طبقات الناس في حضر وبدو ،أن يتقدّموا في طهور أبنائهم يوم الثلاثاء أوّل يوم من شهر ربيع الأوّل من سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة إلى انقضاء هذا الشهر ، وأمر أن يحمل إلى كلّ بلد من هذه البلدان من الحضرة أموال وخلع تُفرّق على كلّ من طهّر من أبناء المسلمين من خاصّ وعامّ .

فكان الذي رأيناه حمل إلى صقلّية من المال خمسين حِمْلا (1) سوى الخلع / ، ومثل ذلك ونحوه إلى كلّ عامل ليفرّقه على أهل عمله . وتقدّم (صلع) في طهور ولده يوم الثلاثاء هذا المذكور ، وجلس بنفسه الزكيّة لطهور سائر أهل الحضرة ومن يليها من البوادي ، وأمر بضرب سرادقات بساحة قصر البحر حول الماء وبإدخال الصبيان مع من أراد الدخول معهم من آبائهم وأمّهاتهم وعبيدهم وخدمهم ، ومن أرادوا أن يطهّروه من عبيدهم . واعتزم على أن يصل الطهور أيّام هذا الشهر كلّه • . وذاع في الناس أنّه أمر (صلع) أنّ من لم يطهّر ولدا يكون عنده في هذا الطهور ثمّ يطهّره (2) بعد ذلك لمدّة سبع سنين فقد أنف عن / فضله ، وخالف أمره .

---

(1) ذكر المقريزي (اتعاظ الحنفاء ص 136) ان الخمسين حملا كانت من الدنانير ، وأن كل حمل عشرة آلاف دينار .

(2) في أ : ثم لم يطهره ...

فسارع الناس بأبنائهم وعبيدهم عن كافّتهم . واتّصل به ما أشيع من ذلك ، فقال: لقد أحسن من شيّع هذا ، وما يتخلّف عنّا في ذلك مَن يحبّ أيّامنا .

وكان يجلس (صلع) من وقت الغداة ، فلا يزال جالسا وهم يطهّرون ويمرّون بين يديه فيُكْسَوْن ، ويوصَلُون لا يخيّب من ذلك منهم شريف ولا مشروف ، ولا حرّ ولا عبد ، قريب ولا بعيد ، حاضر ولا باد . والختّانون في السُّرادقات على الكراسي وبين أيديهم المنابر لجلوس الصبيان ، والقوم يمسكونهم في حجورهم ويذرون الذرارات المُمَسِّكة للدّم على ختاناتهم ، ويقفون في البخور وماء / الورد على رؤوسهم ، ويرشّونهم على وجوههم لما يعتريهم من الرَّوْع ، والسَّنْدُ بأصناف الملاعب قيامٌ عليهم يُلْهُونَهم ويصحَبُون من طُهِّر منهم يزفّون به إلى منزله (1) .

وكان الذي أعطاه الخاصّة من الخلَع والصلات على أقدارهم ما يتفاوت ويطول ذكره . وكان الذي أعطاه العامّةَ من الصلة غير الكسوة : لكلّ صبيّ منهم مائتا درهم إلى مائة وخمسين . وأقلّ ما أعْطِيَ المجهولون من أهل البوادي ونظرائهم وعبيدهم: كلّ صبيّ منهم عشرة دراهم . وكان يطهّر في كلّ يوم من أيّام هذا الشهر منهم من عشرة آلاف صبيّ إلى خمسة آلاف (2) أقلّ ذلك . وأكثر الناس الخوض/والحديث في ذلك، وتعاظموه،وأجمعوا في ابتداء الأمر أنّ ذلك لا يتمّ وأنّ الأموال لا تنهض به ، وذكروا لكثرة ما (3) رأوه من الخلائق أنّ ذلك لو وصل حولا لما انقطع الناس ولا أتى على آخرهم فيه .

وكنت ممّن تعاظم ذلك وتداخلَهُ الإشفاقُ منه ، وعرّضت يوما بذكر ذلك ، فقال لي : يا نعمان ، طب نفسا،فقد عزلنا لهذا ما لا نرى أنّا نأتي على نفقَتِه فيه بأسره . واللّهِ ما هو من شيء كنّا نُلقي له بالا ولا وجدنا لإخرَاجِه نقصا ولا خللا،وما كنّا نلتفت إليه (4)من ذخائرنا ولامن ذخائر الآباء (صلع)،وما هو إلاّ شيء

(1) السند : لعلهم جماعة من الغز أو الغجر يقومون بالألعاب البهلوانية وما شابهها من أمور الترفيه .

(2) يقول المقريزي : « فكان المعز يطهر في اليوم من أيام الشهر بحضرته إثني عشر ألف صبي وفوقها ودونها ، وختن من أهل صقلية وحدها خمسة عشر ألف صبي ، (اتعاظ الحنفاء ص 136) ، وهذه الأرقام تبدو خيالية .

(3) في النسختين : وذكروا الكثرة بما ...

(4) ب : وهو مما كنت نلتفت إليه .

كان لا يُلتَفَتُ إليه،وكثير ممّن تقدّمنا / من ملوك الدنيا أنفق مثلَ هذا وأضعافَه في معاصي الله (عج)، وفيما نتّقي شناعته عنيه . وهذا شيء أردنا به وجهَ الله (عج) وإقامةَ فرضه وإحيّاءَ سنّة جدّنا رسوله (صلع) وملّة خليله إبراهيم (ص) ، ما أردنا بذلك إلاّ الله (عج) والقربةَ بذلك إليه ، وما من هؤلاء من يريد بذلك التحبّبَ إليه ولا التزيُّنَ بذلك عنده . وقد عزلنا لذلك مالا لابدّ لنا من إنفاده فيه ، ووقّتنا له وقتا لابدّ لنا إنْ عِشنا أن نبلُغَ بِه إليه — يريد مدّة هذا الشهر الذي وقّته لذلك (صلع) — .

وكان من صنع الله (عج) له أنّه لمّا كان يوم الأربعاء سلخُ ربيع الأوّل هذا، انقضى جميعُ مَن كان بالحضرة ومن حضر إليه من / البوادي، واجتمع ذلك اليومَ من الصبيان زُهاء اثنَيْ عشر ألفا (1) فطهّروا عن آخرهم ، وتلاحق من غد بقايا من بقِيَ من نحو ثلاثمائة ، فرآهم المعزّ لدين الله (ص) من منظر كان له،وَقَدْ اجتمعوا بباب القصر ، فأمر بتطهيرهم . فانقضى جميع (2) الناس عن آخرهم في الوقت الذي وقّتَه والحدّ الذي حدّه،حتّى إنّهم لَوْ حُسِبوا وقُسِّموا على تلك الأيّام لما اتّفق أن يكونَ ما هيّأه اللّه (عج) من فرَاغهم عن * آخرهم في الوقت الذي وقّتَه لهم .

وجرى على ذلك جميع أهل الكسور والبلدان بكلّ وجه ، وأخْرَجَ في ذلك من الأموال والخِلَع والنفقاتِ ما لا يُحصِيه إلاّ مَن وقف عليه . وكانت أيّامُ هذا / الشهر أيّامَ أعيادٍ ومسرّاتٍ وأفراحٍ وهِباتٍ بكلّ وجه وجهة من مملكة أمير المؤمنين (ص) من بدو وحضر، وعمّهُمْ فضلُهُ (3)، وتبيّن عليهم أثَرُه ، وارتفق به أغنياؤُهم،وانتَعَشَ له فُقَرَاؤُهم ، ودخلت المسرّة على أهل كلّ بَيْتٍ منهم . وكان أثر جميل لم يسبُقْه إليه (صع) أحدٌ قبلَه ، ولا أظنّ أنّ (4) أحدا يتّسع له مثله . والحمد لله على ما أولى وليّه وأنعَمَ به عليه .

---

(1) كأن المقريزي نقل عبارة القاضي النعمان ، بتصرف .

(2) أ : أمر جميع .

(3) ب : من فضله .

(4) أ : ولا ظن أحد .

ب : ولا أظن أحد .

كلام في عطيّات وصلات :

292 — (قال) ولما انقضى أمر هذا الطّهور الذي تقدّم خبره في المجلس الذي تقدّم قبل هذا ، وافق ذلك قدُومُ رسلِ بعض دعاة نواحي المشرق بأموال قدِموا بها من أعمال المؤمنين،وطرائف / وتُحَف . فجلس المعزّ (ص) يوم الخميس أوّل يوم من شهر ربيع الآخر (1) بعقِب هذا الطهور ، وأمر بإدخال خاصّة أوليائه من كتامة وغيرهم . فقرأ كتب دعاته بما هم عليه من صلاح الأحوال واستقامة الأمور وظهور الكلمة وانبساط الدعوة . فحمد الله على ذلك من حضره ، ودعَوْا بما أمكن ، ثمّ ذكروا ما كان من فضل أمير المؤمنين على عامّة الناس ، وما انتشر من الثّناء عليه في ذلك والدعاء له على ألسن العامّة والمخالفين والمؤالفين ، وما ظهر من فضله على الفقراء والمساكين . إذ كان أحدهم يأتي بالثلاثة والأربعة وأكثر [من] ذلك من ولده. فيأخذُ لكلّ واحد منهم صلةً / لعلّه لم يرَ في يده قطّ مثلَها .

فقال المعزّ لدين الله (صلع) : والله لقد ساءني مَن رأيتُه يمرّ بي من أهل الفقر والمسكنة،وإن كانوا قليلا في كثير،لأنّهم رعيّتُنا وممّن نُحبّ أن يكونوا أغنياءَ تظهر (2) نِعمةُ الله (عج) عليهم بنا ، إذ قد جرى مثل هذا .

وقد حضر عامّة أوليائنا ومن قد نستعمله على رعايانا ، ونتوخّى فيه من الخير ما نظنّ به أنّه يمتثل فيهم أمرَنا ، فيوفّي بحسن سيرته فيهم أموالَ أغنيائهم ،يُنعِش بذلك فقراءهم ، كما يجب أن يجريَ ذلك فيهم (3) ،ويمتثل الحقّ في صغيرهم وكبيرهم ، ويعمل بأمرنا فيهم . فرحم الله من فعل ذلك وامتثل ، ولا يرحم من تعدّاه وتجاوزه ولا غفر له وحرمه / شفاعتنا عنده . فوَالله ما آلَوْنا في توقيف مَن نستعمِلُه على ما نريده ونحبّه من العدل والإنصاف وحُسنِ السيرة في الرعيّة والرّفق بها والإحسان إليها . فأنا بريءٌ إلى الله ممّن خالفَ أمري فيهم ولم يمتثِلْه في جميعهم . والله ما فوقَ مَحَلِّكم عندي محلّ ، وما أحد من ولدي بأحبَّ إليّ منكم ، إلاّ من جعل الله

---

(1) من سنة 351 .

(2) أ : يظهر .
ب : ليظهروا .

(3) سقط من ب . أموال أغنيائهم ... ذلك فيهم .

له الخيبةَ فيه منهم(1)، وإنّ ذلك ممّا يُوجِبُه ما جرى لكم معنا من صحبة الأجداد للأجداد وصحبة الآباء للآباء والأبناء للأبناء .

وأنتم خاصّتنا وبطانتنا وأحبّ الخلق إلينا لو أعنتمونا بسمع وطاعة وامتثال أمر ، وإن كنّا لا نشكّ في حسن اعتقادكم لوَلايتنا وصفو نيّاتكم لنا ، ولكنّ الدنيا ربّما / استمالَتْ كثيرا منكم بحُطامها ، والحميّةُ والهَوَى ربّما مال بكثير منكم عن أمرنا ، لا سيّما ما يعتَري بعضَكم لبعض من الحسَد والمنافسة حتّى يصيروا (2) في مواضعكم إلى الحروب والقتلِ وهتكِ الحريم، وذلك، وإن يَشْفَى به بعضُكم من بعض ، فإنّه ممّا يغمُّنا ويُنكينا فيكم . وكان الواجب عليكم أن تدَعُوا ما تحبّونه من شِفاء غيظكم وبلوغ شهواتكم لما نُحبّه من حقْن دمائكم وصلاح أموركم وبقاءِ * نعمة الله عليكم ، ثمّ ما تضعونه من أنفسكم لمن لم يجعل عليكم حكما ، ومن أنتم أفضل منه ممّن يدّعي أنّه يستعطفُنا عليكم، ويستدرُّ إحسانَنا إليكم ، ويتقرّب بذلك إليكم ، ويمنّ / به عليكم ويستطيل .

والواجب عليكم وعلى جميع من ائْتَمّ بنا وعرَفَ فضلنا أن يكون نظرُه واعتمادُه على أمرنا . فمن قدّمناه عليه وأمرْنَاهُ باتّباعه وطاعتِه وضع له خدَّه تسليما لأمرنا وطاعةً لنا، ومن لم نرفَعْه ولم نقدّمْه عليه لم يلتفت إليه(3)، ولم يوجب له ما لم نُوجبه ، ولم يتّخذْ دوننا وَلِيجَةَ . فوالله ما أحوَجْناكم إلى أحد ، ولا يعلّق منكم أحدٌ عليّ بأنّي أحوجتُه إلى أحد غيري، ويرى أنّه ينفعه أو يضرّه عندي حتّى يتحمّلَ له ما كان يتحمّلُه كثير منكم لمن غضِبَ الله عليه ولعنه — يعني به اللعين قيصر (4) — فيروح ويغدو إليه قبل الرواح والغدوّ إلينا، فكان ذلك / هو الفرض عليه، ونحن النافلةُ عنده ، وما وصل إليه من فضلنا رأى أنّه إنّما وصل إليه به ، وما عسى أن يعطيَه دونَنا، خيانةً وسُحْتًا، يملكه به ويعظم له في صدره ويتّسع فضلُنا عليه. والله لدرْهَمٌ نُعطيه أحدَكم فيأخذه منّا بشكرٍ لأعظمُ فضلا وبركةً وأزكى عند الله من الدنيا بما فيها من غير وجهِها ، مع ما في ذلك من سرور الأنفس وكرَمِ الأخلاق .

(1) هكذا في النسختين ، ولم نتبين القصد من الخيبة .
(2) ب : حتى يمسدوا .
(3) سقط من ب : لأمرنا ... لم يلتفت إليه .
(4) قيصر الفتى : قد مر ذكره في ص 436 .

وقد اتّصل بنا من بعض مشايخنا المستجيبين لدعاتنا أنّه كان يجرّى عليه من قبل داعيه فضل يصل إليه من قبله وأنّ بعضهم لقيَه يوما فذكر له أنّه عرَّض بذكره عند ذلك الداعي فأمر له بشيء / كان يُجريه عليه ، فقال : وقد بلغتُ مبلغا لا أُذْكَرُ فيه حتّى تذكُرَني أنت ؟ لا أبقاني الله إلى يوم أكونُ منسيّا فيه عند من أرجوه إلى أن يذكرني غيري .

فهكذا أريد أن * تكون أنفسكم وهِمَمُكُمْ بقدر مكانكم منّي ومحلّكم لديّ . إنّي أحبّ أن أباهيَ وأكاثرَ بكم في الدنيا والآخرة كما قال جدّنا رسول الله (صلع) لمن كان في عصره : إنّي مكاثرٌ بكم الأمم يوم القيامة (1) ، وقد قال الله (تع) : « فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (2) » ، وقال : « يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ (3) ». فبي والله تدعون وأنا الشهيد عليكم ، وما أحسب أن يأتيَ أمثالي بقوم / صالحين وآتي أنا بقوم لا خيرَ فيهم .

فسكت القوم ورأيت أنّ ذلك قد خفض منهم . فقلت : قد وعظ أمير المؤمنين (ص) عبيدَه وأبلغ في الموعظة ، ونبّهَهم وتفضّل عليهم ، ونسأل الله أن لا يُخليَنا من تنبيه وليّه ، وأن لا يجعلَنا ممّن يُعرِضُ عنه ويُسلِمُه لاختياره .

فقال (ص) : إنّهم لو لم يكونوا عندي بمحلّ مَن نحبُّ صلاحَه ونشتهي رُشْدَه لم أقُلْ لهم مثلَ ما قلتُ . ولولا ما أخشاه عليهم لعرّفتُهم مكانَهم عندي وكيف محلُّهم من قلبي . ولو أشاء لعاقبتُ المذنبَ عقوبةَ مثله ، ولقتلتُ من يجب في صلاح الدولة قتلُه ، وأبقيتُ من يُنْتَفَع فيها به ، ولكنّني حملتُ / الأمرَ على ما أوجبه الزمان لي وجرت به عادةُ الله الجميلةُ عندي . إنّ الله (عج) يقول : « وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (4) » . فهذه من نعم الله عندي : فقد خوّلَني ومكّنني

(1) جاء في سنن النسائي ، في باب النكاح (ج 6 ص 65) وفي مسند ابن حنبل (ج 3 ص 158 و245) على هذا النحو : تزوجوا الولود الودود ، اني مكاثر الأنبياء يوم القيامة . وجاء على صيغة أخرى في مسند أحمد (ص 354) : انكم اليوم على ديني ، واني مكاثر بكم الأمم ، فلا تمشوا بعدي القهقرى . وانظر ص 345 .

(2) النساء ، 41 .

(3) الاسراء ، 71 .

(4) الضحى ، 11 .

وأعطاني وأقدرني وبلّغني فوق أملي وفوق ما بلغ به من سبقني . ولقد سبق من آبائكم مع الآباء وأجدادكم مع الأجداد مَن يقول الناسُ إنّهم بِسَبْقِهم أفضلُ منكم . وما أقول أنا إلاّ أنّكم أفضلُ ممّن تقدّمكُم بما فضّلكم الله به في أيّامي ورحمتي وحياتي * ،وإن كان مَن تقدّم من الآباء (صلع) لم يألوا(1) إحسانًا وفضلا لمن كان في عصرهم ، وإن كان ما كان منهم إليهم من التأدّب / لما فيه صلاح جميعهم . فلكلّ زمان رجال ، وَلَيَهْلِكَنّ بسيرتي اليومَ غداً خلقٌ كثير ممّن يظنّ أنّ الأمرَ لا يعدو ما أنا اليوم عليه . فاعرفوا قدْرَ ما منّ اللّهُ عليكم به ، واشكروه يزِدْكُم من فضله .

فقال بعض من حضر : وكيف لنا بشكر ما أولاه أميرُ المؤمنين ؟

فقال : إنّ الذي أولى الله عبادَه أجلّ وأعظم ، وقد أخبر (عج) أنّ من عباده من قد شكره ، إذ قد شكروا بما قدروا عليه . فأخلِصُوا نيّاتِكم له وما يريد منكم إلاّ الإخلاص .

فقبّلوا الأرضَ مرارا بين يديه ، وشكروا بما قدروا عليه ، وانصرفوا . فخلع يومئذ على جميع مَن حضر المجلس خِلعًا رفيعة . وكان يوم سرور ختَمَ / أيّامَ الطّهور التي قدّمنا ذكر السرور فيها ، وما علم الناس من فضل وليّ الله بها ، صلوات الله عليه وعلى الأئمّة الطاهرين من سلفه والصفوة المهديّين من خَلَفِه وسلّم كثيرا .

(1) في النسختين : لم ينـالوا .

وقع الفراغ (1) من زبر هذا الجلد الثاني من كتاب المجالس والمسايرات صباح الثلاثاء الرابع عشر من شهر ربيع الأوّل من سنة 1351 المطابق للتاريخ السادس عشر من أكَسْت من سنة 1932م كتبه الأقلّ الراجي رحمة ربّه العليّ شيخ آدم ابن الشيخ الماجد محمد علي الكجراتي وطنا، السورتي مسكنا ثبّته الله (تع) على طاعته وعلى طاعة جميع حدوده، العلويّين والسفليّين، الروحانيّين والجسمانيّين بحقّ سيّدنا محمد وآله الطاهرين أمين يا ربّ العالمين .

نقلته من النسخة التي عبارة آخرها هذه : تمّ كتاب المجالس والمسايرات والحمد لله وصلّى الله على محمد وآله وسلّم تسليما ، في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر المظفّر من اثنين وثلاثين وثلاث مائة وألف سنة 1332 من هجرة رسول الله (صلعم) ، كتبه أحقر الأحقرين محمد علي ابن ملاّ سلطان علي في بلد برهانپور المسمّى بدار السرور غفر اللّه ذنوبهما .

---

(1) هذا من نسخة « أ » . وفي « ب » ، كتب في الطرة اليسرى من الورقة 145 ، بخط مائل مغاير ، عبارة : كاتبه ... ملا داود بن أيوب ... المدفون في ... مندرة في 1315 .

فإذا قارنا بين التواريخ الواردة في آخر « أ » و« ب »، استنتجنا أن « ب » المنقولة سنة 1315 أقدم من « أ » المنقولة سنة 1351 عن أصل يرجع تاريخه إلى 1332 .

الفهارس

الفهـــــارس

فهرس القرآن

الآيـــــة	رقمها من السورة	الصفحـة
وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ	الروم ، 58	500
وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا	طه ، 115	283
وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ	الأنبياء ، 105	196
وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا....................	يوسف ، 24	143
وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	يونس ، 44	269
وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ	الأنعام ، 9	293، 522
وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ... الظَّالِمِينَ	البقرة ، 250	554
وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا	النساء ، 64	222، 273
وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً... يَلْبِسُونَ	الأنعام ، 9	293
وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ	النساء ، 83	222
وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا	النور ، 21	428

فهرس الحديث

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فهرس الاعلام والمفاهيم

فهرس الأماكن

فهرس القوافي

البيت	وزنه	قائله	الصفحة
يا أمّة السّوء التي قد غيّرت......ظلماءها ..	كامل		215
وأحرأ من رأيت بظهر غيب......العيوب ؟...	وافر		99
وفي كلّ شيء له آيـــة......واحد	متقارب	أبو العتاهية	310
إذا الرجال ولدت أولادها......أعضادها .	رجز		268
وعليهما مسرودتان قضاهما......تبّع	كامل	أبو ذويب	160
أخذنا بآفاق السّماء عليكم......الطّوالع	طويل	الفرزدق	85
بلينا وما تبلى النجوم الطّوالع......والمصانع ..	طويل	لبيد	104
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها...... لم تفتق ..	طويل	الشماخ ؟	161
الله أعطاك التي لا فوقها......طوقها ..	رجز	كثيّر	410
وليت فلم تشتم عليّا ولم تخف......مجرم......	طويل	كثيّر	181

فهرس الأمثال

الصفحة

فهرس تفصيلي

قائمة المراجع

أ ـ بالعربيــة :

إدريس عماد الدين :

زهـر المعاني ، مخطـوط .

ضيـاء البصائـر ، مخطوط .

الإدريسـي :

صفـة المغرب ، ليـدن 1864 .

ابن أبي زرع :

الأنيس المطرب القرطاس ، طبع حجر ، المغرب ، د. ت .

ابن الأثيـر :

أسد الغابة ، كتاب الشعب 1970 .

الكامل في التاريخ ، القاهرة 1353 .

ابن جبيـر :

الرحلة ، نشر د. حسين نصّار ، القاهرة 1955 .

ابن جلجل :
طبقات الأطبّاء ، تحقيق فؤاد السيّد ، القاهرة 1955 .

ابن الجوزي :
صفة الصفوة ، حيدرآباد 1355هـ .

ابن حجر :
الاصابة (مع الاستيعاب لابن عبد البرّ) ، القاهرة 1939 .
تهذيب التهذيب ، حيدرآباد 1325 .
رفع الإصر (ذيل ك. الولاة والقضاة للكندي) بيروت ،1908 ،وليدن 1912 .
لسان الميزان ، بيروت 1970 . (مصوّرة عن طبعة حيدرآباد 1337هـ) .

ابن حزم :
جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة 1962 .

ابن حمّاد :
أخبار ملوك بني عبيد ، نشر Vonderheyden ، الجزائر 1927 .

ابن حوقل :
صفة الأرض ، بيروت ، د. ت .

ابن حيّان :
المقتبس ، مخطوط .الجزء الخامس ، المكتبة الملكية ، الرباط .

ابن الخطيب :
أعمال الأعلام ، نشر ح. ح. عبد الوهاب ، بالرمو 1910 .
رقم الحلل في نظم الدول ، تونس 1316 .

ابن خلدون :
العبر ، طبع بولاق 1284 وبيروت 1956 .

ابن خلّكان :
وفيات الأعيان ، تحقيق د. إحسان عبّاس ، بيروت 1969 .

ابن رشد (أبو الوليد محمد) :
بداية المجتهد ، القاهرة ، 1928 .

ابن سعد :

الطبقات الكبرى ، دار صادر . بيروت .

ابن شهراشوب :

معالم العلماء ، النجف 1961 .

ابن عبد البرّ :

الاستيعاب (بهامش الإصابة) القاهرة 1939 .

ابن عذاري :

البيان المغرب . باريس 1948 .

ابن قتيبة :

تأويل مشكل القرآن ، تحقيق سيد أحمد صقر . القاهرة 1970 .

عيون الأخبار ، القاهرة . 30–1924 .

كتاب المعارف . تحقيق د. ثروت عكاشة . القاهرة 1960 .

المعاني الكبير . حيدرآباد . 1368هـ .

ابن ناجي :

معالم الإيمان . ج 1 . تحقيق إبراهيم شبوح . القاهرة . 1968 .

ابن هانىء (محمد) :

ديوان « تبيين المعاني ... » نشر زاهد علي . القاهرة 1933 .

ابن الوليد :

دامغ الباطل . مخطوط .

لبّ المعارف (ضمن ثلاث رسائل إسماعيليّة يمنية . تحقيق الحبيب الفقي .

باريس 1970 مرقونة) .

ملحقة الأذهان ومنبهة الوسنان (مثلها) .

رسالة المبدأ والمعاد .

أبو الفداء :

تقويم البلدان . باريس 1840 .

بدوي (د. عبد الرحمان) :

مخطوطات أرسطو في العربية . القاهرة . 1959 .

البكــري :
المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب . نشر دي سلان . الجزائر . 1911 .

التجاني (عبد الله) :
الرحلـة ، تونس 1958 .

الثعـالبـي :
يتيمـة الدهـر ، القاهـرة 1947 .

الجاحظ :
كتاب الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة . 1938 .
كتاب العثمانية . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة . 1955 .

الجزيري (عبد الرحمان) :
الفقه على المذاهب الأربعة ، القاهرة 1936 .

جعفر بن منصور اليمن :
كتاب الكشف . نشر ستروطمان . الهند 1952 .
تأويل الزكاة ، مخطوط .
الفترات والقرانات . مخطوط .

الجوذري (منصور الكاتب) :
سيرة الأستاذ جوذر ، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادي شعيرة ، القاهرة 1954 .

الحامدي (حاتم بن إبراهيم) :
الابتداء والانتهاء (ضمن ثلاث رسائل إسماعيليّة ، تحقيق الحبيب الفقي) .
المجالس ، مخطوط .

حسن (حسن إبراهيم) وطه أحمد شرف :
المعزّ لدين الله الفاطمي . القاهرة ، 1948 .

حسين (محمد كامل) :
في أدب مصر الفاطميّة ، القاهرة ، 1972 .
طائفة الإسماعيليّة ، القاهرة ، 1959 .

الحميريّ :
الروض المعطار ، تحقيق د. إحسان عبّاس ، بيروت 1975 .

الخشني :
طبقات علماء إفريقية ، نشر محمد بن شنب ، الجزائر 1914 .

الخطاب :
غاية المواليد ، مخطوط .

خليفة بن خيّاط :
التاريخ ، تحقيق د. سُهيل زكّار ، دمشق ، 1967 .

الذّهبي :
ميزان الاعتدال ، القاهرة ، 1325 .

السجستاني (أبو يعقوب) :
إثبات النبوات ، نشر عارف تامر ، بيروت ، 1966 .
الينابيع ، (ضمن Trilogie ismaélienne تحقيق Henri Corbin باريس 1961) .

السكري :
شرح أشعار الهذليين ، تحقيق عبد الستار فرّاج ، القاهرة ، 1965 .

الطباطبائي :
تفسير الميزان ، بيروت ، 1974 .

الطبري :
تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ، 1960

الطّوسي :
كتاب الرّجال ، النجف، 1961/1381 .

العبدري :
الرّحلة المغربيّة ، نشره محمد الفاسي ، الرباط ، 1968 .

عنان (محمد عبد الله) :
الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطميّة ، القاهرة 1959 .

الغزالي :
فضائح الباطنيّة، أو المستظهري، تحقيق د. عبد الرحمان بدوي، القاهرة 1964 .

القاضي النعمان :
انظر : النعمان .

القفطي :
إنباه الرواة على أنباه النحاة . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة 1950 .
تاريخ الحكماء . ليبسك ، 1320هـ/1903م .

الكرماني (أحمد حميد الدين) :
راحة العقل، نشر محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمي، ليدن 1953 .
رسائل الكرماني ، مخطوط .
المصابيح في إثبات الإمامة ، نشر مصطفى غالب ، بيروت 1969 .

الكندي (محمد بن يوسف) :
الولاة والقضاة ، تحقيق كست ، ليدن 1912 .

لويس (برنارد) :
أصول الاسماعيليّة .تعريب خليل جلّو وجاسم الرجب . القاهرة د. ت .

المجدوع (إسماعيل) :
فهرسة الكتب والرسائل ، طهران 1966 .

المسعودي :
التنبيه والإشراف ، ليدن 1893 .

المقدّسي :
أحسن التقاسيم ، بريل ، ليدن 1906 .

المقريزي :
اتعاظ الحنفا ، تحقيق د. جمال الشيّال ، القاهرة ، 1948 .
الخطط ، (المواعظ والاعتبار) ، بولاق 1316 .
المقفّـي ، مخطوط .

المؤيّد الشيرازي :
الديـوان ، تحقيق محمد كامل حسين ، القاهرة ، 1949 .
المجالس المؤيّديّة ، مخطوط .

الميـداني :
مجمع الأمثال ، بيروت ، 1961 .

الناصـري :
الاستقصا ، لأخبـار دول المغرب الأقصى . الدّار البيضاء . 1954

النعمـان بن محمد (القاضي) :
أساس التأويل ، نشر عارف تامر ، بيروت 1960 .
افتتـاح الدعـوة (تحقيق د. وداد القاضي ، بيروت 1970) . و (تحقيـق د. فرحات الدشـراوي ، تونس 1975) .
الاقتصار ، نشر محمد وحيد ميرزا ، دمشق 1975 .
تأويل الدعائم ، نشر محمد حسن الأعظمـي ، القاهرة 1969 .
دعائم الاسلام ، نشر آصف أصغر فيضي ، القاهرة 1969 .
الهمّة في آداب أتباع الأئمّة ، نشر محمد كامل حسين . القاهرة د. ت .

الهمداني (حسين بن فيض الله) :
الصليحيّون والحركة الفاطميّة في اليمن ، القاهرة 1955 .
في نسب الفاطميّين ، القاهرة ، 1958 .

اليافعي :
مرآة الجنان بيروت ، د. ت . (مصورة عن طبعة حيدرآباد) .

اليعقوبي : كتاب التاريخ ، ليدن 1883 .

∴

ب ـ بغير العربية :

M. Canard : — L'expansion arabo-islamique et ses répercussions, Variorum Reprints, London 1974.
— L'autobiographie d'un Chambellan du Mahdi Obeid-Allah le Fatimide (Traduction de la Sirat Ja'far al-Ḥâjib), Hespéris, 1952.
— Vie de l'Ustadh Jawdhar, Alger, 1958.

F. Dachraoui : — Le Califat fatimide au Maghreb, thèse d'Etat (sous presse), Paris, 1970.

H. R. Idris : — La Berbérie Orientale sous les Zirides, Paris, 1962.

Ivanow (W.) : — Ismaili Literature, Téhéran, 1963.
— Studies in early persian ismailism, Bombay, 1955.

Levi-Provençal : — Histoire de l'Espagne musulmane, Paris, 1950-3.

B. Lewis : — The origins of Ismailism, Cambridge, 1940.

G. Marçais : — L'architecture musulmane d'Occident, Paris, 1955.
— Manuel d'art musulman, Paris, 1962.

L. Massignon : — Esquisse d'une bibliographie qarmate.

O. Schlumberger : — Un empereur byzantin au Xème siècle : Nicéphore Phocas, Paris, 1890

N. Solignac : — Recherches sur les installations hydrauliques de Kairouan, Alger, 1953.

